

مَجْمَعُ الْبَيَانِ

فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

لمؤلفه

الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي

من أكابر علماء الأملية في القرن السادس

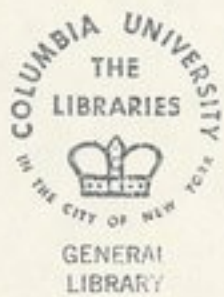
يقع في خمسة مجلدات أو عشرة أجزاء

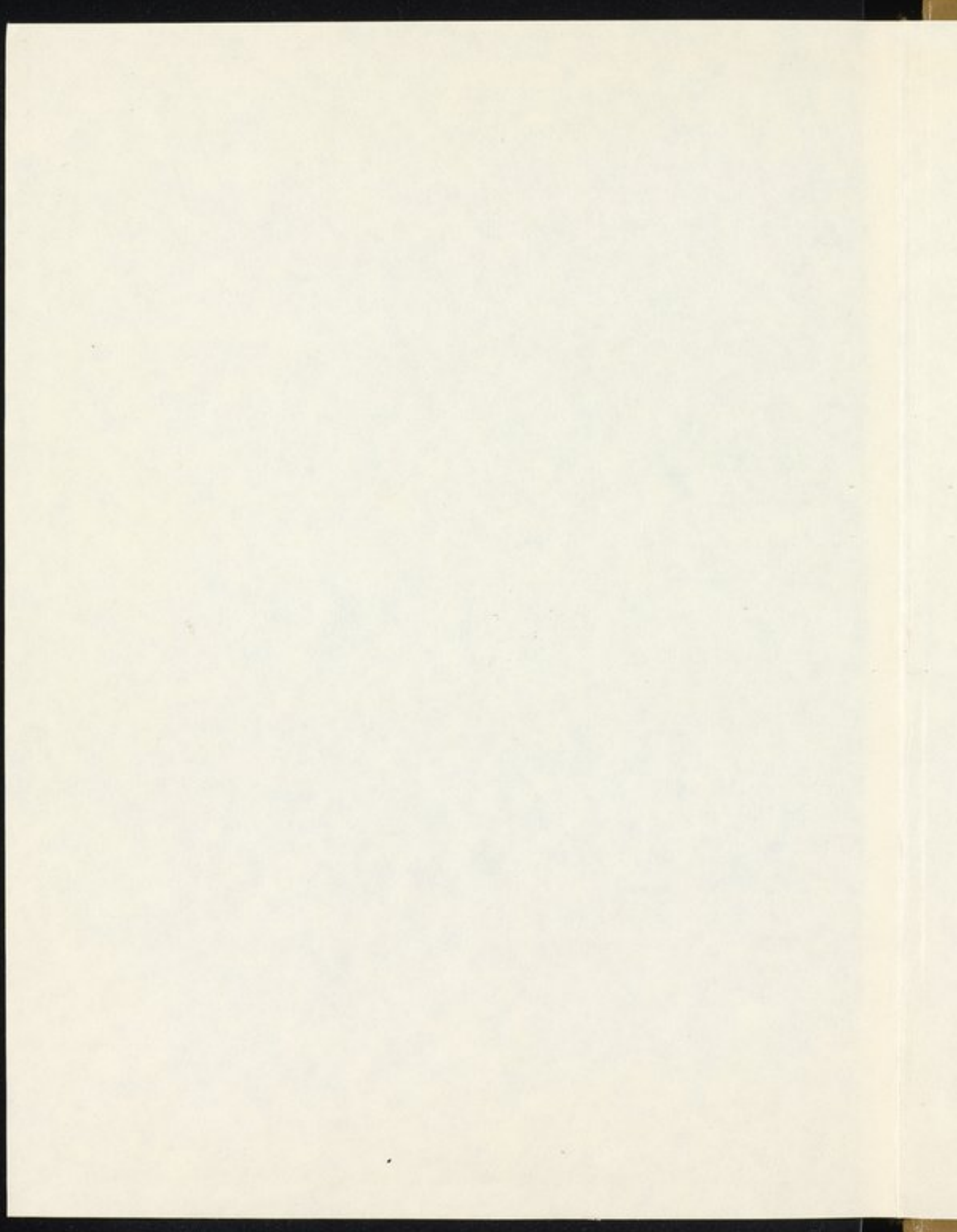
يكون مجموعته مع الفهارس زهاء ثلاثة آلاف صفحة

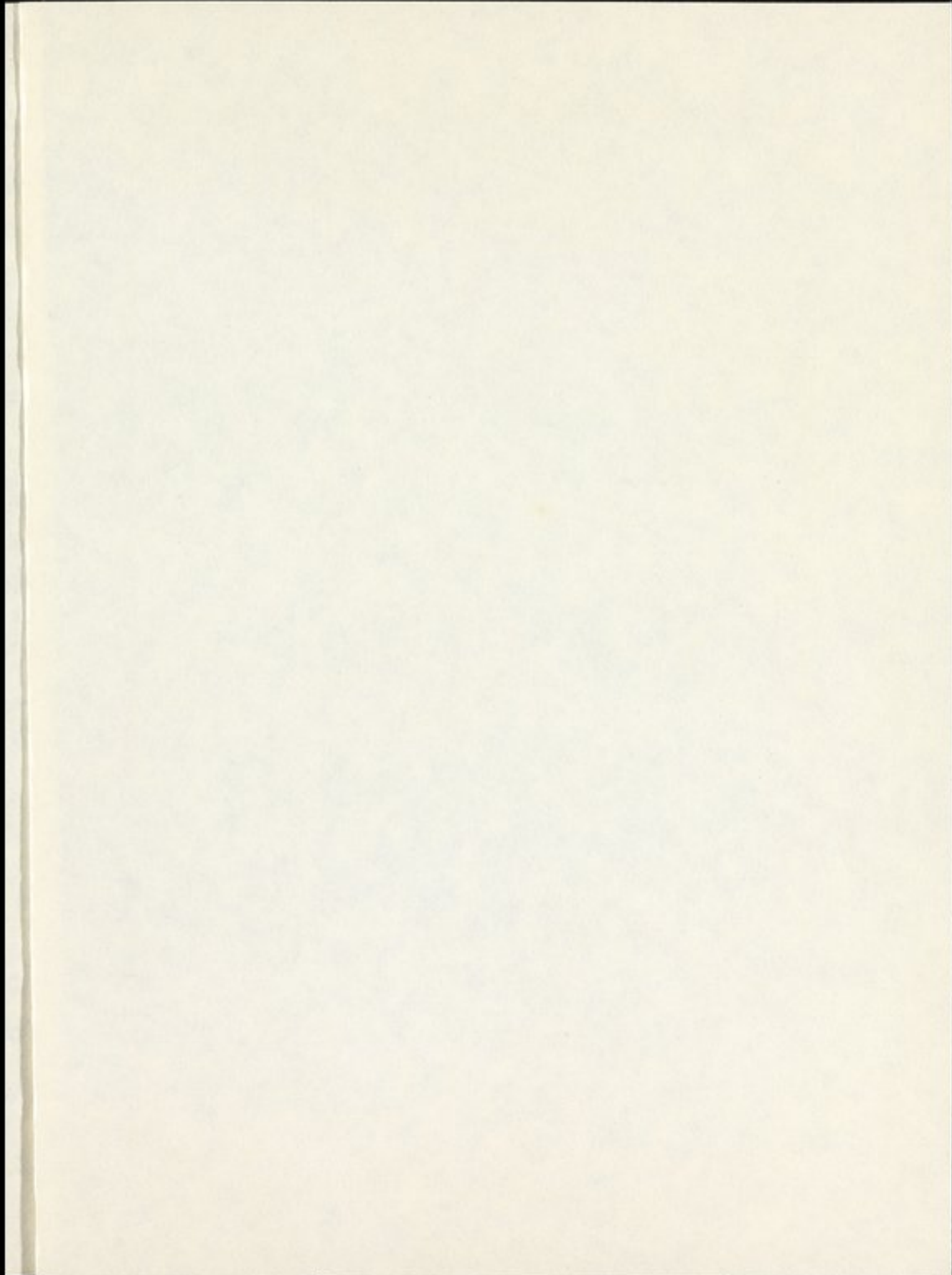
المجلد الثالث

منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي

قم - إيران ١٤٠٣ هـ ق







مَجْمَعُ الْبَيَانِ

فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

لمؤلفه

الشيخ ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي

من اكابر علماء الامامية في القرن السادس

يقع في خمسة مجلدات أو عشرة اجزاء

يكون مجموعه مع الفهارس زهاء ثلاثة آلاف صفحة

المجلد الثالث

وهو مجلد من خمسة مجلدات

حسب تجزئة المصنف

منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي

قم - ايران ١٤٠٣ هـ ق

هدية از كتابخانه عمومی آية الله العظمى
مرعشي نجفی قم بکتابخانه

١٣٥

BP
130.4
T343
1983
v. 3

[الجزء الخامس]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ سورة التوبة

وهي مدنية كلها وقال بعضهم غير آيتين لقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخر السورة نزلت سنة تسع من الهجرة وفتحت مكة سنة ثمان وحج رسول الله ﷺ حجة الوداع سنة عشر وقال قتادة ومجاهد وهي آخر ما نزلت على النبي ﷺ بالمدينة

✽ عدد آياتها ✽

هي مائة وتسع وعشرون آية كوفي وثلاثون في الباقيين

✽ اختلافها ✽

ثلاث آيات برى من المشركين بصري عذابا ألياً شامي وعاد وثمود حجازي

✽ اسمائها عشرة ✽

سورة براة سميت بذلك لأنها مفتتحة بها ونزلت باظهار البراءة من الكفار - التوبة - سميت بذلك لكثرة ما فيها من التوبة كقوله وتوب الله على من شاء فإن يتوبوا يك خيراً لهم ثم تاب عليهم ليتوبوا - الفاضحة - عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة التوبة فقال تلك الفاضحة ما زال ينزل حتى خشينا ان لا يبقى منهم أحد الا ذكر وسميت بذلك لأنها فضحت المنافقين باظهار نفاقهم - المبعثرة - عن ابن عباس ايضاً سماها بذلك لأنها تبعث عن اسرار المنافقين اي تبحث عنها - المشققة - عن ابن عباس سماها بذلك لأنها تبرى من آمن بها من النفاق والشرك لما فيها من الدعاء الى الاخلاص وفي الحديث كان يقال لسورتي قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد المشققتان سميتا بذلك لأنها تبرئان من الشرك والنفاق يقال قشقه اذا برأه وقشقتش المريض من علقته اذا أفاق وبرى منها - البحوث - عن ابي ايوب الانصاري سماها بذلك لأنها تتضمن ذكر المنافقين والبحث عن سرانهم - المدممة - عن سفيان بن عيينة اي المهلكة ومنه قوله قدمدم عليهم ربههم ✽ الحافرة ✽ عن الحسن لأنها حفرت عن قلوب المنافقين ما كانوا يسترونه - المثيرة - عن قتادة لأنها أثارت مخازيهم ومقاصبهم - سورة العذاب - عن حذيفة بن اليمان لأنها نزلت بعذاب الكفار وروى عاصم عن زر بن حبيش عن حذيفة قال يسمونها سورة التوبة وهي سورة العذاب هذه عشرة اسما

✽ فضلها ✽

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة الانفال وبرائة فأننا شفيع له الخبير بتمامه وقد مضى ذكره مع ما في معناه في أول الانفال وقد روي عن ابي عبد الله (ع) انه قال الانفال والبراءة واحد وروي ذلك عن سعيد بن المسيب وروى الثعلبي بإسناده عن عائشة عن رسول الله ﷺ انه قال ما نزل علي القرآن الا آية آتت حرفاً خلاً لسورة البرائة وقل هو الله احد فإنها نزلت علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

عدن
84/12/07
G178

كل يقول يا محمد استوص بنسبة الله خيرا - علة ترك التسمية - في أولها قراءة وكتابة للعلماء والمفسرين فيه أقوال - أحدها - أنها ضمت إلى الانفال بالمقاربة فصارتا كسورة واحدة إذا الأولى في ذكر اليهود والثانية في رفع اليهود عن أبي بن كعب - وثانيها - أنه لم ينزل بسم الله الرحمن الرحيم على رأس سورة براءة لأن بسم الله للأمان والرحمة ونزلت براءة لرفع الأمان بالسيف عن علي عليه السلام وسفيان بن عيينة واختاره أبو العباس المبرد - وثالثها - ما روي عن ابن عباس أنه قال قلت لعثمان بن عفان ما حملكم على أن عدتم إلى براءة وهي من المثني وإلى الانفال وهي من المثاني فجمعتموها في السبع الطوال ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم فقال كان النبي ﷺ تنزل عليه الآيات فيدعو بعض من يكتب له فيقول له ضع هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الانفال من أول ما نزل من القرآن بالمدينة وكانت براءة من آخر ما نزل من القرآن وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننا أنها من قبض رسول الله ﷺ ولم يبين أنها موضعتها في السبع الطوال ولم تكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم وكاننا تدعيان القرينتين

- تفسيرها -

لما ختم الله سبحانه سورة الانفال بإيجاب البراءة عن الكفار افتتح هذه السورة بأنه تعالى ورسوله بريئان منهم كما أمر المسلمين بالبراءة منهم فقال

قوله تعالى (١) بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٢) فَيَسْجُودُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةً أَشْهُرًا وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُحْزِي الْكَافِرِينَ (آياتان)

﴿ اللغة ﴾

معنى البراءة انقطاع العصمة يقال برأ يبرأ براءة وتبرء تبرؤا وبرأه ابرأه والسيح السير على مهل يقال ساح يسبح سباحا وسباحة وسبوحا وسبحانا والاعجاز ايجاد المعجز والمعجز ضد القدرة عند من أثبتته معنى والإخزاء الإذلال بما فيه الفضيحة والعار والخزي النكال الفاضح

﴿ الاعراب ﴾

براءة ترتفع على أنها خبر مبتدأ محذوف وتقديره هذه الآيات براءة ويحتمل ان يكون مبتدأ وخبره في الظرف وهو قوله إلى الذين وجاز ان يكون المبتدأ نكرة لأنها موصوفة والاول اجود لأنه يدل على حضور المدرك كما يقول ان تراه حاضرا حسن والله اي هذا حسن

- المعنى -

(براءة من الله) اي هذه براءة من الله (ورسوله) اي اقطاع للعصمة ورفع للأمان وخروج من اليهود (إلى الذين عاهدتم من المشركين) الخطاب للنبي ﷺ وللمسلمين والمعنى تبرؤا ممن كان ينكم وينهم عهد من المشركين فإن الله ورسوله بريئان منهم قال الزجاج معناه قد برى الله ورسوله من إعطائهم اليهود والوفاء لهم بها اذ نكروا واذا قيل كيف يجوز ان يقض النبي ﷺ العهد فالقول فيه انه يجوز ان ينقض ذلك على احد ثلاثة اوجه إما ان يكون العهد مشروطا بأن يبقى إلى ان يرضه الله تعالى بوجي وإما ان

يكون قد ظهر من المشركين خيانة وتقص فأمر الله سبحانه بأن يبنذ اليهم عهدهم وإيمان يكون مؤجلا الى مدة تنتضي المدة وينتقض العهد وقد وردت الرواية بأن النبي ﷺ شرط عليهم ما ذكرناه وروى ايضا ان المشركين كانوا قد تقضوا العهد وهموا بذلك فأمره الله سبحانه ان يقض عهدهم ثم خاطب الله سبحانه المشركين فقال (فسيحوا في الأرض) اي سيروا في الأرض على وجه المهل وتصرفوا في حوائجكم آمنين من السيف اربعة اشهر فإذا انقضت هذه المدة ولم تسلموا انقطعت العصمة عن دماءكم وأموالكم (واغلبوا انكم غير معجزني الله) اي غير فائتين عن الله كما يفوت ما يمجز عنه لأنكم حيث كنتم في سلطان الله وملكه (وان الله مخزي الكافرين) اي مذلم ومهينهم واختلف في هذه الاشهر الاربعة قيل كان ابتداءها يوم النحر الى العاشر من شهر ربيع الآخر عن مجاهد ومحمد بن كعب القرظي وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) وقيل ان ابتداء اجلهم الاشهر الاربعة من اول شوال الى آخر المحرم لأن هذه الآية نزلت في شوال عن ابن عباس والزهري قال الفراء كانت المدة الى آخر المحرم لانه كان فيهم من كانت مدته خمسين ليلة وهو من لم يكن له عهد من النبي ﷺ فجعل الله له ذلك وقيل ان من كان له عهد من النبي ﷺ اكثر من اربعة اشهر حط الى الاربعة الأشهر ومن كان له عهد أقل منها رفع اليها عن الحسن وابن اسحاق قيل كان ابتداء الاشهر الاربعة يوم النحر لثلاثين من ذي القعدة الى عشرين من شهر ربيع الأول لأن الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة وفيها حجة الوداع وكان سبب ذلك النبي الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية على ما سياتي بيانه إن شاء تعالى عن الجبائي

❖ القصة ❖

اجمع المغسرون ونقله الاخبار انه لما نزلت براءة دفعها رسول الله ﷺ الى ابي بكر ثم أخذها منه ودفعها الى علي بن ابي طالب (ع) واختلفوا في تفصيل ذلك فقيل انه بعثه وأمره ان يقرأ عشر آيات من أول هذه السورة وان يبنذ الى كل ذي عهد عهده ثم بعث عليا خلفه ليأخذها ويقرأها على الناس فخرج على ناقة رسول الله ﷺ المضياء حتى ادرك ابا بكر بندي الخليفة فأخذها منه وقيل ان ابا بكر رجع فقال هل نزل في شيء فقال ﷺ لا الا خيراً ولكن لا يؤدي عني الا انا او رجل مني وقيل انه قرأ علي براءة على الناس وكان ابو بكر أميراً على الموسم عن الحسن وقنادة وقيل انه ﷺ أخذها من ابي بكر قبل الخروج ودفعها الى علي (ع) وقال لا يبلغ عني الا انا او رجل مني عن عروة بن الزبير وابي سعيد الخدري وابي هريرة وروى اصحابنا ان النبي ﷺ ولله ايضا الموسم وانه حين أخذ البراءة من ابي بكر رجع أبو بكر وروى الحاكم ابو القاسم المسكاني باسناده عن سماك بن حرب عن انس بن مالك ان رسول الله ﷺ بعث براءة مع ابي بكر الى اهل مكة فلما بلغ ذا الحليفة بعث اليه فردده وقال لا يذهب بهذا الا رجل من أهل بيتي فبعث عليا (ع) وروى الشعبي عن محرز بن ابي هريرة عن ابي هريرة قال كنت انادي مع علي حين أذن المشركين فكان اذا صحل صوته فيا نادى دعوت مكانه قال قلت يا ابي شي كنتم تقولون قال كنا نقول لا يبعج بعد عامنا هذا مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان ولا يدخل البيت إلا مؤمن ومن كانت بينه وبين رسول الله ﷺ مدة فإن اجله إلى اربعة اشهر فإذا انقضت الاربعة الاشهر فإن الله بري من المشركين ورسوله وروى عاصم بن حميد عن ابي بصير عن ابي جعفر (ع) قال خطب علي (ع) الناس واخترط سيفه فقال لا يطوفن بالبيت عريان ولا يبعجن البيت مشرك

ومن كانت له مدة فهو إلى مدته ومن لم يكن له مدة فمدته اربعة اشهر وكان خطب يوم النحر وكانت عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من شهر ربيع الآخر وقال يوم النحر يوم الحج الأكبر وذكر ابو عبد الله الحافظ بإسناده عن زيد بن تميم قال سألتنا عليا (ع) بأي شيء بعثت في ذي الحجة قال بعثت باربعة لا يدخل الكعبة الا نفس مؤمنة ولا يطوف بالبيت عريان ولا يجتمع مؤمن وكافر في المسجد الحرام بعد عامه هذا ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فعهده إلى مدته ومن لم يكن له عهد فأجله اربعة اشهر وروي انه عليه السلام قام عند جرة العقبة وقال يا أيها الناس اني رسول الله اليكم بأن لا يدخل البيت كافر ولا يحج البيت مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عهد عند رسول الله ﷺ فله عهده الى اربعة اشهر ومن لا عهد له فله مدة بقية الاشهر الحرم وقرأ عليهم سورة براءة وقيل قرأ عليهم ثلاث عشرة آية من أول براءة وروي انه عليه السلام لما نادى فيهم ان الله بريء من المشركين اي من كل مشرك قال المشركون نحن نثبرأ من عهدك وعهد ابن عمك ثم لما كانت السنة المقبلة وهي سنة عشر حج النبي ﷺ حجة الوداع وقلنا الى المدينة ومكة بقية ذي الحجة والحرم والمحرم وصفر وليلي من شهر ربيع الاول حتى لحق بالله عز وجل

قوله تعالى (٣) وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابِ أَلِيمٍ (٤) إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْتَقِسُواكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ أَحْدَاثًا قَاتَمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدٌ إِلَىٰ مَدِينِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ آيَاتان

﴿ القراءة ﴾

قرأ يعقوب برواية روح وزيد ورسوله بالنصب وهي قراءة الحسن وابن ابي اسحق وعيسى بن عمرو وقرأ سائر القراء ورسوله بالرفع وفي الشواذ قراءة عكرمة وعطا لم ينتقواكم بالضاد المعجمة

﴿ الحجة ﴾

من قرأ ورسوله بالرفع فإنه على الابتداء وخبره محذوف وبدل عليه ما تقدمه وتقديره ورسوله ايضا برى منهم ويجوز ان يكون معطوفا على المضمر في بري وحسن العطف عليه وإن كان غير موكداً لأن قوله من المشركين قام مقام التوكيد وذكر سببويه وجهاً ثالثاً وهو أن يكون معطوفاً على موضع ان وهذا وهم منه لأن ان المفتوحة مع ما بعدها في تأويل المصدر فقد تميزت من حكم الابتداء وصارت في حكم ليت ولعل وكان في احداثها معنى يفارق الابتداء فكما لا يجوز العطف على مواضعه فكذلك لا يجوز العطف على موضع ان وإنما يجوز العطف على موضع ان المكسورة كما قال الشاعر

فمن يك امسى بالمدينة رحله فاني وقبارها لتريب

ولعل سببويه توهم انها مكسورة فحمل على موضعها فقد قرأ في الشواذ ان الله بري بالكسر فلهذا تأول على هذه القراءة ومن نصب عطفه على اسم الله تعالى وعلى هذا فيكون خبره محذوفاً ايضا ومن قرأ لم ينتقواكم فمعناه لم ينتقوا اموركم وعهودكم

- اللغة -

الأذان الأعلام يقال اذنته بكذا فأذن أي اعلمته فعلم وقيل إن أصله من النداء الذي يسمع بالأذن ومعناه اوقعه في اذنه وتأذن بمعنى آذن كما يقال تبين وايقن والمدة والزمان والحين نظائر وأصله من مددت الشيء مداً فكانه زمان طويل الفسحة والمدة عند المتكلمين اسم للمعدود من حركات الفلك وهو محدث

* الأعراب *

وأذان عطف على براءة عن الزجاج وقيل إن تقديره عليكم أذان لأن فيه معنى الأمر فيكون مبتدأ وخبره مخذوف عن علي بن عيسى ويجوز أن يكون مبتدأ والخبر قوله أن الله بريء على حذف الباء كأنه قال بأن الله وعلى الوجهين الأولين يكون موضع إن نصباً على أنه مفعول له وقوله الذين عاهدتم في موضع نصب على الاستثناء وبشر معطوف على معنى الأذان أي اذن وبشر عن أبي مسلم

* المعنى *

ثم بين سبحانه أنه يجب اعلام المشركين ببراءة منهم لثلاث ينسبوا المسلمين إلى التندر فقال (وأذان من الله ورسوله إلى الناس) معناه واعلام وفيه معنى الأمر أي اذنوا للناس يعني اهل العهد وقيل المراد بالناس المؤمن والمشرك لأن الكل داخلون في هذا الاعلام وقوله إلى الناس أي للناس يقال هذا اعلام لك واليك (يوم الحج الأكبر) فيه ثلاثة أقوال * أحدها * أنه يوم عرفة عن عمرو وسعيد بن المسيب وعطاءطاووس ومجاهد وروي ذلك عن علي (ع) ورواه المسور بن مخرمة عن النبي ﷺ قال عطاء الحج الأكبر الذي فيه الوقوف والحج الأصغر الذي ليس فيه وقوف وهو العمرة * وثانيها * أنه يوم النحر عن علي وابن عباس وسعيد بن جبيرة وابن زيد والنخعي ومجاهد والشعبي والسدي وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) ورواه ابن أبي اوفى عن النبي ﷺ قال الحسن وسمي الحج الأكبر لأنه حج فيه المشركون والمسلمون ولم يحج بعدها مشرك * وثالثها * أنه جميع أيام الحج عن مجاهد أيضاً وسفيان فمعناه أيام الحج كلها كما يقال يوم الجمل ويوم صفين ويوم بعاث يراد به الحين والزمان لأن كل حرب من هذه الحروب دامت إماماً (إن الله بريء من المشركين) أي من عهد المشركين فحذف المضاف (ورسوله) معناه ورسوله أيضاً بريء منه وقيل إن البراءة الأولى لتقص العهد والبراءة الثانية لتقطع المولاة والاحسان فليس بتكرار (فإن تبتم فهو خير لكم) معناه فإن تبتم في هذه المدة أيما المشركون ورجعتم عن الشرك إلى توحيد الله (فهو خير لكم) من الإقامة على الشرك لأنكم تنجون به من شزي الدنيا وعذاب الآخرة (وإن توليتم) عن الإيمان وصيرتم على الكفر (فاعلموا أنكم غير معجزين الله) أي لا تعجزونه عن تعذيبكم ولا تموتون بأنفسكم من أن يحل بكم عذاب في الدنيا وفي هذا اعلام بأن الامهال ليس بمعجز وإنما هو لاظهار الحجة والمصاححة ثم اوعدهم بعذاب الآخرة فقال (وبشر الذين كفروا بعذاب اليم) أي اخبرهم مكان البشارة بعذاب مومج وهو عذاب النار في الآخرة (إلا الذين عاهدتم من المشركين) قال الفراء استثنى الله تعالى من براءته وبراءة رسوله من المشركين قوماً من بني كنانة وبني ضمرة كان قد بقي من أجلهم تسعة اشهر امر باتمامها لهم لأنهم لم يظهروا على المؤمنين ولم ينقضوا عهد رسول الله ﷺ وقال ابن عباس عنى به كل من كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد قبل براءة وبينني إن يكون ابن عباس اراد بذلك من كان بينه وبينه عقد هدنة ولم يتعرض له بعد اوة ولا ظاهر عليه عدواً

لأن النبي ﷺ صالح اهل هجر وأهل البحرين واية ودومة الجندل وله عهد بالصلح والجزية ولم يندب اليهم بنقض عهد ولا حاربهم بعد وكانوا أهل ذمة إلى ان مضى لسبيله ﷺ ووفى لهم بذلك من بعده (ثم لم ينقصوكم شيئاً) معناه لم ينقصوكم من شروط العهد شيئاً وقيل معناه لم يضروكم شيئاً (ولم يظاهروا عليكم احداً) اي لم يعاونوا عليكم ايها المؤمنون (احداً) من اعدائكم (فأتوا اليهم عهدهم إلى مدتهم) اي إلى انقضاء مدتهم التي وقعت المهادة بينكم اليها (ان الله يحب المتقين) لنقض اليهود

قوله تعالى (٥) فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٦) وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ (آيتان)

— * اللغة * —

الانسلخ خروج الشيء ما لا يسه واصله من سلخ الشاة وهو نزع الجلد عنها وسلخنا شهر كذا نسلخه سلخنا وسلوخوا والحصر المنع من الخروج عن محيط والحصر والحبس والأسر نظائر والمرصد الطريق ومثله المرقب والمربأ ورسده يرصده رسدا

* الإعراب *

قال ابو الحسن الأخفش قوله كل مرصد المعنى على كل مرصد فحذفت على وانشد

نغالي اللحم للاضياف نيا ونرخصه إذا نضج القدور

المعنى نغالي باللحم فحذفت الباء قال الزجاج كل مرصد ظرف كقولك ذهبت مذها وذهبت طريقا وذهبت كل طريق قال ابو علي لا يجناج في هذا إلى تقدير على إذا كان المرصد اسما للمكان كما انك إذا قلت ذهبت مذها ودخلت مدخلا إذا جعلت المذهب والمدخل اسمين للمكان لم يحتج إلى على ولا إلى تقدير حرف جر إلا ان ابى الحسن ذهب إلى ان المرصد اسم للطريق وإذا كان اسما للطريق كان مخصوصا وإذا كان مخصوصا وجب ان لا يصل الفعل الذي لا يتعدى إليه إلا بحرف جر نحو قدمت على الطريق إلا ان يجيء في ذلك اتساع نحو ما حكاه سيبويه من قولهم ذهبت الشام ودخلت البيت وقد غلط ابو اسحاق الزجاج في قوله كل مرصد ظرف كقولك ذهبت مذها وذهبت طريقا في ان جعل الطريق ظرفا كالذهب وليس الطريق بظرف لأنه مكان مخصوص وقد نص سيبويه على اختصاصه الا ترى ان حمل قول ساعدة

لدن بهز الكف يعسل متنه فيه كما عسل الطريق الشلب

على انه قد حذفت منه الحرف اتساعا كما حذفت من ذهبت الشام واذا اثبت ذلك فالمرصد مثله ايضا في الاختصاص وان لا يكون ظرفا إذا كان اسما للطريق وقوله احد فإعرابه أنه مرفوع بفعل مضمر الذي ظهر تفسيره المعنى وان استجارك احد قال الزجاج ومن زعم انه يرفع احداً بالابتداء فقد اخطأ لأن ان الجزاء

لا يتخطى ما يرفع بالابتداء ويعمل فيما بعده فلو أظهرت المستقبل لقلت ان احد يقم اكرمه ولا يجوز ان أحد يقم زيد يقم لا يجوز ان يرفع زيد بفعل مضمر الذي ظهر تفسيره ويجزم وانما جاز في ان لأن ان يازمها الفعل وجواب الجزاء يكون بالفعل وغيره ولا يجوز ان تضمر وتجزم بعد المبتدأ لأنك تقول هاهنا ان تأتي فزيد يقوم فالموضع موضع ابتداء قال ابو علي اعلم ان جواب الشرط وان كان بخبر الفعل فالاصل فيه الفعل والفاء واذا واقعان موقع الفعل بدلالة ان قوله ويذرم على قراءة من قرأ بالجزم فمحمول على الموضع من قوله فلا هادي له وأما قول ابي اسحاق لا يجوز ان تضمر وتجزم بعد المبتدأ ولمعربيه انه لا يجوز ان يضمر الفعل فيرفع الاسم الذي يرتفع بالابتداء بالفعل المضمر في نحو قولك ان تأتي فزيد يقوم لأن الجزم لا يقع بعد المبتدأ ولكن لا يمنع ان يقع الجزم بعد الفاعل في الجزاء كما يقع في الشرط لأن الجزاء موضع فعل كما ان الشرط موضع فعل فالمسألة التي منع ابو اسحاق اجازتها جائزة لاشكال في جوازها وهي قوله ان يقم احد زيد يقم وقد نص سيبويه على اجازة ذلك قال الزجاج وانما يجوز الفصل في باب ان لأن أن أم الجزاء ولا يزول عنه الى غيره فأما اخواتها فلا يجوز ذلك فيها الا في الشعر قال

فتى واغل يئبهم يحيوه وتعطف عليه كأس الساقى

- المعنى -

ثم بين سبحانه الحكم في المشركين بعد انقضاء المدة فقال (فإذا انسلخ الأشهر الحرم) قيل هي الأشهر الحرم المعروفة ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ثلاثة سرد وواحد فرد عن جماعة وقيل هي الأشهر الاربعة التي حرم القتال فيها وجعل الله للمشركين ان يسيحروا في الأرض آمنين على ما ذكرناه من اختلاف المفسرين فيها وعلى هذا فمنهم من قال معناه فإذا انسلخ الأشهر بانسلاخ المحرم لان المشركين من كان منهم لهم عهد امهلوا أربعة اشهر من حين نزلت براءة ونزلت في شوال ومن لا عهد لهم فأجلهم من يوم تول النداء وهو يوم عرفة او يوم النحر إلى تمام الأشهر الحرم وهي بقية ذي الحجة والمحرم كله فيكون ذلك خمسين يوما فإذا انقضت هذه الخمسون يوما انقضت الأجلان وحل قتالهم سواء كان لهم عهد خاص او عام ومنهم من قال معناه إذا انسلخ الأشهر الاربعة التي هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من شهر ربيع الآخر إذ حرمنا فيها دماء المشركين وجعلنا لهم ان يسيحروا فيها آمنين (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) اي فضروا السيف فيهم حيث كانوا في الأشهر الحرم وغيرها في الحل او في الحرم وهذا ناسخ لكل آية وردت في الصلح والامراض عنهم (وخذوهم) قيل فيه تقديم وتأخير وتقديره فخذوا المشركين حيث وجدتموهم واقتلوهم وقيل ليس فيه تقديم وتأخير وتقديره فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم واخذوهم واحصروهم على وجه التخيير في اعتبار الأصلح من الأمرين وقوله (واحصروهم) معناه واحبسوهم واسترقوهم او فادوهم بال وقيل وامنعوهم دخول مكة والتصرف في بلاد الإسلام (واقعدوا لهم كل مرصد) اي بكل طريق وبكل مكان تظنون انهم يسرون فيه وضيقوا المسالك عليهم لتمكنوا من اخذهم وقوله لهم معناه لقتلهم وأسرهم (فلو تائبوا) اي رجعوا من الكفر وانقادوا للشرع (وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) أي قبلوا اقامة الصلاة وآتوا الزكاة لأن عصمة الدم لا تقف على اقامة الصلاة واداء الزكاة فثبت أن المراد به القبول (فخلوا سبيلهم) اي دعوهم يتصرفون في بلاد الإسلام لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم وقيل معناه فخلوا سبيلهم الى البيت اي دعوهم يحجوا معكم (ان الله غفور رحيم) واستدلوا بهذه الآية على ان من ترك الصلاة متمعدا يجب قتله لأن الله تعالى اوجب الامتناع من قتل المشركين بشرط ان يتوبوا ويقبوا الصلاة فإذا لم يقبوا وجب قتلهم (وان احد من المشركين استجارك

فأجره حتى يسمع كلام الله) معناه وان طلب احد من المشركين الذين امرتك بقتالهم منك للأمان من القتل بعد الأشهر الأربعة ليسمع دعوتك واحتجاجك عليه بالقرآن فأمنه وبين له ما يريد وامهله حتى يسمع كلام الله ويتدبره وإنما خص كلام الله لأن معظم الأدلة فيه (ثم ابلفه مأمنه) معناه فلان دخل في الإسلام قال خير للدارين وان لم يدخل في الإسلام فلا تقتله فتكون قد غدرت به ولكن اوصله الى ديار قومه التي يأمن فيها على نفسه وواله (ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) اي ذلك الأمان لهم بأنهم قوم لا يعلمون الايمان والدلائل فآمنهم حتى يسعوا ويتدبروا ويطلبوا أن في هذا دلالة على بطلان قول من قال المعارف ضرورية وفي الآية دلالة على ان المتلوه والمسروع كلام الله لأن الشرع والعرف جملا الحكاية كمين المحكي يقال هذا كلام سيويه وشعر امرئ القيس ومن ظن ان الحكاية تفارق المحكي لاجل هذا الظاهر فقد غلط لأن المراد ما ذكرناه

قوله تعالى (٧) كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٨) كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وِلَا ذِمَّةَ يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ آيَات

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قراءة مكرومة ابلا بيا بعد الهززة

﴿ الحجة ﴾

يمكن أن يكون أراد إلا كقراءة الهجاء إلا انه ابدل اللام الاولى يا لتقل الادغام وكسر الهززة كما قالوا دينار وقيراط والأصل دينار وقيراط لقولهم دنانير وقيراط وقد جاء مع التضيف وحده قال باليتا أمنا شالت نعماتها أيما إلى الجنة أيما إلى نار

﴿ اللفظة ﴾

الظهور العلوي والظلمة واصله خروج الشيء إلى حيث يصبح ان يدرك الرقبة والانتظار والمراقبة والمراعاة والمحافظة نظائر والرقيب الحافظ والال العهد مأخوذ من الاليل وهو البريق يقال ال يول إلا إذا لم والالة الحربية للمعاني واذن مؤلفة مشبهة للحربة في تحديدها قال الشاعر

وجدناهم كاذبا إلهم وذو الأل والعهد لا يكذب
والاول القرابة قال حسان

لمعرك إن الك من قريش كال السقب من رأل النعام

﴿ المعنى ﴾

لما امر سبحانه ببذ العهد إلى المشركين بين ان اللة في ذلك ما ظهر منهم من الغدر وأمر باتمام العهد لمن استقام على الأمر فقال (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله) أي كيف يكون لهؤلاء عهد صحيح مع اضمارهم الغدر والنكث وهذا يكون على التعجب او على الجحد ويدل عليه ما روي ان في قراءة عبد الله كيف يكون عهد عند الله ولازمة فأدخل الكلام لأن معنى الاول جحد اي لا يكون لهم عهد وقيل معناه كيف يأمر الله ورسوله بالكف عن دماء المشركين ثم استثنى سبحانه فقال (إلا

الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) أي فإذن لهم عهد عند الله لأنهم لهم يضرروا الغدر بك والحياة لك واختلف في هؤلاء من هم قبيل هم قريش عن ابن عباس وقيل هم أهل مكة الذين عاهدهم رسول الله يوم الحديبية فلم يستقيموا ونقضوا العهد بأن اعانوا بني بكر على خزاعة فضرب لهم رسول الله ﷺ بعد الفتح أربعة أشهر يختارون امرهم امان يسلموا واما ان يلحقوا بأبي بلادشا. وأسلموا قبل الأربعة الأشهر عن قتادة وابن زيد وقيل هم من قبائل بكر بنو خزيمية وبنو مدلج وبنو ضمرة وبنو الدئل وهم الذين كانوا قد دخلوا عهد قريش يوم الحديبية إلى المدة التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين قريش فلم يكن نقضها إلا قريش وبنو الدئل من بكر فأمر بإتلاف العهد لمن لم يكن له نقض إلى مدته وهذا القول اقرب إلى الصواب لأن هذه الآيات نزلت بعد نقض قريش العهد وبعد فتح مكة (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) معناه فما استقاموا لكم مسلمي العهد أي ما داموا باقين معكم على الطريقة المستقيمة فكونوا معهم كذلك (إن الله يحب المتقين) لأنك والغدر (كيف وان يظهروا عليكم) هاهنا حذف وتقديره كيف يكون لهم عهد وكيف لا تقتلونهم وإنما حذفه لأن ما قبله من قوله كيف يكون للمشركين عهد يدل على ذلك ومثله قول الشاعر يرثي اخاه له قد مات

وخبرتاني أنما الموت بالقرى فكيف وهاتنا هضبة وقليب

أي فكيف مات وليس بقربة ومثله قول الحطينة

فكيف ولم اعلمهم حدلوكم على معظم ولي اديكم قدوا

أي وكيف تلو مؤثني على مدح قوم وتذمؤنهم فاستغنى عن ذكر ذلك لأنه جرى في القصد ما يدل على ما اضره ومعناه كيف يكون هؤلاء عهد عند الله وعند رسوله وهم بحال ان يظهروا عليكم ويظهروا بكم وينبلوكم (لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة) أي لا يجفوا ولا يراعوا فيكم قرابة ولا عهدا والأول القرابة عن ابن عباس والضحاك والعهد عن مجاهد والسدي والجوار عن الحسن والحلف عن قتادة واليهين عن ابي عبيدة وقيل أن الأول اسم الله تعالى عن مجاهد وروي ان ابا بكر قرئ عليه كلام مسيلة فقال لم يخرج هذا من إلهي فأن يذهب بكم ومن قال إن الأول هو العهد قال جمع بينه وبين الذمة وإن كان بمعناه لاختلاف معنى اللفظين كما قال «واللهي قولها كذبا ومينا» وقال «متى ادن منه ينأى عني ويعد» (يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم) معناه يتكلمون بكلام الموالين لكم اترضوا عنهم وتأبى قلوبهم إلا العداوة والغدر ونقض العهد (وأكثرهم فاسقون) أي مشركون في الكفر والشرك عن ابن الأخشيد وقال الجبائي أراد كلهم فاسقون لكنه وضع الحصر وضع العموم وقال القاضي معناه أكثرهم خارجون عن طريق الرضا بالهد وأراد بذلك رؤسائهم

قوله تعالى (٩) أَشْتَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
(١٠) لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وِلَا ذِمَّةٍ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ (١١) فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَاتَّوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُقِصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١٢) وَإِنْ نَكَثُوا
أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَتِيَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ
(١٣) أَلَّا تَقَالُتُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدُّوْكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
اتَّخَشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة والشام أئمة الكفر بهزتين وقرأ الباقون أئمة بهزرة واحدة ويا. بعدها وقرأ ابن عامر لا إيمان بكسر الهمزة ورواه ابن عفةة بإسناده عن عريف بن الوضاح الجعفي عن جعفر بن محمد عليهما السلام والباقر بن بفتحها

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي أئمة أصله افعلته واحدها إمام فلذا جمعته على افعلته ففيه همزة هي فاء الفعل ويزيد عليها همزة افعلته الزائدة فيجتمع همزتان واجتماع الهمزتين في كلمة لا يستعمل بحقيقتها قال الزجاج أصله أئمة ولكن الميسين لما اجتمعا ادغمت الأولى في الثانية والقيت حركتها على الهمزة فصارت أئمة فأبدل النحويون من الهمزة المكسورة الياء قال ومن قال هذا أوم من هذا كان أصله أم فجعلها واواً مقترحة كما قالوا في جمع آدم أادم قال أبو علي ومن جمع بين الهمزتين في أئمة فصحبه أن سيويه قال زعموا أن ابن أبي إسحاق كان يحقق الهمزتين في أناس معه وقد يتكلم ببعض العرب وهو ردي ووجهه من القياس أن تقول إن الهمزة حرف من حروف الخلق كالعين وغيره وقد جمع بينها في نحو كعامة وكعم يكع فكما جاز اجتماع الميسين جاز اجتماع الهمزتين قال علي بن عيسى إنما جاز اجتماع الهمزتين هنا لتلا محتم على الكلمة تغيران الإدغام والقلب مع خفة التحقيق لأجل ما بعده من السكون وعلى هذا تقول هذا أوم من هذا بهزتين قال وإنما قلبت الهمزة من أئمة دون حركة ما قبلها لأن الحركة أنما نقلت من الميم إلى الهمزة لبيان زنة الكلمة فلو ذهبت بقلبها على ما قبلها لكانت مناقضاً للفرض فيها وأما قوله لا إيمان لهم فمن فتح الهمزة قال هو أشبه بالموضع فقد قال نكثوا إيمانهم ومن كسرهما جعله مصدر آمنته إيماناً خلاف خوفته ولا يريد مصدراً من الذي هو صدق فيكون تكراراً للدلالة ما تقدم من قوله فقالتوا أئمة الكفر على أن أهل الكفر لا إيمان لهم

﴿ اللفظة ﴾

الإيمان جمع بين وهو القسم والطمع الاعتماد بالعب وأصله الطمع بالرعب والإمام هو المتقدم للتباعد فالإمام في الخير مهتدها وفي الشر ضال مضل والهم مقارنة الفعل بالعزم من غير إيقاع له وقد ذموا بهذا الهم فيه دليل على العزم وقد يستعمل الهم على مقارنة العزم والبدء فعل الشيء من قبل غيره وهو فعل الشيء أولاً والمرأة فعل لم يتكرر وهي الفعلة من المر والمرأة والدفعة والكرة نظائر

« المعنى »

ثم بين سبحانه خصال القوم فقال (اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً فصدوا عن سبيله) ومعناه عرضوا عن دين الله وصدوا الناس عنه بشي يسير نالوه من الدنيا واصل الاشتراء استبدال ما كان من المتاع بالثمن ونقيضه البيع وهو العقد على تسليم المتاع بالثمن ومعنى الفاء هنا أن اشتراهم هذا اداهم إلى الصد عن الإسلام وهذا ورد في قوم من العرب جمعهم أبو سفيان على طعامه ليستميلهم على عداوة النبي ﷺ عن مجاهد وقيل ورد في اليهود الذين كانوا يأخذون الرشاً من العوام على الحكم بالباطل عن الجاهلي (أنهم ساء ما كانوا يعملون) أي بشر العمل عليهم (لا يرغبون في مو من الا ولا ذمه) سبق معناه والفائدة في الإعادة أن الأول في صفة الناقضين للعهد والثاني في صفة الذين اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً وقيل إنفاكراً تأكيداً (واو تلك هم المعتدون) أي المجاوزون الحد في الكفر والظلمانيان (فلن نلبوا) أي ندموا على ما كان منهم من الشرك وعزموا على ترك العود إليه وقبلوا الإسلام (وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) أي قبلوها وأدوها عندئذ ومها (فأخواتكم في الدين) أي فهم أخواتكم في الدين فعاملوهم معاملة أخواتكم من المؤمنين (ونفصل الآيات) أي نبينها ونفرضها بخاصة لكل واحدة منها تمييزاً من غيرها حتى يظهر مدلولها على أتم ما يكون من الظهور فيها (لقوم يعلمون) ذلك ويتبينونه دون الجهال الذين لا يتفكرون (وان نكثوا) أي

نقضوا (أيانهم) أي عهدهم وما حلفوا عليه (من بعد عهدهم) أي من بعد أن عقدوه (وطعنوا في دينكم) أي عابوه وقد حوا فيه (فقاتلوا أمة الكفر) أي رؤساء الكفر والضلالة وخصهم بالأمر بقتالهم لأنهم يضلون اتباعهم قال الحسن وأراد به جماعة الكفار وكل كافر إمام لنفسه في الكفر وتغيره في الدعاء إليه وقال ابن عباس وقاتله وأراد به رؤساء قريش مثل الحرث بن هشام والي سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وسائر رؤساء قريش الذين نقضوا العهد وكان حذيفة بن اليمان يقول لم يأت أهل هذه الآية بعد وقال مجاهد هم أهل فارس والروم وقرأ علي عليه السلام هذه الآية يوم البصرة ثم قال أما والله لقد عهد إلي رسول الله ﷺ وقال لي يا علي لتقاتلن الفئة الناكثة والفئة الباغية والفئة المارقة (أنهم لا أيمان لهم) من قرأ بفتح الهمزة فمعناه أنهم لا يحفظون العهد واليمين كما يقال فلان لا عهد له أي لا وفاء له بالعهد ومن قرأ بالكسر فمعناه لا تؤمنونهم بعد نكثهم العهد ويحتمل أن يكون معناه أنهم إذا آمنوا انسانا لا يفون به ويحتمل أن يكون معناه أنهم كفروا فلا أيمان لهم (لعلهم ينتهون) معناه قاتلوهم لينتهوا عن الكفر فإنهم لا ينتهون عنه بدون القتال وقيل معناه ليكن قصدكم في قتالهم انتهاؤهم عن الشرك فإذن قيل كيف نفى بقوله لا أيمان لهم ما أثبتته بقوله وإن نكثوا أيمانهم قيل له إن الأيمان التي أثبتتها هي ما حلفوا بها وعقدوا عليها وإنما نفاها من بعد لأنهم لم يفوا بها ولم يتمسكوا بوجوبها (الاتقاتلون قوما نكثوا أيمانهم) وهو ما أخرج الرسول (الأنف للاستفهام والمراد به التحضيض والايجاب ومعناه هلا تقاتلونهم وقد نقضوا عهدهم التي عقدوها واختلف في هؤلاء) فقيل هم اليهود الذين نقضوا العهد وخرجوا مع الأحزاب وهو ما أخرج الرسول من المدينة كما أخرجه المشركون من مكة عن الجاني والقاضي وقيل هم مشركو قريش وأهل مكة (وهم بدوكم أول مرة) أي بدوكم بنقض العهد عن ابن إسحاق والجاني وقيل بدوكم بقتال حلفاء النبي ﷺ من خزاعة عن الزجاج وقيل بدوكم بالقتال يوم بدر وقالوا حين سلم العير لا ننصرف حتى ننتأصل محمدا ومن معه (التحشونهم) أي أتخافون أن ينالكم من قتالكم مكروه لفظه استفهام والمراد به تشجيع المؤمنين وفي ذلك غاية الفصاحة لأنه جمع بين التفرع والتشجيع (فأله أحق أن تخشوه أن كنتم مؤمنين) المعنى لا تخشوهم ولا تتركوا قتالهم خوفا على أنفسكم منهم فإنه سبحانه أحق أن تخافوا عقابه في ترك أمره بقتالهم أن كنتم مصدقين بعقاب الله وثوابه أي أن كنتم مؤمنين فخشية الله أحق بكم من خشية غيره والله أعلم وأحكم

قوله تعالى (١٤) قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيُنْصِرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (١٥) وَيَذْهَبُ غِيظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ آيَات

(- القراءة -)

في الشواذ قراءة الأمرج وابن أبي إسحاق وعيسى الثقفي وعمرو بن عبيد ويتوب الله بالنصب ورويت عن أبي عمرو أيضا

(- الحجة -)

قال ابن جني إذا نصب فالتوبة داخلية في جواب الشرط وإذا رفع فهو استئناف وتقديره في النصب أن تقاتلوهم تكن هذه الأشياء كلها التي أهداها التوبة من الله على من يشاء والوجه قراءة الجماعة على الاستئناف لأنه تم الكلام على قوله ويذهب غيظ قلوبهم ثم استأنف فقال ويتوب الله على من يشاء لأن التوبة منه سبحانه على من يشاء ليست مسيبة عن قتالهم

- (المعنى) -

ثم أكد سبحانه ما تقدم بأن أمر المسلمين بقتالهم وبشرهم بالنصر والظفر عليهم فقال (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) قتلا واسرا (ويخزهم) اي ويذاهم (وينصركم عليهم) اي ويعتكم ايها المؤمنون عليهم (ويشف صدور قوم مؤمنين) يعني صدور بني خزاعة الذين بيث عليهم بنو بكر عن مجاهد والسدي لأنهم كانوا حلفاء النبي ﷺ (ويذهب غيظ قلوبهم) معناه ويكون ذلك النصر شفا قلوب المؤمنين التي امتلأت غيظا لكثرة ما لهم من الاذى من جبهتهم ثم استأنف سبحانه فقال (ويتوب الله على من يشاء) اي ويقبل توبة من تاب منهم مع فرط تديبهم رحمة وفضلا (والله على حكيم) علم بتوبتهم اذا تابوا حكيم في امرهم بقتالهم اذا تركوا قبل ان يتوبوا يرجعوا لأن افعاله كلها صواب وحكمة وفي هذا دلالة على ذنوبنا بما نعملون لأنه وافق خبر المخبر

- (النظم) -

والوجه في اتصال قوله ويتوب الله على من يشاء بما قبله شيان ﴿ احدهما ﴾ البشارة بأن فيهم من يتوب ويرجع عن الكفر الى الايمان ﴿ والاخر ﴾ بيان انه ليس في قتالهم اقتطاع لأحد منهم عن التوبة

قوله تعالى (١٦) **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** آية

- (اللغة) -

الحساب قوة المعنى في النفس من غير قطع وهو مشتق من الحساب لدخوه فيما يحتسب به والترك ضد يتاني الفعل البدأ في محل القدرة عليه ويستعمل بمعنى ان لا يفعل كقوله وتركمهم في ظلمات لا يبصرون والوليعة الدخيلة في القرم من غيرهم والبطانة مثله وليعة الرجل من يختص بدخلة أمره دون الناس الواحد والجمع فيه سواء وكل شيء دخل في شيء ليس منه فهو وليعة قال طرفة

فإن القوافي يتلجن مواجلا تضايق عنه ان تولجه الابر

- (الاعراب) -

أم حرف عطف يعطف به الاستفهام وأم حسبتم معطوف على ما تقدم من قوله الا تقاتلون وهو من الاستفهام المعارض في وسط الكلام فجعل بأم ليفرق بينه وبين الاستفهام المتبداً لما يفعل نفي الفعل مع تقريب لوقوعه ولم يفعل نفي الفعل بعد اتمامه في وقوعه

- (المعنى) -

ثم نبه سبحانه على جلالة موقع الجهاد فقال (أم حسبتم ان تتركوا) ومعناه اظننتم ايها المؤمنون ان تتركوا من دون ان تكافوا الجهاد في سبيل الله مع الاخلاص (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) معناه ولما يظهر ما علم الله منكم فذكر نفي العلم والمراد نفي المعلوم تأكيداً للنفي والا فارتد الله عن اسمه علم بما يكره من انكسار الجهاد لا يكون لو كان كيف كان يكون وتقديره اظننتم ان تتركوا ولم تجاهدوا (ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) اي ولم يعلم الله الذين لم يتخذوا سوى الله وسوى رسوله والمؤمنين بطانة واولياء يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم وقال الجبائي فهو ان يكونا منافقين وهو قول الحسن وفي هذا دلالة على تحريم موالات الكفار والفساق والالف بهم (والله خبير بما تعملون) اي عليم بما تعملون فيجازيكم عليها

- (النظم) -

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه لما تقدم الامر بالقتال عطف عليه بهذا الشرط وهو الاخلاص في الجهاد

على وجه قطع العصمة ليظهر الظفر ويستحق الثواب

قوله تعالى (١٧) ما كان للمشركين ان يعبدوا مساجد الله شاهدين على انفسهم
بالكفر اولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون (١٨) انما يعمر مساجد الله من آمن
بالله واليوم الآخر واقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى اولئك ان يكونوا
من المهتدين آيات

(القراءة) =

قرأ أهل البصرة وابن كثير مسجد الله على الواحد وهو قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والباقر
مساجد الله

(الحجة) =

حجة من افرد انه عنى به المسجد الحرام وحجة من جمع انه عنى به المسجدا الحرام وغيره من المساجد ويمتثل
ان يكون أراد المسجد الحرام وإنما جمع لأن كل موضع منه مسجد يسجد عليه فيكون القراءتان بمعنى

اللغة

الأصل في المسجد هو موضع السجود في العرف ويعبر به عن البيت المهيأ لصلاة الجماعة فيه والعمارة أن يحدد
منه ما استقر من الأبنية ومنه اعتمر إذا زار لأنه يحدد بالزيارة ما استقر من الحال

« المعنى » =

لما أمر الله سبحانه بقتال المشركين وقطع العصمة والمالاة عنهم أمر بمنعهم عن المساجد فقال (ما كان
للمشركين ان يعبدوا مساجد الله) معناه لا ينبغي للمشركين ان يكونوا قواما على عمارة مساجد الله ومتولين
لأمرها وينبغي أن يعمرها المسلمون وقيل ان المراد بذلك المسجد الحرام خاصة وقيل هي عامة في جميع المساجد
(شاهدين على انفسهم بالكفر) أي حال شهادتهم على انفسهم بالكفر أو مع شهادتهم واختلاف في العمارة
للمسجد فقيل هي بدخوله وتزوله كما يقال فلان يعمر مجلس فلان إذا اكثر غشيانه لأن المسجد تكون عمارته
بطاعة الله وعبادته وقيل هي باستصلاحه ورم ما استقر منه لانه إنما يعمر للعبادة عن الجبائي وقيل هي بأن يكونوا
من أهله أي لا ينبغي أن يترك المشركون فيكونوا أهل المسجد الحرام عن الحسن واختلف في شهادتهم على انفسهم
بالكفر كيف هي فقيل هي ان النصراني يسأل ما أنت فيقول انا نصراني واليهودي يقول انا يهودي وكذلك
المشرك إذا سئل ما دينك يقول مشرك لا يقوها أحد غير العرب عن السدي وقيل معناه ان كلامهم يدل على
كفرهم كما يقال كلام فلان يدل على بطلان دعواه عن الحسن وقيل هي قولهم لبيك لا شريك لك الا شريكا
هو لك فلكه وما ملك وقيل شهادتهم سجودهم لاصنامهم مع اقرارهم بأنها مخلوقة عن ابن عباس ومعناه انهم
يشهدون على انفسهم بأفعالهم واحوالهم ومن أظهر شيئا وبينه يقال قد شهد به (أو تلك حبطت اعمالهم) التي
هي من جنس الطاعة من المؤمنين أي بطلت لانهم أوقروها على الوجه الذي لا يستحق لأجله الثواب عليها عند الله
(وفي النار هم خالدون) أي مقيمون مرتدون (إنما يعمر مساجد الله) ولقظة إنها لا تثبت المذكور ونفي ما عداه
فمعناه لا يعمر مساجد الله بزيارتها واقامة العبادات فيها أو بنائها ورم المستقر منها (إلا من آمن بالله واليوم الآخر)
أي من أقر بوحدة الله واعترف بالقيامه (وأقام الصلاة) بجدودها (وآتى الزكاة) أي اعطاها إن وجبت عليه
إلى مستحقها (ولم يخش إلا الله) أي لم يخف سوا الله احدا من المخلوقين وهذا راجع إلى قوله أنحشونهم فأنه

أمن أن تحشوه اي إن خشيتوهم فقد ساويتوهم في الاشرار كما قال فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله الآية (فمسي أو تلك أن يكونوا من المهتدين) إلى الجنة ونيل ثوابها لأن عسى من الله واجبة عن ابن عباس والحسن وفي ذكر الصلاة والزكاة وغير ذلك بعد ذكر الإيمان بالله دلالة على ان الإيمان لا يتناول افعال الجوارح إذ لو تناولها لما جاز عطف ما دخل فيه عليه ومن قال ان المراد فيه التفصيل وزيادة البيان فقد ترك الظاهر

قوله تعالى (١٩) أجمعتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين (٢٠) الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون (٢١) يبشروهم ربهم برحمة منه ورضوان وجات لهم فيها نعيم مقيم (٢٢) خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم اربع آيات

(القراءة) -

في الشراذ قراءة محمد بن علي الباقري (ع) وابن الزبير واني وجرة السواري واني جعفر السعدي القاري اجمعتم سقاية الحاج وعمرة المسجد الحرام وقرأ الضعالك سقاية الحاج بالضم وعمرة المسجد

(الحجة) -

اما سقاة فهو جمع ساق وعمرة جمع عامر واما سقاية فقد قال ابن جني فيه نظر ووجهه ان يكون جمعا جاء على فعال كمرق ودمراق ودرخل ودرخال وطرر وطرور وتوتم وتوتم ويري ويرا. وانسان واناس ثم أنت كما يوثق من الجموع أشياء نحو حجارة وعمرة وكان من عدل عن قراءة الجماعة سقاية الحاج وعمارة المسجد إلى هذا إنما هرب من ان يقابل الحدث بالجوهر وذلك ان من آمن جوهر وسقاية وعمارة مصدران فلا بد إذن من حذف المضاف أي اجمعتم هذين الفعلين كفعل من آمن بالله فلما رأى أنه لا بد من حذف المضاف قرأ سقاة وعمرة على ما مضى

اللفظة *

السقاية آلة تتخذ لسقي الماء والسقاية مصدر كالسقي ايضا وقيل إنهم كانوا يسقون الحبيج الماء والشراب ويت السقاية ايضا والباشرة الدلالة على ما يظهر به السرور في بشرة الوجه كما يقال بشرته ابشره بشرى ورضوان هو معنى يستحق بالاحسان ويدعو إلى الحمد على ما كان ويضاد سخط العصيان والتعيب مشتق من النعمة وهي اللين فأما النعمة بكسر النون فهي منفعة يستحق بها الشكر لأنها كنعمة العيش وابدأ للزمان المستقبل من غير آخر كما ان قط للماضي يقال ما رأيت قط ولا اراه ابداً وجمع الأبد آباء وابدو يقال لا افعل ذلك ابد الأبد وابد الأبدين وتأبد المنزل أتى عليه الأبد والأبد الوحش سميت بذلك لطول أعمارها وقيل لم يميت وحشي خفف اقمه وإنما يموت بأقفة والآبدة الداهية

* النزول *

قيل انها نزلت في علي بن ابي طالب عليه السلام والعباس بن عبد المطلب وطلحة بن شيبه وذلك انهم افتخروا فقال طلحة انا صاحب البيت ويدي مفتاحه ولو اشاءت فيه وقال العباس انا صاحب السقاية والقائم عليها وقال علي (ع) ما ادري ما تقولان لقد صليت إلى القبلة ستة اشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد عن الحسن والشعبي ومحمد بن كعب القرظي وقيل إن علياً (ع) قال للعباس يا عم ألا تهاجر والاتلحق برسول الله فقال ألت في

أفضل من الهجرة أعمر المسجد الحرام واستقي حاج بيت الله فنزلت أجمعتم سقاية الحاج عن ابن سيرين ومرة المحدثاني وروى الحاكم أبو القاسم الحسكاني بإسناده عن ابن بريدة عن أبيه قال بنا شيبه والعباس بتفاخران إذ مر بها علي ابن أبي طالب عليه السلام فقال بماذا تتفاخران فقال العباس لقد أوتيت من الفضل ما لم يؤت احد سقاية الحاج وقال شيبه أوتيت عمارة المسجد الحرام فقال علي (ع) استحبيبت لكما فقد أوتيت على صنريه ما لم تؤتيا فقالا وما أوتيت يا علي قال ضربت خراطيمكما بالسيف حتى آمنتا بالله ورسوله فقام العباس مغضبا يجر ذبله حتى دخل على رسول الله ﷺ وقال أما ترى إلى ما يستقباني به علي فقال ادعوا لي عليا فدعي له فقال ما حملك على ما استقبلت به عمك فقال يا رسول الله صدمته بالحق فمن شاء فليغضب ومن شاء فليرض فنزل جبرائيل (ع) فقال يا محمد إن ربك بقرأ عليك السلام ويقول أتل عليهم أجمعتم سقاية الحاج الآيات فقال العباس إنا قد رضينا ثلاث مررات وفي تفسير أبي حمزة أن العباس لما أمر يوم بدر أقبل عليه أناس من المهاجرين والانصار فعبروه بالكفر وقطيعة الرحم فقال ما لكم تذكرون مساوتنا وتكتمون محاسنتنا قالوا وهل لكم من محاسن قال نعم والله لنممر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج وقلك العاني فأنزل الله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا إلى آخر الآيات

﴿ المعنى ﴾

(أجمعتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله) هذا استفهام معناه الانكار أي لا تجعلوا وفيه حذف بدل الكلام عليه وتقديره أجمعتم اهل سقاية الحاج واهل عمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله حتى يكون مقابلة الشخص بالشخص او يكون تقديره أجمعتم السقاية والعمارة كإيمان من آمن بالله حتى تكون مقابلة الفعل بالفعل وسقاية الحاج سقيهم الشراب قال الحسن وكان نبذ زيب يسقوت الحاج في الموسم بين الله سبحانه انه لا يقابل هذه الأشياء بالإيمان بالله (واليوم الآخر) وبالجهاد في سبيله فإنه لا مساواة بين الأبرار (لا يستون عند الله) في الفضل والثواب (والله لا يهدي) إلى طريق ثوابه (القوم الظالمين) كما يهدي اليه من كان عارفاً به فاعلا لطاعته محبتاً لمصيته ثم ابتداء سبحانه فقال (الذين آمنوا) اي صدقوا واعترفوا بوحدانية الله (وهاجروا) اوطانهم التي هي دار الكفر إلى دار الإسلام (وجاهدوا في سبيل الله) اي تحملوا المشاق في ملاقات أعداء الدين (بأموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله) من غيرهم من المؤمنين الذين لم يفعلوا هذه الأشياء (وأولئك هم الفائزون) اي الظافرون بالبعية (يبشرهم ربهم) برحمته في الدنيا على السنة الرسل وبما بين في كتبه من الثواب الموعود على الجهاد (برحمة منه ورضوان) في الآخرة (وجنت لهم فيها نعيم مقيم) اي دائم لا يزول ولا ينقطع (خالدين فيها أبداً) اي دائمين فيها مع كون النعيم مقبياً لهم (إن الله عنده أجر) اي جزاء على العمل (عظيم) اي كثير متضاعف لا يبلغه نعمة غيره من الخلق

قوله تعالى (٢٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٤) قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ آيَات

* القراءة *

قرأ أبو بكر عن عاصم وعشيرتكم على الجمع والباقون وعشيرتكم على التوحيد

* الحجة *

من افرد فلان العشيرة يقع على الجمع وقال ابو الحسن العرب لا تجمع العشيرة عشيرات وإنما نقول عشائر ومن جمع فلان كل واحد من المخاطبين له عشيرة

* اللفظة *

الاستحباب طلب المحبة ويجوز ان يكون استحباب بمعنى أحب كما ان استحباب يكون بمعنى اجاب فيكون كأنه طلب محبة فوقع له والعشير الجماعة ترجع إلى عقد واحد كالمشيرة ومنه المعاشرة والاقتراف اقتطاع الشيء من مكانه إلى غيره من فرفت القرحة إذا قشرتها والقرف القشر والتربص الثبوت في الشيء حتى يجي وقته والتربص والتثبت والتنتظر والتوقف نظائر وتقبضه التعجل

* النزول *

روي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليها السلام انها نزلت في حاطب بن ابي بلتعنه حيث كتب الى قريش يخبرهم بخبر النبي ﷺ لما اراد فتح مكة

* المعنى *

ثم نهي الله سبحانه المؤمنين عن موالاته الكافرين وإن كانوا في النسب الاقربين فقال (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واهلآبائكم اولياء) وهذا في امر الدين فأما في امر الدنيا فلا بأس بمجالستهم ومعاشرتهم لقوله سبحانه وصاحبها في الدنيا معروف قال ابن عباس لما امر الله تعالى المؤمنين بالهجرة وازدادوا الهجرة فنهى من تعلق به زوجته ومنهم من تعلق به ابواه واولاده فكانوا يبتعنونهم من الهجرة فيتركون الهجرة لأجلهم فيبين سبحانه ان امر الدين مقدم على النسب وإذا وجب قطع قرابة الأبوبن فالأجنبي أولى (إن استحبوا الكفر على الإيمان) أي إن اختاروا الكفر وآثروه على الإيمان قال الحسن من تولى المشرك فهو مشرك وهذا إذا كان راضياً بشركه (ومن يتولهم منكم) فترك طاعة الله لأجلهم واطلعم على اسرار المسلمين (فأولئك هم الظالمون) تقوسهم والباخسون حقها من الثواب لأنهم وضعوا الموالاتة في غير موضعها لأن موضعها أهل الإيمان (قل) يا محمد هؤلاء المتخلفين عن الهجرة إلى دار الإسلام (إن كان آباؤكم) الذين ولدوكم (وابتاؤكم) الذي ولدتموهم وهم الأولاد المذكور (واهلآبائكم) في النسب (وازواجكم) اللاتي عقدتم عليهن عقدة النكاح (وعشيرتكم) أي واقاربكم (واموال) اقترفتموها (أي اكتسبتموها واقنتطعتموها وجمعتموها) وتجارة تخشون كسادها (أي تخشون انها تنكسد إذا اشتغلتم بطاعة الله تعالى والجهاد (ومساكن ترضونها) أي مساكن اخترتموها لأنفسكم وبمعجبكم المقام فيها (أحب اليكم) أي أثر في نفوسكم واقرب إلى قلوبكم (من الله ورسوله) أي من طاعة الله وطاعة رسوله (وجهاد في سبيله) أي ومن الجهاد في سبيل الله (فترصوا) أي انظروا (حتى يأتي الله بأمره) أي يحكمه فيكم وقيل يعقوبكم على اختياركم هذه الأشياء على الجهاد وطاعة الله إما عاجلاً وإما آجلاً وفيه وعيد شديد عن الحسن والجبائي وقيل بفتح مكة عن مجاهد وقال بعضهم وهذا لا يصح لأن سورة براءة نزلت بعد فتح مكة (والله لا يهدي القوم الفاسقين) مضي تفسيره

قوله تعالى (٢٥) لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثيرنكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين

(٢٦) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (٢٧) ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ثلاث آيات

اللغة

الموطن الموضع الذي يقيم فيه صاحبه وهو مفعول من الوطن واستوطن بالمكان إذا اتخذ وطناً. حنين اسم واد بين مكة والطائف والإعجاب السرور بما يتعجب منه والعجب السرور بالنفس والرحب السعة في المكان وضده الضيق وقولم مرحباً معناه أتيت سعة والسكينة الطمأنينة والامنة وهي فعيلة من السكون قال الشاعر
لله قبر عالها ماذا أجن م لقد أجن سكينه ووقارا
والجنود الجموع التي تصلح للحروب

الإعراب

مواطن لا يتصرف لأنه جمع ليس على مثال الآحاد ويوم حنين أي وفي يوم حنين عطف على مواطن أي ونصركم في يوم حنين وإنما صرف حنيناً لأنه اسم لمذكر وهو واد ولو ترك صرفه على أنه اسم للبقعة لجاز قال الشاعر

نصروا نبيلهم وشدوا أزرهم
وما في قوله بمرحبت مصدرية أي برحبها وسعتها
بحنين يوم توأكل الأبطال

المعنى

لما تقدم أمر المؤمنين بالقتال ذكرهم بعده بما أنام من النصر حالاً بعد حال فقال (لقد نصركم الله سيفه مواطن كثيرة) اللام للقسم فكأنه سبحانه أقسم بأنه نصر المؤمنين أي عانهم على أعدائهم في مواضع كثيرة على ضعفهم وقلة عددهم حتى لم يبق على الانقطاع إليه ومفارقة الأهليين والأقربين في طاعته وورد عن الصادقين (ع) أنهم قالوا كانت المواطن ثمانين موطناً وروى أن المتوكل اشتكى شكاية شديدة فنذر أن يتصدق بمال كثير إن شفاه الله فلما عوفي سأل العلماء عن حد المال الكثير فاختلفت أقوالهم فأشير عليه أن يسأل أبا الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى (ع) وقد كان حبه في داره فأمر أن يكتب إليه فكتب يتصدق بثمانين درهماً ثم سأله عن العلة في ذلك فقرأ هذه الآية وقال عددنا تلك المواطن فبلغت ثمانين موطناً (ويوم حنين) أي وفي يوم حنين (إذ أعجبتمكم كثيرتمكم) أي ثم سرتمكم وصرتم معجبين بكثرتكم قال قتادة وكان سبب انهزام المسلمين يوم حنين أن بعضهم قال حين رأى كثرة المسلمين لن تغلب اليوم عن قلة فانهزموا بعد ساعة وكانوا اثني عشر ألفاً وقيل أنهم كانوا عشرة آلاف وقيل ثمانية آلاف والأول أصح وأكثر في الرواية (فلم تغن عنكم شيئاً) أي فلم يدفع عنكم كثرتكم سوءاً (وضاقت عليكم الأرض بما رحبت) أي برحبتها والباء بمعنى مع والمعنى ضاقت عليكم الأرض مع سعتها كما يقال أخرج بنا إلى موضع كذا أي معنا والمراد لم تجدوا من الأرض موضعاً للفرار إليه (ثم وليتم مدبرين) أي وليتم عن عدوكم منهزمين وتقديره وليتموهم أدياركم وانهزمتهم (ثم أنزل الله سكينته) أي رحمته التي تسكن إليها النفس ويذول معها الخوف (على رسوله وعلى المؤمنين) حين رجعوا إليهم وقاتلوهم وقيل على المؤمنين الذين ثبتوا مع رسول الله علي والعباس في قر من بني هاشم عن الضحاك بن مزاحم وروى الحسن بن علي بن فضال عن أبي الحسن الرضا أنه قال السكينة ربح من الجنة تخرج طيبة لها صورة

كصورة وجه الإنسان فتكون مع الأنبياء اوردده العياشي مستندا (وأتزل جنوداً لم تروها) أراد به جنوداً من الملائكة وقيل ان الملائكة نزلوا يوم حنين بنقوية قلوب المؤمنين وتشجيعهم ولم يباشروا القتال يومئذ ولم يقاتلوا إلا يوم بدر خاصة عن الجبائي (وعذب الذين كفروا) بالقتل والأسر وسلب الاموال والا اولاد (وذلك جزاء الكافرين) اي وذلك العذاب جزاء الكافرين على كفرهم (ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) ذكر سبحانه ثم في ثلاثة مواضع متقاربة ﴿ الأول ﴾ ثم وليتم مدبرين عطف على ما قبله من الفعل وهو قوله ضافت عليكم ﴿ والثاني ﴾ ثم أنزل الله سكينته عطف على وليتم مدبرين ﴿ والثالث ﴾ ثم يتوب الله عطف على أنزل وإنما حسن عطف المستقبل على الماضي لأنه يشاكله فإن الاول تذكير بنعمة الله والثاني وعد بنعمة الله والمعنى ثم يقبل الله توبة من تاب عن الشرك ورجع الى طاعة الله والا إسلام وندم على ما فعل من القبيح ويجوز ان يريد ثم يقبل الله توبة من انهزم من بعد هزيمته ويجوز ان يريد يقبل توبتهم عن اعجابهم بالكثرة وإنما علقه بالمشيئة لأن قبول التوبة تفضل من الله ولو كان واجبا على ما قاله أهل الوعيد لما جاز تعليقه بالمشيئة كالا يجوز تعليق الثواب على الطاعة بالمشيئة ومن خالف في ذلك قال إنما علقها بالمشيئة لأن منهم من له لطف يصلح به ويتوب ويؤمن عنده ومنهم من لا لطف له منه (والله غفور) اي ستار للذنوب (رحيم) بعباده

﴿ القصة ﴾

ذكر أهل التفسير وأصحاب السير ان رسول الله ﷺ لما فتح مكة خرج منها متوجهاً الى حنين لقتال هوازن وثقيف في آخر شهر رمضان اوفي شوال من سنة ثمان من الهجرة وقد اجتمع رؤساء هوازن الى مالك بن عوف النصري وساقوا معهم أموالهم ونساءهم وذرايرهم ونزلوا بأوطاس قال وكان دريد بن الصمة في القوم وكان رئيس جشم وكان شيخاً كبيراً قد ذهب بصره من الكبر فقال بأي واد أنتم قالوا بأوطاس قال نعم مجال الخليل لاحزن خسرس ولا سهل دهس مالي اسمع رغاء البعير ونهيق الحمير وخوار البقر وثغاء الشاة وبكاء الصبيان فقالوا ان مالك بن عوف ساق مع الناس ابناءهم وأموالهم ونساءهم ليقاتل كل منهم عن أهله وماله فقال دريد راعي شأن ورب الكعبة ثم قال ائتوني بمالك فلما جاءه قال يا مالك انك اصبحت رئيس قومك وهذا يوم له ما بعده رد قومك إلى عليا بلادهم والى الرجال على متون الخليل فإنه لا ينفكك إلا رجل بسيفه وفرسه فإن كانت لك لحق بك من ورائك وإن كانت عليك لا تكون فضحت في أهلك وعيالك فقال له مالك إنك قد كبرت وذهب علمك وعقلك وعقد رسول الله ﷺ لواءه الاكبر ودفعه إلى علي بن ابي طالب «ع» وكل من دخل مكة براءة امره أن يحملها وخرج بعد ان اقام بمكة خمسة عشر يوماً وبعث إلى صفوان بن أمية فاستمار منه مائة درع فقال صفوان عارية أم غصب فقال ﷺ عارية مضمونة مؤداة فأعاره صفوان مائة درع وخرج معه وخرج من مسلمة الفتح الفا رجل وكان «ع» دخل مكة في عشرة آلاف رجل وخرج منها في اثني عشر الفا وبعث رسول الله ﷺ رجلاً من اصحابه فاتمى إلى مالك بن عوف وهو يقول لقومه ليصير كل رجل منكم أهله وماله خلف ظهره واكسروا جفون سيوفكم واكنوا في شعاب هذا الوادي وفي الشجر فإذا كان سيف غبش الصبح فاحملوا حملة رجل واحد فهدوا القوم فإن محمداً لم يلق احداً يحسن الحرب ولما صلى رسول الله ﷺ باصحابه الغداة انحدر بين وادي حنين فخرجت عليهم كتائب هوازن من كل ناحية وانهزمت بنو سليم وكانوا على المقدمة وانهزم ما وراءهم وخطى الله تعالى بينهم وبين عدوهم لاوعجابهم بكثرتهم وبقي علي «ع» ومعه الراية يقاتلهم في قر قليل ومن المتهمون برسول الله ﷺ لا بلوون على شيء وكان العباس بن عبد المطلب أخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ والفضل عن يمينه وابوسفيان بن الحرث بن عبدالمطلب عن يساره ونوفل بن الحرث وربيعة بن الحرث في تسعة من بني هاشم وعاشرهم امين بن أم امين وقتل يومئذ وفي ذلك يقول العباس

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة
وقولي إذا ما الفضل كر بسيفه
وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه
وقد فر من قد فر عنه فاقشعوا
على القوم أخرى يا بني ليرجعوا
لما ناله في الله لا يتوجع

ولما رأى رسول الله ﷺ هزيمة القوم عنه قال للعباس وكان جهورياً صيتاً اصعد هذا الطرب فنادى يا معشر المهاجرين والانصار يا اصحاب سورة البقرة يا أهل بيعة الشجرة إلى أين تفرون هذا رسول الله فلما سمع المسلمون صوت العباس تراجعوا وقالوا ليك ليك وتبادر الانصار خاصة وقتلوا المشركين حتى قال رسول الله ﷺ الآن حمي الوطيس «انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب» وتزل النصر من عند الله تعالى وانهمزمت هوازن هزيمة قبيحة فعمروا سيف كل وجه ولم يزل المسلمون في آثارهم وسر مالك بن عوف فدخل حصن الطابف وقتل منهم زهاء مائة رجل واغتم الله المسلمين اموالهم ونساءهم وامر رسول الله بالذراري والاموال ان تتحدروا إلى الجعرانة وولي على الغنائم بديل بن ورقاء الخزاعي ومضى ﷺ في أثر القوم فوافى الطابف في طلب مالك ابن عوف فحاصر أهل الطابف بقية الشهر فلما دخل ذو القعدة انصرف وأتى الجعرانة وقسم بها غنائم حنين واطماس قال سعيد بن المسيب حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن واصحاب رسول الله لم يقفوا لنا حلب شاة فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم حتى إذا انتهينا إلى صاحب البغلة الشبها يعني رسول الله فتلقانا رجال يبيض الوجوه فقالوا لنا شامت الوجوه ارجعوا فرجعنا وركبوا اكتافنا فكانوا اياها يعني الملائكة قال الزهري وبلغني ان شيبه بن عثمان قال استدرت رسول الله ﷺ يوم حنين وانا أريد ان اقتله بطلحة بن عثمان وعثمان ابن طلحة وكانا قد قتلنا يوم أحد فاطلم الله رسوله على ما في نفسي فالتفت إلي وضرب في صدري وقال أعيدك بالله يا شيبه فأرعدت فرائصي فنظرت إليه وهو أحب إلي من سمعي وبصري فقلت اشهد انك رسول الله وان الله اطلمك على ما في نفسي وقسم رسول الله الغنائم بالجعرانة وكان معه من سبي هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء ومن الاويل والنساء ما لا يدري عدته قال ابو سعيد الخدري قسم رسول الله للمتألفين من قريش من سائر العرب ما قسم ولم يكن في الانصار منها شيء قليل ولا كثير فمضى سعد بن عباد إلى رسول الله فقال يا رسول الله ان هذا الحي من الانصار قد وجدوا عليك في قصعك هذه الغنائم في قومك وفي سائر العرب ولم يكن فيهم من ذلك شيء فقال ﷺ فأين انت من ذلك يا سعد فقال ما انا إلا امرؤ من قومي فقال رسول الله فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة فجمعهم فخرج رسول الله فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا معشر الانصار اولم أتكم ضلالاً لهذا الله وعالة فأغناكم الله واعداً فألف بين قلوبكم قالوا بلى يا رسول الله ثم قال ألا تجيبوني يا معشر الانصار فقالوا وما نقول وبماذا نجيبك المن لله ولرسوله فقال رسول الله أما والله لو شئتم لقتلتم فصدقتم جئتكم طريداً فأوبناك وعائلاً فأسينناك وخائفاً فأمنناك ومخذولاً فنصرناك فقالوا المن لله ولرسوله فقال رسول الله ﷺ وجدتم في أنفسكم يا معشر الانصار في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلوا وكنتم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام أفلا ترضون يا معشر الانصار أن يذهب الناس إلى رحلم بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحالمكم فوالذي نفسي بيده لو ان الناس سلخوا شعياً وسلكت الانصار شعياً لسكت شعبا لسكت شعبا لانصار ولولا الهجرة لكنت امرؤاً من الانصار اللهم ارحم الاضمار وابناء الانصار وابناء الانصار فيكفي القوم حتى اخضلت لحامهم وقالوا رضينا بالله ورسوله قسائم تفرقوا وقال انس بن مالك وكان رسول الله ﷺ امر منادياً فتنادى يوم اوطاس ألا لا توطأ الحبالى حتى يضعن ولا غير الحبالى حتى يستبرأن بجمضة ثم اقبلت وفود هوازن وقدمت على رسول الله ﷺ بالجعرانة مسلمين فقام خطيبهم وقال يا رسول الله إنما في الحضائر من السبايا خالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك فلو اننا ملكنا ابن ابي سحره او النعمان بن المنذر ثم أصابنا منعا مثل الذي أصابنا منك رجونا عائدتها وعطفها وانت خير

الكفولين ثم اشد ابيانا فقال عليه السلام أي الأمرين أحب اليكم السي او الاموال قالوا يا رسول الله خيرتنا بين
الحسب وبين الاموال والحسب أحب الينا ولا تتكلم في شاة ولا بعير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما الذي لبني
هاشم فهو لكم وسوف اكل لكم المسلمين واشفع لكم فكلوهم واطهروا اسلامكم فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
المهاجرة قاموا فتكلموا فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد رددت الذي لبني هاشم والذي يدي عليهم فمن أحب منكم أن يعطي غير
مكره فليقبل ومن كره أن يعطي فليأخذ الفداء وعلي فداؤهم فأعطى الناس ما كان بأيديهم منهم إلا قليلا من
الناس سألو الفداء وارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مالك بن عوف وقال إن جثتي مسلار ددت اليك أهلك ومالك وملك
عندي مائة ناقة فخرج اليه من الطائف فرد عليه أهله وماله واعطاه مائة من الإبل واستعمله على من اسلم من قومه
قوله تعالى (٢٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ
هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ آية

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قراءة ابن السميع انجاس على الجمع وفي مصحف عبد الله بن مسعود وإن خفتم عائلة

﴿ الحجة ﴾

قال ابن جنبي هذا من المصادر التي جاءت على فاعلة كالعاقبة والعاقبة واللاغية

﴿ اللفظة ﴾

كل مستقذر نجس يقال رجل نجس وامرأة نجس وقوم نجس لأنه مصدر وإذا استعملت هذه اللفظة مع
الرجس قيل رجس نجس بكسر التون والعيلة الفقر تقول عال يعيل إذا افتقر قال الشاعر
وما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيل

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم النهي عن ولاية المشركين أزال سبحانه ولايتهم عن المسجد الحرام وحظر عليهم دخوله فقال (يا أيها
الذين آمنوا إنما المشركون نجس) معناه ان الكافرين انجاس (فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) أي
فانعموا عن المسجد الحرام قيل المراد به منعهم من دخول الحرم عن عطا قال والحرم كله مسجد وقبلة والعام
الذي اشار اليه هو سنة تسع الذي نادى فيه علي (ع) بالبراءة وقال لا يحجج بعد هذا العام مشرك وقيل المراد
به منعهم من دخول المسجد الحرام على طريق الولاية للموسم والعمرة وقيل منعوا من الدخول أصلاً في
المسجد ومنعوا من حضور الموسم ودخول الحرم عن الجبائي واختلف في نجاسة الكافر فقال قوم من
الفقهاء ان الكافر نجس العين وظاهر الآية يدل على ذلك وروي عن عمر بن عبد العزيز انه كتب امنعوا
اليهود والنصارى من دخول مساجد المسلمين واتبع نهيه قول الله تعالى إنما المشركون نجس الآية وعن الحسن
قال لا تصالحوا المشركين فمن صالحهم فليتوضأ وهذا يوافق ما يذهب اليه اصحابنا من ان من صافح الكافر
ويده رطبة وجب ان يغسل يده وان كانت ايديها يابستين مسحها بالخائط وقال آخرون انما ساهم الله نجماً
نخب استقادهم وفاضلهم وأقوالهم واجازوا للذي دخول المساجد قالوا إنما يمتنعون من دخول مكة للحج قال قتادة
ساهم نجسا لأنهم يمينون ولا يغتسلون ويمجدون ولا يتوضئون فمنعوا من دخول المسجد لأن الجنب
لا يجوز له دخول المسجد (وان خفتم عيلة) أي قرا وحاجة وكانوا قد خافوا انقطاع المتاجر بمنع المشركين
عن دخول الحرم (فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء) أي فسوف يغنيكم الله من جهة أخرى ان شاء ان

يفنيكم بأن يرغب الناس من أهل الآفاق في حمل الميرة البكم رحمة منه ونعمة عليكم قال مقاتل سلم أهل جدة وصنعاء وجرش من البين وحملوا الطعام الى مكة على ظهور الابل والدواب وكفاهم الله تعالى ما كانوا يتخوفون وقيل معناه يفنيكم بالجزية المأخوذة من أهل الكتاب وقيل بالمطر والنبات وقيل بإباحة الغنائم واذا سئل عن معنى المشيئة في قوله ان شاء فالقول فيه ان الله تعالى قد علم ان منهم من يبقى الى وقت فتح البلاد واغتنام اموال الأكاسرة فيستغني ومنهم من لا يبقى الى ذلك الوقت فهذا علقه بالمشيئة وقيل إننا علقه بالمشيئة ليرغب الإنسان الى الله تعالى في طلب الغنى منه وليعلم ان الغنى لا يكون بالاجتهاد (ان الله عليم بالمصالح وتدبير العباد وبكل شيء) (حكيم) فيما يأمر وينهي

قوله تعالى (٢٩) قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (آية)

﴿ اللقمة ﴾

الدين في الأصل الطاعة قال زهير

لئن حلت بجو في بني اسد في دين عمرو وحالت بيننا فذلك
والجزية فقلة من جزى يجزي مثل المقعدة والجلسة وهي عطية مخصوصة جزاء لهم على تمسكهم بالكفر
عقوبة لهم عن علي بن عيسى والصفار الذل والنكال الذي يصفر قدر صاحبه يقال صفر بصفر صفاراً فهو صافر

﴿ الاعراب ﴾

عن يد في موضع نصب على الحال أي تقدماً كما يقال باعه يداً بيد

﴿ التزول ﴾

قيل هذه الآية نزلت حين أمر رسول الله ﷺ بحرب الروم فغزا بعد نزولها غزوة تبوك عن
مجاهد وقيل هي على العموم

﴿ المعنى ﴾

ثم بين الله سبحانه ان من الكفار من يجوز تبقيته بالجزية فقال (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم
الآخر) يعني الذين لا يعترفون بتوحيد الله ولا يقرون بالبعث والنشور وهذا يدل على صحة ما يذهب
اصحابنا اليه من انه لا يجوز ان يكون في جملة الكفار من هو عارف بالله وان أقر باللسان وانما يكونون
معتقدين لذلك اعتقاداً ليس بعلم لأنه صريح في ان أهل الكتاب الذين يؤخذ منهم الجزية لا يؤمنون بالله
واليوم الآخر ومن قال انه يجوز ان يكونوا عارفين بالله قال ان الآية خرجت مخرج الذم لهم لأنهم
بنزلة من لا يقربه في عظم الجرم قال الجبائي لأنهم يضيفون اليه ما لا يليق به فكأنهم لا يعرفونه وإنما
جمعت هذه الأوصاف لهم ولم يذكرها بالكفار من أهل الكتاب للتخريف على قتالهم لما هم عليه من صفات
الذم التي توجب البراءة منهم والعداوة لهم (ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله) موسى وعيسى عليهما السلام
من كتان نعت محمد ﷺ وقيل يعني ما حرمه محمد ﷺ (ولا يدينون دينا الحق) وقيل الحق

هنا هو الله تعالى أي دين الله والعمل بما في التوراة من اتباع تدينا عليه السلام وقيل الحق هو الله ودينه الإسلام عن قيادة وقيل معناه ولا يطيعون الله طاعة أهل الإسلام عن أبي عبيدة وقيل معناه لا يعترفون بالإسلام الذي هو الدين الحق (من الذين اتوا الكتاب) وصف الذين ذكروهم بأنهم من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وقال أصحابنا إن المجوس حكمهم حكم اليهود والنصارى (حتى يعطوا الجزية عن يد) أي تقدماً من يده إلى يد من يدفعه إليه من غير نائب كما يقال كلمته فمأ بغم وقيل معناه عن قدرة لكم عليهم وقهر لهم كما يقال كان اليد لفلان وقيل يد لكم عليهم ونعمة تسدونها اليهم بقبول الجزية منهم (وهم صاغرون) أي ذليلون مقهورون يجرون إلى الموضع الذي يقبض منهم فيه بالمنف حتى يودوها وقيل هو أن يعطوا الجزية قائمين والآخذ جالس عن عكرمة

قوله تعالى (٣٠) وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٣١) اتَّخَذُوا أَحِبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (آياتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ عاصم والكسائي ويعقوب وسهل عزير منوناً والباقون عزير ابن الله بغير تنوين وقرأ عاصم وحده يضاهاون بالهمزة وقرأ الباقر يضاهاون بغير الهمزة

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي من نون عزيرا جعله مبتدأ وجعل ابنا خبره وإذا كان كذلك فلا بد من اثبات التنوين في حال السعة والاختيار لأن عزيرا ونحوه ينصرف عجبيا كان أو عريبا وأما من حذف التنوين فإنه حذفه على وجهين ﴿ أحدهما ﴾ أنه جعل الصفة والموصوف بمنزلة اسم واحد كما جعلهما كذلك في قوله لا رجل ظريف وحذف التنوين ولم يحرك لالتقاء الساكنين كما يحرك في زيد العاقل لأن الساكنين كأنهما التقيا في تضاعيف كلمة واحدة فحذف الأول منهما ولم يحرك لكثرة الاستعمال ولا يجوز اثبات التنوين في هذا الباب إذا كان صفة وإن كان الأصل لأنهم جعلوه من الأصول المرفوضة كما ان اظهار الأول من المثليين في نحو ظنوا لا يجوز في الكلام فإذا كاتا بمنزلة اسم مفرد والمفرد لا يكون جملة مستقلة بنفسها مفيدة في هذا النحو فلا بد من اضمار جزء آخر يقدر انضمامه إليه ليتم جملة ويجعل الظاهر اما مبتدأ او خبر مبتدأ فيكون التقدير صاحبنا أونسيينا أونيينا عزير ابن الله ان قدرت المضمرة المبتدأ وان قدرت بعكس ذلك جاز بهذا الحد الوجهين والوجه الآخر ان لا تجعلها اسما واحدا ولكن يجعل الأول من الاسمين المبتدأ والآخر الخبر فيكون المعنى فيه على هذا كالمعنى في اثبات التنوين وتكون القراءة ان متفتحين الا انك حذف التنوين لالتقاء الساكنين وعلى هذا ما روى من قراءة بعضهم احد الله الصمد فحذف التنوين لالتقاء الساكنين وقد جاء ذلك في الشعر كثيرا قال الشاعر

اخو الحمد ذو الشيبة الاصلع

جميل الذي أمج داره

وقال «وحاتم الطائي وهاب المني» فاما بضاهئون فقد قال الزجاج اصل المضاهاة المشابهة والاكثر ترك الهمزة واشتقاقه من قولهم امرأة ضهيا وهي التي لا يثبت لها ثدي وقيل هي التي لا تحيض ومعناها انها قد اشبهت الرجال في انه لا ثدي لها وكذلك اذ لم تحض وضمياء فعلاء الهمزة زائدة كما زيدت في شمال وعرقى البيض ولا نعلم الهمزة زيدت غير اول الا في هذه الاشياء ويجوز ان يكون كعبلا وان كانت بنية ليس لها في الكلام نظير قال ابو علي ليس قوله بضاهئون من امرأة ضهيا لأن هذه الهمزة زائدة غير اصلية وليس بفعال لأنه لو كان اياه لكان مكسور الصدر وإنما ادخله في هذا ما رآه من اشتقاق بضاهئون وقد يجوز ان تجيء الكلمة من غير مشتقة وذلك اكثر من ان يحصى

✽ اللغة ✽

الحبر العالم الذي صنعته تحبير المماني بحسن البيان عنها وهو الحبر والحبر بفتح الحاء وكسرها والرهبان جمع الراهب وهو الخاشي الذي يظهر عليه لباس الخشية وقد كثر استعماله على منسكي النصارى

✽ المعنى ✽

ثم حكى الله سبحانه عن اليهود والنصارى اقوالهم الشنيعة فقال (وقالت اليهود عزير ابن الله) وقال ابن عباس القائل لذلك جماعة منهم جاؤا الى النبي ﷺ منهم سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الضيف فقالوا ذلك قبل وإنما قال ذلك جماعة منهم من قبل وقد اتقروا وان عزيرا امل التوراة من ظهر قلبه وقد علمه جبرائيل (ع) فقالوا انه ابن الله الا ان الله تعالى اضاف ذلك الى جميعهم وان كانوا لا يقولون ذلك اليوم كما يقال ان الطوارج يقولون بتعذيب اطفال المشركين وإنما يقوله الازارقة منهم خاصة ويدل على ان هذا مذهب اليهود انهم لم ينكروا ذلك لما سمعوا هذه الآية مع شدة حرصهم على تكذيب الرسول ﷺ (وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواهم) معناه انهم اخترعوا ذلك القول بافواهم لم يأتهم به كتاب ولا رسول وليس عليه حجة ولا برهان ولا له صحة وقيل انه لم يذكر القول مقرونا بالافواه الا اذا كان ذلك القول زورا كقوله يقولون بافواهم مالميس في قلوبهم (بضاهئون) يشابهون عن ابن عباس وقيل هو اقنوعون عن الحسن (قول الذين كفروا) يعني عباد الاوثان في عبادتهم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى عن ابن عباس ومجاهد والقراء وقيل في عبادتهم الملائكة وقولهم انهم بنات الله (من قبل) اي ضاهت النصارى قول اليهود من قبل فقالت النصارى المسيح ابن الله كما قالت اليهود عزير ابن الله عن قتادة والسدي وقيل شبه كفرهم بكفر الذين مضوا من الامم الكافرة عن الحسن (قاتلهم الله) اي لعنهم الله عن ابن عباس قال ابن الاباري المقاتلة اصلها من القتل فإذا اخبر عن الله بها كانت بمعنى اللعنة لأن من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك (انى يوفكوت) اي كيف يصرفون عن الحق الى الاكاذب الذي هو الكذب فكأنه قال لأي داع مالوا الى ذلك القول (انخذوا احبارهم) اي علماءهم (ورهباتهم) اي عبادهم (اربابا من دون الله) روي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام انهما قالوا اما والله ما صاموا ولا صلوا ولكنهم احلوا لهم حراما وحرموا عليهم حلالا فاتبعوهم وعبدوهم من حيث لا يشعرون وروى الثعلبي باسناده عن عدي بن حاتم قال اتيت رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب فقال لي يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك قال فطرحته ثم اتهمت اليه وهو يقرأ من

سورة البراءة هذه الآية اتخذوا ايجابهم ورهبانهم اربابا حتى فرغ منها فقلت له انا لسنا نعبدهم فقال اليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتستحلونه قال فقلت بلى قال فقلت عبادتهم (والمسيح ابن مريم ابي اتخذوا المسيح اياه من دون الله) وما امروا الا ليعبدوا اِلَها واحدا) أي معبودا واحدا هو الله تعالى (لا اِلهَ اِلا هو) اي لا تحق العبادة اِلا له ولا يستحق العبادة سواه (سبحانه) تنزيها له (عما يشركون) اي عن شركهم وعما يقولونه وعما لا يلبق به

قوله تعالى (٣٢) يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنِيمَ نُورَهُ
وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٣) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ
كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ آيَاتان

﴿ اللغة ﴾

الاطفاء اذهب نور النار ثم استعمل في اذهب كل نور والأفواه جمع فم وأصله فوه فحذفت الهاء وابدلت من الواو ميم لأنه حرف صحيح من مخرج الواو مشا كل لها والأفواه الامتناع مما طلب من المعنى قال الشاعر « وإن أرادوا ظلمنا أينما » أي منعنا من الظلم

﴿ الإعراب ﴾

قوله إلا ان يتم نوره إنما دخلت إلا لأن في آيت ضرباً من الجحد تقول آيت أن أفعل كذا فيكون معناه لم أفعل كذا قال الشاعر

وهل لي أم غيرها ان تركتها أنى الله إلا أن اكون لها ابناً

قال الزجاج في الآية حذف تقديره بأى الله كل شيء إلا إتمام نوره قال ولا يكون الإيجاب جرداً ولو جاز ذلك على ان يكون فيه طرف من الجحد لجاز كرهت إلا أخاك مثل آيت إلا ان آيت الحذف مستعمل معها

— المعنى —

ثم اخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار من اليهود والنصارى انهم (يريدون أن يطفئوا نور الله) وهو القرآن والإسلام عن أكثر المفسرين وقيل نور الله الدلالة والبرهان لأنها يهتدى بها كما يهتدى بالنور عن الجبائي قال ولما سعى سبحانه الحجج والرايين أنواراً سعى معارضتهم لذلك اطفاء ثم قال (بأفواههم) لأن الاطفاء يكون بالأفواه وهو النفع وهذا من عجيب البيان مع ما فيه من تصغير شأنهم وتضعيف كيدهم لأن النهم يؤثر في الأنوار الضعيفة دون الأقباس العظيمة (وبأبى الله إلا أن يتم نوره) معناه ويمنم الله إلا أن يتم نوره أمر القرآن وأمر الإسلام وحجته على التمام وأصل الأباة المنع والامتناع دون الكراهية على ما ادعته المجبرة ولهذا تقول العرب فلان بأبى الضيم وهو ابى الضيم ولا مدحة سيف كراهية الضيم لأنه يستوي فيه القوي والضعيف وإنما المدحة في الامتناع او المنع منه (ولو كره الكافرون) أي على كره من الكافرين (هو الذي أرسل رسوله) محمداً وحمله الرسالات التي يؤدبها إلى امته (بالهدى) أي بالحجج والبيئات والدلائل والبراهين (ودين الحق) وهو الإسلام وما تضمنته من الشرائع التي يستحق عليها الجزاء والثواب وكل دين سواه باطل يستحق به العقاب (ليظهره على الدين كله) معناه ليعلي دين الإسلام على جميع الأديان بالحجة والغلبة والقهر لما حتى لا يبقى على وجه الأرض دين إلا مغلوباً ولا يغلب احد أهل الإسلام بالحجة وهم يغلبون أهل سائر الأديان بالحجة واما الظهور بالغلبة فهو ان كل طائفة من المسلمين قد غلبوا على نواحي أهل الشرك ولحقهم قهر من جهتهم وقيل

أراد عند نزول عيسى بن مريم لا يبقى أهل دين إلا أسلم أو أدى الجزية عن الضحاك وقال أبو جعفر (ع) إن ذلك يكون عند خروج المهدي من آل محمد فلا يبقى أحد إلا أقر بمحمد وهو قول السدي وقال الكلبي لا يبقى دين إلا ظهر عليه الإسلام وسيكون ذلك ولم يكن بعد ولا تقوم الساعة حتى يكون ذلك وقال المقصد بن الأسود سمعت رسول الله ﷺ يقول لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام أما بزر عزيذ وأما بذل ذليل أما يعزم فيجعل الله من أهله فيعزوا به وأما بذم فيدينون له وقيل إن الماء في لظهوره عائدة إلى الرسول ﷺ أي ليعلمه الله الأديان كلها حتى لا يخفى عليه شيء منها عن ابن عباس (ولو كره المشركون) أي وإن كرهوا هذا الدين فإن الله يظهره رغما لهم

قوله تعالى (٣٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٥) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كَنْزْتُمْ تَكْنِزُونَ آيَاتان

✽ اللغة ✽

الكنز في الأصل هو الشيء الذي جمع بعضه إلى بعض ويقال للشيء المجتمع مكنته وناقته كناز اللحم مجتمعه قال تقطوبه سمي الذهب ذهباً لأنه يذهب ولا يبقى وسميت الفضة فضة لأنها تنفض أي تنفوق فلا تبقى وحسبك بالاسمين دلالة على فتانها والاسماء جعل الشيء حاراً في الاحساس وهو فوق الاستحسان وضده التبريد يقال حمى يحمي حمى واحماؤه غيره والكي الصاق الشيء الحار بالعضو من البدن

✽ الإعراب ✽

الذين يكتزون موضع نصب لأنه معطوف على اسم إن ويكون المعنى وإن الذين يكتزون الذهب والفضة ولا يأكلونها ويجوز أن يكون رفعا على الاستئناف وذكر في قوله ولا ينفقونها وجوه ✽ أحدها ✽ أنه أراد لا ينفقون الكنوز فرجع الضمير إلى ما دل عليه الكلام ✽ والثاني ✽ أنه لما ذكر الذهب والفضة دل على الأموال فكأنه قال ولا ينفقون الأموال ✽ والثالث ✽ أن الذهب مؤنث وهو جمع واحد ذببة وهذا الجمع الذي ليس بينه وبين واحد إلا الهاء بذكر ويؤنث ثم لما اجتمعا في التأنيث وكان كل واحد منهما يؤخذ عن صاحبه في الزكاة على قول جمهور العلماء جعلهما كالشيء الواحد ورد الضمير إليهما بلفظ التأنيث ✽ والرابع ✽ أنه اكتفي بأحدهما عن الآخر للإيجاز ورد الضمير إلى الفضة لأنها أقرب إليه كما قال حسان

إن شرخ الشباب والشعر الأسود ما لم يعاص كان جنونا
وقدم ذكر أمثاله فيها مضى

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه حال الأحرار والرهبان فقال (يا ايها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل) أي يأخذون الرشى على الحكم عن الحسن والجبائي وأكل المال بالباطل تملكه من الجهات التي يحرم منها أخذه إلا أنه لما كان معظم التصرف والتملك للأكل وضع الأكل موضع ذلك وقيل إن معناه يأكلون مناع أموال الناس من الطعام فكأنهم يأكلون الأموال لأنها تمنع الأكل كما قال الشاعر
ذر الآكلين الماء لو ما فمارى ينالون خيرا بعد أكلهم الماء

اي ثمن الماء (ويصدون عن سبيل الله) اي يمتنعون غيرهم عن اتباع الإسلام الذي هو سبيل الله التي دعاهم الى سلوكها وعن اتباع محمد ﷺ (والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله) اي يجمعون المال ولا يؤدون زكاته فقد روي عن النبي ﷺ انه قال كل مال لم تؤد زكاته فهو كنز وان كان ظاهرا وكل مال ادبت زكاته فليس يكتز وان كان مدفونا في الارض وبه قال ابن عباس والحسن والشعبي والسدي قال الجبائي وهو اجماع وروي عن علي عليه السلام ما زاد على اربعة آلاف فهو كنز ادى زكاته او لم يؤد وما دونها فهو نفقة وتقدير الآية والذين يكتزون الذهب ولا ينفقونه في سبيل الله ويكتزون الفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فحذف المعطوف من الأول لدلالة الثاني عليه كما حذف المفعول في الثاني لدلالة الأول عليه في قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات وتقديره والذاكرات الله واكثر المفسرين على ان قوله والذين يكتزون على الاستثناء وان المراد بذلك ما سوا الزكاة من هذه الأمة وقيل انه معطوف على ما قبله والاولى ان يكون محولا على العموم في الفريقين (فبشرهم بعذاب اليم) اي اخبرهم بعذاب موجه وروي سالم بن ابي الجعدان رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية قال تبا للذهب تبا للفضة بكررها ثلاثا فسق ذلك على اصحابه فسأله عمر فقال يا رسول الله أي المال تتخذ فقال لسانا ذكرا وقلبا شاكرا وزوجة مؤمنة تعين أحدكم على دينه (يوم يحمى عليها في نار جهنم) اي يوقد على الكنوز أو على الذهب والفضة في نار جهنم حتى تصير نارا (فتكوى بها) اي بثلث الكنوز المحيطة والاموال التي منعوا حق الله فيها بأعيانها (جباهم وجنوبهم وظهورهم) وانما خص هذه الاعضاء لأنها معظم البدن وكان ابو ذر الغفاري يقول بشر الكاذبين بكي في الجباه وكي في الجنب وكي في الظهر حتى يلتقي الحر في أجوافهم وفي هذا المعنى الذي أشار اليه ابو ذر خصت هذه المواضع بالكي لأن داخلها جوف بخلاف اليد والرجل وقيل انما خصت هذه المواضع بالعذاب لأن الجبهة محل الوسوسة لظهورها والجنب محل الألم والظهر محل الحدود وقيل لأن الجبهة محل السجود فلم تقم فيه بحقه والجنب يقابل القلب الذي لم يخلص في معتقه والظهر يحمل الأوزار قال يحملون أوزارهم على ظهورهم عن الماوردي وقيل لأن صاحب المال إذا رأى الفقير قبض جبهته وزوى عينيه وطوى عنه كشحه وولاه ظهره عن ابي بكر الوراق (هنا ما كنزتم لأتسكم) أي يقال لهم في حال الكي أو بعده هنا جزاء ما كنزتم وجمعتم المال ولم تؤدوا حق الله عنها وجمعتموها ذخيرة لأتسكم (فذوقوا ما كنزتم) أي فذوقوا العذاب بسبب ما كنزتم فذوقوا ما كنزتم أي تجمعتم وتغنمتم حق الله منه فحذف لدلالة الكلام عليه وقال رسول الله ﷺ ما من عبد له مال ولا يؤدي زكاته إلا جمع يوم القيامة صفائح يحمى عليها في نار جهنم فتكوى به جبهته وجنباؤه وظهوره حتى يقضي الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين الف سنة مما تعدون ثم يرى سيده اما إلى الجنة واما إلى النار أو رده مسلم بن الحجاج في الصحيح وروي ثوبان عن النبي ﷺ قال من ترك كنزا مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبستان يتبعه ويقول وبلك ما أنت فيقول أنا كنزك الذي تركت بعدك فلا يزال يتبعه حتى يلقيه بده فيقصمها ثم يتبعه سائر جسده وروي الثعلبي باسناده عن الأعمش عن المعمر بن سويد عن ابي ذر قال أتيت رسول الله ﷺ وهو في ظل الكعبة فلما رأيته قد أقبلت قال هم الأخرسون ورب الكعبة هم الأخرسون ورب الكعبة قال فدخلني غم وجمعت انفس وقلت هذا شيء حدث في قال قلت من هم فداك ابي وأمي قال الا كثرون إلا من قال بالمال في عباد الله هكذا وهكذا عن يمينه وشماله ومن خلفه وقليل ما هم وروي عن ابي ذر انه قال من ترك يضاء او حمرا كوي به يوم القيامة

قوله تعالى (٣٦) إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقِيَمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا

المُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو جعفر اثنا عشر واحد عشر وتسعة عشر بسكون العين والباقون بفتحها

﴿ الحجة ﴾

الوجه في ذلك ان الاسمين لما جملا كالاسم الواحد وبني الأول منها لأن كصدر الاسم والثاني منها لتضمنه معنى واو العطف جعل تسكين أول الثاني دليلاً على انها قد صارا كالاسم الواحد

﴿ اللغة والاعراب ﴾

كافة بمعنى الإحاطة مأخوذ من كافة الشيء وهي حرفه وإذا انتهى الشيء الى ذلك كف عن الزيادة واصل الكف المنع ومنه المكفوف وهو المنوع البصر وكافة نصب على المصدر ولا يدخل عليها الألف واللام لأنه من المصادر التي لا تتصرف لوقوعه موقع معاً وجميعاً بمعنى المصدر الذي في موضع الحال المؤكدة فهو في لزوم التكرار نظير اجتمعين في لزوم المعرفة هذا قول الفراء وقال الزجاج كافة تنصب على الحال وهو مصدر على فاعله كالمافية والعاقبة وهو في موضع قاتلوا المشركين محيطين بهم باعتقاد مقاتلتهم ولا يثنى ولا يجمع فلا يقال قاتلوهم كقات ولا كافين كما انك اذا قلت قاتلوهم عامة لم تثن ولم تجمع وكذلك خاصة هذا مذهب التحويين

﴿ المعنى ﴾

لما ذكر الله سبحانه وعيد الظالم لنفسه بكثر المال من غير اخراج الزكاة وغيرها من حقوق الله منه اقتضى ذلك ان يذكر النهي عن مثل حاله وهو الظلم في الاشهر الحرم الذي يؤدي الى مثل حاله او شر منه في المقلب فقال (ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا) اي عدد شهور السنة في حكم الله وتقديره اثنا عشر شهرا وإنما تعبد الله المسلمين ان يجعلوا سنينهم على اثني عشر شهراً ليوافق ذلك عدد الأهلة ومنازل القمر دون ما دان به أهل الكتاب والشهر مأخوذ من شهرة ألا مر حاجة الناس اليه في معاملاتهم ومحل ديوونهم وحجهم وصومهم وغير ذلك من مصالحهم المتعلقة بالشهور وقوله (في كتاب الله) معناه فيما كتب الله في اللوح المحفوظ وفي الكتب المنزلة على انبيائه وقيل في القرآن وقيل في حكمه وقضائه عن ابي مسلم وقوله (يوم خلق السماوات والأرض) متصل بقوله عند الله والعامل فيها الاستقرار وإنما قال ذلك لأنه يوم خلق السماوات والأرض أجرى فيها الشمس والقمر وبسببها تكون الشهور والأيام وبها تعرف الشهور (منها أربعة حرم) اي من هذه الاثني عشر شهراً أربعة اشهر حرم ثلاثة منها سرد ذو القعدة وذو الحجة والحرم وواحد فردوه ورجب ومعنى حرم انه يعظم انتهاك المحارم فيها اكثر مما يعظم في غيرها وكانت العرب تعظمها حتى لو ان رجلاً لقي قاتل أبيه فيها لم يهجه لحرمتها وإنما جعل الله تعالى بعض هذه الشهور أعظم حرمة من بعض لما علم من المصلحة في الكف عن الظلم فيها لعظم منزلتها ولأنه ربما أدى ذلك الى ترك الظلم أصلاً لانطفاء النائرة وانكسار الحمية في تلك المدة فإن الأشياء تجر إلى اشكالها وشهور السنة الحرم سمي بذلك لتحرير القتال فيه وصفر سمي بذلك لأن مكة تصفر من الناس فيه اي تخلو وقيل لأنه وقع وباء فيه فاصفرت وجوههم وقال ابو عبيدة سمي بذلك لأنه صفرت فيه اوطابهم عن اللبن وشهراً ربيع سمي بذلك لارنبات الأرض وارساعها فيها وقيل لارتباع القوم اي إقامتهم وجماديان سمي بذلك لجمود الماء فيها ورجب سمي بذلك لأنهم كانوا يرجبونه اي يعظمونه يقال رجبته ورجبته بالتخفيف والتشديد قال الكميث

ولا غيرهم ابني لنفسي جنة ولا غيرهم ممن أجل وأزجب

وقيل سمي بذلك لترك القتال فيه من قولهم رجل ارجب إذا كان أقطع لا يمكنه العمل وزوي عن النبي

بأنه قال إن في الجنة نهراً يقال له رجب ماؤه أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل من صام يوماً من رجب شرب منه وشعبان سمي بذلك لتشعب القبائل فيه عن أبي عمرو وروى زياد بن ميمون أن النبي ﷺ قال إنما سمي شعبان لأنه يشعب فيه خير كثير لرمضان وشهر رمضان سمي بذلك لأنه يرمض الذنوب وقيل سمي بذلك لشدة الحر وقيل إن رمضان من أسماء الله وشوال سمي بذلك لأن القبائل كانت تشول فيه أي تبرح عن أمكنتها وقيل لشولان النوق اذ نايها فيه وذو القعدة سمي بذلك لعودهم فيه عن القتال وذو الحجة لقضاء الحج فيه (ذلك الدين القيم) أي ذلك الحساب المستقيم الصحيح لآما كانت العرب تفعله من النسي ومنه قوله الكبيس من دان نفسه أي حسبها وسمي الحساب دينا لوجوب الدوام عليه ولزومه كلزوم الدين والعبادة وقيل معناه ذلك القضاء المستقيم الحق عن الكبي وقيل معناه ذلك الدين تعبد به فهو اللازم (فلا تظلموا فيه) أي في هذه الشهور كلها عن ابن عباس وقيل في هذه الأشهر الحرم الأربعة عن قتادة واختاره القراء قال لأنه لو أراد الأثني عشر شهراً لقال فيها (اتقوا الله) بترك أوامر الله وارتكاب نواهيه وإذا عاد الضمير إلى جميع الشهور فإنه يكون نهيًا عن الظلم في جميع العمر وإذا عاد إلى الأشهر الحرم فائدة التخصيص إن الطاعة فيها أعظم ثوابا والمعصية أعظم عقابا وذلك حكم الله في جميع الاوقات الشريفة والبقاع المقدسة (وقاتلوا المشركين كافة) أي قاتلوهم جميعاً مؤتلفين غير محتلفين (كما يقاتلونكم كافة) أي جميعاً كذلك فتكون كافة حالاً عن المسلمين ويجوز أن تكون حالاً من المشركين أي قاتلوا المشركين جميعاً ولا تمسكوا منهم بمعهد ولا ذمة إلا من كان من أهل الجزية واعطأها عن صفار والظاهر هو الأول وقيل معناه قاتلوهم خلفاً بعد سلف كما أنه يخلف بعضهم بعضاً في قتالكم عن الأصم (واعلموا أن الله مع المتقين) بالنصرة والولاية وفي هذه الآية دلالة على أن الاعتبار في الستين بالشهور القمرية لا بالشمسية والاحكام الشرعية معلقة بها وذلك لما علم الله سبحانه فيه من المصلحة والسهولة معرفة ذلك على الخاص والعام

قوله تعالى (٣٧) إِنَّمَا النَّسِيُّ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلِقُونَ عَامًّا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًّا لِيُؤْطِقُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سِوَاهُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ آية

﴿ القراءاة ﴾

قرأ أبو جعفر النسي بالتشديد من غير همز وقرأ جعفر بن محمد عليهما السلام والزهري النسي مخففاً في وزن الهدى بغير همز وروى مثل ذلك أيضاً عن شبل عن ابن كثير والباقون النسي بالمد والهمز وقرأ بضل بضم الياء وفتح الضاد أهل الكوفة غير أبي بكر وقرأ بضل بضم الياء وكسر الضاد أبو قتيبة وفيه من طريق ابن مقسم عن أبي عمرو وروى عن يعقوب والباقون بضل بفتح الياء وكسر الضاد

— الحجة —

قال أبو علي النسي مصدر كالنذير والنكير وعذير الحمي ولا يجوز أن يكون فعلاً بمعنى مفعول كما قاله بعض الناس لأنه إن حمل على ذلك كان معناه إنما للمؤخر زيادة في الكفر والمؤخر الشهر وليس الشهر قبه بزيادة في الكفر وإنما الزيادة في الكفر تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر ليست له تلك الحرمة فأما نفس الشهر فلا وأما ما روي من النسي بالياء فذلك يكون على إبدال الياء من الهمزة ولا أعلمها لغة في التأخير كما إن أرجيت لغة في أرجأت وما روي من النسي بتشديد الياء فعلى تخفيف الهمزة وليس هذا القلب مثل القلب في النسي بالياء لأن النسي بتشديد الياء على وزن فعيل تخفيف قياسي كما أن مقروءة في مقروءة تخفيف قياسي وليس

النسي* كذلك وذكر ابن جنى فيه ثلاثة أوجه* أحدها* أن يكون أراد النسي* ثم خفف بأن أبدلت الهمزة ياء كما قال الشاعر «هي التراب فوقه اهباء» أراد اهباء* والثاني* أن يكون فعلا من نسبت لأن النسي* إذا خر فكأنه نسي* والثالث* وفيه الصنعة أن يكون أراد النسي* على فعيل ثم خفف وادغم فصار النسي* ثم قصر فعلا بمحذف يائه فصار نسي* ثم أسكن عين فعل فصار نسي* كما قيل في سميح سمح وفي رطيب رطب وفي جديب جديب فأما قوله بضل فليس يفي بضل اشكال ولا في بضل لأن المضل لغيره ضال بفعله اضلال غيره فأما بضل فالمعنى فيه أن كبراهم وشرافهم بضلونهم بحملهم على هذا التأخير في الشهور وقرئ في الشواذ بضل بفتح الياء والضاد وهذه لغة اعني ضللت أضل

اللغة

قال ابو زيد نأت الاوبل في ظمنها يوما او يومين او أكثر من ذلك والمصدر النسي* ويقال نأت الاوبل عن الحوض انساها نساء اذا خرت عاتقها والمواظاة والمواظاة يقال واطأ في الشعر إذا قال بيتين على قافية واحدة وأوطأ مثله

المعنى -

لما قدم سبحانه ذكر السنة والشهر عقبه بذكر ما كانوا يفعلونه من النسي* فقال (إنما النسي* زيادة في الكفر) يعني تأخير الأشهر الحرم عما رتبها الله سبحانه عليه وكانت العرب تحرم الشهور الأربعة وذلك بما تمسكت به من ملة إبراهيم واسماعيل وهم كانوا اصحاب غارات وحروب فرجما كان يشق عليهم ان يمكثوا ثلاثة اشهر متوالية لا يفترون فيها فكأنوا يؤخرون تحريم المحرم إلى صفر فيحرمونه ويستحلون المحرم فيمكثون بذلك زمنا ثم يزول التحريم إلى المحرم ولا يفعلون ذلك إلا في ذي الحجة قال ابن عباس ومعنى قوله زيادة في الكفر انهم كانوا أحلوا ما حرم الله وحرموا ما أحل الله قال الفراء والذي كان يقوم به رجل من كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان رئيس الموسم فيقول انا الذي لا اعاب ولا أخاب ولا يردي قضاء فيقولون نعم صدقت استنشاها شهر أو أخر عتنا حرمة المحرم واجعلها في صفر وأحل المحرم فيفعل ذلك والذي كان ينسأها حين جاء الإسلام جنادة بن عوف بن أمية الكناني قال ابن عباس وأول من سن النسي* عمرو بن لحي بن قعدة بن خندف وقال ابو مسلم بن اسلم بل رجل من بني كنانة يقال له القلمس كان يقول اني قد نأت المحرم العام وجماع صفران فإذا كان العام القابل قضينا فجعلناها محرمين قال شاعرهم «ومنا ناسي* الشهر القلمس» وقال الكمي

ونحن الناسون على معد شهر الحلال نجعلها حراما

وقال مجاهد كان المشركون يمججون في كل شهر عامين فحجوا في ذي الحجة عامين ثم حجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين وكذلك في الشهور حتى وافقت الحجة التي قبل حجة الوداع في ذي القعدة ثم حج النبي ﷺ في العام القابل حجة الوداع فوافقت في ذي الحجة فذلك حين قال النبي ﷺ وذكر في خطبته إلا وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان أراد عليه السلام الأشهر الحرم رجعت إلى مواضعها وعاد الحج إلى ذي الحجة وبطل النسي* (بضل به الذين كفروا) اي بضل بهذا النسي* الذين كفروا ومن قرأ بضم الهاء فمعناه بضلون به غيرهم واضلالهم انهم فعلوا ذلك ليحللوا للناس الأشهر الحرم التي حرم الله القتال فيها واوجب الحج في بعضها فيستحلون ترك الحج في الوقت الذي هو واجب فيه ويوجبونه في الوقت الذي لا يجب فيه وجوزوا ذلك عليهم حتى ضلوا بانبياعهم (يحلونه عاما ويحرمونه عاما) اي يجعلون الشهر الحرام حلالا اذا احتاجوا إلى القتال فيه ويجعلون الشهر الحلال حراما ويقولون شهر شهر وإذا لم يحتاجوا إلى القتال لم يفعلوا ذلك (ليواطئوا عدة ما حرم الله) معناه انهم لم يحلوا شهراً من الحرم إلا حرموا مكانه شهراً من الحلال

ولم يحرموا شهراً من الحلال إلا أحلوا مكانه شهراً من الحرم ليكون موافقه في العدد وذلك للمواطأة (زين لهم سوء أعمالهم) أي زين لهم أنفسهم أو زين لهم الشيطان سوء أعمالهم عن الحسن وقيل معناه استحسنوا ذلك بهوهم (والله لا يهدي القوم الكافرين) من تفسيره

قوله تعالى (٣٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْنَا إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (١٣٩) إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ آياتان

❖ اللفظة ❖

النفر الخروج إلى الشيء لا من هيج عليه ومنه تقور الدابة يقال قمرت الدابة قورا وقمر إلى الثغر قمرًا وقهيرا والتناقل تماطلي اظهار ثقل النفس ومثله التباطؤ و ضده التسرع والمتاع الانتفاع بما يظهر للحواس ومنه قولهم تمتع بالرياض والمناظر الحسان ويقال للاشياء التي لها ثمنان متاع تشبها به والاستبدال جعل احد الشئين بدل الاخر مع الطلب له

❖ الإعراب ❖

اننا قلتم افاعلتم وأصله تفاعلتم ادغمت التاء في التاء لمناسبتها لها ثم أدخلت الف الوصل ليتمكن الابتداء بها ومثله اداركوا واتابع في قول الشاعر

تولى الضجيع إذا ما استاقها خصرًا عذب المضاق إذا ما اتابع القبل

❖ النزول ❖

قالوا لما رجع رسول الله ﷺ من الطائف أمر بالجهاد لغزوة الروم وذلك في زمان ادراك النار فأحبوا المقام في المسكن والمال وشق عليهم الخروج إلى القتال وكان (ع) قلما خرج في غزوة إلا كنى عنها ووري بغيرها إلا غزوة تبوك بعد شقتها وكثرة العدو ليتأهب الناس فأخبرهم بالذي يريد فلما علم الله سبحانه تناقل الناس أنزل الآية

❖ المعنى ❖

ثم عاتب سبحانه المؤمنين في التناقل عن الجهاد فقال (يا ايها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم) أي دعاكم رسول الله ﷺ وقال لكم (اتفروا في سبيل الله) أي اخرجوا إلى مجاهدة المشركين وهو ههنا غزوة تبوك عن الحسن ومجاهد (اننا قلتم إلى الأرض) أي تناقلتم وملتتم إلى الإقامة في الأرض التي أنتم عليها قال الجبائي هذا الاستبطاء مخصوص بنفر من المؤمنين لأن جميعهم لم يتناقلوا عن الجهاد فهو عموم أريد به الخصوص بدليل (أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة) هذا استفهام يراد به الانكار ومعناه آثرتم الحياة الدنيا القانية على الحياة في الآخرة الباقية في النعيم الدائم (فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل) أي فما فوائد الدنيا ومقاصدها في فوائد الآخرة ومقاصدها إلا قليل لا تقطع هذه ودوام تلك ثم عقبه سبحانه بالتهديد والوعيد فقال (ان لا تنفروا يعذبكم الله عذابا أليما) ومعناه ان لا تخرجوا إلى القتال الذي دعاكم إليه الرسول وتقعدهوا عنه يعذبكم الله عذابا أليما لما في الآخرة وقيل في الدنيا (ويستبدل) بكم (قوما غيركم) لا يتخلفون عن الجهاد وقيل هم أبناء فارس عن سعيد بن جبير وقيل هم أهل اليمن عن أبي روق وقيل هم الذين أسلموا بعد نزول هذه الآية عن

الجبائي (ولا تصروه شيئاً) أي ولا تضروا الله بهذا القعود شيئاً لأنه غني لنفسه لا يحتاج إلى شيء عن الحسن وابي علي وقيل معناه ولا تضروا الرسول شيئاً لأن الله عصمه من جميع الناس وبنصره بالملائكة أو يقوم آخريين من المؤمنين (والله على كل شيء قدير) فهو القادر على الاستبدال بكم وعلى غير ذلك من الأشياء قال الزجاج وهذا وعيد شديد في التخلف عن الجهاد

قوله تعالى (٤٠) **إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذَا أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعَلِيَّا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ يعقوب وحده كلمة الله بالنصب والباقون بالرفع

﴿ الحجة ﴾

من نصب عطفه على قوله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وجعل كلمة الله هي العليا ومن رفع استأنف وهو أبلغ لأنه يفيد ان كلمة الله هي العليا على كل حال

﴿ الاعراب ﴾

ثاني اثنين نصب على الحال وللعرب في هذا مذهبان ﴿ احدهما ﴾ قولهم هذا ثاني اثنين وثالث ثلاثة ورابع اربعة وخامس خمسة أي احد اثنين واحد ثلاثة واحد اربعة واحد خمسة ﴿ والآخر ﴾ قولهم ثالث اثنين وخامس اربعة بمعنى انه ثلث اثنين وخمس اربعة فالاول اضافة حقيقية محضة والثاني اضافة غير محضة اذ هو في تقدير الانفصال إذ هما في الغار بدل من قوله إذاخرجه الذين كفروا وضع احد الزمانين في موضع الآخر لتقاربها

— المعنى —

ثم أعلمهم الله سبحانه انهم ان تر كوا نصرة رسوله لم يضره ذلك شيئاً كما لم يضره قلة ناصر به حين كان بمكة وهم به الكفار فنولى الله نصرته فقال (الاتصروه فقد نصره الله) معناه ان لم تتصروا النبي ﷺ على قتال العدو فقد فعل الله به النصر (إذاخرجه الذين كفروا) من مكة فخرج يريد المدينة (ثاني اثنين) يعني انه كان هو وابو بكر (إذهما في الغار) ليس معهما ثالث اي وهو احد اثنين ومعناه فقد نصره الله منفرداً من كل شيء إلا من ابي بكر والغار الثقب العظيم في الجبل وأراد به هنا غار ثور وهو جبل بمكة (إذ يقهل لصاحبه) اي اذ يقول الرسول لأبي بكر (لا تحزن) اي لا تخف (ان الله معنا) يريد انه مطلع علينا عالم بما لنا فهو يحفظنا وينصرنا قال الزهري لما دخل رسول الله ﷺ وابو بكر الغار أرسل الله زوجاً من حمام حتى باضا في اسفل الثقب والعنكبوت حتى تنسج بيتاً فلما جاء مرافقة بن مالك في طلبها فرأى يبيض الحمام وبيت العنكبوت قال لو دخله أحد لانكسر البيض وتنسج بيت العنكبوت فانصرف وقال النبي ﷺ اللهم اعم ابصارهم فعميت ابصارهم عن دخوله وجعلوا يضربون بيئنا وشالاً حول الغار وقال ابو بكر لو نظرنا إلى اقدامهم لرأونا وروى علي بن ابراهيم بن هاشم قال كان رجل من خزاعة فيهم يقال له ابو كرز فما زال يقفوا اثر رسول الله ﷺ حتى وقف بهم باب الغار فقال لم هذه قدم محمد ﷺ هي والله اخت القدم التي في المقام وقال هذه قدم ابي قحافة اوابنه وقال ما جازوا هذا المكان اما ان يكونوا قد صدقوا في الساء او دخلوا في الأرض وجاء فارس من الملائكة في صورة الانس فوقف على باب الغار وهو يقول لهم اطلبوه في هذه الشعاب فليس ههنا وكانت العنكبوت نسجت على باب الغار وتزل رجل من قريش فيال على باب الغار فقال ابو بكر قد ابصرونا يا رسول الله ﷺ فقال لو ابصرونا ما استقبلونا بعوراتهم (فأنزل الله سكينته

عليه) يعني على محمد ﷺ أي التي في قلبه ما سكن به وعلم أنهم غير واصلين إليه عن الزجاج (وأبده) أي فواه ونصره (بجنود لم تروها) أي بلاء مكة بضميرين وجوه الكفار وأبصارهم عن أن يروه عن الزجاج وقيل معناه قواه بلاء مكة بدعون الله تعالى له عن ابن عباس وقيل معناه وإعانه بالملائكة يوم بدر وأخبر الله سبحانه أنه صرف عنه كيد أعدائه وهو في الغار ثم أظهر نصره بالملائكة يوم بدر عن مجاهد والكبي وقال بعضهم يجوز أن تكون الهاء التي في عليه راجعة إلى أبي بكر وهذا بعيد لأن الضائر قبل هذا أو بعده تعود إلى النبي ﷺ بلا خلاف وذلك في قوله لا تنصروه فقد نصره الله وفي قوله إذ أخرجه وقوله لصاحبه وقوله فيما بعده وإبده فكيف يتخللها ضمير عائذ إلى غيره هذا وقد قال سبحانه في هذه السورة ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وقال في سورة الفتح أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وقد ذكرت الشيعة في تخصيص النبي ﷺ في هذه الآية بالسكينة كلاماً رأينا الأضراب عن ذكره أحرى لثلاثاً ينسبنا ناسب إلى شيء (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى) معناه أن الله سبحانه جعل كلمتهم نازلة دنية وإراد به أنه سفلى وعيدهم للنبي ﷺ وتخوينهم إياه وأبطله بأن نصره عليهم فغير عن ذلك بأنه جعل كلمتهم السفلى لا أنه خلق كلمتهم (وكلمة الله هي العليا) أي هي المرتفعة المنصورة بغير جعل جاعل لأنها لا يجوز أن تدعو إلى خلاف الحكمة وقيل إن كلمة الكفار كلمة الشرك وكلمة الله هي كلمة التوحيد وهي قوله لا إله إلا الله فمعناه جعل كلمة الكفار السفلى بأن جعلهم أذلة أسفلين وأعلى كلمة الله بأن أعز الإسلام والمسلمين (والله عزيز) في انتقامه من أهل الشرك (حكيم) في تدبيره

قوله تعالى (٤١) انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤٢) لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ أَلْشِقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٤٣) عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَّبِعَنَّ لَكَ الَّذِينَ صدَّقُوا وَتَعَلَّمَ الْكَاذِبِينَ ثلاث آيات

❖ القراءة ❖

في الشواذ قراءة الأعمش لو استطعنا بضم الواو وقد مضى الكلام فيه في أوائل سورة البقرة

❖ اللفظة ❖

القاصد السهل المقصد عن غير طول لأنه مأبى يقصد لسهولته وسمي العدل قصداً لأنه ما ينبغي أن يقصد والشقة القطعة من الأرض التي يشق ركوبها على صاحبها لبعدها ويحتمل أن يكون من الشق الذي هو الناحية من الجبل ويحتمل أن يكون من المشقة والشقة السفر والمسافة وقريش بضمون الشين وقيس بكسرونها وقريش بضمون العين من بعدت وقيس بكسرونها

— المعنى —

ثم أمر سبحانه بالجهاد وبين تأكيد وجوبه على العباد فقال (انفروا) أي اخرجوا إلى الغزو (خفافاً وثقالاً) أي شباناً وشيوخاً عن الحسن ومجاهد وعكرمة والضحك وغيرهم وقيل نشاطاً وغير نشاط عن ابن عباس وقناة وقيل مشاغيل وغير مشاغيل عن الحكم وقيل اغنياً وقراء عن أبي صالح وقيل أراد بالخفاف أهل العسرة من المال وقلة العيال وبالثقال أهل اليسرة في المال وكثرة العيال عن الفراء وقيل معناه ركباناً ومشاة عن أبي عمرو وعطية العوفي وقيل ذا صنعة وغير ذي صنعة عن ابن زيد وقيل عزاباً ومتأهلين عن يمان والوجه أن يحمل على الجميع فيقال

معناه اخرجوا الى الجهاد خف عليكم او شق على أي حالة كنتم لأن احوال الإنسان لا تخلو من أحدهذه الأشياء (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله) وهذا يدل على ان الجهاد بالنفس والمال واجب على من استطاع بها ومن لم يستطع على الوجهين فعليه ان يجاهد بما استطاع (ذلكم خير لكم) معناه ان الخروج والجهاد بالنفس والمال خير لكم من الثاقل وترك الجهاد الى مباح (ان كنتم تعلمون) ان الله عز اسمه صادق في وعده ووعدته وقيل معناه ان كنتم تعلمون الخير في الجملة فاعلموا ان هذا خير قال السدي لما نزلت هذه الآية اشتد شأنها على الناس فسخطها الله تعالى بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية (لو كانت عرضاً قريباً) معناه لو كان ما دعوتهم اليه غنيمة حاضرة (وسفراً قاصداً) اي قريباً هيناً وقيل قاصداً اي ذا قصد نحو تأمرولابن عن المبرد وقيل سهلاً متوسطاً غير شاق (لانبعوك) طمعاً في المال (ولكن بعدت عليهم الشقة) اي المسافة يعني غزوة تبوك فيها بالخروج الى الشام (وسيحلفوا بالله لو استطعنا لخرجنا معكم) معناه ان هؤلاء سبعتذرون اليك في قعودهم عن الجهاد ويحلفون لو استطعنا وقدرنا وتمكنا من الخروج لخرجنا معكم ثم اخبر سبحانه انهم (يهلكون أنفسهم) بما امرؤه من الشرك وقيل باليمين الكاذبة والعذر الباطل لما يستحقون عليها من العقاب (والله يعلم انهم لكاذبون) في هذا الاعتذار والحلف وفي هذه دلالة على صحة نبوة نبينا ﷺ اذ اخبر أنهم سيحلفون قبل وقوعه فحلفوا وكان مخبره على ما اخبر به وفيه أيضاً دلالة واضحة على أن القدرة قبل الفعل لأن هؤلاء لا يخلو اما ان يكونوا مستطيعين من الخروج قادرين عليه ولم يخرجوا أو لم يكونوا قادرين عليه وانما حلفوا لو انهم قدروا في المستقبل لخرجوا فإن كان الأول فقد ثبت ان القدرة قبل الفعل وان كانت الثاني فقد كذبهم الله تعالى في ذلك وبين انه لو فعل لهم الاستطاعة لما خرجوا وفي ذلك أيضاً وجوب تقدم القدرة على المقدور فإن حملوا الاستطاعة على وجود الآلة وعدة السفر فقد تركوا الظاهر من غير ضرورة فإن حقيقة الاستطاعة القدرة على انه لو كان عدم الآلة والعدة عذراً في التأخر فعدم القدرة اصلاً أحرى وأولى أن يكون عذراً فيه ثم خاطب النبي ﷺ بما فيه بعض العتاب في اذنه لمن استأذنه في التأخر عن الخروج معه إلى تبوك فقال (عفا الله عنك لم أذنت لهم) في التخلف عنك قال قتادة وعمر بن ميمون اثنان فضلا النبي ﷺ لم يؤمر بهما اذنه للمناقين وأخذه الفداء من الاسارى فعاتبه الله كما تسمعون وهذا من لطيف المعانيب بدأه بالعفو قبل العتاب وهل كان هنا الاذن قبيحاً ام لا قال الجبائي كان قبيحاً ووقع صغيراً لأنه لا يقال في المباح لم فعلته وهذا غير صحيح لأنه يجوز ان يقال فيما غيره افضل منه لم فعلته كما يقول القائل لغيره إذا رآه ياتب اخاله لم عاتبته وكلمته بما يشق عليه وان كان يجوز له معاتبته بما يشق عليه وكيف يكون اذنه لهم قبيحاً وقد قال سبحانه في موضع آخر فإذا استأذنتك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم وقيل معناه اذام الله لك العفو لم أذنت هؤلاء في الخروج لأنهم استأذنوا فيه ثم نزلوا لخرجوا إلا رادوا الخبال والفساد ولم يعلم النبي ﷺ ذلك من سريرتهم عن ابي مسلم (حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) أي حتى تعرف من له العذر منهم في التخلف ومن لا عذر له فيكون اذنتك لمن أذنت له على علم قال ابن عباس وذلك ان رسول الله ﷺ لم يكن يعرف المناقين يومئذ وقيل انه (ع) انما اخبرهم بين الظمن والإقامة متوعداً لهم ولم يأذن فأغتم القوم ذلك وفي هذا اخبار من الله سبحانه انه كان الاولى ان يلزمهم الخروج معه حتى إذا لم يخرجوا أظهر نفاقهم لأنه متى أذن لهم ثم تأخروا لم يعلم النفاق كان تأخرهم

أم لغيره وكان الذين استأذنوه منافقين ومنهم جد بن قيس ومعتب بن قشير وهما من الأنصار
 قوله تعالى (٤٤) لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ
 وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالْمُتَّقِينَ (٤٥) إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
 وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (آيات)

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه حال المؤمنين والمنافقين في الاستئذان فقال (لا يستأذنك) أي لا يطلب منك الاذن
 في القعود عن الجهاد معك بالمعاذير الفاسدة وقبل معناه لا يستأذنك في الخروج لأنه مستغن عنه بدعائك
 إلى ذلك بل يتأهب له عن ابي مسلم (الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم)
 والمعنى في ان يجاهدوا فحذف في فافضى الفعل (والله عليهم بالمتقين) قال ابن عباس هذا تعبير للمنافقين حين
 استأذنوه في القعود عن الجهاد وعذر للمؤمنين في قوله لم يذهبوا حتى يستأذنوه والمعنى أنه لم يخرجهم من صفة
 المتقين إلا لأنه علم انهم ليسوا منهم (إنما يستأذنك) في التأخر عن الجهاد والنخلف عن القتال معك وقيل في
 الخروج لأن المنافق انما يستأذنك في الخروج تلقا ولا يتأهب كما يتأهب المؤمنون عن ابي مسلم (الذين
 لا يؤمنون بالله) أي لا يصدقون به (واليوم الآخر) يعني بالبعث والنشور (وارتابت قلوبهم) أي اضطربت
 وشكت (فهم في ريبهم يترددون) فهم في شكهم يذهبون ويرجعون والتردد هو التصرف بالذهاب والرجوع
 مرات متقاربة مثل التحير وأراد به المنافقين أي يتوقفون الاذن لشكهم في دين الله وفي اوله المجاهدين ولو
 انهم كانوا مخلصين لوقفوا بالنصر وبشواب الله فبادروا إلى الجهاد ولم يستأذنوك فيه

قوله تعالى (٤٦) وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ
 وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (٤٧) لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا إِلَّا لَكُمْ
 يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٤٨) لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ
 وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ (ثلاث آيات)

✽ اللفظ ✽

العدة والاهبة والالة نظائر والانبعاث الانطلاق بسرعة في الأمر وفلان لا ينبعث في الحاجة اي
 ليس له نفاذ فيها والتثبيط التوقيف عن الأمر بالتهديد فيه ومثله التريث والجلال الفساد والجلال الموت
 والجلال الاضطراب في الرأي والجلل بسكون الباء وفتحها الجنون والخبيل فساد الأعضاء قال

ابني لبني لستم بيد إلا يداً مخبولة العضد

والإيضاع الإسراع في السير قال امرؤ القيس

أرانا موضعين لحتم غيب ونسخر بالطعام وبالشراب

وربما قالوا للركب وضع بغير الف ووضعت الناقة تضع وضعا ووضعا ووضعتا إضعا قال

يا ليتني فيها جذع يا ليتني فيها واضع

خلالكم اي بينكم مشتق من التخلل وفي الحديث تراصوا بين الصفوف لا يتخللکم الشياطين كأنها نبات
حذف والتقليب تصرف الشيء يجعل اعلاه اسفله ورجل حول قلب كأنه يقلب الآراء في الامور ويحولها

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن هؤلاء المنافقين فقال (ولو ارادوا الخروج) مع النبي ﷺ نصرة له او رغبة
في جهاد الكفار كما اراد المؤمنون ذلك (لا اعدوا له عدة) اي لاستعدوا للخروج عدة وهي ما يمد لأمر
يحدث قبل وقوعه والمراد لا أخذوا اهبة الحرب من الكراع والسلاح لأن إيمارة من اراد أمراً أن يتأهب له
قبل حدوثه (ولكن كره الله انبعاثهم) معناه ولكن كره الله خروجهم الى الفزول لعله انهم لو خرجوا لكانوا
يمشون بالنسيمة بين المسلمين وكانوا عيوناً للمشركين وكان الضرر في خروجهم اكثر من الفائدة (فتبسطهم) عن
الخروج الذي عزموا عليه لا عن الخروج الذي أمرهم به لأن الأول كفر والثاني طاعة ولا ينبغي ان
يقال كيف كره الله انبعاثهم بعد ما أمر به في الآية الأولى لأنه إنما أمر بذلك على وجه الذب عن الدين ونية
الجهاد وكره ذلك على نية التضريب والفساد فقد كره غير ما أمر به ومعنى تبسطهم بطأهم وخذلهم لما يعلم
منهم من الفساد (وقيل اقمدا مع القاعدنين) اي وقبل لهم اقمدا ومع النساء والصبيان ويحتمل ان يكون القائلون
لهم ذلك اصحابهم الذين نهوم عن الخروج مع النبي ﷺ للجهاد ويحتمل ان يكون ذلك من كلام النبي
ﷺ لهم على وجه التهديد والوعيد لا على وجه الاذن ويجوز ان يكون ايضا على وجه الاذن لهم
في التعمد الذي عاتبه الله تعالى عليه اذ كان الأولى ان لا يأذن لهم ليظهر للناس نفاقهم قال ابو مسلم هذا
يدل على ان الاستئذان كان في الخروج وان الاذن من النبي ﷺ لهم كان في الخروج لأنه اذا كره
الله سبحانه خروجهم وأراد قعودهم واذن النبي ﷺ في قعودهم فلا عيب عليه ولكنهم استأذنوا في الخروج
تلقا وارادة للفساد فأذن النبي ﷺ لهم فيه ولم يعلم ضمايرهم فعمل الله تعالى ذلك من نياتهم ومنهم من
الخروج اذ كره خروجهم ثم بين سبحانه وجه الحكمة في كراهية انبعاثهم وتبسطهم عن الخروج فقال (لو
خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا) معناه لو خرج هؤلاء المنافقون معكم الى الجهاد ما زادوكم بخروجهم الا
شرا وفسادا وقيل غدرا ومكرا عن الضحاك وقيل يريد عجزاً وجبناً عن ابن عباس اي انهم كانوا يجبنونكم عن
لقاء العدو بهويل الامر عليكم (ولا وضعوا خلالكم) اي لا أسرعوا في السدخول بينكم بالتضريب والافساد
والنسيمة يريد ولسعوا فيا بينكم بالتفريق بين المسلمين ويكون تقديره ولا اعدوا الايبل وسطكم وقيل معناه
لا وضعوا ابهام خلالكم يتخلل الراكب الرجلين حتى يدخل بينهما فيقول ما لا ينبغي (يبغونكم الفتنة) بمد والابل
وسطكم ومعنى يبغونكم يبغون لكم اوفيكم اي يطلبون لكم المحنة باختلاف الكلمة والفرقة وقيل معناه يبغونكم
ان تكونوا مشركين والفتنة الشرك عن الحسن وقيل معناه يخوفونكم بالعدو ويخبرونكم انكم منهزمون وان
عدوكم سيظهر عليكم عن الضحاك (وفيكم ساعوت لهم) اي وفيكم عيون للمنافقين ينقلون اليهم
ما يسمعون منكم عن مجاهد وابن زيد وقيل معناه وفيكم قائلون منهم عند سماع قولهم يريد ضعف المسلمين
عن قتادة وابن اسحاق وجماعة (والله عليم بالظالمين) أي هؤلاء المنافقين الذين ظلموا انفسهم لما أضمرُوا
عليه من الفساد منهم عبد الله بن ابي وجد بن قيس واوس بن قبيط ثم اقسام الله سبحانه فقال (لقد اتفوا
الفتنة من قبل) الفتنة اسم يقع على كل سوء وشر والمعنى لقد طلب هؤلاء المنافقون اختلاف كامتكم

وتشتيت اهوائكم وافتراق آرائكم من قبل غزوة تبوك اية في يوم أحد حين انصرف عبد الله بن ابي
 باصحابه وخذل النبي ﷺ فنصرف الله سبحانه عن المسلمين ففتنهم وقيل أراد بالفتنة صرف الناس عن
 الايمان والقاء الشبهة الى ضعفاء المسلمين عن الحسن وقيل أراد بالفتنة الفتك بالنبي ﷺ في غزوة تبوك
 ليلة العقبة وكانوا اثني عشر رجلا من المنافقين وقفوا على التنية ليفتكوا بالنبي ﷺ عن سعيد بن جبير
 وابن جريج (وقلبوا الامور) أي احتالوا في توهين أمرك وايقاع الاختلاف بين المؤمنين وفي قتلك بكل
 ما امكهم فيه فلم يقدروا عليه وقيل انهم كانوا يريدون في كيدهم وجها من التدبير فإذا لم يتم ذلك فيه تركوه
 وطلبوا المكيدة في غيره فهذا قلب الامور عن ابي مسلم (حتى جاء الحق) معناه حتى جاء النصر والظفر
 الذي وعده الله به (وظهر أمر الله) أي دينه وهو الاسلام على الكفار على رغبتهم (وهم كارهون) أي في حال
 كراهيتهم لذلك فهي جملة في موضع الحال

قوله تعالى (٤٩) وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِّي وَلَا تَفْتِنِّي اَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ
 بِالْكَافِرِينَ (٥٠) اِنْ تُصِْبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَاِنْ تُصِْبَكَ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا قَدْ اَخَذْنَا اَمْرًا مِّنْ قَبْلُ
 وَتَوَلَّوْا وَاَوْحَىٰ فِرْحٰوْنَ (٥١) قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا اِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَىٰ اللهُ فَلْيَتَوَكَّلِ
 الْمُؤْمِنُونَ (٥٢) قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا اِلَّا اِحْدَى الْحُسَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ اَنْ يُصِيبَكُمْ
 اللهُ يَعْذَابُ مَن عِنْدِهٖ اَوْ بِاَيْدِنَا فَتَرَبَّصُوا اِنَّا مَعَكُمْ مُّتَرَبِّصُونَ (اربع آيات)

❖ القراءة ❖

القراءة المشهورة لن بصينا وقرأ طلحة بن مصرف قل هل يصينا وكذلك هو في مصحف ابن مسعود

❖ النزول ❖

قيل ان رسول الله ﷺ لما استنفر الناس الى تبوك قال انفروا لعلمكم تغتمون بنات الاصفر فقام جد
 ابن قيس أخو بني سلمة بن بني الخزرج فقال يا رسول الله ائذن لي ولا تفتني بنات الاصفر فأني أخاف
 ان افتن بهن فقال قد اذنت لك فأنزل الله تعالى ومنهم من يقول ائذن لي الآيات عن ابن عباس ومجاهد
 فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لبني سلمة من سيدكم قالوا جد بن قيس غير انه بجبل جبان
 فقال عليه السلام وأي داء ادوى من البخل بل سيدكم الفتى الابيض الجمعد بشر بن البراء بن المعرور فقال
 في ذلك حسان بن ثابت

وقال رسول الله والقول لاحق	بمن قال منا من تعدون سيذا
فقلنا له جد بن قيس على الذي	نبخله فينا وإن كان انكدا
فقال واي الداء ادوى من الذي	رميتم به جدا وان كان امجدا
وسود بشر بن البراء بلوده	وحق لبشر ذي النداء ان يسودا
اذا ما أتاه الوفد انهب ماله	وقال خذوه انه عائد غدا

— المعنى —

(ومنهم) اي ومن المنافقين (من يقول ائذن لي) في التعمود عن الجهاد (ولا تفتني) بنات الاصفر

عن ابن عباس ومجاهد قال الفراء سميت الروم أصفر لأن حبشيا غلب على ناحية الروم وكان له بنات قد أخذن من بياض الروم وسواد الحبشة فكان صفرا لهما وقيل معناه لا تؤمنني اي لا توقعني في الاثم بالعصيان لمخالفة أمرك بالخروج الى الجهاد وذلك غير متيسر لي عن الحسن وقنادة والجبائي والزجاج (الا في الفتنة سقطوا) معناه الا في العصيان والكفر وقموا بمخالفتهم أمرك في الخروج والجهاد وقيل معناه لا تعذبني بتكليف الخروج في شدة الحر الا قد سقطوا في حر اعظم من ذلك وهو حر نار جهنم عن ابي مسلم ويبدل عليه قوله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا (وان جهنم لمحيطه بالكافرين) اي ستحيط بهم فلا مخلص لهم منها (ان تصبك حسنة تسوهم) هذا خطاب من الله سبحانه للنبي ﷺ ومعناه ان تلك نعمة من الله وفتح وغنمة يحزن المنافقون (وان تصبك مصيبة) معناه وان تصبك شدة ونكبة وآفة في النفس او المال (يقولوا قد أخذنا امرنا من قبل) اي أخذنا حذرنا واحترزنا بالعمود من قبل هذه المصيبة عن مجاهد ومعناه أخذنا امرنا من مواضع الهلكة فسلمنا بما وقموا فيه (ويتولوا وهم فرحون) اي رجعوا الى بيوتهم فرحين بما أصاب المؤمنين من الشدة (قل) يا محمد لهم (لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) اي كل ما يصيبنا من خير او شر فهو ما كتبه الله في اللوح المحفوظ من امرنا وليس على ما يظنون ويتوهمون من اهلنا من غير ان يرجع امرنا الى تدبير عن الحسن وقيل معناه لن يصيبنا في عاقبة امرنا الا ما كتب الله لنا في القرآن من النصر الذي وعدنا وانا نظفر بالاعداء فتكون النصره حسنى لنا او تقتل فتكون الشهادة حسنى لنا ايضا اي فقد كتب الله لنا ما يصيبنا وعلما ما لنا فيه من الحظ عن الزجاج والجبائي (هو مولانا) اي هو مالكا ونحن عبده وقيل هو ولينا وناصرنا يحفظنا وينصرنا ويتولى حياتنا ودفع الضرر عنا (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) هذا امر من الله تعالى للمؤمنين بالتوكل عليه والرضا بتدبيره وتقديره فليتوكل على الله المؤمنون (قل) يا محمد لهؤلاء المنافقين (هل تربصون بنا الا احدهم الحسنيين) معناه هل تنتظرون لنا الا احدي الخصلتين الحميدتين والعمتين العظيمتين إما الغلبة والغبية في العاجل وإما الشهادة مع الثواب الدائم في الآجل عن ابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم وهل وان كان حرف الاستفهام فمعناه هنا التقرع بالتربص المؤدي صاحبه الى كل ما يكرهه من خيبة وفوز خصمه ومن هلاكه ونجاة خصمه ومن شقوته وسعادة خصمه (ونحن تربص بكم) اي ونحن نتوقع بكم (ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بأيدنا) اي يوقع الله بكم عذابا من عنده يهلككم به او بان ينصرنا عليكم فيقتلكم بأيدنا (فتربصوا) صورته صورة الأمر والمراد به التهديد كقوله اعملوا ما شئتم لأنه لو كان امرا لهم لكانوا في تربصهم بالمؤمنين القتل مطيعين الله (انا معكم متربصون) اي منتظرون إما الشهادة والجنة وإما الغنمة والاجر لنا وإما البقاء في الذل والخزي وإما الموت او القتل مع المصير الى النار لكم وهذه الآية تفسير لقوله تعالى قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا وقيل معناه فتربصوا هلاكنا فإنا متربصون هلاككم وقيل تربصوا مواعيد الشيطان في ابطال دين الله ونحن متربصون مواعيد الله في اظهار دينه ونصرة نبيه واستئصال مخالفه

قوله تعالى (٥٣) قُلْ اَنْفَقُوا طَوْعًا اَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ اِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ

(٥٤) وَمَا مَنَعَهُمْ اَنْ تُقَبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ اِلَّا اَنْهُمْ كَفَرُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ

إِلَّا وَهُمْ كَسَالَى وَلَا يَنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ (٥٥) فَلَا تُعْجِبُكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ثلاث آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة غير عاصم ان يقبل بالياء والباقون بالتاء

﴿ الحجة ﴾

وجه القراءة بالتاء ان الفعل مسند إلى موث في اللفظ ووجه الياء ان التانيث ليس بحقيقي فجاز ان يذكر كما جاء فن جاءه موعظة

﴿ اللفظة ﴾

الطوع الاقباد بإرادة لم يحمل عليها والكراهة فعل الشيء بكراهة حمل عليها والمنع امر يضاد الفعل وينافيه وهو على وجهين منع أن يفعل ومنع ان يفعل به فهو لاء منعوا من ان يفعل بهم قبول نفقتهم والزهق الخروج بصعوبة وأصله الهلاك وكل هالك زاهق زهق يزهق زهوقا والزاهق من الدواب السمين الشديد السمن لأنه هالك ينقل بدنه في السير والكر والغر وزهق فلان بين ايدي القوم إذا ذهب سابقا لهم حتى يهلك منهم والإعجاب السرور بما ينعجب منه يقال اعجبني حديثه اي سرني

﴿ الاعراب ﴾

انفقوا طوعا او كرها لفظ امر ومعناه معنى الشرط والجزاء المعنى ان انفقتم طائعين أو مكهين لن يتقبل منكم ومثله من الشعر قول كثير

اسيئي بنا او احسني لاملومة لدينا ولا مقلية ان تقلت

فلم يأمرها بالإساءة ولكن اعلمها ان اساءت أو أحسنت فهو على عهدا فكأنه قال ان أحسنت أو أسأت فلا تلامي قال الزجاج فان قال قائل كيف يكون الأمر في معنى الخبر قيل له إذا كان في الكلام دليل عليه جاز كما يكون لفظ الخبر في معنى الأمر والدعاء كقولك غفر الله لزيد ورحمه الله ومعناه اللهم اغفر له وارحمه وقوله ان تقبل في موضع نصب وتقديره من ان تقبل وانهم كفروا بالله في موضع رفع المعنى ما منهم من قبول نفقاتهم إلا كفرهم ويجوز ان يكون التقدير وما منهم الله منه إلا لأنهم كفروا

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه ان هؤلاء المنافقين لا ينفقون بما ينفقونه مع اقامتهم على الكفر فقال (قل) يا محمد هؤلاء (انفقوا طوعا أو كرها) أي طائعين أو مكهين (لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين) معناه وانما لم يتقبل منكم لأنكم كنتم منمردين عن طاعة الله والله سبحانه انما يتقبل من المؤمنين المخلصين (وامنعمهم ان تقبل منهم نفقاتهم إلا انهم كفروا بالله ويرسوله) اي وما يمنع هؤلاء المنافقين ان يشاؤا على نفقاتهم الا كفرهم بالله ويرسوله وذلك مما يجبط الاعمال وينع من استحقاق الثواب عليها (ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى) اي متناقلين والمعنى لم يودوها على الوجه الذي أمروا ان يودوها على ذلك الوجه (ولا ينفقون إلا وهم كارهون) لذلك لأنهم انما يصلون وينفقون للرياء والتستر بالإسلام لا لابتغاء مرضاة الله تعالى وفي هذا دلالة على ان الكفار مخاطبون بالشرائع لأنه سبحانه ذمهم على ترك الصلاة والزكاة ولولا وجوبها عليهم لم يذموا بتركها (فلا تمجيك

أموالهم ولا أولادهم) الخطاب للنبي ﷺ والمراد جميع المؤمنين وقيل يريد لا تعجبك أيها السامع أي لا يأخذ بقلبك ماتراه من كثرة أموال هؤلاء المنافقين وكثرة أولادهم ولا تنظر اليهم بعين الإعجاب (انما يريد الله ان يعذبهم بها في الحياة الدنيا) قد ذكر في معناه وجوه * أحدها * ان فيه تقديرا وتأخيرا أي لا يسرك أموالهم وأولادهم في الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة عن ابن عباس وقتادة فيكون الظرف على هذا متعلقا بأموالهم وأولادهم ومثله قوله تعالى فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون والتقدير فألقه اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم * وثانيها * ان معناه انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا بالتشديد عليهم في التكليف وأمرهم بالإففاق في الزكاة والنزوة فيؤدونها على كره منهم ومشقة اذ لا يرجون به ثوابا في الآخرة فيكون ذلك عذابا لهم عن الحسن والبخمي * وثالثها * ان معناه انما يريد الله ليعذبهم بحفظها والمصائب فيها مع حرمان المنفعة بها عن ابن زيد * ورابعها * ان معناه انما يريد الله ليعذبهم بها في الدنيا أي بسبي الأولاد وغنيمة الأموال عند تمكن المؤمنين من أخذها وغنمها فيتحسرون عليها فيكون ذلك جزاء على كفرهم عن الجبائي * وخامسها * ان المراد يعذبهم بحبسها وحفظها وحبها والبخل بها والحزن عليها وكل هذا عذاب وكذلك خروجهم عنها بالموت لأنهم يفارقونها ولا يدرون الى ماذا يصيرون واللام في قوله ليعذبهم يحتمل ان يكون بمعنى ان ويحتمل ان يكون لام العاقبة والتقدير انما يريد الله ان يعذبهم فيها ليعذبهم (وترحق انفسهم) أي تهلك وتذهب بالموت (وهم كافرون) جملة في موضع الحال أي حال كونهم كافرين والاورادة تعلقت بزهرق انفسهم لا بالكفر بهذا كما تقول اريدان أضربه وهو عاص فالاورادة تعلقت بالضرب لا بالعصيان

قوله تعالى ٥٦ وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُمْ بِمِنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ

٥٧ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأًا أَوْ مَفَارَاتٍ أَوْ مَدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَعُونَ آياتان

* القراءة *

قرأ يعقوب وسهل او مدخلا بفتح الميم وسكون الدال وهو قراءة ابن ابي اسحاق والحسن والباقرن مدخلا وفي الشواذ قراءة مسلمة بن محارب ومدخلا بضم الميم وسكون الدال وقراءة الاعرج مدخلا بتشديد الدال والحاء وقراءة أنس وهم يجمعون رواه الاعمش عنه

— (الحجة) —

أما قوله مدخلا في القراءة المشهورة فأصله مدخلا لكن التاء تبدل بعد الدال دالا لأن التاء مهموسة والدال مجهورة والتاء والدال من مكان واحد فكان الكلام من وجه واحد أخف ومن قرأ مدخلا فهو من دخل يدخل مدخلا ومن قرأ مدخلا فهو من ادخلته مدخلا قال

الحمد لله ممسينا ومصباحنا بالخير صبحنا ربي ومسانا

ومن قرأ مدخلا بتشديد الدال والحاء جملة متدخلا ثم ادغم التاء في الدال وفي رواية الاعمش انه سمع انسا يقرأ يجمعون فقال وما يجمعون قال يجمعون ويجمعون ويشدون واحد

— (اللغة) —

الفرق اتزعاج النفس بتوقع الضرر وأصله من مفارقة الأموال حال الاتزعاج والملاجأ الموضع الذي يتحصن فيه ومثله المغل والموئل والمعتصم والمعتد والمفارات جمع معارة مفعلة من غار الشيء في الشيء يغور إذا دخل منه في موضع يستتره والغار النقب في الجبل والمدخل المسلك الذي يتدسس بالدخول فيه وهو مفتعل والجماح مضي المار مسرعا على وجهه لا يردده شيء عنه وقيل هو المشي بين الشيتين قال مهمل

لقد جمحت جماحا في دمانهم
والجموح الراكب هواه قال

خلمت عذارى جماحا ما يردني
عن البيض امثال الدمى زجر زاجر

✽ المعنى ✽

ثم اظهر سبحانه سرا من اسرار القوم فقال (ويخلفون بالله انهم لمنكم) اي يقسم هؤلاء المناقون انهم لمن جملتكم اي المؤمنون اي مؤمنون امثالكم (وما هم منكم) اي ليسوا مؤمنين بالله كما انتم كذلك (ولكنهم قوم يفرقون) اي يخافون القتل والاسرا لم يظهر الايمان (ويجدون ملجأ) اي لو يجد هؤلاء المناقون حرزا من ابن عباس وقيل حصنا عن قتادة (او مغارات) اي غيرانا في الجبال عن ابن عباس وقيل سراديب عن عطا (او مدخلا) اي موضع دخول يا وون اليه عن الضحاك وقيل نفقا كنفق اليربوع عن ابن زيد وقيل اسرابا في الارض عن ابن عباس واي جعفر (ع) وقيل وجها يدخلونه على خلاف رسول الله ﷺ عن الحسن (لولوا اليه) اي لعادوا اليه وقيل لا عرضوا عنكم اليه (وهم يجمعون) اي يسرعون في الذهاب اليه ومعنى الآية انهم من خبت دخلتهم وسوء سريرتهم وحرصهم على اظهار ما في نفوسهم من النفاق والكفر لو اصابوا شيئا من هذه الاشياء لا ووا اليه ليجاهروا بما يضررونه وارضوا منك

قوله تعالى (٥٨) وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ (٥٩) وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ آبتان
(- القراءة -)

قرأ يعقوب يلزمك بضم الميم وهي قراءة الحسن والاعرج والباقر بكسر الميم

✽ اللغة ✽

يقال لمزت الرجل المزه والمزه اذا عبته وكذلك همزته قال الشاعر

إذا لقيتك تبدي لي مكاشرة
وإن تغيبت كنت الهامز اللمزا

وقيل الهز العيب بكسر العين وغمزها اي بكسره اي اذا غاب واللمز العيب على وجه المسارة وقيل لاعرابي انهز الفارة قال الهر بهزها فأرقم الهمز على الأكل والهمز كاللمز
(- النزول -)

عن امي سعيد الحدري قال بينا رسول الله ﷺ يقسم قسا وقال ابن عباس كانت غنائم هوازن يوم حنين اذا جاءه ابن امي ذي الحويصرة التميمي وهو حرقوص بن زهير أصل الحوارج فقال ادعل يا رسول الله فقال ويالك ومن يعدل اذا لم يعدل فقال عمر يا رسول الله ائذن لي فأضرب عنقه فقال النبي ﷺ دعه فلن له اصحابا يمتقر لعدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية فينظر في قذذه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في رضافه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في نصله فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرت والدم آيتهم رجل اسود في احدى ثديه او قال في احدى يديه مثل ثدي المرأة او مثل البضة تدردر يخرجون على فقرة من الناس وفي حديث آخر فاذا خرجوا فاقتلوه ثم اذا خرجوا فاقتلوهم فقاتلوهم فقاتلوهم من يلزمك الآية قال ابو سعيد الحدري أشهد اني سمعت هذا من رسول الله ﷺ وأشهد ان عليا (ع) حين قتلهم وانا معه جي بالرجل على

النعمة الذي نعمته رسول الله ﷺ رواه الثعلبي بأسناده في تفسيره وقال الكلبي تزلت في الموافقة قلوبهم وهم المنافقون قال رجل منهم يقال له ابن الجواظ لم يقسم بالسوية فأُنزل الله الآية وقال الحسن أتاه رجل وهو يقسم فقال الست تزعم أن الله تعالى أمرك أن تضم الصدقات في الفقراء والمساكين فقال بلى قال فما لك تضمها في رعاة الغنم قال إن نبي الله موسى (ع) كان راعي غنم فلما رأى الرجل قال عليه السلام احذروا هذا وقال ابن زيد قال المنافقون ما يعطيها محمد إلا من أحب ولا يؤثر بها إلا هواء فترت الآية
« المعنى » -

ثم أخبر سبحانه عنهم فقال (ومنهم) أي ومن هؤلاء المنافقين (من يلذك في الصدقات) أي يعيبك ويظن عليك في أمر الصدقات (فإن أعطوا منها) أي من تلك الصدقات (رضوا) وأقروا بالعدل (وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون) أي يعضبون ويعيبون وقال أبو عبد الله (ع) أهل هذه الآية أكثر من ثلثي الناس (وارأهم رضوا ما أتاهم الله ورسوله) معناه ولو أن هؤلاء المنافقين الذين طلبوا من تلك الصدقات وعابوك بهارضا بما أعطاهم الله ورسوله (وقالوا) مع ذلك (حسبنا الله) أي كفانا الله أو كافينا الله (سيوتينا الله من فضله ورسوله) أي سيطينا الله من فضله وانعامه ويعطينا رسوله مثل ذلك وقالوا (إنا إلى الله راغبون) في أن يوسع علينا من فضله فيغنيننا عن أموال الناس وقيل يعني راغبون إليه فيما يعطينا من الثواب ويصرف عنا من العذاب وجواب لو محذوف وتقديره لكان خيرا لهم وأورد عليهم وحذف الجواب في مثل هذا الموضع ابلغ على ما تقدم بيانه

قوله تعالى (٦٠) إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ آيَةٌ

❖ الإعراب ❖

قال الزجاج فريضة منصوب على التوكيد لأن قوله إنما الصدقات لهؤلاء كقولك فرض الله الصدقات لهؤلاء.

❖ المعنى ❖

ثم بين سبحانه لمن الصدقات فقال (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) ومعناه ليست الصدقات التي هي زكاة الأموال إلا لهؤلاء. واختلف في الفرق بين الفقير والمساكين على قولين أحدهما ❖ أنه يصف واحد وإنما ذكر الصنفان تأكيدا للأمر وهو قول أبي علي الجبائي وأليه ذهب أبو يوسف ومحمد فقالا فيمن قال ثلث مالي للفقراء والمساكين وفلان إن فلان نصف الثلث ونصفه الآخر للفقراء والمساكين لأنها صنف واحد والآخر وهو قول الأكثرين أنها صنفان وهو قول الشافعي وأبي حنيفة فإنه قال في المسألة المذكورة إن فلان ثلث الثلث وثلثي الثلث للفقراء والمساكين ثم اختلف هؤلاء على أقوال فقيل إن الفقير هو المتعفف الذي لا يسأل والمساكين الذي يسأل عن ابن عباس والحسن والزهري ومجاهد ذهبوا إلى أن المسكين مشتق من المسكنة بالمسألة وروى ذلك عن أبي جعفر (ع) وقيل إن الفقير الذي يسأل والمسكين الذي لا يسأل وجاء في الحديث ما يدل على ذلك فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال ليس المسكين الذي يرد الأكلة والأكلان والتمر والتمران ولكن المسكين الذي لا يجد غنيا فيغنيه ولا يسأل الناس شيئا ولا يفتن به فيتصدق عليه وقيل الفقير هو الزمن المحتاج والمسكين هو الصحيح المحتاج عن فتادة وقيل الفقراء المهاجرون والمساكين غير المهاجرين عن الضحاك وإبراهيم ثم اختلفوا من وجه آخر فقيل إن الفقير أسوأ حالا من المسكين فإن الفقير هو الذي لا شيء له والمسكين الذي له بلغة من العيش لا تكفيه وأليه ذهب الشافعي وابن الأنباري واحتجا

بقوله تعالى أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر وبأن الفقير مشتق من قفار الظهر فكأن الحاجة قد كسرت قفار ظهره وقيل ان المسكين اسوأ حالا من الفقير فإن الفقير الذي له بلغة من العيش والمسكين الذي لا شيء له وهو قول ابي حنيفة والقتبي وابن دريد وأئمة اللغة واتشد يونس

أما الفقير الذي كانت حلوبته وفق العيال فلم يترك له سبد فساه فقيراً وجعل له حلوبة وأجابوا عن السفينة بأنها كانت مشتركة بين جماعة ولكل واحد منهم الشيء اليسير وايضا فإنه يجوز ان يكون سامم مسكين على وجه الرحمة كما جاء في الحديث مساكين أهل النار وقال الشاعر

مساكين أهل الحب حتى قبورهم عليها تراب الذل بين المقابر

وقيل انهم كانوا يعملون عليها اجارة فأضيف اليهم (والعاملين عليها) يعني سعاة الزكاة وجباةها (والمؤلفة قلوبهم) وكان هؤلاء قوما من الأشراف في زمن النبي ﷺ وكان يعطيهم سهام من الزكاة ليتألفهم به على الإسلام ويستعين بهم على قتال العدو ثم اختلف في هذا السهم هل هو ثابت بعد النبي ام لا قيل هو ثابت في كل زمان عن الشافعي واختاره الجبائي وهو المروي عن ابي جعفر (ع) إلا انه قال من شرطه ان يكون هناك إمام عادل يتألفهم على ذلك به وقيل ان ذلك كان خاصا على عهد رسول الله ﷺ ثم سقط بعده لأن الله سبحانه أعز الإسلام وقهر الشرك عن الحسن والشعبي وهو قول ابي حنيفة واصحابه (وفي الرقاب) يعني في فك الرقاب من العتق وأراد به المكاتبين واجاز اصحابنا ان يشتري منه عبد مؤمن اذا كان في شدة ويعتق ويكون ولاؤه لأرباب الزكاة وهو قول ابن عباس والحسن ومالك (والفارين) وهم الذين ركبهم الدهون في غير معصية ولا اسراف يقضي عنهم الديون (وفي سبيل الله) وهو الجهاد بلا خلاف ويدخل فيه عند اصحابنا جميع مصالح المسلمين وهو قول ابن عمر وعطاء وهو اختيار البخاري وجعفر بن مبشر قالوا يني منه المساجد والقناطر وغير ذلك (وابن السبيل) وهو المسافر المقطع به يعطى من الزكاة وان كان غنيا في بلده ذا يسار وانما سمي ابن السبيل للزومه الطريق فنسب اليه كما قال الشاعر

انا ابن الحرب ربتي وليدا إلى ان شبت واكتهمت لداتي

وقيل هو الضيف عن قتادة (فريضة من الله) اي مقدرة واجبة قدرها الله وحتها (والله عليهم) بحاجة خلقه (حكيم) فيما فرض عليهم ووجب من اخراج الصدقات وغير ذلك

قوله تعالى (٦١) وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أذُنٌ قُلُّ أذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَهُوَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٢) بِحَلْفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٦٣) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ (ثلاث آيات)

* القراءة *

قرأ عاصم في رواية الاعمش والبرجمي عن ابي بكر قل اذن خير لكم بالضم والتنوين فيها وهو قراءة الحسن وقنادة وعيسى بن عمر وغيرهم وقرأ الباقون اذن خير لكم بالاضافة وقرأ نافع اذن خير ساكنة الذال في كل القرآن وقرأ حمزة وحده ورحمة للذين آمنوا بالجر والباقون ورحمة بالرفع

* الحجة *

قال ابو علي اذن في الآية اذا خففت او ثقلت فإنه يجوز ان يطلق على الجملة وان كانت عبارة عن جارحة منها كما قال الخليل في التاج من الابل انه سميت به لمكان التاج البازل فسميت الجملة كلها به وقالوا للرئيس هو عين القوم والريثة هو عينهم ويجوز فيه شي آخر وهو ان الاسم يجري عليه كالوصف له لوجود معنى ذلك الاسم فيه كقول جرير

تبدو فتبدي جمالا زانه خفر
فأجرى المناكب وصفا عليهن يريد انهن من الحفارة والدمامة كالعناكب وقال آخر

فلولا الله والمهر المفدى
لأنت وانت غريبال الاهداب

فجعله غريبالا لكثرة الخروق فيه من آثار الطعن وكذلك قوله هو اذن اجري على الجملة اسم الجارحة لما أراد به من كثرة استعماله لها في الإصغاء بها ويجوز ان يكون فعلا من اذن بأذن اذا اذا استمع ومنه قوله تعالى وأذنت لربها اي استمعت وقوله ائذن لي اي استمع لي وفي الحديث ما أذن الله لشيء كأذنه لنبي ينقضي بالقرآن فعلى هذا يكون معناه انه كثير الاستماع مثل أنف وسجح قال ابو زيد رجل أذن اذا كان يصدق بكل ما يسمع وقوله اذن خير لكم بالاضافة وهو الاكثر في القراءة فمعناه انه اذن خير اي مستمع خير وصلاح لكم ومصغ اليه لا مستمع شر وفساد ومن قرأ اذن خير لكم قال الزجاج معناه من يستمع منكم فيكون قريبا منكم قابلا للعدر خير لكم قال ابو علي ومن رفع ورحمة كان المعنى هو اذن خير لكم ورحمة جعله الرحمة لكثرة هذا المعنى فيه وعلى هذا وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين ويجوز ان يقدر حذف المضاف من المصدر واما الجر في رحمة فعلى العطف على خير كأنه اذن خير ورحمة فإن قلت فيكون اذن رحمة فإن هذا لا يمنع لأن الاذن في معنى مستمع في الأقوال الثلاثة التي تقدمت فكأنه مستمع رحمة فجاز هذا كما جاز مستمع خير الا ترى ان الرحمة من الخير فان قلت فعلا استغنى بشمول الخير للرحمة وغيره عن تقدير عطف الرحمة عليه فالقول فيه ان ذلك لا يمنع كما لا يمنع اقر باسم ربك الذي خلق ثم خص فقال خلق الإنسان وان كان قوله خلق يعم الإنسان وغيره فكذلك الرحمة إذا كانت من الخير لم يمنع ان تعطف فنخصص الرحمة بالذكر من ضروب الخير لغلبة من ذلك في وصفه وكثرته كما خصص الإنسان بالذكر وان كان الخلق قد عمه وغيره والبعد بين الجار وما عطف عليه لا يمنع من العطف الا ترى ان من قرأ وقيله يارب انما يحمله على وعنده علم الساعة وعلم قبله

* التمة *

الفرق بين الاحق والاصح ان الاحق قد يكون من غير صفات الفعل كقولك زيد احق بالمال والاصح لا يقع هذا الموضع لأنه من صفات الفعل وتقول الله احق بأن يطاع ولا تقول اصلح والمحادثة مجاوزة الحد بالمشاققة وهي المخالفة والمجانبة والمعاداة نظائر واصله المنع والمحادثة ما يعتري الإنسان من

الزرق لأنه يمنعه من الواجب والخزي المهوان وما يستحى منه

✽ الاعراب ✽

اذن خير خبر مبتدأ محذوف ومن لم يصف جعل خبراً صفة لا اذن واللام في قوله يؤمن للمؤمنين على حد اللام في قوله ردف لكم أو على المعنى لأن معنى يؤمن يصدق فعدي باللام كما عدى مصدقاً به في نحو قوله مصدقاً لما بين يديه وقيل انما دخلت اللام للفرق بين إيمان التصديق وإيمان الامان قوله فإن له نار جهنم يحتمل ان يكون العامل في ان احداً أمرين اما ان يكون على تقدير حذف الجار على معنى فلان له نار جهنم أو فبان له نار جهنم واما ان يكون اعاد ان الاولى على التكرير للتوكيد بسبب طول الكلام عن الزجاج وأقول ان هذا على مذهب ابي الحسن وابي علي الفارسي يرتفع قوله ان له نار جهنم بظرف مضر محذوف من هذا الموضع لفعل الكلام وتقديره فله ان له نار جهنم والمعنى فله وجوب نار جهنم ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف والتقدير فأمره أو شأنه ان له نار جهنم ولا يجوز ان يرتفع بفعل مضر لأن الفعل لا يقع بعد الفاء في جواب الشرط وانما يدخل الفاء في جواب الشرط إذا كان مبتدأ أو خبراً أو جملة فعلية غير خبرية نحو قوله فتولي اني نذرت هذا مذهب سيويه قال الزجاج ولو قرى فإن له بكسر الهمزة على وجه الاستئناف لكان جائزاً فيكون كقولك فله نار جهنم غير انه لم يقرأ به أحد

✽ النزول ✽

قيل نزلت في جماعة من المنافقين منهم الجللاس بن سويد وشاس بن قيس وعشى بن حمير ورفاعة بن عبد المنذر وغيرهم قالوا ما لا ينبغي فقال رجل منهم لا تفعلوا فإننا نخاف ان يبلغ محمداً ما تقولون فيوقع بنا فقال الجللاس بل نقول ما شئنا ثم تأتيه فيصدقنا بما نقول فإن محمد اذن سامعة فأنزل الله الآية وقيل نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحرث وكان رجلاً ادم احمر العينين اسفح الخدين مشوه الخلق وكان يتم حديث النبي ﷺ إلى المنافقين فقبل له لا تفعل فقال انما محمد اذن من حديثه شيئاً صدقه تقول ما شئنا ثم تأتيه وتخلف له فيصدقنا وهو الذي قال فيه النبي ﷺ من اراد ان ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل بن الحرث عن محمد بن اسحاق وغيره وقوله يحلفون بالله لكم ليرضوكم الآية قيل انها نزلت في رهط من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك فلما رجع رسول الله ﷺ من تبوك اتوا المؤمنين يعتذرون اليهم من تخلفهم ويعتلون ويحلفون فنزلت الآية عن مقاتل والكلبي وقيل في جللاس بن سويد وغيره من المنافقين قالوا لئن كان ما يقول محمد حقاً فنحن شر من الخير وكان عندهم غلام من الأنصار يقال له عامر ابن قيس فقال والله انما يقول محمد حق وانتم شر من الخير ثم أتى النبي ﷺ فأخبره فدعاهم فسألهم فحلفوا ان عامراً كذاب فنزلت الآية عن قتادة والسدي

✽ المعنى ✽

ثم رجع سبحانه إلى ذكر المنافقين فقال (ومنهم) أي ومن هؤلاء المنافقين (الذين يؤذون النبي) والأذى قد يرد بالفعل وقد يكون بالقول وهو هنا بالقول (ويقولون هو اذن) معناه انه يستمع الى ما يقال له ويصني اليه ويقبله (قل) يا محمد (اذن خير لكم) اي هو اذن خير يستمع إلى ما هو خير لكم وهو الوحي وقيل معناه هو يسمع الخير ويعمل به ومن قرأ اذن خير لكم فمعناه قل كونه اذناً أصليح لكم لأنه

يقبل عذركم ويستمع اليكم ولو لم يقبل عذركم لكان شرا لكم فكيف تعيونه بما هو خير لكم وأصلح (يومن بالله ويؤمن للمؤمنين) معناه انه لا يضره كونه اذنا فانه اذن خير فلا يقبل إلا الخبر الصادق من الله ويصدق المؤمنين ايضا فيما يخبرونه ويقبل منهم دون المنافقين عن ابن عباس فأيمانه للمؤمنين تصديقه لهم على هذا القول وقيل يومن للمؤمنين اي يؤمنهم فيما يلقي اليهم من الأمان ولا يؤمن للمنافقين بل يكونون على خوف وان حلفوا (ورحمة للذين آمنوا منكم) أي وهو رحمة لهم لأنهم إنما نالوا الايمان بهدائه ودعائه ايهم (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب البعد) في الآخرة (يخلفون بالله لكم ليرضوكم) اخبر سبحانه ان هؤلاء المنافقين يسمون بالله ان الذبيبة بلعكم عنهم باطل اعتذارا اليكم وطلبوا ليرضوكم (والله ورسوله أحق ان يرضوه) اي والله ورسوله أحق وأولى بأن يطلبوا مرضاتهم (ان كانوا مؤمنين ام صدقين بالله مقرين بنبوته نبيه محمد ﷺ وتقديره والله أحق ان يرضوه ورسوله أحق ان يرضوه فحذف للتخفيف ولدلالة الكلام عليه كما قال الشاعر

نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأي مختلف

والمعنى نحن بما عندنا راضون وانت بما عندك راض ثم قال سبحانه على وجه التفریع والتوبيخ لهؤلاء المنافقين (ألم يعلموا) أي وما يعلموا (انه من يحادد الله ورسوله) أي من تجاوز حدود الله التي أمر المكلفين ألا يتجاوزوها وإنما قال ألم يعلموا لمن لا يعلم على وجه الاستبطاء لهم والتخلف عن عمله أي هلا علموا بعد ان مكثوا من عمله وقيل هو امر بالعلم اي يجب ان يعلموا بهذا الخبر والدلائل وقيل معناه ألم يخبرهم النبي ﷺ بذلك عن الجبائي (فإن له نار جهنم خالدا فيها) أي دائما (ذلك الخزي) أي الهوان والذل (العظيم)

قوله تعالى (٦٤) يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا إن الله مخرج ما تحذرون (٦٥) ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أيا نؤذي آباءه ورسوله كنتم تستهزؤون (٦٦) لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين ثلاث آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ عاصم ان نعف ونعذب فيها بالنون طائفة بالنصب وقرأ الباقون ان يعف بالياء وضما وفتح الفاء نذب بالياء وضما طائفة بالرفع

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي حجة من قرأ ان نعف قوله ثم عفونا عنكم ومن قرأ ان يعف فالمعنى معنى نعف وامانعذب بالياء فلان الفعل في اللفظ مسند الى موث ظاهر

﴿ اللفظة ﴾

الحذر اعداد ما ينفي الضرر ورجل حذر متيقظ متحيز ورجل حذر بان كثير الحذر شديد الفزع والمنافق الذي يظهر من الايمان خلاف ما يبطنه من الكفر مشتق من ناقا البربوع لأنه يخفي بابا ويظهر بابا ليكون اذا

اتي من احدهما خرج من الآخر والخوض دخول القدم فيما كان مانعا من الماء والطين ثم كثر حتى استعمل في غيره واللعب فعل ما فيه سقوط المنزلة لتمجيد اللذة كفعل الصبي ولذلك قالوا ملاعب الاسنة اي انه لشجاعته يقدم على الاسنة كفعل الصبي الذي لا يفكر في عاقبة امره والاعتذار اظهار ما يقتضي العذر والاجرام الاتقطاع عن الحق إلى الباطل يقال جرم الثمر إذا صرمه وتجرمت السنة تصرمت

﴿ التزول ﴾

قبل نزلت في اثني عشر رجلا وقفوا على العقبة ليفتكموا برسول الله ﷺ عند رجوعه من تبوك فأخبر جبريل رسول الله ﷺ بذلك وامره ان يرسل اليهم ويضرب وجوه رواحلهم وعمار كان يقود دابة رسول الله ﷺ وحذيفة يسوقها فقال لحذيفة اضرب وجوه رواحلهم فضربها حتى نحام فلما نزل قال لحذيفة من عرفت من القوم قال لم اعرف منهم احدا فقال رسول الله ﷺ انه فلان وفلان حتى عدتهم كلهم فقال حذيفة ألا تبعث اليهم فقتلهم فقال اكره ان تقول العرب لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم عن ابن كيسان وروي عن ابي جعفر الباقر (ع) مثله الا انه قال انتمروا بينهم ليقتلوه وقال بعضهم لبعض ان فطن تقول انا كنا نخوض ونلعب وان لم يظن قتله وقيل ان جماعة من المنافقين قالوا في غزوة تبوك يظن هذا الرجل ان يفتح قصور الشام وحصونها هيات هيات فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك فقال اجسوا علي الركب فدعاهم فقال لهم قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله انما كنا نخوض ونلعب وحلفوا على ذلك فنزلت الآية ولئن سألتهم ليقولن «اللعن» عن الحسن وقناة وقيل كان ذلك عند منصرفه من غزوة تبوك إلى المدينة وكان بين يديه أربعة نفر او ثلاثة يستهزئون ويضحكون واحدم يضحك ولا يتكلم فنزل جبريل واخبر رسول الله ﷺ بذلك فدعا عمار بن ياسر وقال ان هؤلاء يستهزئون بي وبالقرآن اخبرني جبرائيل بذلك ولئن سألتهم ليقولن كنا نتحدث بمحدث الركب فاتبعهم عمار وقال لهم مم تضحكون قالوا نتحدث بمحدث الركب فقال عمار صدق الله ورسوله احترقتم احرقكم الله فأقبلوا إلى النبي ﷺ يتذرون فأنزل الله تعالى الآيات عن الكبي وعلي بن ابراهيم وابي حمزة وقيل ان رجلا قال في غزوة تبوك ما رأيت اكذب لسانا ولا اجبن عند اللقاء من هؤلاء يعني رسول الله ﷺ واصحابه فقال له عوف بن مالك كذبت ولكنك منافق واراد ان يخبر رسول الله ﷺ بذلك فجاء وقد سبقه الوحي فجاء الرجل معتذرا وقال انما كنا نخوض ونلعب فغضب نزلت الآية عن ابن عمر وزيد بن اسلم ومحمد بن كعب وقيل ان رجلا من المنافقين قال يحدثنا محمد ان ناقة فلان بوادي كذا وكذا وما يدريه ما النيب فنزلت الآية عن مجاهد وقيل نزلت في عبد الله بن ابي ورهطه عن الضحاك

﴿ المعنى ﴾

ثم أخبر سبحانه عنهم فقال (يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم) فيه قولان ﴿ احدهما ﴾ انه اخبار بانهم يخافون ان يفشوا سرايرهم ويحذرون ذلك عن الحسن ومجاهد والجبائي واكثر المفسرين والمعنى انه يحذرون من ان ينزل الله عليهم اي على النبي والمؤمنين سورة تخبر عما في قلوبهم من النفاق والشرك وقد قيل ان ذلك الحذر انما اظهره على وجه الاستهزاء لا على سبيل التصديق لانهم حين رأوا رسول الله ﷺ ينطق في كل شيء عن الوحي قال بعضهم لبعض أحمذوا ألا ينزل

وحي فيكم يتناجون بذلك ويضحكون عن ابي مسلم وقيل انهم كانوا يخافون ان يكون عليه السلام صادقا فينزل عليه الوحي فيفتضحون عن الجبائي وقيل انهم كانوا يقولون القول فيما بينهم ثم يقولون عسى الله ان لا يفشي علينا سرا عن مجاهد * والثاني * ان هذا اللفظ لفظه الخبر ومعناه الامر فهو كقولك ليحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تحبرهم بما في قلوبهم من النفاق وحسن ذلك لان موضع الكلام على التهديد (قل استهزوا) معناه قل يا محمد لهؤلاء المنافقين استهزوا اي اطلبوا الهزء وهو وعيد بلفظ الامر (ان الله مخرج ما تحذرون) اي مظهر ما تحذرون من ظهوره والمعنى ان الله يبين لتبنيه باطن حالكم ونفاقكم (ولئن سألتهم عن طعنهم في الدين واستهزائهم بالنبي ﷺ وبالمسلمين) ليقولن انما كنا نخوض ونلب (واللام للتأكيد والقسم ومعناه لقالوا كنا نخوض خوض الركب في الطريق لا على طريق الجد ولكن على طريق اللعب والهوى فكان عذرم اشد من جرمهم (قل) يا محمد (ابالله وآياته) ابي حججه وبيانه وكتابه (ورسوله) محمد ﷺ (كنتم تستهزون) ثم امر الله سبحانه نبيه ﷺ ان يقول لهؤلاء المنافقين (لا تعذروا) بالمعاذير الكاذبة (قد كفرتم بعد ايمانكم) اي فانكم بما فعلتموه قد كفرتم بعد ان كنتم مظهرين الايمان الذي يحكم لمن اظهره بأنه مؤمن ولا يجوز ان يكونوا مؤمنين على الحقيقة مستحقين للثواب ثم يرتدون على ما تقرر بالدليل وذكر في غير هذا الموضع ان المؤمن لا يجوز ان يكفر (ان نف عن طائفة منكم تعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين) اي كافرين مصرين على النفاق هذا اخبار منه سبحانه انه ان عفا عن قوم منهم اذا تابوا يعذب طائفة اخرى لم يتوبوا واقاموا على النفاق والطائفة اسم للجماعة على الحقيقة لانه اسم لما يطيف بغيره ويحيط به وقد سمي الواحد طائفة على معنى انها نفس طائفة وقد ورد القرآن بذلك في قوله وليشهد عذابها طائفة من المؤمنين فقد ورد في الآثار عن ائمتنا (ع) ان اقل من يحذر عذابها واحد من المؤمنين فصاعد وروي ان هاتين الطائفتين كانوا ثلاثة نفر هذا اثنان وضحك واحد وهو الذي تاب من نفاقه واسمه مخشى بن حبر فمعا الله عنه

قوله تعالى (٦٧) الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦٨) وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ لِكُلِّمْ عَذَابٌ مُّهِيمٌ (٦٩) كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَائِقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَائِقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَائِقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٧٠) أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَنْتُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ أربع آيات

* اللفظة *

الاستمتاع طلب المتعة وهي فعل ما فيه اللذة من المأكل والمشرب والمناكح والخلاف النصيب سوا

كان عاجلاً أو آجلاً وقال الزجاج النصيب الذي هو عند صاحبه وافر الحظ والمؤمنفكات جمع مؤنفةكة قد اتفكت بهم الأرض أي انقلبت

— الإعراب —

موضع الكف من قوله كالذين من قبلكم نصب أي وعدكم الله على الكفر به كما وعد الذين من قبلكم والكاف في قوله كما استمتع وكالذين خاضوا نصب بأنه صفة لمصدر محذوف وتقديره استمتعتم استمتاعاً مثل استمتعتم وخضتم خوضاً مثل خوضهم قال جامع العلوم النحوي البصير كالذي خاضوا تقديره على قياس قول سيويه كالذي خاضوا فيه فحذف في فصار كالذي خاضوه ثم حذف الماء وهو على قول بونس والاختف الذي مصدره والتقدير كالخوض الذي خاضوا فيه ومثل هذا اختلافهم في قوله ذلك الذي يبشر الله عباده على قول سيويه تقديره يبشر الله به على قول بونس والاختف ذلك تبشيراً لله عباده

— المعنى —

ثم ذكر سبحانه أحوال أهل النفاق فقال (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) أي بعضهم من جملة بعض وبعضهم مضاف إلى بعض في الاجتماع على النفاق والشرك كما تقول أنا من فلان وفلان مني أي امرنا واحد وكلمتنا واحدة وقيل معناه بعضهم على دين بعض عن الكلبي وقيل بعضهم من بعض على لحوق مقت الله بهم جميعاً عن أبي مسلم (يأمرون بالمنكر) أي بالشرك والمعاصي (وينهون عن المعروف) أي عن الأفعال الحسنة التي أمر الله بها وحث عليها (ويقبضون أيديهم) أي يمسكون أموالهم عن انفاقها في طاعة الله ومرضاته عن الحسن وقتادة وقيل معناه يمسكون أيديهم عن الجهاد في سبيل الله عن الجبائي (نسوا الله فسيهم) أي تركوا طاعته فتركهم في النار وترك رحمتهم وأثابتهم عن الأصم وقيل معناه جعلوا الله كالنسي حيث لم يتفكروا في أن لهم صنائماً يشبههم ويعاقبهم ليمنعهم ذلك عن الكفر والأفعال القبيحة فجعلهم سبحانه في حكم المنسي عن الثواب وذكر ذلك لآزدواج الكلام لأن النسيان لا يجوز عليه تعالى (إن المنافقين هم الفاسقون) أي الخارجون عن الإيمان بالله ورسوله وعن طاعته وقيل الفاسقون المترددون في الشرك (وعند الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم) أخبر سبحانه أنه وعد الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر النار وكذلك الكفار وإنما فصل النفاق من الكفر وإن كان النفاق كفراً ليعين الوعيد على كل واحد من الصنفين (خالدين فيها) أي دائمين فيها (هي جهنم) معناه نار جهنم والعقاب فيها كفاية ذنوبهم كما يقول عذبتك حسب ما فعلت وحسب فلان ما نزل به أي ذلك على قدر فعله (ولعنهم الله) أي أبعدهم من جنته وخيره (ولهم عذاب مقيم) أي دائم لا يزول (كالذين من قبلكم) أي وعدكم الله على النفاق والاستهزاء كما وعد الذين من قبلكم من الكفار الذين فعلوا مثل فعلكم عن الزجاج والجبائي وقيل معناه فعلكم كفعل الذين من قبلكم من كفار الأمم الخالية (كانوا أشد منكم قوة) في أبدانهم (وأكثر أموالاً وأولاداً) فلم ينفعهم ذلك شيئاً وحل بهم عذاب الله تعالى (فاستمعوا بحلقتهم) أي بصيبيهم وحظهم من الدنيا بأن صرفوها في شهواتهم المحرمة عليهم وفيها نهاهم الله عنه ثم اهلكوا (فاستمعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بحلقتهم) أي فاستمتعتم أنتم أيضاً بحلقتكم في الدنيا كما استمتعوا هم (وخضتم كالذي خاضوا) أي وخضتم في الكفر والاستهزاء بالمؤمنين كما خاض الأولون (أو تلك الذين حبطت أعمالهم) التي تقع

طاعة من المؤمنين مثل الاتفاق في وجوه الخير وصلة الرحم وغيرها (في الدنيا والآخرة) إذ لم يستحقوا عليها ثوابا في الآخرة ولا تعظيما وتجيلا في الدنيا لكفرهم وشر كهم (وأو آتاك هم الخاسرون) خسروا انفسهم وأهلكوها بفعل المعاصي المؤدية إلى الهلاك ووردت الرواية عن ابن عباس انه قال في هذه الآية ما شبه الليلة بالبارحة كالذين من قبلكم هولا بنو اسرائيل شبهنا بهما لا اعلم إلا انه قال والسذي نفسي بيده لتبعنهم حتى لو دخل الرجل منهم حجر ضرب لدخلتموه وروى مثل ذلك عن ابي هريرة عن ابي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال لتأخذن كما اخذت الامم من قبلكم ذراعا بذراع وشبرا بشبر وباعا باع حتى لو أن احدا من اولئك دخل حجر ضرب لدخلتموه قالوا يارسول الله كما صنعت فارس والروم واهل الكتاب قال فهل الناس الا هم وقال مبد الله بن مسعود انتم اشبه الامم ببني اسرائيل ستما وهديا تتبعون معاهم حذو القذة بالقذة غير اني لا ادري اتعبدون المعجل ام لا وقال حذيفة المناقرون الذين فيكم اليوم شر من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ قلنا وكيف قال اولئك كانوا يخفون نفاقهم وهولا اعلنوه اورد ذلك جميعا الثعالب في تفسيره ثم قال سبحانه (ألم يأتهم) اي ألم يأت نفاقهم (نبا الذين من قبلهم) اي خبر من كان قبلهم (قوم نوح وعاد وثمود وقرى ابراهيم واصحاب مدين) ذكر سبحانه الامم الماضية والقرون السالفة وانه سبحانه اهلكها ودمر عليها لتكذيبها رسالها لتلا يامنوا ان يتزل بهم مثل ما نزل باولئك فاهلك سبحانه قوم نوح بالغرق وعادا قوم هود بالريح الصرصر وثمود قوم صالح بالرجفة وقوم ابراهيم بساب النعمة وهلاك ثمود واصحاب مدين وهي البادية التي فيها قوم شعيب بمذاب يوم الظلة وقيل ان مدين اسم نسبت البلد اليه وقدم ذكره (والموتفكات) اي المنقلبات وهي ثلاث قرى كان فيها قوم لوط ولذلك جمعها بالالف واثنا عن الحسن وقتادة وقال في موضع آخر والموتفكة اهوى فجا بها على طريق الجنس اهلكهم الله بالحسف وقلب المدينة عليهم (اتهم رسالهم بالبينات) اي بالحجج والمعجزات (فما كان الله ليظلمهم) اي ما يظلمهم الله باهلاكهم (واكن كانوا انفسهم يظلمون) أي ولكن عاقبهم باستحقاق إذ كذبوا رسل الله كما فعلتم فاهلكهم بكفرهم وعصيانهم

قوله تعالى (٧١) وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧٢) وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٧٣) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلظْ عَلَيْهِمْ وَمَا أُوَاهِمُ جَهَنَّمَ وَيَسُورُ الْمَصِيرُ

ثلاث آيات

﴿ اللفة ﴾

المدن والاقامة والخلود نظائر ومنه المعدن قال الاعشى

فإن يستضيفوا إلى حكمة يضافوا إلى راجح قد عدن

والرضوان مصدر رضي يرضى رضي ورضوانا والجهاد ممارسة الأمر الشاق واصله من الجهد

﴿ المعنى ﴾

لما ذكر الله تعالى المنافقين ووصفهم بقبيح خصالهم اقتضت الحكمة ان يذكر المؤمنين ويصفهم بضد اوصافهم

ليتصل الكلام بما قبله اتصال النقيض بالنقيض فقال (والمرءون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض) اي بعضهم انصار بعض يلزم كل واحد منهم نصرة صاحبه ومولاته حتى ان المرأة تهي اسباب السفر لزوجها اذا خرج وتحفظ غيبة زوجها وهم يد واحدة على من سواهم (يأمرون بالمعروف) وهو ما اوجب الله فعله او رغب فيه عقلا او شرعا (وينهون عن المنكر) وهو ما نهى الله عن فعله وزهد فيه عقلا او شرعا (ويقومون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله) اي يداومون على فعل الصلاة واخراج الزكاة من اموالهم ووضعها حيث امر الله تعالى بوضعها فيه ويمثلون طاعة الله ورسوله ويتبعون اذاداتها ورضاهها (او تلك سيرتهم الله) اي الذين هذه صفتهم يرحمهم الله (في الآخرة إن الله عزيز حكيم) أي قادر على الرحمة والمذاب واضع كل واحد منهما موضعه وفي الآية دلالة على ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الأيمان لانه جعلها من صفات جميع المؤمنين ولم يخص قوما منهم دون قوم (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار) اي من تحت أشجارها الأنهار والماء فيها (خالدن فيها ومساكن طيبة) يطيب العيش فيها بناها الله تعالى من اللآلئ والياقوت الأحمر والزرجد الأخضر لا اذى فيها ولا نصب ولا نصب عن الحسن (في جنات عدن) اي في جنات اقامة وخلد وقيل هي بطنان الجنة اي وسطها عن ابن مسعود وقيل هي مدينة في الجنة وفيها الرسل والانبياء والشهداء وأمة الهدى والناس حولهم والجنان حولها عن الضحاك وقيل إن عدنا اعلى درجة في الجنة وفيها عين التسنيم والجنان حولها محذقة بها وهي مغطاة من يوم خلقها الله عز وجل حتى يتزلها أهلها الانبياء والصديقون والشهداء والصالحون ومن شاء الله وفيها قصور الدر والياقوت والذهب قهقريه طيبة من تحت العرش فتدخل عليهم كسبان المسك الأبيض عن مقاتل والكلبي وروي عن النبي ﷺ انه قال عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيين والصديقين والشهداء يقول الله عز وجل طوبى لمن دخلك (ورضوان من الله اكبر) رفع على الابتداء اي ورضا الله تعالى عنهم اكبر من ذلك كله قال الجبائي إنا صار الرضوان اكبر من الثواب لانه لا يوجد شيء منه إلا بالرضوان وهو الداعي اليه الموجب له وقال الحسن لأن ما يصل إلى القلب من السرور برضوان الله اكبر من جميع ذلك وإنما رفع رضوان لأنه استأنفه للتعظيم كما يقول القائل اعطيتك ووصلتك ثم يقول وحسن رأيي فيك ورضائي عنك خير من جميع ذلك (ذلك هو الفوز العظيم) أي ذلك النعيم الذي وصفت هو النجاح العظيم الذي لا شيء اعظم منه ثم امر سبحانه بالجهاد فقال (يا أيها النبي جاهد الكفار) بالسيف والقتال (والمنافقين) واختلافوا في كيفية جهاد المنافقين فليل ان جاهدهم باللسان والوعظ والتخويف عن الجبائي وقيل جاهدهم باقامة الحدود عليهم وكان نصيبهم من الحدود اكثر وقيل هو بالانواع الثلاثة بحسب الامكان يريد باليد فان لم يستطع فباللسان فان لم يستطع فبالقلب فان لم يقدر فليكفر في وجوههم عن ابن مسعود وروي في قراءة أهل البيت جاهد الكفار بالمنافقين قالوا لأن النبي ﷺ لم يكن يقاتل المنافقين وإنما كان يتألفهم لأن المنافقين لا يظهرون الكفر وعلم الله تعالى بكفرهم لا يبيح قتلهم إذا كانوا يظهرون الايمان (واغلف عليهم) ومعناه واسمهم الكلام النليظ الشديد ولا ترق عليهم (وماأراهم جهنم) اي متزلهم ومقامهم ومسكنهم جهنم يريد ماوى الفريقين (وبنس المصير) اي بنس المرجع والمأوى

قوله تعالى (٧٤) يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَعَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ تَوْبُوا يَكْ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يَمْذَبْهُمْ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (آية)

﴿ اللفظة ﴾

الهم مقارنة الفعل بتقليبه في النفس تقول هم بالشيء بهم هم وليس الهم من العزم في شيء إلا ان يبلغ نهاية القوة في النفس والليل لحوق الأمر يقال نال ما اشتهى او غنى اي ادركه ونقم منه شيئا اي انكر قال ما نقموا من بني امية إلا انهم يحملون ان غضبوا والفضل الزيادة في الخير على مقدار ما وأما التفضل فهو الزيادة من الخير الذي كان للقادر عليه ان يفعله وان لا يفعله

﴿ النزول ﴾

اختلف في من نزلت فيه هذه الآية فقيل ان رسول الله ﷺ كان جالسا في ظل شجرة فقال انه سيأتيكم إنسان فينظر اليكم بعيني الشيطان فلم يلبثوا ان طلع رجل ازرق فدعاه رسول الله ﷺ فقال علام تشتمني أنت واصحابك فانطلق الرجل فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما قالوا فأنزل الله هذه الآية عن ابن عباس وقيل خرج المنافقون مع رسول الله ﷺ إلى تبوك فكثروا إذا خلا بعضهم ببعض سبوا رسول الله ﷺ واصحابه وطعنوا في الدين فنقل ذلك حذيفة إلى رسول الله ﷺ فقال لهم ما هذا الذي بلغني عنكم فحلفوا بالله ما قالوا شيئا من ذلك عن الضحاك وقيل نزلت في جلاس بن سويد بن الصامت وذلك ان رسول الله ﷺ خطب ذات يوم بتبوك وذكر المنافقين فسأهم رجسا وعابهم فقال الجلاس والله لئن كان محمد صادقا فيا يقول فنحن شر من الحخير فسمعه عامر بن قيس فقال أجل والله ان محمدا لصادق وانتم شر من الحخير فلما انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة أتاه عامر بن قيس فأخبره بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب يا رسول الله فأمرها رسول الله ﷺ ان يحلفا عند المنبر فقام الجلاس عند المنبر فحلف بالله ما قال ثم قام عامر فحلف بالله لقد قاله ثم قال اللهم أنزل على نبيك الصادق منا الصدق فقال رسول الله ﷺ والمؤمنون آمين فنزل جبرائيل (ع) قبل ان يتفرقا بهذه الآية حتى بلغ فلان يتوبوا بك خيرا لهم فقام الجلاس فقال يا رسول الله قد عرض علي التوبة صدق عامر بن قيس فيا قال لك لقد قلته وانا استغفرك الله وأتوب اليه فقبل رسول ﷺ ذلك منه عن الكلبي ومحمد بن اسحاق ومجاهد وقيل نزلت في عبد الله بن ابي بن سلول حين قال لئن رجعتا إلى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عن قتادة وقيل نزلت في اهل العقبة فلأنهم اتهموا في ان يتنالوا رسول الله ﷺ في عقبه عند مرجهم من تبوك وأرادوا ان يقطعوا انساع راحلته ثم ينخسروا به فأطلعه الله تعالى على ذلك وكان من جملة معجزاته لأنه لا يمكن معرفة مثل ذلك إلا بوحي من الله تعالى فسار رسول الله ﷺ في العقبة وعلم وحذيفة معه احدها يقود ناقته والاخر يسوقها وأمر الناس كلهم بسلوك بطن الوادي وكان الذين هموا بقتله اثني عشر رجلا او خمسة عشر رجلا على الخلاف فيه عرفهم رسول الله ﷺ وسأهم بأسمائهم واحدا واحدا عن الزجاج والواقدي والكلبي والقصة مشروحة في كتاب الواقدي وقال الباقر عليه السلام كانت ثمانية منهم من قريش وأربعة من العرب

﴿ المعنى ﴾

ثم اظهر سبحانه اسرار المنافقين فقال (يحلفون بالله ما قالوا) يعني انهم حلفوا كاذبين ما قالوا ما حكي عنهم ثم حقق عليهم ذلك واقسم سبحانه بأنهم قالوا ذلك لأن اللام في (لقد قالوا) لام القسم (وكلمة الكفر) كل كلمة فيها جحد لنعم الله تعالى وكانوا يطعنون في الإسلام (وكفروا بعد اسلامهم) اي بعد اظهار اسلامهم يعني ظهر كفرهم بعد ان كان باطنا (وهو ما لم ينالوا) قيل فيه ثلاثة اقوال ﴿ احدها ﴾ انهم هموا بقتل النبي ﷺ ليلة العقبة والتنفيذ بناقته عن الكلبي ومجاهد وغيرها ﴿ وثانيها ﴾ انهم هموا باخراج الرسول من المدينة فلم يبلغوا ذلك عن قتادة والسدي ﴿ وثالثها ﴾ انهم هموا بالفساد والتضريب بين اصحابه ولم ينالوا ذلك عن الجياني (وما نقموا إلا أن اغناهم الله ورسوله من فضله) معناه انهم عملوا بضد الواجب فجعلوا موضع شكر

النعمة ان تقموا وبيانهم تقموا فيما ليس بوضع للنعمة فإنه لم يكن للمسلمين ذنب يتقمنه منهم بل الله تعالى اباح لهم الغنائم وأغناهم بذلك فقابلوا النعمة بالكفران وكان من حقهم أن يقابلوها بالشكر وقد مر هذا المعنى عند قوله قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا الآية في سورة المائدة وإنما لم يقل من فضلها لأنه لا يجمع بين اسم الله واسم غيره في الكناية تعظيما لله ولذلك قال النبي ﷺ لمن سمعه يقول من أطاع الله ورسوله فقد اهتدى ومن عصاه فقد غوى بشىء خطيب القوم انت فقال كيف اقول يا رسول الله ﷺ قال قل ومن يعص الله ورسوله وهكذا القول في قوله سبحانه والله ورسوله أحق أن يرضوه وقيل إنما لم يقل من فضلها لأن فضل الله سبحانه منه وفضل رسول الله من فضل الله (فإن يتوبوا يك خيرا لهم) أي فإن يتب هؤلاء المنافقون ويرجعوا إلى الحق يكن ذلك خيرا لهم في الدنيا والآخرة فإنهم يتلون بذلك رضا الله ورسوله والجنة (وإن يتولوا) أي يعرضوا عن الرجوع إلى الحق وسلوك الطريق المستقيم (يعذبهم الله عذابا أليما) مؤثما (في الدنيا) بما يتولاهم من الحسرة والغم وسوء الذكر (وفي الآخرة) بعذاب النار (وما لهم في الأرض) أي ليس لهم في الأرض (من ولي) أي محب (ولا نصير) ينصرهم ويدفع عنهم عذاب الله

قوله تعالى (٧٥) وَمِنْهُمْ مَن عَاهَدَ اللَّهُ لَئِن آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٦) فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْاْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ (٧٧) فَأَعَقَبَهُمُ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (٧٨) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ

اربع آيات

اللغة

المأهدة هي أن تقول علي عهد الله لأفعلن كذا فإنه يكون بذلك قد عقد على نفسه وجوب ما ذكره لأن الله تعالى قد حكم بذلك وقدر وجوبه عليه في الشرع والبخل منع السائل لشدة الاعطاء. ثم صار في الشرع لمنع الواجب لأن من منع الزكاة فهو بخيل قال الرماني لا يجوز أن يكون البخل منع الواجب لمشقة الاعطاء. كما قال زهير

إن البخل ملوم حيث كان وا
كفن الجواد على علاقته هرم

قال لأنه يلزم على ذلك ان يكون الجود هو بذل الواجب من غير مشقة الاعطاء. وكان من قضى ديننا عليه يكون جوادا لأنه أدى الواجب من غير مشقة وإنما قال زهير ما قاله لأن البخل صفة نقص قال ومن منع مالا يضره بذله ولا ينفعه منعه مما تدعو اليه الحكمة فهو بخيل لأنه لا يقع المنع على هذه الصفة إلا لشدة في النفس وإن لم يرجع إلى ضراذ الشدة من غير ضرر معقولة كما يصفون الجورة بأنها لثيمة لاجل الشدة وأعبه وأورثه واداه نظاير وقد يكون اعقبه بمعنى جازاه قال النابغة

فمن أطاع فأعقبه بطاعته

ومن عصاك فعاقبه معاقبة

والنجوى الكلام الخفي يقال ناجيته وتناجوا وانتجوا وفلان نجى فلان والجمع أنجية قال

إني إذا ما القوم كانوا أنجية

واضطرب القوم اضطراب الأرشية

وأصله من النجوى وهو البعد كأن المتناجين قد تباعدوا من غيرهما وقيل هو من النجوة أي المكان المرتفع

الذي لا يصل إليه السيل فكانها رجما حديثها إلى حيث لا يصل إليه غيرها

﴿ الاعراب ﴾

معنى لما معنى إذا لأن لما الغائب عليها الجزاء وهي اسم يقع في جواب متى يقال متى كان كذا فيقول السامع لما كان كذا ولما ولولا يكونان لما مضي بخلاف ان وإذا فإنها لما يستقبل إلا ان لولا على تقدير نفي وجوب الثاني لانتفاء الأول ولما يدل على وقوع الثاني لوقوع الأول . فلما آتاهم من فضله المفعول الثاني محذوف تقديره فلما آتاهم ما تمنوه من فضله . لنصدقن أصله لنصدقن أدغمت التاء في الصاد
 — (النزول) —

قيل تزات في ثعلبة بن حاطب وكان من الانصار فقال للنبي ﷺ ادع الله أن يرزقني مالا فقال يا ثعلبة قليل تودى شكره خير من كثير لا تطيقه أما لك في رسول الله أسوة حسنة والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهابا وفضة لسارت تم آتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه فقال ﷺ اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ غنائمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتشقى عنها فنزل واديا من أوديتها ثم كثرت نموا حتى قباعد عن المدينة فاشتغل بذلك عن الجمعة والجماعة وبعث رسول الله ﷺ اليه المصدق ليأخذ الصدقة فأبى وبخل وقال ما هذه إلا أخت الجزية فقال رسول الله ﷺ يا وبيح ثعلبة يا وبيح ثعلبة وأنزل الله الآيات عن أبي أمامة الباهلي وروى ذلك مرفوعا وقيل ان ثعلبة أتى مجلسا من الانصار فأشهدهم فقال لئن آتاني الله من فضله تصدقت منه وآتيت كل ذي حق حقه ووصلت منه القرابة فابتلاه الله فمات ابن عم له فورثه مالا ولم يف با قال فنزلت عن ابن عباس وسعيد ابن جبير وقتادة وقيل تزات في ثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير وهما من بني عمرو بن عوف قالوا لئن رزقنا الله مالا لنصدقن فلما رزقها الله المال بخلوا به عن الحسن ومجاهد وقيل تزات في رجال من المنافقين نبتل بن الحارث وجد بن قيس وثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير عن الضحاك وقيل نزلت في حاطب بن ابي بلتمه كان له مال بالشام فأبطل على وجهه لذلك جهدا شديدا فحلف لئن آتاه الله ذلك المال ليصدقن فأتاه الله تعالى ذلك فلم يفعل من الكلبي

﴿ المعنى ﴾

ثم أخبر سبحانه عنهم فقال (ومنهم) اي من جملة المنافقين الذين تقدم ذكرهم (من عاهد الله لئن آتانا من فضله) اي لئن اعطانا من رزقه (لنصدقن) أي لنصدقن على الفقراء (ولنكونن من الصالحين) بانفاقه في طاعة الله وصلة الرحم ومواساة اهل الحاجة (فلما آتاهم من فضله) اي اعطاهم ما اقترحوه ورزقهم ما تمنوه من الأموال (بخلوا به) أي شحت نفوسهم عن الوفاء بالعهود ومنعوا حق الله منه (وتولوا) عن فعل ما أمرهم الله به (وهم معرضون) عن دين الله تعالى (فاعقبهم نفاقا في قلوبهم) اي فأورثهم بخلهم بما اوجبوا الله تعالى على انفسهم النفاق في قلوبهم وأداهم إلى ذلك عن الحسن كأنهم حصلوا على النفاق بسبب البخل وهذا كمن يقول لابنه اعقبك صحبة فلان ترك التعلم وقيل معناه اعقبهم الله بذلك حرمان التوبة كما حرم ابليس عن مجاهد وأراد بذلك أنه دلنا على انه لا يتوب كما دلنا من حال ابليس على انه لا يتوب لأنه سلب عنه قدرة التوبة (إلى يوم يلقونه) اي يلقون جزاء البخل فذكر البخل وأراد به جزاءه كقوله سبحانه اعاملهم كرماد اشتدت به الريح وعلى القول الثاني فعناه الى يوم يلقون الله اي اليوم الذي لا يملك فيه النفع والضرر الا الله تعالى وهذا اخبار من الله تعالى عن هؤلاء المنافقين انهم يموتون على النفاق وكان ذلك معجزة للنبي ﷺ لأنه خرج مخبره على وفق خبره (بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) بين

سبحانه ان هذا انما اصابهم بفعلهم السي وهو اخلافهم الوعد وكذبهم (الم يعلموا) اي ألم يعلم هؤلاء المناقون (ان الله يعلم سرهم) اي ما يخفون في انفسهم (ونحوهم) ما يتناجون به بينهم وهذا استفهام يراد به التوبيخ والمعنى انه يجب عليهم ان يعلموا ذلك (وان الله علام الغيوب) جمع غيب وهو كل ما غاب عن الاحساس ومعناه يعلم كل ما غاب عن العباد وعن ادراكهم من موجود او معدوم من كل وجه يصح ان يعلم منه لأن فعلا صيغة مبالغة وفي قوله فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الآية دلالة على ان بعض المعاصي قد يدعو الى بعض لأنهم لما تهاونوا باداء هذا الحق دعاهم ذلك الى الثبات على النفاق الى المات وكذلك يدعو بعض الطاعات الى بعض وعلى ذلك ترتيب الشرائع وفيه دلالة على ان الاخلاف والخبانة والكذب من اخلاق أهل النفاق وقد صح في الحديث عن النبي ﷺ انه قال للمنافق ثلاث علامات اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اثن من خان

قوله تعالى (٧٩) الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٨٠) أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ آياتان

— اللغة —

المطوع اصله المنطوع ادغمت التاء في الطاء لأنها من مخرجها والطاء افضل منها بالاستعلاء والاطباق والتطوع كل فعل يستحق المدح بفعله ولا يستحق الذم بتركه ونظيره النافلة والفضيلة والجهد والجهد بمعنى وهو الحمل على النفس بما يشق وقيل بينها فرق والجهد بالفتح في العمل وبالضم في القوت عن الشعبي وقيل الجهد بالفتح المشقة وبالضم الطاعة عن القتيبي

— الاعراب —

يجوز ان يكون موضع الذين يلزمون بأن يكون بدلا من الهاء والميم في قوله ومنهم من عاهد الله ويحتمل ان يكون رفعا على الابتداء وخبره سخر الله منهم وهذا اولى وقوله في الصدقات من صلة يلزمون ولا يكون من صلة المطوعين لأنه فصل بينها قوله من المؤمنين والذين لا يجدون عطف على الذين يلزمون

— المعنى —

ثم وصفهم الله بصفة أخرى (قال الذين يلزمون) اي يعيبون (المطوعين) المتطوعين بالصدقة (من المؤمنين) ويطنون عليهم في الصدقات (والذين لا يجدون الا جهدهم) اي ويعيبون الذين لا يجدون الا طاعتهم فيتصدقون بالقليل قيل اتاه عبد الرحمن بن عوف بصرة من دراهم تملأ الكف واتاه عليه بن زيد الحارثي بصاع من تمر وقال يا رسول الله عملت في النخل بصاعين فصاعتر كنته لاهلي وصاعا اقرضته ربي وجاء زيد بن اسلم بصدقة فقال معتب بن قشير وعبد الله بن نبتل ان عبد الرحمن رجل يحب الريا ويتبغي الذكرك بذلك وان الله غني عن الصاع من التمر فعاثوا المكثر بالرياء والمقل بالاقبال (فيسخرون منهم) أي فيستهزؤون منهم (سخر الله منهم) اي جازاهم جزاء سخريتهم حيث صاروا إلى النار (ولهم

عذاب اليم) اي موجع مؤلم وروي عن النبي ﷺ انه سئل فقبل يا رسول اي الصدقة افضل قال جهد المقل (استغفر لهم او لا تستغفر لهم) صيغته صيغة الأمر والمراد به المبالغة في الاياس من المغفرة بأنه لو طلبها طلب المأمور بها أو تركها ترك المنهي عنها لكان ذلك سواء في ان الله تعالى لا يفعلها كما قال سبحانه في موضع آخر سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم (ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) الوجه في تعليق الاستغفار بسبعين مرة المبالغة لا العدد المخصوص ويجري ذلك مجرى قول القائل «لو قلت لي الف مرة ما قبلت» والمراد اني لا اقبل منك فكذلك الآية والمراد بذلك فيها نفخي الغفرائن جملة وقيل ان العرب تبالغ بالسبعة والسبعين ولهذا قيل للأسد سبع لأنهم تأولوا فيه لقوته انها ضوعفت له سبع مرات واما ما ورد ان النبي ﷺ قال والله لا يزيدن عن السبعين فإنه خبر واحد لا يعول عليه ولا يتضمن ان النبي ﷺ يستغفر للكفار وذلك غير جائز بالاجماع وقد روي انه قال لو علمت انه لو زدت على السبعين مرة غفر لهم لعلت وبيعت ان يكون النبي ﷺ يرجو ان يكون لهم لطف يصلحون به فزمت على الاستغفار لهم فلما بين الله عز اسمه انه ليس لهم لطف ترك ذلك ويحتمل ان يكون قد استغفر لهم قبل ان يعلم بكفرهم ونفاقهم ويحتمل ان يكون قد استغفر لهم قبل ان يخبر بأن الكافر لا يغفر له أو قبل ان يمنع منه ويجوز ان يكون استغفاره لهم واقما بشرط التوبة من الكفر فمنه الله منه واخبره بأنهم لا يؤمنون أبدا فلا فائدة في الاستغفار لهم والله أعلم بحقيقة الأمر (ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله) معناه ان حرمان المغفرة لهم بكفرهم بالله ورسوله (والله لا يهدي القوم الفاسقين) مر معناه قوله تعالى (٨١) فرح المخلفون بمقدمهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحرب قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون (٨٢) فليضحكوا قليلا وليكفوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون (٨٣) فإن رجعت الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالعهود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين ثلاث آيات

﴿ اللغة ﴾

المخلف المتروك خلف من مضى ومثله المؤخر عن مضى والفرح ضد الغم وهو لذة في القلب ببيل المشتى ومثله السرور وقال البصريون من المعتزلة ان السرور والتم يرجعان إلى الاعتقاد فالسرور اعتقاد وصول منفعة اليه في المستقبل أو دفع ضرر مظنون عنه او معلوم والتم اعتقاد وصول ضرر اليه في المستقبل أو فوت منفعة عنه واليه ذهب المرتضى قدس الله روحه والخلاف مصدر خالفته مخالفة وخلافا وزعم ابو عبيدة ان معناه بعد وانشد

عقب الربيع خلافتهم فكاننا بسط الشواطب لينهن حصيرا
والشواطب النساء يقددن الأديم بعد ما يقدرنه والخالف كل من تأخر عن الشاخص والمتخلف بمعناه
والضحك حال تفتح وانبساط يظهر في وجه الإنسان عن تعجب مع فرح والبكاء حال تقبض يظهر عن غم في الوجه مع جري الدموع على الخد

* الاعراب *

خلاف نصب على المصدر بمعنى المفعول له إذا جعلته بمعنى المخالفة وإذا جعلته بمعنى خلف فهو نصب على الظرف فليضحكوا إذا سكنت لام الأمر ولم تسكن لام الإضافة لأنها تؤذن بعملها للجر المناسب لها فلذلك الزمت الحركة مع ان العوامل في الأسماء أقوى من العوامل في الأفعال جزاء نصب على المصدر أي يجزون جزاء على افعالهم التي اكنسبوها

* المعنى *

ثم اخبر سبحانه ان جماعة من المنافقين الذين خلفهم النبي ﷺ ولم يخرجهم معه إلى تبوك استاذنوه في التأخر فأذن لهم فرحوا بعودهم فقال (فرح المخلفون بعودهم) أي بعودهم عن الجهاد (خلاف رسول الله) أي بعده وقيل معناه لمخالفتهم النبي ﷺ (وكرهوا ان يجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله) ظاهر المعنى (وقالوا) أي قالوا للمسلمين ليعصوهم عن الغزو (لا تنفروا في الحر) أي لا تخرجوا إلى الغزو سراعا في هذا الحر وقيل بل معناه قال بعضهم لبعض ذلك طلبا للراحة والدعة وعدولا عن تحمل المشاق في طاعة الله ومرضاته (قل) يا محمد اهد (نار جهنم) التي وجبت لهم بالتخلف عن امر الله تعالى (اشد حرا) من هذا الحر فهي اولى بالاحتراز والحذر عنها اذ لا يعتد بهذا الحر في جنب ذلك الحر (لو كانوا يفتقرون) او امر الله تعالى ووعدده ووعدبه (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا) هذا تهديد لهم في صورة الأمر أي فليضحك هو لا المنافقون في الدنيا قليلا لأن ذلك يفتني وان دام إلى الموت ولأن الضحك في الدنيا قبل لكثرة احزانها وهمومها وليبكوا كثيرا في الآخرة لأن ذلك يوم مقداره خمسين الف سنة وهم فيه يبكون فصار بكائهم كثيرا (جزاء بما كانوا يكسبون) من الكفر والنفاق والتخلف بغير عذر عن الجهاد قال ابن عباس ان اهل النفاق ليكون في النار عمر الدنيا فلا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم وروى انس بن مالك عن النبي ﷺ انه قال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا (فإن رجعت الله) يا محمد أي فإن ردك الله من غزوتك هذه وسفرك هذا (إلى طائفة منهم) أي من المنافقين الذين تخلفوا عنك وعن الخروج معك (فاستأذنوك للخروج) معك إلى غزوة اخرى (فقل لن تخرجوا معي ابدا) إلى غزوة (ولن تقاموا معي عدوا) ثم بين سبحانه سبب ذلك فقال (انكم رضيتم بالقعود اول مرة) أي عن غزوة تبوك (فأقدموا مع الخالفين) في كل غزوة واختاف في المراد بالخالفين فقبل معناه مع النساء والصبهان عن الحسن والضحاك وقيل مع الرجال الذين تخلفوا من غير عذر عن ابن عباس وقيل مع المخالفين قال الفراء يقال عبد خالف وصاحب خالف إذا كان مخالفا وقيل مع الخاس والادنيا يقال فلان خالفه اهله إذا كان ادونهم وقيل مع اهل الفساد من قولهم خلف الرجل على اهله يخلف خلوافا إذا فسد ونبذ خالف أي فاسد وخلف فم الصائم إذا تغيرت ريحه وقيل مع المرضى والزمنى وكل من تأخر لتقص عن الجبائي

قوله تعالى (٨٤) وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَأْوَاهُمْ فَاسِقُونَ (٨٥) وَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ آيَاتَانِ

﴿ الإعراب ﴾

مات جملة في موضع جر صفة لاحد وتقديره على احد مبيت منهم وابدأ منصوب لأنه ظرف لقوله تصل
وانما كسران من قوله انهم كفروا وان كان في موضع التعليل لتحقيق الاخبار بأنهم على الصفة التي ذكرها

﴿ المعنى ﴾

ثم نعى سبحانه نبيه ﷺ عن الصلاة عليهم فقال (ولا تصل) يا محمد (على احد منهم) اي من
المنافقين (مات ابدأ) أي بعد موته فإنه عليه السلام كان يصلي عليهم ويجري عليهم احكام المسلمين (ولا تقم
على قبره) أي لا تقف على قبره للدعاء فإنه (ع) كان إذا صلى على ميت يقف على قبره ساعة ويدعو له فنهأه
الله تعالى عن الصلاة على المنافقين والوقوف على قبورهم والدعاء لهم ثم يمين سبحانه سبب الأمرين فقال (انهم كفروا بالله
ورسوله وماتوا وهم فاسقون) فما صلى رسول الله ﷺ بعد ذلك على منافق حتى قبض وفي هذه الآية
دلالة على أن القيام على القبر للدعاء عبادة مشروعة ولولا ذلك لم يخص سبحانه بالنهي عنه الكافر وروى أنه
ﷺ صلى على عبد الله بن أبي وابسه قبيصة قبل ان ينهى عن الصلاة على المنافقين عن ابن عباس
وجابر وقتادة وقيل إنه ﷺ أراد ان يصلي عليه فأخذ جبرائيل بثوبه وتلا عليه ولا تصل على احد منهم
الآية عن انس والحسن وروى انه قبل لرسول الله ﷺ لم وجهت بقبيصة اليه يكفن فيه وهو كافر فقال ان قبيصة
ان تعني عنه من الله شيئاً واني اوئل من الله ان يدخل بهذا السبب في الإسلام خلق كثير فروى أنه أسلم
الف من الخزرج لما رأوه يطلب الاستشفاء بثوب رسول الله ﷺ ذكره الزجاج قال والاكثر في الرواية
أنه لم يصل عليه (ولا تعجبك أموالهم وأولادهم) الخطاب للنبي ﷺ والمراد به الأمة (انما يريد الله
أن يعذبهم بها في الدنيا) بما يلحقهم فيها من المصائب والتموم وبما يأخذها منهم المسلمون على وجه الغنيمة وبما
يشق عليهم من اخراجها في الزكاة والانفاق في سبيل الله مع اعتقادهم بطلان الإسلام فيشد عليهم فيكون
ذلك عذاباً لهم (وترحق انفسهم) أي تهلك بالموت (وهم كفرون) اي في حال كفرهم وقد مضى تفسير
مثل هذه الآية وانما كرر للتذكير في موطنين مع بعد أحدهما عن الآخر ويجوز ان يكون الايتان في فريقين
من المنافقين فيكون كما يقول القائل لا تعجبك حال زيد ولا تعجبك حال عمرو عن الجبائي

قوله تعالى (٨٦) وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِهَا لِلَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ أُسْتَذْذْنَا وَنَاكُؤُوا
أَلطُولُ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ (٨٧) رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ
عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٨٧) لِيَكُنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ
وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨٩) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ أربع آيات

(التفة) -

قال الزجاج الخوالم النساء تخلفن عن الجهاد ويجوز أن يكون جمع خالفة في الرجال والخالف والخالفة الذي
هو غير نجيب ولم يأت في فاعل فواعل صفة الا في حرفين قالوا فارس وفوارس وهالك وهوالك والطبع
والختم بمعنى واحد والخيرات المنافع التي تسكن النفس اليها وترتاح لها من النساء الحسان وغيرهن من نعيم

الجنان واحدا خيرة قال الشاعر

ولقد طمنت مجامع الربلات وبلات هند خيرة الملكات
وقال المبرد الخيرات الجواري الفاضلات جمع خيرة وقيل يجوز ان يكون خيرة بالتشديد فخففت نحو
هين وهين والاعداد جعل الشيء مهيئا لغيره وأصله من العدد لأنه قد عدد الله جميع ما يحتاج الى تقديمه
له من الأمور ومثله اتخاذ الاعتاد

✽ الاعراب ✽

أن آمنوا في موضع نصب بحذف حرف الجر على تقدير بأن آمنوا اي بالايمان ولا يجوز الحذف مع
صريح المصدر

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه تمام اخبار المناقين فقال (واذا أنزلت سورة) من القرآن على محمد ﷺ (أن آمنوا
بالله) اي بأن آمنوا وهو خطاب للمؤمنين وامرهم بأن يدوموا على الايمان ويتمسكوا به في مستقبل الاوقات
ويدخل فيه المنافق ويشاؤله الامر بأن يستأنف الايمان ويترك النفاق (وجاهدوا مع رسوله) اي اخرجوا
الى الجهاد معه فكانه قال آمنوا أنتم وادعوا الى الايمان غيركم (استأذنتك) اي طلب الاذن منك في القعود
(أولوا الطول) اي أولوا المال والقدرة والغنى عن ابن عباس وغيره (منهم) اي من المناقين (وقالوا ذرنا)
اي دعنا (نكن مع القاعدين) اي المتخلفين عن الجهاد من النساء والصبيان وانما لحق هؤلاء الذم لأنهم
أقروا على الجهاد (ورضوا بأن يكونوا مع الخولاف) اي رضوا لغوسهم ان يقعدوا مع النساء والصبيان
والمرضى والمقعدين (وطبع على قلوبهم) ذكرنا معنى الطبع فيما تقدم قال الحسن هؤلاء قوم قد بلغوا الحد
الذي من بلغه مات قلبه (فهم لا يفقهون) أو امر الله ونواهيهم ولا يتدبرون الأدلة ثم مدح النبي ﷺ
والمؤمنين فقال سبحانه (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم) ينفقونها في سبيل الله ومرضاته (وانفسهم)
يقاتلون الكفار ثم اخبر سبحانه عما أعد لهم من الجزاء على اتيادهم الله ورسوله فقال (وأولئك لهم الخيرات)
من الجنة ونعيمها وقبل الخيرات المنافع والمدح والتعظيم في الدنيا والثواب والجنة في الآخرة (وأولئك هم
المفلحون) اي الظافرون بالوصول الى البغية (أعد الله لهم) اي هيا وخلق لهم (جنات تجري من تحتها
الانهار خالدون فيها) مضى تفسيره في غير موضع (ذلك) اشارة الى ما تقدم ذكره (الفوز العظيم) والفوز
النجاة من المهلكة الى حال النعمة وسميت المهلكة مغارة تهاون لها بالنجاة وانما وصفه بالعظيم لأنه حاصل على
وجه الدوام وبالاعزاز والاجلال والاكرام

قوله تعالى (٩٠) وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذِنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ

وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ آية

✽ القراءة ✽

قرأ يعقوب وقتيبة المذرون بسكون العين وتخفيف الذال وهي قراءة ابن عباس والضحاك ومجاهد
والباقون بفتح العين وتشديد الذال

— (الحجة) —

من قرأ بالتخفيف أراد الذين يأتون بالعدو ومن قرأ بالتشديد احتل أمرين * أحدهما * ان يكون المراد المعتذرون كان لهم عذراً ولم يكن وإنما ادغم التاء في الذال لقرب مخرجها * والثاني * انه أراد المقصرون من التعذير فالمعذر المقصر الذي يربك انه معذور ولا عذر له والمعذر المبالغ الذي له عذر والمعذر يقال لمن له عذر ولمن لا عذر له قال لبيد « ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر » أي اتى بمعذر

— المعنى —

لما تقدم حديث المخلفين صنف الله تعالى الاعراب منهم صنفين فقال سبحانه (وجاء المعتذرون من الاعراب) أي المقصرون الذين يعتذرون وليس لهم عذر عن أكثر المفسرين وقيل هم المعتذرون الذين لهم عذر وهم نفر من بني غفار عن ابن عباس قال وبدل عليه قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله فمطف الكاذبين عليهم فدل ذلك على أن الأولين في اعتذارهم صادقون وقيل معناه الذين يتصورون بصورة أهل العذر وليسوا كذلك (ليؤذن لهم) في التخلف عن الجبائي (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) أي وقعدت طائفة من المنافقين من غير ان يعتذروا وهم الذين كذبوا فيما كانوا يظهرونه من الإيمان (سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم) قال ابو عمرو بن العلاء في هذه الآية كلا الفريقين كان مسيئاً جاء قوم فعذروا ووجع آخرون فعدوا يريد أن قوما تكلفوا عذراً بالباطل وتخلف آخرون من غير تكلف عذروا وظاهر علة جراءة على الله ورسوله

قوله تعالى (٩١) لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٩٢) وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّلُوا لَيَجِدُنَّ لَهُمْ مَا أَجِدُوا مَا أَحْمَدُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ (٩٣) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتُنذِرُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رِضْوَانًا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ثلاث آيات

* اللفظة *

النصح اخلاص العمل من النفس والحمل اعطاء المركوب من فرس أو بعير أو غير ذلك تقول حملة يحمله حملاً إذا اعطاه ما يحمل عليه قال

الأفتى عنده خفان يحملني عايتها إنني شيخ على سفر

والقيض الجري عن متلا من قولهم فاض الأناة بما فيه والحزن ألم في القلب بغوت أمر مأخوذ من حزن الأرض وهي الأرض الغليظة المسلك

— الاعراب —

حزنا نصب لأنه مفعول له أي سيكون الحزن ولا يجدوا منصوب بأن وموضع ان لا يجدوا نصب تقديره لأن لا يجدوا حذف الجار فوصل الفعل

* النزول *

قيل إن الآية الأولى نزلت في عبد الله بن زائدة وهو ابن أم مكتوم وكان ضرب البصر جاء إلى رسول الله ﷺ فقال يا نبي الله اني شيخ ضرب خفيف الحال نحيف الجسم وليس لي قائد فهل لي رخصة في التخلف عن الجهاد فسكت النبي ﷺ فأنزل الله الآية عن الضحاك وقيل نزلت في عائذ بن عمرو واصحابه عن قتادة والآية الثانية نزلت في البكائين وهم سبعة نفر منهم عبد الرحمن بن كعب وعلي بن زيد وعمرو بن ثعلبة وابن غنمة وهؤلاء من بني النجار وسالم بن عبيد وهرم بن عبد الله وعبد الله بن عمرو ابن عوف وعبد الله بن معقل من مزينة جاؤا إلى رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله احملنا فإنه ليس لنا ما نخرج عليه فقال لا أجد ما احملكم عليه عن ابي حمزة الثمالي وقيل نزلت في سبعة نفر من قبائل شتى أتوا النبي ﷺ فقالوا له احملنا على الخفاف والبنال عن محمد بن كعب وابن اسحاق وقيل كانوا جماعة من مزينة عن مجاهد وقيل كانوا سبعة من قراء الانصار فلما بكوا حمل عثمان منهم رجلين والعباس بن عبد المطلب رجلين ويامين بن كعب النضري ثلاثة عن الواقدي قال وكان الناس يتوبك مع رسول الله ﷺ ثلاثين الفا منهم عشرة آلاف فارس

* المعنى *

ثم ذكر سبحانه أهل العذر فقال (ليس على الضعفاء) وهم الذين قوتهم ناقصة بالزمانه والعجز عن ابن عباس وقيل هم الذين لا يقدرون على الخروج (ولا على المرضى) وهم اصحاب العلل المانعة من الخروج (ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون) يعني من ليست معه نفقة الخروج وآلة السفر (خرج) أي ضيق وجناح في التخلف وترك الخروج مع رسول الله ﷺ (إذا نصحو الله ورسوله) بأن يخلصوا العمل من التش ثم قال سبحانه (ما على المحسنين من سبيل) أي ليس على من فعل الحسن الجميل في التخلف عن الجهاد طريق للتقرب في الدنيا والعذاب في الآخرة وقيل هو عام في كل محسن والاحسان هو ايصال النفع إلى الغير ليتنفع به مع تعريه من وجوه التبع ويصح ان يحسن الإنسان إلى نفسه ويحمد على ذلك وهو اذا فعل الأفعال الجميلة التي يستحق بها المدح والثواب (والله غفور) أي سائر على ذوي الاعذار بقبول العذر منهم (رحيم) بهم لا يلزمهم ما فوق طاقتهم ثم عطف عليه فقال (ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم) أي ولا على الذين اذا جاؤك بسألتك مركبا يركبونه فيخرجونك معك إلى الجهاد اذ ليس معهم من الأموال والظفر ما يمكنهم الخروج به في سبيل الله (قات لا أجد ما احملكم عليه) أي لا أجد مركبا يركبونه ولا ما اسوي به أمركم (تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون) أي رجموا عنك وأعينهم تسيل بالدمع لحزنهم ان لا يجدوا ما يركبونه من الدواب وينفقونه في الطريق ليخرجوا معكم ولحزنها على الخروج المعنى وليس على هؤلاء ايضا حرج في التخلف عن الجهاد وليس عليهم سبيل للذم والعقاب (انما السبيل) والطريق بالعقاب والحرج (على الذين يستأذنونك وهم اغنياء) أي يطلبون الأذن منك يا محمد في المقام وهم مع ذلك اغنياء متمكنون من الجهاد في سبيل الله (رضوا بأن يكونوا مع الخوائف) من النساء والصبيان ومن لا حراك به (وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون) قد تقدم بيانه

قوله تعالى (٩٤) يَعتَظِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ

نَبَأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسِيرَى اللَّهِ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ نَمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
 فَيُنشِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٥) سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَنُعْرِضُوا عَنْهُمْ
 فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَا وَهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦) يَحْلِفُونَ لَكُمْ
 لَنُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ثلاث آيات

✽ النزول ✽

قبل نزلت الآيات في جد بن قيس ومعنب بن قشير واصحابها من المناقبين وكانوا ثمانين رجلا ولما قدم
 النبي ﷺ المدينة راجعا من تبوك قال لا تجالسوهم ولا تكلموهم عن ابن عباس وقيل نزلت في عبد الله
 ابن ابي حلف للنبي ﷺ ان لا يتخلف عنه بعدها وطلب الى النبي ﷺ ان يرضى عنه عن مقاتل

✽ المعنى ✽

ثم اخبر الله سبحانه عن هؤلاء القوم الذين تأخروا عن الخروج مع النبي ﷺ قال (يعتذرون اليكم) من
 تأخرهم عنكم بالأباطيل والكذب اذا رجعت اليهم اي اذا انصرفت الى المدينة من غزوة تبوك (قل) يا
 محمد (لا تعتذروا لنؤمن لكم) اي لسنا نصدقكم على ما تقولون (قد نبأنا الله من اخباركم) أي قد أخبرنا
 الله واعلمنا من اخباركم وحقيقة أمركم ما علمنا به كذبكم وقيل انه أراد به قوله سبحانه لو خرجوا فيكم
 ما زادوكم الا خبالا الآية (وسيرى الله عملكم ورسوله) أي سيعلم الله فيما بعد ورسوله عملكم هل تنوبون
 من نفاقكم أم تقيمون عليه وقيل معناه سيعلم الله أعمالكم وعزائمكم في المستقبل ويظهر ذلك لرسوله فيعلمه
 الرسول بإعلامه اياه فيصير كالشيء المرئي لأن أظهر ما يكون الشيء أن يكون مرئيا كما علم ذلك في الماضي
 فأعلم به الرسول (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة) اي ترجعون بعد الموت الى الله سبحانه الذي يعلم ما غاب
 وما حضر وما يخفي عليه السر والعلانية (فينشئكم بما كنتم تعملون) اي يخبركم بأعمالكم كلها حسنها وقيحها
 فيجازيكم عليها اجمع (سيحلون بالله لكم) اي سيقسم هؤلاء المناقون والمتخلفون فيما يعتذرون به اليكم
 ايها المؤمنون (اذا انقلبتم اليهم) انهم انما اتخلفوا العذر (لنعرضوا عنهم) اي لنصفحوا عن جرمهم ولا توبخوهم
 ولا نغفروهم ثم أمر الله سبحانه نبيه ﷺ والمؤمنين فقال (فأعرضوا عنهم) اي اعراض ردوا نكارا وتكذيبا
 ومقت ثم بين عن سبب الاعراض فقال (انهم رجس) اي نجس ومعناه انهم كالشيء الممتن الذي يجب الاجتناب
 عنه فاجتنبوهم كما تجتنب الأنجاس (وماؤام جهنم) اي مصيرهم وماؤهم ومستقرهم جهنم (جزاء) كما كانوا
 يكسبون) اي مكافأة على ما كانوا يكسبونه من المعاصي (يحلون لكم لترضوا عنهم) اي طلبا لمرضاتكم عنهم
 ايها المؤمنون (فإن ترضوا عنهم) لجهلكم بحالهم (فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) الخارجين من
 طاعته الى معصيته لعلمه بحالهم ومعناه انه لا ينفعهم رضاكم عنهم مع سخط الله عليهم وارتفاع رضاه عنهم
 وإنما قال سبحانه ذلك لئلا يتوهم انه اذا رضي المؤمنون فقد رضي الله المراد بذلك انه اذا كان الله لا يرضى
 عنهم فينبغي لكم ايضا ان لا ترضوا عنهم وفي هذا دلالة على ان من طلب بفعله رضا الناس ولم يطلب رضا
 الله سبحانه فإن الله بسخط الناس عليه كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ انه قال من التمس رضا
 الله بسخط الناس رضي الله عنه وارضى عنه الناس ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وسخط الله عليه الناس

قوله تعالى (٩٧) الأعرابُ أشدُّ كفرًا ونفاقًا وأجدرُ ألا يعلموا حدودَ ما أنزل اللهُ على رَسولِهِ وأللهُ عليمٌ حكيمٌ (٩٨) وَمِنَ الأعرابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَابِرَ عَلَيْهِم دَائِرَةُ السُّوءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٩٩) وَمِنَ الأعرابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَّاتِ الرَّسُولِ أَلَّا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَبُدْهُمْ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ثلاث آيات

❖ القراءة ❖

قرأ ابن كثير وابو عمرو دائرة السوء بضم السين وفي سورة الفتح مثله والباقون بفتح السين وقرأورش واسماعيل عن نافع قرينة بضم الراء والباقون قرينة بسكون الراء

❖ الحجة ❖

قال ابو علي الدائرة لا تخلو اما ان تكون صفة او بمنزلة العاقبة والعافية والصفة اكثر في الكلام فينبغي ان يحمل عليها فالمعنى عليها انها خلة تحيط بالانسان حتى لا يكون له منها مخلص واضيفت الى السوء او الى السوء على الوجهين على وجه التأكيد والزيادة في التبيين ولولم تضاف لعم هذا المعنى منها كما ان نحو قوله شمس النهار كذلك والسوء الرداءة والفساد وهو خلاف الصدق الذي في قواك ثوب صدق وليس الصدق من صدق اللسان كما ان السوء ليس من سووته في المعنى وان كان اللفظ واحداً بذلك على ذلك انك اضفته الى ما لا يجوز عليه الصدق والكذب في الاخبار واما دائرة السوء بالضم فكقولك دائرة الهزيمة ودائرة البلاء فاجتمعا في جواز اضافة الدائرة اليهما من حيث اريد بكل واحد منهما الرداءة والفساد فمن قال دائرة السوء فتقديره الاضافة الى الرداءة والفساد ومن قال دائرة السوء فتقديره دائرة الضرر والمكروه من قولهم سووته مساة ومساية والمعيان متقاربان قال ابو الحسن دائرة السوء كما تقول رجل السوء وانشد

و كنت كذئب السوء لما رأى دما بصاحبه يوما احال على الدم

واما قوله قرينة فالأصل حركة الراء والاسكان للتخفيف كما في الرسل والكتب والأذن والطب واما قربات فينبغي ان يتقل لأنه اذا ثقل ما اصله التخفيف نحو الظلمات والفرقات فان تقرأ الحركة الثانية في الكلمة الواحدة اجدر ومثل قولهم قرينة وقرينة يسرة ويسرة هدنة وهدنة حكاه محمد بن يزيد

— اللغة —

رجل عربي اذا كان من العرب وان سكن البلاد ورجل اعربي اذا كان ساكنا في البادية والعرب صنفان عدنانية وقحطانية والفضل العدنانية برسول الله ﷺ واجدر مأخوذ من جدر الحائط بسكون الدال وهو اصله واساسه والمنعوم الغرم وهو نزول نائمة بالمال من غير خيانة واصله لزوم الأمر ومنه قوله ان عذابها كان غراما اي لازما وحب غرام اي لازم والتريم يقال لكل واحد من المتدابين للزوم احدهما الآخر وغرته كذا اي الزمته اياه في ماله والتربص الانتظار ومنه التربص بالطعام لزيادة الاسعار واصله التمسك بالشيء لمراقبة والدوائر جمع دائرة هي من حوادث الدهر وقيل الحال المتقلبة عن النعمة الى البلية والدائرة الدولة والقرينة هي طلب الثواب والكرامة من الله تعالى بحسن الطاعة

* الأعراب *

اجدر ان لا يعلموا ان في موضع نصب لأن الباء محذوفة والمعنى اجدر بترك العلم تقول انت جدبر
 أن تفعل وجدبر بأن تفعل اي هذا الفعل ميسر لك واذا حذف الباء لم يصلح إلا بأن وان أثبت الباء صلح
 بأن وغيرها تقول انت جدبر بأن تقوم وجدبر بالقيام وإنما صلح مع ان الحذف لأن ان يدل على الاستقبال
 فكأنهما عوض من المحذوف وصلوات الرسول عطف على قوله ما ينفق وموضعه نصب وتقديره ويتخذ النفقة
 وصلوات الرسول ويتخذ قربات وقيل صلوات معطوف على قربات على معنى يطالبون بالاتفاق قربة الله وصلوات
 الرسول عن الجاني

* المعنى *

لما تقدم ذكر المناقبين بين سبحانه أن الأعراب منهم اشد في ذلك واكثر جهلا فقال (الأعراب
 اشد كفرا ونفاقا) يريد الأعراب الذين كانوا حول المدينة وانما كان كفرهم اشد لأنهم اقمى واجفى
 من أهل المدن وهم ايضا بعد من سماع التنزيل وانذار الرسل عن الزجاج ومعناه أن سكان البوادي اذا كانوا
 كفارا او مناقبين فهم اشد كفرا من أهل الحضر بعدهم عن مواضع العلم واستماع الحجج ومشاهدة المعجزات
 وبركات الوحي (واجدر أن لا يعلمو حدود ما نزل الله على رسوله) اي وهم احرى وأولى بأن لا يعلموا حدود
 الله في الفرائض والسنن والحلال والحرام (والله عليم) باحوالهم (حكيم) فيما يحكم به عليهم (ومن الأعراب من
 يتخذ ما ينفق مفرما) اي ومن مناقبي الأعراب من يعد ما ينفق في الجهاد وفي سبيل الخير مفرما لعله لا يرجوه ثوابا
 (ويترى بكم الدوائر) أي ويتنظر بكم الدوائر اي ظروف الزمان وحوادث الايام والوقايب المذمومة قال الزجاج
 والفراء كانوا يترى بكم الموت او القتل فكانوا يتظنون موت النبي ﷺ ليرجعوا الى دين المشركين
 واكثر ما يستعمل الدائرة في زوال النعمة الى الشدة والعافية الى البلاء ويقولون كانت الدائرة عليهم وكانت
 الدائرة لهم ثم رد سبحانه ذلك عليهم فقال (عليهم دائرة السوء) اي على هؤلاء المناقبين دائرة البلاء يعني
 أن ما ينتظرون بكم هو لا حق بكم وهم المغلوبون ابدا (والله سميع) لقائلانهم (عليم) بنياتهم لا يخفى عليه
 شيء من حالانهم ثم بين سبحانه من الأعراب المؤمنين المخلصين فقال (ومن الأعراب من يؤمن بالله
 واليوم الآخر) ومنهم من يرجع الى سلامة الاعتقاد في التصديق بالله وبالقيامة والجنة والنار ويتخذ
 ما ينفق قربات عند الله (اي ويريد بنفقته في الجهاد وغير ذلك من اعمال البر قربات جمع قربة وهي الطاعة
 اي طاعات عند الله وتعظيم امره ورعاية حقه وقيل معناه يتقرب الى الله بانفاقه ويطلب بذلك ثوابه ورضاه
 وصلوات الرسول) اي دعاؤه بالخير والبركة عن قيادة وقيل استغفاره عن ابن عباس والحسن ومعناه
 انه يرغب في دعاء النبي ﷺ (الا انها قربة لهم) معناه الا ان صلوات الرسول قربة لهم تقربهم
 الى ثواب الله ويجوز ان يكون المعنى ان نفقتهم قربة لهم الى الله (سيدخلهم الله في رحمته) هذا وعد منه
 سبحانه بأن يرحمهم ويدخلهم الجنة وفيه مبالغة بأن الرحمة غمرتهم ووسعتهم (ان الله غفور) لذنوبهم (رحيم)
 بأهل طاعته وهما من الفاظ المبالغة في الوصف بالمغفرة والرحمة

قوله تعالى (١٠٠) وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ

بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
أَبْدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ آيَةٌ

﴿ القراءة ﴾

قرأ يعقوب والانصار بالرفع وهي قراءة عمر بن الخطاب والحسن وقناة والقراءة المشهورة والانصار بالجر وقرأ ابن كثير وحده من تحتها بزيادة من وكذلك هو في مصاحف مكة وقرأ السابقون تحتها بغير من وعليه سائر المصاحف والمعنى واحد

﴿ الحجة ﴾

من قرأ بالرفع عطفه على قوله السابقون ومن قرأ بالجر عطفه على المهاجرين واما قوله والذين اتبعوهم باحسان فيجوز ان يكون معطوفا على الانصار في رفة وجره ويجوز أن يكون معطوفا على السابقون وان يكون معطوفا على الانصار اولى لقربه منه

﴿ الإعراب ﴾

السابقون مبتدأ والأولون صفة من المهاجرين تبيين لهم والذين اتبعوهم ان حملته على السابقون كان مرفوعا وان حملته على الانصار كان مجرورا وخبر الاسماء كلها رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم عطف على رضي فالوقف على قوله خالدون فيها ابدا

﴿ الترتول ﴾

قيل نزلت هذه الآية فيمن صلى الى القبلتين عن سعيد بن المسيب والحسن وابن سيرين وقناة وقيل نزلت فيمن بايع بيعة الرضوان وهي بيعة الحديبية عن الشعبي قال ومن اسلم بعد ذلك وهاجر فليس من المهاجرين الاولين وقيل هم اهل بدر عن عطاء بن رباح وقيل هم الذين اسلموا قبل الهجرة عن الجبائي

— المعنى —

لما تقدم ذكر المناقب والكفار عقبه سبحانه بذكر السابقين الى الايمان فقال (والسابقون الاولون) أي السابقون الى الايمان والى الطاعات وإنما مدحهم بالسبق لأن السابق الشئ يتبعه غيره فيكون متبوعا وغيره تابع له فهو امام فيه وداع له الى الخير بسبقه اليه وكذلك من سبق الى الشر يكون اسوأ حالا لهذه العلة (من المهاجرين) الذين هاجروا من مكة الى المدينة والى الحبشة (والانصار) أي ومن الانصار الذين سبقوا نظراهم من أهل المدينة الى الاسلام ومن قرأ والانصار بالرفع لم يجعلهم من السابقين وجعل سبق للمهاجرين خاصة (والذين اتبعوهم باحسان) أي بأفعال الخير والدخول في الاسلام بعدهم وسلوك منهاجهم ويدخل في ذلك من يبعث بعدهم الى يوم القيامة (رضي الله عنهم ورضوا عنه) أخبر سبحانه أنه رضي عنهم ورضوا عنه ورضوا عن الله سبحانه لما أجرل لهم من الثواب على طاعتهم وإيمانهم به وبقينهم (واعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدون فيها أبدا) أي بقون ببقاء الله منعمين (ذلك الفوز العظيم) أي الفلاح العظيم الذي يصغر في جنبه كل نعيم وفي هذه الآية دلالة على فضل السابقين ومزيتهم على غيرهم لما لحقهم من انواع المشقة في نصره الدين فمنها مفارقة العشائر والأقربين ومنها ما يابى المؤلف من الدين ومنها

نصرة الإسلام مع قلة العدد وكثرة العدو ومنها سبق إلى الإيمان والدعاء إليه واختلف في أول من أسلم من المهاجرين قبيل أن أول من آمن خديجة بنت خويلد ثم علي بن أبي طالب (ع) وهو قول ابن عباس وجابر بن عبد الله وأنس وزيد ابن أرقم ومجاهد وقادة وابن اسحاق وغيرهم قال انس بعث النبي ﷺ يوم الاثنين وصلى علي عليه السلام وأسلم يوم الثلاثاء وقال مجاهد وابن اسحاق انه أسلم وهو ابن عشر سنين وكان مع رسول الله ﷺ أخذه من أبي طالب وضمه إلى نفسه يريه في حجره وكان معه حتى بعث نبيا وقال الكلابي انه أسلم وله تسع سنين وقيل اثنا عشرة سنة عن أبي الاسود قال السيد أبو طالب الهروي وهو الصحيح وفي تفسير الثعلبي روى اسماعيل بن أبياس بن عفيف عن أبيه عن جده عفيف قال كنت امرأ تاجرأ قدمت مكة أيام الحج فنزلت على العباس بن عبد المطلب وكان العباس لي صديقا وكان يختلف إلى اليمن يشتري العطر فيبيعه أيام الموسم فبينما أنا والعباس بمنى اذ جاء رجل شاب حين حلت الشمس في السماء فرمى ببصره إلى السماء ثم استقبل الكعبة فقام مستقبلا فلم يلبث حتى جاء غلام فقام عن يمينه فلم يلبث ان جاءت امرأة فقامت خلفها فرمى الشاب فرمى الغلام والمرأة فخر الشاب ساجداً فسجدامه فرفع الشاب فرفع الغلام والمرأة فقلت يا عباس امر عظيم فقال امر عظيم فقلت ويحك ما هذا فقال هذا ابن أخي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يزعم ان الله بعثه رسولا وان كنتوز كسرى وقبصر ستفتح عليه وهذا الغلام علي بن أبي طالب وهذه المرأة خديجة بنت خويلد وزوجة محمد تبارك على دينه وأيم الله ما على ظهر الأرض كاهن احد على هذا الدين غير هؤلاء فقال عفيف الكندي بعد ما اسلم ورسخ الإسلام في قلبه يا ليتني كنت رابعا وروى ان ابا طالب قال لعلي عليه السلام ابي بني ما هذا الدين الذي أنت عليه قال يا ابي آمنت بالله ورسوله وصدقته فيما جاء به وصليت معه لله فقال له ان محمدا ﷺ لا يدعوا الا إلى خير فالزمه وروى عبد الله بن موسى عن العلاء بن صالح عن المنهال بن عمرو عن عباد بن عبد الله قال سمعت عليا (ع) يقول انا عبد الله وأخو رسوله وانا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي الا كذاب مفتر صليت قبل الناس بسبع سنين وفي مسند السيد ابي طالب الهروي مرفوعا إلى ابي أيوب عن النبي ﷺ قال صلت الملائكة علي وعلى علي سبع سنين وذلك انه لم يصل فيها احد غيري وغيره وقيل ان أول من اسلم بعد خديجة ابوبكر عن ابراهيم النخعي وقيل أول من اسلم بعدها زيد بن حارثة عن الزهري وسليمان بن يسار وعروة بن الزبير وروى الحاكم ابو القاسم الحسكاني باسناده مرفوعا إلى عبد الرحمن بن عوف في قوله سبحانه والسابقون الأولون قال هم عشرة من قريش اولهم اسلاما علي بن ابي طالب (ع)

قوله تعالى (١٠١) وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى
الْإِنْفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ (١٠٢)
وَأَخْرُونَ أَعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَحِيمٌ آيَاتان

﴿ اللغة ﴾

حول الشيء المحيط به من حال يحول اذا دار بالانقلاب ومنه الحول للسنة والمحال لانها تدور في المحور

والمرد أصله الملاسة ومنه صرح بمرد اي تمس والامرذ الذي لا شعر على وجهه والمرداء الرملة التي لا تنبت شيئا ذكره علي بن عيسى وقيل أصله الظهور والمارد الذي ظهر شره وشجرة مرداء اذا تساقت ورقها فظهرت عيدانها ورجل امرد لظهور مكان الشعر منه عن ابن عرفة ومرد الرجل يرد مروداً اذا عتا وخرج من الطاعة واعيا خبثا ومنه شيطان مارد ومريد وفي المثل تمرد مارد وعزالا بلق وها حصنان

✽ الاعراب ✽

ومن أهل المدينة مردوا اي قوم مردوا فحذف الموصوف ويحوز ان يكون التقدير ومن أهل المدينة مناقون مردوا على النفاق ففصل بين الصفة والموصوف بالظرف وآخرون اعترفوا معطوف على قوله من الاعراب مناقون وكذلك وآخرون مرجون وان شئت قدرت ومنهم آخرون

✽ المعنى ✽

ثم عاد الكلام الى ذكر المناقبن فقال سبحانه (ومن حولكم) اي ومن جملة من حولكم يعني حول مدينتكم (من الاعراب) وهم الذين يسكنون البدوا اذا كانوا مطبوعين على العربية (مناقون) بظهورون الايمان ويطنون الكفر وقيل انهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار وكانت منازلهم حول المدينة (ومن أهل المدينة) اي مناقون وانما حذف لدلالة الأول عليه (مردوا على النفاق) اي مروا على النفاق وتجروا عليه عن القراء وقيل معناه أقاموا عليه لم يتوبوا منه كما تاب غيرهم عن ابن زيد وابان بن تغلب وقيل معناه لجوافبه وابوا غيره عن ابن اسحاق وقيل فيه تقديم وتأخير وتقديره ومن حولكم من الاعراب مناقون مردوا على النفاق ومن أهل المدينة اي مثل ذلك عن الزجاج (لا تعلمهم) يا محمد اي لا تعرفهم (نحن نعلمهم) اي نعرفهم (سنعذبهم مرتين) فيه اقوال ✽ احدها ✽ ان معناه نعذبهم في الدنيا بالفضيحة فان النبي ﷺ ذكر رجالا منهم وأخرجهم من المسجد يوم الجمعة في خطبته وقال اخرجوا فانكم مناقون ويعذبهم في القبر عن ابن عباس والسدي والكاسبي وقيل مرة في الدنيا بالسبي والقتل ومرة في الآخرة يعذاب القبر عن مجاهد وروى حصيف عنه عذبوا بالجوع مرتين وقيل احداها أخذ الزكاة منهم والأخرى عذاب القبر عن الحسن وقيل احداها غيظهم من أهل الإسلام والأخرى عذاب القبر عن ابن اسحاق وقيل ان الأولى ضرب الملائكة وجوههم وادبارهم عند قبض ارواحهم والأخرى عذاب القبر وقيل ان الأولى إقامة الحدود عليهم والأخرى عذاب القبر عن ابن عباس وكل ذلك محتمل غير اننا نعلم ان المرتين معا قيل ان يردوا الى عذاب النار (ثم يردون الى عذاب عظيم) اي يرجعون يوم القيامة الى عذاب مؤبد في النار (وآخرون اعترفوا بذنوبهم) يعني من أهل المدينة او من الاعراب آخرون أقرؤا بذنوبهم وليس يرجع الى المناقبن والاعتراف الإقرار بالشيء عن معرفة (خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا) يعني اثم يفعلون افصلا جميلة ويفعلون افصلا سيئة قبيحة والتقدير وعملا آخر سيئا (عسى الله ان يتوب عليهم) قال المفسرون عسى من الله واجبة وانما قال عسى حتى يكونوا بين طمع واشفاق فيكون ذلك ابعد من الانكسار على المغفرة واهمال التوبة وفي هذا دلالة على بطلان القول بالاحباط لانه لو صح الاحباط لكان احد العاملين اذا طرأ على الآخر احبطه وابطله فلم يحتمل فلا يكون لقوله خلطوا معنى وقال بعض التابعين ما في القرآن آية ارجى لهذه الامة من هذه الآية وقد يستعمل لفظ الخاط في الجسم من غير امتزاج يقال خلط الدراهم والدنانير وقيل انه محري مجرى قولهم استوى

الماء والخشبة أي مع الخشبة وقيل ان خلط بالتخفيف في الخير وخلط بالتشديد في الشر (ان الله غفور رحيم) هذا تعليل لقبول التوبة من العصاة اي لأنه غفور رحيم

✽ النزول ✽

قال ابو حمزة الثمالي بلغنا انهم ثلاثة نفر من الانصار ابولبابة بن عبد المنذر وثعلبة بن وديعة واوس بن حذام تخلفوا عن رسول الله ﷺ عند خروجه الى تبوك فلما بلغهم ما انزل الله فيمن تخلف عن نبيه ايقنوا بالهلاك واوتقوا انفسهم بسواري المسجد فلم يزالوا كذلك حتى قدم رسول الله ﷺ فسأل عنهم فذكر له انهم اقسوا ولا يجاون انفسهم حتى يكون رسول الله ﷺ يحلهم وقال رسول الله ﷺ وانا اقسى لا يكون اول من حلهم الا ان اوامر فيهم بأمر فلما نزل عسى الله ان يتوب عليهم عند رسول الله ﷺ اليهم فعملهم فانطلقوا فجاؤا بأموالهم الى رسول الله ﷺ فقالوا هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فخذها وتصدق بها عنا قال (ع) ما امرت فيها فنزل خذ من اموالهم صدقة الآيات وقيل انهم كانوا عشرة رهط منهم ابو لبابة عن علي بن ابي طلحة عن ابن عباس وقيل كانوا ثمانية منهم ابو لبابة وهلال وكردم وابو قيس عن سعيد بن جبيرة وزيد بن اسلم وقيل كانوا سبعة عن قتادة وقيل كانوا خمسة وروي عن ابي جعفر الباقر (ع) انها نزلت في ابي لبابة ولم يذكر غيره معه وسبب نزولها فيه ماجرى منه في بني قريظة حين قال ان نزلتم على حكمه فهو الذبح وبه قال مجاهد وقيل نزلت فيه خاصة حين تأخر عن النبي ﷺ في غزوة تبوك فربط نفسه بسارية على ما تقدم ذكره عن الزهري ثم قال ابو لبابة يا رسول الله ان من توبتي ان اهجردار قسومي التي اصبحت فيها الذنب وانا انخلع من مالي كله قال يبزيك يا ابا لبابة الثلث وفي جميع الاقوال اخذ رسول الله ﷺ ثلث اموالهم وترك الثلثين لأن الله تعالى قال خذ من اموالهم ولم يقل خذ اموالهم

قوله تعالى (١٠٣) خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيتهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم (١٠٤) ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويبأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم (١٠٥) وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وشرذون إلى عالم الغيب والشهادة فينبشكم بما كنتم تعملون ثلاث آيات

✽ القراءة ✽

قرأ أهل الكوفة غير ابي بكر ان صلاتك وفي هود اصلاتك على التوحيد وقرأ الباقون ان صلواتك

✽ الحجة ✽

اصلواتك على الجمع قال ابو علي الصلاة في اللغة الدعاء قال الاعشى في الضمر

وقابلها الريح في دنها وصل على دنها وارنسم

فكان معنى صل عليهم ادع لهم فان دعاءك لهم تسكن اليه نفوسهم وتطيب به فأما قولهم صلى الله على رسوله وملائكته فلا يقال فيه انه دعاء لهم من الله تعالى كما لا يقال في نحو ويل للمطغيين ونحوه انه دعاء عليهم ولكن المعنى فيه ان هؤلاء ممن يستحق عندهم ان يقال فيهم هذا النحر من الكلام وكذلك قوله بل عجبت ويسخرون فيمن ضم اليها وهذا مذهب سيويه فإذا كانت الصلاة مصدرا وقع على الجمع والمفرد على لفظ واحد كصوت الحمير فإذا اختلف جاز ان يجمع لاختلاف ضروبه كما قال ان اتكر الاصوات فأما من زعم ان الصلاة اولى لأن الصلاة للكثرة والصلوات للقليل فلم يكن قوله متجها لأن الجمع بالتاء قد يقع على الكثير كما يقع على القليل كقوله وهم

في الغرقات آمنون وقوله ان المسلمين والمسلمات وقوله ان الصديقين والمصدقات فقد يقع هذا الجمع على الكثير كما يقع على القليل

﴿ الاعراب ﴾

قوله تطهرهم انما ارفع لاحد امرين اما ان يكون صفة لصدقة ويكون التائب ويكون قوله بها للتبيين ويكون التقدير صدقة مطهرة واما ان يكون التاء خطابا للنبي ﷺ والتقدير فانك تطهرهم بها فتكون صفة لصدقة (ايضا) ويكون الضمير في بها للصدقة الموصوفة واما وتركيهم فلا يكون الا للخطاب وقيل ان تطهرهم يجوز ان يكون على الاستئناف وحمله على الاتصال اولى

﴿ المعنى ﴾

ثم خاطب سبحانه النبي ﷺ وامره باخذ الصدقة من اموالهم تطهيراً لهم وتكفيراً لسيئاتهم فقال (خذ) يا محمد (من اموالهم) ادخل من للتبويض لانه لم يجب ان يصدق بالجميع وانما قال من اموالهم ولم يقل من مالهم حتى يشتمل على اجناس المال كلها وهذا يدل على وجوب الاخذ من سائر اموال المسلمين لاستوائهم في احكام الدين الا ما خصه الدليل (صدقة) قيل اراد بها الامربان ياخذ الصدقة من اموال هؤلاء التائبين تشديداً للتكليف وليست بالصدقة المفروضة بل هي على سبيل الكفارة للذنوب التي اصابوها عن الحسن وغيره وقيل اراد بها الزكاة المفروضة عن الجائني واكثر اهل التفسير وهو الظاهر لان حمله على الخصوص بغير دليل لا وجه له فيكون امرا بأن ياخذ من المالكين للنصاب الزكاة من الورق اذا بلغ مائتي درهم ومن الذهب اذا بلغ عشرين مثقالاً ومن الابل اذا بلغت خمسا ومن البقر اذا بلغت ثلاثين ومن الغنم اذا بلغت اربعين ومن الثقات والثمار اذا بلغت خمسة اوسق (تطهرهم وتركيهم بها) معناه تطهرهم تلك الصدقة من دنس الذنوب وتركيهم انت بها اي تنسبهم الى الزكاة وتدعو لهم بايصرون به ازكيا. وقيل معناه تطهرهم انت وتركيهم انت بها فيكون كلا الفعلين مضافا الى النبي ﷺ (وصل عليهم) هذا امر من الله تعالى للنبي ﷺ ان يدعو لمن ياخذ منه الصدقة ومعناه ادع لهم بقبول صدقاتهم كما يقول الداعي اجرک الله فيما اعطيت وبارکک فيما اقبلت وروي عن النبي ﷺ انه كان اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل عليهم وقال عبد الله بن ابي اوفى وكان من اصحاب الشجرة فاتاه ابن ابي اوفى بصدقة فقال اللهم صل على آل ابي اوفى اورده البخاري ومسلم في الصحيح (ان صلاتك سكن لهم) اي ان دعواتك ما تسكن نفوسهم اليه وقيل رحمة لهم عن ابن عباس وقيل وقار وطأينة لهم ان الله قد قبل منهم عن قتادة والكلبي وقيل تثبت لهم عن ابي صيدة (والله سميع عليم) يسمع دعائك لهم ويعلم ما يكون منهم في الصدقات (الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده) استفهام يراد به التنبية على ما يجب ان يعلم ان الله يقبل التوبة لانه اذا علم ذلك كان ذلك داعياله الى فعل التوبة والتمسك بها وجوبه وانما وجب ان يعلم ان الله يقبل التوبة لانه اذا علم ذلك كان ذلك داعياله الى فعل التوبة والتمسك بها والمساعدة اليها وما هذه صورته يجب العلم به ليحصل به الفرز بالثواب والخلص من العقاب والسبب فيه انهم لما سألوا النبي ﷺ ان ياخذ من اموالهم ما يكون كفارة لذنوبهم امتنع من ذلك انتظاراً لاذن من الله سبحانه فيه فبين الله انه ليس بقبول التوبة الى النبي ﷺ وان ذلك الى الله عز اسمه الذي يقبلها (وياخذ الصدقات) اي يتقبلها ويضمن الجزاء عليها قال الجبائي جعل الله اخذ النبي والمؤمنين للصدقات اخذاً من الله على وجه التشبيه والمجاز من حيث كان بأمرة وقد ورد الخبر عن النبي ﷺ انه قال ان الصدقة تقع في يد الله قبل ان تصل الى يد السائل والمراد بذلك انها تنزل هذا التنزيل ترغيباً للعباد في فعلها وذلك يرجع الى تضمن الجزاء عليها (وان الله هو الثواب الرحيم) عطف على ما قبله ولذلك فتح ان وقدم تفسيره (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم

ورسوله والمؤمنون) هذا امر من الله سبحانه لنبيه ان يقول للمكلفين اعملوا ما امركم الله به عمل من يعلم انه مجازاً على فعله فان الله سيرى عملكم وانما ادخل سين الاستقبال لأن ما لم يحدث لا يتعلق به الروية فكأنه قال كل ما تعملونه يراه الله تعالى وقيل اراد بالروية هاهنا العلم الذي هو المعرفة ولذلك عداه الى مفعول واحد اي يعلم الله تعالى ذلك فيجازيكم عليه ويراه رسوله اي يعلمه فيشهد لكم بذلك عند الله تعالى ويراه المؤمنون قيل اراد بالمؤمنين الشهداء وقيل اراد بهم الملائكة الذين هم الحفظة الذين يكتبون الاعمال وروى اصحابنا ان اعمال الأمة تعرض على النبي ﷺ في كل اثنين وخميس فيعرفها وكذلك تعرض على ائمة الهدى عليهم السلام فيعرفونها وهم المعنيون بقوله والمؤمنون وانما قال سيرى الله مع انه سبحانه عالم بالاشياء قبل وجودها لأن المراد بذلك انه سيعلمها موجودة بعد ان عليها معدومة وكونه عالماً بأنها ستوجد هو كونه عالماً بوجودها اذا وجدت لا يتجدد حال له بذلك (وستردون الى عالم الغيب والشهادة) اي سترجعون الى الله الذي يعلم السر والعلانية (فينبئكم) اي يخبركم (بما كنتم تعملون) ويجازيكم عليه

قوله تعالى (١٠٦) وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم. والله

عليهم حكيم آية

القراءة

قرأ أهل المدينة والكوفة غير ابي بكر مرجون بغير همز والباقيون مرجون بالهمز

الحجة

قال الازهري الأرجاء يهمز ولا يهمز ارجأت الأمر وارجيته اخرته وارجأت الحامل ذنت لأن يخرج ولها

فهي مرجى ومرجئة وارجت بغير همز ايضاً

النزول

قال مجاهد وقتادة نزلت الآية في هلال بن امية الواقفي ومودة بن الربيع وكعب بن مالك وهم مسين الاوس والخزرج وكان كعب بن مالك رجل صدق غير مطعون عليه وانما تخلف تواتياً عن الاستعداد حتى فاته المسير وانصرف رسول الله ﷺ فقال والله مالي من عذر ولم يعتذر اليه بالكذب فقال (ع) صدقت فمرحتي يقضي الله فيك وجاء الآخرون فقالوا مثل ذلك وصدقا فنهى رسول الله ﷺ عن مكالمتهم وامرنا بهم باعتبارهم حتى ضاقت عليهم الارض فارجحت فاقاموا على ذلك خمسين ليلة وبنى كعب خيمة على سلع يكون فيها وحده وقال في ذلك

ابعد دور بني القين الكرام وما شادوا علي بنيت البيت من سعف

ثم نزلت التوبة عليهم بعد الخمسين في الليل وهو قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا الآية فاصبح المسلمون يبتدونهم ويشرونهم قال كعب فبعثت الى رسول الله في المسجد وكان (ع) اذا سريستبشر كان وجهه فلقه قمر فقال لي ووجهه يبرق من السرور ابشر بخير يوم طلع عليك شرقة منذ ولدتك امك قال كعب فقلت امن عند الله ام من عندك يا رسول الله فقال من عند الله وتصدق كعب بثلاث ماله شكراً لله على توبته

المعنى -

ثم عطف سبحانه على ما قبله من قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم فقال (وآخرون مرجون لأمر الله) اي مؤخرون موقوفون لما يرد من امر الله تعالى فيهم (اما يعذبهم واما يتوب عليهم) لفظه اما وقوع احد الشيتين والله سبحانه عالم بما يصير اليه امرهم ولكنه سبحانه خاطب العباد بما عندهم وبمعناه ولكن كان امرهم عندكم على هذا اي على الخوف والرجاء وهذا يدل على صحة مذهبنا في جواز العفو عن العصاة لأنه سبحانه بين ان قوماً من العصاة يكون امرهم الى الله تعالى ان شاء عذبهم وان شاء قبل توبتهم فعفا عنهم ويدل ايضاً على

ان قبول التوبة تفضل من الله سبحانه لانه لو كان واجبا لما جاز تعليقه بالمشيئة (والله عليهم) بما يوول اليه حالهم (حكيم) فيما يفعله بهم

قوله تعالى (١٠٧) وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفَرِّقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِشَهَادَاتِهِمْ لَكَذِبُونَ (١٠٨) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَّهَرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ (١٠٩) أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١١٠) لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

أربع آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل المدينة وابن عامر الذين اتخذوا بغير واو والباقون بالواو وقرأ نافع وابن عامر أسس بضم الألف بنيانه بالرفع في الموضعين وقرأ الباقر أسس بنيانه فيها وفي الشواذ قراءة نصر بن عاصم أس بنيانه على وزن فعل وقراءة نصر بن علي أساس بنيانه وأس بنيانه وقرأ ابن عامر وحمة وحماة ويحيى عن ابي بكر وخلف جرف بالتخفيف والباقر جرف بالثقل وقرأ يعقوب وسهل الى ان على انه حرف الجر وهو قراءة الحسن وقتادة والجدري وجماعة ورواه البرقي عن ابي عبد الله وقرأ الباقر الا ان مشددة اللام وقرأ ابو جعفر وابن عامر وحمة وحض وسهل ورويس عن يعقوب تقطع بفتح التاء والتشديد وقرأ روح تقطع بضم التاء مخففا وقرأ الباقر تقطع بضم التاء مشدداً

﴿ الحجة ﴾

من اثبت الواو في الذين عطفه على ما تقدم والتقدير ومنهم الذين اتخذوا مسجدا ومن حذف الواو ابتداء الكلام واضمر الخبر بعده كما اضمر في قوله ان الذين كفروا ويصدون من سبيل الله والمسجد الحرام الى قوله والباد والمعنى فيه ينتقم منهم أو يعذبهم ونحو ذلك وحسن الحذف في الموضعين لطول الكلام بالابتداء وصلته ويجوز ان يكون على ان تضمر ومنهم فيكون تقديره ومنهم الذين اتخذوا كما اضمرت الحرف مع الفعل في قوله وأما الذين اسردت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم أي فيقال لهم اكفرتم ولا يجوز ان يكون الذين بدلامن قوله وآخرون مرجون لأن المرجئين لأمر الله غير الذين اتخذوا مسجدا ضارا فلا يجوز ان يبدلوا منهم ومن قرأ أسس بنيانه بنى الفعل للفاعل كما اضاف البيان اليه في قوله بنيانه فالمصدر مضاف الى الفاعل والباقي والمؤنس واحد ومن بنى الفعل للمفعول به لم يرد ان يكون في المعنى كالاول لأنه إذا أسس بنيانه فيولى ذلك غيره بأمره كان كبنائه هو له فاما من قرأ اس بنيانه في الموضعين واسباس بنيانه بالاضافة فلإنها بمعنى واحد وجمع الاس اساس كقفل واقفال وجمع الاساس اساس واما الجرف فالأصل فيه ضم العين والاسكان تخفيف ومثله الشغل والشغل والطيب والطيب ومن قرأ إلا ان تقطع قلوبهم فمعناه تبلى وتنقطع بالبي اي لا تبلى قلوبهم بالايان أبدا ومن قرأ تقطع بضم التاء فهو في المعنى مثل الأول الا ان الفعل اضيف الى القطع المسلي للقلوب بالموت وفي الأول اسند إلى القلوب لما كانت هي البالية وهذا مثل مات زيد وسقط الحائط ونحو ذلك مما اسند فيه الفعل

إلى من حدث فيه وان لم يكن منه وتقطع بسند الفعل فيه إلى المقطع المبني وان لم يذكر في اللفظ فاسند الفعل الذي هو غير القلوب في الحقيقة إلى القلوب ومن قرأ إلى ان تقطع فإنه جعله على النافية وزعموا ان في حرف إلى حتى المئات وهذا يدل على انهم يموتون على نفاقهم فإذا ماتوا عرفوا بالموت ما كانوا تركوه من الايمان واتخذوا به من الكفر

✽ اللغة ✽

الضرار هو طالب الضرر ومحاولته كما ان الشقاق محاولة ما يشق يقال ضاره مضارة وضراروا الارصاد الارتياب تقول رصده يرصده رصدا وارضده ارضادا قال الكسائي رصده رصته وارضده ارضدته والبنيان مصدر قال ابو علي وهو جمع على حد شعيرة وشعير لأنهم تاروا بنيانة في الواحد قال اس

كبنيانة القرى موضع رحلها وأثار رصغيا من الدف ابلق

وجاء بناء المصدر على هذا المثال في غير هذا الحرف نحو الغفران وليس بنيان جمع بناء لأن فعلنا إذا كان جمعا نحو كنيان وقضبان لم تلحقه تاء التأنيث وقال ابو زيد يقال بنيت ابني بنيا وبنيانا وبناء وبنية وجمعها البني قال

بني السماء فسواها بينيتها ولم تمد باطناب ولا عمد

فالبناء والبنية مصدران ومن ثم قوبل به الفراش في قوله جعل لكم الأرض فراشا والسهام بناء فالبناء لما كان رفعا للسبي قوبل به الفراش الذي هو خلاف البناء والتقوى خصلة من الطاعة يحتمز بها من العقوبة والتقى صفة مدح لا تطلق إلا على مستحق الثواب وروا تقوى مبدلة من الياء لأنها من وقيت وانا أبدلت للفرق بين الاسم والصفة في الأبنية مثل خزيا وشفا جرف الشبي وشفيه وجرفه نهايته في المساحة ويشي شفران وجرف الرادي جانبته الذي ينحرف بالماؤه ومن الجرف والاجتراف هو اقتلاع الشبي من اصله وهار الجرف يهور هورا فهو هائر وتهور وانهار ويقال ايضا هار بهار وهار اصله هائر وهو من القلوب كما يقال لاث الشبي به إذا دار فهو لاث والاصل لاث وكما قالوا شاكي السلاح أي شائك قال

فتمرفوني انني انا ذاكم شاكي سلاحي في الحوادث معام

وكما قال العجاج (لاث به الاشاء والعبري) اي مطيف وقال ابو علي والمهز من هائر منقلبة عن الروا لأنهم قالوا تهور البناء إذا تساقط وتدامى وفي الحديث سار الليلة حتى انهار الليل ثم سار حتى تهور فهذا في الليل كالثلث والتشبيه بالبناء والانهيال والانهيال يتقاربان في المعنى كما يتقاربان في اللفظ

✽ الاعراب ✽

قد ذكرنا اعراب قوله والذين اتخذوا في الحجة ويجوز ان يكون مبتدأ وخبره لا تقم فيه ابدا كما تقول والذي يدعوك إلى النسي فلا تسمع الدعاء وتقديره فلا تسمع دعاءه وكذلك التقدير في الآية لا تقم في مسجد أم أبدا فحذف للاختصار ويجوز ان يكون خبر الذين قوله أفمن أسس بنيانه أي أفمن أسس بنيانه من هؤلاء أم من أسس من الذين اتخذوا ضارا منصوب على انه منقول له وكذلك ما بعده والمعنى اتخذوه للضرار والكفر والتفريق والارصاد فلما حذف اللام افضى الفعل فنصب ويجوز ان يكون مصدرا محمولا على المعنى لأن اتخاذهم المسجد على غير التقوى معناه ضاروا به ضارا من أول يوم دخلت من في الزمان والاصل منذ ومذهبا الأكثر استعمالا في الزمان ومن جائز دخولها ايضا لأنها الأصل في ابتداء النافية والتبويض ومنه قول زهير

لمن الديار بقنة الحجر أقوين من حجيج ومن شهر

ويروى من دهر وقد قيل ان المعنى من مر حجيج ومن مر شهر وان تقوم في موضع نصب أي أحق بأن تقوم

فيه وفيه منصوب الموضع بقوله تقوم وفيه من قوله فيه رجال في موضع رفع لأنه خبر مبتدأ مقدم عليه والمبتدأ رجال ولا يجوز ان يكون مرفوع الموضع بكونه وصفا لمسجد بل هو على الاستئناف والوقف التام على قوله احمق ان تقوم فيه ثم استوتفت الكلام فقيل فيه رجال وانما قلنا ذلك لأنك لو جعلت الظرف الذي هو فيه وصفا لمسجد لكانت فصلت بين التوبة وصفتها بالخبر الذي هو احمق وقوله أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله قال ابو علي القول فيه انه يجوز ان تكون المعادلة وقعت بين البانيين ويجوز ان يكون بين البانيين فإذا عادت بين البانيين كان المعنى المؤسس بنيانه متقيا خيرا ام المؤسس بنيانه غير متق لأن قوله على شفا جرف يدل على ان بنيانه غير متق لله تعالى ولا خاش له ويجوز ان يقدر حذف المضاف كأنه أبناء من أسس بنيانه متقيا خيرا ام بناء من أسس بنيانه على شفا جرف والبنيان مصدر اوقع على المبنى مثل الخلق إذا عنيت به المخلوق وضرب الامير إذا عنيت به المضروب وكذلك نسج اليمين يدلك على ذلك انه لا يخار من ان يراد به اسم الحدث او اسم العين فلا يجوز ان يكون الحدث لأنه انما يؤسس المبنى الذي هو عين ويبين ذلك ايضا قوله على شفا جرف والحدث لا يعلو شفا جرف والجار في قوله على تقوى من الله وقوله على شفا جرف هار في موضع نصب على الحال تقديره أفمن أسس بنيانه متقيا خيرا ام من أسس بنيانه غير متق أو معاقبا على بنائه وفاعل انهار البنيان اي انهار البنيان بالباي في نار جهنم لأنه معصية وفعل لما كرهه الله تعالى من الضرار والكفر والتفريق بين المؤمنين ومن امال هار فقد احسن لما في الرا من التكريز فكانك لفظت يرا من مكسورتين وبجسب كثرة الكسرات تحسن الامالة ومن لم يعل فلأن ترك الامالة هو الاصل وقوله الا ان تقطع قلوبهم مرضع ان تقطع نصب تقديره الا على تقطع قلوبهم غير ان حرف الاضافة يحذف مع ان ولا يحذف مع المصدر ومعنى الا ههنا حتى لأنه استثناء من الزمان المستقبل والاستثناء منه منته اليه فاجتمعت مع حتى في هذا الموضع على هذا المعنى

﴿ النزول ﴾

قال المفسرون ان بني عمرو بن عوف اتخذوا مسجدا بقباء وبشوا إلى رسول الله ﷺ ان يأتيهم فأتاهم وصلى فيه فحسداهم جماعة من المنافقين من بني غنم بن عوف فقالوا نبي مسجدا فنصلي فيه ولا نحضر جماعة محمد وكانوا اثني عشر رجلا وقيل خمسة عشر رجلا منهم ثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير ونبتل بن الحرث فبنوا مسجدا إلى جنب مسجد قباء فلما فرغوا منه اتوا رسول الله ﷺ وهو يتجهز إلى تبوك فقالوا يا رسول الله اتاقد بنيانا مسجدا لذي العلة والحاجة واليلة المطيرة واليلة الشاتية واننا نحب ان تأتينا فتصلي فيه لنا وتدعو بالبركة فقال ﷺ اني على جناح سفر ولو قدمنا اتيناكم ان شاء الله فصلينا لكم فيه فلما انصرف رسول الله ﷺ من تبوك ترات عليه الآية في شأن المسجد

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه جماعة اخرى من المنافقين بنوا مسجدا للتفريق بين المسلمين وطلب الفوائد للمؤمنين فقال (والذين اتخذوا مسجدا) والمسجد موضع السجود في الأصل وصار بالعرف اسما لبقعة مخصوصة ببيت للصلاة فالاسم عربي فيه معنى اللفة (ضرارا) أي مضارة يعني للضرر بأهل مسجد قباء أو مسجد الرسول ﷺ ليقول الجميع فيه (وكفرا) اي لإقامة الكفر فيه وقيل اراد انه كان اتخذهم ذلك كفرا بالله وقيل ليكفروا فيه بالعلم على رسول الله ﷺ والإسلام (وتقريفا بين المؤمنين) اي لاختلاف الكلمة وابطال الإلفة وتقريب الناس عن رسول الله ﷺ (وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل) اي ارضدوا ذلك المسجد واتخذوه واعدوا لأبي عامر الراهب وهو الذي حارب الله ورسوله من قبل وكان من قصته انه كان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح فلما قدم النبي ﷺ المدينة حسده وحزب عليه الأحزاب ثم هرب بعد فتح مكة إلى الطائف

فما سلم أهل الطائف حتى بالشام وخرج إلى الروم وتنصر وهو أبو حنظلة غسيل الملائكة الذي قتل مع النبي ﷺ يوم احد وكان جنبا فغسلته الملائكة وسمى رسول الله ﷺ ابا عامر الفاسق وكان قد ارسل إلى المنافقين أن استعدوا وابنوا مسجداً فأني اذهب الى قبصر وآتي من عنده يجنود وأخرج محمداً من المدينة فكان هو لاء المنافقون يتوقعون ان يجيئهم ابو عامر فأتى قبل ان يبلغ ملك الروم (وليجلفن ان أردنا الا الحسنى) معناه ان هو لاء يجلفون كاذبين ما أردنا ببناء هذا المسجد الا الفعلة الحسنى من التوسعة على أهل الضعف والعدة من المسلمين فأطلع الله نبيه على فساد طوبيتهم وخبث سريرتهم فقال (والله يشهد انهم لكاذبون) وكفى لمن يشهد الله سبحانه بكذبه خزيها فوجه رسول الله ﷺ عند قدومه من تبوك عاصم بن عوف الجعلافي ومالك بن الدخشم وكان مالك من بني عمرو بن عوف فقال لها انطلقا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرماه وروي انه بعث عامر بن ياسر ووحشياً فحرماه وأمر بأن يتخذ كناسة يلقي فيها الجيف ثم نهى الله سبحانه ان يقوم في هذا المسجد فقال (لا تقم فيه أبدا) اي لا تصل فيه ابدا يقال فلان يقوم بالليل اي يصلي ثم اقسام فقال (مسجد) اي والله مسجد (أسس على التقوى) اي بني أصله على تقوى الله وطاعته (من اول يوم) اي منذ اول يوم وضع اساسه عن المبرد (احق أن تقوم فيه) أي اولى بأن تصلي فيه واختلاف في هذا المسجد فقيل هو مسجد قباء عن ابن عباس والحسن وعروة بن الزبير وقيل هو مسجد رسول الله ﷺ عن زيد بن ثابت وابن عمر وابي سعيد الخدري وروي هو عن النبي ﷺ قول هو مسجدي هذا وقيل هو كل مسجد بني للإسلام وأريد به وجه الله عن ابي مسلم ثم وصف المسجد واهله فقال (فيه) اي في هذا المسجد الذي اسس على التقوى (رجال يحبون ان يتطهروا) اي يحبون ان يصلوا الله تعالى متطهرين بأبلغ الطهارة وقيل يحبون أن يتطهروا من الذنوب عن الحسن وقيل يحبون ان يتطهروا بالماء عن الغائط والبول وهو المروي عن السيدين الباقر والصادق عليهما السلام وروي عن النبي ﷺ انه قال لأهل قباء ماذا تفعلون في طهركم فإن الله تعالى قد احسن عليكم الثناء قالوا نغسل اثر الغائط فقال انزل الله فيكم (والله يحب المطهرين) اي المتطهرين ثم قرر سبحانه الفرق بين المسجدين فقال (أفمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار) قد مضى بيانها والمراد ان الله تعالى شبه بنيانهم على نار جهنم بالبناء على جانب نهر هذا صفة فكان ان من بنى على جانب هذا النهر فإنه ينهار بناؤه في الماء ولا يثبت فكذلك بناء هؤلاء ينهار ويسقط في نار جهنم يعني انه لا يستوي عمل المتقي وعمل المنافق فإن عمل المؤمن المتقي ثابت مستقيم مبني على اصل صحيح ثابت وعمل المنافق ليس بثابت وهو واه ساقط والالف في قوله افمن الف استفهام يراد به الإنكار ها هنا وليس معنى خير في الآية افضل بل هو كما يقال هذا خير وهذا شر وقال الشاعر

والخير والشر مقرونان في قرن فالخير متبع والشر محذور

واما قوله وافعلوا الخير فإن معناه وافعلوا الأفضل وقوله (فانهار به في نار جهنم) اي بوقعه ذلك البناء في نار جهنم (والله لا يهدي القوم الظالمين) مر بيانه وروي عن جابر بن عبد الله انه قال رأيت المسجد الذي بنى ضرارا يخرج منه الدخان (لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم) اي لا يزال بناء المبني الذي بنوه شكاً في قلوبهم فيما كان من اظهار اسلامهم وثباتنا على التفاق وقيل ان معناه حرازة في قلوبهم وقبل حسرة في قلوبهم بترددون

فيها (الا ان تقطع قلوبهم) معناه الا ان يموتوا والمراد بالآية انهم لا ينزعون عن الخطيئة ولا يتوبون حتى يموتوا على نفاقهم وكفرهم فاذا ماتوا عرفوا بالموت ما كانوا تركوه من الايمان واخذوا به من الكفر وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة تنقطع بها قلوبهم ندما واسفا على ثمر بطلهم (والله عليم) اي عالم بنبهتهم في بناء مسجد الضرار (حكيم) في امره بنقضه والمنع من الصلاة فيه

قوله تعالى (١١١) **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١٢) النَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ آيَاتان**

(- القراءة -)

قرأ اهل الكوفة غير عاصم فيقتلون بضم الياء ويقتلون بفتح الياء والباقون فيقتلون بفتح الياء ويقتلون بضمها وفي قراءة ابي وعبد الله بن مسعود والأعمش التائبين العابدين بالياء الى آخرها وروي ذلك عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام

- الحجة -

قال ابو علي من قرأ فيقتلون ويقتلون فقدم الفعل المسند الى الفاعل فلأنهم يقتلون اولاً في سبيل الله ويقتلون ولا يقتلون اذا قتلوا ومن قدم الفعل المسند الى المفعول به جاز ان يكون في المعنى مثل الاول لأن المعطوف بالواو يجوز ان يراد به التقديم فإن لم يقدر فيه التقديم كان المعنى في قوله فيقتلون بعد قوله يقتلون يقتل من بقي منهم بعد قتل من قتل واما الرفع في قوله التائبون العابدون فلي القطع والاستئناف أي هم التائبون ويكون على المدح وقيل انه رفع على الابتداء وخبره محذوف بعد قوله والحافظون لحدود الله أي لهم الجنة ايضاً عن الزجاج وقيل انه رفع على البدل من الصمير في يقتلون أي يقاتل التائبون وأما التائبين العابدين فيحتمل ان يكون جراً وان يكون نصباً اما الجر فعلى ان يكون وصفاً للمؤمنين أي من المؤمنين التائبين واما النصب فعلى اضمار فعل بمعنى المدح كأنه قال اعني وامدح التائبين

✽ اللغة ✽

السائح من ساح في الأرض يسبح سباحاً اذا استمر في الذهاب ومنه السبح الماء الجاري ومن ذلك يسمي الصائم سائحاً لاستمراره على الطاعة في ترك المشهي

✽ الاعراب ✽

وعدا نصب على المصدر لأن قوله اشترى يدل على انه وعد ومثله صنع الله الذي اتقن كل شيء وفطرة الله التي فطر الناس عليها

* المعنى *

لما تقدم ذكر المؤمنين والمنافقين عقب سبحانه بالترغيب في الجهاد فقال (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة) حقيقة الاشتراء لا تجوز على الله تعالى لأن المشتري إنما يشتري ما لا يملكه وهو عز اسمه مالك الاشياء كلها لكنه مثل قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا في انه ذكر لفظ الشراء والقرض تطلقا لتأكيد الجزاء. ولما كان سبحانه ضمن الثواب على نفسه عبر عن ذلك بالاشتراء وجعل الثواب ثمنا والطاعات مثمنا على ضرب من المجاز واخبر انه اشترى من المؤمنين انفسهم ببذلونها في الجهاد في سبيل الله واموالهم ايضا ينفقونها ابتغاء مرضاة الله على ان يكون في مقابلة ذلك الجنة وروي عن الأعمش انه قرأ بالجنة وهي قراءة عمر بن الخطاب والجهاد قد يكون بالسيف وقد يكون باللسان وربما كان جهاد اللسان ابلغ لأن سبيل الله دينه والدعاء الى الدين يكون اولا باللسان والسيف تابع له ولأن اقامة الدليل على صحة المدلول اولى وابطاح الحق وبيانه احرى وذلك لا يكون الا باللسان وقد قال النبي ﷺ يا علي لأن يهدي الله على يدك نسمة خير مما طلعت عليه الشمس وإنما ذكر سبحانه شراء النفس والمال لأن العبادات على ضربين بدنية ومالية ولا ثالث لهما ويروى أن الله سبحانه تاجر المؤمنين فأغى لهم الثمن فجعل ثمنهم الجنة وكان الصادق (ع) يقول ايا من ليست له همة انه ليس لأبدانكم ثمن الا الجنة فلا تبيعوها الا بها وانشد الاصمعي للصادق (ع)

اثامن بالنفس النفيسة ربها	فليس لها في الخلق كلهم ثمن
بها تشتري الجنات إن أنابعتها	بشي سواها إن ذلكم غبن
إذا ذهبت نفسي بدنيا أصبتها	فقد ذهب الدنيا وقد ذهب الثمن

(يقانلون في سبيل الله) هذا بيان للغرض الذي لأجله اشتراهم (فيقتلون) المشركين (ويقتلون) اي ويقتلهم المشركون يعني أن الجنة عوض عن جهادهم سواء قتلوا او قتلوا ومن قرأ فيقتلون ويقتلون فهو المختار عن الحسن لأنه يكون تسليم النفس الى المشتري اقرب والبائع إنما يستحق الثمن بتسليم المبيع (وعدا عليه حقا) معناه ان ايجاب الجنة لهم وعد على الله حق لا شك فيه وتقديره وعدهم الله الجنة على نفسه وعدا حقا يصدقها واجبا لا خلف فيه (في التوراة والانجيل والقرآن) وهذا يدل على ان اهل كل ملة امروا بالقتال وعدوا عليه الجنة عن الزجاج (ومن اوفى بعهده من الله) معناه لا احد اوفى بعهده من الله لأنه يفي ولا يخلف بحال (فاستبشروا ببيعكم الذي باعتم به) فافرحوا بهذه المبايعة حتى ترى آثار السرور في وجوهكم بسبب هذه المبايعة لأنكم بعتم الشيء من مالكم واخذتم ثمنه ولأنكم بعتم فانيا بياق وزائلا بدائم (وذلك هو الفوز العظيم) اي ذلك الشراء والبيع الظفر الكبير الذي لا يقاربه شيء ثم وصف الله سبحانه المؤمنين الذين اشترى منهم الأنفس والأموال بأوصاف فقال (التائبون) اي الراجعون الى طاعة الله والمنقطعون اليه التادمون على ما فعلوه من القبائح (المابدون) اي الذين يعبدون الله وحده ويتذللون له بطاعته في اوامره ونواهيه وقيل هم الذين اخذوا من ابدانهم في ليلهم ونهارهم فبذروا الله في السراء والضراء عن الحسن وقتادة (الحامدون) اي الذين يحمدون الله على كل حال عن الحسن وقيل هم الشاكرون لنعم الله على وجه الإخلاص له (السائحون) اي الصائمون عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وسعيد بن جبيرة

وبجاهدوروي مرفوعا عن النبي ﷺ انه قال سياحة امتي الصيام وقيل هم الذين يسبحون في الأرض فيعتبرون بمجانب الله تعالى وقيل هم طلبة العلم يسبحون في الأرض لطلبه عن عكرمة (الراكون الساجدون) اي المودون للصلاة المفروضة التي فيها الركوع والسجود (الأمرون بالمعروف والنهي عن المنكر) ادخل الواو هنا لأن الأمر بالمعروف يتضمن النهي عن المنكر فكأنهما شي واحد ولا نه قرن النهي عن المنكر بالأمر بالمعروف في أكثر المواضع فادخل الواو ليدل على المقارنة (والحافظون لحدود الله) اي والقائمون بطاعة الله عن ابن عباس يعني الذين يؤدون فرائض الله ووامره وبعثون نواهيه لأن حدود الله ووامره ونواهيه وإنما ادخل الواو لأنه جاء وهو اقرب الى المطفوف (وبشر المؤمنين) هذا امر النبي ﷺ ان يبر المصدقين بالله المترفين بنبوته بالثواب الجزيل والمنزلة الرفيعة خاصة اذا جمعوا هذه الاوصاف وقد روى اصحابنا ان هذه صفات الائمة المعصومين عليهم السلام لأنه لا يكاد يجمع هذه الاوصاف على تمامها وكمالها غيرهم ولقي الزهري علي بن الحسين (ع) في طريق الحج فقال له تركت الجهاد وصعوبته واقبلت الى الحج والله سبحانه يقول ان الله اشترى من المؤمنين الآية فقال (ع) له اتم الآية الأخرى التائبون العابدون الى آخرها ثم قال اذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم فالجهاد معهم افضل من الحج

قوله تعالى (١١٣) مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١١٤) وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِبَاءَهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ آيَاتَانِ

﴿ اللغة ﴾

اصل الاواه من التأوه وهر التوجع والتحزن يقال تأوه تأوها واوه تأويها قال المتف العبدى

اذا ما قمت ارحلها بليل

تأوه آهة الرجل الحزين

ولو جاء منه فعل. صرفا لكان آه يوه اوها مثل قال يقول قولاً والعرب تقول اوه من كذا بكسر الواو وتسكين الهاء. قال

فأوه بذكرها اذا ما ذكرتها

ومن بعد ارض دونها وساء

والعامة تقول اوه وفيه خمس لغات اوه بسكون الواو وكسر الهاء. واوه بالتثنية واوه واوه

« المعنى »

(ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين) ومعناه ليس للنبي والمؤمنين ان يطلبوا المغفرة للمشركين الذين يعبدون مع الله إلهاً آخر والذين لا يحدونه ولا يقرون بأهليته (ولو كانوا اولي قربي) اي ولو كان الذين يطلبون لهم المغفرة اقرب الناس اليهم (من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم) اي من بعد ان يعلموا انهم كفار مستحقون للخلود في النار وفي تفسير الحسن ان المسلمين قالوا للنبي ﷺ الا تستغفرا لآبائنا الذين ما تروا في الجاهلية فانزل الله سبحانه هذه الآية وبين انه لا ينبغي للنبي ولا مؤمن ان يدعو لكافر ويستغفر له وقوله ما كان للنبي ابلغ من ان يقول لا ينبغي للنبي لأنه يدل على قبجه وان الحكمة تمنع منه ولو قال لا ينبغي لم يدل على ان الحكمة تمنع منه وإنما كان يدل على انه لا ينبغي ان يختاره ومعناه لم يجعل الله في دينه ولا في حكمه ان يستغفروا للمشركين ولو دعتهم رقة القرابة وشفقة الرحم الى الاستغفار لهم بعد ما ظهر ان لهم عذابا عظيما ثم بين سبحانه الوجه في استغفار ابراهيم لأبيه مع كونه كافرا سواء كان اياه الذي ولده أو جده

لأنه ارعده على ما رواه أصحابنا فقال (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه) أي لم يكن استغفاره له إلا صادرا عن موعدة وعدها إياه واختلف في صاحب هذه الموعدة هل هو إبراهيم وأبوه وقيل إن الموعدة كانت من الأب وعدها إبراهيم أنه يؤمن أن استغفر له فاستغفر له لذلك (فلما تبين له أنه عدو لله) ولا يفي بما وعد (تبرأ منه) وترك الدعاء له وهو المروي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة إلا أنهم قالوا إنما تبين عدوته لما مات على كفره وقيل إن الموعدة كانت من إبراهيم قال لأبيه أني استغفر لك ما دمت حيا وكان يستغفر له مقيدا بشرط الأيمان فلما آيس من إيمانه تبرأ منه وهذا يوافق قراءة الحسن إلا عن موعدة وعدها إياه بالباء ويقويه قوله إلا قول إبراهيم لأبيه لا استغفرون لك وما أملك لك من الله من شيء (إن إبراهيم لأواه) أي دعاء كثير الدماء والبكاء عن ابن عباس وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) وقيل الأواه الرحيم بعباد الله عن الحسن وقتادة وقيل هو الذي إذا ذكر النار قال أواه عن كعب وقيل الأواه المؤمن بلفظة الجبشة عن ابن عباس وقيل الأواه الموقن المستيقن عن مجاهد وعكرمة وقيل الأواه العفيف عن النخعي وقيل هو الراجع عن كل ما يكرهه الله عز وجل عن عطاء وقيل هو الخاشع المتضرع رواه عبد الله بن شداد عن النبي ﷺ وقيل هو المسيح الكثير الذكر لله سبحانه عن عقبه بن عامر وقيل هو المتأثر شققا وفرقا المتضرع بقينا بالإجابة ولزوما للطاعة عن أبي عبيدة وقال الزجاج وقد انتظم قول أبي عبيدة أكثر ما روي في الأواه (حليم) يقال بلغ من حلم إبراهيم (ع) إن رجلا قد أذاه وشتمه فقال له هداك الله وقيل الحليم السيد عن ابن عباس وأصله أنه الصبور على الأذى الصفوح عن الذنب

﴿ النظم ﴾

لما تقدم ذكر الكفار والمنافقين والمنع من موالاتهم والصلاة عليهم والقيام على قبرهم للدهاء لهم نهى عن دعائهم بعد موتهم ولما نهى الله النبي والمؤمنين عن الاستغفار للمشركين ذكر قصة إبراهيم وعذره في الاستغفار لأبيه وأما قوله إن إبراهيم لأواه حليم فإنما اتصل بما قبله بأنه إذا كان له صفة الرأفة والرحمة يكون في دعائه اخلص وعلى خلاص أقربائه من العذاب احرص ومع ذلك تبرأ منه لما يشاء من فلاحه

قوله تعالى (١١٥) وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١٦) إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ آيَاتُ

(- التزول -)

قيل مات قوم من المسلمين على الإسلام قبل أن تنزل الفرائض فقال المسلمون يا رسول الله اخواننا الذين ماتوا قبل الفرائض ما منزلتهم فنزل وما كان الله ليضل قوما الآية عن الحسن

﴿ المعنى ﴾

(وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم) أي وما كان الله ليحكم بضلالة قوم بعد ما حكم بهدائيتهم (حتى يبين لهم ما يتقون) من الأمر بالطاعة والنهي عن المعصية فلا يتقون فعند ذلك يحكم بضلالتهم وقيل وما كان الله ليعذب قوما فيضلهم عن الثواب والكرامة وطريق الجنة بعد إذ هداهم ودعاهم إلى الإيمان حتى يبين لهم ما يستحقون به الثواب والعقاب من الطاعة والمعصية وقيل لما نسخ بعض الشرائع وقد غاب أناس وهم بعملون بالأمر الأول إذ لم يعلموا بالأمر الثاني مثل تحويل القبلة وغير ذلك وقد مات الأولون على الحكم الأول سئل النبي ﷺ عن ذلك فأنزله الله الآية وبين أنه لا يعذب هؤلاء على التوجه إلى القبلة الأولى حتى يسموا

بالنسخ ولا يعملوا بالناسخ فحينئذ يعذبهم عن الكلي (إن الله بكل شيء عليم) يعلم جميع المعلومات حتى لا يشذ شيء منها عنه لكونه عالماً لنفسه (إن الله له ملك السماوات والأرض) الملك اتساع المقدور لمن له السياسة والتدبير (يحيي ويميت) أسبغ بحيي الجهاد ويميت الحيوان (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) أي ليس لكم سواه حافظ يحفظكم وولي يتولى امركم ولا ناصر ينصركم ويدفع العذاب عنكم

﴿النظم﴾

وجه اتصال الآية الأولى بما قبلها ان الله سبحانه لما حرم على المؤمنين ان يستغفروا للمشركين بين سبحانه انه لا يأخذهم بذلك إلا بعد ان يدلهم على تحريمه عن مجاهد ووجه اتصال الآية الثانية بما قبلها الحظ على ما تقدم ذكره من جهاد المشركين ملوكهم وغير ملوكهم لأنهم عبيد من له ملك السماوات والأرض بأمرهم بما يشاء ويديروهم على ما يشاء عن علي بن عيسى

قوله تعالى (١١٧) لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ النَّسْرِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١١٨) وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ آيَاتُ

﴿القرأة﴾

قرأ حمزة وحفص عن عاصم يزيد بالياء وهي قرأة الأعمش والباقر تزيغ بالتاء والقرأة المشهورة الذين خلفوا وقرأ علي بن الحسين زين العابدين (ع) وابو جعفر محمد بن علي الباقر وجعفر بن محمد الصادق عليهم السلام وابو عبد الرحمن السلمي خالفوا وقرأ عكرمة وزر بن حبيش وعمرو بن عبيد خلفوا بفتح الخاء واللام خفيفة

﴿الحجة﴾

قال ابو علي يجوز ان يكون فاعل كاد احد ثلاثة اشياء ﴿الأول﴾ ان تضمن فيها القصة والحديث ويكون تزيغ الخبر وجاز ذلك فيها وإن كان الأصل في اضرار القصة إنما هو في الابتداء لأن الخبر لازم لكاد فأشبهه العوامل الداخلة على الابتداء للزوم الخبر له قال ولا يجوز ذلك في عسى لأن عسى قد يكون فاعله المفرد في كثير من الأمر فلا يلزمه الخبر كقوله عسى أن تكروها شيئاً وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئاً وهو شر لكم فلماذا كان كذلك لم يحتمل الضمير الذي يحتمله كاد كما لم يحتمله سائر الافعال التي تسند إلى فاعليهما لا يدخل على المبتدأ ﴿الثاني﴾ ان يضم في كاد ذكر مما تقدم لما كان النبي ﷺ والمهاجرون والأنصار قبلاً واحداً وفريقاً واحداً جاز ان يضم في كاد ما دل عليه ما تقدم ذكره من القبيل والحزب والفريق ونحو ذلك من الأسماء المفردة الدالة على الجمع وقال منهم فحمله على المعنى مثل قوله آمن بالله واليوم الآخر ثم قال فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فكذلك فاعل كاد على هذا الوجه ﴿الثالث﴾ أن يكون فاعل كاد القلوب وتقديره من بعد ما كاد قلوب فريق منهم تزيغ ولكنه قد تقدم خبر كان وجاز تقديمه وان كان فيه ذكر من القلوب ولم يمتنع من حيث يمتنع الاضرار وقبل الذكر لما كان النية به التأخير كما لم يمتنع ضرب غلامه زيد لما كان التقدير به التأخير فأما من قرأ يزيد بالياء فيجوز أن يكون قد ذهب إلى ان في كاد ضمير الحديث فيرتفع قلوب يزيد فذكر وإن كان فاعله مؤنثاً لتقدم الفعل ومن قرأ تزيغ بالتاء جاز أن يكون ذهب إلى ان القلوب مرتفعة بكاد وجاز أن يكون الفعل المسند إلى القصة او الحديث مؤنثاً إذا كان في الجملة

التي يفسرها مؤنث كقوله فلماذا هي شاحصة ابصار الذين ككفروا وجاز تأنيث هي التي هي ضمير القصة لذكر الأَبصار المؤنثة في الجملة التي هي التفسير فكذلك يؤنث الذي في كاد لذكر المؤنث في الجملة المفسرة فنقول كادت وتدغم التاء التي هي علامة التأنيث في تاء تزيغ وتزيغ على هذا للقلوب وهي مرتفعة به ويجوز الحاق التاء بكاد من وجه آخر وهي ان ترفع قلوب فريق بكاد فتلحقه علامة التأنيث من حيث كان مستنداً إلى مؤنث ومن قرأ خلقوا فتأويله اقاموا ولم يبرحوا ومن قرأ خالفوا فمعناه عائد إلى ذلك لأنهم إذا خالفوهم فأقاموا فقد خلقوا هناك

❖ اللغة ❖

الزيع ميل القلب عن الحق ومنه قوله فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم وزاغت الشمس إذا مالت وزاغ عن الطريق جاز وعبدل والتخليف تأخير الشيء عن مضي فأمأ تأخير الشيء عنك في المكان فليس بتخليف وهو من الخلف الذي هو مقابل لحيته الوجه يقال خلقه أي جعله خلقه فهو مخلف ورحبت البلاد إذا اتسعت والرحب السعة ومنه مرجباً واهلاً أي رحبت بلادك واهلت والضيقة ضد السعة والظان هنا بمعنى اليقين كما في قول دربدن الصمة

فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج سراتهم في الفارسي المسرد

❖ النزول ❖

نزلت الآية الأولى في غزاة تبوك وما لحق المسلمين فيها من العسرة حتى هم قوم بالرجوع ثم تداركهم لطف الله سبحانه قال الحسن كان العشرة من المسلمين يخرجون على بعير يعقبونه بينهم يركب الرجل ساعة ثم ينزل فيركب صاحبه كذلك وكان زادهم الشعير الموس والتمر المدود والاهالة السنخة وكان نفر منهم يخرجون ما معهم من التميرات بينهم فلذا بلغ الجوع من أحدهم أخذ التمرة فلا كها حتى يجد طعاماً ثم يعطيها صاحبه فيعصها ثم يشرب عليها جرعة من ماء كذلك حتى يأتي على آخرهم فلا يبقى من التمرة إلا النواة قالوا وكان أبو خيشمة عبد الله بن خيشمة تخلف إلى أن مضى من سير رسول الله ﷺ عشرة أيام ثم دخل يوماً على امرأتين له في يوم حار في عريشين لها قد رتبتهما وبردتا الماء وهياتا له الطعام فقام على العريشين وقال سبحان الله رسول الله قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر في الفتح والريح والحر والقر يحمل سلاحه على عاتقه وأبو خيشمة في ظلال باردة وطعام مهيبي وامرأتين حسناوين ما هذا بالنصف ثم قال والله لا أكل واحدة منك كلمة ولا ادخل عريشاً حتى ألحق بالنبي ﷺ فأناخ ناضحه واشتد عليه وتزود وارتحل وامرأته تكلمانه ولا يكلمها ثم سار حتى إذا من تبوك قال الناس هذا راكب على الطريق فقال النبي ﷺ كن أبا خيشمة أولى لك فلما دنا قال الناس هذا أبو خيشمة يارسول الله فأناخ راحلته وسلم على رسول الله ﷺ فقال (ع) أولى لك فحدثه الحديث فقال له خيرا ودعا له وهو الذي زاغ قلبه للمقام ثم ثبته الله وأما الآية الثانية فلإنها نزلت في شأن كعب ابن مالك وسارة بن الربيع وهلال بن أمية وذلك أنهم تخلفوا عن رسول الله ﷺ ولم يخرجوا معه لا عن تفاق ولكن عن توان ثم ندموا فلما قدم النبي ﷺ المدينة جاءوا إليه واعتذروا فلم يكلمهم النبي ﷺ وتقدم إلى المسلمين بأن لا يكلمهم أحد منهم فهجرهم الناس حتى الصبيان وجاءت نسأوم إلى رسول الله ﷺ فقلن له يارسول الله نتمزلم فقال لا ولكن لا يقربوكن فضاقت عليهم المدينة فخرجوا إلى رؤوس الجبال وكان أهاليهم يميثون لهم بالطعام ولا يكلمونهم فقال بعضهم لبعض قد هجرنا الناس ولا يكلمنا أحد منهم فهلا تنهاجر نحن أيضاً فخرجوا ولم يجتمع منهم اثنتان وبقوا على ذلك خمسين يوماً يتضرعون إلى الله تعالى ويتوبون إليه فقبل الله تعالى توبتهم وأنزل فيهم هذه الآية

* المعنى *

(لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأَنْصار) أقسم الله تعالى في هذه الآية لأن لام لقد لام القسم بأنه سبحانه قبل توبتهم وطاعتهم وإنما ذكر اسم النبي ﷺ مفتاحاً للكلام وتحسيناً له ولأنه سبب توبتهم وإلا فلم يكن منه ما يوجب التوبة وقد روي عن الرضا علي بن موسى عليه السلام أنه قرأ لقد تاب الله بالنبي على المهاجرين والأَنْصار (الذين اتبعوه) في الخروج معه إلى تبوك (في ساعة العسرة) وهي صعوبة الأمر قال جابر يعني عسرة الزاد وعسرة الظهر وعسرة الماء والمراد بساعة العسرة وقت العسرة لأن الساعة تقع على كل زمان وقال عمر ابن الخطاب أصابنا حر شديد وعطش فأمطر الله سبحانه السماء بدعاء النبي ﷺ فغشنا بذلك (من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم) عن الجهاد فهموا بالانصراف من غزاتهم من غير امر فعصمهم الله تعالى من ذلك حتى مضوا مع النبي ﷺ (ثم تاب عليهم) من بعد ذلك الزينغ ولم يرد بالزبنغ هاهنا الزبنغ عن الإيمان (إنه بهم رؤوف رحيم) تداركهم برحمته والرفقة اعظم من الرحمة (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) قال مجاهد معناه خلفوا عن قبول التوبة بعد قبول توبة من قبل توبتهم من المنافقين كما قال سبحانه فيما مضى وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم وقال الحسن وقتادة معناه خلفوا عن غزوة تبوك لما تخلفوا وهم وأما قراءة أهل البيت عليهم السلام خلفوا فإنهم قالوا لو كانوا خلفوا لما توجه عليهم العنب ولكنهم خلفوا (حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت) أي برحبها وما هاهنا مصدرية ومعناه ضاقت عليهم الأرض مع اتساعها وهذه صفة من بلغ غاية الندم حتى كأنه لا يجد لنفسه مذنباً وذلك بأن النبي أمر الناس بأن لا يجالسوهم ولا يكلموهم كما مر ذكره لأنه كان نزلت توبة الناس ولم تنزل توبتهم ولم يكن ذلك على معنى رد توبتهم لأنهم كانوا مأمورين بالتوبة ولا يجوز في الحكمة رد توبة من يتوب في وقت التوبة لكن الله سبحانه أراد بذلك تشديد المحنة عليهم في تأخير انزال توبتهم وأراد بذلك استصلاحهم واستصلاح غيرهم لئلا يعودوا إلى مثله (واضاقت عليهم أنفسهم) هذه عبارة عن المبالغة في الغم حتى كأنهم لم يجدوا لأنفسهم موضعاً يخفون فيه وقيل معنى ضيق أنفسهم ضيق صدورهم بالهم الذي حصل فيها (وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه) أي وأيقنوا أنه لا يعصمهم من الله موضع يعتصمون به ويلجأون إليه غيره تعالى ومعناه علموا أنه لا معتصم من الله إلا به وأن لا ينجهم من عذاب الله إلا التوبة (ثم تاب عليهم ليتوبوا) أي ثم سهل الله عليهم التوبة حتى تابوا وقيل ليتوبوا أي ليعودوا إلى حالتهم الأولى قبل المعصية وقيل معناه ثم تاب على الثلاثة وانزل توبتهم على نبيه ﷺ ليتوب المؤمنون من ذنوبهم لعلمهم بأن الله سبحانه قابل للتوبة قال الحسن أما والله ما سفكوا من دم ولا أخذوا من مال ولا قطعوا من رحم ولكن المسلمين تسارعوا في الشخوص مع رسول الله ﷺ وتخلف هو لاء وكان أحدهم تخلف بسبب ضيعة له والآخرون لاهله والآخرون طلباً للراحة ثم ندموا وتابوا فقبل الله توبتهم (إن الله هو التواب) أي الكثير القبول للتوبة (الرحيم) بعباده

* النظم *

اتصلت الآية الأولى بقوله التائبون الآية اثني الله سبحانه عليهم هناك وبين في هذه الآية قبول توبتهم ورضاه عنه بتابعهم للنبي ﷺ في ساعة العسرة عن أبي مسلم وقيل أنه سبحانه لما ذكر أن له ملك السموات والأرض ولا ناصر لأحد دونه بين عقبيه رحمته بالمؤمنين ورافته بهم في قبول توبتهم

قوله تعالى (١١٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ آية

* القراءة *

في مصحف عبد الله وقراءة ابن عباس من الصادقين وروي ذلك عن أبي عبد الله (ع)

﴿ اللغاة ﴾

الصادق هو القائل بالحق العامل به لأنه صفة مدح ولا يطلق إلا على من يستحق المدح على صدقه

﴿ المعنى ﴾

ثم خاطب الله سبحانه المؤمنين الصادقين بالله المقرين بشيئة نبيه ﷺ فقال (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله) أي اتقوا معاصي الله واجتنبوها (وكونوا مع الصادقين) الذين يصدقون في اخبارهم ولا يكذبون ومعناه كونوا على مذهب من يستعمل الصدق في اقواله وأفعاله وصاحبهم ورافقهم كقولك أنا مع فلان في هذه المسئلة أي اتخدي به فيها وقد وصف الله الصادقين في سورة البقرة بقوله ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر إلى قوله أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون فأمر سبحانه بالاعتداء بهؤلاء الصادقين المتقين وقيل المراد بالصادقين من الذين ذكرهم الله في كتابه وهو قوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه يعني حمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب ومنهم من ينتظر يعني علي بن أبي طالب (ع) وروى الكافي عن أبي صالح عن ابن عباس قال كونوا مع الصادقين مع علي واصحابه وروى جابر عن أبي جعفر (ع) في قوله وكونوا مع الصادقين قال مع آل محمد ﷺ وقيل مع النبيين والصديقين في الجنة بالعمل الصالح في الدنيا عن الضحاك وقيل مع محمد ﷺ واصحابه عن نافع وقيل مع الذين صدقت نياباتهم واستقامت قلوبهم واعمالهم وخرجوا مع رسول الله ﷺ ولم يتخلفوا عنه عن ابن عباس وقيل ان معنى مع هنا معنى من فكأنه أمر بالكون من جملة الصادقين وبعضه قراءة من قرأ من الصادقين والمعنيان متقاربان هنا لأن مع للمصاحبة ومن للتبعية فإذا كان من جملتهم فهو معهم وبعضهم وقال ابن مسعود لا يصاح من الكذب جد ولا هزل ولا أن بعد احدكم صبيه ثم لا ينجز له اقراؤا إن شئتم هذه الآية هل ترون في الكذب رخصة

قوله تعالى (١٢٠) مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخَصَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَّوِّئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١٢١) وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ آيتان

﴿ اللغاة ﴾

الرجية طلب المنفعة يقال رغب فيه إذا طلب المنفعة به ورغب عنه إذا طلب المنفعة بتركه والظلم شدة العطش والنصب التعب ومثله الوصب قال النابغة

كليني لهم يا أميمة ناصب
وليل أقاسيه بطي الكواكب

والمخمص المصاعة وأصله ضمور البطن للمجاعة ورجل خميص البطن وامرأة خمصانة ضامرة البطن والموطى الارض والغيظ انتقاض الطبع بما يرى مما يسوؤه يقال غاظه بغيظه

﴿ المعنى ﴾

لما قص الله سبحانه قصة الذين تأخروا عن الخروج مع النبي ﷺ إلى غزوة تبوك ثم اعتذارهم عن ذلك وتوبتهم منه وانه قبل توبة من تدم على ما كان منه لرافته بهم ورحمته عليهم ذكر عقيب ذلك على وجه التوبيخ

لهم والاوزراء على ما كانوا فعلوه فقال (ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله) ظاهره خبر ومعناه نهي مثل قوله ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله أي ما كان يجوز وما كان يحل لأهل مدينة الرسول ومن حولهم من سكان البوادي أن يتخلفوا عنه في غزاة تبوك وغيرها بتغير عذر وقيل انه مزينة وجهية واشجع وغفار واسلم (ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) أي ما كان يجوز لهم ولجميع المؤمنين أن يطلبوا قمع نفوسهم بتوقيتها دون نفسه وهذه فريضة ألزمهم الله إياها حتى رسول الله ﷺ فيها دعاهم إليه من الهدى الذي اهدوا به وخرجوا من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان وقيل معناه ولا يرضوا لأنفسهم بالخفض والدعة ورسول الله في الحر والمشقة يقال رغبت بنفسي عن هذا الأمر أي ترفعت عنه بل عليهم أن يجعلوا أنفسهم وقاية للنبي ﷺ (ذلك) أي ذلك النهي لهم والزجر عن التخلف. (بأنهم لا يصيبهم ظمأ) أي عطش (ولا نصب) أي ولا تعب في ابدانهم (ولا مخصصة في سبيل الله) أي ولا جماعة وهي شدة الجوع في طاعة الله (ولا بطؤون موطئاً يغيظ الكفار) أي لا يضعون اقدامهم موضعا يغيظ الكفار وطمؤم إياه يعني دار الحرب فإن الإنسان يغيظه ويغضبه أن يطمأ غيره موضعه (ولا يتألون من عدو نيلاً) أي ولا يصيبون من المشركين أمراً من قتل أو جراحة أو مال أو امر يغمهم ويغيظهم (إلا كتب لهم به عمل صالح) وطاعة رفيعة (إن الله لا يضيع أجر المحسنين) أي الذين يفعلون الأفعال الحسنة التي يستحق بها المدح والثواب وفي هذا تحريض على الجهاد وأعمال الخير (ولا يتفقون ثقة صغيرة ولا كبيرة) أي ولا يتفقون في الجهاد ولا في غيره من سبل الخير والمعروف ثقة قليلة ولا كثيرة يريدون بذلك اعزاز دين الله وتقع المسلمين والتقرب بذلك إلى الله تعالى (ولا يقطعون وادياً) أي ولا يجاوزون وادياً (إلا كتب لهم) ثواب ذلك (ليجزئهم الله أحسن ما كانوا يعملون) أي يكتب طاعاتهم ليجزيهم عليها بقدر استحقاقهم ويزيدهم من فضله حتى يصير الثواب أحسن وأكثر من عملهم وقيل ان الأحسن من صفة فعلهم لأن الأعمال على وجوه واجب ومندوب ومباح وإنما يجازى على الواجب والمندوب دون المباح فيقع الجزاء على أحسن الأعمال وقيل معناه ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون قال ابن عباس يرضيهم بالثواب ويدخلهم الجنة بغير حساب والآيتان تدلان على وجوب الجهاد مع رسول الله ﷺ وحظر التخلف عنه وقد اختلف في ذلك فقيل المراد بذلك جميع من دعاه النبي ﷺ إلى الجهاد وهو الصحيح وقيل المراد به أهل المدينة ومن حولها من الأعراب ثم اختلف فيه من وجه آخر فقيل انه خاص في النبي ﷺ ليس لأحد أن يتخلف عنه في الجهاد إلا لعذر فأما غيره من الأئمة فيجوز التخلف عنه عن قتادة وقيل ان ذلك لأول هذه الأمة وآخرها من المجاهدين في سبيل الله عن الأوزاعي وابن المبارك وقيل ان هذا كان في ابتداء الإسلام وفي أهله قلة فأما الآن وقد كثر الإسلام وأهله فإنه منسوخ بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية عن ابن زيد وهذا هو الأقوى لأنه لا خلاف ان الجهاد من فروض الكفايات فلو لزم كل أحد لصار من فروض الأعيان

قوله تعالى (١٢٢) وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٢٤) وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيْدِيكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٥) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ أَرْبَعُ آيَاتٍ

﴿ اللمة ﴾

التفقه تعلم الفقه والفقه العلم بالشيء وفي حديث سلمان انه قال لامرأة فقتهت أي علمت وفهمت فأما فقتهت بضم الفاء فمعناه صارت فقيهة وقد اختص في العرف بعلم الأحكام الشرعية فيقال لكل علم بها فقيه وقيل الفقه فهم المعاني المستنبطة ولذلك لا يقال الله سبحانه فقيه والحذر تجنب الشيء بما فيه من المفسرة قال الزجاج يقال غلظة وغلظة وغلظة ثلاث لغات قال أبو الحسن قراءة الناس بالكسر وهي العربية والمراد بالمرض سيف الآفة الشك فإنه فساد في القلب يحتاج إلى العلاج كما ان الفساد في البدن يحتاج إلى مداواة ومرض القلب اعضل وعلاجه أعسر ودواؤه أعز وأطبائه أقل

﴿ الإعراب ﴾

لولا قر بمعنى هلا نقر وهي للتخصيص إذا دخلت على الفعل فإذا دخلت على الاسم فمعناها امتناع الشيء لأجل وجود غيره ليتفقوا أي ليتفق به باقون لأنه إذا قر طائفة منهم تفقه من بقي منهم فإن شئت فمعناه ليتفق كلهم لأنه من قر منهم إذا رجع استعلم من بقي فصار كلهم فقهاء وهم يستبشرون جملة في موضع الحال وكذلك قوله وهم كافرين

﴿ النزول ﴾

قيل كان رسول الله ﷺ إذا خرج غازيا لم يتخلف عنه إلا المنافقون والمعدون فلا أنزل الله تعالى عيوب المنافقين وبين نفاقهم في غزاة تبوك قال المؤمنون والله لا نتخلف عن غزاة بغزوها رسول الله ﷺ ولا سرية ابدا فلما أمر رسول الله ﷺ بالسرايا إلى الغزو قر المسلمون جميعا وتركوها رسول الله ﷺ وحده فأنزل الله سبحانه وما كان المؤمنون لينفروا الآية عن ابن عباس في رواية الكشي وقيل انها نزلت في ناس من اصحاب رسول الله ﷺ خرجوا في البوادي فأصابوا من الناس معروفا وخصبا ودعوا من وجدوا من الناس على الهدى فقال الناس وما نراكم إلا وقد تركتم صاحبكم وجئتمونا فوجدوا في أنفسهم من ذلك حرجا وأقبلوا كلهم من البادية حتى دخلوا على النبي ﷺ فأنزل الله عز وجل هذه الآية عن مجاهد

« المعنى »

لما تقدم الترغيب في الجهاد بأبلغ اسباب الترغيب وتأنيب من تخلف عنه بأبلغ اسباب التأنيب بين في هذه الآية موضع الرخصة في تأخر من تأخر عنه فقال سبحانه (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) وهذا تقي معناه النهي أي ليس للمؤمنين ان ينفروا ويخرجوا إلى الجهاد باجمعهم وينتركوا النبي ﷺ فريدا وحيدا وقيل معناه ليس عليهم ان ينفروا كلهم من بلادهم إلى النبي ﷺ ليتعلموا الدين ويضعوا ما وراءهم ويخلوا ديارهم عن الجبائي (فلولا قر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقوا في الدين) اختلف في معناه على وجوه ﴿ احدها ﴾ ان معناه فهلا خرج إلى الغزو من كل قبيلة جماعة ويبقى مع النبي ﷺ جماعة ليتفقوا في الدين يعني الفرقة القاعدة يتعلمون القرآن والسنن والفرائض والأحكام فإذا رجعت السرايا وقد نزل بعدهم قرآن وتعلمه القاعدة قالوا لهم إذا رجعوا إليهم ان الله قد انزل بعدكم على نبيكم قرآنا وقد تعلمناه فتعلمه السرايا فذلك قوله (ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم) أي وليعلموهم القرآن ويخوفوهم به إذا رجعوا إليهم (لعلهم يحذرون) فلا يعملون بخلافه عن ابن عباس في رواية الوالبي وقنادة والضحاك وقال الباقر (ع) كان هذا حين أكثر الناس فأمرهم الله ان نفر منهم طائفة وتقيم طائفة للتفقه وان يكون الغزو نوبا ﴿ وثانيها ﴾ ان التفقه بالإخبار يرجعان إلى الفرقة النافرة وحشاها الله تعالى على التفقه لترجع إلى المنخلفة فتحذرنا ومعنى ليتفقوا في الدين ليتصروا ويتيقنوا بما يريهم الله من الظهور على المشركين ونصرة الدين ولينذروا قومهم من الكفار إذا رجعوا إليهم من

الجهاد فيخبروهم بنصر الله النبي والمؤمنين ويخبروهم انهم لا يبدان لهم بقتال النبي والمؤمنين لعلمهم يحذرون ان يقاتلوا النبي ﷺ فينزل بهم ما نزل بأصحابهم من الكفار عن الحسن وابي سلمة قال ابو مسلم اجتمع للنافرة ثواب الجهاد والتفقه في الدين وانذار قومهم ونالها * ان التفقه راجع إلى النافرة والتقدير ما كان لجميع المؤمنين ان ينفروا إلى النبي ﷺ ويخلوا ديارهم ولكن لينفر اليه من كل ناحية طائفة لتسمع كلامه وتعلم الدين منه ثم ترجع إلى قومها فتبين لهم ذلك وتندبهم عن الجبائي قال والمراد بالنفر هنا الخروج لطلب العلم وإنما سمي ذلك قرا لما فيه من مجاهدة اعداء الدين قال القاضي ابو عاصم وفي هذا دليل على اختصاص الغربية بالتفقه وأن الإنسان يتفقه في الغربية مالا يمكنه ذلك في الوطن ثم بين سبحانه ما يجب تقديمه فقال (ياأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) اي قاتلوا من قرب منكم من الكفار الاقرب منهم فالاقرب في النسب والدار وقال الحسن كان هذا قبل الأمر بقتال المشركين كافة وقال غيره هذا الحكم قائم الآن لأنه لا ينبغي لأهل كل بلد ان يخرجوا إلى قتال الأبعد وبدعوا الأقرب والادنى لأن ذلك يوذي إلى الضرر وربما يتعمهم ذلك عن الماضي في وجهتهم إلا أن يكون بينهم وبين الاقرب موادة فلا بأس حينئذ بمجاوزه الأقرب إلى الأبعد على ما يراه المتولي لامور المسلمين ولو قال سبحانه قاتلوا الأبعد فالأبعد لا يصح لانه لا حد للأبعد بيتدى منه كما للأقرب وفي هذا دلالة على انه يجب على اهل كل ثغر الدفاع عن اقسهم إذا خافوا على بيضة الإسلام وإن لم يكن هناك إمام عادل وقال ابن عباس امروا ان يقاتلوا الادنى فالأدنى من عدوهم مثل قريظة والنضير وخيبر وفدك وقال ابن عمر انهم الروم لأنهم سكان الشام وأقرب إلى المدينة من العراق وكان الحسن إذا سئل عن قتال الروم والترك والديلم تلا هذه الآية (وليجدوا فيكم غلظة) اي شجاعة عن ابن عباس وقيل شدة عن مجاهد وقيل صبراً على الجهاد عن الحسن والمعنى وليحسوا منكم بضداللين وخلاف الرقة وهو العنف والشدة ليكون زجراً لم (واعلموا أن الله مع المتقين) عن الشرك اي معينهم وناصرهم ومن كان الله ناصرهم لم يغلبه احد فاما إذا ناصرهم سبحانه بالحجة فإنه يجوز أن يغلب بالحرب لضرب من المنحة وشدة التكليف ثم عاد الكلام إلى ذكر المنافقين فقال سبحانه (وإذا ما انزلت سورة) في القرآن (فممنهم) أي من المنافقين (من يقول على وجه الاينكار اي يقول بعضهم لبعض (ايكم زادت هذه) سورة (إيماناً) وقيل معناه يقول المنافقون للمؤمنين الذين في ايمانهم ضعف ايكم زادت هذه سورة إيماناً أي بقينا وبصيرة (أما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً) معناه فأما المؤمنون المغلصون فزادتهم تصديقاً بالقرائن مع ايمانهم بالله عن ابن عباس ووجه زيادة الايمان انهم كانوا مؤمنين بما قد نزل من قبل وآمنوا بما انزل الآن (وهم يستبشرون) اي يسرون ويبشر بعضهم بعضاً قد تهلت وجوههم وفرحوا بزولها (وأما الذين في قلوبهم مرض) أي شك وتفاق (فزادتهم رجساً إلى رجسهم) أي عاقاً وكفراً إلى تقافهم وكفرهم لأنهم يشكون في هذه السورة كما شكوا فيما تقدمها من السور فذلك هو الزيادة وسمي الكفر رجساً على وجه الذم له وانه يجب تجنبه كما يجب تجنب الارجاس وأضاف الزيادة إلى السورة لأنهم يزدادون عندها رجساً ومثله كفى بالسلامة داء وقول الشاعر « وحسبك داء ان تصح وتسلما » (وماتوا وهم كافرون) أي واداهم شكهم فيما أنزل الله تعالى من السور إلى أن ماتوا على كفرهم وآبوا شر مآب

قوله تعالى (١٢٦) **أَوْلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ** (١٢٧) **وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا** صرف الله قلوبهم بآتهم قوم لا يفقهون (١٢٨) **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ** (١٢٩) **فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ**

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أربعم آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أولاً ترون بالتاء حمزة ويعقوب وهي قراءة أبي القراء المشهورة من أنفسكم بضم الفاء وقرأ ابن عباس وابن علي وابن محيصن والزهرري من أنفسكم بفتح الفاء وقيل انها قراءة فاطمة «ع»

﴿ الحجة ﴾

من قرأ بالتاء فهو خطاب للمؤمنين ومن قرأ بالياء فهو تفرغ للمنافقين بالاعراض عما يجب أن لا يعرضوا عنه من التوبة والإفلاج عما هم عليه من النفاق ومن قرأ من أنفسكم بفتح الفاء فمعناه من أشرفكم ومن خياركم يقال هذا أنفس المتاع أي أجوده وخياره واشتقاقه من النفس وهي أشرف ما في الإنسان

﴿ اللغة ﴾

العزير الشديد والعزير في صفات الله تعالى معناه المنيع القادر الذي لا يتعذر عليه فعل ما يريد والعزاة امتناع الشيء بما يتعذر معه ما يحاول منه وهو على ثلاثة أوجه امتناع الشيء بالقدرة أو بالقلة أو بالصعوبة والعنت لقاء الشدة والأذى الذي يضيق به الصدر وعنت الدابة بعنت عنتاً إذا حدثت في قوائمه كسر بعد جبر لا يمكنه معه الجري فكأنه شق عليه الجري وكمة عنوت شاقة المصعد وحسبي الله أي كافي الله وهو من الحساب لأنه تعالى يعطي بحسب الكفاية التي تنغي عن غيره ويزيد من نعمه ما لا يبلغ إلى حد ونهاية إذ نعمه دائمة ومنته متواترة متظاهرة والتوكل تفويض الأمر إلى الله على الثقة بحسن تدبيره وكفايته

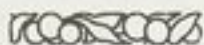
— (الاعراب) —

أولاً يروى الواو للمعطف دخلت عليها حمزة الاستفهام ويحتمل الرواية ان تكون المتعدية إلى مفعولين وان تكون من روية العين فإذا كانت المتعدية إلى المفعولين بسدان مسدداً وإن كانت من روية العين يكون ابلغ ما عنت ما مصدرية وتقديره عزيز عليه عنتكم فهو في موضع رفع بعزيز وقوله لا إله إلا هو جملة في موضع الحال وتقديره حسبي الله مستحقاً لإخلاص العبادة والإقرار بالوحدانية وجر القراء كلهم العظيم على انه صفة العرش ولو قرئ بالرفع على ان يكون صفة لرب العرش لجاز

﴿ المعنى ﴾

ثم نبه سبحانه على اعراض المنافقين عن النظر والتدبر لما ينبغي ان ينظروا ويتدبروا فيه فقال (أولاً يرون) أي أولاً يعلم هؤلاء المنافقون وقيل معناه أولاً يبصرون (انهم يفتنون) أي يمتحنون (في كل عام مرة أو مرتين) أي دفعة أو دفعتين بالأمراض والأوجاع هو رائد الموت (ثم لا يتوبون) أي لا يرجعون عن كفرهم (ولام يذكرون) أي لا يتذكرون نعم الله عليهم وقيل يمتحنون بالجهاد مع رسول الله ﷺ وما يرون من نصرة الله رسوله وما ينال أعداؤه من القتل والسبي عن ابن عباس والحسن وقيل بالقحط والجوع عن مجاهد وقيل بهتك استارهم وما يظهر من حبت سرايرهم عن مقاتل وقيل بالبلاء والجلاء ومنع القطر وذهاب الثار عن الضحاك (وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض) معناه وإذا أنزلت سورة من القرآن وهم حضور عند النبي ﷺ كرهوا ما يسمعونه ونظر بعضهم إلى بعض نظراً يؤمنون به (هل يراكم من أحد) وإنما يفعلون ذلك لأنهم منافقون يحدرون أن يعلم بهم فكأنهم يقول بعضهم لبعض هل يراكم من أحد ثم يقومون فينصرفون وإنما يفعلون ذلك مخافة أن تنزل آية تفضحهم وكانوا لا يقولون ذلك بأنفسهم ولكن ينظرون نظر من يقول لغيره ذلك القول فكأنه يقول ذلك وقيل معناه ان المنافقين كان ينظر بعضهم إلى بعض نظر تمنع وطمع في القرآن ثم يقولون هل يرانا أحد من

المسلمين فإذا تحقق لهم انه لا يراهم احد من المسلمين بالغوا فيه وان علموا انهم يراهم واحد منهم كفوا عنه (ثم انصرفوا) اي انصرفوا عن المجلس وقيل انصرفوا عن الايمان به (صرف الله قلوبهم) عن الفوائد التي يستفيدونها المؤمنون والسرور بها وحرمو الاستبشار بتلك الحالب وقيل معناه صرف الله قلوبهم عن رحمته وثوابه عقوبة لم على انصرفهم عن الايمان بالقرآن وعن مجلس النبي ﷺ وقيل انه على وجه الدعاء عليهم أي خذلهم الله باستحقاقهم ذلك ودعاء الله على عباده وعيد لم واخبار بلحاق العذاب بهم عن ابي مسلم (بأنهم قوم لا يفقهون) أي ذلك بسبب انهم لا يفقهون مراد الله بخطابه لأنهم لا ينظرون فيه ثم خاطب الله سبحانه جميع الخلق واكد خطابه بالقسم فقال (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) عني بالرسول محمدا ﷺ أي جاءكم رسول من جنسكم من البشر ثم من العرب ثم من بني اسماعيل عن السدي وقيل ان الخطاب للعرب وليس في العرب قبيلة إلا وقد ولدت النبي ﷺ وله فيهم نسب عن ابن عباس وقيل معناه انه من نكاح لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية عن الصادق «ع» وروى ابن عباس عن النبي ﷺ انه قال ما ولدني من سفاح أهل الجاهلية شيء ما ولدني إلا نكاح كفكاح الإسلام وإنما من الله عليهم بكونه منهم لأنهم إذا عرفوا مولده ومنشأه وشاهدوه صغيراً وكبيراً وعرفوا حاله في صدقه وأمانته ولم يعثروا على شيء يوجب نقصاً فيه فبالحري أن يكونوا أقرب إلى القبول لله والالتقاد له (عزيز عليه ما عنتم) معناه شديد عليه عنتكم أي ما يلحقكم من الضرر بترك الايمان وقيل معناه شديد عليه ما أنتم عن الكلي والضحاك وقيل ما اعتنكم وضركم عن القتيبي وقيل ما هلكتم عليه عن ابن الانباري (حريص عليكم) معناه حريص على من لم يؤمن أن يؤمن عن الحسن وقتادة (بالمؤمنين رؤوف رحيم) قيل هما واحد والرأفة شدة الرحمة وقيل رؤوف بالمطيعين منهم رحيم بالمذنبين وقيل رؤوف بأقربائه رحيم بأوليائه رؤوف لمن رآه رحيم بمن لم يره وقال بعض السلف لم يجمع الله سبحانه لأحد من الأنبياء بين اسمين من اسمائه إلا للنبي ﷺ فإنه قال بالمؤمنين رؤوف رحيم وقال ان الله بالناس لرؤوف رحيم (فلن تولوا) أي ذهبوا عن الحق واتباع الرسول وما يأمرهم به واعرضوا عن قبوله وقيل معناه فلن تولوا عنك وعن الاقرار بنبوتك (فقل حسبي الله) أي كافي الله فإنه القادر على كل شيء (لا إله إلا هو عليه توكلت) وبه وثقت وعليه اعتمدت وأموري اليه فوضت (وهو رب العرش العظيم) خص العرش بالذكر تفخيلاً لشأنه ولأنه إذا كان رب العرش مع عظمه كان رب ما دونه في العظم وقيل ان العرش عبارة عن الملك والسلطان فمعناه رب الملك العظيم في السماوات والارض عن ابي مسلم وقيل ان هذه الآية آخر آية نزلت من السماء وآخر سورة كاملة نزلت سورة براءة وقال قتادة آخر القرآن عهداً بالسماء هاتان الآيتان خاتمة براءة



سورة يونس

هي مكية في قول الاكثرين وروي عن ابن عباس وقناة إلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة فإن كنت في شك مما انزلنا اليك إلى آخره وقال ابن المبارك الا ومنهم من يؤمن به الآية فإنها نزلت في اليهود بالمدينة

﴿ عدد آياتها ﴾

مائة وتسع آيات عدد الجميع غير الشامي فإنه يقول وعشر آيات

﴿ اختلافها ﴾

ثلاث آيات مخلصين له الدين وشفاء لما في الصدور شامي من الشاكرين غير الشامي

﴿ فضلها ﴾

ابن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأها اعطيت من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق يونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون وروي عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة يونس في كل شهرين او ثلاثة لم يخف عليه أن يكون من الجاهلین وكان يوم القيامة من المقربين

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سورة البراءة بذكر الرسول افتتح هذه السورة بذكره وما انزل عليه من القرآن فقال
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) أَلَمْ نَكْتُبْكَ الْكِتَابَ الْحَكِيمَ (٢) أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا
أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ
رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ آيتان

﴿ القراءة ﴾

قرأ آثر بإمالة الراء ابو عمرو وأهل الكوفة غير عاصم ولا يحيى وقرأ الباقون بالتفخيم وقرأ ساحر بالأنف
ابن كثير وأهل الكوفة وقرأ الباقون لسحر بكسر السين وبغير الف

(الحجة) =

قال ابو علي من امال فقال رايا فلانها اسما لما تلفظ بها من الاصوات المتقطعة في مخارج الحروف كما ان غاف اسم للصوت الذي يصوته الغراب فجازت الإمالة فيها من حيث كانت اسما ولم تكن كالحروف التي يمنع فيها الإمالة نحو ما ولا وما اشبهها من الحروف فإن قلت ان الأسماء لا تكون على حرفين احدهما حرف لين وإنما يكون على هذه الصفة الحروف نحو ما ولا فالقول ان هذه الأسماء لا يمنع أن تكون على حرفين احدهما حرف لين لأن التنوين لا يلحقها فيؤمن لامتناع التنوين من اللحاق لها ان تبقى على حرف واحد فإذا أمن ذلك لم يمنع أن يكون الاسم على حرفين احدهما حرف لين الا ترى انهم قد قالوا هذا شاة فجاء على حرفين احدهما حرف لين لما امن لحاق التنوين له لاتصال علامة التأنيث به وكذلك قولك رأيت رجلا ذا مال لاتصال المضاف اليه به وكذلك قولهم كسرت فازيد قال ويدل على قول من قال لسحر قوله سبحانه قالوا هذا سحر وانا به كافرون ويدل على ساحر قوله وقال

الكافرون هذا ساحر كذاب وقد تقدم قوله اوحينا إلى رجل منهم فمن قرأ ساحر اراد الرجل ومن قرأ
سحر اراد الذي اوحى سحر

﴿ اللغة ﴾

الآية العلامة التي تنبئ عن مقطع الكلام من جهة مخصوصة والقرآن مفصل بالآيات مضمن بالحكم
النافية للشبهات والحكيم هنا بمعنى المحكم فعيل بمعنى مفعول قال الاعشى
وغريبة تأتي الملوك حكيمة
وأشده ابو عبيدة لأبي ذؤيب

يواعدني عكاظ لنزله ولم يشعر إذا أنى خليف
أي مخلف من اخلفته الوعد وقبل هو بمعنى الحاكم ودليله قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه قال
الازهري القدم الشيء الذي تقدمه قدامك ليكون عدة لك حتى تقدم عليه وقبل القدم المتقدم كالتنص
والقبض قال ابن الاعرابي القدم المتقدم في الشرف وقال العجاج

ذل بنو العوام عن آل الحكم وتر كوا الملك لملك ذي قدم
وقال الازهري فلان يمشي القدمة والتقدمة اذا تقدم في الشرف وقال ابو عبيدة والكسائي كل
سابق في خبر أو شر فهو عند العرب قدم ويقال لفلان قدم في الإسلام وهو موث يقال قدم حسنة قال
حسان

لنا القدم العليا اليك وخلفنا لأولنا في طاعة الله تابع
وقال ذو الرمة

لكم قدم لا ينكر الناس انها مع الحسب العادي طمت على البحر

﴿ الاعراب ﴾

أضيفت آيات الى الكتاب لأنها ابعاض الكتاب كما ان سورة ابعاضه وان اوحينا في موضع رفع بأنه
اسم كان وعجبا خبره واللام في قوله للناس يتعلق بمحذوف كان صفة لمعجب فلما تقدم صار حالا كقوله
«العزة موحشا طلل قديم» وان شئت كان ظرفا لكان وان انذر في موضع نصب تقديره اوحينا بأن أنذر فحذف
الجار فوصل الفعل وان لم قدم صدق كذلك موضعه نصب بقوله وبشر ولو قرئ ان لهم بالكسر لكان
جائزا لأن البشارة في معنى القول الا أنه لم يقرأ به وأضيف قدم الى صدق كما يقال مسجد الجامع

﴿ المعنى ﴾

قد مضى الكلام في معاني الحروف المعجمة المذكورة في أوائل السور من قبل (تلك آيات الكتاب
الحكيم) معناه ان الآيات التي جرى ذكرها او الآيات التي أنزلت على محمد ﷺ هي آيات القرآن
المحكم من الباطل الممنوع من الفساد لا كذب فيه ولا اختلاف وقيل تلك أي هذه السور آيات الكتاب
الحكيم أي اللوح المحفوظ وسماه محكما لأنه ناطق بالحكمة وقيل لأنه جمع العلوم والحكمة وقيل إنما
وصف الكتاب بالحكيم لأنه دليل على الحق كالناطق بالحكمة ولأنه يؤدي الى المعرفة التي تميز بها طريق
الهلاك من طريق النجاة (أكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس) هذه الف استفهام

المراد به الإنكار وقيل ان المراد بالناس هنا أهل مكة قالوا تعجب ان الله سبحانه لم يجد رسولا يرسله إلى الناس إلا يتيم ابي طالب والتقدير أكان يجاؤنا إلى رجل من الناس بأن يندرم عجباً ومعناه لماذا تعجبون ان أوحينا إلى رجل منهم وليس هذا موضع التعجب بل هو الذي كان يجب فعله عند كل العقلاء فإن الله تعالى لما اكل لعباده عقولهم وكلفهم معرفته واداء شكره وعلم انهم لا يصلحون ولا يقومون بذلك إلا بداع يدعوهم اليه ومنه ينهم عليه وجب في الحكمة أن يفعل ذلك ثم بين سبحانه الوجه الذي لأجله بعث وما الذي أوحى اليه فقال ان انذر الناس اي اخبرهم بالعذاب وخوفهم به (وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم) اي عرفهم مافيه الشرف والخلود في نعيم الجنة على وجه الإكرام والإجلال لصالح الاعمال وقيل ان لهم قدم صدق اي أجرا حسنا ومنزلة رفيعة بما قدموا من اعمالهم عن ابن عباس وروي عنه ايضا ان المعنى سبقت لهم السعادة في الذكر الأول ولويؤيده قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وقيل هو تقديم الله تعالى إياهم في البعث يوم القيامة بيانه قوله «ع» نحن الآخرون السابقون يوم القيامة وقيل ان القدم اسم للحسنى من العبد والبد اسم للحسنى من السيد للفرق بين السيد والعبد وقيل ان معنى قدم صدق شفاعته محمد ^{صلى الله عليه وسلم} لم يوم القيامة عن ابي سعيد الخدري وهو المروي عن ابي عبد الله «ع» قال الكافرون (ان هذا لساحر مبين) يعنون النبي أي قالوا هذا ساحر مظهر للسحر وما أتى به سحر بين على اختلاف القراءتين والسحر فعل يخفى وجه الخيلة فيه حتى يتوهم انه معجز وهذا يدل على عجزهم عن معارضة القرآن ولذلك عدلوا إلى وصفه بالسحر

قوله تعالى (٣) إِنَّ رَبَّكُمْ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأُمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٤) إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللهُ حَقًّا أَنَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر المدني انه يبدأ بفتح الهمزة وهو قراءة الاعمش والباقون بكسرها

﴿ الحجة ﴾

من قرأ انه فتقديره وعد الله حقا لأنه يبدأ الخلق ثم يعيده اي من قدر على هذا الأمر العظيم فإنه غني عن اخلاف الوعد وان شئت كان تقديره وعد الله وعدا حقا انه يبدؤ الخلق فيكون في محل النصب بالفعل الناصب لقوله وعدا قال ابن جنبي ولا يجوز ان يكون انه منصوبه الموضع بنفس وعدا لأنه قد وصف بقوله حقا والصفة اذا جرت على موصوفها اذنت بتمامه وانقضاء اجزائه ولا يكون تاما اذا كان ما بعد الصفة من صلته فأما قول الخطيئة

ازمعت ياسا مبينا من نوالكم ولن ترى طاردا للحرك كاليأس
فإن قوله من نوالكم ليس من صلة ياس بل يتعلق بفعل يدل عليه قوله ياسا مبينا فكانه قال فيما بعد

بشت من نواكهم وقال الفراء من فتح جملة مفعول حقاً كما في قول الشاعر
أحقا عباد الله أن لست زائرا بثينة او يلقي الثريا رقيبها
= اللغة =

القطر العدل ومنه القسط النصيب والقسط بفتح القاف الجور والقسط بفتح القاف والسين اعوجاج في
الرجلين والحميم الماء الذي اسخن بالنار اشد اسخان قال المرقش الأصغر
في كل يوم لها مقطرة فيها كبا معد وحميم
* الإعراب *

جميعا نصب على الحال وعد الله منصوب على المصدر لأن قوله اليه مرجعكم معناه الوعد بالرجوع وحقا
منصوب على أحق ذلك حقا عن الزجاج وأضيف المصدر في قوله وعد الله الى الفاعل لما لم يذكر الفعل كما
في قول كعب بن زهير
تسمى الوشاة جنابها وقيلهم إنك يا ابن ابي سلمى لمقتول
أي ويقولون قبيلهم

* المعنى *

(ان ربكم) أي خالقكم ومنشئكم ومالك تدبيركم وتصريفكم من امره ونهيه والذي يجب عليكم عبادته
(الله الذي خلق السماوات والارض) أي اخترعها وأنشأها على ما فيها من عجائب الصنعة وبدائع الحكمة
في ستة ايام بلا زيادة وتقصان مع قدرته على إنشائها دفعة واحدة والوجه فيه ان في ذلك مصلحة للملائكة
وعبرة لهم ولغيرهم إذا خبروا عن ذلك وكذلك تصريف الانسان حالا بعد حال واخراج الثمار والازهار
شيئا بعد شيء مع قدرته على ذلك في اقل من لمح البصر لأن ذلك أبعد من توهم الاتفاق فيه (ثم استوى
على العرش) مر تفسيره في سورة الاعراف وقيل ان العرش المذكور هنا هو السماوات والارض لأنهن من
بنائه والعرش البناء واما العرش العظيم الذي تعبد الله سبحانه الملائكة بالحفوف به والإعظام له وعنايه بقوله
الذين يحملون العرش ومن حوله فهو غير هذا وقيل ان ثم هنا بمعنى الواو وقيل ان ثم دخل على التدبير وتقديره
أي ثم استوى عليه بإنشاء التدبير من جهته كما يستوي الملك على سرير ملكه بالاستيلاء على تدبيره فإن
تدبير الأمور كلها ينزل من عند العرش ولهذا ترفع الأيدي في دعاء الحوائج نحو العرش (يدبر الأمر) أي يقدره
وينفذه على وجه ويرتبه على مراتبه على احكام عواقبه وهو مأخوذ من الديور (ما من شفيع إلا من بعد
إذنه) إنما قال هذا وإن لم يجز ذكر للشفعاء لأن الكفار كانوا يقولون الأصنام شفعاؤنا عند الله فيبن
سبحانه ان الشفيع إنما يشفع عنده إذا أذن له في الشفاعة وإذا كانت الأصنام لا تعقل فكيف تكون شافعة
مع انه لا يشفع عنده احد من الملائكة والنبين إلا بإذنه وامره (ذلكم الله ربكم) أي ان الموصوف بهذه
الصفات هو إلهكم (فاعبدوه) وحده لأنه لا إله له لكم سواه ولا يستحق هذه الصفات غيره ولا تعبدوا
الأصنام (أفلا تذكرون) حثهم سبحانه على التذكر والتفكير فيما أخبرهم به وعلى تعرف صحته (اليه مرجعكم
جميعا) المرجع يشمل معنيين * أحدهما * أن يكونا بمعنى المصدر الذي هو الرجوع * والآخر * ان يكون بمعنى
موضع الرجوع أي اليه موضع رجوعكم يكون إذا شاء (وعد الله حقا) أي وعد الله تعالى ذلك عباده وعدا

حقا صدقا (انه يبدو اطلق ثم يعيده) اي يبتدىء الخلق ابتداء ثم يعيدهم بعد موتهم (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات) اي ليؤتيهم جزاء اعمالهم (بالقسط) اي بالعدل لا ينقص من اجورهم شيئا (والذين كفروا لهم شراب من حميم) اي ماء حار قد انتهى حره في النار (وعذاب اليم) وجيع (بما كانوا يكفرون) أي جزاء على كفرهم

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه قال اكان للناس عجا قالوا وكيف لانعجب ولا علم لنا بالمرسل فقال ان ربكم الله ويجوز ان يكون على انه لما قال اكان للناس عجا وكان هذا حكما على الله سبحانه فكانه قال أفتحكمون عليه وهو ربكم قال الاصم ويحتمل ان يكون هذا ابتداء خطاب للخلق جميعا احتج الله بها على عباده بما بين من بدائع صنعته في السماوات والارض وفي انفسهم

قوله تعالى (٥) هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٦) إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ آيَاتان

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل البصرة وابن كثير وحفص والمجلى يفصل بالياء والباقر بنفصل بالنون

﴿ الحجة ﴾

من قرأ بالياء فلائنه تقدم ذكر الله سبحانه فأضمره في الفعل ومن قرأ بالنون فمثل قوله تلك آيات الله تتلوها

(اللغة) =

الجمع ليجاد ما به يكون الشيء على صفة لم يكن عليها والضياء يجوز ان يكون جمع ضوء كسوط وسياط وحوض وحياض ويجوز ان يكون مصدر ضاء يضيء وضوا مثل عاذ يعوذ عيادا وعودا وقام يقوم قياما وعلى اي الوجهين كان فالضفاف محذوف وتقديره جعل الشمس ذات ضياء والقمر ذات نور ويكون جعل النور والضياء لكثرة ذلك فيها والاختلاف ذهاب كل واحد من الشيتين في غير جهة الآخر فاختلف الليل والنهار ذهاب احدهما في جهة الضياء والآخر في جهة الظلام والليل عبارة عن وقت غروب الشمس الى طلوع الفجر الثاني وليلة مثل تمر وتمرة والنهار عبارة عن اتساع الضياء من طلوع الفجر الثاني الى غروب الشمس والنهار واليوم بمعنى واحد الا ان في النهار فائدة اتساع الضياء

﴿ المعنى ﴾

ثم زاد سبحانه في الاحتجاج للتوحيد فقال (هو الذي جعل الشمس ضياء) بالنهار (والقمر نورا) بالليل والضياء ابلغ في كشف الظلمات من النور وفيه صفة زائدة على النور (وقدره منازل) أي وقدر القمر منازل معلومة (لتعلموا به) وبمنازله (عدد السنين والحساب) وأول الشهر وآخره واقضاء كل سنة وكميتها وجعل الشمس والقمر آيتين من آيات الله تعالى وفيهما اعظم الدلالات على وحدانيته تعالى من وجوه كثيرة منها خلقها وخلق الضياء والنور فيها ودورانها وقربها وبعدها ومشارقتها ومغاربها وكسوفها وفي بث الشمس الشعاع في العالم وتأثيرها في الحر والبرد واخراج النبات وطبخ الثار وفي تمام القمر وسط الشهر ونقصانه

في الطرفين ليشير أول الشهر وآخره من الوسط كل واحد من ذلك نعمة عظيمة من الله سبحانه على خلقه ولذلك قال (ما خلق الله ذلك الا بالحق) لأن في ذلك منافع للخلق في دينهم ودنياهم ودلائل على وحدانية الله وقدرته وكونه عالما لم يزل ولا يزال (نفس الآيات) أي نشرها ونبيينها آية (لقوم يعلمون) فيعطون كل آية حظها من التأمل والتدبر وقيل ان المعنى في قوله وقدره منازل التنبيه أي قدر الشمس والقمر منازل غير انه وحده للايجاز اكتفاء بالمعلوم كما مر ذكر امثاله فيما تقدم وكما في قول الشاعر

رماني بأمر كنت منه والدي برينا ومن حول الطوي رماني

فإن الشمس تقطع المنازل في كل سنة والقمر يقطعها في كل شهر فأنتما تعلم الحساب وتعلم الشهور والسنوات والشتاء والصيف بمقاديرها ومجا ربها في تدويرها (إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض) أي فعله فيهما على ما يقتضيه الحكمة في السموات من الافلاك والكواكب السيارة وغير السيارة وفي الأرض من الحيوان والنبات والجماد وانواع الارزاق والنعمة (لايات) أي حججا ودلالات على وحدانية الله (لقوم يتقون) معاصي الله ويخافون عقابه وخصهم بالذكر لاختصاصهم بالانتفاع بها

قوله تعالى (٧) إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٨) أُولَئِكَ مَاؤُهُم النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٠) دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (أربع آيات) - (القراءة) -

في الشواذ قراءة ابن محيصن ويعقوب ان الحمد لله

(الحجة) -

وهذه القراءة تدل على ان قراءة الجماعة ان الحمد لله إنما هو على أن ان مخففة من الثقيلة كما في قوله

في فتية كسيوف المنتدقد علموا ان هالك كل من يحفى ويتنعل

فيكون على تقدير انه الحمد لله ولا يجوز أن تكون أن هنا زائدة كما زيدت في قوله

ويوما توافينا بوجه مقسم كأن ظبية تعطو إلى وارق السلم

أي كظبية

— اللفظة —

النفلة والسهو من النظائر وهو ذهاب المعنى عن النفس وتقبضه البقطة والدعوى قول يدعى به إلى امر والتحية التكرمة بالحال الجليلة ولذلك يسمون الملك التحية قال (من كل ما نال الفتى قد نكته إلا التحية) وهو مأخوذ من قولهم احياك الله حياة طيبة

— المعنى —

ثم انه سبحانه اوعد النافلين عن الأدلة المتقدمة المكذبين بالمعاد فقال (إن الذين لا يرجون لقاءنا) أي لقاء جزائنا ومعناه لا يطعمون في ثوابنا واطرافه إلى نفسه تعظيما له ويحتمل أن يكون المعنى لا يخافون

عقابنا كما يكون الرجاء بمعنى الخوف كما في قول الهذلي

إذا سعته النحل لم يرج لسمها وخالفها في بيت نوب عواسل

جعل سبحانه ملاقة ما لا يقدر عليه إلا هو ملاقة له كما جعل آياتنا ملائكته آياتنا له في قوله هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله تفتيحاً للأمر (ورضوا بالحياة الدنيا) أي متعوا بها واختاروها فلا يعملون إلا لها ولا يجتهدون إلا لاجلها مع سرعة فنائها ولا يرجون ما وراءها (واطمأنوا بها) أي وسكنوا إلى الدنيا بأنفسهم وركنوا إليها بقلوبهم (والذين هم عن آياتنا غافلون) أي ذاهبون عن تأملها فلا يفتتبرون بها (أو تلك مأواهم النار) أي مستقرهم النار (بما كانوا يكسبون) من المعاصي ثم وعد سبحانه المؤمنين بعد ما وعد الكافرين فقال (إن الذين آمنوا) أي صدقوا بالله ورسله (وعملوا الصالحات) أي وأضافوا إلى ذلك الأعمال الصالحة (يهدهم ربهم بإيمانهم) إلى الجنة (تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم) أي تجري بين أيديهم الأنهار وهم يرونها من علو كما قال سبحانه قد جعل ربك تحتك سرياً ومعلوم أنه لم يجعل السري الذي هو الجدول تحتها وهي قاعدة عليه وإنما أراد أنه جعله بين يديها وقيل معناه من تحت بسائتهم واسرتهم وقصورهم عن الجبائي وقوله بإيمانهم يعني به جزاء على إيمانهم (دعواهم فيها) أي دعاء المؤمنين في الجنة وذكرهم فيها أنت يقولوا (سبحانك اللهم) يقولون ذلك لا على وجه العبادة لأنه ليس هناك تكليف بل يثنون بالتسبيح وقيل أنهم إذا مر بهم الطير في الهواء يشتهونه قالوا سبحانك اللهم فيأتيهم الطير فيقع مشوياً بين أيديهم وإذا قضاوا منه الشهوة قالوا الحمد لله رب العالمين فيطير الطير حياً كما كان فيكون مفتتح كلامهم في كل شيء التسبيح ومختتم كلامهم التحميد فيكون التسبيح في الجنة بدل التسمية في الدنيا عن ابن جريج (وتحيتهم فيها سلام) أي تحيتهم من الله سبحانه في الجنة سلام وقيل معناه تحية بعضهم لبعض فيها أو تحية الملائكة لهم فيها سلام يقولون سلام عليك أي سلمت من الآفات والمكاره التي ابتلى بها أهل النار وقد ذكرنا معنى قوله (وآخر دعواهم إن الحمد لله رب العالمين) وليس المراد أن ذلك يكون آخر كلامهم حتى لا يتكلموا بعده بشيء بل المراد أنهم يعملون هذا آخر كلامهم في كل ما ذكروه عن الحسن والجبائي قوله تعالى (١١) وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَنَدَّرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُوا لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٢) وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِحَنِيهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زِينٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ آياتنا

(- القراءة -)

قرأ ابن عامر ويعقوب لقضى بفتح القاف أجلهم منصوب والباقون لقضى على ما لم يسم فاعله أجلهم بالرفع

﴿ الحجة ﴾

قال أبو عسلي اللام في قوله لقضى إليهم جواب لو في قوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير والمعنى الله أعلم ولو يعجل الله للناس دعاء الشر أي ما يدعون به من الشر على أنفسهم في حال ضجر أو بطر استعجاله إياهم بدعاء الخبير فأضاف المصدر إلى المفعول فحذف الفاعل كقوله تعالى لا يسأم الإنسان من دعاء

الخير في حذف ضمير الفاعل والتقدير ولو يعجل الله للناس الشر استعجالا مثل استعجالهم بالخير لقضي اليهم أجلهم قال ابو عبيدة لقضي اليهم أجلهم معناه لفرغ من أجلهم وانشد لابي ذؤيب
وعليهما مسرودتان قضاها
داود أو صنع السوايح تبع
ومثل ما أنشده قول الآخر

قضيت أمورا ثم غادرت بعدها
بوائق في أكامها لم تفتق
والمعنى لفرغ من أجلهم ومدتهم المضروبة للحياة وإذا انتهت مدتهم المضروبة للحياة هلكوا وهذا قريب من قوله ويدعوا الانسان بالشر دعاه بالخير وكان الانسان عجولا وقالوا للمبت مقضى كأنه قضى إذامات وقضى فعل . التقدير استوفى أجله وفرغ منه قال ذوالرمة

إذا الشخص فيها هزه الآل اغمضت
عليه كإغماض المقضي هجولها
المعنى اغمضت هجول هذه البلاد على الشخص الذي فيها فلم ير لفرقه في الآل كإغماض المقضي فهو الميت
واما ما يتعلق به الجار من قوله لقضي اليهم فكأنه لما كان معنى قضى فرغ وكان قولهم فرغ بتعدى بهذا الحرف في قوله

الآن فقد فرغت الى نمير
فهذا حين صرت لهم عذابا
وفي التنزيل سنفرغ لكم ايها الثقلان امكن ان يكون الفعل يعدى باللام كما يعدى بالي وباللام في قوله بأن ربك أوحى لها فلما كان معنى قضى فرغ تعلق بها الى كذلك تعلق بقضي ووجه قراءة ابن عامر لقضي اليهم أجلهم على اسناد الفعل الى الفاعل ان الذكر قد تقدم في قوله ولو يعجل الله للناس فقال لقضي على هذا ومن حجته في ذلك قوله ثم قضى أجلا واجل مسمى عنده فهذا الأجل الذي في هذه الآية هو الأجل المضروب للمحيا كما ان الأجل في قوله لقضي اليهم أجلهم كذلك فكما اسند الفعل في الأجل المضروب للحياة الى الفاعل في قوله ثم قضى اجلا عند الجميع كذلك اسنده ابن عامر في قوله لقضي اليهم أجلهم الى الفاعل ولم يسنده الى الفعل المبني للمفعول وبدل على ان الأجل في قوله ثم قضى اجلا اجل المحيا ان قوله وأجل مسمى عنده اجل البعث يبين ذلك قوله ثم انتم تموتون اي انتم ايها المشركون تشكون في البعث ومن قرأ لقضي فبنى الفعل للمفعول به فلا أنه في المعنى مثل قول من بنى الفعل للفاعل

— الأعراب —

قوله جنبه في موضع نصب على الحال تقديره دعانا منبسطا جنبه او دعانا قائما ويجوز ان يكون تقديره إذا مس الانسان الضر جنبه او مسه قاعدا او مسه قائما دعانا وموضع الكاف من كذلك نصب على المفعول ما لم يسم فاعله أي زين للمسرفين عملهم مثل ذلك

✽ المعنى ✽

ثم عاد الكلام الى ذكر المائيل الى الدنيا المطمئنين اليها النافلين عن الآخرة فقال (ولو يعجل الله للناس الشر) اي اجابة دعوتهم في الشر إذا دعوا به على أنفسهم وأهاليهم عند النيط والصجر واستعجلوه مثل قول الانسان رفني الله من بينكم وقوله لولده اللهم العنه ولا تبارك فيه (استعجالهم بالخير) اي كما يعجل لهم اجابة الدعوة بالخير إذا استعجلوها (لقضي اليهم أجلهم) اي لفرغ من اهلاكم ولكن الله

تعالى لا يجعل لهم الهلاك بل يهبهم حتى يتوبوا وقيل معناه ولو يجعل الله للناس العقاب الذي يستحقوه بالمعاصي كما يستعملونهم خير الدنيا وربما أجيئوا إلى ما سألوه إذا اقتضت المصلحة ذلك لغفوا لأن بنية الإنسان في الدنيا لا تحتل عقاب الآخرة بل لا تحتل ما دونه والله سبحانه يوصله اليهم في وقته وسمي العقاب شر من جهة المشقة والأذى الذي فيه وفائدته أنه لو تعجلت العقاب لزال التكليف ولا يزول التكليف إلا بالموت وإذا عوجلوا بالموت لم يبق أحد (فندد الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون) أي فندع الذين لا يخافون البعث والحساب يتحبرون في كفرهم وعدولهم عن الحق إلى الباطل وتعددهم في الظلم والمعصية شدة الحيرة ثم أخبر سبحانه عن قلة صبر الإنسان على الضرر والشدائد فقال (وإذا مس الإنسان الضر) أي المشقة والبلاء والمحنة من عن الدنيا (دعانا لجنبه) أي دعانا لكشفه مضطجعا (أو قاعداً أو قائماً) أي على أي حال كان عليها واجتهد في الدعاء وسؤال العافية وليس غرضه بذلك نيل الثواب الآخرة وإنما غرضه زوال ما هو فيه من الألم والشدة وقيل إن تقديره وإذا مس الإنسان الضر مضطجعا أو قاعداً أو قائماً دعانا لكشفه وفيه تقديم وتأخير (فلما كشفنا عنه ضره) أي فلما أزلنا عنه ذلك الضرر وهبنا له العافية (مر) أي استبر على طريقته الأولى معرضاً عن شكرنا (كأن لم يدعنا إلى ضره) أي كأن لم يدعنا قط لكشف ضره ولم يسألنا إزالة الألم عنه (كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون) أي كما زين لهم الشيطان وأقرانهم الفجوة ترك الدعاء عند الرخاء زينوا للمسرفين أي للمسرفين عن الحسن ويحتمل أن يكون زين للمسرفين بعضهم لبعض وإنما لم يصف التزين إليهم فهو كقولهم فلان معجب بنفسه وقد حث الله سبحانه بهذه الآية الذين منحوا الرخاء بعد الشدة والعافية بعد البلية على أن يتذكروا حسن صنع الله إليهم وجزيل نعمته عليهم ويشكروه على ذلك ويسألوه ادامة ذلك لديهم ونبه بذلك على وجوب الصبر عند المحنة احتساباً للأجر وابتغاء للثواب والذكر

قوله تعالى (١٣) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (١٤) ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ آيَاتان

﴿ اللغة ﴾

القرون جمع قرن وهو أهل كل عصر سمو بذلك لمقارنته لبعض ومنه قرن الشاة لمقارنته آخر بإزائه والقرن بكسر القاف هو المقاوم لقرينه في الشدة

﴿ الاعراب ﴾

موضع كيف نصب بقوله تعملون وتقديره لننظر أخيراً تعملون أم شراً ولا يجوز أن يكون معمول نظر لأن ما قبل الاستفهام لا يعمل في ما بعده

﴿ المعنى ﴾

ثم أخبر سبحانه عما نزل بالأمة الماضية من المثالات وحذر هذه الأمة عن مثل مصارعهم فقال (ولقد اهلكنا القرون من قبلكم) بأنواع العذاب (لما ظلموا) أنفسهم بأن أشركوا وعصوا (وجاءتهم رسالهم بالبينات) أي بالمعجزات الظاهرة والدلالات الواضحة (وما كانوا ليؤمنوا) هذا أخبار بأن هذه الأمم

لما اهلكوا لما كانوا في المعلوم انهم لو بقوا لم يكونوا يؤمنون بالرسول الذين اتوهم والكتب التي جاؤوهم بها واستدل ابو علي الجبائي بهذا على ان تيقية الكافر واجبة إذا كان المعلوم من حاله انه يؤمن فيما بعد كذلك يجزي القوم المجرمين) اي كذلك نعتب القوم المشركين في المستقبل إذا لم يؤمنوا بعد قيام الحجية عليهم وعلمنا انهم لا يؤمنون ولا يصلحون (ثم جعلناكم) يا امة محمد (خلائف في الأرض من بعدهم) اي من بعد القرون التي اهلكناهم ومعناه اسكنناكم الأرض خلفهم (لننظر كيف تعملون) اي لنرى عملكم اين يقع من عمل اولئك أنتقدونهم فتستحقون من العقاب مثل ما استحقوه ام تؤمنون فتستحقون الثواب وإنما قال للنظر ليدل على انه سبحانه يعامل العبد معاملة المختبر الذي لا يعلم الشيء فيجازه على ما يظهر منه دون ما قد علم انه يفعله مظهرة في العدل والنظر في الحقيقة لا يجوز على الله تعالى لأنه إنما يكون بالقلب وهو التفكير والعين وهو تقليب الحدقة نحو المرئي التماس الرويته مع سلامة الحاسة واحد هذين لا يجوز عليه سبحانه وإنما يستعمل ذلك في صفاته على وجه المجاز والاتساع فإن النظر إنما هو لطلب العلم وهو سبحانه يعامل عباده معاملة من يطلب العلم بما يكون منهم ليجازيهم بحسبه

قوله تعالى (١٥) وَإِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنتِ بِرِجَالِنَا أُخْفَىٰ
 غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ
 إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٦) قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا نَلَّوْنَهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَذْرَاكُمْ بِهِ
 فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٧) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ
 كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمَجْرِمُونَ ثلاث آيات

❖ القراءة ❖

في رواية ابي ربيعة عن البري عن ابن كثير ولا دراكم فجعها لاما دخلت على ادراكم وامال في ادراكم
 وادراك في جميع القرآن ابو عمرو وحمة والكسائي وخلف وروي في الشواذ عن ابن عباس والحسن
 ولا ادريكم به

❖ الحجية ❖

قال ابو علي حكى سيويه دريته ودريت به والاكثر في الاستعمال بالباء وبين ذلك قوله ولا ادراكم به
 ولو جاء على الالف الاخرى لكان ولا دراكموه وقال الدرية كالفطنة والشعرة وهي مصادر يراد بها ضروب
 من العلم اما الدرية فكالهداية والدلالة فكان الدرية التاني والتعمل لعلم الشيء وعلى هذا المعنى ما تصرف
 من هذه الكلمة أنشد ابو زيد

فإن غزالك الذي كنت تدري . إذا شئت ليث خادر بين اشبل
 وتدري اي تختل ومنه الدرية في قول اكثر الناس الخمل الذي يستتر به الصابد من الوحش كأنه يختل
 به وداربت الرجل لايتته وخاتته وإذا كان الحرف على هذا فالداري في وصف القديم سبحانه لا يسوغ
 فأما قول الراجز (لاهم لأدري وانت الداري) فلا يكون حجة في جواز ذلك لأنه استجاز ذلك لما تقدم

من قوله لا أدري كما جاز فن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه وان تسخروا منا فإنا نسخر منكم وأيضاً فإن الأعراب يذكرون أشياء يمتنع جوازها كما قالوا

لاهم ان كنت الذي بمهدي ولم تغيرك الأمور بمعدي

وقال الآخر « لو خافتك الله عليه حرمه » فأما الهمزة على ما حكى عن الحسن وغيره فلا وجه له لأن الدرء الدفع قال ابن جني يجوز ان يكون لها وجه وان كان فيه ضعف صنعة وهوان يكون أراد ولا ادريتكم به ثم قلبت الياء الفاعل لانفتاح ما قبلها وان كانت ساكنة كقولهم في يأس ياس وفي يئس يئس وقال قطرب ان لغة عقيل في اعطيتك ان يقولوا اعطائك ثم همز الألف على لغة من قال في الباز الباز وفي العالم والخانم والنابل العالم والخانم والنابل ومن قرأ ولا دريكم به فعناه ولا علمكم الله تعالى به فيكون نغياً للتلاوة وإثباتاً للعلم وعلى قراءة الجماعة يكون نغياً للأمرين جميعاً

❖ اللفظة ❖

التقاء جهة مقابلة الشيء الا انه قد يستعمل ظرفاً فيقال هو تقاءه كما يقال هو حذاء وقبائنه وتجاهه وإزاهه والعمر بفتح العين وسكون الميم والعمر بضمها البقاء واذا استعمل في القسم فالفتح لا غير

❖ النزول ❖

قيل نزلت في خمسة نفر عبد الله بن أمية المخزومي والوليد بن مغيرة ومكرز بن حفص وعمرو بن عبد الله بن ابي قيس العامري والماص بن عامر بن هاشم قالوا للنبي ﷺ أنت بقرآن ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة وهبل وليس فيه عيبها او بدله تكلم به من تلقاء نفسك عن مقلتل وقيل نزلت في المستهزئين قالوا يا محمد أنت بقرآن غير هذا فيه مانسلكه عن الكافي

❖ المعنى ❖

ثم اخبر سبحانه عن مشركي قريش فقال (واذا تلى عليهم آياتنا) المنزلة في القرآن (بينات) أي واضحات في الحلال والحرام وسائر الشرائع وهي نصب على الحال (قال الذين لا يرجون لقاءنا) أي لا يؤمنون بالبعث والنشور فلا يخشون عقابنا ولا يطعمون في ثوابنا (أنت بقرآن غير هذا) الذي تلووه علينا (او بدله) فأجمله على خلاف ما تقرأه والفرق بينهما أن الإتيان بشيء قد يكون معه وتبدله لا يكون الا برفعه وقبل معنى قوله بدله غير احكامه من الحلال او الحرام أرادوا بذلك زوال الحظر عنهم وسقوط الأمر منهم وان يخلي بينهم وبين ما يريدونه (قل) يا محمد (ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي) أي من جهة نفسي وناحية نفسي ولا أنه معجز فلا أقدر على الإتيان بمثله (ان اتبع الا ما يوحى الي) أي ما أتبع الا الذي أوحى الي (اني أخاف ان عصيت ربي) في اتباع غيره (عذاب يوم عظيم) أي يوم القيامة ومن استدلل بهذه الآية على أن نسخ القرآن بالسنة لا يجوز فقد ابدل لأنه اذا نسخ القرآن بالسنة وما يقوله النبي ﷺ فإنما يقوله بالوحي من الله فلم ينسخ القرآن ولم يبدله من قبل نفسه بل يكون تبدله من قبل الله تعالى ولكن لا يكون قرآناً ويؤيد ذلك قوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي الا يوحى (قل) يا محمد (لو شاء الله ما تلوته عليكم) معناه لو شاء الله ما تلوته هذا القرآن عليكم بأن كان لا ينزله علي (ولا ادراكم به) أي ولا اعلمكم الله به بأن لا يقرئه علي فلا اقرأه عليكم فلا تعلمونه (فقد لبث فيكم عمراً من قبله) أي فقد مكثت واقمت بينكم

دهرا طويلا من قبل إنزال القرآن فلم أقرأه عليكم فلا تعلمونه ولا ادعيت نبوة حتى اكرمني الله تعالى به (أفلا تعقلون) أي أفلا تفكرون فيه بعقولكم فتعلموا ان المصلحة فيما أنزله الله تعالى دون ما تقرؤنه قال علي بن عيسى العقل هو العلم الذي يمكن به الاستدلال بالشاهد على الغائب والناس يتفاضلون فيه بالأمر المتفاوت فبعضهم اعقل من بعض اذا كان اقدر على الاستدلال من بعض (فمن اظلم من افترى على الله) أي لا احد اظلم ممن اخترع على الله (كذبا أو كذبا بآياته إنه لا يفلح المجرمون) أي المشركون عن الحسن فلون قيل أليس من ادعى الربوبية اعظم ظلما من المدعي للنبوة قلنا إن المراد بقوله من افترى على الله كذبا من كفر بالله تعالى فقد دخل فيه من ادعى الربوبية وغيره من انواع الكفار فكأنه قال لا احد اظلم من الكافر

قوله تعالى (١٨) وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَوَآءَ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَنتَبِشُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَـَٔلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَہُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٩) وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٢٠) وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنزَلِ عَلَيْنَا آيَةً مِن رَّبِّنَا لَقُنَّا بِاللهِ فَأَنْتَضِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ ثلاث آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ تشركون بالياء. أهل الكوفة غير عاصم وكذلك في النحل في موضعين وفي الروم والباقرن كل ذلك بالياء.

﴿ الحجة ﴾

من قرأ بالياء فلقوله اتنبشون الله ومن قرأ بالياء. احتمل وجهين ﴿ احدهما ﴾ على قل كأنه قيل له قل انت سبحانه وتعالى عما يشركون والوجه الآخر ان يكون هو سبحانه تزه نفسه عما أقروه فقال ذلك

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار فقال (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم) أي ويعبد هؤلاء المشركون الأصنام التي لا يضرهم ان تركوا عبادتها ولا ينفعهم ان عبدوها فإن قيل كيف ذمهم على عبادة الصنم الذي لا ينفع ولا يضر مع انه لو نفع وضر لكان لا يجوز ايضا عبادته قلنا عبادة من لا يقدر على أصول النعم وإن قدر على النفع والضر إذا كان قبيحا فمن لا يقدر على النفع والضر اصلا من الجماد تكون عبادته اقبح واشنع فلذلك خصه بالذكر (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) اخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار انهم قالوا انا نعبد هذه الأصنام لتشفع لنا عند الله وان الله أذن لنا في عبادتها وانه سيشفعا فينا في الآخرة وتوهموا ان عبادتها اشد في تعظيم الله سبحانه من قصده تعالى بالعبادة فجمعوا بين قبيح القول وقبيح الفعل وقبيح التوهم وقيل معناه هؤلاء شفعاؤنا في الدنيا لا لإصلاح معاشها عن الحسن قال لأنهم كانوا لا يقرون بالبعث بدلالة قوله واقسموا بالله جهد أيمانهم لا ينجس الله من يموت (قل اتنبشون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض) امر سبحانه نبيه ﷺ أن يقول لهم على وجه الإلزام أتخبرون الله بما لا يعلم من حسن عبادة الأصنام وكونها شافعة لأن ذلك او كان صحيحا لكان تعالى به عالما فقي نفي علمه بذلك نفي المعارف ومعناه انه ليس في السموات ولا الارض إله غير الله ولا احد يشفع لكم يوم القيامة وقيل معناه اتخبرون الله بشريك او شفيع لا يعلم شيئا كما قال ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والارض فكذلك وصفهم بأنهم لا يعلمون في السموات والارض شيئا

(سبحانه وتعالى عما يشركون) أي تنزه الله تعالى عن أن يكون له شريك في استحقاق العبادة (وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلّفوا) فيه أقوال **﴿ احدها ﴾** أن الناس كانوا جميعا على الحق وعلى دين واحد فاختلّفوا في الدين الذي كانوا مجتمعين عليه ثم قيل انهم اختلفوا على عهد آدم وولده عن ابن عباس والسدي ومجاهد والجبائي وأبي مسلم ومتى اختلفوا قيل عند قتل احد ابيه أخاه وقيل اختلفوا بعد موت آدم (ع) لأنهم كانوا على شرع واحد ودين واحد إلى زمن نوح وكانوا عشرة قرون ثم اختلفوا عن ابي روق وقيل كانوا على ملة الإسلام من لدن ابراهيم (ع) إلى أن غيره عمرو بن لحي وهو أول من غير دين ابراهيم وعبد الصنم في العرب عن عطاء ويدرل على صحة هذه الأقوال قراءة عبد الله وما كان الناس إلا أمة واحدة على هدى فاختلّفوا عنه **﴿ وثانيها ﴾** أن الناس كانوا أمة واحدة مجتمعة على الشرك والكفر عن ابن عباس والحسن والكلبي وجماعة ثم اختلف هو لا فقيل كانت أمة كافرة على عهد ابراهيم ثم اختلفوا فتنفروا فمنهم مؤمن ومنهم كافر عن الكلبي وقيل كانت كذلك منذ وفاة آدم إلى زمن نوح عن الحسن وقيل اراد به العرب الذين كانوا قبل بعث النبي ﷺ فإنهم كانوا مشركين إلى أن بعث النبي ﷺ فآمن به قوم وبقي آخرون على الشرك وسئل علي (ع) عن هذا فقيل كيف يجوز ان يطبق أهل عصر على الكفر حتى لا يوجد مؤمن يشهد عليهم والله تعالى يقول فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وابعثنا من كل قبيلة إماما يشهدون فأبى عن ذلك بأنه يجوز أن يكون أهل كل عصر وان لم يخجل عن مؤمنين يشهدون عليهم فربما يقولون في عصر وإنما يتبع الاسم الأعم وعلى هذا يقال دار الإسلام ودار الكفر وفي تفسير الحسن ما كان الناس إلى بعث نوح إلا ملة واحدة كافرة إلا الخاصة فلأن الأرض لا تخلو من أن يكون لله تعالى فيها حجة **﴿ وثالثها ﴾** أن الناس خلقوا على فطرة الإسلام ثم اختلفوا في الأديان (ولولا كلمة سبقت من ربك) من انه لا يعاجل العصاة بالعقوبة انعاما عليهم في التآني بهم (لقضي بينهم) أي فصل بينهم (فبما فيه يختلفون) بأن يهلك العصاة وينجي المؤمنين لكنه أخرهم إلى يوم القيامة تفضلا منه إليهم وزيادة في الانعام عليهم ثم حكى سبحانه عن هؤلاء الكفار فقال (ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه) أي هلا أنزل على محمد آية من ربه تضرط الخلق إلى المعرفة بصدقه فلا يحتاجون معها إلى النظر والاستدلال ولم يطلبوا معجزة تدل على صدقه لانه ﷺ قد أتاهم بالمعجزات الدالة على نبوته وإنما لم يلجئهم الله إلى ما التمسوه لأن التكليف يمنع من الاضطرار إلى المعرفة فلأن الغرض بالتكليف التعريض للثواب ولو كانت المعرفة ضرورة لما استحقوا ثوابا فكيف وكان يكون ذلك ناقضا للغرض (فقل إن الغيب لله) معناه قل يا محمد إن الذي يعلم الغيب ويعلم مصالح الأمور قبل كونها هو الله العالم لنفسه يعلم الأشياء قبل كونها وبعد كونها لا تخفى عليه خافية فيعلم ما في انزاله صلاح فيقره ويعلم ما ليس في انزاله صلاح فلا يقره ولذلك لا يفعل الآية التي اقترحوها في هذا الوقت لما في ذلك من حسن تدبير (فانظروا) أي فانظروا عقاب الله تعالى بالقهر والقتل في الدنيا والعقاب في الآخرة (أي معكم من المنتظرين) لأن الله تعالى وعدني النصره عليكم وقيل معناه فانظروا اذلال الكافرين فأول منتظر اعزاز المؤمنين

قوله تعالى (٢١) **﴿ وَإِذَا أَدَقْنَا لِلنَّاسِ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَّسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِى آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا بِكُتُبِنَا مَا تَمْكُرُونَ ﴾** (٢٢) **﴿ هُوَ الَّذِي يُسِرُّكُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِى الْفُلِكِ وَجَرَبَ بِهَيْمٍ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أُنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾** (٢٣) **﴿ فَلَمَّا أُنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ**

الْحَقَّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْتُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ
فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ثلاث آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ روح وزيد عن يعقوب وسهل يمكرون بالياء. والباقون بالياء. وقرأ ينشركم بالنون والشين من التشريك
جعفر وابن عامر والباقون يسيركم بالسين والياء. من التسيير وقرأ حفص وحده متاع بالنصب والباقون بالرفع
(اللمعة) -

من قرأ يمكرون بالياء فلعله إذا لم يكر في آياتنا ومن قرأ بالياء فللخطاب أي قل لهم يا محمد إن رسل الله
يكتبون ما تمكرون ومن قرأ يسيركم يقويه قوله فامشوا في مناكبها وكلا من رزقه وقوله قل سيروا في الأرض
ويقال سار الدابة وسرته وسيرته قال (فلا تجز عن من سنة أنت سرتها) وقال لييد

فبينان حرب ان تبوء بحربه وقد يقبل الضيم الذليل المسير

ومن قرأ ينشركم فحجته قوله وبث منها رجالا كثيرا ونساء. وقوله وما بث فيهما من دابة والبث التفريق
والنشر في المعنى وأما متاع الحياة الدنيا فقد قال الزجاج من رفع فعلى وجهين ﴿ احدها ﴾ ان يكون متاع
الحياة الدنيا خبرا لقوله بغيكم ﴿ والآخر ﴾ ان يكون خبر المبتدأ على انفسكم ومتاع الحياة على اضطرار هو من
نصب فعلى المصدر أي تتمتعون متاع الحياة الدنيا قال ابو علي قوله على انفسكم يحتمل تأويلين ﴿ احدهما ﴾ ان
يكون متعلقا بالمصدر لأن فعله يتعدى بهذا الحرف الا ترى إلى قوله بغي بعضنا على بعض ثم بغي عليه وإذا كان
الجار من صلة المصدر كان الخبر متاع الحياة الدنيا فيكون معناه بغي بعضكم على بعض متاع الحياة في الدنيا وليس
ما يقرب إلى الله ويجوز ان يكون على متعلقا محذوف فيكون خبرا للمصدر وفيه ذكر يعود إليه فيكون كقولك
الصلاة في المسجد فيكون المصدر مضافا إلى الفاعل ومفعوله محذوف والمعنى إننا بغي بعضكم على بعض بما يدل
على انفسكم ويكون كقوله ولا يجيق المكر السي إلا بأهله ومن نصب احتمل النصب وجهين ﴿ احدهما ﴾
ان يكون على من صلة المصدر ويكون الناصب لمتاع هو المصدر الذي هو البغي ويكون خبر المبتدأ محذوفاً
وحسن حذفه اطول الكلام ولأن بغيكم يدل على تبغون فيحسن الحذف لذلك وهذا الخبر لو اظهرته لكان
يكون مكروه او مذموم او منهي عنه ونحو ذلك ﴿ والآخر ﴾ ان يكون على انفسكم خبر المبتدأ
فيكون متاع منصوبا على وجهين ﴿ احدهما ﴾ تتمتعون متاعا فيدل انتصاب المصدر عليه ﴿ والآخر ﴾ ان يضمر تبغون
لأن ما يجري مجرى ذكره قد تقدم كأنه لو اظهره لكان تبغون متاع الحياة الدنيا فيكون مفعولا له ولا يجوز
ان يتعلق المصدر بالمصدر في قوله انما بغيكم فقد جعلت على خبراً لقوله انما بغيكم لفصلك بين الصلة والموصول

﴿ اللمعة ﴾

التسيير التحريك في جهة تمتد كالسير المدود والبر الأرض الراسمة التي تقطع من بلد إلى بلد ومنه البر لا تتسع
الخبر به والبحر مستقر الماء الواسع حتى لا يرى من وسطه حافته والفلك السفن وسيت فلكتا لدورانها في الماء.
وأصله الدور ومنه فلكتة المنزل وتقلك ثدي الجارية إذا استدار والفلك يكون جمعا وواحدا وهو ههنا جمع
والعاصف الريح الشديدة وعصفت الريح فهي عاصف وعاصفة قال

حتى إذا عصفت ريح مزعزعة فيها قطار ورعد صوته زجل

﴿ الاعراب ﴾

جواب إذا الأولى في إذا الثانية وانما جعل اذا جوابا لكونها بمعنى الجملة لما فيها من معنى المفاجأة وهي ظرف

مكان وهو كقوله وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطرون ومعناه إن تصبهم سيئة قنطلوا وإذا أذقنا الناس رحمة مكروا وجرى بهم ابتداء الكلام خطاب وبعد ذلك اخبار عن غائب لأن كل من أقام الغائب مقام من يخاطبه جاز له ان يردده الى الغائب قال كثير

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة

لدينا ولا مقلية إن تقلت

وقال عنزة

شطت مزار العاشقين فأصبحت

عسر على طلابك ابنة مخزم

وقوله فلما انجاهم اذا هم يبنون المعنى فلما انجاهم بنوا

- المعنى -

ثم اخبر سبحانه عن ذمهم فعالهم فقال (وإذا أذقنا الناس رحمة) يريد بالناس الكفار فهو عموم يراد به الخصوص (من بعد ضراء مستهم) اي راحة ورخاء بعد شدة وبلاء. وحقيقة الذوق فيما له طعم يوجد انما يكون طعمه بالفهم وانما قال أذقناهم الرحمة على طريق البلاغة لشدة ادراك الحاسة اياها (اذا لهم مكر في آياتنا) اي فهم يمتثلون لدفع آياتنا بكل ما يجدون السبيل اليه من شبهة او تحليط في مناظرة او غير ذلك من الأمور الفاسدة وقال مجاهد مكرهم استهزأوهم وتكذيبهم (قل) يا محمد لهم (الله أسرع مكرًا) اي اقدر جزاء على المكر ومعناه ان ما يأتيهم من العقاب أسرع مما أتوه من المكر اي اوقع في حقه وقيل ان مكره سبحانه انزاله العقوبة بهم من حيث لا يشعرون (ان رسلنا) يعني الملائكة الحفظة (يكتبون ما تمكرون) اي ما تدبرون من سوء التدبير وفي هذا غاية الزجر والتهديد من وجهين * احدهما * انه يحفظ مكرهم * والاخر * انه اقدر على جزائهم واسرع فيه ثم امتن الله سبحانه على خلقه بأن عدد نعمه التي يفعلها بهم في كل حال فقال (هو الذي يسيركم في البر والبحر) اي يمكنكم من السير في البر والبحر بما هيأ لكم من آلات السير وهي خلق الدواب وتسخيرها لكم لتركبها في البر وتحملوا عليها اتقاكم وهيأ السفن في البحر وإرسال الرياح المختلفة التي تجري بالسفن في الجهات المختلفة (حتى إذا كنتم في الفلك) خص الخطاب براكب البحر اي اذا كنتم راكبي السفن في البحر (وجرى بهم) اي وجرت السفن بالناس لما ركبوها عدل عن الخطاب الى الاخبار عن الغائب تصرفا في الكلام على انه يجوز ان يكون خطابا لمن كان في تلك الحال واخبارا لغيرهم من الناس (بريح طيبة) اي بريح ليثة يستطيرونها (وفرحوا بها) اي سرروا بتلك الريح لأنها تباهتهم مقصودهم عن اي مسلم وقيل فرحوا بالسفينة حيث حملتهم وأمتعهم (جاءتها ريح عاصف) اي جاءت السفينة ريح عاصف شديدة الهبوب الهائلة (وجاءهم الموج من كل مكان) من البحر والموج اضطراب البحر ومعناه. وجاء راكبي البحر الأمواج العظيمة من جميع الوجوه (وظنوا أنهم أحيط بهم) اي ايقنوا انهم دنوا من الهلاك وقيل غلب على ظنهم انهم سيهلكون لما أحاط بهم من الأمواج (دعوا الله) عند هذه الشدائد والأحوال والتجأوا اليه ليكشف ذلك عنهم (مخلصين له الدين) اي على وجه الإخلاص في الاعتقاد ولم يذكروا إلا وتان والاصنام لعلمهم بأنها لا تنفعهم ههنا شيئا وقالوا (لئن انجيتنا) يا رب (من هذه) الشدة (لنكونن من الشاكرين) اي من جملة من يشكرك على نعمك وقوله جاءتها ريح عاصف جواب قوله اذا كنتم في الفلك وقوله دعوا الله جواب قوله وظنوا انهم أحيط بهم (فلما انجاهم) اي خلصهم الله تعالى من تلك المحن (اذا هم يبنون في الأرض بغير الحق) اي يعملون فيها بالمعاصي والفساد ويشتملون بالظلم على الأنبياء وعلى المسلمين (يا أيها الناس إنما بنيتكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا) اي بنيتكم على بعض وما ينالونه به متاع في الدنيا وانما تأتونه لاجبكم العاجلة وإيثارها على ما يقرب إلى الله تعالى من الطاعات وقد مريياته قبل (ثم الينا مرجعكم) في الآخرة (فننبشكم بما كنتم تعملون) اي نخبركم

بأعمالكم لأننا اثبتناها عليكم وهي كلمة تهديد ووعيد

— (النظم) —

قيل إننا اتصل قوله هو الذي يسيركم الآية بما قبله لانه تفسير لبعض ما اجمل في الآية المتقدمة التي هي قوله وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم عن ابي مسلم وقيل انه يتصل بما تقدم في السورة من دلائل التوحيد فكانه قال لهمكم الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهو الذي يسيركم

قوله تعالى (٢٤) إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَنَاهَا أَمْرٌ نَالِيلاً أَوْ نَهَارٌ فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٥) وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ آيَاتِنَا

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قراءة الامرج والشعبي واي العالية ونصر بن عاصم والحسن بخلاف وازينت وقراءة ابي عثمان وازيلت

﴿ الحجة ﴾

اما ازينت فأصله تزينت فأدغمت التاء في الزاي وسكنت الزاي فاجتلبت لها الف الوصل واما ازينت فلمنع على افعلت اي جاءت بالزينة وازينت اجود في العربية لأن ازينت الأجود فيه ازانت مثل اقال وابع واما ازيات فوزنه افعات وأصله ازيات مثل ادهامت واسودت إلا انه كره التقاء الساكنين فحركات الألف فانقلبت همزة كقول كثير

وللأرض أما سودها فتجللت بياضا وأما بيضها فادهامت

﴿ اللفظ ﴾

الزخرف كمال حسن الشيء ويقال زخرفته اي حسنته ومنه زخرفت الجنة لأهلها اي زينت بأحسن الألوان وغني بالمسكان اقام به والمعاني المنازل قال التابغة

غشيت بذلك اذهم لك جيرة منها بمطف رسالة وتودد

والدعاء طلب الفعل بما يقع لأجله والداعي إلى الفعل خلاف الصارف عنه والفرق بين الدعاء والأمر ان في الأمر ترغيبا في الفعل وزجرا عن تركه وله صيغة تنبي عنه والدعاء ليس كذلك وكلاهما طلب وأيضا فإن الأمر يقتضي ان يكون المأمور دون الأمر في الرتبة والدعاء يقتضي ان يكون فوقه

— (المعنى) —

لما تقدم ما يوجب الترغيب في الآخرة والترهيد في الدنيا عقبه سبحانه بذكر صفة الدارين فقال (إنما مثل الحياة الدنيا) اي صفة الحياة الدنيا او شبه الحياة الدنيا في سرعة فنائها وزوالها (كماء انزلناه من السماء) وهو المطر (فاختلط به) اي بذلك المطر (نبات الأرض) لأن المطر يدخل في خلل النبات فيختلط به وقيل معناه فاختلط بسببه بعض النبات ببعض فاختلط ما يأكل الناس بما يأكل الأنعام وما يقتات بما يتفككه ثم فصل ذلك فقال (مما يأكل الناس) كالحبوب والثمار والبقول (والأنعام) كالحشيش وسائر انواع المراعي وقد قيل في المشبه والمشبه به في الآية أقوال ﴿ احدها ﴾ انه تعالى شبه الحياة الدنيا بالماء فيا يكون به من الانتفاع ثم الانتفاع ﴿ وثانيها ﴾ انه شبهها بالنبات على ما وصفه من الاعتزاز به ثم المصير إلى الزوال عن الجبائي واي مسلم ﴿ وثالثها ﴾ انه تعالى شبه الحياة الدنيا بجياة مقدره على هذه الأوصاف (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها)

اي حسنها وبهجتها بانواع الألوان واجناس النبات وغير ذلك (وازينت) اي تزينت في عين رائيها (وظن اهلها) اي مالكتها (انهم قادرون عليها) اي على الانتفاع بها ومعناه بلغت مبلغ الذي ظن اهلها انهم يحصدونها ويقدرونها على غلتها او ادامتها (أتأها امرنا ليلا أو نهارا) أي أتأها عذابنا من برد او برد وقيل معناه أتأها حكمتا وقضاوتنا بل هلاكها وإنلافها (فجعلناها حصيدا) أي محصودة ومعناها مقطوعة مقلوعة ذاهبة يابسة (كأن لم تكن بالأمس) أي كأن لم تقم على تلك الصفة بالأمس ومعناه كأن لم تكن ولم توجد من قبل (كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) اي مثل ذلك نميز الآيات لقوم يتفكرون فيها فيعتبرون بها ولما بين سبحانه ان الدنيا تنقطع وتقنى بالموت كما يفنى هذا النبات بفنون الآفات ونبه على التوقع ازوالها والتحرز عن الاعتقاد باحوالها رغب عقبيه في الآخرة فقال (وا لله يدعو إلى دار السلام) قيل ان السلام هراءه تعالى فلن الله تعالى يدعو إلى داره وداره الجنة عن الحسن وقتادة وقيل دار السلام الدار التي يسلم فيها من الآفات عن الجاني والسلام والسلامة واحدمثل الرضاع والرضاعة قال

تحيا بالسلامة ام بـكـر وهل لك بعد رهطك من سلام

وقيل سميت الجنة دار السلام لأن اهلها يسلم بعضهم على بعض والملائكة تسلم عليهم ويسلم ربهم عليهم فلا يسمعون إلا سلاما ولا يرون إلا سلاما ويعضده قوله تحيتهم فيها سلام وما اشبهه (ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) قيل يهدي من يشاء إلى الإيمان والدين الحق بالتوفيق والتهسير والالطاف وقال الجبائي يريد به نصب الأدلة لجميع المكافئين دون الاعمال والمجانين وقيل معناه يهدي من يشاء في الآخرة إلى طريق الجنة الذي يسلكه المؤمنون ويعدل عنه الكافرون إلى النار

قوله تعالى (٢٦) للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قترًا ولا ذلةً أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون (٢٧) والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلةً ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلمًا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون آيات

(القراءة) -

قرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب وسهل قطما ساكنة الطاء والباقرن قطما بفتحها

- الحجة -

القطع جمع قطعة من الليل والقطع الجزء من الليل الذي فيه ظلمة

❖ اللفظة ❖

الرهق لحاق الامر ومنه راهق الغلام اذا لحق بالرجال ورهقه في الحرب ادركه قال الازهري الرهق اسم من الارهاق وهو أن يحمل الإنسان على ما لا يطيقه ومنه سأرقه صمردا والكسب اجتلاب النفع والجزاء والمكافاة والقتر القبار والقفرة التبرة والقتر الدخان ومنه الاقتار في المشية

❖ الإعراب ❖

جزاء سيئة في ارتفاعه وجهان ﴿لحدهما﴾ ان يكون مبتدأ وخبر بمثلها على زيادة الباء في قول اي الحسن لأنه وجد في مكان آخر وجزاء سيئة سيئة مثلها ويجوز ان يكون الباء متعلقة بجزء محذوف تقديره جزاء سيئة كائن بمثلها كما تقول اننا ابك وأمري بيدك وما أشبه ذلك ﴿والآخر﴾ ان يكون فاعلا باضار فعل تقديره استقر لهم جزاء سيئة بمثلها ثم حذف استقر فبقي لهم جزاء سيئة بمثلها ثم حذف لهم لدلالة الكلام

على ان هذا مستقر لهم ويجوز ان يكون جزءا سيئة مبتدأ والخبر محذوف تقديره لهم جزءا سيئة بشئها او جزءا سيئة بشئها كائن هذا قد أجازته ابو الفتح وقوله وترهقهم عطف على كسبوا وجاز ان يفصل بينها بقوله جزءا سيئة بشئها لأنه من الاعراض الذي بين الأول ويسدده ويثبت مظلما قال ابو علي ان اجرته على قطع ساكنة الطاء فيحتمل نصبه على وجهين ﴿احدها﴾ ان يكون صفة لقطع على قياس قوله وهذا كتاب أنزلناه مبارك وصف الكتاب بالمفرد بعد ما وصفته بالجملة واجرته على النكرة ﴿والآخر﴾ ان يكون حالا من الذكر الذي في الظرف يعني قوله من الليل وان اجرته على قطع مفتوحة الطاء لم يكن صفة له ولا حالا من الذكر الذي في قوله من الليل ولكن يكون حالا من الليل والعامل في الحال ما يتعلق به من الليل وهو الفعل المختار ومثل ذلك في إرادة الوصف بالسواد قول الشاعر

وردية مثل الساء اعتسفتها وقد صنع الليل الحصى بسواد

اي سودتها الظلمة وقال غيره يجوز ان يكون مظلما صفة لقطع على قول الشاعر

لو ان مدحة حي تشرن احدا احبى اباكن باليلي الاماديع

- المعنى -

ثم بين سبحانه أهل دار السلام فقال (الذين احسنوا الحسنى) ومعناه للذين احسنوا العمل وأطاعوا الله تعالى في الدنيا جزءا. لهم على ذلك الحالة الحسنى والمنزلة الحسنى وهي الحالة الجامعة للذات والتعميم على اكمل ما يكون وأفضل ما يمكن وهو تأنيث الأحسن (وزيادة) ذكر في ذلك وجوه ﴿احدها﴾ ان الحسنى الثواب المستحق والزيادة التفضل على قدر المستحق على طاعتهم من الثواب وهي المضاعفة المذكورة في قوله فله عشر امثالها عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقنادة ﴿وثانيها﴾ الزيادة هي ان ما اعطاهم الله تعالى من النعم في الدنيا لا يجاسبهم به في الآخرة عن ابي جعفر الباقر (ع) ﴿وثالثها﴾ ان الزيادة فرقة من لؤلؤة واحدة لها اربعة ابواب عن علي (ع) وقيل الزيادة ما يأتيهم في كل وقت من فضل الله مجددا ﴿ورابعها﴾ ان الزيادة هي النظر إلى وجهه الله تعالى وروى ذلك عن ابي بكر وأبي موسى الأشعري وغيرهما وقد بين الله سبحانه الزيادة في موضع آخر بقوله ليوفيهم اجرهم ويزيدهم من فضله (ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة) اي لا يلحق وجوههم سواد عن ابن عباس وقنادة وقيل غبار ولا ذلة اي هوان وقيل كآبة وكسوف عن قنادة وروى الفضيل بن يسار عن ابي جعفر الباقر عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ ما من عين تفرقت بمائها إلا حرم الله ذلك الجسد على النار فلو نفاضت من خشية الله لم يرهق ذلك الوجه قتر ولا ذلة (او تلك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) مر معناه (والذين كسبوا السيئات) اي اكتسبوا وارتكبوا (جزءا سيئة بشئها) اي لهم جزءا كل سيئة بشئها يعني يجوزون بمثل اعمالهم اي قدر ما يستحق عليها من غير زيادة لأن الزيادة على قدر المستحق من العقاب ظلم وليس كذلك الزيادة على قدر المستحق من الثواب لأن ذلك تفضل يحسن فعله ابتداء. فمثل هنا مقدار المستحق من غير زيادة ولا نقصان (وترهقهم ذلة) اي يلحقهم هوان وذلك لأن العقاب يقارنه الاهانة والاذلال (ما لهم من الله من عاصم) اي ما لهم من حافظ ومانع يدفع عقاب الله عنهم (كأننا افشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما) أي كأننا البست وجوههم ظلمة الليل والمراد وصف وجوههم بالسواد كقوله سبحانه ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة (او تلك اصحاب النار هم فيها خالدون) ظاهر المراد

قوله تعالى (٢٨) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ فزِيلْنَا بينهم وَقَالَ شُرَكَائِهِمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَارًا تَعْبُدُونَ (٢٩) فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا

بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ غَافِلِينَ (٣٠) هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ وَوَضَّلْنَا عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ثلاث آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ تتلو بالثناء أهل الكوفة غير عاصم وروح وزيد عن يعقوب والباقون تبلو بالياء
(= الحجة =)

قال ابو علي من قرأ تبلو فمعناه تخيير من قولم البلاء ثم الثناء اي الاختبار للمعنى عليه ينبغي ان يكون قبل الثناء ليكون الثناء عن علم بقدر ما بوجه ومعنى اختبارها ما اسلفت انه ان قدم خيرا او شرا جوزي عليه كما قال فعدن بعمل مثقال ذرة إلى آخره ومن عمل صالحا فلنفسه وغير ذلك من الآي ومن قرأ تتلو فإنه من التلاوة التي هي القراءة دليله قوله فأولئك يقرأون كتابهم وقوله اقرأ كتابك ويكون تتلو تتبع من قولم تلا القرينة الضل إذا أتبعها النفل قال

على ظهر عادي كأن أرومه رجال يتلون الصلاة قيام
فيكون المعنى تتبع كل نفس ما اسلفت من حسنة او سيئة قال
قد جعلت دلوي تستليني ولا أحب تبع القرين
اي تستبيني من نقلها

﴿ اللفظة ﴾

التزليل التفریق مأخوذة من قولهم زلت الشيء عن مكانه ازيله وزيكه للكثرة من هذا إذا نحيته عن مكانه وزايلت فلانا إذا فارقت هنالك اي في ذلك المكان وهو ظرف ههنا للقریب وهنالك للبعيد وهنالك لما بينها قال زهير
هنالك ان يستبخلوا نمالا يبخلوا وان يسألوا يعطوا وان يبسروا يعطوا
والاسلاف تقديم امر لما بعده فمن اسلف الطاعة لله جوزي بالثواب ومن اسلف المعصية جوزي بالعقاب

﴿ الاعراب ﴾

جميعا نصب على الحال مكانكم قال الزجاج هو منصوب على الأمر والمعنى انظروا مكانكم حتى يفصل بينكم والعرب تنوع فتقول مكانك وانتظري وهي كلمة جرت على الوعيد واقول ان الصحيح عند المحققين ان مكانك ودونك من اسماء الأفعال فيكون مكانكم ههنا اسما لا لزوما مبنيا على الفتح وليس بمنصوب نصب الظروف وكم لا محل له من الاعراب إذ هو حرف الخطاب وانتم رفع تأكيد للضمير في مكانكم وشركاؤكم عطف عليه وهذا كما تقول في قولهم عليك زيدا ان الكاف حرف الخطاب لا محل له من الاعراب وعلى ههنا اسم للفعل وليس بحرف وكفى بالله شهيدا قال الزجاج شهيدا منصوب على التمييز ان شئت وان شئت على الحال ان كنا ان بمنزلة ما التفي اي ما كنا عن عبادتكم إلا غافلين قاله الزجاج واقول الصحيح أن هذه هي المخففة من الثقلة وإذا كانت مخففة من الثقلة بلزومها اللام ليفرق بينها وبين النافية والتقدير انا كنا عن عبادتكم غافلين وهنالك منصوب بتبلو إلا انه غير متمسك واللام زائدة كسرت لالتقاء الساكنين

﴿ المعنى ﴾

ولما تقدم ذكر الجزاء بين سبحانه وقت الجزاء فقال (ويوم نحشرهم جميعا) اي نحشر الخلائق اجمعين اي

نجمعهم من كل اوب إلى الموقف (ثم تقول للذين اشر كوا) في عبادتهم مع الله غيره وفي اموالهم فقالوا هذا لله وهذا لشر كائنا (مكانكم انتم وشركاؤكم) اي اثبتوا والزموا مكانكم انتم مع شر كائكم يعني الاوثان فقد صحبتهم في الدنيا فاصحبهم في المحشر وقيل معناه اثبتوا حتى تسألوا كقوله وقوم انهم مسؤلون (فزبلناهم) اي فميزنا وفرقنا بينهم في المسئلة فسألنا المشركين على حدة لم عبدتم الا صنم وسألنا الا صنم على حدة لم عبدتم وبأي سبب عبدتم وهذا سؤال تقريع وتبكيت عن الحسن ومثله وإذا المؤودة سئلت بأي ذنب قتلت وقيل معناه فزبلنا بينهم وبين الاوثان فتراهم منهم الشركاء واقطعت اسبابهم (وقال شر كائهم ما كنتم ابائا تعبدون) أي يحييهم الله وينطقهم فقالوا ما كنا نشعر بانكم ابائا تعبدون عن مجاهد وقيل ان شركاءهم من كانوا يعبدونهم من الشياطين وقيل هم الملائكة الذين كانوا يعبدونهم من دون الله وفي كيفية جحدهم لعبادتهم إياه قولان ﴿ احدهما ﴾ انهم يقولون ذلك على وجه اهانتهم بالرد عليهم اي ما اعتذرنا بذلك لكم ﴿ والآخر ﴾ ان المراد انكم لم تعبدونا بأمرنا ودعائنا ولم يرد انهم لم يعبدوهم اصلا لأن ذلك كذب لا يجوز أن يقع في الآخرة لكونهم ملحقين إلى ترك القبيح عن الجبائي وهذه الآية نظير قوله إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا الآية (فكفى بالله شهيدا) اي فاصلا للحكم (بيننا وبينكم) اي المشركون (إن كنا عن عبادتكم لغافلين) مر معناه وهذا إذا كان المراد به الملائكة فلم يردوا دعاءهم عما ادعوه غافلون لأنهم لم يشعروا بذلك ولا أمروا به وإن كان المراد الا صنم فلم يكن لها حس ولا علم وهذا غاية في الزام الحجية حيث اختاروا للعبادة من لم يدعهم اليها ولم يشعر بها (هنالك تباؤا كل نفس ما اسلفت) أي في ذلك المكان وفي تلك الحال وفي ذلك الوقت تجرب وتعلم كل نفس ما قدمت من خير او شر وترى جزاءه على القراءة بالتاء معناه تقرأ كل نفس جزاء عملها وجزاء ما قدمته (وردوا إلى الله مولاهم الحق) ابن وردوا إلى جزاء الله وإلى الموضع الذي لا يملك احد فيه الحكم إلا الله الذي هو مالكهم وسيدهم وخالقهم والحق صفة لله تعالى وهو القديم الدائم الذي لا يفتى وما سواه يبطل وقيل الحق هو الذي يكون معنى اللفظ حاصل له على الحقيقة فأنه جل جلاله هو الحق لأن معنى الإلغية حاصل له على الحقيقة (وضل عنهم ما كانوا يفترون) اي بطل وهلك عنهم ما كانوا يدعونه باقترائهم من الشركاء مع الله تعالى

قوله تعالى (٣١) قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ
وَمَنْ يَخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيَخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدْبِرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ أَفَلَا
تَتَّقُونَ (٣٢) فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنْتُمْ تُصِرُّونَ (٣٣)
كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ثلاث آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل المدينة وابن عامر كلمات ههنا وفي آخرها على الجمع وكذلك في سورة المؤمن والباقر على التوحيد

﴿ الحجية ﴾

قال ابو علي من قرأ على التوحيد احتمل وجهين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون جعل ما أوعده به الفاسقون كلمة وإن كانت في الحقيقة كلمات لأنهم قد يسمون القصيدة كلمة والخطبة كلمة ﴿ والآخر ﴾ ان يكون كلمة ربك التي يراد بها الجنس قد اوقعت على بعض الجنس كما اوقع اسم الجنس على بعضه في قوله وانكم لتعرون عليهم مصبحين وبالليل وقول الشاعر « ييطان شريان بعوي عنده الذئب » نأا من جمع فإنه جعل الكلم التي توعدوا بها كل واحدة منها كلمة ثم جمع فقال كلمات وكلامها وجه

* الاعراب *

كذلك حقت الكاف في موضع نصب أي مثل افعالهم جازاهم ربك وقوله انهم لا يؤمنون بدل من كلمة ربك أي حقيق عليهم انهم لا يؤمنون ويجوز ان يكون على تقدير حقت عليهم الكلمة لانهم لا يؤمنون ويكون الكلمة ما وعدوا به من العقاب

* المعنى *

ثم قرر سبحانه أدلة التوحيد والبعث عليهم فقال (قل) يا محمد هو لا اله الا الله (من يرزقكم) أي من يخلق لكم الأرزاق (من السماء) بل ينزل المطر والغيث (ومن الارض) بإخراج النبات وانواع الثمار والرزق في اللغة هو العطاء الجاري يقال رزق السلطان الجنيد إلا ان كل رزق فإن الله هو الرزاق به لأنه لو لم يطلعه على يد ذلك الانسان لم يجئ منه شيء فلا يطلق اسم الرزاق إلا على الله تعالى ويقيد في غيره كما لا يطلق اسم الرب إلا عليه ويقيد في غيره فيقال رب الدار ورب الضيعة ولا يجوز أن يخلق الله حيوانا يريد تربيته إلا ويرزقه لأنه إذا أراد بقاءه فلا بد له من الغذاء (أمن يملك السمع والأبصار) معناه أم من يملك أن يعطيكم الاسماع والأبصار فيقوبها وينورها ولو شاء لسلب نورها وحسها (ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) قيل معناه ومن يخرج الانسان من النطفة والنطفة من الانسان وقيل معناه ومن يخرج الحيوان من بطن أمه إذا ماتت أمه ويخرج غير التام ولا البالغ حد الكمال من الحي وقيل معناه ومن يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن (ومن يدبر الأمر) أي ومن الذي يدبر جميع الأمور في السماء والارض على ما توجيه الحكمة (فيقولون الله) أي فيعترفون بأن الله تعالى يفعل هذه الأشياء وان الأصنام لا تقدر عليها (فقل أفلا تتقون) أي فقل لهم عند اعترافهم بذلك أفلا تتقون عقابه في عبادة الأصنام وفي الآية دلالة على التوحيد وعلى حسن الحاجة في الدين لأنه سبحانه حاج بها المشركين وفيها دلالة على انهم كانوا يقرون بالخالق وإن كانوا مشركين فإن جمهور العقلاء يقرون بالصانع سوى جماعة قليلة من ملحدة الفلاسفة ومن اقر بالصانع على هذا صنفان موحد يعتقد ان الصانع واحد لا يستحق العبادة غيره ومشرك وهم ضربان فضرب جعلوا لله شريكا في ملكه بضاذه وبنائوته وهم الثنوية والمجوس ثم اختلفوا فمتمم بثبت لله شريكا قديما كالماتوية ومنهم من بثبت شريكا محدثا كالمجوس وضرب آخر لا يجعل لله تعالى شريكا في حكمه وملكه ولكن يجعل له شريكا في العبادة يكون متوسطا بينه وبين الصانع وهم اصحاب المتوسطات ثم اختلفوا فمنهم من جعل الوسايط من الاجسام العلوية كالنجوم والشمس والقمر ومنهم من جعل المتوسط من الاجسام السفلية كالأصنام ونحوها تعالى الله عما يقول الزائغون عن سبيله علوا كبيرا (فذلكم الله) ذلك اشارة إلى اسم الله تعالى الذي وصفه في الآية الأولى بأنه الذي يرزق الخلق ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي والكاف والميم للمخاطبين وهم جميع الخلق اخبر سبحانه ان الذي يفعل هذه الأشياء (ربكم الحق) الذي خلقكم ومعبودكم الذي له معنى الإلهية ويحق له العبادة دون غيره من الأصنام والأوثان (فمادنا بعد الحق إلا الضلال) استفهام يراد به التقرير على موضع الحجة إذ لا يجد المجيب محيدا عن الاقرار به إلا بذكر ما لا يلتفت اليه والمراد به ليس بعد الذهاب عن الحق إلا الوقوع في الضلال لأنه ليس بينهما واسطة فإذا ثبت ان عبادته هو الحق ثبت ان عبادة ما سواه باطل وضلال (فأتى تصرفون) أي فكيف تعدلون عن عبادته مع وضوح الدلالة على انه لا معبود سواه (كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون) معناه ان الوعيد من الله تعالى للكفار بالتار في الصحة كالتقول بأنه ليس بعد الحق إلا الضلال وقيل ان معناه مثل انصرفهم عن الإيمان وجبت العقوبة لهم أي جازاهم ربهم بمثل ما فعلوا من الانصراف وهذا في قوم علم الله تعالى انهم لا يؤمنون ومعناه سبق علم ربك في هؤلاء انهم لا يؤمنون وقيل معنى قوله انهم لا يؤمنون أو لانهم لا يؤمنون أي وجبت العقوبة عليهم لذلك

قوله تعالى (٣٤) قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ
 ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْتَى تُؤْفِكُونَ (٣٥) قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي
 لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُبْعَ أَمِنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِي فَمَا لَكُمْ كَيْفَ
 تَحْكُمُونَ (٣٦) وَمَا يُبْعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ
 عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ثلاث آيات

❖ القراءة ❖

قرأ أهل الكوفة غير عاصم أمن لا يهدي ساكنة الماء خفيفة الدال وقرأ أهل المدينة غير ورش يهدي
 ساكنة الماء مشددة الدال وقرأ أبو عمرو وأبن كثير وأبن عاصم وروح وزيد عن يعقوب يهدي بفتح الياء والهاء
 وتشديد الدال إلا أن أبا عمرو أشار إلى فتحة الماء من غير اشباع وهو عاصم غير حماد ويحيى ورويس عن
 يعقوب يهدي بفتح الياء وكسر الماء وتشديد الدال وقرأ حماد ويحيى عن أبي بكر عن عاصم يهدي بكسر
 الياء والماء والتشديد

❖ الحجة ❖

قوله يَهْدِي وَيَهْدِي وَيَهْدِي أصل جميعها يهتدي بفعل وإن اختلفت الفاظها ادغموا التاء
 في الدال لمقاربتها لها فإنها من حيز واحد ثم اختلفوا في تحريك الماء فمن قرأ يهدي التي حركة الحرف المدغم
 وهو التاء على الماء ومن قرأ يهدي بكسر الماء فإنه حرك الماء بالكسر لالتقاء الساكنين ومن سكن الماء
 جمع بين الساكنين ومن أشم الماء ولم يسكن فالأشمام في حكم التحريك ومن كسر الياء مع الماء اتبع الياء
 ما بعدها من الكسرة وهو ردي لنقل الكسر في الياء

- الاعراب -

قوله فما لكم كيف تحكمون ما مبتدأ ولكم خبره وكيف منصوب بقوله تحكمون لا يغني من الحق شيئاً
 يجوز أن يكون قوله شيئاً مفعول يغني ويجوز أن يكون في موضع مصدر أي لا يغني من الحق شيئاً وكذا قيل
 في قوله لا تجزي نفس عن نفس شيئاً قالوا هو مفعول تجزي وقالوا هو مصدر أي جزاء وكذلك قوله
 ولا تشر كوا به شيئاً قالوا هو مفعول تشر كوا به قالوا هو مصدر أي لا تشر كوا به أشراً كما وكذلك قوله بعبدوني
 ولا بشر كون بي شيئاً

❖ المعنى ❖

ثم احتج سبحانه عليهم في التوحيد باحتجاج آخر فقال (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين (هل من شركائكم
 من يبدؤ الخلق ثم يعيده) أي هل من هذه الأصنام التي جعلتموها شركاء لله في العبادة وقيل الذين جعلتموهم
 شركاء في أموالكم كما قال وهذا لشركائنا من يبدؤ الخلق بالانشاء بعد أن لم يكن وهو النشأة الأولى ثم يعيده
 في النشأة الثانية (قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده) معناه فإن قالوا ليس من شركائنا من يقدر عليه أو سكتوا
 فقل أنت لهم الله هو الذي يبدؤ الخلق بأن ينشئه على غير مثال ثم يفنيه ثم يعيده يوم القيامة (فأنتى تؤفكون)
 أي كيف تصرفون عن الحق وتقلبون عن الإيمان ثم استأنف الاحتجاج فقال سبحانه (قل) يا محمد (هل من
 شركائكم من يهدي إلى الحق) أي هل من هذه الأصنام من يهدي الناس إلى الرشده وما فيه الصلاح
 والنجاة والخير بدلالة بنصبها وحجة بظهورها فلا بد من أن يجيبوا بلا (فقل) أنت لم (الله) هو الذي (يهدي

للحق) إلى طريق الرشاد يقال هديت إلى الحق وهديت للحق بمعنى واحد (أفترى يهدي إلى الحق) معناه أفترى يهدي غيره إلى طريق التوحيد والرشد (أحق أن يتبع) أمره ونهيه (أم من لا يهدي) احداً (إلا ان يهدي) أو لا يهتدي هو إلا ان يهدي والاصنام لا تهتدي ولا تهدي احدا وان هديت لانها موات من حجارة ونحوها ولكن الكلام نزل على انها ان هديت اهتدت لانهم لما اتخذوها آلهة عبر عنها كما يعبر عن يعقل ووصفت بصفة من يعقل وان لم يكن في الحقيقة كذلك ألا ترى إلى قوله سبحانه ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السموات والأرض شيئاً ولا يستطيعون وقوله إن الذين تدعون من دون الله امثالكم وإنما من موات ألا ترى انه قال فادعوهم فليستجيبوا لكم ألمهم ارجل يمشون بها الآية وكذلك قوله وان تدعوهم لا يسمعون دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم فأجري عليه اللفظ كما يجري على من يعلم وعلى هذا قوله إلا ان يهدي إلا بمنزلة حتى فكأنه قال امن لا يهتدي حتى يهدي ام من لا يعلم حتى يعلم ومن لا يستدل على شيء حتى يدل عليه وإن كان لو دل أو علم لم يستدل ولم يعلم ولو هدى لم يهتد بين الله سبحانه بذلك جهلهم وقلة تمييزهم في تسويتهم من لا يعلم ولا يقدر بالله القادر والعالم وقال البلخي لا يهدي ولا يهتدي بمعنى واحد يقال هديته فهدى اي اهتدى وقيل ان المراد بذلك الملائكة والجن لأنهم يهتدون إذا هدوا وقيل المراد به الرؤساء والمضلون الذين يدعون إلى الكفر وقيل ان المعنى في قوله لا يهدي إلا ان يهدي لا يتحرك إلا ان يحرك ولا ينتقل إلا ان ينتقل كقول الشاعر (حيث يهدي ساقه قدمه) اي يحمل وقيل معناه إلا ان يركب الله فيه آلة التمييز والمداية ويرزقه فهما وعقلاً فإن هدي حينئذ اهتدى (فما لكم) قال الزجاج هذا كلام تام كأنه قال اي شيء لكم في عبادة من لا يضر ولا ينفع (كيف تحكمون) هذا تعجب من حالهم اي كيف تقضون بأن هذه الاصنام آلهة وانها تستحق العبادة وقيل كيف تحكمون لانفسكم بما لا توجه الحجة ولا تشهد بصحته الأدلة (وما يتبع اكثرهم إلا ظناً) اي ليس يتبع اكثر هؤلاء الكفار إلا ظناً الظن الذي لا يهدي شيئاً من تقليد آباءهم ورؤسائهم (إن الظن لا يعنى من الحق شيئاً) لأن الحق إنما ينتفع به من علمه حقاً وعرفه معرفة صحيحة والظن يكون فيه تجويز ان يكون المظنون على خلاف ما ظن فلا يكون مثل العلم (إن الله عليم بما يفعلون) من عبادة غير الله تعالى فيجازيهم عليه وفيه ضرب من التهديد

قوله تعالى (٣٧) وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٨) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٩) بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَا تُنهِمْ تَأْوِيلَهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ أَرْبَعُ آيَاتٍ

(- اللغة -)

القرآن عبارة عن هذا الكلام الذي هو في اعلى طبقات البلاغة مع حسن النظام والجزالة والتفصيل والتقسيم والتميز نظائر وضده التليس والتخليط والسورة جملة منزلة محيطة بآيات الله كحاطة سور البناء بالبناء والاستطاعة حالة للحي تنطاع بها الجوارح للتعل وهي مأخوذة من الطوع والقدرة مأخوذة من القدر فهي معنى يمكن ان يوجد بها التعل والا يوجد لتقصير قدره عن ذلك المعنى

❖ الإعراب ❖

وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله اي لأن يفترى ويجوز أن يكون المعنى ما كان هذا القرآن اقترأ فيكون مصدرا في موضع نصب بأنه خبر كان وتصديق عطف عليه اي ولكن كان تصديق الذي بين يديه ام يقولون اقترأه ام هذه هي المنقطعة وتقديره بل يقولون وكيف في موضع نصب على انه خير كان

❖ المعنى ❖

ثم رد الله سبحانه على الكفار قولهم لئن قرآن غير هذا اوبدله وقولهم ان النبي ﷺ اقترأ هذا القرآن فقال (وما كان هذا القرآن ان يفترى) اي اقترأ (من دون الله) فأقام ان مع الفعل مقام المصدر بل هي وحى من الله ومتلقى منه (ولكن تصديق الذي بين يديه) من الكتب كما قال في موضع آخر مصدقا لما بين يديه وهذه شهادة من الله بأن القرآن صدق وشاهد لما تقدم من التوراة والانجيل والزيور بأنها حق ومن وجه آخر هو شاهد لما من حيث انه مصداق لما على ما تقدمت البشارة به فيها وقيل معناه تصديق الذي بين يديه في المستقبل من البعث والنشور والحساب والجزاء (وتفصيل الكتاب) اي تبيين المعاني المحتملة في القرآن من الحلال والحرام والأحكام الشرعية وقيل معناه وبيان الأدلة التي تحتاجون اليها في أمور دينكم (لا ريب فيه من رب العالمين) اي لا شك فيه انه نازل من عند الله وانه معجز لا يقدر احد على مثله وهذا غايبة في التحدي (ام يقولون اقترأه) هذا تقرير على موضع الحجة بعد مضي حجة اخرى وتقديره بل يقولون اقترأه هذا فألزموهم على الأصل الفاسد امكان أن يأتيوا بمثله (وقل) لم (فأتوا بسورة مثله) أي مثله في البلاغة لأنكم من اهل لسانه فلو قدر على ذلك لقدرتم انتم ايضا عليه فإذا عجزتم عن ذلك فاعلموا انه ليس من كلام البشر وانه منزل من عند الله عز اسمه وقيل بسورة مثله اي بسورة مثل سورة منه وقال مثله لانه إنما التمس من هذا شبه الجفص (وادعوا من استطعتم من دون الله) اي وادعوا من قدرتم عليه من دون الله واستعينوا به للمعاضدة على المعارضة بسورة مثله (إن كنتم صادقين) في ان هذا القرآن مفترى من دون الله وهذا ايضا غاية في التحدي والتعجيز (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) اي بما كذبوا ولم يعلموه من جميع وجوهه لأن في القرآن ما يعلم المراد منه بدليل ويحتاج إلى الفكر فيه والرجوع إلى الرسول في معرفة مراده وذلك مثل المشابهة بالكفار لما لم يعرفوا المراد بظاهره كذبوا به وقيل معناه بل كذبوا بما لم يحيطوا علما بكيفية نظمه وترتيبه وهذا كما ان الناس يعرفون الفاظ الشعر والخطب ومعانيها ولا يمكنهم ابداعها لجهلهم بنظمها وترتيبها وقال الحسن معناه بل كذبوا بالقرآن من غير علم ببطلانه وقيل معناه بل كذبوا بما في القرآن من الجنة والنار والبعث والنشور والثواب والعقاب (ولما يأتيهم تأويله) أي لم يأتيهم بعد حقيقة ما وعد في الكتاب ما يؤول اليه امرهم من العقوبة وقيل معناه إن في القرآن اشياء لا يعلموهم ولا يمكنهم معرفته إلا بالرجوع إلى النبي ﷺ فلم يرجعوا اليه وكذبوا به فلم يأتيهم تفسيره وتأويله فيكون معنى الآية بل كذبوا بما لم يدركوا علمه من القرآن ولم يأتيهم تفسيره ولو راجعوا فيه رسول الله ﷺ لعلموه وروي عن ابي عبيد الله (ع) انه قال ان الله خص هذه الامة بآيتين من كتابه ان لا يقولوا الا ما يعلمون وان لا يردوا ما لا يعلمون ثم قرأ ألم هوخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق الآية وقرأ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه الآية وقيل ان من هنا اخذ امير المؤمنين علي عليه السلام قوله الناس اعداء ما جهلوا واخذ قوله قيمة كل امرئ ما يحسنه من قوله عز وجل فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبينهم من العلم واخذ قوله تكلموا تعرفوا من قوله ولتعرفنهم في الحزب (كذلك كذب الذين من قبلهم) اي مثل تكذيب هؤلاء كذبت الامم السالفة رسالها (فانظروا) يا محمد (كيف كان عاقبة الظالمين) اي كما

كان عاقبة او تلك الهلاك كذلك يكون عاقبة هؤلاء ثم اخبر سبحانه ان من جملة هؤلاء الذين كذبوا بالقرآن ونسبوه إلى الافتراء من سيئ من به في المستقبل ويصدق بأنه من عند الله ومنهم من يموت على كفره فقال (ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به) وأراد سبحانه انه إنما يهلكهم في الحال لما يعلم في تبييتهم من الصلاح وقيل معناه ومنهم من يؤمن بالقرآن في نفسه ويعلم صحته إلا انه يعاند ويظهر من نفسه خلاف ما يعلمه ومنهم من هو شاك فيه فكأنه قال ومنهم معاندون ومنهم شاكون (وربك اعلم بالفسدين) اي بمن يدوم على الفساد ويعلم من يتوب

قوله تعالى (٤١) وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَن تَمَّ بِرِشْوَنٍ مِمَّا عَمِلُوا وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (٤٢) وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْقَلُونَ (٤٣) وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ (٤٤) إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ أربع آيات

« المعنى »

ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ فقال (وان كذبوك) يا محمد ولم يصدقوك وردوا عليك قولك (قل) لهم (لي عملي) فإن كنت كاذبا فوباله علي (ولكم عملكم) اي ولكم جزاء عملكم (أنتم بريئون مما عمل وانا بريء مما تعملون) نظيره قوله قل يا أيها الكافرون الى آخر السورة وهذا وعيد لهم من الله تعالى كقوله اعملوا على مكانتكم ونحوه وقيل ان هذه الآية منسوخة بآية القتال وقيل انه لا تنافي بين هذه الآية وآية القتال لأنها براءة ووعد وذلك لا ينافي الجهاد (ومنهم من يستمعون اليك) معناه ومن جملة هؤلاء الكفار من يستمع اليك يا محمد والاستماع طلب السمع فهم كانوا يطلبون السمع لرد لا للفهم فذلك لزمهم الذم فإنهم اذا سمعوه على هذا الوجه كأنهم صم لم يستمعوه حيث لم ينتفعوا به (أفأنت تسمع الصم) هذا خطاب للنبي ﷺ بأنه لم يقدر على اسماع الصم (ولو كانوا لا يعقلون) قال الزجاج معناه ولو كانوا جهالا وهذا مثل قول الشاعر «أصم عما ساءه سمع» (ومنهم من ينظر اليك) أي ومن جملة من ينظر اليك يا محمد فلم يخبر بلفظ الجمع هنا لأنه حمله على اللفظ وقال من يستمعون فأخبر بلفظ الجمع حمله على المعنى اي ينظر إلى أفعالك وأقوالك لا نظر الحقيقة والمعبرة بل نظر العادة فلا يتفهم بنظره (أفأنت تهدي العمي) ولو كانوا لا يبصرون) أي فكأنك لا تقدر ان تبصر العمي فتفهمهم به كذلك لا تقدر ان تنفع بما تأتي به من الأدلة من ينظر إليها ولا يطلب الانتفاع بها وقوله أفأنت استفهام المراد به النفي وقيل ان معنى الآيتين ومنهم من يستمع الى كلامك استماع الطمن والتعنت وينظر الى أدلتك نظر الطاعن القادح فيها المكذب بها الراد عليها فلا تقدر ان تنفعهم بمثل هذا الاستماع والنظر (ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن انفسهم يظلمون) قد تمدح سبحانه في هذه الآية بأنه لا يظلم أحداً من الناس شيئا بأن يتقص من حسناتهم وجزاء طاعاته ولكنهم يتقصون انفسهم ويظلمونها بارتكاب ما نهى الله عنه من القبائح والمعنى هنا ان الله تعالى لا يمنح احدا الانتفاع بما كلفهم الانتفاع به من القرآن والأدلة ولكنهم يظلمون انفسهم بترك النظر فيه والاستدلال به وتقويتهم انفسهم الثواب عليها وادخالهم عليها العقاب ففي الآية دلالة على انه سبحانه لا يفعل الظلم فبطل قول المجبرة في

إضافة كل ظلم الى خلقه وإرادته

﴿ النظم ﴾

قبل في اتصال الآية الأولى بما قبلها انه سبحانه لما بين دلائل التوحيد والنبوت فاندوا وكذبوا أمر فبدأ بعد
يقطع العصمة عنهم والوعيد لهم وأما الآية الأخيرة وهي قوله إن الله لا يظلم الناس شيئا فالوجه في اتصالها
بما قبلها انها تتصل بقوله فأنظر كيف كان عاقبة الظالمين يعني انهم استحقوا ذلك الهلاك والعذاب بأفعالهم وما ظلمناهم
وقبل انها اتصلت بقوله ومنهم من يستمعون اليك ومنهم من ينظر اليك فكانه قال ان الله لا يمنعهم الانتفاع بما كلفهم
بل مكنتهم وبين لهم وهداهم وازاح عنهم ولكن ظلوا هم أنفسهم بترك الانتفاع به عن الجبائي وأبي مسلم
وقبل انه لما تقدم ذكر الوعد والوعيد بين سبحانه انه لا يظلمهم أي لا ينقص من حسناتهم ولا يزيد في سيئاتهم

قوله تعالى (٤٥) وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ
خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (٤٦) وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ
فِي لَبَنَاءٍ مَّرْجِعِهِمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ (٤٧) وَإِكْلٍ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ
بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يظلمون ثلاث آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ حفص عن عاصم ويوم يحشرهم بالياء والباقون بالنون

﴿ الحجة ، والإعراب ﴾

قال ابو علي يحتمل قوله كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار ثلاثة أوجه ﴿ احدها ﴾ أن يكون صفة
ليوم ﴿ والآخر ﴾ أن يكون صفة للمصدر المحذوف ﴿ والثالث ﴾ أن يكون حالا من الضمير في نحشرهم
فإذا جعلته صفة ليوم احتمل ضربين من التأويل ﴿ احدهما ﴾ أن يكون التقدير كأن لم يلبثوا
قبله إلا ساعة فحذفت الكلمة لدلالة المعنى عليها ومثل ذلك في حذف هذا النحو منه قوله فإذا بلغن أجلهن
فأمسكنهن بمروف أي امسكنهن قبله وكذلك قوله يترصدن بأنفسهن أي يترصدن بعدهم ويجوز أن يكون
المعنى كأن لم يلبثوا قبله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ثم حذفت العاء من الصفة كقولك الناس
رجلان رجل أهنتم ورجل اكرتم ومثل هذا في حذف المضاف واقامة الصفة المضاف اليه مقامه قوله ترى
الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم التقدير وجزاؤه واقع بهم فحذف المضاف وان جعلته صفة للمصدر
كان على هذا التقدير الذي وصفناه وبثله وإن جعلته حالا من الضمير المنصوب لم يخرج الى حذف شيء من
اللفظ لأن الذكر من الحال قد عاد الى ذي الحال والمعنى نحشرهم مشابهة احوالهم احوال من لم يلبث إلا
ساعة واما يوم نحشرهم فإنه يصلح ان يكون معمولا لأحدثين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون معمولا بتعارفون
﴿ والآخر ﴾ ان يكون يوم نحشرهم لما دل عليه قوله كأن لم يلبثوا فإذا جعلته معمولا لقوله بتعارفون انتصب
يوم على وجهين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون ظرفا معناه بتعارفون في هذا اليوم ﴿ والآخر ﴾ ان يكون مفعولا
على السعة على قوله يا سارق الليلة أهل الدار ومعنى بتعارفون يحتل أمرين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون
المعنى مدة إوماتهم التي وقع حشرهم بعدها وحذف المفعول للدلالة عليه كما حذف في مواضع كثيرة وعدي

تفاعل كما يعدي في قوله تخاطأت النبل احشاه او يكون اعمل الفعل الذي دل عليه يتعارفون الا ترى انه قد دل على يستعملون ويتعرفون وتعرفوا مدة اللبث هاهنا كما تعرفوها في قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً او بعض يوم والآخر في التعارف ما جاء من قوله واقبل بعضهم على بعض يتسألون قالوا انا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمتعارفهم يكون على احد هذين الوجهين فعمل هذا يكون قوله ويوم نحشرهم معمول يتعارفون والآخر ان يكون يوم نحشرهم معمول ما دل عليه قوله كأن لم يلبثوا الا ترى ان المعنى تشابه أحوالهم احوال من لم يلبث فعمل في الظرف هذا المعنى ولا يمنع المعنى من ان يعمل في الظرف وان تقدم الظرف عليه كقولهم أكل يوم لك ثوب وإذا حملته على هذا لم يميز ان يكون صفة للمصدر لأن الموصوف الذي هو المصدر موضعه بعد الفعل تقديره يوم نحشرهم حشراً كأن لم يلبثوه أو لم يلبثوا قبله والصفة لا يتقدم عليها ما تعمل فيه ولا يجوز أيضاً ان تجعله صفة ليوم على هذا لأن الصفة لا تعمل في الموصوف الا ترى ان الصفة شرح للموصوف كما ان الصلة لا تعمل في الموصول لذلك فإن قلت فإذا قدرت كأن لم يلبثوا على تقدير الحال من الضمير هل يجوز ان يكون يوم معمولاً له فإن ذلك لا يجوز لأن العامل في الحال يحشر او نحشر وقد اضيف اليوم اليه ولا يجوز ان يعمل في المضاف المضاف اليه ولا ما يتعلق بالمضاف اليه لأن ذلك يوجب تقديمه على المضاف الا ترى انه لم يميز القتال زيدا حين يأتي وإذا جعلت يتعارفون العامل في يوم نحشرهم لم يجز ان يكون صفة ليوم على انك كأنك وصفت اليوم بقوله كأن لم يلبثوا وتعارفون فوصفت يوم نحشرهم بجملة من لم يجز ان يكون معمولاً لقوله يتعارفون لأن الصفة لا تعمل في الموصوف وجاز وصف اليوم بالجملة وان اضيف لأن الإضافة ليست بمحضة فلم تعرفه وبدل على النون في نحشرهم قوله سبحانه وحشرناهم وقوله فجمعناهم جمعاً ونحشره يوم القيامة اعمى وبدل على الباء قوله ليجمعنكم إلى يوم القيامة وكل واحد منها يجري مجرى الآخر

- المعنى -

ثم بين سبحانه حالهم يوم الجمع فقال (ويوم يحشرهم) أي يجمعهم من كل مكان إلى الموقف (كأن لم يلبثوا) في الدنيا (إلا ساعة من النهار) أي كأنهم لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من النهار ومعناه انهم استقلوا أيام الدنيا فإن المكث في الدنيا وإن طال كان بمنزلة مكث ساعة في جنب الآخرة عن الضحاك وجماعة وقيل استقلوا أيام مقامهم في الدنيا لقلة انتفاعهم بأعمارهم فيها فكأنهم لم يلبثوا إلا يوماً فيها لقلة فائدتها وقيل انهم استقلوا مدة لبثهم في القبور عن ابن عباس وقد دل الله سبحانه بذلك على انه لا ينبغي لأحد أن يتربط طول ما يأمله من البقاء في الدنيا إذا كان عاقبته إلى الزوال (يتعارفون بينهم) معناه ان الخلق يعرف بعضهم بعضاً في ذلك الوقت كما كانوا في الدنيا كذلك وقيل معناه يعرف بعضهم بعضاً ما كانوا عليه من الخطأ والكفر قال الكلبي يتعارفون إذا خرجوا من قبورهم ثم تنقطع المعرفة إذا عاينوا العذاب وتبرأ بعضهم من بعض (قد خسروا الذين كذبوا بقاء الله) أي بقاء جزاء الله (وما كانوا مهتدين) للحق قال الحسن معناه خسروا أنفسهم لأنهم لم يكونوا مهتدين في الدنيا ولو كانوا مهتدين في الدنيا لم يخسروا أنفسهم ومعناه انهم خسروا الدنيا حين صرفوها إلى المعاصي وخسروا نعيم الآخرة حين فوتوها على أنفسهم بمعاصيهم (واما زينك) يا محمد في حياتك بعض الذي نعدم أي نعد هو لاء الكفار من العقوبة في الدنيا قالوا ومنها وقعة بدر (او

نتوفينك) أي نمتك قبل ان ينزل ذلك بهم وينزل ذلك بهم بعد موتك (فإلينا مرجعهم) أي إلى حكمتنا مصيرهم في الآخرة فلا يغفوننا وقيل ان الله سبحانه وعد نبيه ^{عليه السلام} ان ينتقم له منهم اما في حياته او بعد وفاته ولم يجده بوقت فقال ان ما وعدناه حقاً لا محالة (ثم الله شهيد على ما يفعلون) أي عليم بأفعالهم حافظ لها فهو يوفيه عقاب معاصيهم (ولكل أمة رسول) أي لكل جماعة على طريقة واحدة ودين واحد كآمة محمد وأمة موسى وعيسى عليهم السلام رسول بعثه الله اليهم وحمله الرسالة التي يوذيها اليهم (فإذا جاء رسولهم) ههنا حذف واضمار والتقدير فإذا جاء رسولهم وبلغ الرسالة فكذبوه قومه وصدقوه آخرون (قضى بينهم) فهلك المكذوبون وبنجوا المؤمنون وقيل معناه فإذا جاء رسولهم يشهد عليهم يوم القيامة عن مجاهد وقيل في الدنيا بما أذن الله له من الدعاء عليهم قضى بينهم أي فصل بينهم الأمر على الحتم (بالقسط) أي بالعدل (وهم لا يظلمون) أي لا يتقصون عن ثواب طاعتهم ولا يزدادون في عقاب سيئاتهم

قوله تعالى (٤٨) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٩) قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَأْجِرُونَ (٥٠) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنَا كُنتُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ (٥١) أَتَسْمَعُونَ إِذَا مَا وَقَعَ آمْنَتُمْ بِهِ الْآثَنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (٥٢) ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجِزُونَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ خمس آيات

✽ اللغة ✽

الوعد خبر بما يعطى من الخير والوعيد خبر بما يعطى من الشر هذا إذا فصل فإن اجل وقع الوعد على الجميع والنفع هو اللذة والسرور وما أدى البها أو الى واحد منها والضرر الألم والقم وما أدى اليهما أو الى واحد منهما والاجل هو الوقت المضروب لوقوع أمر كاجل الدين وأجل الانسان

✽ الإعراب ✽

متى سؤال عن الزمان وأين سؤال عن المكان. بيانا منصوب على الظرف وقوله ماذا يستعجل يجوز ان يكون ما في موضع رفع وذلك اذا كان ذا معنى الذي والمعنى ما الذي يستعجل منه المجرمون فيكون ما مبتدأ والذي خبره ويجوز ان يكون في موضع نصب وذلك اذا جعلت ما وذا اسما واحدا والمعنى اي شيء يستعجل منه المجرمون من العذاب أو من الله فيكون مفعول يستعجل وجواب ان اتاكم محذوفا وتقدير الكلام أرايتم ماذا يستعجل من العذاب المجرمون ان اتاكم عذابه بيانا أو نهارا أو وقع ان اتاكم في وسط الكلام موقع الاعتراض ومعنى ماذا يستعجل ههنا الانكار اي ليس في العذاب شيء يستعجل به وجاء في صيغة الاستفهام لأنه لا جواب لصاحبه يصح له وقوله أتم دخلت الف الاستفهام على ثم التي للمطف لتدل على ان معنى الجملة الثانية بعد الأولى مع ان اللاف صدر الكلام والعامل في اذا قوله آمتم به وقوله الآن وقد كنتم به تستعجلون تقديره الآن به تؤمنون

« المعنى »

لما وعد سبحانه المكذبين بين عقبيه انهم اذا استعجلوا ذلك على سبيل التكذيب والرد فقال (ويقولون)

أي ويقول هؤلاء المشركون (متى هذا الوعد) الذي تعدنا به من البعث وقيام الساعة وقبل من العذاب (ان كنتم صادقين) في ذلك (قل) يا محمد جواباً لهم (لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً) أي لا أقدر لنفسي على ضرر أو نفع (إلا ما شاء الله) ان يملكني أو يقدرني عليه فكيف أقدر لكم لأنني اذا لم أقدر على ذلك كنت عن انزال العذاب وعن معرفة وقته اعجز او يكون معناه اذا لم املك لنفسي شيئاً من ذلك الا ما ملكنيه الله تعالى فكيف املك تقديم القيامة وتعجيل العقوبة قبل الوقت المقدر له (اكل امة أجل) اي لكل امة في عذابها على تكذيب الرسل وقت معلوم (اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) فلا يتأخرون عن ذلك الوقت ولا يتقدمون عليه بل يهلكهم في ذلك الوقت بعينه (قل) يا محمد لهؤلاء المكذبين المستعجلين بالعذاب (أرايتم) اي اعدتم (ان اتاكم عذابه) اي عذاب الله (بياتاً) اي ليلاً (اونهاراً) ماذا يستعجل منه المجرمون) وهذا استفهام معناه التقطيع والتحويل كما يقول الانسان لمن هو في امر يستوحش عاقبته ماذا تجني على نفسك وهذا جواب لقولهم متى هذا الوعد وقال ابو جعفر الباقر (ع) يريد بذلك عذاباً ينزل من السماء على فسقة اهل القبلة في آخر الزمان ونموذ بالله منه (انتم اذا ما وقع آمتهم به) هذا استفهام معناه الانكار وتقديره احين وقع بكم العذاب المقدر الموقت آمتهم به أي بالله في وقت اليأس وقبل بالقرآن وقيل بالعذاب الذي كنتم تنكرونه فيقال لكم (الآن) توؤمنون وقد اضطررتم لحلوله (وقد كنتم به) اي بالعذاب (تستعجلون) من قبل مكذبيات مستهزئين وقال الحسن معناه ثم انكم ستؤمنون به عند وقوع العذاب فلا ينفعكم ايمانكم ونظيره الآن وقد عصيت قبل (ثم قبل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد) أي ثم يقال يوم القيامة للذين ظلموا انفسهم ذوقوا عذاب الدوام فيها الآخرة بعد عذاب الدنيا (هل تميزون الا بما كنتم تكسبون) معناه انكم قد دعيتم وهديتم وبين لكم الأدلة وازيحت عنكم العلة فأيتم الا التادي في الكفر والانهاك في التي فذوقوا جزاء اعمالكم وانما شبهوا بالذائق وهو الذي يطلب الطعم بالفم لانه اشد احساساً وقيل لانهم يتجرعون العذاب بدخوله اجوافهم

قوله تعالى (٥٣) وَيَسْتَبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قَوْلُ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ
(٥٤) وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ
وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٥٥) أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا إِنْ وَعَدَ
اللَّهُ حَقًّا وَلَسَكِنَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥٦) هُوَ يَحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أربع آيات

﴿ الفة ﴾

الاستبئاء طلب النبا الذي هو الخبر والافتداء ايقاع الشيء بدل غيره لدفع المكروه به يقال فداء بفديه فدية وفداء وافتداء افتداء وفاداء مفاداة

﴿ الإعراب ﴾

الا كلمة تستعمل في التنيه واصلا لا دخل عليها حرف الاستفهام تقريرا وتذكيرا فصارت تنبيها وكسرت ان بعد الا لأن الا يستأنف ما بعدها لينبه بها على معنى الابتداء ولذلك وقع بعدها الأمر والدعاء كقول امرئ القيس «ألا انعم صباحاً أبها الطلل البالي»

المعنى

(ويستنبئونك) يا محمد أي يطلبون منك أن تخبرهم (أحق هو) أي أحق ما جئت به من القرآن والنبوة والشريعة وقيل أحق ما تعدنا من البعث والقيامة والعذاب عن الجبائي (قل) يا محمد (أي وربي) أي نعم وحق الله (انه لحق) لا شك فيه (وما أنتم بمعجزين) أي بسابقين فائزين وهذا الاستخيار يحتمل ان يكون إما وقع منهم على وجه التعريف والاستقحام ويحتمل ان يكون وقع على وجه الاستهزاء (ولو ان لكل نفس ظلمت) أي أشركت بالله عن ابن عباس وقيل ظلمت بكل ما يسمى ظلماً (ما في الأرض) من الأموال (لافتدت به) من هول ما بلحقها من العذاب (وامسروا الندامة لما رأوا العذاب) أي اخفوا الندامة أي امر الندامة رؤساء الضلالة من الاتباع والسفلة وقيل أسروا الندامة أي اخلصوها والندامة الحسرة على ما كان يشعني انه لم يكن وقيل أسروا أي أظهروا عن أبي عبيدة الجبائي وقال الأزهري وهذا غلط لأن ما يكون بمعنى الاظهار يكون بالثين المنقطة من فوق (وقضي بينهم بالقسط) أي فصل بينهم بالعدل (وم لا يظلمون) فيما يفعل بهم من العقاب لأنهم جنوه على أنفسهم وروى عن ابي عبد الله (ع) انه قال إنما أسروا الندامة وهم في النار كراهية لشأنه الاعداء على أنفسهم (ألا ان لله ما في السموات والأرض) أي له ملك السموات والأرض وما فيها فلا يقدر أحد على منعه من احلال العقاب بمملوكه المستحق له (ألا ان وعد الله) باحلال العقاب بالمجرمين (حق ولكن أكثرهم لا يعلمون) صحة ذلك لجهلهم به تعالى وبصحة ما أتى به النبي ﷺ (وهو يجزي) أي يجزي الخلق بعد كونهم أمواتاً (وميت) أي يميتهم بعد ان كانوا أحياء (واليه يرجعون) يوم القيامة فيجازيهم على أعمالهم قال الجبائي وفي هذه الآية دلالة على انه لا يقدر على الحياة إلا الله تعالى لأنه تعالى تمدح بكونه قادراً على الاحياء والامانة

النظم

وجه اتصال الآية الأولى بما قبلها ان قوله ويستنبئونك عطف على ويستعملونك المعنى انهم يستعملونك ويقولون متى تكون القيامة والعذاب أو يستخبرونك أحق ما تقول من كونه ووجه اتصال قوله ألا ان لله ما في السموات والأرض بما قبله اتصال الاثبات بالنفي وتقديره ليس للظالم ما يفتدي به بل جميع الملك له تعالى وقيل انه يتصل بما قبله بمعنى ان من يملك السموات والأرض يقدر على ابقاع ما توعد به ووجه اتصال قوله ألا ان وعد الله حق بما قبله انه إذا خلق السموات والأرض لا للعبث بل لمنافع الخلق فلا يجوز عليه خلف الوعد وايضا فان من صفة الخالق ان يكون عالماً لذاته غنياً غير محتاج والخلف كذب قبيح ولا بد للفعل من داع والسداعي إلى القبيح اما الجهل بقبحه أو الحاجة اليه فإذا لا يجوز الخلف عليه إذ لا داعي له اليه

قوله تعالى (٥٧) يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشَقَاةٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهَدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٥٨) قُلْ يُفَضِّلُ اللَّهُ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ

آيات

القراءة

قرأ أبو جعفر وابن عامر فليفرحوا بالياء تجمعون بالتاء وقرأ يعقوب برواية رويس فلتفرحوا وتجمعون بالياء فيها جميعا وروى ذلك عن النبي ﷺ وابي بن كعب والحسن وسفي رواية زيد عن يعقوب فلتفرحوا بالتاء يجمعون بالياء وروى ذلك عن ابن عباس وقتادة وجماعة والباقون بالياء فيها جميعا

(الحجة) -

قال ابو علي قوله بفضل الله وبرحمته الجارية يتعلق بمضمرة استغني عن ذكره لدلالة ما تقدم عليه وهو قوله قد جاء تكلم موعظة من ربكم كما ان قوله الآن وقد عصيت قبل يتعلق الظرف فيه بمضمرة بدل عليه ما تقدم من الفعل وكذلك قوله الآن وقد كنتم به تستمعون فاما قوله فبذلك فليفرحوا فإن الجار في قوله فبذلك يتعلق بليفرحوا لأن هذا الفعل اتصل بالباء قال وفرحوا بها وقال وفرحت بما قد كان من سيدبكما فأما الفاء في قوله فليفرحوا فزيادة بذلك على ذلك ان المعنى فافرحوا بذلك ومثل هذه الآية قول الشاعر « واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي » فالفاء في قوله فاجزعي زيادة كما كانت الفاء في قوله فليفرحوا زيادة ولا تكون الزيادة الاولى لأن الظرف إنما يتعلق باجزعي فأما من قرأ فلتفرحوا بالتاء فإنه اعتبر الخطاب الذي قبل وهو قوله قد جاء تكلم موعظة وزعموا انها في حرف ابي فافرحوا قال ابو الحسن وزعموا انها لغة وهي قليلة نحو لنضرب وانت تخاطب فأما من قرأ هو خير ما تجمعون بالتاء فعلى انه عنى المخاطبين والغيب جميعاً الا انك غلبت المخاطبة على الغيبة ومن قرأ بالياء كان المعنى فافرحوا بذلك اي المؤمنون اي افرحوا بفضل الله وبرحمته فإن ما اتاكموه من الموعظة شفاء لما في الصدور تلج اليقين النفس بالإيمان وسكون النفس اليه خير مما يجمعه غيركم من اعراض الدنيا ممن فقد هذه الحال التي حزمتموها

المعنى

لما تقدم ذكر القرآن وما فيه من الوعد والوعيد عقبه سبحانه بذكر جلالة موقع القرآن وعظم محله في باب الأدلة فقال (يا ايها الناس) خطاب لجميع الخلق وتنبه لهم ويقال انه خطاب لقريش (قد جاء تكلم موعظة من ربكم) يعني القرآن والموعظة بيان ما تجب أن يحذر عنه ويرغب فيه وقيل هي ما يدعو الى الصلاح ويزجر عن الفساد (وشفاء لما في الصدور) الشفاء معنى كالدواء لإزالة الداء فداء الجهل اضر من داء البدن وعلاجه اعسر واطبأوه اقل والشفاء منه اجل والصدر موضع القلب وهو اجل موضع في البدن لشرف القلب (وهدى) اسي ودلالة تؤدي الى معرفة الحق (ورحمة للمؤمنين) اي ونعمة لمن تمسك به وعمل بما فيه وخص المؤمنين بالذكر وان كان القرآن موعظة ورحمة لجميع الخلق لأنهم الذين اتفقوا به ووصف الله سبحانه القرآن في هذه الآية باربعة صفات بالموعظة والشفاء لما في الصدور وبالهدى والرحمة (قل بفضل الله وبرحمته) معناه قل يا محمد يا فضل الله ونعمته فإنه يجوز اطلاق الفاضل على الله تعالى فوضع الفضل في موضع الافضال كما وضع الثبات في قوله والله انبتكم من الارض نباتا في موضع الانبات وقيل ان الفضل الى الله بمعنى الملك كما يضاف العبد اليه بأنه مالك له (فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) قال الزجاج قوله بذلك بدل من قوله بفضل الله وبرحمته وهو يدل على انه يعني به القرآن اي فبذلك فليفرح الناس لأنه خير لكم يا اصحاب محمد مما يجمعه هؤلاء الكفار من الاموال ومعنى الآية قل لهؤلاء الفرحين بالدنيا المعتدين بها الجامعين لها اذا فرحتم بشي فافرحوا بفضل الله عليكم ورحمته لكم بانزال هذا القرآن وارسال محمد اليكم فلو كنتم تحصلون بهما نعيما دائما مقيما هو خير لكم من هذه الدنيا الفانية وقيل فضل الله هو القرآن ورحمته الاسلام عن ابي سعيد الخدري والحسن وروى انس عن النبي ﷺ انه قال من هداه الله للاسلام وعلمه القرآن ثم شكك الفاقة كتب الله عز وجل الفقر بين عينيه الى يوم القيامة ثم تلا قل بفضل الله وبرحمته الآية وقيل فضل الله الاسلام ورحمته القرآن عن قتادة ومجاهد وغيرهما قال ابو جعفر الباقر (ع) فضل الله رسول الله ﷺ ورحمته علي بن ابي طالب (ع)

ورواه الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس

قوله تعالى (٥٩) قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل
 « الله اذن لكم أم على الله تفترون (٦٠) وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة

إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ (٦١) وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْفَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ثَلَاثُ آيَاتٍ

﴿ القراءة ﴾

قرأ الكسائي وما يعزب بكسر الزاي هنا وفي سبأ وهو قراءة الاعمش وبجى بن وثاب وقرأ الباقون بضم الزاي وقرأ حمزة وخلف وبمقوب وسهل ولا اصغر ولا اكبر بالرفع والباقون بفتحها

﴿ الملحمة ﴾

يعزب ويعزب لعتان صحيحتان ومن فتح الزاي من اصغر واكبر فلأن الفعل في الموضعين في موضع جر على تقدير ما يعزب عن ربك من مثقال ذرة ولا مثقال اصغر من ذلك ولا اكبر وإنما فتح لأنه غير منصرف وإنما منع الصرف لأن الفعل اذا اتصل به من كان صفة واذا كان صفة لم ينصرف في النكرة ومن رفع حملة على موضع الجار والمجرور الذي هو من مثقال ذرة فإنه في موضع رفع كما كانا في قوله وكفى بالله ويجوز رفعه من جهة اخرى على الابتداء ويكون الخبر قوله الا في كتاب مبين

﴿ اللغة ﴾

الشأن اسم يقع على الامر والحال تقول ما شأنك وما بالك وما حالك والافاضة الدخول في العمل على جهة الانصباب اليه مأخوذ من فيض الاناء اذا انصب الماء من جوانبه ومنه قوله افضمتم من عرفات اي تفرقتم كتفرق الماء الذي ينصب من الاناء والغروب الذهب عن المعلوم وضده حضور المعنى للنفس وتغرب اذا اقرد عن اهله

﴿ الاعراب ﴾

ما في قوله ما انزل الله في موضع نصب بانزل ويكون بمعنى اي في الاستفهام ويحتمل ان يكون ما بمعنى الذي فيكون نصبا برأيتهم

﴿ المعنى ﴾

ثم امر سبحانه نبيه ﷺ ان يخاطب كفار مكة فقال (قل) يا محمد لهم (ارأيتهما انزل الله لكم من رزق) فجعله حلالا (فجعلتم منه حراما وحلالا) اي جعلتم بعضه حراما وبعضه حلالا يعني ما حرموا من السائبة والبحيرة والوصيلة ونحوها مما حرموا من زروعهم وإنما قال انزل الله لأن ارزاق العباد من المطر الذي ينزله الله (قل) يا محمد لهم (آلله اذن لكم ام على الله تفترون) ومعناه انه لم يأذن لكم في شيء من ذلك بل اتهم تكذيبون في ذلك على الله سبحانه (وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة) معناه اي شيء يظن الذين يكذبون على الله انه يصيبهم يوم القيامة على افتراءهم على الله اي لا ينبغي ان يظنوا ان يصيبهم على ذلك الا العذاب الشديد والعقاب الأليم (ان الله لذو فضل على الناس) بما فعل بهم من ضرور الانعام (ولكن اكثرهم لا يشكرون) نعمه ويجحدونها وهذا الكلام خرج مخرج التبريع على افتراء الكذب وان كان في صورة الاستفهام وتقديره ابو ذبيح افتراؤهم الكذب الى خير ام شر وقيل ان معنى قوله لذو فضل على الناس انه لم يضيح عليهم بالتحريم كما ادعيتهم ذلك عليه وقيل معناه انه لذو فضل على خلقه بترك معاملة من افتري عليه الكذب بالمعقوبة في الدنيا وامهاله اياهم الى يوم القيامة ثم بين سبحانه ان امهاله اياهم ليس لجهل بمآلهم فقال (وما تكون في شأن)

أي ما تكون أنت يا محمد في حال من الأحوال وفي أمر من أمور الدين من تبليغ الرسالة وتعليم الشريعة وغير ذلك (وما تتلوا منه من قرآن) أي وما تقرأ من الله من قرآن وقيل من الكتاب من قرآن، والقرآن يقع على القليل والكثير منه وقيل إن الهاء تعود إلى الشأن أي وما تتلوا من الشأن من قرآن (ولا تعملون من عمل الأكتاف عليكم شهوداً) أي ولا تعمل أنت وامتك من عمل الأكتاف الذين به شاهدين عليكم به (اذ تفيضون فيه) أي تدخلون فيه وتغوضون فيه (وما يعزب عن ربك أي وما يبعد وما يفتيب عن علم ربك ورويته وقدرته) من مثقال ذرة (أي وزن ثلثة صغيرة) في الأرض ولا في السماء ولا اصفر من ذلك) من وزن نملة (ولا أكبر إلا في كتاب مبين) أي في كتاب بينه الله فيه قبل أن خلقه وهو اللوح المحفوظ وقيل أراد به كتاب الحافظة الذي كتبه الملائكة السفرة وحفظوه وقال الصادق (ع) كان رسول الله ﷺ إذا قرأ هذه الآية بكى بكاء شديداً

﴿ النظم ﴾

قيل في اتصال الآية الأولى بما قبلها أنها اتصلت بقوله قل من يرزقكم من السماء والأرض فإذا قرأوا أنه الرزاق قيل لهم اجعلتم ما رزقكم بعضه حراماً وبعضه حلالاً عن أبي مسلم وقيل لما وصف القرآن بأنه هدى ورحمة وأمرم بالنمسك بما فيه عقبه بذكر مخالفتهم لما جاء في القرآن وتحريمهم ما أحل الله

قوله تعالى (٦٢) **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٣) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٤) لَّهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَبْدِيلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٥)** وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ أربع آيات

﴿ اللغة ﴾

الخوف والفرح والجزع نظائر وهو ازعاج القلب لما يتوقع من المكروه والأمن ضده والحزن غلظ الم مأخوذ من الحزن وهي الأرض الغليظة والسرور ضده والبشرى الخبر مما يظهر سروره في بشرة الوجه والشارة مثلها والعزة شدة الغلبة من عزه بعزه إذا غلبه ومنه قولهم إذا عز أخوك فنهى يعني إذا غلبك ولم تقاومه فلن له وعز الشيء يعز بفتح العين إذا اشتد وبعز بكسرهما إذا صار عزيزاً لا يوجد فكأنه اشتد وجوده

— (الأعراب) —

الذين آمنوا يحتتمل موضعه ثلاثة أوجه من الأعراب ﴿ الأول ﴾ النصب على أنه صفة أولياء الله ﴿ الثاني ﴾ الرفع على المدح ﴿ الثالث ﴾ الرفع على الابتداء وخبره لهم البشرى فإن جعلت الذين آمنوا صفة لم تقف على يحزنون بل تقف على يتقون وإن جعلته مبتدأ وقفت على يحزنون دون يتقون لأن لم البشرى خبر عنهم والبشرى يرتفع بالظرف على الأقوال الثلاثة ولا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعاً كسرت إن للاستئناف بالتذكير لما بنى الحزن ولا يجوز أن يكون كسرت لأنها وقعت بعد القول لأنه بصير حكاية عنهم وإن النبي ﷺ يحزن لذلك وهذا كفر ويجوز فتحها على تقدير اللام كأنه قال ولا يحزنك قولهم لأن العزة لله جميعاً وقد غلظ القتيبي سيفه هذا فزعم أن فتحها يكون كفرةً ولبس الأمر كما ظنه فإنها إذا كانت مفعولة للقول لم يجز وإذا تعلق بغير القول جاز سواء فتحت أو كسرت ومثل التفتح قول ذي الرمة

فما هجرتك النفس يا مي انها قلتك ولكن قل منك نصيبها

ولكنهم يا أملح الناس اولعوا بقول إذا ما جئت هذا جنيتها

وقال القتيبي عند ذكر هذه المسألة إذا قلت هذا قاتل أخي بالتنوين دل على أنه لم يقتل وإذا قلت هذا قاتل أخي يحذف التنوين دل على أنه قتل وهذا غلط باجماع من التنوين لأن التنوين قد تحذف وأنت تريد الحالك

والاستقبال قال الله تعالى هديا بالغ الكعبة يريد بالغ الكعبة وكل قس ذاتفة الموت أي ستذوق

✽ المعنى ✽

(ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم) بين سبحانه ان المطيعين لله الذين تولوا القيام بأمره وتولاهم سبحانه بحفظه وحياطته لا خوف عليهم يوم القيامة من العقاب (ولا هم يحزنون) أي لا يخافون واحتلف في أولياء الله فقيل هم قوم ذكرهم الله بما هم عليه من سيئه الخير والاخبات عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقيل هم المتحابون في الله ذكر ذلك في خبر مرفوع وقيل هم الذين آمنوا وكانوا يتقون وقد ينهم في الآية التي بعدها عن ابن زيد وقيل انهم الذين أدوا فرائض الله واخذوا بسنن رسول الله وتورعوا عن محارم الله وزهدوا في عاجل هذه الدنيا ورغبوا فيما عند الله واكتسبوا الطيب من رزق الله لمعاشهم لا يريدون به التفاخر والتكاثر ثم انفقوا فيما يلزمهم من حقوق واجبة فأولئك الذين يبارك الله لهم فيما اكتسبوا ويثابون على ما قدموا منه لاخرتهم وهو المروى عن علي بن الحسين عليه السلام وقيل هم الذين توالى أفعالهم على موافقة الحق (الذين آمنوا) أي صدقوا بالله واعترفوا بوحدانيته (وكانوا يتقون) مع ذلك معاصيه (لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) فيه أقوال **✽** أحدها **✽** ان البشرى في الحياة الدنيا هي ما بشرهم الله تعالى به في القرآن على الأعمال الصالحة ونظيره قوله وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم وقوله يبشرهم ربهم برحمة منه الآية عن الزجاج والقراء **✽** وثانيها **✽** ان البشارة في الحياة الدنيا بشارة الملائكة (ع) للمؤمنين عند موتهم بأن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة عن قتادة والزهري والضحاك والجبائي **✽** وثالثها **✽** انها في الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المؤمن لنفسه او ترى له وفي الآخرة بالجنة وهي ما يبشرهم الملائكة عند خروجهم من القبور وفي القيامة إلى ان يدخلوا الجنة يبشرونهم بها حالا بعد حال وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وروى ذلك في حديث مرفوع عن النبي **ﷺ** وروى عقبه بن خالد عن ابي عبد الله (ع) انه قال يا عقبه لا يقبل الله من العباد يوم القيامة إلا هذا الدين الذي اتم عليه وما بين احدكم وبين ان يرى ما تقر به عينه إلا ان يبلغ نفسه إلى هذه وامي يده إلى الوريد الخبر بطوله ثم قال ان هذا في كتاب الله وقرأ الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة الآية وقيل ان المؤمن انفتح له باب إلى الجنة في قبره فيشاهد ما اعد له في الجنة قبل دخولها (لا تبديل لكلمات الله) أي لا خلف لما وعد الله تعالى به من الثواب ولا خلاف في قوله بوضع كلمة أخرى مكانها بدلا منها لأنها حق والحق لا خلف فيه بوجه (ذلك هو الفوز العظيم) أي ذلك الذي سبق ذكره من البشارة في الحياة الدنيا وفي الآخرة هي النجاة العظيمة التي بصغر في جنبها كل شيء (ولا يحزنك قولهم) ظاهره الهي والمراد به التسلية للنبي **ﷺ** عن اقوالهم المؤذية وهو مثل قولهم لا رأيتك ههنا أي لا تكن ههنا فمن كان ههنا رأيتك وكذلك المراد بالآية لا تعباً بأذاهم فمن عبأ به آذاهم (ان العزة لله جميعاً) فيمنعهم منك بعزته ويدفع اذاهم عنك بقدرته وقيل معناه لا يحزنك قولهم انك ساحر او مجنون فينتصر لك الله عليهم وسيذلهم وينتقم منهم لك فإنه عزيز قادر عليه (هو السميع العليم) يسمع أقوالهم ويعلم ضائرهم فيجازيهم عليها ويدفع عنك شرهم ويرد كيدهم وضرهم

✽ النظم ✽

وجه اتصال الآية الأولى بما قبلها انه لما تقدم ذكر المؤمن والكافر بين عقبيه ان اولياءه لا خوف عليهم وقيل لما ذكر انه يحصي اعمال خلقه بشر من تولاه وذكر ما اعد لهم ووجه اتصال قوله ولا يحزنك قولهم بما تقدم انه يتصل بقوله وان كذبوك فلا يحزنك قولهم وقل لي عملي ولكم عملكم وقيل انه يتصل بما قبله فكأنه قال إذا كنت من اولياء الله ومن اهل البشارة فلا ينبغي ان تحزن بطعن من بطعن عليك ووجه اتصال قوله هو السميع

العلم بما قبله انه يسمع قولهم ويجازيهم فلا يحزنك ذلك
قوله تعالى (٦٦) **أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ**
مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٦٧) هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
الَّيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ آيَاتِنَا

❖ اللغة ❖

الفرق بين الجعل والفعل ان جعل الشيء يكون باحداث غيره كجعل الطين خزفا ولا يكون فعله إلا باحداثه
والفرق بين الجعل والتغيير أن تغيير الشيء لا يكون إلا بتصويره على خلاف ما كان وجعله يكون بتصويره على
مثل ما كان كجعل الإنسان نفسه ساكنا على استدامة الحال وإنما قال والنهار مبصرا وإنما بصرفه تشبيهاً ومجازاً
واستعارة في صفة الشيء بسببه على وجه المبالغة كما يقال مر كأنهم وليل نائم ومثله قول جرير

لقد لمتنا يا ام غيلان في السرى ونمت وما ليل المطي بنائم
وقال رؤبه «قد نام ليلى وتجلي همي»

❖ المعنى ❖

لما سلى الله سبحانه نبيه ﷺ بقوله ولا يحزنك قولهم فإنهم لا يفوتوني بين بعد ذلك ما يدل على صحته فقال
(ألا إن لله من في السماوات ومن في الأرض) يعني العقلاء وإذا كان له ملك العقلاء فما عداهم تابع لهم وإنما
خص العقلاء تفضيلاً (وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء) يحتمل ما هاهنا وجهين ❖ أحدهما ❖ ان
يكون بمعنى أي شيء فكأنه قال وأي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء تقييماً لتعلمهم ❖ والآخر ❖ ان
ان يكون نافية أي وما يتبعون شركاء في الحقيقة ويحتمل وجهاً ثالثاً وهو ان يكون ما يعني الذي ويكون
منصوباً بالعطف على من ويكون التقدير والذي يتبع الأصنام الذين يدعونهم من دون الله شركاء فحذف العائد
من الصلة وشركاء حال من ذلك المجذوف وإن جعلت ما تقيماً فقوله شركاء ينتصب بیدعونه والعائد إلى الذين
الواو في يدعون ويكون قوله ان يتبعون مكرراً لطول الكلام وتقف في هذا القول على قوله ومن في الأرض
وسيفي ذلك القول على قوله شركاء (ان يتبعون إلا الظن) أي ليس يتبعون في اتخاذهم مع الله شركاء إلا الظن
لتقليدهم أسلافهم في ذلك أو لشبهة دخلت عليهم بأنهم يتقربون بذلك إلى الله تعالى (وإن هم إلا يخرصون)
أي وليسوا إلا كاذبين بهذا الاعتقاد والقول (هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) معناه ان الذي يملك من
في السماوات ومن في الأرض هو الذي خلق لكم الليل لسكونكم ولأن يزول التعب والكلال عنكم بالسكون فيه
(والنهار مبصراً) أي وجعل النهار مبصراً مضيئاً تبصرون فيه وتهتدون به في حوائجكم بالإبصار (ان في ذلك
لآيات) أي لحججاً ودلالات على توحيد الله سبحانه من حيث لا يقدر على ذلك غيره (لقوم يسمعون) الحجج
سماع تدبر وتفهم وتعقل

قوله تعالى (٦٨) **قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**
إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٩) قُلْ إِنْ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى
اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يَفْلِحُونَ (٧٠) مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُنزِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ

بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ثلاث آيات

✽ الإعراب ✽

متاع خبر مبتدأ محذوف وتقديره ذاك أو هو متاع وقوله لا يفلحون وقف تام ويجوز ان يكون متاع مبتدأ محذوف الخبر وتقديره لهم متاع

✽ المعنى ✽

ثم حكى الله سبحانه عن صنف من الكفار انهم اضافوا اليه اتخاذ الولد وهم طائفتان ✽ احدهما ✽ كفار قريش والرب فانهم قالوا الملائكة بنات الله ✽ والاخرى ✽ النصارى الذين قالوا المسيح ابن الله فقال سبحانه (قالوا اتخذ الله ولدا) وانما قال قالوا وان لم يكن سبق ذكرهم لانهم كانوا بحضرة النبي ﷺ وكان يعرفهم وتصح الكناية عن المعلوم كما تصح عن المذكور (سبحانه) أي تنزيها له عما قالوا (هو الغني) عن اتخاذ الولد ثم بين سبحانه الوجه فيه فقال (له ما في السموات وما في الأرض) ومعناه إذا كان له ما في السموات وما في الأرض ملكا وملكا وخلقا فهو الغني عن اتخاذ الولد لأن الإنسان انما يتخذ الولد ليتقوى به من ضعف أو ليستغني به من فقر والله سبحانه منزّه عن ذلك وإذا استحال اتخاذ الولد حقيقة عليه سبحانه استحال عليه اتخاذ الولد على وجه التبعي (ان عندكم من سلطانت بهذا) أي ما عندكم من حجة وبرهان بهذا (أتقولون على الله ما لا تعلمون) هذا توبيخ من الله سبحانه لهم على قولهم ذلك ثم بين سبحانه الوعيد لهم على ذلك فقال (قل) يا محمد (ان الذين يفترون) أي يكذبون (على الله الكذب) باتخاذ الولد وغير ذلك (لا يفلحون) أي لا يفوزون بشيء من الثواب وأصل الافتراء من القطع من فريت الاديم أي قطعته فمعناه يقطعون الكذب الذي يكذبون به على الله تعالى وقوله (متاع في الدنيا) معناه لهم متاع في الدنيا يتمتعون به أياما قلائل ثم تنقضي وقوله (ثم الينا مرجعهم) أي ثم إلى حكمنا مصيرهم (ثم نذيقهم العذاب الشديد) وهو عذاب النار (بما كانوا يكفرون) أي بكفرهم

قوله تعالى (٧١) وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقضوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ (٧٢) فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٧٣) فَكَذَّبُوهُ فَجَبْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ثلاث آيات

✽ القراءة ✽

قرأ يعقوب وحده وشركاؤكم بالرفع وهو قراءة الحسن وابن ابي اسحق وابي عبد الرحمن السلمي وعيسى الثقفي وقرأ الباقون وشركاؤكم بالنصب وفي الشواذ قراءة الاعرج وعاصم والجحدري والزهري فاجمعوا أمركم مفتوحة الميم موصولة المهزلة من جمع

✽ الحجة ✽

من قرأ فاجمعوا امركم وشركاؤكم بالرفع رفعه على المعطف على الضمير في اجمعوا وساغ عطفه على

الضمير من غير تو كيد من أجل طول الكلام بقوله امركم وإذا جاز في قوله سبحانه ما اشر كنا ولا آباؤنا ان نكتفي من طول الكلام بلا وان كانت بعد حرف المطف كان الا كفاً من التوكيد بما هو أطول من لا وهو ايضاً قبل الواو كما ان التوكيد لو ظهر لكان قبلها اخرى فلو قال قائل قم وزيد كان اقبح من ان يقول قم وزيد وذلك لأن المعطوف عليه في قم وزيد ضمير مستكن لا لفظ له فهو اضعف من ضمير المخاطب او المتكلم في قم لأن له لفظاً وهو التاء وقمت وزيد اضعف من قمنا وزيد لأننا من قمنا اتم لفظاً من التاء في قم واما شركاءكم بالنصب فقد قيل فيه انه منصوب على اضرار فعل كأنه قيل وادعوا شركاءكم قالوا وكنا هو في مصحف ابي وقيل تقديره فاجمعوا امركم واجمعوا شركاءكم لأن اجمعوا يدل عليه وذهب المحققون إلى انه مفعول معه وتقديره مع شركائكم كما انشد سيبويه

فكونوا انتم وبني ابيكم مكان الكلبيين من الطحال

ويقال اجمت الامر وجمت الامر واجمت على الامر أي عزمت عليه قال المورج اجمت الامر افصح من اجمت عليه قال ابو الهيثم اجمع امره إذا جعله جمعا بعد ما كان متفرقا قال « هل اغدون يوماً وامري بجمع »

﴿ اللغة ﴾

الغمة ضيق الأمر الذي يوجب الحزن والغمة والكرية والضمطة والشدة نظائر وتقيضه الفرجة وقيل غمة مغلط تعطية خبره مأخوذ من غم الهلال إذا حال دون رؤيته غيم

— المعنى —

ثم امر الله سبحانه نبيه ﷺ ان يقرأ عليهم اخبار نوح فقال (واتل عليهم نبأ نوح) اي خبره (إذ قال لقومه) الذين بعث اليهم (يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي) اي شق وعظم عليكم اقلعتي بين اظهركم (وتذكيري) اي وعظي وتنبهي اياكم (بآيات الله) اي بحججه وبيناته على صحة التوحيد والعدل والنبوة والمعاد وبطلان ما تدعون به وفي الكلام حذف هو قوله وعزمتكم على قتلي وطردتي من بين اظهركم (فعلى الله توكلت) جملة جواب الشرط مع انه متوكل عليه في جميع احواله لبيان لهم انه متوكل في هذا التفصيل لما في اعلامه ذلك من زجرهم عنه لأن الله تعالى يكفيه امرهم ومعناه فإلى الله فوضت امري وبه وثقت ان يكفيني امركم (فاجمعوا امركم وشركاءكم) معناه فأعزموا على امركم مع شركائكم وانفقوا على امر واحد من قتلي وطردتي ولا تضطربوا فيه فختلف احوالكم فيما تلقونني به وهذا تهديد في صورة الأمر وقيل معناه اعزموا على امركم وادعوا شركاءكم فبين (ع) انه لا يرتدع عن دعائهم وعيب آلهتهم مستعينا بالله عليهم واتقوا بأنه سبحانه بعصمه منهم وقيل أراد بالشركاء الاوثان التي كانوا يعبدونها من دون الله وقيل أراد من شاركهم في دينهم (ثم لا يكن امركم عليكم غمة) أي لا يكن امركم عليكم غماً وحزناً بأن ترددوا فيه وقيل معناه ليكن امركم ظاهراً مكشوفاً ولا يكون مغلطاً مستوراً من غمته الشيء إذا سترته وقيل معناه لا تأتوه من غير أن تشاوروا ومن غير أن يجتمع رأيكم عليه لأن من حاول أمراً من غير ان يعلم كيف يتأتى ذلك كان امره غمة عليه (ثم اقضوا إلي ولا تنظرون) أي انهضوا إلي فاقبلوني ان وجدتم اليه سبيلاً ولا تؤخروني ولا تمهلوني عن ابن عباس وقيل معنى اقضوا لي افعلوا ما تريدون وادخلوا الي لأن

بمعنى افرغوا من جميع حبلكم كما يقال خرجت اليك من العهدة وقبل معناه توجهوا الي وروي عن بعضهم انه قرأ ثم افضوا الي أي أسرعوا الي من الفضا لأنه إذا صار إلى الفضا تمكن من الإسراع وهذا كان من معجزات نوح (ع) لأنه كان وحيدا مع نفر يسير وقد اخبر بأنهم لا يقدرون على قتله وعلى ان ينزلوا به سوا لأن الله تعالى ناصره وحافظه عنهم (فإن توليتهم) أي ذهبتم عن الحق واتباعه ولم تقبلوه ولم تنظروا فيه (فاسألتكم من اجر) اي لا اطلب منكم أجراً على ما أوذيه اليكم من الله فيثقل ذلك عليكم وقبل معناه ان اعرضتم عن قبول قولي لم يضرني لأنني لم اطلع فيما لكم فيفوتني ذلك بتوليكم عني وانما يعود الضرر عليكم (ان اجرى إلا على الله) أي ما اجرى الا على الله في القيامة اداء الرسالة (وامرت ان اكون من المسلمين) أي امرني الله بأن اكون من المستسلمين لأن الله بطاعته ثقة بأنها خير ما يكتسبه العباد (فكذبوه) يعني انهم كذبوا نوحا أي نسبوه إلى الكذب فيما يذكره من انه نبي الله وان الله بعث اليهم ليدعوهم إلى طاعته (فنجيناها ومن معه في الفلك) أي في السفينة (وجعلناهم خلائف) أي جعلنا الذين نجوا مع نوح خلفاء لمن هلك بالغرق وقبل انهم كانوا ثمانين نفساً وقال البلخي يجوز ان يكون أراد جعلناهم رؤساء في الأرض (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) اي اهلكنا باقي اهل الأرض لجمع تكذيبهم لنوح (ع) (فانظر) ايها السامع (كيف كان عاقبة المنذرين) اي المخوفين بالله وعذابه اي كيف اهلكهم الله

قوله تعالى (٧٤) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ (٧٥) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (٧٦) فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٧٧) قَالَ مُّوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ (٧٨) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا عَمَّ وَجَدْنَا عَلَيْهِ آيَاتِنَا وَتَكُونُ لَكُمْ أَلْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

روى حماد ويحيى عن ابي بكر وزيد عن يعقوب ويكون لكما الكبرياء بالياء والباقون بالتاء.

(- الحجة -)

الوجه في الباء ان تأنيث الكبرياء غير حقيقي وقد فصل ايضاً بينه وبين الفعل ومن قرأ بالتاء فلا ت لفظه لفظ التأنيث

(- اللغة -)

الاجرام اكتساب السببية واصله القطع والافت الصرف عن الأمر يقال لفته يلفته لفتاً وامرأة لفتت ذات زوج لها ولد من غيره لأنها تلفت إلى ولدها عنقتها

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه قصة من بعثه بعد نوح فقال (ثم بعثنا من بعده) أي من بعد نوح واهلاك قومهم (رسلاً) يريد

ابراهيم وهودا وصالحا ولوطا وشعيبا (الى قومهم) الذين كانوا فيهم بعد ان تاسلوا وكثروا (فجاؤهم بالبينات) أي فأتوهم بالبراهين والمعجزات الدالة على صدقهم الشاهدة بنبوتهم (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل) أي لم يكونوا ليصدقوا يعني أو لك الأقسام الذين بعث اليهم الرسل بما كذبت به أو أنهم الذين هم قوم نوح أي كانوا مثلهم في الكفر والعنق وقيل معناه لم يكن منهم من يؤمن من بعد هذه الآيات بما كذبوا به من قبلها بل كانت الحالتان سواء عندهم قبل البينات وبعدها عن ابي مسلم والبلخي (كذلك نطبع على قلوب المعتدين) أي نجعل على قلوب الظالمين لنفوسهم الذين تعدوا حدود الله سمة وعلامة على كفرهم يلزمهم الذم بها ويعرفهم بها الملائكة كما فعلنا ذلك بقلوب هؤلاء الكفار وقد مر معاني الطبع والخطم فيما تقدم (ثم بعثنا من بعدهم) أي من بعد الرسل أو من بعد الأمم (موسى وهارون) (ع) نبين مرسلين إلى فرعون وملائه أي وروثاء قومه (بآياتنا) أي بأدلتنا ومعجزاتنا (فاستكبروا عن الانقياد لها والإيمان بها) (وكانوا قوما مجرمين) عاصين لربهم مستحقين للعقاب الدائم (فلما جاءهم) أي جاء قوم فرعون (الخلق من عندنا) يعني ما أتى به موسى من المعجزات والبراهين (قالوا إن هذا سحر مبين) أي ظاهر (قال موسى) لهم (أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا) أي اتقولون لمعجزاته سحر والسحر باطل والمعجز حق وهما متضادان (ولا يفلح الساحرون) أي لا يظفرون بحجة ولا يأتون على ما يدعونه ببينة وإنما هو تمويه على الضعفة (قالوا) يعني قال فرعون وقومه لموسى (أجبنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا) أي لتصرفنا عن ذلك (وتكون لكما الكبرياء) أي الملك عن مجاهد وقيل العظمة والساطان والأصل ان الكبرياء استحقاق صفة الكبر في أعلى المراتب في الأرض أي في أرض مصر وقيل أراد اسم الجنس والمراد به الإنكار وان كان اللفظ لفظ الاستفهام تعلقوا بالشبهة في اتهم على رأي آباءهم وان من دعاهم الى خلافه فظاهر أمره انه يريد التأمير عليهم فلم يطيعوه (وما نحن لكما بؤمنين) أي بمصدقين فيما تدعيانه من النبوة

قوله تعالى (٧٩) وَقَالَ فرعونُ ائتوني بِكُلِّ سَاحِرٍ عَليمٍ (٨٠) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمُ موسى ألقوا ما أنتم ملقون (٨١) فَلَمَّا ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيضلُّه إن الله لا يصلحُ عملَ المُفسدين (٨٢) وَيَحِقُّ اللهُ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ المُجرِمونَ اربع آيات

✽ القراءة ✽

قرأ أهل الكوفة غير عاصم بكل سحار بالتشديد والباقون ساحر على وزن فاعل وقرأ أبو جعفر وأبو عمرو السحر بقطع الألف ومدها على الاستفهام والباقون السحر موصولة على الخبر

✽ الحجة ✽

قد بينا الوجه في سحار وساحر في سورة الاعراف وأما قوله السحر فإت ما في قوله ما جئتم به في موضع رفع بالابتداء وجئتم في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ وانكلام استفهام والسحر بدل من ما المبتدأ ولزم ان يلحق السحر الاستفهام ليساوي المبدل منه في انه استفهام ألا ترى انه ليس في قولك السحر استفهام وعلى هذا قالوا كم مالك اعشرون أم ثلاثون فجمعت العشرون والثلاثون بدلا من كم والحقت ام لأنك

في قولك كم لجرها مالك مدع ان له مالا كما انك في قولك اعشرون ام ثلاثون مالك مدع احد الشيتين ولا يلزم ان تضمر السحر خبرا على هذا لأنك اذا ابتدأت من المبتدأ صار في موضعه وصار ما كان خبرا لما ابتدأت منه في موضع خبر البدل ومن قرأ ما جئتم به السحر كان ما في قوله موصولا وجئتم به الصلة والهاء المجرورة عائدة على الموصول وخبر المبتدأ الذي هو الموصول السحر وبما يقوي هذا الوجه ما زعموا انه في حرف عبد الله ما جئتم به سحر فعلى هذا يكون تقديره الذي جئتم به السحر وعلى الوجه الأول وهو ان يكون ما استفهما فتقديره اي شي جئتم السحر واما وجه الاستفهام مع علم موسى انه سحر فإنه مثل قوله أنت قلت للناس اتخذوني واي آلهين من دون الله في انه للتقرير

﴿ المعنى ﴾

(وقال فرعون) حكى الله سبحانه عن فرعون انه حين اعجزه المعجزات التي ظهرت لموسى (ع) ولم يكن له في دفعها حيلة قال لقومه (اتوني بكل ساحر عليم) بالسحر بليغ في عمله وإنما طلب فرعون كل ساحر ليتعاونوا على دفع ما أتى به موسى وحتى لا يفوته شي من السحر بتأخر بعضهم وإنما فعل ذلك للجهل بأن ما أتى به موسى من عند الله وليس بسحر وبعد ذلك علم انه ليس بسحر فعائد كما قال سبحانه لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السماوات والارض بصائر وقيل انه علم انه ليس بسحر ولكنه ظن ان السحر يقاربه مقارنة تشبيه (فلما جاء السحرة) الذين طلبهم فرعون وأمر بالحضارهم وموسى حاضر (قال لهم موسى القوا ما أنتم ملقون) وفي الكلام حذف يدل عليه الظاهر وتقديره فلما أتوه بالسحرة وبالحيال والمعصي قال لهم موسى (القوا ما أنتم ملقون) اي اطرحوا ما جئتم به وقيل معناه افعلوا ما أنتم فاعلون وهذا ليس بأمر بالسحر ولكنه قال ذلك على وجه التحدي والإلزام اي من كان عنده ما يقاوم المعجزات فليقله وقيل انه امر على الحقيقة بالإلقاء ليظهر بطلانه وانما يقتصر على قوله القوال انه اراد ألقوا جميع ما أنتم ملقون في المستأنف فلو اقتصر على القوا ما أفاد هذا المعنى والإلقاء اخراج الشي عن اليد إلى جهة الأرض ويشبه بذلك قولهم التي عليه مسألة والتي عليه رداء (فلقوا) اي فلق السحرة سحرهم (قال موسى) لهم (ما جئتم به السحر) اي الذي جئتم به من الحيال والمعصي السحر ادخل عليه الالف واللام لانه لا يهد لأنهم لما قالوا لما أتى به موسى انه سحر قال (ع) ما جئتم به هو السحر عن الفراء (ان الله سيطله) اي سيطل هذا السحر الذي فعلتموه لأن الله لا يصلح عمل المفسدين) معناه ان الله لا يهين عمل من قصد افساد الدين ولا يمضيه ويطله حتى يظهر الحق من الباطل والحق من المبط (ويحق الله الحق) أي يظهر الله الحق ويحققه ويثبتته وينصر اهله (بكلاته) قيل في معناه اقوال ﴿ احدها ﴾ ان معناه بوعده موسى «ع» وكان وعده النصر فأنجز وعده عن الحسن ﴿ وثانيها ﴾ ان معناه بكلامه الذي تبين به معاني الآيات التي اتاهانبيه عن الجبائي ﴿ وثالثها ﴾ بما سبق من حكمه في اللوح المحفوظ بأن ذلك سيكون (ولو كره المجرمون) ظهور الحق وابطال الباطل وفي هذه الآية دلالة على انه تعالى ينصر المحقين كما هم في حقهم وذلك على وجهين ﴿ احدهما ﴾ بالحجة فهذه النصرة مستمرة على كل حال «والثاني» بالقلبة والتهر وهنا يختلف بحسب المصلحة لأن المصلحة قد تكون بالنخلة تارة وبالحيولة اخرى

قوله تعالى (٨٣) فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملأهيم
أن يفتنهم وإن فرعون لعالٍ في الأرض وإنه لمن المرسلين (٨٤) وقال موسى يا قوم

إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ (٨٥) فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا
لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٨٦) وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ أربع آيات

— اللغة —

الذرية الجماعة من نسل القبيلة وقد تقدم القول في اصحابها ووزنها والفتنة اصلها البلية وهي معاملة تظهر
الامور الباطنة يقال فتنت الذهب إذا احرقته بالنار ليظهر الخالص وقوله يوم هم على النار يفتنون اي
يجرقون لما فيه من اظهار حالهم في الضلال وقوله والفتنة اشد من القتل معناه التعذيب للرد عن الدين لما فيه
من اظهار النصرة اشد

— الإعراب —

يا قوم حذف منه يا لإضافة اجتزاء بالكسرة منها وهو في النداء احسن من اثباتها لقوة النداء على
التغيير والغاء في قوله فقالوا فاء العطف وجواب الامر كما تقول قال السائل كذا قال المجيب كذا وانما اجازت
الغاء في الجواب ولم تجز الواو لأن الغاء تترتب من غير مهلة فهي موافقة لمعنى وجوب الثاني بالاول
وليس كذلك الواو

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه من آمن من قوم موسى (ع) فقال (فأ آمن لموسى) اي لم يصدق موسى في ما ادعى من
النبوة مع ما اظهره من المعجزات الظاهرة (الا ذرية من قومه) اي اولاد أمن قوم فرعون وقيل أراد من
قوم موسى (ع) وهم بنو اسرائيل الذين كانوا بمصر واختلف من قال بالاول وقيل انهم قوم كانت أمهاتهم
من بني اسرائيل وآبائهم من القبط فاتبعوا أمهاتهم وأخوالهم عن ابن عباس وقيل انهم أناس يسير من قوم فرعون
منهم امرأة فرعون ومومن آل فرعون وجارية وامرأة هي مشاطة امرأة فرعون عن عطية عن ابن عباس
وقيل انهم بعض اولاد القبط لم يستجب آباؤهم موسى واختلف من قال بالثاني وقيل هم جماعة من بني
اسرائيل أخذهم فرعون لتعلم السحر وجماعهم من أصحابه فأمنوا بموسى عن الجبائي وقيل أراد مؤمني بني
اسرائيل وكانوا ستائة الف وكان يعقوب دخل مصر منهم باثني وسبعين انسانا فتوالدوا حتى بلغوا ستائة
الف وانما ساهم ذرية على وجه التصغير لضعفهم عن ابن عباس في رواية اخرى وقال مجاهد أراد بهم اولاد
الذين ارسل اليهم موسى من بني اسرائيل لطول الزمان هلك الآباء وبقي الأبناء (على خوف من فرعون)
يعني آمنوا وهم خائفون من معرفة فرعون (وملئهم) ومن اشرافهم وروايتهم قال الزجاج وإنما جازأت
يقال وملئهم لأن فرعون ذو اصحاب يأتمرون له وقيل ان الضمير في ملئهم راجع إلى الذرية لأن
آباءهم كانوا من القبط وكانوا يخافون قومهم من القبط ان يصرفهم عن دينهم ويعذبوهم (ان يفتنهم)
اي يصرفهم عن الدين يعني ان يمتحنهم لمحنة لا يمكنهم الصبر عليها فيصرفون عن الدين وكان جنود
فرعون يعذبون بني اسرائيل فكان خوفهم منه ومنهم (وان فرعون لعال في الأرض) اي مستكبر باغ طاغ
في ارض مصر ونواحيها (وانه لمن المسرفين) اي من المجاوزين الحد في العصيان لأنه ادعى الربوبية واسرف
في القتل والظلم والاسراف التجاوز عن الحد في كل شيء (وقال موسى) لقومه الذين آمنوا به (يا قوم

إن كُتِمَ آمَنتم بالله (كما تظهرون) فعليه توكلوا إن كُتِمَ مسلمين (أي فاستندوا أموركم إليه إن كُتِمَ مسلمين على الحقيقة وإنما أعاد قوله إن كُتِمَ مسلمين بعد قوله إن كُتِمَ آمَنتم بالله لبين المعنى بأجماع الصفتين التصديق والانقياد أي إن كُتِمَ آمَنتم بالله فاستسلموا لأمره وفائدة الآية بيان وجوب التوكل على الله عند نزول الشدة والتسليم لأمره ثقة بحسن تدبيره وانقطاعا إليه (قالوا على الله توكلنا) أخبر سبحانه عن حسن طاعتهم له وانهم قالوا استندنا أمورنا إلى الله واقبلنا (ربنا لا تجعلنا فتنه للقوم الظالمين) أي لا تمكن الظالمين من ظلمنا بما يحملنا على اظهار الانصراف عن ديننا عن مجاهد وقيل معناه ربنا لا تظهر علينا فرعون وقومه فيفتن بنا الكفار ويقولوا لو كانوا على الحق لما ظفروا عليهم عن الحسن وأبي مجاز وروى زرارة ومحمد بن مسلم عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليها السلام إن معناه لا تسلطهم علينا فتفتنهم بنا (ونجنا) وخلصنا (برحمتك من القوم الكافرين) أي من قوم فرعون واستعبادهم ابانا واخذهم جماعتنا بالأعمال الشاقة والمهن الخسيسة

قوله تعالى (٨٧) وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَ لِقَوْمِكَ مِمَّا مِصْرَ يُونَا وَأَجْعَلُوا يُونَا قَوْمًا قِبَلَهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٨٨) وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَأَشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٨٩) قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمْ فَاَسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ثَلَاثَ آيَاتٍ

(القراءة) -

قرأ ابن عامر ولا تتبعان خفيفة النون والباقون بالتشديد

الحجة

من قرأ بالنون الشديدة كسرهما لوقوعها بعد ألف التثنية فاشبهت نون الاثنين في رجلا ولم يعتد بالنون الساكنة قبلها السكونها وخفتها فصارت المكسورة كأنها ولت الألف ومن قرأ بالتخفيف فإنه يمكن أن يكون خفف التثنية للتضعيف كما خففوا رب وان ونحوها إلا أنه حذف الأولى من المثاليين كما أبدلوا الأولى من المثاليين في نحو قيراط ودينار ولزم ذلك في هذا الموضع لأن الحذف لو لحق الثانية لزم التقاء الساكنين والتقاء الساكنين على هذا الحد غير مأخوذ به عند العامة وإن شئت كان على لفظ الخبر والمعنى الأمر كقوله يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروا ولا تضار والدة بولدها أي لا ينبغي ذلك وإن شئت جعلته حالا من استقيما والتقدير استقيما غير متبعين وبدل على ذلك قول الشاعر

فلا اسقى ولا يسقى شربي و يرويه إذا اوردت مائي
وكقول الفرزدق

بأيدي رجال لم يشيموا سيوفهم ولم تكثر القتلى بها حين سلت

- اللغة -

تبوء أي اتخذنا يقال تبوأ نفسه بينا أي اتخذها وبوات له يتأوى اتخذته له ويقال إن تبوء وبوء بمعنى

اي اتخذ بيتا مثل بدل وتبدل وخلص وتخلص قال ابو علي تبوء فعل يتعدى إلى مفعولين واللام في قوله لقوم كما
كالتي في قوله ردف لكم ويقوي ذلك قوله واذا بواثنا لابيراهيم مكان البيت فدخلت اللام على غير المطاوع
كادخلت على المطاوع في قوله تبوء لقوم كما والطمس محو الاثر يقال طمس عينه اطمسها طمسا وطموسا
وطمست الريح آثار الديار والطمس تغير إلى الدثور والدروس قال كعب بن زهير

من كل نضاعة الذفرى إذا عرقت عرضتها طامس الأعلام مجهول

✽ الاعراب ✽

مصر غير منصرف لأنها موث معرفة ولو صرفت غلغتها كما تصرف هند لكان جائزا وترك الصرف اقبس
وقوله بيوتنا مفعول به وليس بظرف مكان لاختصاصه والبيوت هنا كالغرف في قوله تعالى لنبيونهم من الجنة
غرفا فلا يؤمنوا يحتمل وجهين من الاعراب النصب والجرم فأما النصب ففيه وجهان ✽ احدهما ✽ ان
يكون على جواب صيغة الأمر بالفاء ✽ والاخر ✽ ان يكون عطفا على ليضلوا اي ليضلوا فلا يؤمنوا وهذا
قول المبرد وعلى هذا فيكون قوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم اعتراضا واما الجرم فيكون على
وجه الدعاء عليهم وتقديره فلا آمنوا ومثله قول الاعشى

فلا ينبسط من بين عينيك ما انزوى ولا تلقني إلا وأنفك راغم

(المعنى) -

(واوحينا إلى موسى وأخيه) أي أمرناهما (ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا) اي اتخذنا لمن آمن بكما بمصر
يعني البلدة المعروفة بيوتا تسكنونها وتأوون اليها (واجعلوا بيوتكم قبلة) اختلف في ذلك قبيل لما دخل موسى
مصر بعد ما اهلك الله فرعون أمروا باتخاذ مساجد يذكر فيها اسم الله تعالى وان يجعلوا مساجدهم نحو القبلة
أي الكعبة وكانت قبلةهم إلى الكعبة عن الحسن ونظيره في بيوت اذن الله ان ترفع الآية وقيل ان فرعون
أمر بتخریب مساجد بني اسرائيل ومنهم من الصلاة فأمروا ان يتخذوا مساجد في بيوتهم يصلون فيها خوفا
من فرعون وذلك قوله واجعلوا بيوتكم قبلة أي صلوا في بيوتكم لتؤمنوا من الخوف عن ابن عباس ومجاهد
والسدي وغيرهم وقيل معناه اجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضا عن سعيد بن جبير (واقموا الصلاة) أي
أديموا وواظبوا على فعلها (وبشر المؤمنين) بالجنة وما وعد الله تعالى من الثواب وانواع النعيم والخطاب
لموسى (ع) عن ابي مسلم وقيل الخطاب لمحمد ﷺ (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملائه) اي
اعطيت فرعون وقومه (زينة) بزينة بها من الحلي والثياب وقيل الزينة الجمال وصحة البدن وطول القامة
وحسن الصورة (واموالا) يتمثلون بها في الحياة الدنيا وانما اعطاهم الله تعالى ذلك للإيمان عليهم مع ثعريه
من وجود الاستفساد (ربنا ليضلوا عن سبيلك) اللام للعاقبة والمعنى وعاقبة امرهم انهم يضلون عن سبيلك
ولا يجوز ان يكون لام الغرض لأننا قد علمنا بالادلة الواضحة ان الله سبحانه لا يبعث الرسول ليأمر الخلق
بالضلال ولا يريد ايضا منهم الضلال وكذلك لا يؤمنهم المال ليضلوا وقيل معناه لئلا يضلوا عن سبيلك
فحذفت لا كقوله شهدنا ان تقولوا يوم القيامة أي لئلا تقولوا وحذف ذلك لدلالة العقل عليه وقيل انه لام
الدعاء والمعنى ابتلهم بالبقاء على ما هم عليه من الضلال وانما قال ذلك لعلمه بأنهم لا يؤمنون من طريق الوحي
وفائدته اظهار التبرؤ منهم كما يلعب ابليس ويدل عليه انه اعاد قوله (ربنا اطمس على اموالهم) فبدل ذلك

على انه اراد به الدعاء عليهم والمراد بالطمس على الأموال تغييرها عن جهتها . إلى جهة لا يتفجع بها قال مجاهد وقادة وعامة اهل التفسير صارت جميع اموالهم حجارة حتى السكر والفانيد (واشدد على قلوبهم معناه ثبتم على المقام بيلدوم بعد اهلاك أموالهم فيكون ذلك اشد عليهم وقيل معناه أمتهم بعد سلب اموالهم واهلكهم وقيل انه عبارة عن الخذلان والطبع (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) قد ذكرنا وجوهه وقيل معناه انهم لا يؤمنون إيمان الجاه حتى يروا العذاب وهم مع ذلك لا يؤمنون إيمان اختيار أصلاً ثم اخبر سبحانه انه اجاب لها الدعوة فقال (قال) اي قال الله تعالى لموسى وهارون (قد اجيبنا دعوتكما) والداعي كان موسى «ع» لأنه كان يدعو وكان هارون يؤمن على دعائه فساهم ادا عيين عن عكرمة والربع وابي العالبة واكثر المفسرين ولأن معنى التأمين اللهم استجب هذا الدعاء (فاستقيا) اي فأثبتنا على ما امرتنا من دعاء الناس إلى الايمان بالله تعالى والافتقار والوعظ قال ابن جريج مكث فرعون بعد هذا الدعاء اربعين سنة وروي ذلك عن ابي عبد الله «ع» (ولا تبغمان سبيل الذين لا يعلمون) نهاهما سبحانه عن ان يتبعنا طريقة من لا يؤمن بالله ولا يعرف انبياءه عليهم السلام

قوله تعالى (٩٠) وَجَاوَزْنَا بَيْنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجَنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩١) الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩٢) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِيَدِنَا لِنَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ثلاث آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل الكوفة غير عاصم آمنت انه بكسر الالف والباقون انه بالفتح وروي عن ابي جعفر ونافع الان بالفتح حركة المنزلة على اللام وحذف الهمزة وقرأ ننجيك خفيفة قتيبة ويعقوب وسهل والباقون ننجيك بالشديد وفي الشواذ قراءة ابي بن كعب ومحمد بن السميع ننجيك بالحاء .
(الهمزة) -

قال ابو علي من قرأ آمنت انه بالفتح فلان هذا الفعل يصل بحرف الجر في نحو يؤمنون بالنبي فلما حذف حرف الجر وصل الفعل إلى انفصال في موضع نصب او جر على الخلاف في ذلك ومن قرأ آمنت انه بالكسر حمله على القول المضمر كأنه قال آمنت وقلت انه واضمار القول في هذا النحر كثير وقال علي بن عيسى من كسر إنه جملة بدل من آمنت ومن فتح جملة معمول آمنت واما الآن فإن لام المعرفة إذا دخلت على كلمة اولها الهمزة خفضت الهمزة كان في تخفيفها وجهان ﴿ احدهما ﴾ ان يلقى حركتها على اللام وتقر همزة الوصل فيقال الحمر وقد حكى ذلك سيديويه وحكى ابو الحسن ان اناسا يقولون حمر فيحذفون الهمزة التي للوصل قال

فقد كنت تحفي حب سمراء حقية فبح لان منها بالذي أنت بائح

فاسكن الحاء لما كانت اللام متحركة ولو لم يعتد بالحركة كما لم يعتد بها في الوجه الاول لحرك الحاء بالکسر كما يحرك في بح اليوم وننجيك وننجيك في معنى واحد اي نلقيك على نجرة من الارض قال اوس بن حجر

فمن بنجوته كمن بمقوته والمستكن كمن يمشي بقرواح

والقرواح حيث لا ماء ولا شجر ومن قرأ ننجيك بالحاء فإنه نملك من الناحية اي نملك في ناحية ومنه

نحيت الشئ فتحنى اي باعدته فتباعد فصار في ناحية قال الخطيب

تحنى فاجلسي مني بعيدا أراح الله منك العالمينا

﴿ اللغة ﴾

المجاورة الخروج عن الحد من احدى الجهات الاربع والاتباع طلب اللحاق بالأول اتبعه اتباعا وتبعه بمعنى وحكى ابو عبيدة عن الكسائي انه قال إذا اريد انه اتبعهم خيرا أو شرا قالوا يقطع الهمة وإذا اريد به انه اقتدى بهم واتبع أثرهم قالوا بتشديد التاء. ووصل الهمة والبغي طلب الاستعلاء. بغير حق والعدو والعدوان الظلم والتجوة الأرض التي لا يعلوها السيل واصلاها من الارتفاع

﴿ الاعراب ﴾

بغيا وعدوا مفعول له وقيل انها مصدران في موضع الحال اي في حال البغي والعدوان الآن فصل بين الزمان الماضي والمستقبل مع انه إشارة إلى الحاضر ولهذا بني كما بني ذا وعرف الآن بالالف واللام وامس يتضمن حرف التعريف لأن ما مضى بمنزلة المضمر في المعنى في انه ليس له صورة والحاضر في معنى المصرح في صحة الصورة والعامل في قوله الآن محذوف وتقديره الآن آمنت

— المعنى —

ثم بين سبحانه مآل آل فرعون وقومه فقال (وجاوزنا ببني إسرائيل البحر) أي عبرنا بهم البحر حتى جاوزوه سالمين بأن يبسنا لهم البحر وفرقنا لهم الماء اثني عشر فرقا (فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا) اي ليغفروا عليهم ويظلموهم وذلك ان الله سبحانه لما اجاب دعاء موسى امره بإخراج بني إسرائيل من مصر ليلا فخرج وتبعهم فرعون وجنوده مشرقين حتى انتهوا إلى البحر وامر الله سبحانه موسى (ع) فضرب البحر بعصاه فانفلق اثني عشر فرقا وصار لكل سبط طريق يابس فارتفع بين كل طريقين الماء كالجلج و صار في الماء شبه الحروق فجعل بعضهم ينظر إلى بعض فلما وصل فرعون بجنوده إلى البحر رأوا البحر بتلك الهيئة فهابوا دخول البحر وكان فرعون على حصان ادهم فجاء جبرائيل عليه السلام على فرس وديق وخاض البحر وميكائيل يسوقهم فلما شم ادهم فرعون ريح فرس جبريل (ع) انسل خلفه في الماء واقتحمت الخيول خلفه فلما دخل آخرهم البحر وهم أولهم ان يخرج انطبق الماء عليهم (حتى إذا أدركه الغرق) اي وصل اليه الغرق وايقن بالهلاك (قال آمنت انه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل وانا من المسلمين) وكان ذلك إيان إجماع لا يستحق به الثواب فلم ينفعه إيمانه (الآن) وقد عصيت قبل فيه اضمار اي قيل له الآن آمنت حين لا ينفع الايمان ولا يقبل لأنه حال الإطاعة (وقد عصيت) بتوك الايمان في حال ما ينفعك الايمان فهلا آمنت (قبل) ذلك (وكنت من المفسدين) في الأرض يقتل المؤمنين وادعاء الإلهية وانواع الكفر واختلف في قائل هذا القول فقيل قاله جبريل (ع) وقيل ذلك كلام الله تعالى قاله له على وجه الإهانة والتوبيخ وكان ذلك معجزة لموسى عليه السلام وروى علي بن ابراهيم بن هاشم بوستاده عن الصادق عليه السلام قال ما اتى جبريل رسول الله ﷺ إلا كتبيا حزينا ولم يزل كذلك منذ أهلك الله فرعون فلما امر الله سبحانه بنزول هذه الآية نزل وهو ضاحك مستبشر فقال له جبريل ما اتيتني إلا وبينت الحزن في وجهك حتى الساعة قال نعم يا محمد لما غرق والله فرعون قال آمنت انه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل فأخذت حماة فوضتها في فيه ثم قلت له الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ثم خفت ان تلحقه الرحمة من عند الله فيعذبني على ما فعلت فلما كان الآن وأمرني أن أؤدي اليك ما قلته انا لفرعون آمنت وعلمت ان ذلك كان لله رضا (فاليوم ننجيك بيدك) ببدنك (اختلف في معناه فقال اكثر المفسرين معناه لما أغرق الله فرعون وقومه انكر بعض بني إسرائيل غرق فرعون وقالوا هو اعظم شأننا من ان يفرق فأخرجهم الله حتى رأوه فذلك قوله فاليوم

ننجيك اي نلقيك على نجوة من الأرض وهي المكان المرتفع بيدنك أي بجسدك من غير روح وذلك انه طفا
عريانا وقيل معناه مخلصك من البحر وانت ميت والبدن الدرع قال ابن عباس كانت عليه درع من ذهب يعرف
بها فالمعنى زفحك فوق الماء بدرعك المشهورة ليعرفوك بها (لتكون لمن خلفك آية) اي لتكون تكالا لمن خلفك فلا
يقولوا مثل مقاتلك عن الكلبي وقيل انه كان يدعي انه رب فبين الله امره وانه عبد وفيه من الآية انه غرق مع
القوم واخرج هر من بينهم وكان ذلك آية عن الزجاج (وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون) يعني ان كثيرا
من الناس عن التفكير في دلالاتنا والتدبر لحججنا وبيناتنا غافلون اي ذاهبون

قوله تعالى (٩٣) وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا
حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ آيَةٌ

-- « الاعراب » --

المبوء يجوز ان يكون مصدرا ويجوز ان يكون مكانا ويكون المفعول الثاني من بوأ على هذا محذوفا كما
حذف من قوله وبوأكم في الارض ويجوز ان ينتصب المبوء نصب المفعول به على الاتساع وان كان مصدرا فقد
أجاز ذلك سيبويه في قوله أما الضرب فأنت ضارب

(- المعنى) -

ثم بين سبحانه حال بني اسرائيل بعد اهلاك فرعون فقال (ولقد يوأنا بني اسرائيل مبوء صدق) اخبر
سبحانه عن نعمه عليهم بعد ان انجاهم واهلك عدوهم يقول مكناهم مكانا محمودا وهو بيت المقدس والشام
وانما قال مبوءا صدق لأن فضل ذلك المنزل على غيره من المنازل كفضل الصدق على الكذب وقيل معناه انزلناهم
في موضع خصب وامن يصدق فيما يدل عليه من جلالة النعمة وقال الحسن يريد به مصر وذلك ان موسى عبر ببني
اسرائيل البحر ثانيا ورجع إلى مصر وتبوأ مساكن آل فرعون وقال الضحاك هو الشام ومصر (ورزقناهم من
الطيبات) اي مكناهم الاشياء اللذيذة وهذا يدل على سعة ارزاق بني اسرائيل (فما اختلفوا حتى جاءهم العلم)
معناه فما اختلفوا في تصديق محمد ﷺ يعني اليهود كانوا مقرين به قبل بعثته حتى جاءهم العلم وهو القرآن
الذي جاء به محمد ﷺ عن ابن عباس وقال الفراء العلم محمد لأنه كان معلوما عندهم بنعمته فلما
جاءهم اختلفوا في تصديقه فكفر به اكثرهم وقيل ان معناه فما اختلف بنو اسرائيل الا من بعد ما جاءهم العلم
بالحق على يد موسى وهارون فلأنهم كانوا مطبقين على الكفر قبل مجي موسى فلما جاءهم آمن به بعضهم وثبت
على الكفر بعضهم فصاروا مختلفين (ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) هذا اخبار منه
تعالى بأنه الذي يتولى الحكم بينهم يوم القيامة في الأمور التي يختلفون فيها فلأن مع بقاء التكليف لا يرتفع الخلاف

قوله تعالى (٩٤) فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ
مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٩٥) وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٩٦) إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ
لَا يُؤْمِنُونَ (٩٧) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ثلاث آيات

❖ القراءة ❖

قد تقدم اختلاف القراء في كلمة وكلمات والوجه في ذلك

* اللغة *

الامترا. طلب الشك مع ظهور الدليل وهو من مري الضرع وهو مسحه ليذر فلامعني لمسحه بعد دروره بالحليب
- (الاعراب) -

النون في قوله فلا تكونن نون التأكيدهي لاتدخل في غير الواجب لانك لا تقول انت تكونن ودخلت في القسم على هذا الوجه لأنه يطلب بالقسم التصديق وانما بنى النعل مع نون التأكيذ لأنها ركبت مع الفعل على تقدير كلمتين كل واحدة مركبة مع الاخرى مع ان الأولى ساكنة واقتضت حركة بناء. لاتتقاء الساكنين ولو جاءتهم كل آية قال الأخفش انت كل لأنها مضافة إلى مؤنث ولقطة كل للمذكر والمؤنث سواء. والروية في الآية روية العين لأنها تعدت إلى مفعول واحد والعذاب وان كان اليا وهو لا يصح ان يرى فلو انه ترى اسبابه فهو بمنزلة ما يرى

- المعنى -

ثم بين سبحانه صحة نبوة محمد ﷺ فقال (فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاستل الذين يقرون الكتاب من قبلك) اختلف المفسرون في معناه على اقوال اولها قال الزجاج ان هذه الآية قد كثر سؤال الناس عنها وخوضهم فيها وفي السورة ما يدل على بيانها فلان الله سبحانه يحاطب النبي ﷺ وذلك الخطاب شامل للخلق فالعني فلان كنتم في شك فاسألوا والدليل عليه قوله في آخر السورة يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم الآية فاعلم الله سبحانه ان نبيه عليه السلام ليس في شك ومثل هذا قوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فقال طلقتم والخطاب للنبي ﷺ وحده وهذا مذهب الحسن وابن عباس واكثر اهل التأويل وروي عن الحسن وقتادة وسعيد بن جبير انهم قالوا ان النبي ﷺ لم يشك ولم يسأل وهو المروي ايضا عن ابي عبد الله (ع) ﴿ وثانيها ﴾ ان الخطاب لرسول الله ﷺ وان لم يشك وعلم الله سبحانه انه غير شك ولكن الكلام خرج مخرج التقرير والافهام كما يقول القائل لعبده ان كنت عبدي فأطعني ولا يبه ان كنت والذي فتعطف علي ولولده ان كنت ابني فبرني يريد بذلك المبالغة وربما خرجوا في المبالغة الى ما يستحيل كقولهم بكت السماء لموت فلان اي لو كان تبكي سماء على ميت لبكت عليه وكذلك ههنا يكون المعنى لو كنت ممن يشك فشككت فاسأل الذين يقرون الكتاب من قبلك عن التراء وغيره ﴿ وثالثها ﴾ ان المعنى فلان كنت ايها المخاطب او ايها السامع في شك مما انزلنا اليك على لسان نبينا محمد ﷺ فيكون الخطاب لغيره ﴿ ورابعها ﴾ ما ذكره الزجاج انه يجوز ان يكون ان في معنى ما فيكون المعنى ما كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرون الكتاب اي لسنا نريد بامرك ان تسأل لأنك شك ولكن لتزداد ايمانا كما قال ابراهيم (ع) حين قال له اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فالزيادة في التعريف ليست مما يبطل صحة العقيدة وإنما امر سبحانه بسؤال اهل الكتاب مع جحد اكثرهم لنبوته فيه قولان ﴿ احدهما ﴾ انه امره بأن يسأل مؤمني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار وتيسم الداري واشباههم عن ابن عباس ومجاهد والضحاك ﴿ والآخر ﴾ ان المراد سلهم عن صفة النبي ﷺ المبشر به في كتبهم ثم انظر فيما وافق تلك الصفة وهذا القول اقوى لأن هذه السورة مكية وابن سلام وغيره إنما اسلموا بالمدينة وقال الزهري ان هذه الآية نزلت في السماء فلان صح ذلك فقد كفي المؤونة ورواه اصحابنا ايضا عن ابي عبد الله عليه السلام وقيل ايضا ان المراد بالشك الضيق والشدة بما يعانیه من نعمهم واذا هم اي ان ضقت ذرعا بما تلقى من اذى قومك فاسأل الذين يقرون الكتاب من قبلك كيف صبر الانبياء على اذى قومهم فاصبر كذلك (لقد جاءك الحق من ربك) يعني بالحق القرآن والاسلام (فلا تكونن من المتبرين) اي الشاكين (ولا تكونن من الذين

كذبوا بآيات الله (اي من جملة من يجحد آيات الله ولا يصدق بها (فتكون من الخاسرين) اي فإنك ان فعلت ذلك كنت من الخاسرين ولم يقل من الكافرين لأن الانسان قد علم شدة تحسره وتأسفه على خسران ماله فكيف اذا خسر دينه ونفسه (ان الذين حققت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون) معناه ان الذين اخبر الله عنهم بغير شرط انهم لا يؤمنون فنفي الايمان عنهم ولم ينف عنهم القدرة عليه فان نفي الفعل لا يكون نفيًا للقدرة عليه كما ان الله سبحانه نفى عن نفسه مغفرة المشركين ولم يكن ذلك نفيًا لقدرة على مغفرتهم وقيل معناه ان الذين وجب عليهم سخط ربك عن قتادة وقيل معناه وجب عليهم وعيد ربك (ولو جاءتهم كل آية) اي كل معجزة ودلالة ما يقترونها (حتى يروا العذاب الأليم) انوجع فيصيروا ملجأين الى الايمان وفي هذا اعلام بأن هؤلاء الكفار لا لطف لهم في المعلوم يؤمنون عنده ايمان اختيار

قوله تعالى (٩٨) فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ اية
* الإعراب *

لولا بمعنى هلا وهي تستعمل على وجهين ﴿ احدهما ﴾ التحضيض ﴿ والآخر ﴾ التأنيب كقولك في التحضيض هلا تأتي زيدا حاجتك وفي التأنيب هلا امتعت من الفساد الذي دعت اليه قال الشاعر

تعدون عقر النيب افضل مجدكم بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا

اي هلا تعقرون الكمي وكانت قرية . كان هذه هي التامة لا تحتاج الى خبر وآمنت فنفعها ايمانها صفة لقرية فان الجبل قد تقوم مقام الصفة للنكرة والاقوم يونس استثناء متصل واقم على المعنى لا على ظاهر اللفظ فكانه قال هلا آمن اهل قرية والجميع مشتركون في هذا العتاب وقوم يونس مستثنى من الجميع ومثل هذا الاستثناء في قوله تعالى فلولا كان من القرون من قبلكم اولو بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجبتنا منهم وقال الزجاج الا قوم يونس استثناء منقطع وتقديره لكن قوم يونس لما آمنوا ومثله قول النابغة

وقفت فيها أصيلا لا اسائلها عيت جوا ابوما بالريع من احد

الا اواري لا لا ياما أئينها والنوئي كالحوض بالملطومة الجلد

وحكى الفراء في البيت لا ان ما ائينها وقال جمع الشاعر بين ثلاثة احرف في النفي لا وان وما وقرأ بعضهم يونس ويوسف بكسر النون والسين اراد ان يجعل الاسمين عربيين مشتقين من آسف وآس وهو شاذ

* المعنى *

لما ذكر سبحانه ان ايمان فرعون لم يقبل عند معاينة العذاب وصل ذلك بذكر ايمان قوم يونس قبل نزول العذاب فقال (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها الا قوم يونس) قيل ان معناه فهلا كان اهل قرية آمنوا في وقت ينفعهم إيمانهم . اعلم الله سبحانه ان الايمان لا ينفع عند وقوع العذاب ولا عند حضور الموت الذي لا يشك فيه ولكن قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم العذاب عن الزجاج قال وقوم يونس لم يقع بهم العذاب إنما رأوا الآية التي تدل على العذاب فمثلهم مثل العليل الذي يتوب في مرضه وهو يرجو العافية ويخاف الموت وقيل ان معناه لم يكن فيما خلا ان يؤمن اهل قرية بأجمعهم حتى لا يشذ منهم احد الا قوم يونس فهلا كانت القرى كلها هكذا عن الحسن وقيل معناه فما كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها يريد بذلك لم يكن هذا معروفا لأمة من الأمم كفرت ثم آمنت عند نزول العذاب وكشف عنهم اي لم يفعل هذا بأمة قط الا قوم يونس لما آمنوا عند نزول العذاب كشف عنهم العذاب بعد ما تدلى عليهم وهو قوله (كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا) عن

قتادة وابن عباس في رواية عطاء. وقيل انه اراد بقوله فلولا كانت قرية آمنت قوم ثمود فإنه قد جاءهم العذاب يوماً فيوماً كما جاء قوم يونس الا ان قوم يونس استدر كوا ذلك بالتوبة واولئك لم يستدر كوا فوصف اهل القرية بأنهم سوى قوم يونس ليعرفهم به بعض التعريف اذ كان اخبر عنهم على سبيل الاخبار عن النكرة عن الجبائي وهذا الذي ذكره انما كان يصح لو كان الا قوم يونس مرفوعاً فكان يكون صفة لقرية او بدلاً منه على معنى هلاك كان قوم قرية آمنوا الا قوم يونس ولم يقرأ احد من القراء بالرفع (ومتعناهم الى حين) وهو وقت انقضاء آجالهم

(- القصة -)

وكان من قصة يونس على ما ذكره سعيد بن جبير والسدي وهب وغيرهم ان قوم يونس كانوا بني نوى من ارض الموصل وكان يدعوهم الى الاسلام فأبوا فأخبرهم ان العذاب مصيبهم الى ثلاث ان لم يتوبوا فقالوا انما لم نجرب عليه كذبا فانظروا فلان بات فيكم تلك الليلة فليس بشيء وإن لم يبت فاعلموا ان العذاب مصيبكم فلما كان في جوف الليل خرج يونس من بين اظهروهم فلما اصبحوا يفتشاهم العذاب قال وهب اغامت السماء غيماً اسود هائلاً يدخن دخاناً شديداً فهبط حتى غشي مدينتهم واسودت سطوحهم وقال ابن عباس كان العذاب فرق رؤوسهم قدر ثلثي ميل فلما رأوا ذلك ايقنوا بالهلاك فطلبوا نبيهم فلم يجدوه فخرجوا الى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح واظهروا الايمان والتوبة واخلصوا النية وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والانعام فمن بعضها الى بعض وعلت اصواتها واختلطت اصواتها بصواتهم وتضرعوا الى الله عز وجل وقالوا آمنا بما جاء به يونس فرحمهم ربهم واستجاب دعاءهم وكشف عنهم العذاب بعد ما اظلم قال عبد الله ابن مسعود بلغ من توبة اهل نينوى ان يرادوا المظالم بينهم حتى ان كان الرجل ليأتي الحجر وقد وضع عليه اساس بنيانه فيقتله ويرده وروي عن ابي مخنف انه قال لما غشي قوم يونس العذاب مشوا الى شيخ من بقة علمائهم فقالوا له لقد نزل بنا العذاب فما ترى قال قولوا يا حي يا حي لا اله الا انت فقالوا فانكشف عنهم العذاب وروي عن علي بن ابراهيم بن هاشم عن ابيه عن ابن ابي عمير عن جميل قال قال ابو عبد الله (ع) كان فيهم رجل اسمه مليخا عابداً اخر اسمه روييل عالم وكان العابد يشير على يونس بالدعاء عليهم وكان العالم ينهيه ويقول له لا تدع عليهم فان الله يستجيب لك ولا يجب هلاك عباده فقبل يونس قول العابد فدعا عليهم فأوحى الله تعالى اليه انه يأتيهم العذاب في شهر كذا في يوم كذا فلما قرب الوقت خرج يونس من بينهم مع العابد وبقي العالم فيهم فلما كان اليوم الذي نزل بهم العذاب قال لهم العالم افزعوا الى الله فله يرحمكم ويرد العذاب عنكم فاخرجوا الى المغازة وفرقوا بين النساء والاولاد وبين سائر الحيوان والاولاد هائموا ابكروا وادعوا ففعلوا فصرف عنهم العذاب وكان قد نزل بهم وقرب منهم وور يونس على وجهه مغاضباً كما حكى الله تعالى عنه حتى انتهى الى ساحل البحر فاذا سفينة قد شحنت وادوا ان يدفعوها فسألهم يونس ان يحملوه فحملوه فلما توسطوا البحر بعث الله عليهم حوتاً عظيماً فحبس عليهم السفينة فتساموا فوقع من بينهم السهم على يونس فأخرجوه فألقوه في البحر فالتقمه الحوت ومر به في الماء وقيل ان الملاحين قالوا نقترع فمن اصابته القرعة القيناه في الماء فلان هاهنا مبدا عاصيا ابقا فوقت القرعة سبع مرات على يونس فقام وقال انا العبد الابق والقي نفسه في الماء فالتقمه الحوت فأوحى الله الى ذلك الحوت لاتؤذ شجرة منه فارني جملة بطنتك سجنه ولم اجمله طعامك فلبث في بطنه ثلاثة ايام وقيل سبعة ايام وقيل اربعين يوماً وقد سأل بعض اليهود امير المؤمنين علياً عليه السلام عن سجن طاف اقطار الارض بصاحبه فقال له يا يهودي هو الحوت الذي حبس يونس في بطنه فدخل في بحر قلزم حتى خرج الى بحر مصر ثم سار منها الى بحر طبرستان ثم خرج من الدجلة قال عبد الله بن مسعود ابتلع الحوت حوتاً اخر فأهوى به الى قرار الارض وكان في بطنه اربعين ليلة فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجاب

الله له فامر الحوت فنبتة على ساحل البحر وهو كالفرخ المتعطف فأثبت الله عليه شجرة من يقطين فجعل يستظل تحتها وركل الله به وعلا يشرب من لبنها فيست الشجرة فبكى عليها فأوحى الله تعالى إليه تبكي على شجرة يبست ولا تبكي على مائة الف او يزيدون اردت ان اهلكهم فخرج يونس فإذا هو بغلام يرعى فقال من أنت قال من قوم يونس قال اذا رجعت اليهم فاخبرهم انك لقيت يونس فاخبرهم الغلام ورد الله عليه بدنه ورجع الى قومه وآمنوا به وقيل انه (ع) ارسل الى قوم غير قومه الاولين

قوله تعالى (٩٩) وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (١٠٠) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرُّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ آياتان

﴿ القراءة ﴾

قرأ ونجمل بالنون حماد ويحيى عن ابي بكر والباقرين بالياء.

﴿ الحجة ﴾

من قرأ بالنون فإنه ابتداء بالاختبار عن الله ومن قرأ بالياء فلائنه تقدم ذكر الله تعالى فكنتى عنه

﴿ اللغة ﴾

المشينة والارادة والايتار والاختيار نظائر وانما يختلف عليها الاسم بحسب مواقعها على ما بين في موضعه قال علي بن عيسى النفس خاصة الشيء التي لو بطل ما سواها لم يبطل ذلك الشيء ونفسه وذاته واحد إلا انه قد يؤكد بالنفس ولا يؤكد بالذات والنفس مأخوذة من النفاسة

— (الاعراب) —

كاهم تأكيد لمن وجما نصب على الحال

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ان إيمان الملجأ غير نافع بين سبحانه ان ذلك لو كان يعظم لا كره اهل الارض عليه فقال (ولو شاء ربك) يا محمد (لا من من في الأرض) أي لا من أهل الأرض (كلمهم جميعاً) ومعناه الاخبار عن قدرة الله تعالى وانه يقدر على ان يكروه الخلق على الايمان كما قال ان نشأ أنزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين ولذلك قال بعد ذلك (أفأنت تكروه الناس حتى يكونوا مؤمنين) ومعناه انه لا ينبغي ان تريد اكراههم على الايمان مع انك لا تقدر عليه لأن الله تعالى يقدر عليه ولا يريد ان ينفي عنه وفي هذا ايضاً دلالة على بطلان قول المجبرة انه ^{والتكليف} وتخفيف ما يلحقه من التحسر والحرص على إيمانهم عنه وفي هذا ايضاً دلالة على بطلان قول المجبرة انه تعالى لم يزل كان شائياً وانه لا يوصف بالقدرة على ان يشاء لأنه تعالى اخبر انه لو شاء لقدر لكنه لم يشأ فلذلك لم يوجد ولو كانت مشيئة اذلية لم يصح تطبيقها بالشرط فصح ان مشيئته فعلية ألا ترى انه لا يصح ان يقال لو علم سبحانه ولو قدر كما صح ان يقال لو شاء ولو اراد (وما كان لنفس ان تؤمن إلا باذن الله) معناه انه لا يمكن احد ان يؤمن إلا بإطلاق الله تعالى له في الايمان وتمكينه منه ودعائه اليه بما خلق فيه من العقل الموجب لذلك وقيل ان اذنه هاهنا امره كما قال يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيراً لكم عن الحسن والجبائني وحقيقة الاذن اطلاقه في الفعل بالأمر وقد يكون الاذن بالاطلاق في الفعل يرفع التبعة وقيل ان اذنه هنا علمه اي لا تؤمن نفس إلا بعلم الله من قولهم اذنت لكذا إذا سمعته وعلمته واذنته اعلمته فيكون خيراً

من علمه سبحانه لجميع الكائنات ويجوز ان يكون بمعنى اعلام الله المكلفين بفضل الايمان وما يدعهم الى فعله ويذهبهم عليه (ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون) معناه ويجعل العذاب على الذين لا يتفكرون حتى يعقلوا فكانهم لا يعقل لهم عن قتادة وابن زيد وقيل معناه ويجعل الكفر عليهم أي يحكمهم بالكفر ويذهبهم عليه عن الحسن وقيل الرجس الغضب والسخط عن ابن عباس وقال الكسائي الرجس التنن والرجز والرجس واحد قال ابو علي وكان الرجس على ضربين ﴿ اهدما ﴾ ان يكون في معنى العذاب ﴿ والاخر ﴾ ان يكون بمعنى القدر والتجسس اي يحكمهم بانهم رجس كما قال سبحانه انما المشركون نجس

قوله تعالى (١٠١) قُلْ اَنْظُرُوا مَا ذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْاَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْاَيَاتُ وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٢) فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ اِلَّا مِثْلَ اَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا اِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (١٠٣) ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ
ثلاث آيات

(القراءة)

قرأ الكسائي برواية نصير ويعقوب برواية روح وزيد ثم ننجي رسلنا خفيفة وروي عن روح التشديد أيضا فيه والباقر ننجي بالتشديد وقرأ الكسائي وحفص عن عاصم ويعقوب وسهل ننجي المؤمنين خفيفة والباقر ننجي بالتشديد

﴿ الحجة ﴾

حجة من قال ننجي قوله فانجاه الله من النار وحجة من قال ننجي قوله ونجين الذين آمنوا كلاهما حسن قال الشاعر
ونجى ابن هند سابع ذو غلالة
أجش هزيم والرماح دوان

﴿ اللفظة ﴾

النظر طلب الشيء من جهة الفكر كما يطلب ادراكه بالعين والنذر جمع نذير وهو صاحب النذارة والانتظار هو الثبات لتوقع ما يكون من الحال تقول انتظري حتى الحلقك ولو قلت توقعي لم تكن قد أمرته بالثبات والمثل في الجنس ما سد اهدما سد صاحبه فيما يرجع الى ذاته والمثل في غير الجنس ما كان على معنى يقربه من غيره كقربه من جنسه كتشبيه اعمال الكفار بالسراب والنجاة مأخوذة من النجوة وهي الارتفاع عن الهلاك وكذلك السلامة مأخوذة من اعطاء الشيء من غير نقیصة اسلمته اليه اذا اعطيته سالما من غير آفة

﴿ الإعراب ﴾

وجه التشبيه في كذلك ان نجاة من بقي من المؤمنين كنجاة من مضى في انه حق على الله واجب لهم ومجتمل ان يكون العامل في كذلك ننجي الأول وتقديره ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك الاتجا. ومجتمل ان يكون العامل فيه ننجي الثاني وحقا نصب على المصدر أي يحق حقا وقيل انه نصب على الحال وان كان لفظه لفظ المصدر من اي مسلم قال جامع العلوم النحوي الضير ويجوز ان ينصب حقا بدلا من كذلك او وصفا ولا يجوز ان ينصب كذلك وحقا جميعا بقوله ننجي رسلنا لأن الفعل الواحد لا يعمل في مصدرين ولا في حالين ولا في استثنائين ولا في مفعولي معها وقد بين ذلك في موضعه فإن جعلت كذلك من صلة ننجي وجعلت حقا من صلة قوله ننجي المؤمنين اي ننجي المؤمنين حقا كان الوقف على كذلك

* المعنى *

ثم بين سبحانه ما يزيد في تنبيه القوم وإرشادهم فقال (تسل) يا محمد لمن يسألك الآيات (انظروا ماذا في
الساوات والأرض) من الدلائل والعبر من اختلاف الليل والنهار ومجاري النجوم والأفلاك وما خلق من الجبال
والبحار وأنبت من الأشجار والثمار وأخرج من أنواع الحيوانات فإذن النظر في أفرادها وجلتها يدعو إلى الإيثار
وإلى معرفة الصانع ووجدانيته وعنه وقدرته وحكمته (وما تعني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) معناه
وما تعني هذه الدلالات والبراهين الواضحة مع كثرتها وظهورها ولا الرسل المخوفة عن قوم لا ينتظرون في الأدلة
تفكرا وتدبرا ولا يريدون الإيثار وقيل ما تعني معناه أي شيء تعني عنهم من اجتلاب نعم أو دفع ضرر
إذا لم يستدلوا بها فيكون ما للاستفهام وكان الحسن إذا قرأ هذه الآية هتف بها وقال وما تعني الحجج عن قوم
لا يقبلونها وقال أبو عبد الله عليه السلام لما أسرى برسول الله ﷺ جبريل بالبراق فركبها فأتى بيت المقدس
فلقي من لقي من الأنبياء ثم رجع فأصبح يحدث أصحابه التي أتيت بيت المقدس وأقيمت اغواني من الأنبياء فقالوا
يا رسول الله كيف أتيت بيت المقدس الليلة قال جاءني جبرائيل بالبراق فركبها وآية ذلك التي مررت بعير لاني سفيان على
ما. لبني فلان وقد اضلوا جملاهم أحمر وهم في طلبه فقال القوم بعضهم لبعض انما جاءه راكب سريع ولكنكم
قد أتيتهم الشام وعرفتموها فأسألوهم عن أسواقها وأبوابها وتجارها فأسألوهم عن ذلك وكان ﷺ إذا سئل عن الشيء
لا يعرفه شق ذلك عليه حتى يرى ذلك في وجهه قال فينا هو كذلك إذ أتته جبرائيل عليه السلام فقال يا رسول الله
هذه الشام قد رفعت لك فالتفت رسول الله ﷺ فاذا هو بالشام فقالوا له أين بيت فلان ومكان كذا فأجابهم
في كل ما سألوهم منه فلم يؤمن منهم إلا قليل وهو قول الله تعالى وما تعني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ثم قال
أبو عبد الله (ع) فتعود بالله ان لا تؤمن بالله آمنا بالله ورسوله (فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم)
معناه فهل ينتظر هؤلاء الذين أمروا بالإيمان فلم يؤمنوا وبالنظر في الأدلة فلم ينتظروا إلا العذاب والهلاك في
مثل الأيام التي هلك من قبلهم من الكفار فيها قال قتادة أراد به وقائع الله في عاد وثمود وقوم نوح وعبر عن الهلاك
بالأيام كما يقال أيام فلان يراد به أيام دولته وأيام محنته واللفظ لفظ الاستفهام والمراد به النفي وتقديره ليس
ينتظرون إلا ذلك (قل فانتظروا إلى معكم من المنتظرين) أي قل يا محمد لهم فانتظروا ما وعدنا الله من العذاب
فإني منتظر معكم من جميع المنتظرين لما وعد الله به (ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا) من بينهم وفخلصهم من
العذاب وقت تروله وقيل من شرور أعدائهم ومكرهم (كذلك حقا علينا ننج المؤمنين) قال الحسن معناه كنا
إذا اهلكنا أمة من الأمم الماضية نجينا نبيهم ونجينا الذين آمنوا به أيضا كذلك إذا اهلكنا هؤلاء المشركين
نجيناك يا محمد والذين آمنوا بك وقيل معناه كذلك حقا علينا أي واجبا علينا من طريق الحكمة ننجي
للمؤمنين من عذاب الآخرة كما ننجيهم من عذاب الدنيا وقال أبو عبد الله (ع) لأصحابه ما يمنعكم من ان
تشهدوا على من مات منكم على هذا الأمر انه من أهل الجنة ان الله تعالى يقول كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين

قوله تعالى (١٠٤) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي تَتَوَقَّأكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٥) وَأَنْ أَقِيمَ
وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٦) وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا
يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٧) وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ
وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ أربع آيات

* اللغة *

الشك وقوف في المعنى ونقيضه كمن يشك في كون زيد في الدار فإنه لا يكون لإحدى الصفتين عنده مزية على الأخرى فيقف وهو معنى غير الاعتقاد عند أبي علي الجبائي وأبي هاشم ثم رجع عنه أبو هاشم وقال ليس بمعنى وهو اختيار القاضي والتوفي قبض الشيء على التام والاقامة نصب الشيء ونقيضه الاضجاع وأقام بالمكان استمر فيه كاستمرار القيام في جهة الانتصاب والمهاسة والمطابقة والمجامعة نظائر وضدها المباينة والكشف رفع الساتر المانع من الإدراك فكان الضر ههنا ساتر يمنع من إدراك الإنسان

(س) (الاعراب) -

ان كنتم في شك شرط وجوابه في قوله لا اعبد ولا اعبد وإنما صح ذلك لأن معناه ان كنتم في شك فلا تطعموا في تشكيكم حتى اعبد غير الله كعبادتكم

* المعنى *

ثم امر سبحانه نبيه ﷺ بالبراءة عن كل معبود سواه فقال (قل) يا محمد لهؤلاء الكفار (يا أيها الناس ان كنتم في شك من ديني) أحق هو أم لا (فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله) لشككم في ديني (ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم) أي يقدر على إمامتكم وهذا يتضمن تهديدا لهم لأن وفاة المشركين ميعاد عذابهم ومتى قبل كيف قال ان كنتم في شك من ديني مع اعتقادهم بطلان دينه فجوابه من وجوه أحدها **﴿١﴾** ان يكون التقدير من كان شاكا في أمري فهذا حكمه **﴿الثاني﴾** انهم في حكم الشاك للاضطراب الذي يجدونه في انفسهم عند ورود الآيات **﴿الثالث﴾** ان فيهم من كان شاكاً فغلب ذكرهم (وأمرت ان اكون من المؤمنين) أي وأمرني ربي ان اكون من المصدقين بالتوحيد واخلص العبادة له (وان اقم وجهك) هذا عطف على ما قبله فكأنه قال وقيل لي واقم وجهك (للدين) أي استقم في الدين باقبالك على ما أمرت به من القيام بأمر الرسالة وتحمل أمر الشريعة بوجهك وقيل معناه وأقم وجهك في الصلاة بالتوجه نحو الكعبة (حنيفا) أي مستقيا في الدين (ولا تكونن من المشركين) هذا نهي عن الاشراف مع الله سبحانه غيره في العبادة (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك) ان اطعته (ولا يضرك) ان عصيته وتركته أي لا تدعه إلها كما يدع المشركون الأوثان آفة وإنما قال ما لا ينفعك ولا يضرك مع انه لو نفع وضر لم تحسن عبادته ايضا لأمرين **﴿احدهما﴾** ان معناه مالا ينفعك نفع الإله ولا يضرك ضرره **﴿الثاني﴾** انه إذا كان عبادة غير الله ممن يضرب وينفع قبيحة عبادة من لا يضرب ولا ينفع اقبح (فإذن فعلت فإذك إذا من الظالمين) معناه فإن خالفت ما أمرت به من عبادة غير الله كنت ظلما لنفسك بإدخالك الضر الذي هو العقاب عليها وهذا الخطاب وان كان متوجها إلى النبي ﷺ في الظاهر فالمراد به امته (وان يسلك الله بضر) معناه وان احل الله بك ضرا من بلا او شدة او مرض (فلا كاشف له إلا هو) أي لا يقدر احد على كشفه غيره كأنه سبحانه لما بين ان غيره لا ينفع ولا يضرب عقبه ببيان كونه قادرا على النفع والضر (وان يودك بخير) من صحة جسم ونعمة وخصب ونحوها (فلا راد لفضله) أي لا يقدر على منعه أحد وتقديره وان يردك خيرا ويمجوز فيه التقديم والتأخير يقال فلان يربدك بالخير ويريد بك الخير (يصيب به) أي بالخير (من يشاء من عباده) فيعطيه على ما تقتضيه الحكمة ويعلمه من المصلحة (وهو الغفور) لذنوب عباده (الرحيم) بهم

قوله تعالى (١٠٨) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (١٠٩) وَأَتَّبِعْ مَا بُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ

حَتَّىٰ يَبْعَثَ اللَّهُ حَيْرًا خَيْرُ الْحَاكِمِينَ آيَاتُ

(- المعنى) -

ثم ختم الله سبحانه السورة بالموعظة الحسنة تسليمة للنبي ﷺ والوعد للمؤمنين والوعيد للكافرين فقال عز اسمه (قل) يا محمد مخاطباً للمكلفين (يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم) وهو القرآن ودين الاسلام والادلة الدالة على صحته وقيل يريد بالحق النبي ﷺ ومعجزاته الظاهرة (فمن اهتدى) بذلك بأن نظر فيه وعرفه حقاً وصواباً (فلنؤتيه ثواباً) معناه فإن منافع ذلك من الثواب وغيره يعود عليه (ومن ضل) عنه وعدل عن تأمله والاستدلال به (فلنؤذيها) أي على نفسه لأنه يجني عليها (وما انا عليكم بوكيل) أي وما انا بحفيظ لكم من الهلاك إذا لم تنظروا انتم لأنفسكم ولم تملوا بما يخلصها كما يحفظ الوكيل مال غيره والمعنى انه ليس علي إلا البلاغ ولا يلزمني ان أجعلكم مهتدين وان انجيكم من النار كما يجب على من وكل على متاع ان يحفظه من الضرر (واتبع ما يوحى اليك واصبر) على اذى الكافرين وتكذيبهم (حتى يعحكم الله) بينك وبينهم باظهار دينه واعلاء أمره (وهو خير الحاكمين) لأنه لا يعحكم إلا بالعدل والاصواب

سورة هود

هي مكية كلها في قول الاكثريين وقال قتادة إلا آية وهو قوله واقم الصلاة طرفي النهار فاذا نزلت بالمدينة

﴿ عدد آياتها ﴾

هي مائة وثلاث وعشرون آية كوفي وآيتان شامي والمدني الاول وآية في الباقيين

﴿ اختلافها ﴾

سبع آيات بري ما تشركون كوفي في قوم لوط غير البصري من سجيل مكبي شامي والمدني الأخير كنتم مؤمنين حجازي منضود وانا عاملون عراقي شامي والمدني الأول مختلفين عراقي شامي

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأها اعطيت من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء وروى الثعلبي باسناده عن ابي اسحق عن ابي حنيفة قال قيل يا رسول الله قد اسرع اليك الشيب قال شيبتي هود واخواتها وفي رواية اخرى عن انس بن مالك عن ابي بكر قال قلت يا رسول الله عجل اليك الشيب قال شيبتي هود واخواتها الحاقة والواقعة وعم يتساءلون وهل اتاك حديث العاشية وروى العياشي عن الحسن بن علي الوشا عن ابن سنان عن ابي جعفر عليه السلام قال من قرأ سورة هود في كل جمعة بعثه الله يوم القيامة في زمرة النبيين وحوسب حساباً يسيراً ولم تعرف له خطيئة عملها يوم القيامة

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سبحانه سورة يونس بذكر الوحي في قوله واتبع ما يوحى اليك اقتتح هذه السورة ببيان ذلك الوحي فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) أَلَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ أَحْكَمْتَ آيَاتِهِ ثُمَّ فَضَّلْتُمْ مِنْ لَدُنْكُمْ حَكِيمًا خَيْرًا (٢) أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (٣) وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُغْفِرْ لَكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (٤) إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
أربع آيات

﴿ اللغة ﴾

الاحكام منع الفعل من الفساد والحكمة المعرفة بما يحم الفعل من الفساد والنقص وبما يميز القبيح من الحسن والفاقد من الصحيح والحكيم في صفات الله سبحانه يحتمل وجهين ﴿ احدها ﴾ ان يكون بمعنى محكم فهو فعل بمعنى مفعول اي محكم أفعاله فيكون على هذا من صفات فعله فلا يوصف به فيما لم يزل ﴿ والثاني ﴾ ان يكون بمعنى عليم فيكون من صفات ذاته فيوصف بأنه حكيم لم يزل

﴿ الإعراب ﴾

قال الزجاج كتاب مرفوع باضمار هذا كتاب وقال بعضهم كتاب خبر آل وهذا غلط لأن كتاب احكمت آياته ليس هو الر وحدها وان لا تعبدوا في موضع نصب تقديره فصلت آياته لأن لا تعبدوا ويحتمل ان يكون على تقدير أمرم بأن لا تعبدوا فلما حذف الباء وصل الفعل فنصبه وان استغفروا معطوف عليه ومعنى إلا في قوله إلا الله ايجاب للمذكور بعدها ما نفي عن كل ما سواه من العبادة وهي التي تفرغ عامل الاعراب لما بعدها يستعملكم جزم جواب لقوله وان استغفروا ربكم وان تولوا يريدتولوا فحذف احدى التامين تخفيفا وابن كثير يدغم التاء الاولى في الثانية ويشدد

- المعنى -

قد بينا تفسير (آل) والاقاويل التي فيها في اول البقرة فلا معنى لاعادته (كتاب) يعني القرآن اي هو كتاب (احكمت آياته ثم فصلت) ذكر فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ ان معناه احكمت آياته فلم ينسخ منها شيء كما نسخت الكتب والشرائع ثم فصلت ببيان الحلال والحرام وسائر الاحكام عن ابن عباس ﴿ وثانيها ﴾ ان معناه احكمت آياته بالأمر والنهي ثم فصلت بالوعد والوعيد والثواب والعقاب عن الحسن واني العالمة ﴿ وثالثها ﴾ احكمت آياته جملة ثم فرقت في الانزال آية بعد آية ليكون المكلف امكن من النظر والتدبر عن مجاهد ﴿ ورابعها ﴾ احكمت في نظنها بأن جعلت على ابلغ وجوه الفصاحة حتى صار معجزا ثم فصلت بالشرع والبيان المفروض فكانه قيل محكم النظم مفصل الآيات عن ابي مسلم ﴿ وخامسها ﴾ اتقنت آياته فليس فيها خلل ولا باطل لأن الفعل المحكم ما قد اتقنه فاعله حتى لا يكون فيه خلل ثم فصلت بأن جعلت متتابعة بعضها اثر بعض (من لدن حكيم) اي ان هذا الكتاب أتاكم من عند حكيم في احواله وتدابيره (خبير) اي عليم باحوال خلقه ومصالحهم وفي هذه الآية دلالة على ان كلام الله سبحانه محدث لأنه وصفه بأنه احكمت آياته ثم فصلت والاحكام من صفات الافعال وكذلك التفصيل ثم قال من لدن حكيم وهذه الاضافة لاتصح الا في المحدث لأن القديم يستحيل أن يكون صادرا من غيره وقوله الا تعبدوا الا الله معناه انزل هذا الكتاب ليأمركم (أن لا تعبدوا الا الله) ولكي لا تعبدوا الا الله كما يقال كتبت اليك ان لا تخرج من الدار وان لا تخرج بالنصب والجزم (انني لكم منه نذير وبشير) هذا اخبار من النبي ﷺ انه مخوف من مخالفة

الله وعصيانه بأليم العقاب مبشر على طاعة الله بجزيل الثواب (وان استغفروا ربكم ثم توبوا إليه) ومعناه اطلبوا المغفرة واجعلوها غرضكم ثم توصلوا إليها بالتوبة وقيل معناه استغفروا ربكم من ذنوبكم ثم توبوا إليه في المستأنف متى وقعت منكم المعصية عن الجبائي وقيل ان ثم ههنا بمعنى الواو من الفراء. وهذا لأن الاستغفار والتوبة واحد فتكون التوبة تأكيداً للاستغفار (يستعكم متاعنا الى اجل مسمى يعني انكم متى استغفروا وتبتم إليه يتمكم في الدنيا بالنعم السابقة في الخفض والدعة والأمن والسعة الى الوقت الذي قدر لكم اجل الموت فيه وقال الزجاج يريد بيقمكم ولا يستأصلكم بالعذاب كما استأصل اهل القرى الذين كفروا (ويوت كل ذي فضل فضله) قيل ان الفضل بمعنى التفضيل والافضال اي ويعط كل ذي افضال على غيره بال او كلام او عمل بيد او رجل جزاء افضاله فيكون الماء في فضله عائدا الى ذي الفضل وقيل ان معناه يعطي كل ذي عمل صالح فضله اي ثوابه على قدر عمله فإن من كثرت طاعاته في الدنيا زادت درجاته في الجنة وعلى هذا فالاولى أن تكون الماء في فضله عائدا الى اسم الله تعالى (وان تولوا) اي عرضوا عما امروا به وقيل معناه وان تولوا انتم اي تعرضوا فحذف احدى التائين ولذلك شدد ابن كثير في رواية البرقي عنه (فإني اخاف عليكم عذاب يوم كبير) اي كبير شأنه وهو يوم القيامة وهذا الحرف ليس في معنى الشك بل هو في معنى اليقين اي قتل لهم يا محمداني اعلم ان لكم عذابا عظيما وانما وصف اليوم بالكبير لعظم ما فيه من الاهوال (الى الله مرجعكم) اي في ذلك اليوم الى حكم الله مصيركم لأن حكم غيره يزول فيه وقيل معناه اليه مصيركم بأن يعيدكم للجزاء (وهو على كل شيء قدير) يقدر على الإعادة والبعث والجزاء فاحذروا مخالفته

قوله تعالى (٥) أَلَا إِنَّهُمْ يَشْتُونَ صُدُورَهُمْ لَيَسْتَخْفُوا مِنْهُ الْآحِينَ يَسْتَشُونَ نِيَابَهُمْ يَعْلَمُ

مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ آيَةٌ

﴿ القراءة ﴾

روي عن ابن عباس بخلاف ومجاهد ويحيى بن يعمر وعن علي بن الحسين وابي جعفر محمد بن علي وزيد ابن علي وجعفر بن محمد عليهم السلام يشنون صدورهم على مثال يفعلون وعن ابن عباس ايضا يشنون وعن مجاهد يشنون وروي ذلك ايضا عن عروة الأشعري

﴿ الحجة ﴾

اما يشنونني على مثال يفعلون فهو من امثلة المبالغة تقول امشب البلد فإذا كثر ذلك قلت امشوش وكذا ذلك اهلولى وامشوش وامشوشن وأما يشنون ويشنون فقد قال ابن جنبي انها من لفظ الشن وهو ما هس وضعف من الكلا. وانشد ابو زيد

تكفي اللقوح اكلة من شن ويشنون

بالمهزة اصله يشنان فحركات الألف لسكونها وسكون النون الأولى فانقلبت همزة واما يشنون فاصله يشنون فلزم الادغام لتكرير العين اذا كان غير ملحق فاسكنت النون الأولى ونقلت كسرتها الى الواو وادغمت النون في النون فصارت يشنون

﴿ اللفظة ﴾

اصل الشني العطف تقول ثنيته عن كذا اي عطفته ومنه الاثنان لعطف احدهما على الآخر في المعنى ومنه الثناء. لعطف المناقب في المدح ومنه الاستثناء. لأنه عطف عليه بالاخراج منه والاستخفاء طلب خفاء الشيء يقال استخفى وتخفى بمعنى وكذلك استغشى وتغشى قالت الحنساء.

ارعى النجوم وما كلفت رعيتهما وتارة انغشى فضل اطماري

﴿ الاعراب ﴾

الامعناها التنبيه ولاحظ لها في الإعراب وما بعدها مبتدأ

-(النزول)-

قيل نزلت في الاخنس بن شريق وكان حلو الكلام يلقي رسول الله ﷺ بها يحب وينطوي بقلبه على ما يكره عن ابن عباس وروى العياشي باسناده عن ابي جعفر (ع) قال اخبرني جابر بن عبد الله ان المشركين اذا مروا برسول الله ﷺ طأطأ احداهم رأسه وظهره هكذا وغطى رأسه بشوبه حتى لا يراه رسول الله ﷺ فانزل الله هذه الآية

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر القرآن بين سبحانه فعلهم عند سماعه فقال (الانهم) يعنى الكفار والمنافقين (يشنون صدورهم) اي يطرونها على ما هم عليه من الكفر عن الحسن وقيل معناه يحنون صدورهم لكيلا يسمعوا كلام الله سبحانه وذكره عن قتادة وقيل يشنونها على عداوة النبي ﷺ عن الفراء والزجاج وقيل انهم اذا عقدوا مجلسا على معاداة النبي ﷺ والسعي في امره بالفساد انضم بعضهم الى بعض وثنى بعضهم صدره الى صدر بعض يتناجون (ليستخفوا منه) اي ليخفوا ذلك من الله تعالى على القول الاخير فلأنهم كانوا قد بلغ من شدة جهلهم بالله أن ظنوا انهم اذا تنوا صدورهم على سبيل الاخفاء لم يعلم الله تعالى اسرارهم وعلى الاقوال الأخر معناه ليستروا ذلك عن النبي ﷺ (ألا حين يستغشون ثيابهم) معناه انهم يتغطون بثيابهم ثم يتفاوضون فيما كانوا يدبرونه على النبي ﷺ وعلى المؤمنين فيكتمونه عن ابن عباس فينب الله سبحانه انه (يعلم ما يسرون وما يعلنون) وقت ما يتغطون بثيابهم ويجعلونها غشا فوقهم لا بمعنى انه يتجدد له العلم في حال استغشائهم بالثوب بل هو عالم بذلك في الأزل (انه عليهم بذات الصدور) يريد بها في النفوس عن ابن عباس ومجقيقة ما في القلوب من المضمرات وقيل انه كنى باستغشا ثيابهم عن الليل لأنهم يتغطون بظلمته كما يتغطون بثيابهم

قوله تعالى (٦) وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلُّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٧) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين (٨) وَلَئِنْ أَخْرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ ليقولن ما بحسبه إلا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحق بهم ما كانوا يستهزئون (ثلاث آيات)

﴿ اللمة ﴾

الدابة الحي الذي من شأنه ان يبدب وقد صار في العرف مختصا بنوع من الحيوان وقد ورد القرآن بها على الأصل في قوله وما من دابة والله خلق كل دابة

﴿ الاعراب ﴾

اللام في قوله لئن لام القسم ولا يجوز ان يكون لام الابتداء لأنها دخلت على ان التي للجزء وللام الابتداء إنسا هي للاسم او ما ضارع الاسم في باب ان وجواب الجزاء مستغنى عنه بجواب القسم لأنه إذا جاء في صدر

الكلام غلب عليه كما انه إذا تأخر وتوسط النبي ويوم يأتيهم نصب على الظرف من مصروف اي ليس يصرف العذاب عنهم يوم يأتيهم العذاب

- المعنى -

(وما من دابة في الأرض) اي ليس من دابة تدب على وجه الأرض ويدخل فيه جميع ما خلقه الله تعالى على وجه الأرض من الجن والانس والطير والأنعام والوحوش والهوام (إلا على الله رزقها) اي إلا والله سبحانه يشكفل برزقها ويوصله اليها على ما تقتضيه المصلحة وتوجيه الحكمة (ويعلم مستقرها ومستودعها) اي يعلم موضع قرارها والموضع الذي اودعها فيه وهو اصلاص الآباء وارحام الامهات من مجاهد وقيل مستقرها حيث تأتي اليه من الأرض ومستودعها حيث تموت وتبعث منه عن ابن عباس والرييم وقيل مستقرها ما يستقر عليه عملها ومستودعها ما يصير اليه (كل في كتاب مبين) هنا اخبار منه سبحانه ان جميع ذلك مكتوب في كتاب ظاهر وهو اللوح المحفوظ وإنما أثبت سبحانه ذلك مع انه عالم لذاته لا يغرب عن علمه شيء من مخلوقاته لما فيه مسن اللطف للملائكة أول من يخبر بذلك (وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام) هذا اخبار منه سبحانه عن نفسه بأنه انشأها في هذا المقدار من الزمان مع قدرته على ان يخلقها في مقدار لمح البصر والوجه في ذلك انه سبحانه اراد ان يبين بذلك ان الامور جارية في التدبير على منهاج الحكمة منشأة على ترتيب لما في ذلك من المصلحة والمراد بقوله ستة ايام ما مقداره مقدار ستة ايام لأنه لم يكن هناك ايام بعد فلان اليوم عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها (وكان عرشه على الماء) في هذا دلالة على ان العرش والماء كانا موجودين قبل خلق السموات والأرض وكان الماء قائما بقدره الله تعالى على غير موضع قرار بل كان الله يسكنه بكمال قدرته وفي ذلك اعظم الاعتبار لأهل الإنكار وقيل ان المراد بقوله عرشه بناؤه يدل عليه قوله وما يعرشون أي يبنون والمعنى وكان بناؤه على الماء فلان البناء على الماء ابداع واعجب عن ابي مسلم (ليلوكم ايكم احسن عملا) معناه انه خلق الخلق ودبر الامور ليظهر احسان المصن فلانه الغرض في ذلك اي ليعاملكم معاملة المتلي المختبر لئلا يتوهم انه سبحانه يجازي العباد على حسب ما في معلومه انه يكون منهم قبل ان يفعلوه وفي قوله احسن عملا دلالة على انه قديكون فعل حسن احسن من حسن آخر لأن حقيقة لفظه افضل يقتضي ذلك (ولئن قلت) يا محمد لهم (انكم مبعوثون من بعد الموت) للحساب والجزاء (ليقولن الذين كفروا ان هذا إلا سحر مبين) أي ليس هذا القول إلا توبيه ظاهر لا حقيقة له ومن قرأ سحر فالمراد ليس هذا يعنون النبي ﷺ الا ساحر قال الجبائي وفي الآية دلالة على انه كان قبل خلق السموات والأرض الملائكة لأن خلق العرش على الماء لاوجه لحسنه الا ان يكون فيه لطف لمكلف يمكنه الاستدلال به فلا بد اذا من حي مكلف وقال علي بن عيسى لا يستنع ان يكون في الاخبار بذلك مصلحة للمكلفين فلا يجب ما قاله الجبائي وهو الذي اختاره المرتضى قدس الله روحه (ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة) معناه ولئن اخرنا عن هؤلاء الكفار عذاب الاستئصال الى اجل مسمى ووقت معلوم والامة الحين كما قال سبحانه وادكر بعد امة وهو قول ابن عباس ومجاهد وقيل الى امة اي الى جماعة يتعاقبون فيصرون على الكفر ولا يكون فيهم من يؤمن كما فعلنا بقوم نوح عن علي بن عيسى وقيل معناه الى امة بعد هؤلاء فكلفهم فيصرون فتتضي الحكمة اهلا كهم واقامة القيامة عن الجبائي وقيل ان الامة المعدودة هم اصحاب المهدي (ع) في آخر الزمان ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا كعدة اهل بدر يجتمعون في ساعة واحدة كما يجتمع قزح الغريف وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام ليقولن على وجه الاستهزاء (ما يجسه) اي أي شيء يؤخر هذا العذاب عنا ان كان حقا (الا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم) اي ان هذا العذاب الذي يستبطنونه اذا نزل بهم في الرقت المقدور لا يقدر احد على صرفه عنهم إذا اراد الله ان يأتيهم به ولا يتمكن من

إذهابه عنهم اذا اراد الله أن يأتيهم به (وحق بهم ما كانوا به يستهزئون) اي ونزل بهم الذي كانوا يسخرون به من نزول العذاب ويحققونه

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال الآية الأولى بما قبلها انه لما قال سبحانه يعلم ما يسرون وما يعلنون قال عقيه وكيف يخفى على الله سر هؤلاء وهو يرزقهم واذا وصل الى كل واحد رزقه ولم ينسه فليعلم انه يعلم سره وقوله ويعلم مستقرها ومستودعها يدل على ما ذكرنا ثم زاده بيانا بقوله وهو الذي خلق السموات الآية فإذن اصل الخلق التقدير الذي لا يختل بالتقصان والزيادة وذلك لا يتم الا من العالم لذاته

قوله تعالى (٩) وَلَئِن أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيُؤْسُ كَفُورٌ (١٠) وَلَئِن أَذَقْنَاهُ نِعْمًا بَعْدَ ضِرَاءٍ مَسْتَه لَيَقُولُنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (١١) إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ثلاث آيات

﴿ اللغة ﴾

الذوق تناول الشيء بالفهم لا إدراك الطعم وسمى الله سبحانه احلال الذات بالانسان اذافة اسرعة زوالها تشبيها بما يذاق ثم يزول كما قيل « احلام نوم او كفظل زائل » والنزع قلع الشيء عن مكانه واليؤس فعول من يؤس واليأس القطع بأن الشيء المتوقع لا يكون وتقبضه الرجاء. والنعماء انعام يظهر اثره على صاحبه والضراء مضرة تظهر الخلال بها لأنها اخرجتنا مخرج الاحوال الظاهرة مثل حمراء وعيناء مع ما فيها من المبالغة والفرح والسرور من النظائر وهو انفتاح القلب بما يلتذ به وضده الغم والصحيح ان الغم والسرور من جنس الاعتقادات وليسا بجنسين من الاعراض ومن الناس من قال انها جنسان والفقير الذي يكثر فخره وهو التطاول بتعدد المناقب وهي صفة ذم اذا اطلقت لما فيها من التكبر على من لا يجوز ان يتكبر عليه

— « الاعراب » —

اللام في لئن لتوطية القسم وليست للقسم والتقدير والله لئن اذقنا الانسان منا رحمة انه ليؤس فإذنه جواب القسم الذي هيأته اللام الا انه مفعول عن جواب الشرط وواقع موقمه ومثله قول الشاعر

لئن عادلي عبد العزيز يمثليها
وامكنني فيها اذا لا اقبلها

اي والله لا اقبلها وار كانت جواب ان لكان لا اقلها. الذين صبروا في موضع نصب على الاستثناء من الانسان لأنه اسم الجنس فهو كفوله ان الانسان لفي غمر الا الذين آمنوا وقال الزجاج والأخفش انه استثناء ليس من الأول والمعنى لكن الذين صبروا والاول قول الفراء.

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه حال الانسان فيما قابل به نعمه من الكفر فقال (ولئن اذقنا الانسان منا رحمة) اي احللتنا به نعمه من الصحة والكفاية والسعة من المال والولد وغير ذلك من نعم الدنيا (ثم نزعناها منه) اي سلبتنا تلك النعمة عنه اذا رأينا المصلحة فيه (انه ليؤس) اي قنوط وهو الذي سنته وعادته اليأس (كفور) وهو الذي عادته كفران النعمة ومعنى الآية مصروفها الى الكفار الذين هدمتهم لجهلهم بالصانع الحكيم الذي لا يعطي ولا يمنع الا لما تقتضيه الحكمة من وجوه المصالح (ولئن اذقناه) اي احللتنا به واعطيناه (نعماء بعد ضراء مسته) اي بعد بلاء اصابته (ليقولن) عند نزول النعماء به (ذهب السيئات عني) اي ذهبت الخصال التي تسوء صاحبها من جهة نفور طبعه عنه وهو هنا بمعنى الشدائد والآلام والامراض عني فلا تعود الي ولا يردى شكر الله عليها

(انه لفرح فخور) يفرح به ويفخر به على الناس فلا يصبر في المحنة ولا يشكر عند النعمة (الا الذين صبروا)
معناه الا الذين قابلوا الشدة بالصبر والنعمة بالشكر (وعملوا الصالحات) أي وانظروا على الاعمال الصالحة (او لعلك
لهم مغفرة ولجر كبير) وهو الجنة

قوله تعالى (١٢) فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا
أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٣) أَمْ يَقُولُونَ
أَفْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَأَدْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
(١٤) فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ
ثلاث آيات

❖ اللغة ❖

ضائق وضيق بمعنى واحد إلا ان ضائق ههنا أحسن لوجهين ❖ أحدهما ❖ انه عارض ❖ والآخر ❖ انه
اشكل بقوله تارك والكنز المال المدفون سمي بذلك لاجتماعه وكل مجتمع من لحم وغيره مكنته وصار في الشرع
اسم ذم لكل مال لا يخرج منه حق الله تعالى من الزكاة وغيره وان لم يكن مدفوناً واقتري واختلق واخترق
وخلق وخرص وخرق إذا كذب والاستجابة في الآية طلب الإجابة بالقصد إلى فعلها ويقال استجاب واجاب
بمعنى واحد والفرق بين الإجابة والطاعة ان الطاعة موافقة الإرادة الجاذبة إلى الفعل برغبة او رهبة والإجابة موافقة
الداعي إلى الفعل من اجل انه دعا به

— (الاعراب) —

ان يقولوا سيفه موضع نصب بأنه مفعول له وتقديره كراهة ان يقولوا فحذف المضاف وقيل ان يقولوا سيفه
موضع جر بدلا من الماء في قوله ضائق به صدرك ام يقولون اقتراه ام هذه منقطعة ليست بالمعادلة وتقديره بل
يقولون اقتراه وهو تقرير بصورة الاستفهام

❖ النزول ❖

روي عن ابن عباس ان رؤساء مكة من قريش اتوا رسول الله ﷺ فقالوا يا محمد ان كنت رسولا
فحول لنا جبال مكة ذهباً أو اثنتا بلاثمة بشهدون لك بالنبوة فأنزل الله تعالى فلعلك تارك الآية وروى العياشي
باسناده عن ابي عبد الله (ع) ان رسول الله ﷺ قال لعلي عليه السلام اني سألت ربي ان يواخي بيني وبينك
فعل و سألت ربي ان يجعلك وصيي ففعل فقال بعض القوم والله لصاع من تمر في شن بال احب الينا مما سألت
محمد ربه فهلا سأله ملكاً يعضده على عدوه او كنزاً يستعين به على فاقته فنزلت الآية

— (المعنى) —

ثم امر سبحانه رسوله بالثبات على الأمر وحته على حجاج القوم بما يقطع العذر فقال (فلعلك تارك بعض
ما يوحى إليك) أي ولعلك تارك بعض القرآن وهو ما فيه سب آلهتهم ولا تبلغهم إياه دفماً لشرهم وخوقاً منهم
(وضائق به صدرك) أي ولعلك يضيق صدرك بما يقولونه وبما يلحقك من اذاهم وتكذيبهم وقيل باقتراحاتهم
(ان يقولوا) أي كراهة ان يقولوا أو مخافة ان يقولوا (لولا انزل عليه كنز) من المال (أو جاء معه ملك)
يشهد له فليس قوله فلعلك على وجه الشك بل المراد به النهي عن ترك اداء الرسالة والحث على ادائها كما يقول
احدنا لغيره وقد علم من حاله انه بطبعه ولا يعصيه ويدعوه غيره إلى عصيانه لعلك تترك بعض ما أمرك به لقول

فلان وإنما يقول ذلك ليؤنس من بدعوه إلى ترك أمره فمعناه لا تترك بعض ما يوحى إليك ولا يضق صدرك بسبب مقالتهن هذه (إنما أنت نذير) أي منذر (والله على كل شيء وكيل) أي حفيظ يجلب النفع اليه ويدفع الضرر عنه (أم يقولون اقتراء) معناه بل يقولون اختلق القرآن واخترعه وأتى به من عند نفسه وقيل إن ههنا محذوفاً وتقديره أبكذبونك فيما أتيتهم به من القرآن أم يقولون اقتربته على ربك وحذف لدلالة ما بقي على ما بقي وعلى هذا فيكون أم هذه هي متصلة (قل) يا محمد لم (فأتوا بعشر سور مثله مقتربات) أي إن كان هذا مقترى على الله كما زعمتم فاتوا أنتم بعشر سور مثله في النظم والفصاحة مقتربات على زعمكم فإن القرآن نزل بلسانكم وقد نشأت أنا بين أظهركم فإن لم يمكنكم ذلك فاعلموا أنه من عند الله تعالى وهذا صريح في التحدي وفيه دلالة على جهة إعجاز القرآن وإنها هي البلاغة والفصاحة في هذا النظم المخصوص لأنه لو كان جهة الإعجاز غير ذلك لما وقع في المعارضة بالاقتراء والاختلاق لأن البلاغة ثلاث طبقات فأعلى طبقاتها معجز وأدناها أو سطها يمكن فالتحدي في الآية إنما وقع في الطبقة العليا منها ولو كان وجه الإعجاز الصرفة (?) لكان الركيك من الكلام أبلغ في باب الإعجاز والمثل المذكور في الآية لا يجوز أن يكون المراد به مثله في الجنس لأن مثله في الجنس يكون حكايته فلا يقع بها التحدي وإنما يرجع ذلك إلى ما هو متعارف بين العرب في تحدي بعضهم بعضاً كما اشتهر من مناقضات امرئ القيس وعلقمة وعمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وجرير والفرزدق وغيرهم وقوله (وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) معناه ادعوهم ليعينوكم على معاوضة القرآن إن كنتم صادقين في قولكم إنني اقتربته ويريد بقوله من استطعتم من خالف نبينا محمداً ﷺ من جميع الأمم وهذا غايبة ما يمكن في التحدي والمحااجة وفيه الدلالة الواضحة على إعجاز القرآن لأنه إذا ثبت أن النبي ﷺ تحداهم به وادعاهم بالقتل والأمر بعد أن عاب دينهم وأهنتهم وثبت أنهم كانوا أحرص الناس على إبطال أمره حتى بذلوا مهجهم وأموالهم في ذلك فإذا قيل لهم اقتروا انتم مثل هذا القرآن وادحضوا حجته وذلك أيسر وأهون عليكم من كل ما تكتفتموه فعدلوا عن ذلك وصاروا إلى الحرب والقتل وتكلف الأمور الشاقة فذلك من ادل الدلائل على عجزهم إذ لو قدروا على معارضته مع سهولة ذلك عليهم لقلوه لأن العاقل لا يعدل عن الأمر السهل إلى الصعب الشاق مع حصول الغرض بكل واحد منها فكيف ولو بلغوا غايبة أمانتهم في الأمر الشاق وهو قتله ﷺ لكان لا يحصل غرضهم من إبطال أمره فإن المحقق قد يقتل فإن قيل لم ذكر التحدي مرة بعشر سور ومرة بسورة ومرة بمحدث مثله فالجواب أن التحدي إنما يقع بما يظهر فيه الإعجاز من منظوم الكلام فيجوز أن يتحدى مرة بالأقل ومرة بالأكثر (فإن لم يستجيبوا لكم) قيل أنه خطاب للمسلمين والمراد فإن لم يجيبكم هؤلاء الكفار إلى الايمان بعشر سور مثله معارضة لهذا القرآن (فاعلموا) أيها المسلمون (إنما أنزل) القرآن (بعلم الله) عن مجاهد واختاره الجبائي وقيل هو خطاب للكفار وتقديره فإن لم يستجب لكم من تدعونهم إلى المعاونة ولم يتبها لكم المعارضة فقد قامت عليكم الحجة وقيل إن الخطاب للرسول ﷺ أي فإن لم يجيبوك وذكره بلفظ الجمع تفخيماً والغرض التنبه على إعجاز القرآن وأنه المنزل من عند الله سبحانه على نبيه ﷺ وذكره في قوله بعلم الله وجوه * أحدها * أن معناه إن الله عالم به ويأتمه حتى منزل من عنده * وثانيها * أن معناه بعلم الله مواقع تأليفه في علو طبقتيه وأنه لا يقدر أحد على معارضته * وثالثها * أنه أنزله الله على علم بترتيبه ونظمه ولا يعلم غيره ذلك (وان لا إله إلا هو) أي واعلموا أنه لا إله إلا هو لأن مثل هذا المعجز لا يقدر عليه إلا الله الواحد الذي لا إله إلا هو (فهل أنتم مسلمون) أي هل أنتم بعد قيام الحجة عليكم بما ذكرناه من كلام الله مستسلمون منقادون له معتقدون لتوحيدِهِ وهذا استفهام في معنى الأمر مثل قوله فهل أنتم متبهون

قوله تعالى (١٥) من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها

لَا يُبْخَسُونَ (١٦) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ آيَات

﴿ القراءة ﴾

روي في الشواذ قراءة النبي وابن مسعود وباطلا ما كانوا يعملون

(- الحجة -)

الوجه فيه ان يكون باطلا منصوبا يعملون وما مزبدة للتوكيد فكأنه قال وباطلا كانوا يعملون ومثله قوله
أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون

(- اللفظة -)

الزينة تحسين الشيء بغيره من لبسة أو حلية أو هيئة يقال زانه يزينه زينة وزينه تزينه وتزيننا والتوفية تأدية
الحق على تمام والبخس تقصان الحق وكل ظالم باخس لأنه يظلم غيره بتقصان حقه وفي المثل «تخسبها حقا وهي باخس»

﴿ الإعراب ﴾

قال الفراء كان هذه هنا زائدة وتقديره من يرد الحياة الدنيا وقال غيره معناه ان يصح انه كان كقوله سبحانه
ان كان قميصه قد من دبر ولا يجوز مثل ذلك في غير كان لأنها ام الأفعال قال ابو علي الشرط والجزاء لا يقعان
إلا فيما يستقبل فحرف الجزاء يحيل معنى الماضي إلى الاستقبال لا بحالة ولو جاز وقوع الماضي بعدها على معناها
لما جازمت ألا ترى ان لو لم تجزم وان كان فيها معنى الشرط والجزاء لوقوع الماضي بعدها على بابه نحو لو جنتني
أمس لا كرمثك

﴿ المعنى ﴾

(من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها) أي زهرتها وحسن بهجتها ولا يريد الآخرة (نوف اليهم أعمالهم
فيها) أي نوفر عليهم جزاء أعمالهم في الدنيا تاماً (وهم فيها لا يبخسون) أي لا يتقصون شيئاً منه واختلف في
معناه فقيل ان المراد به المشركون الذين لا يصدقون بالبعث يعملون أعمال البر كصلة الرحم واعطاء السائل
والكف عن الظلم واغاثة المظلوم والأعمال التي يحسنها العقل كبناء القناطر ونحوه فإن الله يعجل لهم جزاء
أعمالهم في الدنيا بتوسيع الرزق وصحة البدن والامتناع بما خولهم وصرف المكافرة عنهم عن الضحك وقنادلة وابن
عباس ويقال ان من مات منهم على كفره قبل استيفاء العوض وضع الله عنه في الآخرة من العذاب بقدره فأما ثواب
الآخرة فلا حظ لهم فيه وقيل المراد به المنافقون الذين كانوا يزورون مع النبي ﷺ للفتنة دون نصرة الدين
وثواب الآخرة جازاهم الله تعالى على ذلك بأن جعل لهم نصيباً في الفتنة عن الجبائي وقيل ان المراد به أهل الريا
فإن من عمل عملاً من أعمال الخير يريد به الرياء لم يكن لعمله ثواب في الآخرة ومثله قوله تعالى ومن كان يريد
حرف الدنيا نواته منها وما له في الآخرة من نصيب وفي الحديث ان النبي ﷺ قال بشروا بالسناء والتمسكين
في الأرض ومن عمل منهم عملاً للدنيا لم يكن له نصيب في الآخرة (أو تلك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار)
ظاهر المراد (وحبط ما صنعوا فيها) فلا يستحقون عليه ثواباً لأنهم أوقعوه على خلاف الوجه المأمور بإيقاعه عليه
(وباطل ما كانوا يعملون) أي بطل أعمالهم التي عملوها لغير الله تعالى وهذا يحقق ما ذهبنا إليه من ان الإحباط
عبارة عن ابطال نفس العمل بأن يقع على غير الوجه الذي يستحق به الثواب وذكر الحسن في تفسيره ان
رجلاً من اصحاب النبي ﷺ خرج من عند اهله فإذا جارية عليها ثياب وهيئة فجلس عندها فقامت فأهوى
يده إلى عارضها فمضت فأتبعها بصره ومضى خلفها فلقى حائط فخش وجهه فعلم انه اصيب بذنبه فأقر رسول الله

فذكر له ذلك فقال أنت رجل عجل الله عقوبة ذنبك في الدنيا إن الله تعالى إذا أراد ببشر أمسك عنه عقوبة ذنبه حتى يوافي به يوم القيامة وإذا أراد به خيراً عجل له عقوبة ذنبه في الدنيا

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال الآية بما قبلها انه سبحانه لما قال فهل انتم مسلمون فكان قائلاً قال ان أظهرنا الإسلام لسلامة المال والنفس يكون ماذا فقال من أراد الدنيا دون الآخرة سواء أَرادها باظهار الإسلام أو أَرادها بسائر المساعي فسييله هذا

قوله تعالى (١٧) أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةٌ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَالْكَافِرُ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (١٨) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا أَوْ لِكَيْ بَعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٢٠) أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ (٢١) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٢) لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِرُونَ ست آيات

﴿ اللغة ﴾

البينة الحجة الفاصلة بين الحق والباطل والعرض اظهار الشيء بحيث يرى للتوقيف على حاله يقال عرضت الكتاب على فلان وعرضت الجند ومعنى العرض على الله انهم يقفون في المقام الذي يريه العباد للمطالبة بالاعمال فهو كالعرض عليه سبحانه والشهاد جمع شاهد فهو كصاحب واصحاب وقيل جمع شهيد كشريف واشراف والعوج العدول عن طريق الصواب يقال في الدين عوج بالكسر وفي العصا عوج بالفتح فرقا بين ما يرى وما لا يرى فجعلوا السهل للسهل والصعب للصعب أعني الفتح والكسر والاعجاز الامتناع عن المراد بما لا يمكن معه إيقاعه وحقيقة الاستطاعة القوة التي تنطاع بها الجارحة للفعل ولذلك لا يقال في الله تعالى انه مستطيع واصل الجرم القطع ولا جرم تقديره لا قطع قاطع عن ذا إلا انه كثر حتى صار كالمثل وهو قول الشاعر

ولقد طعنت أبا عينة طعنة جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا

أبى قطعتم إلى الغضب فرواية الفراء في فزارة النصب والمعنى كسبتهم ان بغضوا وروى غيره برفعها بمعنى ان الفعل لها

(الاعراب) =

من كان على بينة من ربه خبره محذوف وتقديره أفمن كان على بينة من ربه وعلى الاوصاف التي ذكرتها كن لا بينة له ومثله حذف جواب لو في قوله

واقسم لو شي اتانا رسوله سواك ولو لكن لم نجد لك مدفعا

وكتاب موسى عطف على قوله ويتلوه شاهدته أي وكان يتلوه كتاب موسى من قبله ونصب اماماً ورحمة على الحال لأن كتاب موسى معرفة وقوله وهم بالآخرة هم كافرون كرر قوله هم مرتين كما قال ابعدهم انكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً انكم مخرجون كرر انكم مرتين ووجهه انه لما طال الكلام كرر مرة أخرى للتوكيد لا جرم قال سيويه جرم فعل ماض ولا رد لقولهم كقولهم وتصف ألسنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا جرم ان لهم النار قال لا اي ليس لهم الجنة ثم قال جرم اي كسبهم قولهم ان لهم الحسنى ان لهم النار وقيل جرم بمعنى وجب اي وجب ان لهم النار

المعنى

(أفمن كان على بينة من ربه) استفهام يراد به التقدير وتقديره هل الذي كان على يوهان وحجة من الله والمراد بالبينتنا القرآن والمعنى بقوله أفمن كان على بينة النبي ﷺ وقيل المعنى به كل محق يدين بحجة وبينته لأن من يتناول العقلاء وقيل هم المؤمنون من أصحاب محمد ﷺ عن الجبائي (ويتلوه شاهد منه) أي ويتبعه من يشهد بصحته منه واختلف في معناه فقيل الشاهد جبرائيل (ع) يتلو القرآن على النبي ﷺ من الله تعالى عن ابن عباس ومجاهد والزجاج وقيل شاهد من الله تعالى محمد ﷺ وروي ذلك عن الحسين بن علي عليها السلام وابن زيد واختاره الجبائي وقيل شاهد منه لسانه أي يتلو القرآن بلسانه عن محمد بن علي اعني ابن الحنفية والحسن وقناة وقيل الشاهد منه علي بن ابي طالب عليه السلام يشهد للنبي ﷺ وهو منه وهو المروي عن ابي جعفر وعلي بن موسى الرضا عليهما السلام ورواه الطبرسي باسناده عن جابر بن عبد الله عن علي عليه السلام وقيل الشاهد ملك يحفظه ويسدده عن مجاهد وقيل بينة من ربه حجة من عقله واذن البينة اليه تعالى لأنه ينصب الأدلة العقلية والشرعية ويتلوه شاهد منه يشهد بصحته وهو القرآن عن ابي مسلم (ومن قبله) أي ومن قبل القرآن لأنه مدلول عليه فيما تقدم من الكلام وقيل معناه ومن قبل محمد ﷺ (كتاب موسى) يتلوه ايضاً في التصديق لأن النبي ﷺ بشر به موسى في التوراة (اماماً) يؤتم به في أمور الدين (ورحمة) اي ونعمة من الله تعالى على عباده وقيل معناه ذا رحمة أي سبب الرحمة لمن آمن به (أو لك يؤمنون به) معناه أو لك الذين هم على بينة من ربهم يؤمنون بالقرآن وقيل بمحمد ﷺ وتقدير الآية أفمن كان على بينة من ربه وبصيرة ممن ليس على بينة ولا بصيرة الا أنه اختصر وقيل تقديره أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه علي. صدقه ويتقدمه شاهد فآمن بهذا كله ممن أراد الحياة الدنيا وزينتها ولم يؤمن ثم أخبر عنه فقال (أو لك يؤمنون به) وقوله (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) معناه ومن يكفر بالقرآن او بمحمد ﷺ من مشركي العرب وفرق الكفار كاليهود والنصارى وغيرهم فالنار موعده ومصيره ومستقره وفي الحديث ان النبي ﷺ قال لا يسمع في أحد من الأمة لا يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بي الا كان من أصحاب النار (فلا تكن في مربة) أي في شك (منه) الخطاب للنبي ﷺ والمراد جميع المكلفين وقيل ان تقديره لا تك أيها الانسان او أيها السامع في مربة من ربك أي من أمره وإزاله (إنه الحق من ربك) الماء راجع إلى القرآن وقيل إلى محمد ﷺ وقيل معناه ان الغيبر الذي أخبرتك به حق من عند الله تعالى (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) بصحته وصدقه لجهلهم بالله تعالى وجحدهم لتبوة نبيه ﷺ (ومن اظلم ممن اقترى على الله كذباً) أي لا أحد اظلم منه إلا انه خرج مخرج الاستفهام ليكون ابلغ (أو لك يعرضون على ربهم) يوم القيامة أي يوقفون موقفا يراهم الخلاق للمطالبة بما عملوا ويسألون عن اعمالهم ويجازون عليها (ويقول الأَشهاد) يعني الملائكة يشهدون على العباد وهم الحافظة عن مجاهد وقيل هم الأنبياء عن الضحاك وقيل هم شهداء كل عصر من أئمة المؤمنين (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) اي كذبوا على رسل ربهم وأضافوا إلى الله ما لم ينزله (ألا لعنة الله على الظالمين) هذا ابتداء خطاب من الله تعالى وقيل هو من كلام الأَشهاد ومعناه ألا لعنة الله على الذين ظلموا أنفسهم بإدخال الضرر عليها وغيرهم بإحلال

الآلام عليهم ولعنة الله ابعاده من رحمته ثم وصف سبحانه الظالمين الذين لعنهم فقال (الذين يصدون عن سبيل الله) اي يغون الخلق ويصرفونهم عن دين الله وقد يكون ذلك باللقاء الشبهة اليهم وقد يكون ايضا بالترغيب والترهيب والاطماع والتهديد وغير ذلك وانما جاز تمكين الصاد عن سبيل الله من هذا الفساد لأنه مكلف بالامتناع منه وليس في منعه لطف بأن ينصرف عن الفساد الى الصلاح فهو كشهوة الفحيح الذي به يصح التكليف (ويغونها عوجا) اي ويطلبون لسبيل الله زيفاعن الاستقامة وعدولاعن الصواب وقيل ان بينهم العوج هي زيادتهم وتقصانهم في الكتاب ليتغير الأدلة ولا يستقيم صفة النبي ﷺ كما كان يفعلها اليهود وقيل هي ايرادهم الشبه وكنماتهم المراد وتحريفهم التأويل (وم بالآخرة) أي بالقيامة والبعث والنشور والثواب والعقاب (هم كافرون) أي جاحدون غير مقرين (أو لك لم يكونوا معجزين في الأرض) أخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار الذين وصفهم بأن عليهم لعنة الله وانهم الذين يصدون عن سبيل الله بأنهم لم يكونوا فائتين في الأرض هربا فيها من الله تعالى إذا أراد اهلاكهم كما يهرب الهارب من عدو قد جسد في طلبه وإنما خص الأرض بالذكر وان كانوا لا يفوتون الله ولا يخرجون عن قبضته على كل حال لأن معاقل الأرض هي التي يهرب اليها البشر ويعتصمون بها عند المخاوف فكأنه سبحانه تقي ان يكون هؤلاء الكفار عاصم منه ومانع من عذابه (وما كان لهم من دون الله من أولياء) معناه انه ليس لهم من ولي ولا ناصر ينصرونهم ويحمونهم من الله سبحانه مما يريد ايقاعه بهم في الدنيا من المكارة وفي الآخرة من انواع العذاب (بضاعف لهم العذاب) قيل سيف معناه وجوه **﴿احدها﴾** انه لا يقتصر بهم على عذاب الكفر بل يعاقبون عليه وعلى سائر المعاصي كما قال في موضع آخر زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون **﴿وثانيها﴾** ان معناه انه كلما مضى ضرب من العذاب بعقبه ضرب آخر من العذاب مثله أو فوقه كذلك دائما مؤبدا وكل ذلك على قدر الاستحقاق **﴿وثالثها﴾** انه بضاعف العذاب على رؤسائهم لكفرهم وظلمهم اعسهم ولدعائهم الاتباع اليه وهو عذاب الضلال وعذاب الصد عن الدين (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) فيه وجوه **﴿احدها﴾** بضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلا يسمعون وبما كانوا يستطيعون الابصار فلا يبصرون عنادا وذهابا عن الحق فاسقطت الباء عن الكلام كما في قول الشاعر

تغالي اللحم للاضياف نيا
ونبذله إذا نضج القدر

أراد تغالي باللحم عن القراء والبلخي وهذا وجه رابع من معنى قوله بضاعف لهم العذاب **﴿وثانيها﴾** انه لا استئقالهم استماع آيات الله وكراهتهم تذكرها وتقمهما جروا مجرى من لا يستطيع السمع وان ابصارهم لم تنفعهم مع اعراضهم عن تدبير الآيات فكأنهم لم يبصروا وبما يجري هذا المجرى قول الاعشى

ودع هريرة ان الركب مرتحل
وهل تطيق وداعا أيها الرجل

وقد علمنا ان الأعشى كان بقدر على الوداع وإنما تقي الطاقة عن نفسه من حيث الكراهية والاستئقال **﴿وثالثها﴾** انه انما عني بذلك آلهتهم وأوثانهم وتقدير الكلام أو لك الكفار وآلهتهم لم يكونوا معجزين في الأرض بضاعف لهم العذاب وقال محبوا عن الآلهة ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وروي ذلك عن ابن عباس وفيه أدنى بعد **﴿ورابعها﴾** ان ما هنا ليست للثني بل تجري مجرى قولهم لا واصلنك ما لاح نعيم والمعنى انهم معذبون ما داموا أحياء (أو لك الذين خسروا انفسهم) من حيث فعلوا ما استحقوا به العقاب فهلكوا فذلك خسران انفسهم وخسران النفس اعظم الخسران لا نه ليس عنها عوض (وضل عنهم ما كانوا يفترون) مضى بيانه ساررا (لاجرم) قال الزجاج لا تقي لما ظنوا انه ينفعهم كأن المعنى لا ينفعهم ذلك جرم (انهم سيف الآخرة هم الأخرسون) اي كسب ذلك الفعل لهم الخسران وقال غيره معناه لا بد ولا محالة انهم وقيل معناه حقا ويستعمل في امر يقطع عليه ولا يرتاب فيه اي لا شك ان هؤلاء الكفار هم أخسر الناس في الآخرة

* النظم *

اتصلت الآية الأولى بقوله قل فأتوا بشئ من مثله والمراد انهم إذا لم يأتوا بذلك فقل لهم أفمن كان على
بينه كمن لا يكون معه بينة وقيل اتصلت بقوله من كان يريد الحياة الدنيا أي من كان مجتهداً في الدين كمن
كان همه الحياة الدنيا وزينتها ووجه اتصال الآية الثانية وهي قوله ومن اظلم ممن اظلم من اقترى على الله كذباً انه سبحانه
أراد ان يبين حال العاقل والعاقل فكأنهم قالوا وما يضرننا ان لا نعرف ذلك فأجيبوا بأن من لا يعرف الله لا يابى من
ان يكذب على الله ومن اظلم ممن كذب على الله

قوله تعالى (٢٣) **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٤)** مثلُ الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان
مثلاً أفلا تذكرون آيات

* اللفظ *

الإخبات الطمأنينة وأصلها الاستواء من الخبت وهو الأرض المستوية الواسعة فكان الإخبات خشوع مستمر على
استواء نية والمثل قول سائر يشبه فيه حال الثاني بحال الأول والمعنى عبارة عن فساد آلة الرؤية وليس بمعنى
يضاد الإبصار وكذلك الصمم عبارة عن فساد آلة السمع لأن الصحيح ان الإدراك أيضاً ليس بمعنى

« المعنى »

لما تقدم ذكر الكفار وما أعد الله لهم من العذاب عقبه سبحانه بذكر المؤمنين فقال (ان الذين آمنوا)
أي صدقوا الله ورسوله واعتقدوا وحدانيته (وعملوا الصالحات) التي أمرهم الله تعالى بها ورغبهم فيها (واخبتوا
إلى ربهم) أي انابوا وتضرعوا إليه عن ابن عباس وقيل معناه اطمانوا إلى ذكره عن مجاهد وقيل خضعوا له
وخشعوا إليه عن قتادة والكل متقارب وقيل ان معناه واخبتوا لربهم فوضع إلى موضع اللام كما قال سبحانه اوحى
لها بمعنى اوحى إليها وقال بنادي للايمان (أو لك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) ظاهر المعنى ثم ضرب سبحانه
مثلاً للمؤمنين والكافرين فقال (مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع) أي مثل فريق المسلمين
كالصير والسميع ومثل فريق الكافرين كالأعمى والأصم لأن المؤمن ينتفع بحواسه لاستعماله إياها في الدين
والكافر لا ينتفع بها فصارت حواسه بمنزلة الممدوم وإنما دخل الواو ليعين ان حال الكافر كحال الأعمى على حدة
وكحال الأصم على حدة وحال من يكون قد جمع بين الصفتين جميعاً (هل يستويان مثلاً) أي هل يستوي
حال الأعمى والأصم وحال البصير والسميع عند عاقل فكما لا تستوي هاتان الحالتان عند العقلاء كذلك لا تستوي
حال الكافر والمؤمن (أفلا تذكرون) أي أفلا تفكرون في ذلك فتعلموا صحة ما ذكرناه

قوله تعالى (٢٥) **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٦) أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا
اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيَوْمِ (٢٧) فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ
إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِرَأْيِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن
فَضْلٍ بَلْ نَنظَرُكُمْ كَذِبِينَ (٢٨) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُمْ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِن رَّبِّي وَأَنِّي رَحْمَةٌ
مِّنْ عِنْدِهِ فَعَمِيتْ عَلَيْكُمْ أَنْزَلْنَا مُكُومَهَا وَآتَمَّهَا كَارِهُونَ** أربع آيات

* القراءة *

قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحزمة إني لكم بكسر الهمزة والباقون أني بفتحها وقرأ أبو عمرو ونصير عن الكسائي بادي الرأي بالهمزة وقرأ الباقر بادي الرأي بالياء غير مهموز وقرأ أهل الكوفة غير أبي بكر فعميت بضم العين وتشديد الميم والباقر فعميت بفتح العين محققاً

= (الحجة) =

قال أبو علي من فتح افي فإنه بحملها على ارسلنا أبي ارسلناه بأني لكم نذير مبين فإن قيل لو كان محمولاً عليه لكان انه لأن نوحاً اسم للغيبة قيل هذا لا يمتنع لأن الخطاب بعد الغيبة في نحو هذا سائغ الا ترى قوله وكتبنا له في الألواح ثم قال فخذها بقوة ومن كسر فالوجه فيه انه حمله على القول المضمر لأنه مما قد اضمحرت كثيراً في القرآن قال سبحانه والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام اي يقولون سلاماً وقال والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى أي قالوا ما نعبدهم فإن قلت فهلا رجحت قراءة من قرأ ان على قراءة من كسر لأن قوله ألا تعبدوا محمول على الإرسال وإذا فتحت ان كان اشكل بما بعدها لملها جميعاً على الإرسال يقال لك ان من كسر قال يجوز أن يكون قوله إني لكم وما بعده محمولاً على الاعتراض بين المفعول وما يتصل به مما بعده كما كان في قوله قل إن الهدى هدى الله اعتراضاً بينها في قوله ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم فكذلك قوله افي لكم نذير مبين لأن التقدير ولقد ارسلنا نوحاً الى قومه ان لا تعبدوا إلا الله واما قوله بادي الرأي فقد حكى أبو علي عن الجبائي انه قال يقال انت بادي الرأي يريد ظاهر الرأي لا بهمز بادي وبأدي الرأي مهموز فمن لم يهمز اراد انت فيما بدا من الرأي اي انت ظاهر الرأي ومن همز اراد انت اول الرأي ومبتداه قال أبو علي المعنى فيمن قال بادي الرأي بلا همز فعمله من بدا الشيء إذا ظهر اي ما اتبعك إلا الأراذل فيما ظهر لهم من الرأي إن لم يتعقبوه ينظر فيه ولا يبين لهم ومن همز اراد اتبعوك في اول الأمر من غير ان يتبعوا الرأي بفكر وروية فيه وهاتان الكلمتان بتقاربان في المعنى لأن الهمزة في اللام معناه ابتداء الشيء واوله واللام إذا كانت واو المعنى الظهور وابتداء الشيء يكون ظهوراً وان كان الظهور قد يكون ابتداءً وغير ابتداءً فلذلك يستعمل كل واحد مكان الآخر وجازية اسم الفاعل ان يكون ظرفاً كما جاز في فعل نحو قريب وملي لأن فاعلاً وفعللاً بتعاقبان على المعنى نحو عالم وعلم وشاهد وشهد وحسن ذلك اضافته إلى الرأي وقد اجروا المصدر ايضاً في اضافته اليه في قولهم اما جهد رأي فأني منطلق فهذا لا يكون إلا ظرفاً وفعل إذا كان مصدرراً وفاعل قد يتفقان في اشياء وقد يجوز في قول من همز فقال بادي الرأي إذا خفف الهمز ان يقول بادي الرأي فيقلب الهمزة ياء لانكسار ما قبلها فيكون كقولهم مير في جمع ميرة وذئب في جمع ذئبة والعامل في هذا الظرف هو قولك اتبعك التقدير ما اتبعك في اول رأيهم او فيما ظهر من رأيهم إلا ارادنا فأخر الظرف واوقع بعد الإلا الظرف ولو كان بدل الظرف غيره لم يجوز ألا ترى أنك لو قلت ما اعطيت احداً إلا زبداً درهماً فأوقعت بعد الإلا اسمين لم يجوز لأن الفعل او معنى الفعل في الاستثناء يصل إلى ما انتصب به بتوسط الحرف ولا يصل الفعل بتوسط الحرف إلى أكثر من مفعول ألا ترى أنك إذا قلت استوى للواء والغلبة نصبت الغلبة لم يجوز أن تتبعه اسماً آخر تنصبه فكذلك المستثنى إذا ألحقته الا واوقعت بعدها اسماً مفرداً لم يجوز أن تتبعه آخر ولو قلت ما ضرب القوم إلا بعضهم بعضاً لم يجوز وتصحيحها ما ضرب القوم احداً إلا بعضهم بعضاً تبدل الاسمين بعد الإلا من الاسمين قبلها قال جامع العلوم البصير التحوي ان أبا علي حمل بادي الرأي هنا على انه ظرف لما قبله ثم رجع عن مثله في قوله وما كان لبشر ان يكلمه الله إلا وحياً او من وراء حجاب فعمله على فعل آخر دل عليه بكلمه على تقدير او بكلمه الله من وراء حجاب قال والظرف في الآيتين عندنا محمول على الفعل قبل الإلا لأن الظرف قد يكتفي

فيه بواطنه الفعل انتهى كلامه واقول ان ما قاله فيه نظر لأن ابا علي قال في تلك الآية لا يعمل ما قبل الاستثناء إذا كان كلاما تاما فيما بعده وليس ما قبل إلا في هذه الآية كلاما تاما فإن قوله الذين هم اراذلنا فاعل لقوله اتبعك فلذلك فرق بين الموضوعين رجع كلام ابي علي واما تحقيق الممزة وتخصفها في الرأي فأهل تحقيق الممزة يخففونها وأهل التخفيف يبدلون منها الألف وكذلك ما اشبهه من نحو الباس والراس والفاس ومن قرأ فعصيت بالتخفيف بقوي قوله اجتناعهم على التخفيف في قوله سبحانه فعصيت عليهم الأنبياء وهذه مثلها ويجوز في قوله فعصيت أسران احدهما ان يكون عمومهما ان الرحمة لاتعمي وإنما يعنى عنها فيكون كقولهم ادخلت القلنسوة في رأسي ونحو ذلك مما يقلب إذا لم يكن فيه اشكال وفي التنزيل فلا تخسبن الله يخلف وعده رسله وقال الشاعر

ترى الثوب فيها مدخلا ظل رأسه وسائرہ بادٍ الى الشمس اجمع
والآخر أن يكون بمعنى خفيت كقول الشاعر
ومهمه اطرافه في مهمه أعمى الهدى بالخائرين العمه

اي خفي الهدى لأن الهدى ليس بذئ جارحة تلحقها هذه الآفة ومن هذا يقال للسحاب الغمام لا يخفاته ما يخفيه كما قيل له الغمام ومن هذا قول الشاعر «ولكنني عن علم ما في غدعم» قال وقولهم اتاني صكة عمي إذا أتى في المهاجرة وشدة الحر يمتل عندنا تأويلين * احدهما * ان يكون المصدر أضيف إلى العمى كما قالوا ضرب التلف أي الضرب الذي يحدث عنه التلف * والآخر * ان يكون عمي تصغير اعمى على وجه الترخيم واضيف المصدر إلى المفعول به كقولك من دعاه الخير والتقدير صكة الحر الاعمى والمعنى ان الحر من شدته كأنه يعمي من أصابه والمصدر في الوجهين ظرف نحو مقدم الحاج وخفوق النجم ومن قرأ عميت اعتبر قراءة أبي والأعمش فمهما عليكم وإستناد الفعل إلى المفعول به سيف عميت قريب من عمى هنا في المعنى

* اللغة *

الردل الخسيس الخفير من كل شيء * والجمع اردل ثم يجمع على اراذل كقولك كلب واكلب واكالب ويجوز ان يكون جمع الازدل فيكون مثل اكابر جمع الاكبر والرأي الرؤية من قوله يرونهم مثلهم رأي العين اي رؤية العين والرأي ايضا ما يراه الإنسان في الأمر وجمعه آراء

* الإعراب *

ان لا تعبدوا إلا الله يمتل ان يكون موضع تعبدوا من الاعراب نصبا بأن ويحتمل أن يكون جزما بالنهي وقوله عذاب يوم أليم يجوز ان يكون تقديره يوم أليم عذابه فعذف المضاف الذي هو عذاب واقيم المضاف اليه الذي هو الضمير مقامه فاستكن في اليم ويجوز ان يكون وصفه اليوم بالألم لأن الألم فيه يقع ويجوز في غير القراءة أليما فيكون صفة لعذاب وقوله اتبعك وفاعله الذي هو الذين هم اراذلنا في موضع نصب بأنه مفعول ثان لتربك إن كان بمعنى نعلمك وفي موضع الحال إن كان من رؤية العين وقوله انلزمكوها فيه ثلاث ضمائر ضمير المتكلم وضمير المخاطب وضمير الغائب فجاءت على احسن ترتيب بدأ بالمتكلم لأنه أخص بالفعل ثم بالمخاطب ثم بالغائب ولو أتى بالنفصل لجاز لتباعده من العامل بما فرق بينه وبينه فأشبه ما ضربت إلا إياك وما ضربني وإلانت واجاز الفراء انلزمكوها بتسكين الميم جعله بمنزلة عضد وعضد وكبد وكبد ولا يجوز ذلك عند البصريين وإنما يجيزون ذلك في ضرورة الشعر كقول امرئ القيس

فاليوم اشرب غير مستحقب إنما من الله ولا واغل

وكقول الآخر

وناع يخبرنا بمهلك سيد تقطع من وجد عليه الأنايل
وقول الآخر « إذا عوججن قلت صاحب قوم » يريد يا صاحب قوم

✽ المعنى ✽

لما تقدم ذكر الوعد والوعيد والترغيب والترهيب عقب ذلك سبحانه بذكر اخبار الأنبياء تأكيده لذلك وتخويفا للقوم وتسلية للنبي ﷺ وبدأ بقصة نوح «ع» فقال (ولقد ارسلنا نوحا إلى قومه اني لكم نذير مبين) وقدمت بيانه (أن لا تعبدوا إلا الله) اي انذركم ان لا تعبدوا إلا الله عن الزجاج يريد لأن توحدهوا الله وقتروا عبادة غيره وبدأ بالدعاء إلى الإخلاص في العبادة وقيل انه دعاهم إلى التوحيد لأنه من أهم الأمور إذ لا يصح شيء من العبادات إلا بعد التوحيد (اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم) وإنما قال اخاف مع ان عقاب الكفار مقطوع عليه لأنه لم يعلم ما يؤل إليه دافية امرهم من إيمان او كفر وهذا لطف في الاستدعاء واقرب إلى الإجابة في الغالب (فقال الملأ الذين كفروا من قومه) اي من قوم نوح لنوح «ع» (ما تراك إلا بشرا مثنا) فلما منهم ان الرسول إنما يكون من غير جنس المرسل اليه ولم يعلموا ان البعثة من الجنس قد تكون أصلح ومن الشبهة أبعد (وما تراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا) اي لم يتبعك الملأ والاشراف والرؤساء منا وإنما اتبعك اخصاؤنا الذين لا مال لهم ولا جاه (بادي الرأي) اي في ظاهر الأمر والرأي لم يتديروا ما قلت ولم يتفكروا فيه وقال الزجاج معناه اتبعوك في الظاهر وباطنهم على خلاف ذلك ومن قرأ بالهمز فالمعنى انهم اتبعوك ابتداء الرأي أي حين ابتدأوا بنظرون ولو فكروا لم يتبعوك وقيل معناه ان في مبتدأ وقوع الرواية عليهم يعلم انهم اراذلنا واساقلنا (وما نرى لكم علينا من فضل) اي وما نرى لك ولقومك علينا من فضل فإن الفضل إنما يكون في كثرة المال والمنزلة في الدنيا والشرف في النسب وإنما قالوا ذلك لأنهم جهلوا طريقة الاستدلال ولو استدلوا بالمعجزات الدالة على نبوته لعلموا انه نبي وان من آمن به مؤمن ومن خالفه كافر وعرفوا حقيقة الفضل وهكذا عادة ارباب الدنيا يستحقرون ارباب الدين إذا كانوا فقراء ويستزدلونهم وإن كانوا هم الاكبر من الأفضلين عند الله سبحانه (بل نظنكم كاذبين) هذا تمام الحكاية عن كفار قوم نوح قالوه لنوح ومن آمن به (قال) نوح لقومه (يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربي) اي على برهان وحجة بشهد بصحة النبوة وهي المعجزة وقال ابن عباس على بينة اي على يقين وبصيرة ومعرفة من ربوبية ربي وعظمته واختلف في قول نوح «ع» هذا انه جواب عمادا فقيل انه جواب عن قولهم بل نظنكم كاذبين فكأنه قال ان تظنوني كاذبا فما تقولون لو كنت على خلافه وعلى حجة من ربي وواضحة لا تصدقوني وقيل بل هو جواب عن قولهم ما تراك إلا بشرا مثنا اي وإن كنت بشرا فماذا تقولون إذا أتيتكم بحجة دالة على صدقي ألا تصدقوني وفيه بيان ان الرسالة إنما تظهر بالمعجزة فلا معنى لاعتبار البشرية وقيل هو جواب عن قولهم ما تراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا فكأنه قال إنهم اعتصموا بالله وبما آتاهم من البينة والرحمة فنالوا بذلك الرفعة والفضل وانتم تنتم بالدنيا الدنية الفانية فأنتم في الحقيقة الاراذل لا هم وقيل هو جواب عن قولهم وما نرى لكم علينا من فضل فكأنه قال لا تتبعوا المال والجاه فإن الواجب اتباع الحجة والدلالة ويجوز ان يكون جوابا عن جميع ذلك (وآتاني رحمة من عنده) رد عليهم بهذا جميع ما ادعوه والرحمة والنعمة هي هنا النبوة اي واعطاني نبوة من عنده (فعميت عليكم) اي خفيت عليكم لقلة تدبركم فيها (ائتمنكموها وانتم لها كارهون) اي أتريدون مني ان اكرهكم على المعرفة وألجسكم اليها على كره منكم هذا غير مقدور لي والهاء كناية عن الرحمة فيدخل فيها النبوة والدين وسائر النعم وقيل معناه ائتمنكم قبولها فحذف المضاف ويجوز ان يكون الهاء كناية عن البينة ويكون المراد ان علي ان ادلكم بالبينة وليس علي

ان اضطر كم الى معرفتها

قوله تعالى (٢٩) وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ
الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٣٠) وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ
إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣١) وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ وَلَا أَقُولُ
إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا
لِمَنْ الظَّالِمِينَ ثلاث آيات

* اللغة *

الطرود الإبعاد على جهة المهوان وتطارد الأقوال حمل بعضها على بعض والازدراء الاحتقار افتعال من الزرابة
بقال زريت عليه إذا عبته وازرت به إذا قصرت به قال الشاعر

رأوه فازدروه وهو خرق وينفع أهله الرجل القبيح
ولم يخشوا مقاتله عليهم وتحت الرغوة اللبن الصريح

* المعنى *

ثم انكر نوح استنقالهم التكليف والعاقل إنما يستنقل الأمر إذا أزمته مؤنة نقله فقطع هذا العذر بقوله
(ويا قوم لا استألكم عليه مالا) اى لا اطلب منكم على دعائكم الى الله اجرا فتتمتعون من إجابتي خوفا من
اخذ المالب (إن أجري إلا على الله) اى ما ثوابي وما أجري في ذلك إلا على الله (وما انا بطارِد الذين آمنوا)
اى لست اطرده المؤمنين من عندي ولا ابعدهم على وجه الإهانة وقيل انهم كانوا سألوه طردهم ليؤمنوا له امة من
ان يكونوا معهم على سواء عن ابن جريج والزجاج (انهم ملاقوا ربه) وهذا يدل على انهم سألوه طردهم
فأعلمهم انه لا يطردهم لأنهم ملاقوا ربهم فيجازي من ظلمهم وطردهم بجزائه من العذاب عن الزجاج وقيل
معناه انهم ملاقوا نواب ربهم فكيف يكونون اراذل وكيف يجوز طردهم وهم لا يستحقون ذلك عن
الجبائي (ولكي أراكم قوما تجهلون) الحق واهله وقيل معناه تجهلون ان الناس إنما يتفاضلون بالدين لا بالدنيا
وقيل تجهلون فيما تسألون من طرد المؤمنين (ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم) معناه من ينصروني من عذاب
الله إن انا طردت المؤمنين فكانوا خصائي عند الله في الآخرة (أفلا تذكرون) اى أفلا تتفكرون فتعلمون
ان الأمر على ما قلته وفرق علي بن عيسى بين التفكير والتذكر بأن التذكر طلب معنى قد كان حاضرا للنفس
والتفكير طلب معرفة الشيء بالقلب وإن لم يكن حاضرا للنفس وليست النصرة المذكورة في الآية من الشفاعة في
شيء لأن النصرة هي المنع على وجه المغالبة والقهر والشفاعة هي المسألة على وجه الخضوع فلا دلالة في الآية على نفي
الشفاعة للمذنبين على ما قاله بعضهم (ولا أقول لكم عندي خزائن الله) هذا تمام الحكاية عما قاله نوح لقومه
ومعناه اني لا ارفع قسي فوق قدرها فأدعي ان عندي مقدرات الله تعالى فأفعل ما أشاء وأعطي ما أشاء وأمنع
من اشاء عن الجبائي وابي مسلم وقيل خزائن الله مفاتيح الله في الرزق وهذا جواب لقولهم ما نراك إلا بشرا مثلنا
او قولهم وما نرى لكم علينا من فضل (ولا اعلم الغيب) اى ولا ادعي علم الغيب حتى ذلكم على منافعكم
ومضاركم وقيل لا اعلم الغيب فأعلم ما تسرونه في تقوسكم فيكون جوابا لقولهم ان هؤلاء الذين آمنوا بك
اتبعوك في ظاهر ما ترى منهم اى فسيبلي قبول ايمانهم الذي ظهر لي ولا يعلم ما يضررونه إلا الله تعالى (ولا

اقول لاني ملك) فأخبركم بغير السماء من قبل نفسي وإنما أنا بشر لا أعلم الأشياء من غير تعليم الله تعالى وقيل معناه لا أقول اني روحاني غير مخلوق من ذكر وأنثى بل أنا بشر مثلكم خصني الله بالرسالة (ولا أقول للذين تزدرى أعينكم) اي لا أقول لهؤلاء المؤمنين الذين تستقلونهم وتستخفونهم وتحتقرهم أعينكم لما ترون عليهم من زبى الفقراء (لن يؤتيم الله خيراً) اي لا يعطيهم الله في المستقبل خيراً على أعمالهم ولا يثيبهم عليها بل اعطاهم الله كل خير في الدنيا من التوفيق ويعطيهم كل خير في الآخرة من الثواب (الله اعلم بما في أقسام) اي بما في قلوبهم من الإخلاص وغيره (اني اذا لمن الظالمين) ان طردتم تكذبوا لظاهر إيمانهم او قلت فيهم غير ما اعلم

قوله تعالى (٣٢) قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣٣) قَالَ إِنَّمَا بِأَنتُمْ بِعِثْمِ اللَّهِ وَإِن شَاءَ اللَّهُ لَأَرْسِلَنَّ سَحَابًا يَسْفِطُكُمْ وَتَكُونُونَ لَهَا بِرِجَالِكُمْ لَا تَرَوْنَ سَوَاءً وَتُحِبُّونَ آلَكُمْ وَإِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنَّ يُفْجِرَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٣٥) أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَاهُ قُلْ إِنِّي أَفْتَرِيتهُ فَعَلَيْ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَجْرِمُونَ أربع آيات

اللغة

الجدال والمجادلة المقابلة بما يقتل الخصم من مذهبه بحجة أو شبهة وهو من الجدال شدة القتال ويقال للصقر أجدل لأنه من أشد الجوارح والجدال والمرام بمعنى غير ان المراء مذموم لأنه مخاصمة في الحق بعد ظهوره كمرى الضرع بعد دروره وليس كذلك الجدال والفرق بين الحجاج والجدال ان المطلوب بالحجاج ظهور الحججة والمطلوب بالجدال الرجوع عن المذهب والاعجاز هو القوت بالمرب والفرق بين اقتراء الكذب وقول الكذب ان قول الكذب قد يكون على وجه تقليد الإنسان فيه لتغيره وأما اقتراء الكذب فهو افتعاله من قبل نفسه واجرم وجرم بمعنى قال

طريد عشيرة ورهين ذنب بما جرمت يدي وجنى لساني

المعنى

ثم حكى الله سبحانه جواب قوم نوح عما قاله لهم فقال (قالوا يا نوح قد جادلتنا) أي خاصمتنا وحاججتنا (فأكثر جدالنا) أي زدت في مجادلتنا على مقدار الكفاية وفي بعض الروايات عن ابن عباس فأكثر جدلنا والمعنى واحد (فأتانا بما تعدنا) من العذاب (إن كنت من الصادقين) في ان الله تعالى يعذبنا على الكفر اي فلسنا نؤمن بك ولا تقبل منك (قال) نوح (انما يأتيكم به الله ان شاء) أي لا يأتي بالعذاب إلا الله سبحانه متى شاء لا يقدر عليه غيره فإن شاء عجل وان شاء أخر (وما أنتم بمعجزين) أي لا تفوتونه بالمرب (ولا ينفعكم نصحي إن أردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم) ذكر في تأويله وجوه ﴿احدها﴾ إن كان الله يريد ان يغويكم من رحمته بأن يجزئكم ثوابه ويعاقبكم لكفركم به فلا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم وقد سعى الله سبحانه العقاب غيا بقوله فسوف يلقون غيا وبشهد بصحة ما قلناه قول الشاعر

فمن يلقى خيراً يحمد الناس امره
ومن يغو لا يعدم على الغي لائماً

ولما خيب الله سبحانه قوم نوح من رحمته وثوابه واعلم الله نوحاً (ع) بذلك في قوله لن يؤمن من قومك الا من قد آمن قال لهم لا ينفعكم نصحي مع ايثاركم ما يوجب خيبتكم والعذاب الذي جرء اليكم فييح افعالكم واذا طرأ شرط على شرط كان الثاني مقدماً على الاول في المعنى وان كان موخراً في اللفظ والتقدير ولا ينفعكم نصحي

ان كان الله يريد أن يغويكم ان اردت ان انصح لكم ﴿ وثانيها ﴾ ان المعنى ان كان الله يريد عقوبة اغوائكم الخلق واضلالكم اياهم اي يريد عقوبتكم على ذلك ومن عادة العرب أن تسمى العقوبة باسم الشيء المعاقب عليه كما في قوله سبحانه وجزاء سيئة سيئة مثلها ومكروا والله يستهزي بهم وقد مر فيما مضى امثال ذلك ﴿ وثالثها ﴾ ان معناه ان كان الله يريد ان يهلككم فلا ينفعكم نصحي عند نزول العذاب بكم وان قبلتم قولي وآنتم لأن الله تعالى حكم بأن لا يقبل الايمان عند نزول العذاب عن الحسن وقد حكى عن العرب انهم قالوا اغويت فلانا بمعنى اهلكته ويقال غوي الفصيل اذا فسد من كثرة شرب اللبن ﴿ ورابعها ﴾ ان قوم نوح كانوا يعتقدون ان الله تعالى يضل عباده عن الدين وان ما هم عليه بارادة الله لولا ذلك لغيره وواجبهم على خلافه فقال لهم نوح على وجه التعجب من قولهم والانكار لذلك ان نصحي لا ينفعكم ان كان القول كما تقولون وهذا هو المحكي عن جعفر بن حرب وانما شرط التصح بالارادة في قوله ان اردت ان انصح لكم مع وقوع هذا التصح استظهارا في الحجة عليهم لأنهم ذهبوا الى انه ليس بتصحيح فقال لو كان نصحا ما تمع من لا يقبله ولا يجوز ان يكون المراد بالاغواء في الآية فعل الكفر أو الدعاء الى الكفر والحمل عليه على ما يعتقده المجبرة لقيام الأدلة على ان خلق الكفر وارادته من اقبح القبائح كالأمر به وكما لم يجوز ان يأمر به فكذلك لا يجوز ان يفعله ويريده ولا أنه لو جاز منه الاضلال لجاز منه ان يبعث من يدعو الى الضلال ويظهر المعجزات على يده وفي هذا ما فيه (هو ربكم واليه ترجعون) اي هو خالقكم ورازقكم والى حكمه وتدييره تصيرون فيجازيكم على اعمالكم (ام يقولون افتراء) قيل انه يعني بذلك محمدا صلى الله عليه وسلم والمراد ابو من كفار محمد صلى الله عليه وسلم بما اخبرهم به محمد صلى الله عليه وسلم من نأ قوم نوح (ع) ام يقولون افتراء محمد صلى الله عليه وسلم من تلقاء نفسه (فقل) لهم يا محمد (ان افتريته) واختلقته كما تزعمون (فعلي اجرامي) اي عقوبة جرمي لا تؤخذون به (وانا بري مما تجرمون) اي لاؤخذ بجرمكم عن مقاتل وقيل يعني به نوحا (ع) وانه يقول على الله الكذب عن ابن عباس

﴿ النظم ﴾

ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها على القول الاول انها تتصل بقوله ام يقولون افتراء قل فاتوا بعشر سور مثله

قوله تعالى (٣٦) وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدَّ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٧) وَأَصْنَعُ الْفُلَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ (٣٨) وَيَصْنَعُ الْفُلَّكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٩) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُغْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ

أربع آيات

(اللغة)

الابتئاس حزن في استكانة وانشد ابو عبيدة

ما يقسم الله إقبال غير مبتئس منه واقعد كريماً ناعماً الببال

وهو افتعال من البؤس وقد يكون البؤس بمعنى الفقر ايضا والصنع جعل الشيء موجودا بعد ان كان معدوما ومثله الفعل وينفصلان من الحدوث من حيث ان الصنعة يقتضي صناعا والفعل يقتضي فاعلا من حيث اللفظ وليس كذلك الحدوث لأنه يفيد تجدد الوجود لاغير والصناعة الحرفة التي يكتب بها والفلك السفينة ويكون واحدا

وجمعا والسخرية اظهر خلاف الايطان على وجه يفهم مية استضعاف العقل ومنه السخير النذليل يكون استضعافا بالقهر والفرق بين السخرية واللعب ان في السخرية خديعة واستنفاصا ولا يكون الا بحيوان وقد يكون اللعب بجساد والحلول النزول للمقام وهو من الحل خلاف الارتحال وحلول العرض وجوده في الجوهر من غير شغل حيزو المصحح للحلول التحيز

= الاعراب =

سوف ينقل الفعل من الحال الى الاستقبال مثل السين سواء الا ان فيه معنى التسوييف وهو تعليق النفس بما يكون من الامور من يأتيه قيل في من هذه قولان ﴿ احدثهما ﴾ أن يكون بمعنى اي فكأنه قال ابنا يأتيه عذاب يخزيه ﴿ والآخر ﴾ ان يكون بمعنى الذي والمعنى واحد ومن اذا كانت للاستفهام استغنت عن الصلة كما استغنت كيف وكم عن الصلة واذا كانت بمعنى الذي فلا بد لها من الصلة لأن البيان مطلوب من المسؤول دون السائل

﴿ المعنى ﴾

(واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن) اعلم الله سبحانه نوحا انه لن يؤمن به احد من قومه في المستقبل (فلا تبئس) اي لا تغتم ولا تحزن (بما كانوا يفعلون) والعقل لا يدل على ان قوما لا يؤمنون في المستقبل وإنما طريق ذلك السمع فلما علم ان احدا منهم لا يؤمن فيما بعد ولا من نسلهم دعا عليهم فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا فلما اراد الله سبحانه اهلاكم امر نبيه بائخاذ السفينة له ولقومه فقال (واصنع الفلك) اي اعمل السفينة لتركبها انت ومن آمن بك (باعيننا) اي بمرأى منا عن ابن عباس والتأويل بحفظنا اياك حفظ الرائي لغيره اذا كان يدفع الضرر عنه وذكر الاعين لتأكيد الحفظ وقيل اراد بالأعين الملائكة الموكلين بك وبحضرتهم وهم ينظرون باعينهم اليك وإنما اضاف ذلك الى عسه اكراما وتعظيما لهم وقوله (ووحينا) معناه وعلى ما اوحينا اليك من صفتها وحالها عن ابي مسلم وقيل المراد بوحينا اليك ان اصنعها وذلك انه (ع) لم يعلم صنعة الفلك فعلمه الله تعالى عن ابن عباس اي فإننا نوحى اليك بما تحتاج اليه من طوله وعرضه وهيأته (ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مفرون) اية لا تسألني العفو عن هؤلاء الذين كفروا من قومك ولا تشفع لهم فانهم مفرون عن قريب وهذا غاية في الوعيد كما يقول الملك لوزيره لا تذكر حديث فلان بين يدي وقيل انه عنى به امرأته واجه وانما نهاه عن ذلك ليصونه عن سؤال ما لا يجاب اليه وليصرف عنه مأمم الملائكة للطغاة (ويصنع الفلك) اي وجعل نوح (ع) يصنع الفلك كما امره الله تعالى وقيل واخذ نوح في صنعة السفينة بيده فجعل ينحتها ويسويها واعرض عن قوله (وكما مر عليه ملا من قومه سخروا منه) اي كلما اجتاز به جماعة من اشراف قومه وروسائهم وهو يعمل السفينة هزوا من فعله وقيل انهم كانوا يقولون له يا نوح صرت نجارا بعد النبوة على طريق الاستهزاء وقيل إنما كانوا يسخرون من عمل السفينة لأنه كان يعملها في البر على صفة من الطول والعرض ولا ماء هناك يحمل مثلها فكأنوا ينضاحكون ويتعجبون من عمله (قال) أي كان يقول لهم (ان تسخروا منا فلما نسخر منكم كما تسخرون) والمراد ان تستجهلونا في هذا الفعل فلما نستجهلكم عند نزول العذاب اكم كما تستجهلونا عن الزجاج وقيل معناه فلما نجازيكم على سخريتكم عند الفرق والهلاك واراد به تعذيب الله اباهم فسمى الجزاء باسم المجزي به ويحتمل ان يريد فلما نسخر منكم بعد الفرق على وجه الشماعة لا على وجه السفن (فسوف تعلمون) اينا احق بالسخرية او تعلمون عاقبة سخريتكم (من يأتيه عذاب يخزيه) هذا ابتداء كلام من نوح والاظهر ان يكون متصلا بما قبله اي فسوف تعلمون ابنا يأتيه عذاب يبيته ويفدحه في الدنيا ويكون يخزيه صفة العذاب (ويحل عليه عذاب مقيم)

اي وينزل عليه عذاب دائم في الآخرة

❦ القصة ❦

قال الحسن كان طول السفينة الف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وقال قتادة كان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وارتفاعها ثلاثين ذراعا وبابها في عرضها وقال ابن عباس كانت ثلاث طبقات طبقة للناس وطبقة للأنعام والدواب وطبقة للهوام والوحش وجعل أسفلها للوحوش والسباع والهوام وأوسطها للدواب والأنعام وركب هو ومن معه في الأعلى معما يحتاج اليه من الزاد وكانت من خشب الساج وروت عائشة عن النبي ﷺ انه قال مكث نوح في قومه الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله تعالى حتى اذا كان آخر زمانهم غرس شجرة فعظمت وذهبت كل مذهب فقطعها وجعل يعمل على سفينته وقومه يبرون عليه فيسألونه فيقول اعمل سفينة فيسخرن منه ويقولون تعمل سفينة على البر فكيف تجري فيقول سوف تعلمون فلما فرغ منها وفار التنور وكثر الماء في السكك خشيت ام صبي عليه وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت الى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما بلغها الماء خرجت به حتى بلغت ثلثيه فلما بلغها الماء خرجت به حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء رقبتها رفعته بيديها حتى ذهب بها الماء. فلما رجع الله منهم احدا لرحم ام الصبي وروى علي بن ابراهيم عن ابيه عن صفوان عن ابي بصير عن ابي عبد الله (ع) قال لما اراد الله اهلاك قوم نوح عقم ارحام النساء اربعين سنة فلم يلد لهم مولود ولما فرغ نوح من اتخاذ السفينة امره الله تعالى أن ينادي بالسريانية أن يجمع اليه جميع الحيوانات فلم يبق حيوان الا وقد حضر فادخل من كل جنس من اجناس الحيوان زوجين ما خلا الفأر والسنور وانهم لما شكروا اليه سرقين الدواب والقذر دعا بالخنزير فمسح جبينه فعطس فسقط من انفه زوج فأرة فتنازل فلما كثروا وشكروا اليه منهم دعا بالأسد ومسح جبينه فعطس فسقط من انفه زوج سنور وكان الذين آمنوا به من جميع الدنيا ثمانين رجلا وفي حديث آخر انهم شكروا اليه العذرة فأمر الله الغيل فعطس فسقط الخنزير وروى الشيخ ابو جعفر في كتاب النبوة باسناده عن حنان بن سدير عن ابي عبد الله (ع) قال آمن مع نوح من قومه ثمانية نفر

قوله تعالى (٤٠) حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا أَحْمِلْ فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ مِّنْ أَنتَيْنِ وَأَهْلِكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَن آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (٤١) وَقَالَ أَرُكِبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمَرْسَبَهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (٤٢) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ أَرُكِبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (٤٣) قَالَ سَاوِيَةٌ إِلَىٰ جِبَلٍ يَّعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِن أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمَرْفُوقِينَ أَرْبَعُ آيَاتٍ

❦ القراءة ❦

قرأ حفص عن عاصم من كل زوجين متونا وفي المؤمن كذلك وقرأ الباقون من كل زوجين مضافا وقرأ أهل الكوفة غير ابي بكر مجربها بفتح الميم والباقون بضم الميم واتفقوا على ضم الميم في مرسبها الامايري في الشواذ عن ابن محيصن انه فتح الميم فيها وقرأ عاصم يا بني اركب معنا بفتح الباء والباقون بكسر وروي عن علي بن ابي طالب (ع) وابي جعفر محمد بن علي وجعفر بن محمد عليهم السلام وعروة بن الزبير ونادى نوح ابنه وروي

عن عكرمة ابنتها وعن السدي ابناه وعن ابن عباس ابنه على الوقف

﴿ الحجة ﴾

الوجه في قراءة حفص ما قاله ابو الحسن ان الاثنين زوجان قال الله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين والمرأة زوج الرجل والرجل زوجها قال وقد يقال للاثنين هما زوج قال لبيد

من كل محفوف يظل عصبه زوج عليه كلة وقرامها

قال ابو علي من قرأ من كل زوجين كان قوله اثنين مفعول الحمل والمعنى احمل من الأزواج إذا كانت اثنين اثنين زوجين فالزوجان في قوله من كل زوجين يراد بهما الشياخ وليس يراد بهما الناقص عن الثلاثة ومثل ذلك قول الشاعر

فاعمد لما يعلو فما لك بالذي لا تستطيع من الأمور يدان

إنما يريد تشديد انتفاء قوته عنه وتكثيره ويبين هذا المعنى قول الفرزدق

وكل رفيقي كل رحل وإن هما تعاطى القنا قوماها اخوان

فرفيقان اثنان لا يكونان رفيقي كل رحل وإنما يريد الرفقاء إذا كانوا رفيقين ومن نون فقال من كل زوجين فحذف المضاف اليه من كل ونون فالمعنى من كل شيء ومن كل زوج زوجين اثنين فيكون انتصاب اثنين على انه صفة لزوجين فإن قلت فالزوجان قد فهم انهما اثنان فكيف جاز وصفها بقوله اثنين فإنما جاز ذلك للتأكيد والتشديد كما قال لا تتخذوا إلهين اثنين وقد جاء في غير هذا من الصفات ما مصرفه إلى التأكيد كقولهم أمس الدابر ونفخة واحدة ونعجة واحدة قال ومائة الثالثة الأخرى قال ابو علي ويجوز في قوله بسم الله مجربيا ومرساها ان يكون حالا من شيتين من الضمير الذي في قوله اركبوا ومن الضمير الذي في فيها فإن جعلت قوله بسم الله خبر مبتدأ مقدما في قول من لم يرفع بالظرف او جعلت قوله مجربيا مرتفعا بالظرف لم يكن قوله بسم الله مجربيا إلا جملة في موضع الحال من الضمير الذي في فيها ولا يجوز أن يكون من الضمير الذي في قوله اركبوا لأنه لا ذكر فيها يرجع إلى الضمير ألا ترى ان الظرف في قول من رفع بالظرف قد ارتفع به الظاهر وفي قول من رفع في هذا النحو بالابتداء قد جعل في الظرف ضمير المبتدأ فإذا كان كذلك خلت الجملة من ذكر يعود إلى ذي الحال من الحال وإذا خلا من ذلك لم يكن إلا حالا من الضمير الذي في فيها ويجوز أن يكون بسم الله حالا من الضمير الذي في قوله اركبوا على أن لا يكون الظرف خبرا عن الاسم الذي هو مجربيا على ما كان في الوجه الأول ويكون حالا من الضمير على حد قولك خرج بشيابه وركب في سلاحه والمعنى ركب مستعدا بسلاحه ومتبائبا بشيابه وفي التثنية وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به فكان المعنى اركبوا متبركين باسم الله ومتمسكين بذكر اسم الله ويكون في باسم الله ذكر يعود إلى الماء ورين فإن قلت فكيف يكون اتصال المصدر الذي هو مجربيا بالكلام على هذا فإنه يكون متعلقا بما في باسم الله من معنى الفعل وجاز تعلقه به لأنه يكون ظرفا على نحو مقدم الحاج وغفوق النجم كأنهم كانوا متبركين بهذا الاسم او متمسكين به في وقت الجري او الاجراء والرسو او الارساء على حسب الخلاف بين القراء فيه ولا يكون الظرف متعلقا باركبوا لأن المعنى ليس عليه الا ترى ان المعنى لا يراد اركبوا فيها في وقت الجري والثبات لما المعنى اركبوا الآن متبركين باسم الله في الوقتين اللذين لا ينفك الراكبون فيها من الاجراء والارساء ليس يراد اركبوا وقت الجري والرسو فموضع مجربيا نصب على هذا الوجه بأنه ظرف عمل فيه المعنى وفي الوجه الأول رفع بالابتداء او بالظرف ويبدل على انه في الوجه الأول رفع وإن كان ذلك الفعل الذي كان يتعلق به لا يعتبر به الآن قول الشاعر أنشد الأصمعي

بأبي أنت وفوك الأشنب كأننا زرّ عليه الزرنب

وحجة من فتح مجريها قوله وهي تجري بهم ولو كان مجريها لكان وهي تجريهم وحجة من ضم ان جرت بهم وأجرتهم يتقاربان في المعنى يقال جرى الشيء وأجريته وجريت به وأما قوله يا بني فقد قال ابو علي الكسري في اليا. الوجه في يا بني وذلك ان اللام من ابن يا. او واو حذفت في ابن كما حذفت في اسم وانين فلماذا حقرت الحقت يا. التحقير فلزم ان ترد اللام الذي حذفت لأنك لو لم تردها لوجب أن تحرك بالتحقير بحركات الاعراب وتعاقبا عليها وهي لا تحرك ابدا بحركة الاعراب ولا غيرها ألا ترى ان من حذف الهززة الساكن ما قبلها في نحو الحُب لم يفعل ذلك في الهز نحو اقياس (?) إنما يبدل من الهززة يا. ويدغم فيها يا. التحقير كما يفعل ذلك مع يا. خطية وواو مقرونة ونحو ذلك من حروف المد التي لا تتحرك فلماذا تبين ان يا. التحقير اجريت هذا المجري علمت انها لا تتحرك كما لا تتحرك حروف المد التي أجريت بالتحقير مجراها فلو لم ترد اللام مع يا. التحقير رجعتها محذوفة في التحقير كما حذفتها في التكبير للزم اليا. التي للتحقير الانقلاب كما لزم سائر حروف الاعراب فيبطل دلالتها على التحقير كما ان الألف في التفسير لو حركتها لبطلت دلالتها على التفسير ولذلك رددت اللام فلماذا رددت اللام وأضفتها إلى نفسك اجتمعت ثلاث يا.ات الأولى منها التي للتحقير والثانية لام الفعل والثالثة التي للاضافة تقول هذ بني فلماذا ناديت جاز فيها وجهان اثبات اليا. وحذفها فن قال يامبادي فأنبت بقياس قوله ان يقول بني ومن قال يامباد قال يابني فحذف اليا. التي للاضافة وأبقى الكسرة دالة عليها وهذا الوجه هو الجيد عندهم ومن قرأ يا بني بالفتح فالقول فيه انه أراد به الإضافة كما أرادها في قوله يا بني إذا كسر اليا. التي هي لام الفعل كأنه قال يا بني باثبات يا. الاضافة ثم ابدل من الكسرة الفتحه ومن اليا. الألف فصار يا بني كما قال الشاعر « يا بنت عما لا تلومي واهجمي » ثم حذف الألف كما كان حذف اليا. في يا بني وقد حذفت اليا. التي للاضافة إذ أبدلت الألف منها أنشد ابو الحسن

فلمست بمدرك ما فات مني بلهف ولا بليت ولا لواني

اناهر بلهفاء قال ابو عثمان ووضع الألف مكان اليا. في الاضافة مطرد واجازيا زيدا اقبل إذا أردت الاضافة فقال وعلى هذا قراءة من قرأ يا أبت لم تبدد ويا قوم لا أسألكم واهل جزع ان قلت وا ابتاهها واما من قرأ ونادى نوح ابنه فإنه أراد ابنها كما روي عن عكرمة والمعنى ابن امرأته لأنه قد جرى ذكرها في قوله سبحانه وأهلك فحذف الألف تخفيفا كما قلناه في بني بالفتح ويا أبت واما قراءة السدي ابنه فإنه يريد به الندبة وهو على الحكاية اي قال له يا ابنه ووا ابنه فأما ابنه بالسكون فعلى ما جاء في نحو قوله « ومطواي مشتاقان له ارقان »

اللغة

الفور الغليان واصله الارتفاع فار القدر يفور فورا وفوزرا وفوران ارتفع ما فيه بالغليان ومنه قولهم فعل ذلك من فوره اي من قبل ان يسكن والأرساء امساك السفينة بما تقف عليه يقال ارساها الله فرست قال منقرة

فصبرت نفسا عند ذلك حرة ترسو إذا نفس الجبان تطلع

والموج جمع موجة وهي قطعة عظيمة ترتفع عن جملة الماء الكثير والعصمة المنع

(الاعراب)

حتى متعلقة بقوله واصنع الفلك بأعيننا. لاعاصم ركب عاصم مع لافني لأنها بالتركيب صار كاسم واحد وقيل انه بني لتضمنه معنى من لأن هذا جواب هل من عاصم وحق الجواب ان يكون وفق السؤال فكان يجب ان يقول لا من عاصم إلا ان من حذفت وتضمن الكلام معناه فبني الاسم لذلك وهذا وجه حسن واليوم خبر العامل فيه المحذوف لا قوله عاصم لأنه لو عمل فيه عاصم اصار من صلته فكان يجب تنوينه لأنه يشبه المضاف كما تقول لا ضاربا زيدا في دارك ولم يقرأ احد لا عاصم اليوم وقيل ان خبره قوله . الله والتقدير لا إذا عصمة

كائن من أمر الله في اليوم واليوم معمول الظرف وان تقدم عليه كما جاز كل يوم لك ثوب ولا يجوز ان يتعلق
اليوم بنفس امر لأن امر مصدر فلا يتقدم عليه ما في صلته ومن رحم فيه ثلاثة اقوال ﴿احدها﴾ ان يكون
استثناء منقطعا لأن التقدير الا من رحمه الله فيكون من مفعولا واستثناء من عاصم وعاصم فاعل فكأنه قال
لكن من رحمه الله معصوم ﴿وثانيها﴾ ان يكون المعنى لا عاصم الا من رحمتنا فكأنه قال لا عاصم الا الله
﴿والثالث﴾ ان عاصم ههنا بمعنى معصوم وتقديره لا معصوم من أمر الله إلا من رحمه الله وقد يأتي فاعل بمعنى
مفعول كقوله في عيشة راضية اي مرضية وما دافق اي مدفون وقال الخطيب

دع المكارم لا ترحل لبيغيتها واقعد فانك انت العطاء الكاسي

اي المكسور وعلى القوائن الأخيرين يكون الاستثناء متصلا وقال ابن كيسان لما قال لا عاصم كان معناه
لا معصوم لأن في نفي العاصم نفي المعصوم ثم قال إلا من رحم فاستثناء على المعنى فيكون متصلا
- المعنى -

ثم اخبر سبحانه عن اهلاك قوم نوح فقال (حتى إذا جاء أمرنا) والمعنى فذلك حاله وحالهم حتى إذا جاء قضاؤنا
بنزول العذاب (وفار التنور) بالماء اي ارتفع الماء بشدة اندفاع وفي التنور اقوال ﴿اولها﴾ انه تنور الخابزة
وانه تنور كان لا دم فار الماء منه علامة لنوح (ع) اذ نبع الماء من موضع غير معهود فخروجه منه عن ابن عباس
والحسن ومجاهد ثم اختلف في ذلك فقال قوم ان التنور كان في دار نوح (ع) بعين وردة من ارض الشام وقال
قوم بل كان في ناحية الكوفة وهو المروي عن أنسنا (ع) وروي المفضل بن عمر عن ابي عبد الله (ع) في حديث
طويل قال كان التنور في بيت عجز مؤمنة في دير قبله مئنة مسجد الكوفة قال قلت فكيف كان بدخروج
الماء من ذلك التنور قال نعم ان الله احب ان يري قوم نوح آية ثم ان الله سبحانه ارسل عليهم المطر يفيض فيضا
وافاض الغرات فيضا وافاضت العيون كلها فيضا ففرقهم الله وانجى نوحا ومن معه في السفينة فقلت فكيف ابث نوح
في السفينة حتى نضب الماء فخرجوا منها فقال لبث فيها سبعة ايام بلباها فقلت له ان مسجد الكوفة لقديم فقال
نعم هو مصلى الانبياء ولقد صلى فيه رسول الله ﷺ حين اسري به الى السماء قال له جبرائيل (ع) يا محمد
هذا مسجد ابيك آدم ومصلى الانبياء فانزل فصل فيه فنزل فصلي فيه ثم ان جبرائيل (ع) عرج به الى
السماء وفي رواية اخرى ان السفينة استقلت بها فيها فجرت على ظهر الماء مائة وخمسين يوما بلباها وروي ابو
عبيدة الخذاء عن ابي جعفر (ع) قال مسجد كوفان وسطه روضة من رياض الجنة الصلاة فيه بسبعين صلاة صلى
فيه الف نبي وسبعون نبيا فيه فار التنور وجرت السفينة وهوسرة بابل ومجمع الانبياء عليهم السلام ﴿وثانيها﴾
ان التنور وجه الارض عن ابن عباس والزهري وعكرمة واختاره الزجاج ويونيد قوله وفجرنا الارض عيونا
﴿وثالثها﴾ ان معنى قوله وفار التنور طلوع الفجر وظهرت امارات دخول النهار وتقضي الليل من قواهم نور
الصبح تنويرا وروي ذلك عن علي (ع) ﴿ورابعها﴾ ان التنور اعلى الارض واشرفها والمعنى نبع الماء من الامكنة
المرتفعة فشبهت بالتناير لعلوها عن قتادة ﴿وخامسها﴾ ان فار التنور معناه اشتد غضب الله عليهم ووقعت
نقمتهم كما تقول العرب حمي الوطيس اذا اشتد الحرب وفار قدر القوم اذا اشتد حربهم قال الشاعر

يفور علينا قدرهم فنذبيها ونفثاؤها عنا اذا حميها غلا

يريد بالقدر الحرب ونذبيها نسكنها وهذا أبرد الاقوال من الاثر وحمل الكلام على الحقيقة التي تشهد بها
الرواية اولى (قلنا حمل فيها من كل زوجين اثنين) اي قلنا لنوح (ع) لما فار الماء من التنور حمل في السفينة من
كل جنس من الحيوان زوجين اي ذكر وانثى وقد ذكرنا المعنى في حجة القراءتين (واهلك) اي واحمل اهلك
وولدك (الا من سبق عليه القول) اي من سبق الوعد باهلاكه والاخبار بانته لا يؤمن وهي امراته الخائنة واسمها

واغلة وابنها كنعان (ومن آمن) أي واحمل فيها من آمن بلد من غير اهلك ثم اخبر سبحانه فقال (وما آمن من معه الا قليل) أي الا نفر قليل وهم ثمانون انسانا في قول الاكثرين وقيل اثنان وسبعون رجلا وامرأة وبنوه الثلاثة ونسأوهم فهم ثمانية وسبعون نفسا وحمل معه جسد آدم (ع) عن مقاتل وقيل عشرة انفس عن ابن اسحاق وقيل ثمانية انفس عن ابن جريج وقتادة وروى ذلك عن ابي عبد الله (ع) وقيل سبعة انفس عن الاعمش وكان فيهم بنوه الثلاثة سام وحام ويافث وثلاث كنانن لهم فالعرب والروم وفارس واصناف العجم ولد سام والسودان من الحبش والزنج وغيرهم ولد حام والترك والصين والصقالبة ويأجوج وماجوج ولد يافث (وقال اركبوا فيها) أي وقال نوح لمن آمن معه اركبوا في السفينة وفي الكلام حذف تقديره فلما فار التنور ووقف نوح على ما دله الله عليه من هلاك الكفار قال لأهله وقومه اركبوا فيها (بسم الله مجربها ومرسيها) أي متبركين باسم الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها ووقت ارسائها أي اثباتها وجسها وقيل معناه بسم الله اجرواها وارساؤها وقد ذكرنا تفسيره في الحجة وقال الضحاك كانوا اذا ارادوا ان تجري السفينة قالوا بسم الله مجربها فجرت واذا ارادوا ان تقف السفينة قالوا بسم مرسيها فوقفت (ان ربي لغفور رحيم) هذا حكاية عما قاله نوح لقومه ووجه اتصاله بما قبله انه لما ذكرت النجاة بالركوب في السفينة ذكرت النعمة بالمغفرة والرحمة لتجلبا باطاعة كما اجتلبت النجاة بركوب السفينة (وهي تجري بهم في موج كالجبال) معناه ان السفينة كانت تجري بنوح ومن معه على الماء في امواج كالجبال في عظمها وارتفاعها ودل بتشبيها بالجبال على ان ذلك لم يكن موجا واحدا بل كان كثيرا وروى عن الحسن ان الماء ارتفع فوق كل شيء وفوق كل جبل ثلاثين ذراعا وقال غيره خمسة عشر ذراعا وقيل ان سفينة نوح سارت لعشر مضين من رجب فسارت ستة اشهر حتى طافت الارض كلها لا تستقر في موضع حتى اتت الحرم فطافت بموضع الكعبة اسبوعا وكان الله سبحانه رفع البيت إلى السماء ثم سارت بهم حتى انتهت إلى الجودي وهو جبل بأرض الموصل فاستقرت عليه اليوم العاشر من المحرم وروى اصحابنا عن ابي عبد الله (ع) ان نوحا ركب السفينة في اول يوم من رجب فقام وأمر من معه أن يصوموا ذلك اليوم وقال من صام ذلك اليوم تباعدت عنه النار مسيرة سنة (ونادى نوح ابنه) كنعان وقيل ان اسمه يثم (وكان في منزل) أي في قطعة من الارض غير القطعة التي كان نوح فيها حين ناداه وقيل معناه كان في ناحية من دين أبيه أي قد اعتزل دينه وكان نوح يظن انه مسلم فلذلك دعاه وقيل كان في منزل من السفينة (يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين) دعا ابنه إلى أن يركب معه في السفينة ليسلم من الفرق قال الحسن كان يتناق اباه فلذلك دعاه وقال ابو مسلم دعاه بشرط الايمان ومعناه يا بني آمن بالله ثم اركب معنا ولا تكن على دين الكافرين وعلى القول الأول يكون معناه لا تتخلف مع الكافرين فتفرق معهم فأجابته ابنه (قال سأوي إلى جبل) أي سأرجع إلى مأوى من جبل (يعصني من الماء) ان ينمني من آفات الماء (قال) نوح (لا عاصم اليوم من امر الله إلا من رحم) أي لا مانع ولا دافع اليوم من عذاب الله إلا من رحمه الله بإيمانه فأمن بالله يرحمك الله (وحال بينها الموج فكان) أي فصار (من المفرقين)

قوله تعالى (٤٤) وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ

وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ آية

﴿ اللفة ﴾

البلغ اجراء الشيء في الخلق إلى الجوف والافتلاع اذهب الشيء من اصله حتى لا يرى له أثر يقال اقلعت السماء إذا ذهب مطرها حتى لا يبقى شيء منه واقلع عن الأمر إذا تركه رأسا

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه الحال بعد انتهاء الطوفان فقال (وقيل يا ارض ابلي ماءك) أي قال الله سبحانه للارض

انشفي ما لك الذي نبتت به العيون واشربي ما لك حتى لا يبقى على وجهك شيء منه وهذا اخبار عن ذهاب الماء من وجه الارض بأجزاء مدة فجرى مجرى ان قيل لما ابلعي فبلعت (وياسيا اقلعي) اي وقال تعالى للسما ياسيا امسكي عن المطر وهذا اخبار عن اقتشاع السحاب وانقطاع المطر في اسرع زمان فكانه قال لما اقلعي فأقلعت (وغيض الماء) اي ذهب به عن وجه الارض إلى باطنه والمعنى ونشفت الارض ماءها ويقال ان الارض ابتلعت جميع ماؤها وماء السماء لقوله وغيض الماء ويقال لم تبتلع ماء السماء لقوله ابلعي ما لك وان ماء السماء صار بحارا وانهارا وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلام (وقضي الأمر) اي وقع اهلاك الكفار على التلثم وفرغ من الأمر وقيل وقضي الأمر بنجاة نوح ومن معه (واستوت على الجودي) اي استقرت السفينة على الجبل المعروف قال الزجاج هو بناحية آمد وقال غيره بقرب جزيرة الموصل قال زيد بن عمرو بن نفيل

سبحانه ثم سبحانا يعود له وقبله سبح الجودي والجمد

وقال ابو مسلم الجودي اسم لكل جبل وارض صلبة وفي كتاب التوبة مسنداً إلى ابي بصير عن ابي الحسن علي بن موسى بن جعفر عليها السلام قال كان نوح لبث في السفينة ماشاء الله وكانت مأمورة فخلى سيلها فأوحى الله إلى الجبال اني واضع سفينة نوح على جبل منكن فتطاولت الجبال وشمخت وتواضع الجودي وهو جبل بالموصل فضرب جوجو السفينة الجبل فقال نوح عند ذلك يا ماريا اتقن وهو بالعربية يا رب اصلح وفي رواية أخرى يارهمان اتقن وتأويله يا رب احسن وقيل ارست السفينة على الجودي شهرا (وقيل بعدا للقوم الظالمين) اي قال الله تعالى ذلك ومعناه ابعد الله الظالمين من رحمته لا يرادهم أنفسهم مورد الهلاك وإنما انتصب على المصدر وفيه معنى الدعاء ويجوز ان يكون هذا من قول الملائكة او من قول نوح والمؤمنين وفي هذه الآية من بدائع الفصاحة وعجائب البلاغة ما لا يقاربه كلام البشر ولا يدانيه منها انه خرج مخرج الأمر وإن كانت الارض والسماء من الجداد ليكون أدل على الاقتدار ومنها حسن تقابل المعنى واتلاف الألفاظ ومنها حسن البيان في تصوير الحال ومنها الابدان من غير اخلال إلى غير ذلك مما يعلمه من تدبره وله معرفة بكلام العرب ومجاوراتهم ويروى ان كفار قريش أرادوا أن يتعاطوا معارضة القرآن فعكفوا على لباب البر ولحوم الضأن وسلاف الحمر اربعين يوما لتصفو أذهانهم فلما أخذوا فيما أرادوا سمعوا هذه الآية فقال بعضهم لبعض هذا كلام لا يشبه شيء من الكلام ولا يشبه كلام المخلوقين وتركوا ما أخذوا فيه وافترقوا

قوله تعالى (٤٥) وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٦) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِنَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْبَاطِلِينَ (٤٧) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنُ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٤٨) قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّمٌ سَنُنَبِّئُكُم بِمِثْلِهِم مِمَّا عَذَابَ الْآلِيمِ (٤٩) نَلَّكَ مِنَ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ الكسائي ويعقوب وسهل انه عمل غير صالح على الفعل ونصب غير والباقون عمل اسم مرفوع ممنون

غير بالرفع وقرأ ابن كثير فلا تسألن مشددة النون مفتوحة وقرأ ابو عمرو ويعقوب وسهل فلا تسألني خفيفة النون مشبهة الياء وقرأ اهل الكوفة خفيفة النون بغير ياء وقرأ أهل المدينة غير قالون فلا تسألني مشددة النون مشبهة الياء وقرأ ابن عامر وقالون فلا تسألن مشددة النون مكسورة بغير ياء

الحجة

قال ابو علي من قرأ انه عمل فنون فالمراد ان سواك ما ليس لك به علم عمل غير صالح ويحتمل ان يكون الضمير في انه لما دل عليه قوله اركب معنا ولا تكن مع الكافرين فيكون تقديره ان كوزك مع الكافرين وانحيازك اليهم وتركك الركوب معنا والدخول في جملتنا عمل غير صالح ويجوز أن يكون الضمير لابن نوح كأنه جعل عملا غير صالح كما يجعل الشيء الشيء لكثرة ذلك منه كقولهم الشعر زهير او يكون المراد انه ذو عمل غير صالح فحذف المضاف ومن قرأ انه عمل غير صالح فيكون في المعنى كقراءة من قرأ انه عمل غير صالح وهو يجعل الضمير لابن نوح وتكون القراءتان متفقتين في المعنى وإن اختلفتا في اللفظ ومن ضعف هذه القراءة بأن العرب لا تقول هو يعمل غير حسن حتى يقولوا عمل غير حسن فالقول فيه انهم يقيمون الصفة مقام الموصوف عند ظهور المعنى فيقول القائل قد فعلت صوابا وقلت حسنا يعني فعلت فعلا صوابا وقلت قولاً حسناً قال عمر بن ابي ربيعة

أبها القائل غير الصواب خر النصح واقل عتاي

وقال ايضا

وكم من قتيل ما يناء به دم ومن علق وهن إذا لفه منا
ومن مالي عينيه من شيء غيره اذا راح نحو الجرة البيض كالدمي

اراد وكم من انسان قتيل ونظائره كثيرة ومن قرأ فلا تسألن بفتح اللام ولم يكسر النون عدى السؤال إلى مفعول واحد في اللفظ والمعنى على التعدى إلى مفعول ثان ومن كسر النون هاهنا فإنه يدل على تعدية السؤال إلى مفعولين ﴿احدهما﴾ اسم المتكلم والآخر اسم الموصول وحذفت النون المتصلة بياء المتكلم لاجتماع التواتر كما حذفت النون من قولهم انى كذلك وكما حذفت النون من قوله «يسوء الغاليات إذا فليتي» وأما اثبات الياء في الرصل فهو الأصل وحذفها اخف والكسرة تدل عليها

الاعراب

قوله ما ليس لك به علم يحتمل قوله به في الآية وجهين ﴿احدهما﴾ أن يكون كقوله «كان جزائي بالعصا ان اجلداه» إذا قدمت بالعصا وكقوله وكنوا فيه من الزاهدين وإني لكما لمن الناصحين وانا على ذلكم من الشاهدين وزعم ابو الحسن أن ذلك إما يجوز في حروف الجر والتقدير فيه التعليق بضمير يفسره هذا الذي ظهر بعد وإن كان لا يجوز تسلطه عليه ومثل ذلك قوله يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين فانصب يوم يرون بما دل عليه لا بشرى يومئذ ولا يجوز لما بعد لا هذه ان يتسلط على يوم يرون وكذلك اني لكما لمن الناصحين متعلق بما دل عليه النصح المظهر والتقدير اني ناصح لكما لمن الناصحين وكذلك به في قوله ما ليس لك به علم يتعلق بما يدل عليه قوله علم الظاهر وان لم يجوز أن يعمل فيه والوجه الآخر أن يكون متعلقا بالمستقر وهو العامل فيه كمتعلق الظرف بالمعاني كما تقول ليس لك فيه رضا فيكون به في الآية بمثابة في العلم المثيق الذي يعلم به الشيء على الحقيقة ليس العلم الذي يعلم به الشيء على ظاهره كالذي في قوله فلن علمتموهن يومئذ ونحو ما يعلمه الحاكم بشهادة الشاهدين وقرار المقر بما يدعي ونحو ذلك مما يعلم به العلم الظاهر الذي يسع الحاكم احكام بالشيء معه تلك من انباء الغيب تلك مبتدأ ومن انباء الغيب الخبر ونوحها اليك خبر ثان وإن شئت كان في موضع الحال اي تلك كائنة من انباء الغيب وروحة اليك وان شئت كان تلك مبتدأ ونوحها الخبر والجار

من صلة نوحها أي تلك نوحها اليك من انباء الغيب ولا يجوز أن يكون من زيادة على تقدير تلك انباء الغيب لأنها لا تتراد في الموجب ويجوز على قول الأخص

« المعنى »

ثم حكى سبحانه تمام قصة نوح (ع) فقال (ونادى نوح ربه) ندا. تعظيم ودعاء (فقال رب إن ابني من اهلي وإن وعدك الحق) معناه يا مالكي وخالقي ورازقي وعدتني بتنجية اهلي وإن ابني من اهلي وإن وعدك الحق لا خلف فيه فنجبه إن كان ممن وعدتني بنجاته (وأنت احكم الحاكمين) في قولك وفعلك (قال) الله سبحانه (يانوح انه ليس من اهلك) وقد قيل في معناه أقوال ﴿ احدها ﴾ انه كان ابنه لصلبه والمعنى انه ليس من اهلك الذين وعدتكم بنجاتهم معك لان الله سبحانه قد استثنى من اهله الذين وعده ان ينجيهم من أراد اهلاكم بالفرق فقال إلا من سبق عليه القول عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك وعكرمة واختاره الجاثي ﴿ وثانيها ﴾ ان المراد بقوله ليس من اهلك انه ليس على دينك فكان كفره اخبره عن ان يكون لاحكام اهله عن جماعة من المفسرين وهذا كما قال النبي عليه وآله السلام سلمان منا اهل البيت وإنما أراد على ديننا وروى علي بن مهزيار عن الحسن بن علي الوشاء عن الرضا (ع) قال قال ابو عبد الله (ع) ان الله تعالى قال لنوح انه ليس من اهلك لأنه كان مخالفا له وجعل من اتبعه من اهله ويؤيد هذا التأويل ان الله سبحانه قال على طريق التعليل إنه عمل غير صالح فبين انه إنما خرج عن احكام اهله لكفره وسوء عمله وروى عن عكرمة انه قال كان ابنه ولكنه كان مخالفا له في العمل والنية فمن قيل انه ليس من اهلك ﴿ وثالثها ﴾ انه لم يكن ابنه على الحقيقة وإنما ولد على فراشه فقال (ع) انه ابني على ظاهر الامر فاعلمه الله تعالى أن الامر بخلاف الظاهر ونبهه على خيانة امرأته عن الحسن ومجاهد وهذا الوجه بعيد من حيث ان فيه منافاة القرآن لانه تعالى قال ونادى نوح ابنه ولان الانبياء يجب ان ينزهوا عن مثل هذه الاحال لأنها تعير وتشين وقد نزه الله انبياءه عما دون ذلك توقيرا لهم وتعظيما عما ينفر من القبول منهم وروى عن ابن عباس انه قال ما زنت امرأة نبي قط وكانت الحيانة من امرأة نوح انها كانت تنسبه إلى الجنون والحيانة من امرأة لوط انها كانت تدل على اضيافه ﴿ ورابعها ﴾ انه كان ابن امرأته وكان ربيبه ويعضده قراءة من قرأ ابنه بفتح الهاء وابنها والمعتمد المعول عليه في تأويل الآية القولان الأولان (انه عمل غير صالح) قد ذكرنا الوجه في القراءتين واختار المرتضى (رض) في تأويله ان التقدير ان ابنك ذو عمل غير صالح واستشهد على ذلك بقول الحسن

ما ام سقب على بو تطيف به قد ساعدتها على التحنان اظنار

ترتع ما رعت حتى اذا اذكرت فإنما هي اقبال وادبار

أرادت فإنما هي ذات اقبال وادبار قال ومن قال ان المعنى إن سر آلك اياي ما ليس لك به علم عمل غير صالح فإن من امتنع من أن يقع على الأنبياء شيء من القبائح يدفع ذلك فإذا قيل له فلم قال (فلا تسألن ما ليس لك به علم) وكيف قال نوح رب إني اعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم قال لا يتنبع أن يكون نهي عن سؤال ما ليس لك به علم وإن لم يقع منه وإن يكون تعوذ من ذلك وإن لم يوقعه كما نهي الله سبحانه نبيه عن الشرك في قوله إني اشركت ليجبطن عملك وإني اعوذ بك من ذلك منه وإنما سأل نوح (ع) نجاة ابنه بشرط المصاحبة لا على سبيل التقطع فلما بين الله تعالى ان المصاحبة في غير نجاته لم يكن ذلك خارجا عما تضمنه السؤال وقوله (إني اعطتك) أي احذرك والوعظ الدعاء إلى الحسن والجزر عن الفحش على وجه الترهيب والترهيب (أن تكون من الجاهلين) معناه لا تكن منهم قال الجاثي يعني اني اعطتك مثلا تكون من الجاهلين ولا شك ان وعظه سبحانه بصرف عن الجهل وينزه عن التقبيل (قال ابو ج منه ذلك) رب إني اعوذ بك أن أسألك ما ليس

لي به علم) اي اعتصم بك ان اسألك ما لا اعلم انه صواب وانك تعلمه ومعنى العياذ بالله الاعتصام به طلبا للتجاة ومعناه هنا الخضوع والتذلل لله سبحانه ليوقفه ولا يكله إلى نفسه وإنما حذف يا من قوله رب وابنه في قوله يا نوح لأن ذلك نداء تعظيم وهذا نداء تنبيه فوجب ان يأتي بحرف التنبيه (وايلا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين) وإنما قال ذلك على سبيل التخشع والاستكانة لله تعالى وإن لم يسبق منه ذنب ثم حكي الله سبحانه ما أمر به نوحا حين استقرت السفينة على الجبل بعد خراب الدنيا بالطوفان فقال (قيل يا نوح اهبط) اي انزل من الجبل او من السفينة (سلام منا) اي سلامة منا ونجاة وقيل بتحية وتسلم منا عليك (وبركات عليك) اي ونعم دائمة وخيرات نامية ثابتة حالا بعد حال عليك (وعلى أمم ممن معك) يعني الأمم الذين كانوا معه في السفينة من المؤمنين والأمة الجماعة الكثيرة المتفقة على ملة واحدة وقيل معناه وعلى أمم من ذرية من معك وقيل يعني بالأمم سائر الحيوان الذين كانوا معه لأن الله تعالى جعل فيها البركة (وأمم ستمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم) معناه انه يكون من نسلهم أمم ستمتعهم في الدنيا بضروب من النعم فيكفرون ونهلكهم ثم يمسهم بعد الهلاك عذاب مؤلم وإنما ارتفع أمم لأنه استأنف الاخبار عنهم وروي عن الحسن انه قال هلك المتمتعون في الدنيا لأن الجهل يغلب عليهم والقللة فلا يتفكرون إلا في الدنيا وعمارتها وملذاتها ثم اشار سبحانه إلى ما تقدم ذكره من اخبار قوم نوح فقال (تلك) اي تلك الأنبا (من انباء الغيب) اي من اخبار ما غاب عنك معرفته ولو قال ذلك كان جائزا لأن المصادر قد بكفى عنها بالتذكير كما بكفى بالتأنيث بقولون قدم فلان ففرحت بها اي بقدمته وفرحت به اسية بقدومه (نوحيا اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا) اي ان هذه الاخبار التي اعلنا كما لم تكن تعلمها انت ولا قومك من العرب يعرفونها من قبل إيماننا اليك لأنهم لم يكونوا اهل كتاب وسير وقيل من قبل هذا القرآن وبيان القصص فيه (فاصبر) اي فاصبر على القيام بأمر الله وعلى أذى قومك يا محمد كما صبر نوح على أذى قومه وهذا أحد الوجوه التي لأجلها كرر الله قصص الأنبياء عليهم السلام ليصبر النبي ﷺ على ما كان يقاسيه من أمور الكفار الجهال حالا بعد حال (ان العاقبة للمتقين) اي ان العاقبة الحمودة وخالفة الخير والنصرة للمتقين كما كانت لنوح (ع)

قوله تعالى (٥٠) وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ (٥١) يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٥٢) وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُورًا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (٥٣) قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (٥٤) إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنْ أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٥٥) مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُوْنِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ (٥٦) إِنِّي نَوَّكْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنْ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٧) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوْنَهُ شَيْئًا إِنْ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٥٨) وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٩) وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ

وأتبعوا أمر كل جبار عنيد (٦٠) وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ألا إن عاداً
كفروا ربهم ألا بعداً لعاد قوم هود إحدى عشرة آية كوفي وعشر في الباقيين عدالكوفي
ما نشر كون آية

اللغة

الفطر الشق عن أمر الله كما ينفطر الورق عن الشجر ومنه فطر الله الخلق لأنه بمنزلة ماشق عنه فظهر المدار
الدار الكثير المتتابع على قدر الحاجة إليه دون الزائد المفسد المضر ومفعول للمبالغة كقولهم معطار ومقداموا تراك
من قولهم عراه يعروه إذا أصابه قال الشاعر [من القوم يعروه اجترأ ومأثم] والفرق بين الإظهار والتأخير ان
الإظهار امهال لينظر صاحبه سبب امره والتأخير خلاف التقديم والناصية قصاص الشعر واصله الاتصال من
قولهم مفازة تناصي مفازة إذا كانت الأخيرة متصلة بالأولى قال «في تناصيها بلاد في» وقال ابو النجم

ان يميس رأسي اشمط العناصي كأنما فرقه المناصي

أي يجاذب ليتصل به في مرة . العنيد العاقب الطاغى عند بعند عنوداً إذا تجبر وعند عن الأمر إذا حاد
عنه فهو عائد وعنود

(الاعراب)

أخام نصب بتقدير ارسلنا كأنه قال وارسلنا إلى عاد أخام وهوذا عطف بيان وعاد مصروف لأن المراد به
الحي وقد يقصد به القبيلة فلا يصرف قال

لو شهد عاد في زمان عاد لاقبرها مبارك الجلال (?)

غيره من ضم الراء حمل الصفة على الموضع ومن جره حمله على اللفظ قوله ان تقول إلا اعتراضك بعض آلتنا
بسوء وقال صاحب كتاب كشف الجامع التحوي ان حرف تقي لحقت قول فنفت جميع القول إلا قولاً واحداً
وهو قولهم اعتراضك بعض آلتنا بسوء والتقدير ما تقول قولاً إلا هذه المقالة والفعل يدل على المصدر وعلى الظرف
وعلى الحال ويجوز ان يذكر الفعل ثم يستثنى من مدلوله ما دل على المصدر والظروف والأحوال فنقول
اعتراضك مستثنى من المصدر الذي دل عليه تقول كقوله تعالى أفما نحن بميتين إلا موتنا الأولى فنصب موتنا
على الاستثناء لأنه مستثنى من ضروب الموت الذي دل عليه قوله بميتين وبما جاء من ذلك في الظروف قوله ويوم
نحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار فساعة استثناء مما دل عليه بلبثوا من الأوقات وبما جاء من ذلك في
الحال قوله ضربت عليهم الذلة أينما تقفوا إلا بجمل من الله التقدير ضربت عليهم الذلة في جميع الأحوال أينما
تقفوا. إلا شمسكين بجمل اي بعهد من الله انتهى كلامه وقوله فإن تولوا تقديره فإن تتولوا فحذف إحدى النائين
لدلالة الكلام عليه وقوله بعداً لعاد منصوب على المصدر اي ابعدهم الله بعداً فوق بعداً موقع ابعاد كما وقع نبات
موقع انبات في قوله والله ابتكم من الارض نباتا

(المعنى)

ثم عطف سبحانه قصة هود على قصة نوح فقال (وإلى عاد أخاهم هوداً) أراد أخاهم في النسب دون الدين
(قال يا قوم اعبدوا الله) وحده وأطيعوه دون الأصنام (ما لكم من إله غيره) دخول من يفيد التعميم هي
ان يكون لهم معبود يستحق العبادة غير الله عز اسمه (إن أنتم إلا مقترون) اي ما أنتم إلا كاذبون في قولكم
إن الأصنام آلهة (يا قوم لا أسألكم عليه أجراً) اي لست اطلب منكم على دعائي لكم إلى عبادة الله جزاء

(إن أجري إلا على الذي فطرني) أي ليس جزئي إلا على الله الذي خلقني (أفلا تعقلون) عني ما أقول لكم فتعلمون أن الأمر على ما أقوله (ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه) قد بينا وجه تقديم الاستغفار على التوبة في أول هذه السورة (يرسل السماء عليكم مدراراً) أي يرسل المطر عليكم متتابعاً متواتراً داراً وقيل أنهم كانوا قد اجذبوا فوجدوه هود أنهم إن تابوا انصبت بلادهم و مرعت وهادهم وأثرت اشجارهم وزكت ثمارهم ينزل الغيث الذي يعيشون به وهذا مثل قوله ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب (ويزدكم قوة لى قوتكم) فسرت القوة هنا بالمال والولد والشدة. كل ذلك مما يتقوى به الانسان قال علي بن عيسى يريد عزاً لى عزكم بكثرة عددكم و أموالكم وقيل قوة سبب إيمانكم لى قوة ابدانكم (ولا تتولوا) عما أدعوك إليه (عجربين) أي مشركين كافرين (قالوا يا هود ما جئنا ببينة) أي بحجة ومعجزة تبين صدقك (وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك) أي لسنا بتاركى عبادة الأصنام لأجل قولك وقيل ان عن جعلت مكان الباء فمعناه بقولك (وما نحن لك بمؤمنين) أي مصدقين وإنما حملناه على دفع البينة مع ظهورها اشياء منها تقليد الآباء والرؤساء ومنها اتقائهم لمن جاء بها حيث لم ينظروا فيها ومنها انه دخلت عليهم المشبهة في صحتها ومنها اعتقادهم لأصول فاسدة دعيتهم إلى جدها وإنما حملناه على عبادة الأوثان اشياء منها اعتقادهم ان عبادتها تقربهم إلى الله زلفى ومنها ان الشيطان ربما اتى اليهم ان عبادتها تحطيمهم في الدنيا ومنها انهم ربما اعتقدوا مذهب المشبهة فاتخذوا الأوثان على صورته عندهم فعبدها (إن تقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) هذا تمام الحكاية عن قوم هود جواباً لهود. معنى لسنا نقول فيك إلا انه اصابتك بعض آلهتنا بسوء فحبل عقلك لثمتك لها وسبك ابائها ذهب اليه ابن عباس ومجاهد (قال) أي قال هود لقومه (إني اشهد الله شهدوا) أي وأشهدكم ايضاً بعد اشهاد الله (إني بري ما تشركون من دونه) أي إن كنتم تزعمون أن آلهتكم عاقبتى لطعني عليا فأني على بصيرة في البراءة ما تشركونه مع الله من آلهتكم التي تزعمون انها اصابتى بسوء وإنما اشهدهم على ذلك وإن لم يكونوا اهل شهادة من حيث كانوا كفاراً فاسافاً إقامة للحجة عليهم لا لتقوم الحجة بهم فقال هذا القول اذاراً وانذاراً وقيل انه أراد بقوله اشهدوا واعلموا كما قال شهد الله اسيء على الله (فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون) أي فاحتالوا واجتهدوا انتم وآلهتكم في انزال مكروه بي ثم لا تنهلوني قال الزجاج وهذا من اعظم آيات الانبياء أن يكون الرسول وحده. منه متعانة عليه فيقول لهم كيدوني فلا يستطيع واحد منهم خسره وكذلك قال نوح لقومه فاجمعوا مركبكم وشركاءكم الآلة وقال بينا ^{بِئْسَ مَا كَفَرْنَا بِهِ} فإن كان لكم كيد فكيدون ومثل هذا القول لا يصدر إلا ممن هو وثق بنصر الله وبأنه يحفظه عنهم وبمعصمه منهم ثم ذكر هود (ع) هذا المعنى فقال (إني توكلت على الله ربي وربكم) اسيء فوضت امري إلى الله سبحانه متمسكاً بطاعته تاركاً لمعصيته وهذا هو حقيقة التوكل على الله سبحانه (ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها) اسيء ما من حيوان يدب على وجه الأرض إلا وهو مالك لها بصرفها كيف يشاء. ويقهرها جعل الأخذ بالناصية كتابة عن القهر والقدرة لأن من اخذ بناصية غيره فقد قهره وأذله (إن ربي على صراط مستقيم) أي انه سبحانه مع كونه قاهراً على عدل فيما يعامل به عباده والمعنى انه بعدل ولا يجور وقيل معناه إن ربي سبب تدبير عباده على طريق مستقيم لا عوج فيه ولا اضطراب فهو يجري على سبيل الصواب ويقبل ما يقتضيه الحكمة (فإن تولوا) هذا حكاية عما قاله هود (ع) لقومه والمعنى فإن تولوا ويجوز ان يكون حكاية عما قاله سبحانه لهود والمعنى فإن تولوهم (ف) قل لهم (قد ابغضتكم ما ارسلت به اليكم) أي ليس ذلك لتقصير مني في بلائكم وإنما هو لسوء اختياركم في عر ضركم عن نصحي فقد ابغضتكم جميع ما اوحى إلي (ويستخلف ربي قوماً غيركم) أي ويهلككم ربي بكممكم ويستبدل بكم قوماً غيركم يوحدهم ويهدونهم (ولا تضرونه شيئاً) يعني إذا استخلف غيركم فجعلهم بدلا منكم لا تقدر ان له على ضرر وقيل معناه لا تضرونه بتوليكم

واعراضكم شيئاً ولا ضرر عليه في اهلاككم لأنه لم يخالفكم حاجة منه اليكم (إن ربي على كل شيء حفيظ) يحفظه من الهلاك إن شاء وبهلكه إذا شاء وقيل معناه إن ربي يحفظني عنكم وعن إذاكم وقيل معناه إن ربي على كل شيء من أعمال عباده حفيظ حتى يجازيهم عليها (ولما جاء امرنا) بهلاك عاد (نجينا هوداً والذين آمنوا معه) من الهلاك وقيل انهم كانوا اربعة آلاف (برحمة منا) أي بما أريناهم من الهدى والبيان عن ابن عباس وقيل برحمة منا أي بتعمه منا وهي النجاة أي أنجيتهم برحمة ليعلم انه عذاب اريد به الكفار لا اتفاق وقوع (ونجيتهم من عذاب غليظ) أي كما نجيتهم من عذاب الدنيا نجيتهم من عذاب الآخرة والغليظ الثقيل العظيم ويحتمل أن يكون هذا صفة للعذاب الذي عذب به قوم هود ثم ذكر سبحانه كفر عاد فقال (وتلك) أي وتلك القبيلة (عاد جحدوا بأيات ربهم) يعني معجزات هود الدالة على صحة نبوته (وعصوا رسله) وإنما جمع الرسل وكان قد بعث اليهم هود لأن من كذب رسولا واحداً فقد كفر بجميع الرسل ولأن هوداً كان يدعوهم إلى الإيمان به وبمن تقدمه من الرسل وما انزل عليهم من الكتب فكذبوا بهم جميعاً فلذلك عصوه (واتبعوا أمر كل جبار عنيد) أي واتبع السفلة والسقاط الرؤساء وقيل إن الجبار من يقتل ويضرب على غضبه والعنيد الكثير العناد الذي لا يقبل الحق (واتبعوا سيفه هذه الدنيا لعنة) أي واتبع عاداً بعد اهلاككم في الدنيا بالابعاد عن الرحمة فإن الله تعالى ابعدهم من رحمته وتعبد المؤمنین بالدعاء عليهم باللعن (ويوم القيامة) أي وفي يوم القيامة يبعدهم من رحمة الله كما بعدوا في الدنيا منها ويلعنون بأن يدخلوا النار فإن اللعنة الدعاء بالابعاد من قولك لعنة إذا قال عليه لعنة الله وأصله الابعاد من الخسیر (ألا) ابتداء وتنبیه (إن عاداً كفروا ربهم) أراد برهم فحذف الباء كما قالوا امرتكم الخیر ای بالخیر (ألا بعداً لعاد قوم هود) أي أبعدهم الله من رحمته فبعدهوا بعداً

قوله تعالى (٦١) وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ ثُمَّ تَوَبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ (٦٢) قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٦٣) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَإِنِّي مِنَ اللَّهِ بِرَحْمَةٍ مِمَّنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ (٦٤) وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تِلْكَ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسَوْءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ (٦٥) فَعَقَرُوهَا وَقَالَ تَمْتَعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرُ مُكَذَّبٍ (٦٦) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (٦٧) وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَائِعِينَ (٦٨) كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لثَمُودَ ثماني آيات

﴿ القراة ﴾

قرأ أهل المدينة غير اسماعيل والكسائي والبرجمي والشموخي عن أبي بكر عن عاصم ومن خزري يومئذ يفتح الميم ههنا وعذاب يومئذ في المعارج والباقر بكسر الميم على الإضافة وقرأ حمزة وحفص عن عاصم ويعقوب إلا إن ثمود غير منون في جميع القرآن وقرأ الباقون ثموداً بالتثنية ههنا وفي الفرقان والعنكبوت والنجم لأنه مكتوب

بالألف في هذه المواضع واو بكر عن عاصم يقرأ وثود في والنجم بغير تنوين وبنون الباقي وروى عنه البرجي
ومحمد بن غالب عن الأعشى في والنجم بالتنوين ايضا وقرأ الكسائي وحده أبا بعدا لشمود بالجر والتنوين والباقون
لشمود بفتح الدال

-(الحجة)-

قال ابو علي قوله ومن خزري يومئذ يوم في قوله يومئذ ظرف فتحت او كسرت في المعنى إلا انه اتسع فيه
فجعل اسما كاتسع في قوله بل مكر الليل والنهار فأضيف المكر اليها وإنما هو فيها فكذلك العذاب والخزري
والفزع في قوله من فزع يومئذ اضفن إلى اليوم والمعنى على ان ذلك كله في اليوم كما ان المكر في الليل والنهار
بدلك على ذلك قوله وللعذاب الآخرة أخزى وقوله لا يميزهم الفزع الاكبر وقوله ففزع من في السموات ومن في
الارض وقوله ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيتنا واما من كسر الميم من يومئذ فلان يوما اسم معرب فأضيف
اليه ما أضيف من العذاب والخزري والفزع فانجر بالاضافة ولم يفتح اليوم فتبنيه لاضافته إلى المبني لأن المضاف
منفصل من المضاف اليه ولا يلزمه الاضافة فلما لم يلزم الاضافة المضاف لم يلزم فيه البناء بدلك على ذلك انك
تقول ثوب خز ودار زيد فلا يجوز فيه إلا الاعراب وإن كان الاسان جملا بمعنى الحرف فلم يلزمها البناء كما
يلزم ما لا ينفك منه معنى الحرف نحو اين وكيف ومتى فلما لم يبين المضاف للاضافة وإن كان قد عمل عمل الحرف
من حيث كان غير لازم كذلك لم يبين يوم للاضافة الى اذ لأن اضافته لم تلزم كما لم يبين المضاف وإن كان
قد عمل في المضاف اليه بمعنى اللام او بمعنى من لما لم تلزم الاضافة واما من فتح فقال من عذاب يومئذ ومن
خزري يومئذ فتتح مع انه في موضع جر فلان المضاف بكسبي من المضاف اليه التعريف والتكبير ومعنى الاستفهام
والجزاء في نحو غلام من تضرب وغلام من تضرب اضربه والنهي في نحو قولهم ما اخذت باب دار احد فلما كان
يكسبي من المضاف اليه هذه الاشياء اكسب منه الاعراب والبناء ايضا اذا كان المضاف من الأسماء الشائعة
نحو يوم وحين ومثل وبشبه بهذا الشيع الأسماء الشائعة المبنية نحو اين وكيف ولو كان المضاف مخصوصا نحو
رجل وغلام لم يكسب منه البناء كما اكسب منه الاسماء الشائعة فمما جاء من ذلك قوله

على حين عابت المشيب على الصبا وقلت ألما اصح والشيب وازع

ومن ذلك قوله انه لحق مثل ما انكم تنطقون فمثل في موضع رفع في قول سيبويه وقد جرى وصفا على
النكرة إلا انه فتح للاضافة إلى ما ومن ذلك قول الشاعر

وتداعي منخراه بدم مثل ما أثر حماض الجبل

لما اضاف مثل إلى المبني وكان اسما شائعا بناء ولم يعربه وذهب ابو عثمان إلى انه جعل مثلا مع ما بمنزلة اسم
واحد فبنى مثلا على الفتح ولا دلاله قاطعة على هذا القول في هذا البيت وإن كان ما ذهب اليه مستقيا فاما الكسرة
في إذ فالتقاء الساكنين وذلك ان إذ من حكها أن تضاف الى الجملة من الاجداء والخبر فلما اقتطعت عنها
الاضافة نوت ليدل التنوين على ان المضاف اليه قد حذف فكسرت الذال لسكونها وسكون التنوين وقال
في صرف ثود وترك صرفه ان هذه الأسماء التي تجري على القبائل والاحياء على ضروب * احدعا * أن
يكون اسما للحي والاب * والآخر * ان يكون اسما للقبيلة * والثالث * ان يكون الغالب عليه الأب والحي
والقبيلة * والرابع * أن يستوي ذلك في الاسم فيجري على الوجهين ولا يكون لأحد الوجهين مزية على الآخر
في الكثرة فمما جاء على انه اسم الحي قولهم ثقيف وقريش وكل ما لا يقال فيه بنو فلان واما ما جاء اسما للقبيلة
فنحو تميم قالوا تميم يستمر قال سيبويه سمعناهم يقولون قيس ابنة غيلان وتميم صاحبة ذلك وقالوا تغلب ابنة وائل قال

لولا فوارس تغلب ابنة وائل نزل العدو عليك كل مكان

واما ما غلب عليه اسم الحياء القبيلة فقد قالوا باهلة بن اعصر وقالوا يعصر وباهلة اسم امرأة قال سيبويه ولكنه جعل اسم الحياء ومجوس لم يجعل إلا اسم القبيلة وتميم اكثرهم يجعله اسم القبيلة ومنهم من يجعله اسم الأب فأما ما استوى فيه ان يكون اسما للقبيلة وان يكون اسما للحي فقال سيبويه هو ثمود سبأ فها مرة للقبيلتين ومرة للحيين وكثرتها سواء قال وعاداً وثموداً وقال الا ان ثمودا كفروا ربهم وقال وآتينا ثمود الناقة فلماذا استوى في ثمود ان يكون مرة للقبيلة ومرة للحي فلم يكن لحمله على احد الوجهين مزية في الكثرة فمن صرف في جميع المواضع كان حسناً ومن لم يصرف في جميع المواضع كان حسناً وكذلك ان صرف في موضع ولم يصرف في موضع آخر إلا انه لا ينبغي ان يخرج عما قرأت به القراء فإن القراءة سنة متبعة ومن ذلك قول الشاعر

كسا الله حي تغلب ابنة وائل من اللوم اظفارا بطيئا نصولها

فقال حي ثم قال ابنة وائل فجمع بين الحي والقبيلة وأما قوله

أو لك اولى من يهود مدحة إذا انت يوما قلتها لم توب

فقد قامت الدلالة على أن يهود استعملت على انها للقبيلة وليس للحي في قوله أو لك اولى من يهود لأن يهود لو كان للحي لصرف وانشدا ابو الحسن

فرت يهود واسلمت جيرانها صعى لما فعلت يهود صام

وكذلك جاء في الحديث تقسم يهود ومثل يهود في هذا مجوس في قول الشاعر «كنار مجوس تستعراستعاره» إلا ترى انه لو كان للحي دون القبيلة لانصرف

اللغة

الإشياء إيجاد ابتداء من غير استعانة بشيء من الاسباب وانما فلان حديثا او شعرا والاستعارة جعل القادر يعمر الأرض كعمارة الدار ومنه العمري في الفقه وهو أن يقول اعطيتك هذه الدرا عمري او عمرك واللمس بمعنى وفرق علي بن عيسى بينها بأن المس قد يكون بين جمادين واللمس لا يكون إلا بين حيين لما فيه من الادراك والجنوم السقوط على الوجه وقيل هو القعود على الركبة وغني بالمكان إذا أقام به والمعنى للمتلزل قال النابغة

غنيت بذلك إذ هم لك جيرة منها بعطف رسالة وتودد

وأصل الغنى الاكتفاء ومنه الغنى بالمال والغناء بالمذ الصوت الذي يكتمى به والغناء الاكتفاء بحال الشيء ومنه غني بالمكان لا كغنيته بالإقامة فيه

الإعراب

أرأيت لا مفعول له هيتا لأنه معلق كما يعلق إذا دخل الجملة لام الابتداء في مثل قوله قد رأيت لزبد خير منك فكذلك الجزاء وجواب انت الأولى الغاء وجواب ان الثانية محذوف وتقديره ان عصيته فمن ينصرفي إلا انه استغنى بالأول فلم يظهر ومن ينصرفي صورته صورة الاستفهام ومعناه النبي فكأنه قال فلا ناصر لي من الله ان عصيته وإنما جاز الغاء رأيت هنا لأنها دخلت على جملة قائمة بنفسها من جهة انها تفيد لو انتردت عن غيرها وهو يتعلق بمعناها دون تفصيل لفظها وقوله فيأخذكم جواب النهي بالغاء ولذلك نصبه وتقديره لا يقع منكم مسها بسوء فإن يأخذكم عذاب قريب أي فأخذ عذاب عاجل اياكم واياهم أصله ابوام قلبت الواو ياء وادغمت الياء الأولى فيها

* المعنى *

ثم عطف سبحانه على ذلك قصة صالح فقال (واولى ثمود اخاهم صالحا) وكان ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام وكان عاد باليمن عن الجبالي (فقال لهم) صالح (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من دونه غيره) مضي تفسيره (هو انشاكم من الارض) أي ابتدا خلقكم من الارض لانه خلق آدم من الارض ومرجع نسبكم اليه (واستعمركم فيها) أي جعلكم عمار الارض بان مكنتكم من عمارتها واحوجكم الى السكنى فيها وقيل معناه وعمارها لكم مدة اعماركم من العمري عن مجاهد وقيل معناه واطال فيها اعماركم عن الضحاك قال وكانت اعمارهم من ألف سنة الى ثلاثمائة سنة وقيل معناه امركم من عمارتها بما تحتاجون اليه من المساكن والزراعات وغرس الأشجار وفي هذا دلالة على فساد قول من حرم المكاسب لانه سبحانه ممن على عباده بان مكنتهم من عمارة الارض ولو كان ذلك محرما لم يكن لذلك وجه (فاستغفروهم ثم نبوا اليه) أي فاستغفروهم عن الشرك والذنوب ثم دوما على التوبة (إن ربي قريب) برحمته لمن وحده (محب) لمن دعاه (قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) أي كنا نرجو منك الخير لما كنت عليه من الأحوال الجميلة قيل هذا القول فالآن بشنا منك ومن خيرك بإبداعك ما ابدعت وقيل معناه كنا نرجوك ونظنك عونا لنا على ديننا (أتهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا) استفهام معناه الانكار كأنهم أنكروا أن ينهى الانسان عن عبادة ما عبده آباؤه (وولنا لى شك مما تدعوننا اليه) من الدين (مريب) موجب للريبة والتهمة إذ لم يكن آباؤنا في جهالة وضلالة (قال) صالح لهم (يا قوم أريتم إن كنتم على بينة من ربي) مر بيانه فيما قبل (وأتاني منه رحمة) أي وأعطاني الله منه نعمة وهي النبوة (فمن ينصرفي من الله ان عصبته) أي فمن يمنع عذاب الله عني ان عصبته مع نعمته علي * (فأتريدوني غير تحسير) أي ما تريدوني بقولكم أتهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا غير نسبي إياكم إلى الخسارة والتخسير مثل التفسيق والتفجير قال ابن الاعرابي يريد غير تحسير لكم لاني وقال ابن عباس ما تريدوني إلا بصبرة في خسارتكم وقيل معناه ان أجتكم إلى ما تدعونني اليه كنت بمنزلة من يزداد الخسران (ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية) أشار الى ناقته التي جعلها الله معجزته لانه سبحانه أخرجهما لهم من جوف صخرة بشاهدونها على تلك الصفة وخرجت كما طلبوه وهي حامل وكانت تشرب يوما جميع الماء فتفرد به ولا ترد الماء معها دابة فإذا كان يوم لا ترد فيه وردت الواردة كلها الماء وهذا اعظم آية ومعجزة وانصب آية على الحال من ناقة الله فكانه قال انتبهوا اليها في هذه الحال والمعنى ان شككتكم في نبوتي فهذه الناقة معجزة لي وأضافها الى الله تشريفا لها كما يقال بيت الله (فذروها تأكل في أرض الله) أي فآثر كوها في حال أكلها فتكون تأكل في أرض الله جملة منصوبة الموضع على الحال ويجوز أن يكون مرفوعا على الاستثناء والمعنى فإنها تأكل في أرض الله من العشب والنبات (ولا تمسوها) أي لا تصيبوها (بسوء) قتل او جرح او غيره (فإخذكم) ان فعلتم ذلك (عذاب قريب) أي عاجل فبهلككم (فمقروها) أي عقرها بعضهم ورضي به البعض وانما عقرها احمر ثمود وضربت به العرب المثل في الشوم (فقال) صالح (تمتعوا في داركم ثلاثة أيام) أي تالذذوا بما تريدون من المدركات الحسنة من المناظر والاصوات وغيرها مما يدرك بالحواس في بلادكم ثلاثة أيام ثم يحل بكم العذاب بعد ذلك ويقال البلاد دار لأنها تجمع أهلها كما تجمع الدار أهلها ومنه توهم ديار ربيعة وديار مضر وقيل في داركم يعني دار الدنيا وقيل معنى قوله تمتعوا في داركم عيشوا في بلدكم وعبر عن الحياة بالتمتع لأن الحي يكون متمتعا بالحواس قالوا لما عقرت الناقة صعد فصيها الجبل ورغا ثلاث مرات فقال

صالح لكل رغبة اجل يوم فاصفرت الوانهم اول يوم ثم احمرت في الغد ثم اسودت اليوم الثالث فهو قوله (ذلك وعد غير مكذوب) أي ان ما وعدتكم به من العذاب ونزوله بعد ثلاثة ايام وعد صدق لا كذب فيه وروى جابر بن عبد الله الانصاري أن رسول الله ﷺ لما نزل الحجر في غزوة تبوك قام فخطب الناس وقال يا أيها الناس لا تسألوا نبيكم الآيات فهو لا قوم صالح سألوا نبيهم ان يبعث لهم الناقة وكانت ترد من هذا الفج فقتلها ما هم يوم ورودها ويحبون من لبنها مثل الذي كانوا يشربون من ماؤها يوم غلبها فتوا عن أمر ربهم فقال تمتعوا في داركم ثلاثة ايام وكان وعدا من الله غير مكذوب ثم جاءتهم الصيحة فأهلك الله من كان في مشارق الأرض ومغاربها منهم إلا رجلا كان في حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب الله تعالى يقال له ابورغال قيل له يا رسول الله من ابورغال قال ابو ثئيف (فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا) مر تفسيره في قصة عاد (ومن خزري يومئذ) قال ابن الأنباري هذا معطوف على محذوف تقديره نجيناهم من العذاب ومن خزري يومئذ أي من الخزري الذي لزمهم ذلك اليوم والخزري العيب الذي تظهر فضيخته ويستحي من مثله (ان ربك هو القوي) أي القادر على ما يشاء (العزيز) الذي لا يمنع عليه شيء ولا يمنع عما أراده (وأخذ الذين ظلموا الصيحة) قيل ان الله سبحانه أمر جبرائيل فصاح بهم صيحة ماتوا عندها ويجوز ان يكون الله تعالى خلق تلك الصيحة التي ماتوا عندها (فأصبحوا في ديارهم) أي منازلهم (جائثين) أي مبتين واقمين على وجوههم ويقال جائثين أي قاعدتين على ركبهم وإنما قال فأصبحوا لأن العذاب أخذهم عند الصباح وقيل أنهم الصيحة ليلا فأصبحوا على هذه الصفة والعرب تقول عند الامر العظيم واسوء صباحاه (كأن لم يغنوا فيها) أي كأن لم يكونوا في منازلهم قط لا تقطع آثارهم بالهلاك إلا ما بقي من اجسادهم الدالة على الخزري الذي نزل بهم (الا ان ثمود كفروا ربهم الا بعدا لشود) قد سبق تفسيره

قوله تعالى (٦٩) وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا اِبْرٰهِيْمَ بِالْبَشْرِى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبَسَ
 اَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٧٠) فَلَمَّا رَأَى اَيْدِيَهُمْ لَا نَصِلُ اِلَيْهِ نَكَرَهُمْ وَاَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا
 لَا تَخَفْ اِنَّا اَرْسَلْنَا اِلَيْ قَوْمِ لُوطٍ (٧١) وَاَمْرًا اَنْهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكْتُمْ فَبَشَّرْنَاَهَا بِاسْحَاقَ وَمِنْ وَّرَآءِ
 اِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٧٢) قَالَتْ يَا وَيْلَتَى اَلَّذِى وَاَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا اِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ
 (٧٣) قَالُوا اَنْعَجِبِينَ مِنْ اَمْرِ اللّٰهِ رَحِمَتُ اللّٰهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ اَهْلَ الْبَيْتِ اِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ
 (٧٤) فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ اِبْرٰهِيْمَ الرُّوعُ وَاَجَاءَتْهُ الْبَشْرِى مُجَادِلًا فِي قَوْمِ لُوطٍ (٧٥) اِنَّ اِبْرٰهِيْمَ
 لِحَكِيمٍ اَوْاهُ مِنْبَبٌ (٧٦) يَا اِبْرٰهِيْمُ اَعْرِضْ عَنْ هَذَا اِنَّهُ قَدْ جَاءَ اَمْرٌ رَبِّكَ وَاِنَّهُمْ لَأَنْتِهِمْ عَذَابٌ
 غَيْرٌ مَّرْدُودٍ سبع آيات عند البصريين ثمان عند غيرهم لم يعد البصري في قوم لوط آية

✽ القراءة ✽

قرأ حمزة والكسائي قال سلم بكسر السين وسكون اللام هنا وفي الذاريات وقرأ الباقون قال سلام وقرأ يعقوب بالنصب ابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم وقرأ الباقون ويعقوب بالرفع وفي الشواذ قراءة الاعمش وهذا بعلي شيخ بالرفع

* الحجة *

قال ابو علي اخبر ابو اسحاق عن محمد بن يزيد قال السلام اربعة اشياء منها مصدر سلمت والسلام شجر قال الا سلام وحرمل والسلام جمع سلامة والسلام اسم من اساء الله تعالى وقوله دار السلام يشمل أن يكون مضافة الى الله تعظيها لها ويحتمل أن يكون دار السلامة من العقاب فمن حصل فيها كان على خلاف من وصف بقوله ويأتيه الموت من كل مكان واما انتصاب قوله سلاما فلا أنه لم يحك شيئا تكلموا به فيحكي كما يحكي الجمل ولكن هو معنى ما تكلمت به الرسل كما ان القائل إذا قال لا إله إلا الله فقلت حقا او قلت اخلاصا أعمت القول في المصدرين لأنك ذكرت معنى ما قال ولم تحك نفس الكلام الذي هو جملة تحكي فكذلك نصب سلاما في قوله قالوا سلاما لما كان معنى ما قيل ولم يكن نفس المقول بعينه فأما قوله وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قل سيبيويه زعم ابو الخطاب ان مثله يريد مثل قولك سبحان الله الذي تفسيره براءة الله من سوء وقولك للرجل سلاما تريد مسلما منك لا ابتلي بشي من امرك فعلى هذا المعنى وجه ما في الآية قال وزعم ان قول أمية

سلامك ربنا في كل فجر بريا ما يعيبك الذموم

على قوله برئت ربنا من كل سوء واما قوله قال سلام فسلام مرفوع لأنه من جملة الجملة المحكية والتقدير فيه سلام عليكم فحذف الخبر كما حذف من قوله فصبر جميل أي صبر جميل امثل او يكون المعنى أمرني سلام وشأنني سلام كما ان قوله فصبر جميل يصلح ان يكون المحذوف منه المبتدأ ومثل ذلك قوله فاصفح عنهم وقل سلام على حذف المبتدأ الذي سلام خبره واكثر ما يستعمل سلام بغير ألف ولام وذلك لأنه في معنى الدعاء فهو مثل قولهم خير بين يديك ولما كان في معنى المنصوب استجيز فيه الابتداء بالكرة فمن ذلك قوله قال سلام عليك سأستغفرلك ربي وقال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليهم وقال سلام على نوح في العالمين سلام على ابراهيم و سلام على عباده الذين اصطفى وقد جاء بالألف واللام قال سبحانه والسلام على من اتبع الهدى والسلام على يوم ولدت وزعم ابو الحسن ان في العرب من يقول سلام عليكم ومنهم من يقول السلام عليكم فالذين ألحقوا الألف واللام حملوه على المهود والذين لم يلحقوه حملوه على غير المهود وزعم ان منهم من يقول سلام عليكم فلا ينون وحمل ذلك على وجهين * احدهما * انه حذف الزيادة من الكلمة كما يحذف الأصل من نحو قولك لم يك ولا ادر ويوم يأت * والآخر * انه لما كثر استعمال هذه الكلمة وفيه الألف واللام حذفها منه لكثرة الاستعمال كما حذف من اللهم فقالوا «لاهم ان عامر الفجور» قد حبس الخليل على يعقوب» واما من قال سلم فإن سلم لا يحتمل امرين * احدهما * ان يكون بمعنى سلام فيكون المعنى امرنا سلم او سلم عليكم ويكون سلم في الآية بمعنى سلام كقولهم حلل وحلال وحرم وحرام فيكون على هذا قراءة من قرأ سلام وسلم بمعنى واحد وإن اختلف اللفظان * والآخر * أن يكون سلم خلاف العدو والحرب لأنهم لما كفوا عن تناول ما قدمه اليهم فنكروهم وأوجس الخيفة منهم قال انا سلم ولست بحرب ولا عدو فلا تمنعوا من تناول طعامي كما يمنع من تناول طعام العدو ومن قرأ ومن ورا. اسحاق يعقوب بالرفع كان رفعه بالابتداء او بالظرف في قول من رفع به ومن فتح فقال يعقوب واحتمل ثلاثة اشرب * احدها * أن يكون يعقوب في موضع جر أي فبشرناها باسحاق ويعقوب قال

ابو الحسن وهذا اقوى لأنها بشرت بها قال وفي اعمالها ضعف لأنك فصلت بين الجار والمجرور بالظرف
 ﴿والآخر﴾ أن تحمله على موضع الجار والمجرور كقوله «إذا ما تلاقينا من اليوم او غداً» وكقراءة من
 قرأ وهورا عينا بمد يطاف عليهم بكذا ومثله «ولسنا بالجبال ولا الحديد» والثالث ﴿أن يحمل على فعل
 مضمر كأنه قال فبشرناها باسحاق ووهبنا له يعقوب فأما الأول فقد نص سيبويه على فتح مثله نحو مررت
 يزيد اول من أمس وأمس عمرو وكذلك قال ابو الحسن لو قلت مررت يزيد اليوم وأمس عمرو لم يحسن
 وأما الحمل على الموضوع على حد مررت يزيد وعمرو فالفصل فيه ايضاً قبيح كما قبح الحمل على الجر وذلك ان
 الفعل يصل بحرف العطف وحرف العطف هو الذي يشرك في الفعل وبه يصل الفعل الى المفعول به كما يصل
 بحرف الجر ولو قال مررت يزيد قائماً بجمل الحال من المجرور لم يميز التقديم عند سيبويه لأن الجار هو الموصل
 للفعل فكما قبح التقديم عنده لضعف الجار العامل كذلك الحرف العاطف مثل الجار في انه يشرك في الفعل
 كما يوصل الجار الفعل وليس نفس الفعل العامل في الموضوعين جميعاً وإذا كان كذلك قبح الفصل بالظرف
 في العطف على الموضوع وقبح ايضاً الفصل في الرفع والنصب كما قبح في الجر لأن العاطف فيها مثله في الجار
 وليس العامل في نفس الرفع والنصب كما ان العامل فيما بعد حرف العطف ليس الجار وإنما يشركه فيه العاطف
 وقد جاء ذلك في الشعر قال الأعشى

يوما تراها كشبه اردية الحمة س ويوما أديها نغلا

ففصل بالظرف بين المشترك في النصب وما اشركه فيه فإذا قبح الفصل في الحمل على الموضوع كما قبح
 الفصل في الحمل على الجار فينبغي أن يحمل قراءة من قرأ يعقوب بالنصب على فعل آخر مضمر يدل عليه
 بشرنا كما تقدم ولا يحمل على الوجهين الآخرين وأما الرفع في قوله شيخ فقيه وجوه ﴿أحدها﴾ ان يكون
 بعلي خبر المبتدأ وشيخ يدل من بعلي فيكون كأنه قال هذا شيخ ﴿والآخر﴾ ان يكون شيخ خبر مبتدأ
 محذوف ويكون هذا بعلي كلاماً تاماً يحسن الوقف عليه و﴿الثالث﴾ ان يكون بعلي بدلاً من هذا وشيخ
 هو الخبر فيكون تقديره بعلي وشيخ و﴿الرابع﴾ ان يكون بعلي وشيخ جميعاً خبراً عن هذا كتولك هذا
 حلو حامض اي قد جمع الخلاوة والحامضة فكذلك ههنا تقديره هذا جمع البعولة والشيوخة قال ابن جني
 وهنا وجه خامس لكنه على قياس مذهب الكسائي وذلك انه يعتقد في خبر المبتدأ أبداً ان فيه ضميراً وإن
 لم يكن مشتقاً من الفعل نحو زيد أخوك وهو يريد النسب فإذا كان كذلك قياس مذهبه ان يكون شيخ
 بدلاً من الضمير في بعلي لأنه خبر عن هذا

﴿ اللغة ﴾

العجل ولد البقرة والمعجول لغة فيه وجمعه المعاجيل وسمي بذلك لتمجيد أمره بقرب ميلاده والحنيذ
 المشوي وهو المحنوذ فعيل بمعنى مفعول يقال حنذته يحنذُه حنذاً قال المعجاج «ورهباً من حنذته أن تهرجاً»
 يعني الحجر الوحشية قال الزجاج الحنيذ المشوي بالحجارة وقيل الحنيذ المشوي حتى يقطر والعرب تقول احنذ
 هذا الفرس أي اجعل عليه الجبل حتى يقطر عرقاً وقيل الحنيذ المشوي فقط وقيل هو السميطة ويقال نكرته
 وانكرته بمعنى واحد ونكرته اشد مبالغة وهي لغة هذيل والحجاز وانكرته لغة تميم قال الاعشى وجمع بين اللتين
 وانكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلما

وقال ابو ذؤيب

فنكرنه فنفرن فامترست به هوجا هادية وهاد جرشع
والايجاس الاحساس واوجس وتوجس أي أحس قال ذو الرمة

وقد توجس ركزا مفقر فندس نبأة الصوت ما في سماعه كذب
ويقال أوجس خوفا أي أضرعوا لبعل الزوج وأصله القائم بالأمر يقولون للنخل الذي يستغني بساء
السا عن سقي الأنهار والعيون بعل لأنه قائم بالأمر في استغناؤه عن تكاف السقي له ومنه قبل للرب
والصاحب بعل والمعجب يجري على المصدر وعلى المتعجب منه تقول هذا أمر عجب ولا يجوز العجب من
أمر الله تعالى لأنه يجب ان يعلم انه قادر على كل شيء من الأجناس لا يعجزه شيء وما عرف سببه لا يتعجب
منه والمجيد الكريم يقال مجيد الرجل يجيد مجادة إذا كرم قال الشاعر

رفعت مجد تميم يا هلال لها رفع الطرف على العلياء بالعمد
والروع الافراع يقال راعه يروعه إذا افزعه قال عنترة

ما راعني إلا جمولة أهلها وسط الديار تسف حب الحمخم
وارتاع ارتباعا إذا خاف والروع بضم الراء النفس يقال التي في روعي أي في نفسي وسميت بذلك
لأنها موضع الروع والرد والدفع واحد وتقبضه الأخذ والفرق بين الرد والدفع ان الدفع قد يكون إلى
جهة القدام والخلف والرد لا يكون إلا إلى جهة الخلف

-- « اعراب » --

فما لبث ان جاء اي ما أقام حتى جاء بمجمل وان جاء في موضع نصب بوقوع لبث عليه كأنه قال
فما أبطأ عن مجيئه بمجمل فلما حذف حرف الجر وصل الفعل وقال الفراء ويحتمل يكون موضعه
رفعا بأن نجعل ان جاء فاعل لبث فكانت قلت فما لبث مجيئه بمجمل والفاء يؤولتي يحتمل ان يكون الف
نسبة ويحتمل أن يكون يا. الإضافة فانقلبت الفاء ومعناه الإيذان بورود الأمر العظيم كما تقول العرب
يا للدواهي أي تعالى فإنه من احيائك لحضور ما حضر من اشكالك ويجوز الوقف عليه بغير هاء والاختيار
في الكلام ان يوقف عليه بالهاء يا ويثناه قال الزجاج اما المصحف فلا يخالف ولا يوقف عليه فإن اضطر
واقف إلى أن يقف وقف عليه بغير هاء بالاختيار واما الممزتان في قوله ألد فقيه ثلاثة أوجه إن شئت
خففت الأولى وحقت الثانية قلت يا ويأتي ألد وإن شئت حققت الأولى وخففت الثانية وهو الاختيار
قلت يا ويأتي ألد وإن شئت حققتها جميعا قلت ألد وشيخنا منصوب على الحال قال الزجاج الحال جاهنا
نصبها من لطيف النحو وذلك انك إذا قلت هذا زيد قائما فإن كنت تقصد أن تخبر من لا يعرف زيدا
انه زيد لم يميز أن تقول هذا زيد قائما لأنه يكون زيدا ما دام قائما فإذا زال عن القيام فليس يزيد وإنما تقول
لأنني يعرف زيدا هذا زيد قائما فيعمل في الحال التنيبه والمعنى انبه لزيد في حال قيامه او اشير لك الى زيد
في حال قيامه لأن هذا إشارة الى ما حضر وقال غيره إن شئت جعلت العامل فيه معنى التنيبه وإن شئت
جعلت العامل فيه معنى الإشارة وان شئت عملت فيه مجموعهما وكذا ما جرى مجراه تقول هذا زيد مقبلا
ولا يجوز مقبلا هذا زيد لأن العامل ليس بفعل محض فإن قلت ها مقبلا ذا زيد وجعلت العامل معنى الإشارة

لم يجوز وإن جملة العامل معنى التنبيه جاز. يجادلنا في موضع نصب لانه حكاية حال قد مضت وإلا فالجيد ان تقول لما قام قمت ويضعف ان تقول لما قام اقوم وعلى هذا فيكون جواب لما محذوفاً لدلالة الكلام عليه ويكون تقديره قلنا ان ابراهيم حلیم او ناديناہ با ابراهيم اعرض عن هذا ويجوز ان يكون تقديره أخذ يجادلنا واقبل يجادلنا ويجوز أن يكون لما كان شرطاً للماضي وقع المستقبل فيه في معنى الماضي كما أن أن لما كان شرطاً للمستقبل وقع الماضي فيه في معنى المستقبل

المعنى

ثم ذكر سبحانه قصة ابراهيم ولوط فقال سبحانه (ولقد جاءت رسلنا) يعني الملائكة وانما دخلت الام لتأكيد الخبر ومعنى قد ههنا ان السامع لقصص الانبياء يتوقع قصة بعد قصة وقد للتوقع فجاءت لتوذن ان السامع في حال توقع واختلف في عدد الرسل فقبل كانوا ثلاثة جبرئيل وميكائيل واسرافيل عن ابن عباس وقيل كانوا اربعة عن ابي عبد الله «ع» قال والرابع اسمه كروبل وقيل كانوا تسعة عن الضحاك وقيل احد عشر عن السدي وكانوا على صود الثعلبان أتوا (ابراهيم) الخليل «ع» (بالبشرى) اي بالبشارة باسحاق ونبوته وانه يولد له يعقوب عن الحسن والسدي والجائني وروي عن ابي جعفر «ع» ان هذه البشارة كانت باسما عجل «ع» من هاجر وقيل البشارة بهلاك قوم لوط (قالوا سلاما) هذه حكاية ما قال رسل الله تعالى لابراهيم «ع» اي سلمنا سلاما بمعنى الدعاء له وقيل معناه أصبت سلاما اذا اعطاك الله سلاما اي سلامة كما يقال أهلا ومرحبا وكان نحية من الملائكة لابراهيم «ع» (فقال) ابراهيم مجيبا لهم (سلام) وقد مر تفسيره (فألبث أن جاء بعجل حنيد) اي لم يتوقف حتى جاءهم على عادته في اكرام الاضياف وتقديم الطعام اليهم بعجل مشوي لأنه توم انهم اضياف لكونهم على صورة البشر وكان ابراهيم يحب الضيفان فجاؤوه على احسن الوجوه اليه وصار لذلك من السنة أن يعجل للضيف الطعام وقيل ان معنى حنيد نضيج بالحجارة المحماة في خد من الارض عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل ان الحنيد ما حفرت له في الارض ثم غمسته وهو فعل أهل البادية عن الفراء وقيل حنيد مشوي يقطر ماؤه عن ابن عطية (فلا رأى) ابراهيم (ايديهم) يعني ايدي الملائكة (لاتصل اليه) اي الى العجل (نكرهم) اي انكرهم (وأوجس منهم خيفة) اي اخضر منهم خوفا واختلف في سبب الخوف فقيل انه لما رآهم شبانا اقوياء وكان ينزل طرفا من البلد وكانوا يتمتعون من تناول طعامه لم يأمن ان يكون ذلك لبلاء وذلك ان اهل ذلك الزمان إذا أكل بعضهم طعام بعض أمته صاحب الطعام على نفسه وماله ولهذا يقال تحرم فلان بطعامنا اي أثبت الحرمة بيننا بأكله الطعام وقيل انه ظنهم لصوصا يريدون به سوءا وقيل انه ظن انهم ليسوا من البشر وانهم جاؤا لأمر عظيم وقيل علم انهم ملائكة فخاف ان يكون قومه المقصودين بالعذاب حتى (قالوا) له (لا تخف) يا ابراهيم (إنا ارسلنا الى قوم لوط) بالعذاب والاهلاك لا الى قومك وقيل انهم دعوا الله فأحيا العجل الذي كان ذبحه ابراهيم وشواه فظفر ورعى فلم حينئذ اتهم رسل الله (وامرأته) سارة بنت هاران بن ياحور بن ساروع بن ارعوى بن فالغوهي ابنة عم ابراهيم (قائمة) من وراء الستر تسمع كلام الرسل وكلام ابراهيم عن وهب وقيل انها كانت بنت خاله وقيل كانت قائمة تخدم الرسل وابراهيم جالس معهم عن مجاهد وقيل كانت قائمة تصلي وكان ابراهيم جالسا وفي قراءة ابن مسعود وامرأته قائمة وهو جالس (فضحكت) قيل هو الضحك المعروف

الذي يعترى الانسان للفرح وقد يكون للتعجب فضحكت تعجبا من غفلة قوم لوط مع قرب نزول العذاب بهم عن فتادة وقيل تعجبا من امتناعهم عن الأكل وخدمتها إياهم بنفسها ولهذا يقال «وشر الشدائد ما يضحك» وقالت عجبا لأضيافنا نخدمهم بأنفسنا تكرمه لهم وهم لا يتناولون من طعامنا وقيل ضحكت لأنها قالت لابراهيم اضمم لوطا ابن اخنك اليك فإنني اعلم انه سينزل بهؤلاء القوم عذاب فضحكت سرورا لما أتى الأمر على ماتوهمت عن الزجاج وقيل تعجبا وسرورا من البشارة باسحاق لأنها كانت قد هرمت وهي ابنة ثمان وتسعين سنة او تسع وتسعين سنة وكان قد شاخ زوجها وكان ابن تسع وتسعين او مائة سنة وعشرين سنة ولم يرزق لها ولد في حال شبابها وعلى هذا فيكون في الكلام تقديم وتأخير وتقديره فيبشرناها باسحاق ويعقوب فضحكت بعد البشارة وروي ذلك عن ابي جعفر «ع» (فيبشرناها باسحاق) اي بان يسمى اسحاق نيا (ومن وراء اسحاق يعقوب) يعني ومن بعد اسحاق يعقوب وقيل الورا ولد الولد عن ابن عباس اي فيبشرناها بني بين نبيين وهو اسحاق ابوه نبي وابنه نبي وقيل ان ضحكت بمعنى حاضت عن مجاهد وروي عن الصادق «ع» ايضا يقال ضحكت الارنب أي حاضت والضحك بفتح الضاد الحيض وفي لفظة ابي الحرث بن كعب ضحكت النخلة إذا أخرجت الطلع او البسر والضحك الطلع وأنشد بعضهم في الضحك بمعنى الحيض قول الشاعر

وضحك الأرنب فوق الصفا كمثل دم الجوف يوم اللقا

قال الفراء ولم اسمعه من ثقة والوجه فيه ان يكون على طريق الكتابة قال الكيت

فأضحكت السباع سيوف سعد لقتلي ما دفن ولا ودينا

(قالت) سارة (يا ويلتي ألد وانا عجوز) أي هذا شيء عجب ان ألد وقد شخت من زوج شيخ ولم تشك في قدرة الله تعالى ولكن إنما قالت ذلك لكونه خارجا عن العادة كما ولي موسى مديراً حين اقبلت عصاه حية حتى قيل له اقبل ولا تخف وإلا فهي كانت عارفة بأن الله تعالى يقدر على ذلك ولم ترد بقولها يا ويلتي الدعاء على نفسها بالويل ولكنها كلمة تجري على اقواء النساء إذا طرأ عليهن ما يتعجبن منه وقيل انها لم تتعجب من قدرة الله ولكنها أرادت أن تعرف هل تتحول شابة أم تلد على تلك الحال وكل ذلك عجب (وهذا يعني شيئا) اي هذا الذي تعرفونه بعلي وهو شيخ (إن هذا) الذي بشرت به (لشيء عجب قالوا) اي قالت الملائكة لما حين تعجبت من أن تلد بعد الكبر (أتعجبين من أمر الله) ومعنى الاستفهام هنا التنبيه والتوقيف أي أتعجبين من ان يفعل الله تعالى ذلك بك ولزوجك (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) أي ليس هذا موضع تعجب لأن التعجب إنما يكون من الأمر الذي لا يعرف سببه ونعمة الله تعالى وكثرة خيراته النامية الباقية عليكم وهذا يحتمل ان يكون اخباراً عن ثبوت ذلك لهم وتذكيراً بنعمة الله وبركاته عليهم ويحتمل أن يكون دعاء لهم بالرحمة والبركة من الملائكة فقالوا رحمة الله وبركاته عليكم يا أهل البيت كما يقال أتتعجب من كذا يبارك الله فيك ويرحمك الله ويعني بأهل البيت أهل بيت ابراهيم «ع» وإنما جعلت سارة من أهل بيته لأنها كانت ابنة عمه ولا دلالة في الآية على ان زوجة الرجل من أهل بيته على ما قاله الجبائي وروي ان امير المؤمنين «ع» س بقوم فلم عليهم فقالوا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ومغفرته ورضوانه فقال «ع» لهم لا تجاوزوا بنا ما قالت الملائكة لأبينا ابراهيم «ع» رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت (انه حميد) أي محمود على افعاله وقيل الحميد الذي يحمده عباده على الطاعات (حميد) اي كريم وهو المبني بالعطية قبل الاستحقاق وقيل معناه واسع القدرة والعمرة عن ابي مسلم وروي ان سارة قالت لجبرئيل «ع» ما آية ذلك فأخذ يده عوداً بابسا فلواه بين اصابعه فاهتز اخضر عن السدي (فلما ذهب عن ابراهيم الروح) أي الخوف والفرع الذي دخله من الرسل (وجاءته البشرى) بالولد (بمجادلنا سيف قوم لوط) اي بمجادل رسلنا ويسألهم في قوم لوط وتلك المجادلة انه

قال لهم ان كان فيها خمسون من المؤمنين أتهلكونهم قالوا لا قال فأربعون قالوا لا فما زال ينقص ويقولون لا حتى قال فواحد قالوا لا فاحتج عليهم بلوط وقال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بما فيها لتنجينه وأهله عن قتادة وقيل انه جادلهم وقال بأبي شيء استحقوا عذاب الاستئصال وهل ذلك واقع لا محالة أم هو تخويف ليرجعوا إلى الطاعة بأبي شيء بهلكون وكيف يحيى الله المؤمنين عن الجبائي ولما سألهم سؤال مستقص سمي ذلك السؤال جدالا لأنه خرج مخرج الكشف عن شيء غامض (إن ابراهيم لحليم أواه) مر معناه في سورة براءة (منيب) راجع إلى الله تعالى في جميع اموره متوكل عليه وفي هذا اشارة إلى أن تلك المجادلة من ابراهيم (ع) لم تكن من باب ما يكره لأنه مدحه بالحلم وبأن ذلك كان في أمر يتعلق بالرحمة ورقة القلب والرافة وذلك لأنه رأى الخلق الكثير في النار فتأوه لهم (يا ابراهيم اعرض عن هذا) هو حكاية لما قالت الملائكة لابراهيم (ع) فلو انها نادت به بأن قالت يا ابراهيم اعرض عن هذا القول وهذا الجدال في قوم لوط وانصرف عنه بالذكر والتفكير (انه قد جاء أمر ربك) بالعذاب فهو نازل بهم لا محالة (وانهم آتيتهم عذاب غير مردود) يعني غير مدفوع عنهم اي لا يقدر أحد على رده عنهم

قوله تعالى (٧٧) وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذُرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٨) وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمَنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ فِي ضَعْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (٧٩) قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (٨٠) قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ (٨١) قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهُمَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨٢) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِنْ سَجِيلٍ مَنْضُودٍ (٨٣) مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ يَبِيعُ سَبْعَ آيَاتٍ بِلاخلاف وتنام الآية السادسة عند المدني الأخير قوله سجيل وعند الباقر قوله منضود

(القراءة) -

في الشواذ قراءة سعيد بن جبير والحسن بخلاف وعيسى الثقفى ومحمد بن مروان من اطهر لكم بالنصب والقراءة المشهورة اطهر بالرفع وقراءة شيبة أو اوي بالنصب والقراءة العامة بالرفع وقرأ اهل الحجاز فاسر بأهلك وان اسر موصولة الهمز والباقون فاسر وان اسر بقطع الهمزة حيث كان وقرأ ابن كثير وابو عمرو وإلا امرأتك بالرفع والباقون بالنصب

- الحجة -

أما قوله من اطهر لكم فإن سيبويه ضعف هذه القراءة وقال فيها اجتنبي ابن مروان في لحنه قال ابن جنى وإنما صح ذلك عنده لأنه ذهب إلى انه جعل من فصلا وليست بين احد الجزأين اللذين هما مبتدأ وخبر ونحو ذلك نحو ظننت زيدا هو خيرا منك وكان زيد هو العالم ويجوز أن يكون بقاى من جملة من مبتدأ وخبر في موضع الخبر لهؤلاء كقولك زيد اخوك هو وأن يكون اطهر حالا من من او من بقاى والعامل فيه معنى الاشارة كقولك

هذا زيد هو قائما ومن قرأ أو آوى بالنصب فيكون تقديره لو أن لي بكم قوة أو آويا إلى ركن شديد ويكون منتصبا
بإضمار أن وعليه بيت الكتاب

فلولا رجال من كرام اعزة وآل سبيع أو اسوأك علقما

والتقدير أو إن اسوأك فكأنه قال أو أبالك مألني ومن قرأ فأسر بأهلك بإثبات الهمزة في اللفظ أو بغير
الهمزة فلإن سرى وأسرى معانها سار ليلا قال النابغة

أسرت عليه من الجوزاء سارية تزجي الشمال عليه جامد البرد

ويروى سرت وقال امرؤ القيس

سريت بهم حتى تكلم مطيعهم وحتى الجياد ما يقدن بأرسان

وقال سبحانه الذي أسرى بعبدته ومن قرأ إلا إمرأتك نصبا فإنه جعل الكلام قبله مستقلا بنفسه
تنصب مع النبي كما ينصب مع الإيجاب والوجه الأقيس الرفع على البدل من احدلان معنى ما أتاني احد إلازيد
ما أتاني إلازيد فكما اتفقوا فيما أتاني إلازيد على الرفع وكان ما أتاني احد إلازيد بمنزلة وبمعناه اختاروا الرفع
مع ذكر احد وما يقوي ذلك انهم في الكلام وأكثر الاستعمال بقولون ما جاءني إلا امرأة فيذكرون حملا على
المعنى ولا يسكادون بوثون ذلك إلا في الشعر كما في قول الشاعر «فما بقيت إلا الضلوع الجراشع» وقول ذي الرمة
«وما بقيت إلا النخيرة والألواح والعصب» وزعموا أن في حرف عبد الله أو أبي فأسير بأهلك بقطع من الليل
إلا امرأتك وليس فيه ولا يلتفت منكم احد وهذا يقوي قول من نصب

اللغة

اصل سي بهم سوي بهم من السوء فاسكنت الواو وقلت كسرتها إلى السين ويقال سوته فسي كما يقال
شغلته فغسل وممرته فسر والفرق بين السوء والقيح أن السوء ما يظهر مكروهه لصاحبه والقيح ما ليس للقادر
عليه أن يفعله ويقال ضاق فلان بأمره ذرعا إذا لم يجد من المكروه في ذلك الأمر مخلصا والعصيب الشديد في
الشر خاصة واصله من الشد يقال عصبت الشيء أسبه شدته وعصبت فخذ الناقة لتدر وناقاة عسوب ويوم عصيب
وعصيب كأنه التف على الناس بالشر أو يكون التف شره بعضه ببعض قال الشاعر

فإنك إن لم ترض بكر بن وائل يكن لك يوم بالعراق عصيب

وقال عدي بن زيد

و كنت لزاز خصمك لم أعرد وقد سلوكوك في يوم عصيب

وقال الراجز

يوم عصيب يعصب الأبطالا عصب القوي السلم الطوالا

والإهراع الإصرع في المشي قال مهلهل

فجاؤا بهرعون وهم أسارى تقودهم على رغم الأنوف

وقال صاحب العين الإهراع السوق الخثيث قال أبو مسلم والقرآن بالسوق أشبه والركن معتمد البناء بعد
الأساس وركنا الجبل جانباه قال الراجز

يأوي إلى ركن من الأركان في عدد طللس ومجدبان

والشدة تجمع يعصب معه التفكك وقد تكون الشدة نقبضا بعسر معه التحلل والقطع القطعة العظيمة تقضي من

الليل وقيل نصف الليل كأنه قطع نصفين والالتفات افتعال من اللف وهو الي يقال لفت فلانا عن رأيه أي صرفته وامرأة لفت لها ولد من غير زوجها وكانها تلفت إلى ولدها ومنه الحديث في صفة النبي ﷺ انه كان إذا التفت التفت مع أي كان لا يلوي عنقه بيعة ويسرة والسجيل فارسي معرب أي سنك وكل حجارة وطين وقال ابو عبيدة هو الحجارة الشديدة واتشد لابن مقبل

ورجلة يضربون البيض ضاحية ضربا توأصي به الأبطال سجيناً

وسجين وسجيل بمعنى واحد والعرب تعاقب بين التون واللام فقلبت التون هاهنا لاما وقيل انه مشتق من اسجالتد أي اعطيته فتقديره انها من مثل المعطية في الادرار وقيل انه من السجل وهو الدلو العظيمة فتقديره انها من مثل السجل في الإرسال وقيل انه من اسجلته إذا أرسلته وكانها مرسله عليهم وقيل انه من السجل وهو الكتاب فكأنها سجلت لهم والمراد كتب الله عليهم ان يعذبهم بها والمنضود من نضدت الشيء بفضه على بعض والمسومة من السياء وهي العلامة ومنه السائمة وهي المرسله في المرعى وذلك أن الإبل السائمة تختلط في المرعى فيجعل عليها السياء لتمييزها

﴿ الإعراب ﴾

يهرعون اليه في موضع نصب على الحال من قبل ومن بعد مبنيان على الضم فإذا اضيفا اعراباً - لو أن لي بكم قوة جواب لو محذوف بدل الكلام عليه وتقديره خلقت بينهم وينكم - انه مصيها ما أصابهم الماء في انه ضمير الشأن والحديث ومصيها مبتدأ وما أصابهم موصول وصلته في موضع الرفع بكونه فاعل مصيها وقد سد مسد خبر المبتدأ - من سجيل في موضع نصب بكونه صفة لحجارة أي كائنة من سجيل - مسومة صفة أخرى لحجارة ويجوز ان يكون نصباً على الحال من الضمير المستكن في منضود

- المعنى -

ثم اخبر سبحانه عن اتيان الملائكة لوطاً بعد خروجهم من عند ابراهيم «ع» وما جرى بينهم وبين قوم لوط فقال (ولما جاءت رسلنا لوطاً) أي لما جاؤوه في صفة الآدميين (سيء بهم) أي ساءه مجيئهم لأنه خاف عليهم من قومه (وضاق بهم ذرعاً) أي ضاق بمجيئهم ذرعه أي قلبه لما رأى لهم من جمال الصورة وحسن الشارة وقد دعوه إلى الضيافة وقومه كانوا يسارعون إلى امثالهم بالفاحشة وقيل معناه ضاق بحفظهم من قومه ذرعه حيث لم يجد سبيلاً إلى حفظهم وكان قد علم عادة قومه من الميل إلى الذكور وقد أتوه في صورة الغلمان المرذواصله ان الشيء إذا ضاق ذرعه لم يتسع له ما اتسع فاستعار ضيق الذرع عند تعذر الامكان كما استعار الاتساع (وقال هذا يوم عصيب) أي هائل شديد كثير الشر التف الشر فيه بالشر وإنما قال ذلك لأنه لم يعلم أنهم رسل الله وخاف عليهم من قومه ان يفضحهم وقال الصادق (ع) جاءت الملائكة لوطاً وهو في ذراعة قرب القرية فلموا عليه ورأى هيئة حسنة عليهم ثياب بيض وعائم بيض فقال لهم المنزل فتقدمهم ومشوا خلفه فقال في نفسه أي شيء صنعت آتي بهم قومي وانا اعرفهم فالتفت اليهم فقال انكم لتأتون شرارا من خلق الله وكن قد قال الله لجبرائيل لاتهاكهم حتى يشهد عليهم ثلاث مرات فقال جبرائيل هذه واحدة ثم مشى لوط ثم التفت اليهم فقال انكم لتأتون شرارا من خلق الله فقال جبرائيل (ع) هذه اثنتان ثم مشى فلما بلغ باب المدينة التفت اليهم فقال انكم لتأتون شرارا من خلق الله فقال جبرائيل هذه الثالثة ثم دخل ودخلوا معه حتى دخل منزله فلما رأته امرأته رأته هيئة حسنة فصعدت فوق السطح فصفت فلم يسمعوا فدخلت فلما رأوا الدخان اقبلوا يهرعون فذلك قوله (وجاءه قومه يهرعون اليه) أي يسرعون في المشي لطلب الفاحشة عن قتادة ومجاهد والسدي وقيل معناه يساقون وليس هناك سائق غيرهم فكان بعضهم يسوق بعضاً عن أبي مسلم والماء في اليه كناية عن لوط (ومن قبل) أي ومن قبل اتيان

الملائكة وقيل ومن قبل مجي قوم لوط الى ضيفانه وقيل من قبل مجيئهم إلى داره عن الجبائي وقيل إنه من قبل بعثة لوط اليهم (كانوا يعملون السيئات) اي يعملون الفواحش مع الذكور (قال) لوط (يا قوم هؤلاء بنا قاتلهم من قبلهم) أي لوطا لما هموا بأضيافه وجاهروا بذلك فالتقوا جليبا الحياء فيه عرض عليهم نكاح بناته وقال من أحل لكم من الرجال فدعاهم إلى الحلال واختلف في ذلك فقيل أراد بناته لصلبه عن قتادة وقيل أراد النساء من أمته لأنهن كالبنت له فإن كل نبي أبو أمته وازواجه أمهاتهم عن مجاهد وسعيد بن جبير واختلف أيضا في كيفية عرضهن فقيل بالتزويج وكان يجوز في شرعه تجوز المؤمنة من الكافر وكذا كان يجوز أيضا في مبدأ الإسلام وقد زوج النبي ﷺ بنته من أبي العاص بن الربيع قبل ان يسلم ثم نسخ ذلك وقيل أراد التزويج بشرط الإيمان عن الزجاج وكانوا يخطبون بناته فلا يزوجهن منهم لكفرهم وقيل انهم كان لهم سيدان مطاطان فيهم فأراد أن يزوجهما بنثيه زعورا وورثيا (فاتقوا الله) اي فاتقوا عقاب الله في مواقة الذكور (ولا تخزون في ضيفي) اي لا تلزموني عارا ولا تلحقوا بي فضيحة ولا تخجلوني بالمهجوم على اضيافي فإن الضيف إذا نزل به معرفة لحق عارها للمضيف (اليس منكم رجل رشيد) أي اليس في جملةكم رجل قد أصاب الرشد فيعمل بالمعروف وينهى عن المنكر ويزجر هؤلاء عن قبيح فعلهم ويجوز ان يكون رشيد بمعنى مرشد اي يرشدكم الى الحق (قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق) هذا جواب قوم لوط حين عرض عليهم بناته ودعاهم إلى النكاح المباح أي ما لنا في بناتك من حاجة لأن ما لا يكون للانسان فيه حاجة فإنه يرغب عنه كما يرغب عما لا حق له فيه فلذلك قالوا من حق وقيل معناه ما لنا فيهن من حق لأننا لا تزوجهن وكانوا يقرون بأن من لم يتزوج بامرأة فإنه لا حق له فيها عن الجبائي وابن اسحاق فالقول الأول محمول على المعنى والقول الثاني على ظاهر اللفظ (وانك لتعلم ما تريد) أي تعلم ميلنا إلى الغلمان دون النساء فلما لم يقبلوا الموعظة نأسف لوط على فقد تمككه من دفاعهم بأن (قال لو ان لي يكم قوة) أي منعة وقدرة وجماعة أتقوى بها عليكم فأدفعكم عن اضيافي (أو آوي إلى ركن شديد) أو أنضم الى عشيرة منيعة تنصرفني وشيعة تمنعني لدفعكم ولكن لا يمكنني ان افعل ذلك قال الصادق عليه السلام فقال جبرئيل لو يعلم اي قوة له قال فكأبروه حتى دخلوا البيت فصاح به جبرئيل ان يا لوط دعهم يدخلوا فلما دخلوا اهوى جبرئيل بأصبه نحوهم فذهبت أعينهم وهو قوله فطمستنا أعينهم قال قتادة ذكر لنا ان الله تعالى لم يبعث نبيا بعد لوط الا في عز من عشيرته ومنعة من قومه وروي عن النبي ﷺ انه قال رحم الله أخي لوطا كان يأوي إلى ركن شديد وهو معونة الله تعالى ولما رأت الملائكة ما لقيه لوط من قومه (قالوا يا لوط إنا رسل ربك) أرسلنا لهما لهما فلا تقم (لن يصلوا اليك) اي لا بنا لولئك بسوء ابدأ (فاسر بأهلك) اي سر بأهلك ليلا وقال السدي لم يؤمن بلوط إلا ابتاه (بقطع من الليل) اي في ظلمة الليل عن ابن عباس وقيل بعد طائفة من الليل عن قتادة وقيل في نصف من الليل عن الجبائي (ولا يلتفت منكم احد) قيل في معناه وجوه * أحدها * لا ينظر احد منكم وراءه عن مجاهد كأنهم تعبدوا بذلك للنجاة بالطاعة في هذه العبادة * والثاني * لا يلتفت احد منكم إلى ماله ولا متاعه بالمدينة وليس معنى يلتفت من الرؤية عن الجبائي كأنه أراد في ان النظر اليهم عبرة فلم ينهوا عنها * والثالث * أن معناه ولا ينخلف منكم احد عن ابن عباس * والرابع * انه امرهم أن لا يلتفتوا إذا سمعوا الوجبة والهدية (إلا امرأتك) وقيل انها التفت حين سمعت الوجبة فقالت يا قوماء فأصابها حجر فقتلها وقيل إلا امرأتك معناه لا تسر بها (انه مصيبيها ما أصابهم) أي بصيبها من العذاب ما أصابهم امرؤ ان يخلتها في المدينة (إن موعدهم الصبح ليس الصبح بقریب) لما اخبر الملائكة لوطا بأنهم يهلكون قوم لوط قال لهم اهلكوهم الساعة لضيق صدورهم وشدة غيظهم عليهم فقالوا ان موعد اهلاكم الصبح لم يجعل الصبح ظرفا وجعله خبر إن لأن الموعد هو الصبح وإنما قالوا له ليس الصبح بقریب تسليية له وقيل انه انما قال لهم اهلكوهم الساعة فقالوا

ذلك وفي هذا دلالة على ان الله سبحانه إنما يهلك من يهلكه عند انقضاء مدته وإن ضاق صدر الغير به ويجوز أن يكون قد جعل الصبح ميقات اهلاكهم لأن النفوس فيه اودع والناس فيه اجمع (فلما جاء امرنا) فيه اقوال **احدها** * جاء امرنا الملائكة باهلاك قوم لوط * والثاني * جاء العذاب كأنه قيل كن على التعظيم على طريق المجاز كما قال الشاعر

فقلت له العينان سمعا وطاعة وحدرتا كالدرد لما يتقرب

وعلى هذا فالامر هو قس العذاب * والثالث * جاء امرنا بالعذاب (جعلنا عاليها سافلها) اي قلبنا القرية اسفلها اعلاها فإن الله تعالى امر جبرائيل «ع» فأدخل جناحه تحت الأرض فرفعها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب ثم قلبها ثم خسف بهم الأرض فهم يتجلبلون فيها إلى يوم القيامة فعلى هذا يكون معنى جعلنا جعل بأمرنا وإنما اضافه إلى نفسه لانه امره به (وأمطرنا عليهم حجارة) أي وأمطرنا على القرية أي على الغائبين منها حجارة عن الجبائي وقيل امطرت الحجارة على تلك القرية حين رفعها جبرائيل وقيل إنما امطرت عليهم الحجارة بعد ان قلبت قريتهم تغليظا للعقوبة وقيل كانت اربع مدائن وهي اللوثفكات سدوم وعمورا ودوما وصبوايم واعظمها سدوم وكان لوط يسكنها قال ابو عبيدة يقال مطر في الرحمة وامطر في العذاب (من سجيل) اي سنك كل عن ابن عباس وسعيد بن جبير بين بذلك صلابتها ومباينتها للبرد وانها ليست من جنس ما جرت به عادتهم في سقوط البرد من الغيوم وقيل ان السجين الطين عن قتادة وعكرمة ويؤيده قوله ليرسل عليهم حجارة من طين وروي عن عكرمة ايضا انه بحر معلق في الهواء بين الأرض والسماء منه انزلت الحجارة وقال الضحاك هو الآجر وقال القراء هو طين قد طبخ حتى صار بمنزلة الارحاء وقال كان اصل الحجارة طينا فشدت عن الحسن وقيل ان السجيل ساء الدنيا عن ابن زيد فكانت تلك الحجارة منزلة من السماء الدنيا (منضود) هو من صفة سجيل اي تشد بعضها على بعض حتى صار حجرا عن الربيع وقيل مصفوف في تتابع أي كان بعضها في جنب بعض عن قتادة وقيل يتبع بعضها بعضا عن ابن عباس (مسومة) هي من صفة الحجارة اي معلمة جعل فيها علامات تدل على انها معدة للعذاب وقيل مطوقة بها نفض من حمرة عن قتادة وعكرمة وقيل كان مكتوبا على كل حجرة منها اسم صاحبها عن الربيع وقيل عليها سبأ لاتشاكل حجارة الأرض عن ابن جريج وقيل مخشومة عن الحسن والسدي وقيل مشهورة (عند ربك) أي في علم ربك وقيل في خزائن ربك التي لا يملكها غيره ولا يتصرف فيها احد إلا بأمره (وماهي من الظالمين يعيد) اي وما تلك الحجارة من الظالمين من امتك يا محمد يعيد أراد بذلك ارباب قريش وقال قتادة ما اجار الله منها ظالما بعد قوم لوط فانتقوا الله وكونوا منه على حذر وقيل يعني بذلك قوم لوط يريد انها لم تكن تحطتكم وذكر أن حجرا بقي معلقا بين السماء والأرض اربعين يوما يتوقع به رجلا من قوم لوط كان في الحرم حتى خرج منه فأصابه قال قتادة وكانوا اربعة آلاف الف

قوله تعالى (٨٤) وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مَّحِيطٍ (٨٥) وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا بِالْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْسُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٨٦) بَقِيَ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِمَحْفِظٍ (٨٧) قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَأَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ

أَلْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (٨٨) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٩) وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصَيِّبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ (٩٠) وَأَسْتَغْفِرُكُمْ وَأُغْفَرُ لَكُمْ ثُمَّ تَوَبُّوا إِلَيْهِ إِنْ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ (٩١) قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعِزِّيزٍ (٩٢) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهَبِي أُعْزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَأَتَّخِذُ نَوْمَهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٩٣) وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ (٩٤) وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَائِعِينَ (٩٥) كَسَانُ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا إِلَّا بَعْدَ لِمَدِينٍ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ اثْنَا عَشْرَةَ آيَةً

❖ القراءة ❖

قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر أصلاتك بغير واو على التوحيد والباقون أصواتك بالواو على الجمع وفي الشواذ قراءة السلمي بعدت ثمود بضم العين

❖ الحجة ❖

أما بعد فيكون في الخير والشر ومصدره البعد وبعدي الشر خاصة ومصدره البعد ومنه ابعد الله فلم ينقل من بعد لأنه دعاء عليه وقراءة السلمي متفقة الفعل مع مصدره وإنما السؤال عن قراءة الجماعة إلا بعداً لمدين كما بعدت ثمود وطريق ذلك أن يكون البعد بمعنى اللعنة فيكون ابعد الله بمعنى لعنه الله ومنه قوله

ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين

اسم البعد فالإبعاد للشيء نقص له فقد التقى معنى بعد مع معنى بعد من هنا

— اللغة —

الوزن تعديل الشيء بغيره في الخفة والثقيل بآلة التعديل وإذا قيل شعر موزون فمعناه معدل بالعروض والتوفيق من الصواب إلا أنه اختص بهذا الاسم ما اتفق وقوع الصواب عنده وليس ذلك جنساً بعينه وإنما هو بحسب ما يعلم لله تعالى وإنما لم يكن الموفق للطاعة إلا الله تعالى لأن أحداً لا يعلم ما يتفق عنده الطاعة من غير تعليم سواء سبحانه والشقاق والمشاقة المباحة بالمداوة إلى جانب المباشرة وشقها والفق فهم الكلام على ما تضمنه من المعنى وقد صار علماً لضرب من علوم الدين وهو علم بمدلول الدلائل السمعية وأصول الدين علم بمدلول الدلائل العقلية والرهط عشيرة الرجل وقومه وأصله الشد والترهيط شدة الأكل ومنه الراهطاء جحر البريوع لشدته وتوسيعه لينجي فيه ولده والرجم الرمي بالحجارة والأعز الأتقى الأمتنع والأعز تقيض الأذل والظهوري جعل الشيء وراء الظاهر حتى ينسأه ويقال لكل من لا يعبأ باسم قد جعل فلان هذا الأمر يظهر قال

تميم بن قيس لا تكونن حاجتي بظهر فلا يعيا علي جوابها
 ❀ الاعراب ❀

أو ان تفعل موضع ان نصب على معنى أو تأمر ان ترك أو ان تفعل في اموالنا ما نشاء فهو معطوف على ما بعد
 أبأونا والتقدير اصلا تترك تأمر ان ترك عبادة آباءنا أو فعل ما نشاء في اموالنا ولا يجوز أن يكون قوله ان فعل
 معطوفا على قوله ان ترك لأن المعنى بصير فاسداً وأوهنا بمنزلتها في قولك جالس الحسن أو ابن سيرين وقوله ان
 يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بها ولم يقل به وموضع من في قوله من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب له
 وجهان من الاعراب ❀ احدهما ❀ أن يكون معلقاً بقوله تعلمون فيكون استفهاماً وتقديره فسوف تعلمون
 من المخزي ومن الكاذب ويجوز أن يكون من هو كاذب على هذا بمعنى الذي هو كاذب ويكون معطوفاً
 على الماء من يخزيه أي ويخزي الذي هو كاذب ❀ والثاني ❀ أن يكون من في قوله من يأتيه بمعنى الذي
 ويكون من هو كاذب عطفاً عليه وادخلوا هو في قوله من هو كاذب لأنهم لا يقولون من قائم ولا من قاعد وإنما
 يقولون من قام ومن يقوم ومن القائم ومن القاعد وقد ورد ذلك في الشعر قال الشاعر

من شارب مريح بالكأس نادمني لا بالحصور ولا فيها بسوار

كان لم يفتوا فيها يحتمل أن يكون كان محقة من الثقيلة على أن يضم فيها كما يضم في ان من قوله وآخر
 دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ويجوز أن يكون ان التي تنصب الفعل ويكون مع الفعل بمعنى المصدر

❀ المعنى ❀

ثم عطف سبحانه قصة شعيب على ما تقدمها من قصص الأنبياء عليهم السلام فقال (والى مدین) اي وارسلنا
 إلى اهل مدین (أخاهم شعيباً) فحذف اهل واقام مدین مقامه ومدین اسم القبيلة أو المدينة التي كانوا فيها فلذلك
 لم ينصرف عن الزجاج وقيل مدین بن ابراهيم نسبوا اليه (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) قد سبق
 تقريره (ولا تنقصوا المكيال والميزان) اي ولا تنقصوا حقوق الناس بالتطيف عند الكيل والوزن (إنني أراكم
 بخير) اي برخص السعر والحصب عن ابن عباس والحسن والمعنى انه حذرهم الغلاء وهو زيادة السعر وزوال النعمة
 وحلول النعمة إن لم يتوب وقيل أراد بالخير المال وزينة الدنيا عن قتادة وابن زيد والضحاك والمعنى اني أراكم في
 كثرة الأموال وسعة الارزاق فلا حاجة بكم إلى نقصان الكيل والوزن (واني أخاف عليكم عذاب يوم
 محبط) وصف اليوم بالاحاطة بمعنى انه يحيط بعذابه بجميع الكفار ولا يفلت منه احد منهم واران يوم القيامة عن
 الجبائي وهو من صفة العذاب على الحقيقة لأن اليوم محبط بعذابه بدلا من احاطته بنعمته وذلك اظهر في الوصف
 وأهول في النفس (ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط) اي اوفوا حقوق الناس في المكيال والموزونات
 بالمكيال والميزان بالعدل (ولا تبخسوا الناس) اي ولا تنقصوا الناس (اشياءهم) اي اموالهم في معاملاتهم
 (ولا تشوا في الارض مفسدين) اي ولا تسعوا بالفساد ولا تضربوا في الارض (بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين)
 البقية بمعنى الباقي اي ما أبقى الله تعالى لكم من الحلال بعد اتمام الكيل والوزن خير من البخس والتطيف
 وشرط الايمان في كونه خيرا لهم لأنهم ان كانوا مؤمنين بالله عرفوا صحة هذا القول عن ابن عباس وقيل معناه
 ابقوا الله النعيم عليكم خير لكم مما يحصل من النفع بالتطيف عن ابن جبير وقيل معناه طاعة الله خير لكم من
 جميع الدنيا لأنها يبقى ثوابها أبداً والدنيا تقنى عن الحسن ومجاهد ويؤيده قوله والباقيات الصالحات
 خير عند ربك ثوابا الاية وقيل بقية الله رزق الله عن الثوري (وما انا عليكم بحفيظ) اي وما انا بحافظ نعم
 الله تعالى عليكم ان يزيدنا عنكم وإنما يحفظها الله عليكم فاطلبوا بقاء نعمه بطاعته وقيل معناه وما انا بحافظ
 لأعمالكم وإنما يحفظها الله فيجازيكم عليها وقيل معناه وما انا بحافظ عليكم كيحكم ووزنكم حتى توفروا

الناس حقوقهم ولا تظلموهم وانما علي ان انهاكم عنه (قالوا يا شعيب اصلاتك تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا) انما
قالوا ذلك لأن شعيب (ع) كان كثير الصلاة وكان يقول اذ صلى ان الصلاة رادعة عن الشرناحية عن الفحشاء والمنكر
فقالوا اصلاتك التي تزعم انها تأمر بالحير وتنهى عن الشر أمرتك بهذا عن ابن عباس وقيل معناه أدينك يا مارك
بترك دين السلف عن الحسن وعطا واني مسلم قالوا كنى عن الدين بالصلاة لأنها من أجل أمور الدين وإنما قالوا
ذلك على وجه الاستهزاء (أو أن نعمل في أموالنا ما نشاء) معناه اصلاتك تأمرك بترك عبادة ما يعبد آباؤنا أو بترك
فعل ما نشاء في أموالنا من البخس والتطيف (إنك لأنت الخليم الرشيد) قيل انهم قالوا ذلك على وجه المزور
والنهمك وأرادوا به ضد ذلك اي السفيه الثاوي عن ابن عباس وقيل انهم قالوا ذلك على التحقيق اي انك أنت
الخليم في قومك فلا يليق بك ان تخالنهم والخليم الذي لا يعاجل بالعقوبة مستحقها والرشيد المرشد (قال)
شعيب (يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي) مر تفسيره (ورزقني منه رزقا حسنا) قيل ان الرزق الحسن
ههنا النبوة وقيل معناه هدائي لدينه ووسم علي رزقه وكان كثير المال عن الحسن وقيل كل نعمة من الله سبحانه
فهو رزق حسن وفي الكلام حذف اي أفاعدل مع ذلك عما انا عليه من عبادته وإنما حذف لدلالة ما بقا على ما القاه
(وما أريد ان أخالفكم الى ما انهاكم عنه) اي لست انهاكم عن شي* وادخل فيه وإنما اختار لكم ما اختاره
لنفسى ومعنى ما أخالفكم اليه اي ما اقصده بخلافكم الى ارتكابه عن الزجاج وهذا في معنى قول الشاعر

لانه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وقيل معناه وما أريد اجترار منفعة الى نفسي بما انهاكم عن اي لا أمركم بترك التطفيف في الكيل والوزن
لتكون منفعة ما يحصل بالتطفيف لي (إن أريد إلا الاصلاح) اي لست اريد بما أمركم به وإنماكم عنه إلا الاصلاح
أموركم في دينكم ودنياكم (ما استطعت) اي ما قدرت عليه وتمكنت منه (وما توفيقي إلا بالله) معناه
وليس توفيقي في امثال ما أمركم به والانتها عما أنهاكم عنه إلا بالله فلا يوفق غيره اي وليس ما افعله بحولي وقوتي بل
بمونة الله واطفئه وتيسيره (عليه توكلت) والتوكل على الله الرضا بتدبيره مع تقويض الأمور اليه والتسك بطاعته
(واليه أنيب) اي واليه ارجع في المعاد عن مجاهد وقيل اليه ارجع بعلمي ونيتي عن الحسن ومعناه اني اعمل اعلمي
كلها لوجه الله (ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي) اي لا يكسبنكم خلافي ومعاداتي (أن يصيبكم) عذاب العاجلة
عن الزجاج وقيل معناه لا تحملنكم عداوتي على مخالفة ربكم فيصيبكم من العذاب مثل ما اصاب من قبلكم
عن الحسن وكان سبب هذه العداوة دعاؤه لكم إلى مخالفة الآباء والأجداد في عبادة الأوثان وما يتقل عليهم من
الإيذاء في الكيل والميزان (مثل ما اصاب قوم نوح) من الهلاك بالفرق (او قوم هود) بالريح العقيم (او قوم
صالح) بالرجفة (وما قوم لوط منكم ببعيد) اي هم قريب منكم في الزمان الذي بينه وبينكم عن قتادة
وقيل معناه ان دارهم قريبة من داركم فيجب أن تعظوا بهم (واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه) أي اطلبوا
المغفرة من الله ثم توبوا اليها بالتوبة وقيل معناه استغفروا للماضي واعزموا في المستقبل وقيل استغفروا ثم دوموا
على التوبة وقيل استغفروا في العاتية ثم اضمروا الندامة في القلب عن الماضي (إن ربي رحيم) بعباده فيقبل
توبتهم ويعفو عن معاصيهم (ودود) اي محب لهم ومعناه مرید لمنافعهم وقيل معناه متودد الى عباده بكثرة
انعامه عليهم وقيل ودود بمعنى الواد أي يودهم إذا أطاعوه وروي عن النبي ﷺ انه قال كان شعيب خطيب
الأنبياء (قالوا) اي قال قوم شعيب له حين سمعوا منه الوعظ والتخويف (يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول)
اي ما نفهم عنك معنى كثير من كلامك وقيل معناه لا نقبل كثيرا منه ولا نعمل به وهذا كقولك إذا امرك إنسان
بشي* لا تريد ان تفعله لا اعلم ما تقول وانت تعلم ذلك اي لا افعله وإنما قالوا ذلك بعدما ألزمهم الحجة (وإنما
لترك فينا ضعيفا) اي ضعيف البدن عن الجيائي وقيل ضعيف البصر عن سفیان وقيل اعمى وكان شعيب اعمى

من قتادة وسعيد بن جبير قال الزجاج وحير تسمى المكفوف ضعيفا وهذا كما قيل ضرير أي قد ضر بذهاب بصره وكذلك قد ضعف بذهاب بصره وكف عن التصرف وهذا القول ليس بسديد لأن قوله فينا يورده ألا ترى أنه لو قيل إنا لنراك فينا أعمى لم يكن كلاما لأن الأعمى قد يكون أعمى فيهم وفي غيرهم وقيل ضعيفا أي مهينا عن الحسن واختلف في أن النبي ﷺ هل يجوز أن يكون أعمى فقيل لا يجوز لأن ذلك ينفر وقيل يجوز أن لا يكون فيه تنفير ويكون بمنزلة سائر العلل والأمراض (ولولا رهطك لرجمناك) أي لولا حرمة عشيرتك وقومك لقتلناك بالحجارة وقيل معناه لشمناك وسببناك (وما أنت علينا بعزير) أي لم ندع قتلك لعزتك علينا ولكن لأجل قومك قال الحسن وكان شعيب في عز من قومه وكان من أشرفهم وما بعث نبي بعد لوط إلا في عز من قومه (قال) شعيب (يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله) أي أشيرتي وقومي اعظم حرمة عندكم من الله فتتركون أذائي لأجل عشيرتي ولا تتركونه لله الذي بعثني إليكم (واتخذتموه وراءكم ظهريا) أي اتخذتم الله وراء ظهوركم يعني نسيتموه فالهاء عائدة إلى الله عن ابن عباس والحسن وقيل الهاء عائدة إلى ما جاء به شعيب عن مجاهد والمعنى ونبتتم ما أرسلت به إليكم وراء ظهوركم وقيل الهاء عائدة إلى امر الله عن الزجاج أي نبتتم امر الله وراء ظهوركم وتركتموه (إن ربي بما تعملون محيط) أي محص لأعمالكم لا يفوته شيء منها وقيل معناه خبير بأعمالكم فيجازيكم بها عن الحسن (ويا قوم اعملوا على مكانتكم) أي اعملوا على حالتكم هذه والمكانة الحال التي يتمكن بها صاحبها مسن عمل وهذا تهديد في صورة الأمر وتقديره كأنكم إنا امرتم بأن تكونوا على هذه الحال من الكفر والطغيان وفي هذا نهاية الحزني والهران وقيل معناه اعملوا على ما يمكنكم أي اعملوا انتم على ما تقولون وامل انا على ما أقول وقيل معناه اعملوا على ما انتم عليه من دينكم ونحوه قوله لكم دينكم ولي دين وفي هذا دلالة على أنه آيس من قومه (إني عامل) على ما امرني ربي وقيل اني عامل على ما انا عليه من الانذار (سوف تعلمون) اينا المخطئ الجاني على نفسه وقيل معناه سوف يتبين لكم وتعلمون في عاقبة الامر (من يأتيه عذاب يخزيه) أي يهينه ويفضحه ويظهر الكاذب من الصادق وتقديره ومن هو كاذب يخزي بعذاب الله فحذف (وارتقبوا اني معكم رقيب) أي انتظروا ما وعدكم ربكم من العذاب اني معكم منتظر حلول العذاب بكم وقيل معناه انتظروا العذاب واللجنة وانا انتظر الرحمة والثواب والنصرة عن ابن عباس وقيل معناه انتظروا مواعيد الشيطان وانا انتظر مواعيد الرحمن وروي عن علي بن موسى الرضا عليه السلام انه قال ما احسن الصبر وانتظار الفرج اما سمعت قول العبد الصالح وارتقبوا اني معكم رقيب (ولما جاء امرنا نجينا شعبيا والذين آمنوا معه برحمة منا) مضى تفسيره (وأخذت الذين ظلموا الصيحة) صاح بهم جبرئيل صيحة فماتوا (فأصبحوا في ديارهم جائعين كأن لم يفنوا فيها) مضى تفسيره قبل (الا بعدا لمدين كما بعدت ثود) (الا بعدوا من رحمة الله بعدا كما بعدت ثود وقيل الا هلاكاً لهم كما هلكت ثود وتقديره الا اهلكهم الله فبعدوا بعدا قال البلخي يجوز ان تكون الصيحة صيحة على الحقيقة كما روي ويجوز ان تكون ضرباً من العذاب اهلكهم الله به واصطلهم تقول العرب صاح الزمان بهم إذا هلكوا وقال امرؤ القيس

فدع عنك فهبا صييح في حجراته ولكن حديث ما حديث الرواحل

ومعنى صييح في حجراته اذهب واهلك قالوا وإنا شبه حالهم بحال ثود خاصة لأنهم اهلكوا بالصيحة كما اهلكت ثود بثل ذلك مع الرجفة

قوله تعالى (٩٦) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٨) بِقَدْمِ قَوْمِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ

وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِسَاءِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٩) وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةَ رَبِّكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ اتَّبَعُواكَ بَدْرًا وَأَنفَرُوا مِنَّا فِي الْبُرْجِ وَقَدْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذْنَا عُوقًا مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٠٠)
 ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقِصُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ (١٠١) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ
 فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ
 (١٠٢) وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٣) إِنَّ
 فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ثَمَانِي آيَاتٍ

اللغة

يقال قدمت القوم اقدمهم قدما إذا مشيت أمامهم واتبعوك الازهري قدم يقدم وتقدم وقدم واقدم واستقدم
 بمعنى والورد ورود الماء الذي يورد والابيل الواردة والجمع اوراد والاياد إيجاب الورد في الماء. او ما يقوم مقامه
 قال الشاعر

يرد المياه حاضرة ونفيسة ورد القطاة إذا سأل التبع
 وقال لبيد

فوردنا قبل فرأط القطا إن من وردي تغليس النهل
 واصل الورد الاشراف على الدخول وليس بالدخول قال عنتر

فلما وردن الماء زرقا جامه وضمن عصي الحاضر المتخيم
 والرغد العون على الأمر يقال رفته يرفده، رفدا ورفدا يفتح الراء وكسرها قال الزجاج كل شيء جعلته عوناً
 لشيء أو اسندت به شيئاً فقد رفته به يقال عمدت الحائط واسندته وارفته ورفدته بمعنى واحد ويقال رفته
 وارفته إذا اعطاه والاسم الرفدان العطاء عون المعطي والحصيد بمعنى المحصود والحصد قطع الزرع من الأصل
 وهذا زمن الحصاد يفتح الحاء وكسرها ويقال حصدهم بالسيف إذا قتلهم وتبب من تبت يده أي خسرت
 قال جرير

عرابة من بقية قوم لوط ألا تبا لما فعلوا تبابا
 والفرق بين العذاب والألم ان العذاب استمرار الألم قال صيد
 والمرء ما عاش في تكذيب طول الحياة له تعذيب

المعنى

ثم عطف سبحانه قصة موسى (ع) على ما تقدم من قصص الأنبياء فقال (ولقد ارسلنا موسى بآياتنا) أي
 بمجيبنا ومعجزاتنا الدالة على نبوته (وسلطان مبین) أي وحجة ظاهرة مخصصة من تليس وتمويه على أتم ما يمكن
 فيه والسلطان وإن كان في معنى الآيات فإنها عطفه عليها لأن الآيات حجج من وجه الاعتبار العظيم بها والسلطان
 حجة من جهة القوة العظيمة على المبطل وكل عالم له حجة يقهر بها شبهة من نازعه من أهل الباطل فله سلطان وقد
 قيل إن سلطان الحجة انفذ من سلطان المملكة والسلطان متى كان محققاً حجة وجب اتباعه وإذا كان بخلافه لا يجب
 اتباعه قال الزجاج السلطان إنما سمي سلطاناً لأنه حجة الله في أرضه واشتقاقه من السليط الذي يستضاء به (إلى
 فرعون وملائه) أي قومه وقيل اشراف قومه الذين تملأ الصدور هيبتهم (فاتبعوا امر فرعون) وتركوا أمر الله
 تعالى (وما أمر فرعون برشيد) أي مرشد ومعناه ما هو بهاد لهم إلى رشد ولا قائد إلى خير فأمر فرعون كان

على ضد هذه الحال لأنه دأب إلى الشر وصاد عن الخير وفي هذا دلالة على أن لفظة الأمر مشتركة بين القول والفعل والمراد هاهنا وما فعل فرعون برشيد (يقدم قومه يوم القيامة) يعني أن فرعون يشي بسين يدي قومه يوم القيامة على قدميه حتى يهجم بهم على النار كما كان يقدمهم في الدنيا يدعوهم إلى طريق النار وإنما قال (فأوردهم) على لفظ الماضي والمراد به المستقبل لأن ما عطفه عليه من قوله يقدم قومه يوم القيامة يدل عليه عن الجائي وقيل أنه معطوف على قوله فاتبعوا أمر فرعون (وبش الورد المورود) أي بش الماء الذي يردونه عطاشاً لأحياء نفوسهم (النار) إنما أطلق سبحانه على النار اسم الورد المورود ليطابق ما يرد عليه أهل الجنة من الأنهار والعيون وقيل معناه يش المداخل المدخول فيه النار وقيل يش الشي الذي يرد النار وقيل يش النصب المقسوم لهم النار وإنما أطلق لفظ بش وإن كان عدلاً حسناً لما فيه من البؤس والشدة (واتبعوا في هذه) يعني الحقوا في الدنيا (لعنة) وهي العرق (ويوم القيامة) يعني ولعنة يوم القيامة وهي عذاب الآخرة وقيل معناه اتبعهم الله في الدنيا لعنة بأوبادهم من الرحمة واتبعهم الأنبياء والمؤمنون بالدعاء عليهم باللعنة وبتبعهم الله اللعنة في القيامة حتى لا تفارقهم اللعنة حيث كانوا قال ابن عباس من ذكرهم لعنهم (بش الرشد المرفود) أي بش العطاء المعطى النار واللعنة وإنما ساء رفاً لأنه في مقابلة ما يعطى أهل الجنة من أنواع النعيم وقال قتادة تراءفت عليهم لعنتان من الله لعنة في الدنيا ولعنة في الآخرة وسأل نافع بن الأزرق ابن عباس عن قوله بش الرشد المرفود قال هو اللعنة بعد اللعنة وقال الضحاك اللعنتان اللتان أصابتهما ردفدت أحدهما الأخرى (ذلك) أي ذلك النبأ (من أنباء القرى) أي من أخبار البلاد (نقصه عليك) أي تذكره لك ونخبرك به تذكرة وتسلية لك يا محمد (منها قائم وحصيد) أي من تلك الديار معمور وغراب قد أتى عليه الأهلاك ولم يعمر فيا بعد وقيل معناه منها قائم على بنائه لم يذهب أصلاً وإن كان خالياً من أهله وحصيد قد خرب وذهب واندرس أثره كالشيء المحصور عن قتادة وأبي مسلم وقيل منها قائم ينظرون إليه وحصيد قد هلك وباد أهله عن ابن عباس (وما ظلمناهم) بأهلاكم (ولكن ظلموا أنفسهم) بأن كفروا وارتكبوا ما استحقوا به الهلاك فكان ذلك ظلمهم لأنفسهم (فما اغتت عنهم آهتهم) أي أوثانهم (التي يدعون من دون الله من شيء) لما جاء أمر ربك (أي عذاب ربك) وقيل أمر ربك بأهلاكمهم (وما زادوهم غير تنبيب) أي غير تحسير عن مجاهد وقتادة والمعنى لم يزيدوهم شيئاً غير الهلاك والحسار وإنما أضاف الإهلاك إلى الأصنام لأنها السبب في ذلك ولو لم يعبدوها لم يهلكوا وإنما قال يدعون من دون الله لأنهم كانوا يسمونها آهة ويطلبون الخرائج منها كما يطلبها الموحدون من الله (وكذلك أخذ ربك) أي وكما ذكر من أهلاك الأمم وأخذهم بالعذاب أخذ ربك (إذا أخذ القرى) أي أخذ أهلها وهو أن ينقلهم إلى العقوبة والهلاك (وهي ظالمة) من صفة القرى وهو في الحقيقة لأهلها وسكانها ونحوه وكما قصصنا من قرية كانت ظالمة وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال إن الله تعالى يهمل الظالم حتى إذا أخذ لم يفلته ثم قرأ هذه الآية (إن أخذهم أليم شديد) معناه إن أخذ الله سبحانه الظالم ولم شديد الألم (إن في ذلك لآية) أي إن فينا قصصنا عليك من أهلاك من ذكرناه على وجه العقوبة لهم على كفرهم لعبادة وتبصرة وعلامة عظيمة (لمن خاف عذاب الآخرة) أي لمن خشى عقوبة الله يوم القيامة وخص الخائف بذلك لأنه هو الذي ينتقم به بالتدبير والتفكير فيه (ذلك يوم مجموع له الناس) أي يجمع فيه الناس كلهم الأولون والآخرون منهم للجزاء والحساب والهواء في له راجعة إلى اليوم (وذلك يوم مشهود) أي يشهدهم الخلائق كلهم من الجن والإنس وأهل السماء وأهل الأرض أي يحضروه ولا يوصف بهذه الصفة يوم سواء وفي هذا دلالة على اثبات المعاد وحشر الخلق

قوله تعالى (١٠٤) وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ (١٠٥) يَوْمَ بَأْسٍ لَا لَكُمْ نَفْسٌ

إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٦) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٧)

خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٨) وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَبِئْسَ الْجَنَّةُ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ خَمْسَ آيَاتٍ

(القراءة) —

قرأ يعقوب وما يؤخره بالياء والباقون بالنون وقرأ يوم يأت بغير ياء ابن عامر وأهل الكوفة غير الكسائي والباقون يأتي بإثبات الياء وقرأ أهل الكوفة غير أبي بكر سعدوا بضم السين والباقون سعدوا بالفتح

(الحجة) —

من قرأ يؤخره بالياء فإنه رده إلى قوله اخذ ربك ومن قرأ بالنون فإنه ابتداء والياء في المعنى كالنون وقوله يوم يأت قال الزجاج الذي يختاره النحويون يوم يأتي وهذيل يحذف هذه الياءات كثيرا وقد حكى سيويه والحليل أن العرب تقول لا ادر فتحذف الياء وتجتزئ بالكسرة إلا أنهم يزعمون أن ذلك لكثرة الاستعمال قال ابو علي من اثبت الياء في الوصل والوقف فهو القياس البين وأما من حذفها في الوقف إذا قال يوم يأت فلأنها وان لم تكن في فاصلة امكن ان نشبهها بالفاصلة لأن هذه الياء تشبه الحركات المحذوفة في الوصل بدلالة أنهم حذفوها كما حذفوا الحركة فكما ان الحركة تحذف في الوقف فكذلك ما اشبهها من هذه الحروف كان في حكمها فأما من حذفها في الوصل والوقف فلأنه جعلها في الوصل والوقف بمنزلة ما استعمل محذوفا مما لم يكن ينبغي في القياس ان يحذف نحو لم يك ولا أدر ومثله قول الشاعر

كفالك كف لا تبقي درهما جوداً وأخرى تعطط بالسيف الدما

حذف الياء من تعطط وليس هنا ما يوجب حذفها وأما قوله سعدوا فقد قال ابو علي حكى سيويه سعد يسعد سعادة فهو سعيد وينبغي ان يكون غير متعد كما ان خلفه الذي هو شقي كذلك واذا كان كذلك كان ضم السين مشكلا إلا ان يكون سبعم فيه لغة خارجة عن القياس او يكون من باب فعل وفعلته نحو غاص الماء وغصته وحزن وحزنت ولعلمهم استشهدوا على ذلك بقولهم مسعود وانه يدل على سعد ولا دلالة قاطعة في ذلك لأنه يجوز ان يكون مثل اجننه الله فهو مجنون وأجنه فهو محبوب فالمفعول جاء في هذا على انه حذف الزيادة عنه كما حذف من اسم الفاعل في نحو قوله وارسلنا الرياح لواقح فبجاء على حذف الزيادة فعلى هذا يكون اصله اسعد فحذف الزائد ومن الحذف قول الشاعر « يخرجن من اجواز ليل غاض » يريد مغض

❖ اللغة ❖

الشقا. والشقاوة والشقرة بمعنى والياء في شقي منقلبة عن واو والسعادة ضد الشقاوة والزفير اول نهاق الحمار والشهيق آخر نهاقه قال روثبه

حشرج في الجوف سهيلا او شهق حتى يقال ناهق وما نهق

والزفير ترديد النفس مع الصوت من الحزن حتى تتفخ الضلوع وأصل الزفير الشدة من قولهم للشديد الخلق مزفور والزرفر الحمل على الظهر خاصة لشدته والزرفر السيلدانه يطبق حمل الشدائد وزفرت النار إذا سمع لها صوت من شدة توقدها والشهيق صوت فظيع يخرج من الجوف بد النفس واصله الطول المفرط من قولهم جبل شاهق والخلود الكون في الامر ابدا والدوام البقاء ابدا ولهذا يوصف سبحانه بأنه دائم ولا يوصف بأنه خالد والجدد القطع يقال جده يجذه وجد الله دايرهم قال النابغة

يجذ السلوقي المضاعف نسجه ويوقد بالصفاح نار الجبابح
ويقال جذها جذ العبير الصليانة وهي بنت

✽ الاعراب ✽

يوم يأتي لا يخالوان يكون فاعل يأتي ضمير اليوم المضاف الى يأتي واليوم المتقدم ذكره فلا يجوز ان يكون فاعله ضمير اليوم الذي اضيف الى يأتي لأنك لا تقول جئتك يوم يسرك سروره إياك ويكون الها. عائدة الى يوم فيصير اليوم مضافا الى الفعل المسند الى ضميره وانما تعرف الفعل فيه بالفاعل فيكون كأنك انما عرفت اليوم بنفسه ونظير ذلك قولك هذا يوم حره ويوم برده والها. لايوم وهذا غير جائز وكذلك لا يجوز ان تضيف الظرف الى جملة معرفة بضميره وان كانت من مبتدأ وخبر. مثل ان تقول آتيك يوم ضحوته باردة ليلة اولها مطير فان ثوتت فقلت آتيك يوما ضحوته باردة او ليلة اولها مطير جاز لأنه خرج بالتثنية من حد الإضافة وهذا قول ابي عثمان المازني واذا ثبت ذلك فقد ثبت ان في يأتي ضمير اليوم المتقدم ذكره في قوله ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود اي يوم يأتي هذا اليوم الذي تقدم ذكره لا تكلم نفس فاليوم في قوله يوم يأتي يراد به الحين والبرهة وليس على وضع النهار وقوله لا تكلم نفس الا بالذنه يجوز ان يكون هذه الجملة حالا من الضمير في يأتي ويجوز ان يكون صفة ليوم المضاف الى يأتي لأن يوم مضاف الى يأتي والفعل نكرة فلا تعرف يوم بالإضافة اليه فجاز ان يوصف بالجملة كما توصف النكرات بالجمل والمعنى لا تكلم فيه نفس فحذف فيه او حذف الحرف وأوصل الفعل الى المتعول ثم حذف الضمير من الفعل الذي هو صفة كما يحذف من الصلة ومثل ذلك قولهم الناس رجلان رجل اكرمت ورجل امنت واذا جملة حالا من الضمير في يأتي وجب ان تقدر فيه ايضا ضميرا يعود الى ذي الحال وتقديره غير متكلم فيه هذا كله قول ابي علي وأقول ان الاظهر ان قوله يسوم يأتي ظرف لقوله لا تكلم نفس إلا بالذنه ومعول له وهذا الوجه لا يحتاج فيه الى تقدير محذوف كما في الوجهين اللذين ذكرتهما فيكون اولي وإنسا يضاف يوم الى الفعل لأنه اسم زمان والفعل يناسب الزمان من حيث انه لا يحلومنه وانما يتصرف بتصرفه وانه لا يكون حادثا الا وقتا كما ان الزمان لا يبقى وقوله لا تكلم اي لا تكلم فحذف احدى التائين كما في قول الشاعر

والعين ساكنة على اطلاقها عودا تأجل بالفضا. بهامها
اي تتأجل وعطا منصوب بما دل الكلام عليه فكأنه قال اعطاهم النعيم عطا.

✽ المعنى ✽

ثم اخبر سبحانه عن اليوم المشهود وهو يوم القيامة فقال (وما تؤخره) اي وما تؤخر هذا اليوم (إلا لأجل معدود) وهو أجل قد عده الله تعالى لعلمه ان صلاح الخلق في ادامة التكليف عليهم الى ذلك الوقت وفيه إشارة الى قربيه لأن ما يدخل تحت العد فكأن قد نفذ وانما قال لأجل ولم يقل الى أجل لأن اللام يدل على الغرض وان الحكمة اقتضت تأخيره وإلى لا يدل على ذلك (يوم يأتي) اي حين يأتي القيامة والجزاء (لا تكلم نفس إلا بالذنه) اي لا يتكلم أحد فيه الا بالذنه ان الله تعالى وامره ومعناه انه لا يتكلم فيه الا بالكلام الحسن المأذون فيه لأن الخلق ملجأون هناك الى ترك القبائح فلا يقع منهم فعل القبيح وأما ما هو غير قبيح فلو أنه مأذون فيه عن الجبائي والظاهر ان يقال معناه انه لا يتكلم احد في الآخرة بكلام نافع من شفاعة ووسيلة الا بالذنه فالن قيل كيف يجمع بين هذه الآية وبين قوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيمتدرون وقوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان على انه سبحانه قال في موضع آخر وقفهم إنهم مسؤلون وهل هذا الا ظاهر التناقض فالجواب ان يوم القيامة يشتمل على مواقف قد أذن لهم في الكلام في بعض تلك المواقف ولم يؤذن لهم

في الكلام في بعضها عن الحسن وقيل ان معنى قوله لا ينطقون انهم لا ينطقون لجة وإنما يتكلمون بالاقرار بذنوبهم ولوم بعضهم بعضا وطرح بعضهم الذنوب على بعض وهذا كما يقول القائل لمن تكلم بكلام كثير فارغ من الحجة ماتكلمت بشي ولا نطقت بشي فسمي من يتكلم بما لا حجة فيه غير متكلم كما قال سبحانه صم بكم عمي وهم كانوا يسمعون ويتكلمون ويصرون الا انهم في انهم لا يقبلون الحق ولا يتاملون بمنزلة الصم البكم العمي وكلا الوجهين حسن وأما قوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان فمعناه انهم لا يسألون عن ذنوبهم للتعرف من حيث ان الله سبحانه علم اعمالهم وإنما يسألون سؤال توبيخ وتقريع وتقرير لا يجاب لجة عليهم كما في قوله وقفوههم انهم مسؤلون فأثبت سبحانه سؤال التقريع في آية ونفى سؤال التعرف والاستعلام في أخرى فلا تناقض وقوله (فمنهم شقي وسعيد) إخبار منه سبحانه بأنهم قسمان اشقياء وهم المستحقون للعقاب وسعداء وهم المستحقون للثواب والشقاء قوة اسباب البلا والسعادة قوة اسباب النعمة والشقي من شقي بسوء عمله في معصية الله والسعيد من سعد بحسن عمله في طاعة الله والضمير في قوله فمنهم يعود الى الناس في قوله ذلك يوم مجموع له الناس وقيل انه يعود الى نفس في قوله لا تكلم نفس الا بإذنه لان النفس اسم الجنس (فأما الذين شقوا ففي النار) يعني ان الذين شقوا باستحقاقهم العذاب جزاء على اعمالهم القبيحة داخلون في النار وانما وصفوا بالشقاوة قبل دخولهم النار لانهم على حال توديعهم الى دخولها وأما ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الشقي من شقي في بطن أمه فلان المراد بذلك ان المعلوم من حاله انه سيشتقي بارتكاب القبائح التي توديه الى عذاب النار كما يقال لابن الشيخ الهرم انه يتيم بمعنى انه سييتم (لهم فيها زفير وشهيق) قال الزجاج الزفير والشهيق من اصوات المكرويين المحزونين والزفير من شديد الأنين وقبيحه بمنزلة ابتداء صوت الحمار والشهيق الأنين الشديد المرتفع جدا بمنزلة آخر صوت الحمار وعن ابن عباس قال يريدندامة ونفسا عاليا وبكاء لا ينقطع (خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك) اختاف العلماء في تأويل هذا في الآيتين وهلمن المواضع المشككة في القرآن والاشكال فيه من وجهين **﴿ احدها ﴾** تحديد الخلود بمدة دوام السماوات والأرض **﴿ والآخر ﴾** معنى الاستثناء بقوله إلا ما شاء ربك فالأول فيه اقوال **﴿ احدها ﴾** ان المراد ما دامت السماوات والأرض مبدلتين اي ما دامت سماوات الآخرة وارضاها وهما لا يفنيان اذا أعيد ابعدا لافناء عن الضحالك والجباني **﴿ وثانيها ﴾** ان المراد ما دامت سماوات الجنة والنار وارضاها وكل ما علاك فأطلق فهو سماوات وكل ما استقر عليه قدمك فهو أرض وهذا مثل الأول او قريب منه **﴿ وثالثها ﴾** ان المراد ما دامت الآخرة وهي دائمة ابدا كما ان دوام السماء والأرض في الدنيا قدر مدة بنائها عن الحسن **﴿ ورابعها ﴾** انه لا يراد به السماء والأرض بعينها بل المراد التبعية فإن للعرب الفاظا للتبعية في معنى التأيد يقولون لا أفعل ذلك ما اختلف الليل والنهار وما دامت السماء والأرض وما نبت الثبت وما اطت الأوبل وما اختلف الجرة والدارة وما ذر شارق وفي اشباه ذلك كثرة فلنا منهم ان هذه الاشياء لا تتغير ويريدون بذلك التأيد لا التوقيت فخاطبهم سبحانه بالمتعارف من كلامهم على قدر عقولهم وما يعرفون قال عمرو بن معديكرب

وكل أخ مفارقه أخوه لعمري ابيك الا الفرقدان

وقال زهير

الا لا أرى على الحوادث باقيا ولا خالدا الا الجيل الرواسيا

وإلا السماء والنجوم وربنا وأيامنا معدودة والليالي

لأنه توهم ان هذه الاشياء لا تفسى وتخلد واما الكلام في الاستثناء فقد اختلفت فيه اقوال العلماء على وجوه **﴿ احدها ﴾** انه استثناء في الزيادة من العذاب لأهل النار والزيادة من النعيم لأهل الجنة والتقدير

إلا ما شاء ربك من الزيادة على هذا المقدار كما يقول الرجل لغيري فلي عليك الف دينار الا الاثني الذين اقرضتكها وقت كذا فالالفان زيادة على الألف بغير شك لأن الكثير لا يستثنى من القليل عن الزجاج والفراء وعلي بن عيسى وجماعة وعلى هذا فيكون الا بمعنى سوى اي سوى ما شاء ربك كما يقال ما كان معنا رجل الا زيدا اي سوى زيد **﴿ وثانيها ﴾** ان الاستثناء واقع على مقامهم في المحشر والحساب لأنهم حينئذ ليسوا في جنة ولا نار ومدة كونهم في البرزخ الذي هو ما بين الموت والحياة لأنه تعالى او قال خالد بن زيد لم يستثن لظن الطنان أنهم يكتنون في النار والجنة من لدن نزول الآية او من بعد انقطاع التكليف فحصل للاستثناء فائدة عن المازني وغيره واختاره البلخي فإن قيل كيف يستثنى من الخلود في النار ما قبل الدخول فيها فالجواب ان ذلك جائز اذا كان الاخبار به قبل دخولهم فيها **﴿ وثالثها ﴾** ان الاستثناء الأول يتصل بقوله لهم فيها زفير وشهيق وتقديره إلا ما شاء ربك من اجتناس العذاب الخارجة عن هذين الضريين ولا يتعلق الاستثناء بالخلود وفي اهل الجنة يتصل بما يدل عليه الكلام فكأنه قال لهم فيها نعيم إلا ما شاء ربك من انواع النعيم وانما دل عليه قوله عطاء غير مجدوذ عن الزجاج **﴿ ورابعها ﴾** ان يكون الا بمعنى الواو اي وما شاء ربك من الزيادة عن الفراء وامشهد على ذلك بقول الشاعر

وأرى لها داراً باغدره السية بدان لم يدرس لها رسم
الا راماداً هامدا رفعت عنه الرياح خوالد مسح

قال والمراد بالواو ههنا ولا كان الكلام متناقضاً وهذا القول قد ضعه محققو التحوين **﴿ وخامسها ﴾** ان المراد بالذين شقوا من ادخل النار من اهل التوحيد الذين ضموا الى ايمانهم وطاعتهم ارتكاب المعاصي فقال سبحانه انهم معاقبون في النار الا ما شاء ربك من اخرجهم الى الجنة وابصال ثواب طاعتهم اليهم ويجوز ان يريد بالذين شقوا جميع الداخلين الى جهنم ثم استثنى بقوله الا ما شاء ربك أهل الطاعات منهم ممن استحق الثواب ولا بد ان يوصل اليه وتقديره الا ما شاء ربك ان يخرجهم بتوحيده من النار ويدخله الجنة وقد يكون ما معنى من قال سبحانه سبح لله ما في السماوات وقالت العرب عند سماع الرعد سبحات ما سبحت له وأما في اهل الجنة فهو استثناء من خلودهم ايضا لما ذكرناه لأن من ينقل إلى الجنة من النار وخلد فيها لا بد في الاخبار عنه بتأييد خلوده ايضا من استثناء ما تقدم فكأنه قال خالد بن زيد ما شاء ربك من الوقت الذي ادخلهم فيه النار قبل أن ينقلهم إلى الجنة فما في قوله ما شاء ربك ههنا على بابه والاستثناء من الزمان والاستثناء في الأول من الأعيان والذين شقوا على هذا القول هم الذين سعدوا بأعيانهم وإنما أجرى عليهم كل لفظ في الحال الذي تليق به فإذا ادخلوا النار وعوقبوا فيها فهم من أهل الشقاء وإذا نقلوا منها إلى الجنة فهم من أهل السعادة وهذا قول ابن عباس وجابر بن عبد الله وابي سعيد الخدري وقتادة والسدي والضحاك وجماعة من المفسرين وروى ابو روق عن الضحاك عن ابن عباس قال الذين شقوا ليس فيهم كافر وإنما هم قوم من أهل التوحيد يدخلون النار بذنوبهم ثم بفضل الله عليهم فيخرجهم من النار إلى الجنة فيكونون اشقياء في حال سعداء في حال أخرى وقال قتادة الله اعلم بحبيته ذكر لنا ان ناسا يصيبهم سفع من النار بذنوبهم ثم يدخلهم الله الجنة برحمته يسمون الجهنميين وهم الذين أنقذ فيهم الوعيد ثم أخرجوا بالشقاعة قال وحدثنا أنس بن مالك ان رسول الله **﴿ ﷺ ﴾** قال يخرج قوم من النار قال ولا تقول ما يقوله أهل حروراء وهذا القول هو المختار المعول عليه **﴿ وسادسها ﴾** ان تعليق ذلك بالمشيئة على سبيل التأكيد للحدود والتعبد للخروج لأن الله تعالى لا يشاء إلا تخليدهم على ما حكم به فكأنه تعليق لما لا يكون بما لا يكون لأنه لا يشاء أن يخرجهم منها **﴿ وسابعها ﴾** ما قاله الحسن ان الله سبحانه استثنى ثم عزه بقوله ان ربك فعال لما يريد انه اراد ان يدخلهم وقرب منه ما قاله الزجاج وغيره انه استثناء تستثيه

العرب وتفعله كما تقول والله لا ضررين زيداً إلا ان أرى غير ذلك وانت عازم على ضرره والمعنى في الاستثناء على هذا اني لو شئت أنت لا اضره لعلت ﴿ وثامنها ﴾ قال يحيى بن سلام البصري انه يعني بقوله الإماشاء ربك ما سبقهم به الذين دخلوا قبلهم من الفريقين واحتج بقوله تعالى وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً قال ان الزمرة تدخل بعد الزمرة فلا بد ان يقع بينها تفاوت في الدخول والاستثناء ان على هذا من الزمان ﴿ وتاسعها ﴾ ان المعنى خالدون في النار دائمون فيها مدة كونهم في القبور ما دامت السموات والارض في الدنيا وإذا فنيتا وعمدنا انقطع عقابهم إلى أن يبعثهم الله للحساب وقوله إلا ما شاء ربك استثناء وقع على ما يكون في الآخرة اوردده الشيخ ابو جعفر قدس الله روحه وقال ذكره قوم من اصحابنا في التفسير ﴿ وعاشرها ﴾ ان المراد إلا ما شاء ربك أن يتجاوز عنهم فلا يدخلهم النار والاستثناء لأهل التوحيد عن ابي مجلز قال هي جزاؤهم وإن شاء سبحانه تجاوز عنهم والاستثناء يكون على هذا من الأعيان (واما الذين سعدوا) أي سعدوا بطاعة الله وانتهائهم عن المعاصي (ففي الجنة) يكونون في الجنة (خالدون) فيها ما دامت السموات والارض) أي مدة دوام السموات والارض (الإماشاء ربك) يتأق في جميع ما ذكرناه في الاستثناء من الخلود في النار إلا ما مضى ذكره من جواز اخراج بعض الأشقياء من تناول الوعيد لهم وإخراجهم من النار بعد دخولهم فيها فإن ذلك لا يتأق هنا لاجماع الأمة على ان من استحق الثواب فلا بد أن يدخل الجنة وانه لا يخرج منها بعد دخوله فيها (عطاء غير مجذوذ) أي غير مقطوع

قوله تعالى (١٠٩) فَلَا تَكُ فِي مَرْبَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمَوْفُونَ نَصِيْبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ (١١٠) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَأَخْلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِّي بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (١١١) وَإِنْ كَلَّمْنَا لَوْلِيَيْنَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُمَا يَعْمَلُونَ خَيْرًا (١١٢) فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ أربع آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر وابن عامر وحمزة وحفص وان كلاهما بتشديد النون والميم وقرأ اهل البصرة والكسائي وخلف وان كلاهما بتشديد النون لما تخفيف الميم وقرأ نافع وابن كثير وان كلاهما بخفيفة النون لما خفيفة الميم وقرأ ابو بكر عن عاصم وان كلاهما بخفيفة النون لما مشددة الميم وفي الشواذ قراءة الزهري وسليمان بن ارقم لما بالتونين وقراءة بن مسعود وان كل بالرفع إلا ليوثينهم

(- الحجة -)

قال ابو علي من قرأ وإن كلاهما بتشديد وتخفيف لما فوجهه بين وهو انه نصب كلا بأن وأن يقتضي ان يدخل على خبرها او اسمها لام فدخلت هذه اللام وهي لام الابتداء على الخبر في قوله لما وقد دخلت في الخبر لام الاخرى وهي التي تلقي بها القسم ويختص بالدخول على الفعل ويلزمها في أكثر الأمر احدى التونين فلما اجتمعت اللامان واتفقتا في تلقي القسم واتفقتا في اللفظ فصل بينهما كما فصلوا بين إن واللام فدخلت ما لهذا المعنى وإن كانت زائدة لتفصل كما جلبت النون وإن كانت زائدة في نحو واما ترين من البشر احدا وكما صارت عوضاً من الفعل في قولهم امالا بالامالة وفي قوله

اباخراسة اما انت ذا نفر فان قومي لم يأكلهم الضبع

وبلي هذا الوجه في البيان قول من خفف إن ونصب كلا وخفف لما قال سيوبه حدثنا من نثق به انه سمع من العرب من يقول ان عمراً لمنطلق قال وأهل المدينة يقرأون كلا لما جميع لدينا محضرون يخففون وينصبون كما قالوا « كان نديبه حقان » ووجه النصب بها مع التخفيف من القياس ان ان مشبهة في نصبها بالفعل والفعل بعمل محذوف كما يعمل غير محذوف وذلك في نحو لم يك زيد منطلقاً فلا تك في مربة وكذلك لا ادر فأما من خفف ان ونصب كلا وثقل لما فقراءته مشكلة وذلك ان ان إذا نصب بها وإن كانت مخففة كانت بمنزلة مثقلة ولما إذا شددت كانت بمنزلة إلا وكذلك قراءة من شدد لما وثقل ان مشكلة وذلك ان ان إذا ثقلت وإذا خففت ونصب بها فهي في معنى الثقيلة فكما لا يحسن تثقيب ان زيدا إلا منطلق كذلك لا يحسن تثقيب ان وتثقيب لما فأما محيي لما في قولهم نشدتك الله لما فعلت وإلا فعلت فقال الخليل الوجه لتفعلن كما تقول اقسمت عليك لتفعلن وأما دخول إلا ولما فلان المعنى الطلب فكأنه اراد ما أسألك إلا فعل كذا ولم يذكر حرف النفي في اللفظ وإن كان مراداً كما جاء في قولهم شرا هو ذاتا باري ما هو إلا الشر وليس في الآفة معنى نفي ولا طلب فإن قال قائل لمن ما فادغم النون في الميم بعد ما قلبها ميماً فلن ذلك لا يسوغ ألا ترى أن الحرف المدغم إذا كان قبله ساكن نحو قوم مالك لم يقولوا ادغام فيه على ان تحرك الساكن الذي قبل الحرف المدغم فإذا لم يميز ذلك فيه وكان التثنية اسهل من الحذف فإن لا يجوز الحذف الذي هو اذهب سيفه باب التثنية من تحريك الساكن اجدر على ان في هذه السورة ميات اجتمعت سيفه الادغام اكثر مما كان يجتمع في لمن ما ولم يحذف منها شيء وذلك قوله على امم ممن مملك فإذا لم يحذف شيء من هذا فان لا يحذف ثم اجدر وقد روى انه قد قرأ وان كلا لما متوناً كما قال وتنا كلون التراث اكلا لما فوصف بالمصدر فإن قال ان لما فيمن ثقل إنما هو لما هذه وقف عليها بالألف ثم اجري في الوصل مجرى الوقف فذلك ما يجوز في الشعر ووجه الاشكال فيه ابين من هذا الوجه وقد حكى عن الكسائي انه قال لا اعرف وجه التثقيب في لما ولم يعبد فيما قال ولو خفف مخفف ان ورفع كلا بعدها لجاز تثقيب لما مع ذلك على أن يكون المعنى ما كان ليوفينهم فيكون ذلك كقوله وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا ولكن ذلك ابين من النصب في كل والتثقيب لما وينبغي أن يقدر المضاف اليه كل نكرة ليحسن وصفه بالنكرة ولا يقدر اضافته إلى معرفة فيمتنع أن يكون لما وصفاً له ولا يجوز ان يكون حالاً لأنه لا شيء في الكلام عاملاً في الحال هذا كله كلام ابى علي وقال غيره في معنى لما بالتشديد اربعة اوجه **الاول** قول القراء انها بمعنى لمن ما فحذفت احدى الميات الثلاث على ما تقدم ذكره وانشد القراء

وإني لما اصدر الأمر وجهه إذا هو اعياء بالسبيل مصادره

الثاني انها بمعنى إلا كقولهم سألتك لما فعلت بمعنى إلا فعلت عن الزجاج وقال القراء هذا لا يجوز إلا في اليمين كما قاله ابو علي **الثالث** انها مخففة شددت للتأكيد عن المازني قال الزجاج هذا لا يجوز لأنه إنما يجوز تخفيف المشدد عند الضرورة فأما تشديد المخفف فلا يجوز بحال **الرابع** انها من لمعت الشيء إذا جمعت إلا انها بنيت على فعل فلم تصرف مثل تترى فكأنه قال وان كلا جميعاً ليوفينهم وبدل عليه قراءة الزهري لما بالنون وقال ابن جنى تقدير هذا وان كلا ليوفينهم ربك اعمالهم لما اي توفية جامعة لاعمالهم جميعاً ومحضلاً لاعمالهم تحصيلاً فهو كقولك قياماً لا قومين وذكر الشيخ علي ابن ابى الطيب رحمه الله عليه فيه وجه آخر فقال هاهنا محذوف وتقديره وان كلا لما عملوا ليوفينهم ربك اعمالهم والحذف في الكلام كثير قال الشاعر

إذا قلت سيرا وإن ليلي لعلها جرى دون ليلي مائل القرن اعضب

والمراد لعلها تلقاني او تصلني او نحو هذا فهذا وجه خامس فأما إذا خففت ان فانتصاب كلا مع حمل ان على النفي مشكل وقد ذكر فيه أن يكون التقدير وإن هم إلا ليوفينهم كلا او وإن هم اعني كلا إلا ليوفينهم وهذا

الوجهان مرغوب عنها وعلى الجملة فإن تشديد الميم من لما مع تشديد إن وتخفيفه مشكل عند المحققين إذ لا يتأتى
سببه لما هذه معنى لم ولا معنى الحين ولا معنى إلا ولا يعرف لها معنى سوى هذه ومن قرأ وإن كل إلا ليوفينهم فمعناه
ما كل إلا والله ليوفينهم كقولك ما زيد إلا لأضربه أي ما زيد إلا مستحق لأن يقال فيه هذا ويجوز أن يكون
مخففة من الثقيلة والا زائدة كما في قول الشاعر

أرى الدهر إلا منجنونا بأهله وما طالب الحاجات إلا معللا
أي أرى الدهر منجنونا بأهله وعلى ذلك تأولوا بيت ذي الرمة
حراجيح ما تنفك إلا مناخاة على الحسف أو يرمي بها بلدا قفرا
أي ما تنفك مناخاة والا زائدة

❖ اللفظة ❖

المربة بكسر الميم وضمها الشك مع ظهور الدلالة للتهمة وهي مأخوذة من مري صرع الناقة ليدر بعد دروره
والنصيب الحظ وهو القسم المجمعول له ومنه انصبا الورثة والاختلاف ذهب كل واحد الى جهة غير جهة الآخر
وهو على وجهين اختلاف التقيضين وهذا لا يجوز أن يصح ما فإن ❖ أحدهما ❖ مبطل لصاحبه والآخر اختلاف
الجهتين كاختلاف المجتهدين في جهة القبلة فهذا يجوز أن يصح ما والاستقامة الاستمرار في جهة واحدة وأن
لا يعدل بيناً وشمالاً والظنيان تجاوزا المقدر في الفساد

(- الاعراب -)

ومن تاب موصول وصلته في موضع رفع بالعطف على الضمير المستكن في استقم يجوز أن يكون معطوفاً
على التاء من امرت ويكون التقدير في الأول استقم انت ومن تاب معك وفي الثاني كما امرت انت ومن تاب
معك ويجوز أن يكون من تاب منصوب الموضع بكونه مفعولاً معه

❖ المعنى ❖

(فلا تك في مربة) أي في شك (مما يعبد هو لا) من دون الله تعالى انه باطل وانهم يصيرون بعبادتهم
إلى عذاب النار (ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل) يعني ما يعبدون غير الله تعالى الا على جهة التقليد كما
كان آباؤهم كذلك (وإنا لموفونهم نصيبهم) أي إنا لمعطوهم جزاء أعمالهم وعقاب أعمالهم وافيا (غير منقوص)
عن مقدار ما استحقوه آبهم سبحانه بهذا القول عن العفو وقيل معناه انا نعطيهم ما يستحقونه من العقاب بعد
انت نوفيهم ما حكمنا لهم به من الخير في الدنيا عن ابن زيد (واقد آتينا) أي اعطينا (موسى الكتاب)
يعني التوراة (فاختلف فيه) يريد ان قومه اختلفوا فيه أي في صحة الكتاب الذي أنزل عليه وأراد بذلك
تسليية النبي ﷺ عن تكذيب قومه اباء وجدهم للقرآن المنزل عليه فيبين أن قوم موسى كذلك فعلوا بموسى
فلا تحزن لذلك ولا تغتم له (ولولا كلمة سبقت من ربك) أي لولا خبر الله السابق بأنه يؤخر الجزاء إلى يوم
القيامة لما علم في ذلك من المصلحة (لفضي بينهم) أي لعجل الثواب والعقاب لأهله وقيل معناه لفصل الأمر
على القائم بين المؤمنين والكافرين بنجاة هو لا وهلاك أو لك (وإنهم لفي شك منه مريب) يعني إن الكافرين
لفي شك من وعد الله ووعيد مريب والرب اقوى الشك وقيل معناه إن قوم موسى لفي شك من نبوته (وإن
كلا) من الجاحدين والمخالفين وقيل إن كلا من القريبين المصدق والمكذب جميعاً (لما ليوفينهم ربك
أعمالهم) أي يعطيهم ربك جزاء أعمالهم وافيا تماماً إن خيراً فخير وإن شراً فشر (انه بما يعملون خبير) يعني انه
عليم بأعمالكم وبما استحققتم من الجزاء عليها لا يخفى عليه شيء من ذلك (فاستقم) يا محمد (كما امرت) أي
استقم على الوعد والالذار والتمسك بالطاعة والأمر بها والدعاء عليها والاستقامة هو اداء الأمور به والالتزام

المنهسي عنه كما امرت في القرآن (ومن تاب معك) أي وليستقم من تاب معك من الشرك كما امروا عن ابن عباس وقيل معناه ومن رجع إلى الله وإلى نبيه فليستقم أيضا أي فليستقم المؤمنون وقيل استقم أنت على الأداء وليستقيموا على القبول (ولا تطغوا) أي لا تتجاوزوا أمر الله بالزيادة والنقصان فتخرجوا عن حد الاستقامة وقيل معناه ولا تطغينكم النعمة فتخرجوا عن حد الاستقامة عن الجبائي وقيل معناه لا تعصوا الله ولا تخالفوه (أنه بما تعملون بصير) أي علم بأعمالكم لا تخفى عليه منها خافية وروى الواحدي بإسناده عن إبراهيم بن آدم عن مالك بن دينار عن أبي مسلم الخولاني عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله ﷺ لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالأوتاد ثم كان الاثنان أحب إليكم من الواحد لم تبلغوا حد الاستقامة وقال ابن عباس ما نزل على رسول الله ﷺ آية كانت أشد عليه ولا أشق من هذه الآية ولذلك قال لأصحابه حين قالوا له امرع إليك الشيب يا رسول الله شيبتي هود والواقعة

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال الآية الأولى بما قبلها أنه لما قص نأ الأمم واهلها بهم بكفرهم أخبر عقيب ذلك عن بطلان ما كانوا عليه وأنه يوفيههم جزاء أعمالهم وقيل أنه سبحانه بين فيما قبل اختلاف الأمم على انبيائهم تكذيباً لهم ثم بين سيف هذه الآية أن خلاف هؤلاء كخلاف أولئك خلاف كفر لا خلاف اجتهاد عن أبي مسلم وكذلك اتصال الآية الثانية فإنه بين فيها أن تكذيب هؤلاء الكفار بالذي آتيناك كتكذيب أولئك بالكتاب الذي آتينا موسى

قوله تعالى (١١٣) وَلَا تَرَكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَنَمَسْكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (١١٤) وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلِ مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلَّذِينَ كَرِهُوا (١١٥) وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١١٦) فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةً يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (١١٧) وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو يعفر وزلفا بضم اللام والباقون بفتح اللام

﴿ الحجة ﴾

من قرأ زلفا بفتح اللام فإنه جمع زلفه وهي المنزلة قال العجاج

ناج طواه الاين مما رجفا طي الياي زلفاً فزلفا

ومن قرأ بضم اللام فإنه واحد مثل الحلم وجائز أن يكون جمعاً على زليف من الليل فيكون مثل قروب وقرب قال الزجاج والزلف بالفتح أجود في الجمع وما علمت أن زليفاً يستعمل في الليل وهو منصوب على الطرف

﴿ اللغة ﴾

الركون إلى الشيء هو السكون إليه بالحببة له والانصات إليه وتقبضه النفور عنه والصبر حبس النفس عن الخروج إلى ما لا يجوز من ترك الحق وضده الجزع قال

فإن تصبراً فالصبر خير مغبة وإن تجزعا فالأمر ما تريان

وهو مأخوذ من الصبر المر لأنه يجرع مرارة الحق بحس النفس عن الخروج إلى المشتى وما يمين على الصبر شينان ﴿١٠٠﴾ أحدهما ﴿١٠١﴾ العلم بما يعقب من الخير في كل وجه وعادة النفس له ﴿١٠٢﴾ والثاني ﴿١٠٣﴾ استشعار ما في لزوم الحق من العز والأجر بطاعة الله والبقية ما بقي من الشيء بعد ذهابه وهو الاسم من الإبقاء ويقال في فلان بقية أي فضل مما يمدح به وغير كأنه قيل بقية خير من الخير الماضي وترقوا أي عودوا لترفه بالنعيم واللذة وذلك إن ترفه عادة النعمة قال

تهدى رؤوس المترفين الضداد إلى أمير المؤمنين المتداد

أي المسؤول وإنما قيل للمتعم مترف لأنه مطلق له لا يجمع من تنعمه

﴿الاعراب﴾

فتمسك منصوب لأنه جواب النهي بالفاء وتقديره لا يكن منكم ركون إلى الظالمين فمس النار إياكم ثم لاتنصرون ارتفع تنصرون على الاستئناف طرفي النهار منصوب على الظرف وزلفاً معطوف عليه إلا قليلاً استثناء منقطع بمعنى لكن عن الزجاج تقديره لكن قليلاً من أنجبنا منهم نها عن الفساد

﴿المعنى﴾

ثم نعى الله سبحانه عن المداينة في الدين والميل إلى الظالمين فقال (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا) أي ولا تميلوا إلى المشركين في شيء من دينكم عن ابن عباس وقيل لا تداهتوا الظلمة عن السدي وابن زيد وقيل إن الركون إلى الظالمين المعنى عنه هو الدخول معهم في ظلمهم وإظهار الرضا بفعالهم أو إظهار مساواتهم فأما الدخول عليهم أو مخالفتهم ومعاشرتهم دفعا لشرهم فجاز عن القاضي وقريب منه ما روي عنهم «ع» إن الركون المودة والصيحة والطاعة (فتمسك النار) أي فيصيبكم عذاب النار (وما لكم من دون الله من أولياء) أي ما لكم سواه من أنصار يدفعون عنكم عذاب الله وفي هذا بيان أنهم متى خالفوا هذا النهي وسكنوا إلى الظالمين نالهم النار ولم يكن لهم ناصر يدفع عنهم عقوبة لهم على ذلك (ثم لا تنصرون) أي لا تنصرون في الدنيا على أعدائكم لأن نصر الله نوع من الثواب فيكون للمطيعين (وأقم الصلاة) أي أدها واثم بأعمالها على وجه التمام في ركوعها وسجودها وسائر فروضها وقيل معناه أعملها على استواء وقيل آدم على فعلها (طرفي النهار وزلفاً من الليل) قيل أراد بطرفي النهار صلاة الفجر والمغرب ويزلف من الليل صلاة العشاء الآخرة والزلف أول ساعات الليل عن ابن عباس وابن زيد قالوا وترك ذكر الظهر والعصر لأحد أمرين إما لظهورهما في انهما صلاتا النهار فكأنه قال وأقم الصلاة طرفي النهار مع المعروفة من صلاة النهار وإما لأنها مذكورتان على التبع للطرف الأخير لأنها بعد الزوال فعما أقرب إليه وقد قال سبحانه أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وذلوك الشمس زوالها وهذا القول هو المروي عن أبي جعفر «ع» وقيل صلاة طرفي النهار الغداة والظهر والعصر وصلاة زلف الليل المغرب والعشاء الآخرة عن الزجاج وبه قال مجاهد والضحاك ومحمد بن كعب القرظي والحسن قالوا لأن طرف الشيء من الشيء وصلاة المغرب ليست من النهار قال الحسن قال رسول الله ﷺ المغرب والعشاء زلفتا الليل وقيل أراد بطرفي النهار صلاة الفجر وصلاة العصر (إن الحسنة يذهبن السيئات) قيل في معناه إن الصلوات الخمس تكفر ما بينها من الذنوب لأنه عرف الحسنة بالألف واللام وقد تقدم ذكر الصلاة عن ابن عباس وأكثر المسيرين وذكر الواحدي بإسناده عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي عثمان قال كنت مع سلمان تحت شجرة فأخذ غصنا بابسا منها فهزه حتى تحات ورقه ثم قال يا أبا عثمان ألا تسألني لم أفعل هذا قلت ولم تفعله قال هكذا فعله رسول الله ﷺ وأنا معه تحت شجرة فأخذ منها غصنا بابسا فهزه حتى تحات ورقه ثم قال

ألا تسألني يا سلمان لم أفعل هذا قلت ولم فعلته قال ان المسلم إذا توجهاً فأحسن الوضوء ثم صلى الصلوات الخمس تحاتت خطاياها كما يتحات هذا الورق ثم قرأ هذه الآية وأتم الصلاة إلى آخرها وبإسناده عن أبي امامة قال بينا رسول الله ﷺ في المسجد ونحن قعود معه إذ جاءه رجل فقال يا رسول الله اني أصبت حدا فأقمه علي فقال هل شهدت الصلاة معنا قال نعم يا رسول الله قال فإن الله قد غفر لك حدك او قال ذنبك وبإسناده عن الحرث عن علي بن أبي طالب «ع» قال كنا مع رسول الله ﷺ في المسجد ننظر الصلاة فقام رجل فقال يا رسول الله اني أصبت ذنباً فأعرض عنه فلما قضى النبي ﷺ الصلاة قام الرجل فأعاد القول فقال النبي ﷺ اليس قد صليت معنا هذه الصلاة وأحسنتم لها الطهور قال بلى قال فإنها كفارة ذنبك وروى أصحابنا عن ابن محبوب عن ابراهيم الكرخي قال كنت عند أبي عبد الله «ع» إذ دخل عليه رجل من اهل المدينة فقال له من أين جئت ثم قال له تقول جئتك من ههنا وههنا لغير معاش تطلبه ولا لعدل اجر تكسبه أنظر بماذا تقطع يومك وليتلك واعلم ان معك ملكاً كريماً موكلاً بك يحفظ عليك ما تصنع ويطلع على مسرك الذي تخفيه من الناس فاستحي لا تستحقرن سيئة فإنها تستؤك يوماً ولا تحقرن حسنة وإن صغرت عندك وقأت في عينك فإنها تستمرك يوماً واعلم انه ليس شيء أضر عاقبة ولا أسرع ندامة من الخطيئة وانه ليس شيء أشد طلباً ولا أسرع دركاً للخطيئة من الحسنات أما انها لتدرك الذنب العظيم القديم المنسي عند عامله فتجشده وتسقطه وتذهب به بعد اثباته وذلك قول الله سبحانه ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين ورووا عن أبي حمزة الثمالي قال سمعت احدهما عليها السلام يقول ان علياً عليه السلام اقبل على الناس فقال أي آية في كتاب الله أرجى عندكم فقال بعضهم إن الله لا يقتر أن يشررك به الآية فقال حسنة وليست إياها وقال بعضهم ومن يعمل سوءاً ويظلم نفسه قال حسنة وليست إياها وقال بعضهم هل يا عبادي الذي اسرفوا لا تقنطوا من رحمة الله قال حسنة وليست إياها وقال بعضهم والذين إذا فعلوا فاحشة الا بما قال حسنة وليست إياها قال ثم احجم الناس فقال ما لكم يا معشر المسلمين فقالوا لا والله ما عندنا شيء قال سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول ارجى آية في كتاب الله وأتم الصلاة طرقي النهار وقرأ الآية كلها قال يا علي والذي بعثني في الحق بالحق بشيراً ونذيراً ان احدكم ليقوم من وضوئه فتساقط عن جوارحه الذنوب فإذا استقبل الله بوجهه وقلبه لم ينفلت عليه من ذنوبه شيء كما ولدته أمه فإن أصاب شيئاً بين الصلاتين كان له مثل ذلك حتى عد الصلوات الخمس ثم قال يا علي إنما منزلة الصلوات الخمس لأمتي كنهج جار على باب احدكم فمما يظن احدكم لو كان في جسده درن ثم اغتسل في ذلك النهر خمس مرات أ كان يبقى في جسده درن فكذلك والله الصلوات الخمس لأمتي وقيل ان الحسنات يذهبن السيئات معناه ان الدوام على فعل الحسنات يدعو إلى ترك السيئات فكأنها يذهبن بها وقيل ان المراد بالحسنات التوبة فلما تذهب السيئات بأن تسقط عقابها لأنه لا خلاف في ان العقاب يسقط عند التوبة (ذلك ذكرى للذاكرين) يعني ان ما ذكره من ان الحسنات تذهب السيئات فيه تذكير وموعظة لمن تذكر به وفكر فيه (واصبر) قيل معناه واصبر على الصلاة كما قال وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها (فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) أي المصلين عن ابن عباس وقيل معناه اصبر يا محمد على أذى قومك وتكذيبهم إياك وعلى القيام بما اقترضه عليك وعلى اداء الواجبات والامتناع عن المقتبحات فإن الله لا يهمل جزاء المحسنين على إحسانهم ولا يبطله بل يكافئهم عليه اكل الثواب (فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية) أي هلا كان والا كان ومناه النبي وتقديره لم يكن من القرون من قبلكم قوم باتوا (بنهون عن الفساد في الارض) أي كان يجب أن يكون منهم قوم بهذه الصفة مع انعام الله تعالى عليهم بكامل العقل وبهثة الرسل اليهم واقامة الحجج لهم وهذا تمجيب وتوبيخ لهؤلاء الذين سلكوا سبيل من قبلهم في الفساد نحو عاد وثمود والقرون التي عدوا

القرآن واخبر بهلاكها اسي ان العجب منهم كيف لم تكن من جملة بقية في الارض بأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر وكيف اجتمعوا على الكفر حتى استاصلهم الله بالعذاب وانواع العقوبات لكفرهم بالله ومعاصيهم له وقيل اولو بقية معناه ذوو دين وخير وقيل معناه ذوو بركة وقيل ذوو تمييز وطاعة (الا قليلا من أنجيتهم منهم) المعنى ان قليلا منهم كانوا ينهون عن الفساد والصلحون الذين آمنوا مع الرسل فأنجيتهم من العذاب الذي نزل بقومهم وإنما جعلوا هذا الاستثناء منقطعاً لأنه إيجاب لم يتقدم فيه صيغة النفي وإنما تقدم تهجين خرج مخرج السؤال ولو رفع لجاز في الكلام (واتبع الذي ظلموا ما أترفوا فيه) اسي واتبع المشركون ما عودوا من النعم والتنعم وإشار اللذات على أمور الآخرة واشتغلوا بذلك عن الطاعات (وكانوا) اي وكان هؤلاء المتنعمون البطرون (مجرمين) مصرين على الحرم وفي الآية دلالة على وجوب النهي عن المنكر لأنه سبحانه ذمهم بترك النهي عن الفساد واخبر بأنه أنجى القليل منهم لنهيهم عن ذلك ونه على انه لو نهى الكثير كما نهى القليل لما هلكوا ثم اخبر سبحانه انه لم يهلك إلا بالكفر والفساد فقال (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم أهلها مصلحون) وذكر في تأويله وجوه * احدها * ان المعنى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم منة لهم ولكن إنما يهلكهم بظلمهم لأنفسهم كما قال ان الله لا يظلم الناس شيئاً الآية * وثانيها * ان معناه لا يؤاخذهم بظلم واحد مع ان اكثرهم مصلحون ولكن إذا عم الفساد وظلم الاكثرون عذبهم * وثالثها * انه لا يهلكهم بشرتهم وظلمهم لأنفسهم وهم يتعاطون الحق بينهم اي ليس من سبيل الكفار إذا قصدوا الحق في المعاملة أن يهلكهم الله بالعذاب عن ابن عباس في رواية عطا والواو في قوله وأهلها واو الحال وروي عن النبي ﷺ انه قال وأهلها مصلحون ينصف بعضها بعضهم

* النظم *

وجه اتصال قوله تعالى فلولا كان من القرون من قبلك الآية بما قبلها انه تعالى لما ذكر اهلاك الأمم الماضية والقرون الخالية عقب ذلك بأنهم أتوا سيئة اهلاكم من قبل قوسهم ولو كان فيهم مؤمنون بأمرهم بالصلاح وينهون عن الفساد لما استاصلناهم رحمة منا ولكنهم لما عمهم الكفر استحقوا عذاب الاستئصال

قوله تعالى (١١٨) وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٩) إِلَّا مِنْ رَحْمَةِ رَبِّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٢٠) وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢١) وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (١٢٢) وَأَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٢٣) وَبِئْسَ مَا كَفَرُوهَا وَالَّذِينَ لَا يَرْجِعُونَ إِلَى اللَّهِ يَرْجِعُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُجْرِمُونَ (١٢٤) وَأَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٢٥) وَأَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٢٦) وَأَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٢٧) وَأَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٢٨) وَأَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٢٩) وَأَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٣٠) وَأَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٣١) وَأَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٣٢) وَأَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٣٣) وَأَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٣٤) وَأَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٣٥) وَأَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٣٦) وَأَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٣٧) وَأَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٣٨) وَأَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٣٩) وَأَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٤٠) وَأَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٤١) وَأَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٤٢) وَأَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٤٣) وَأَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٤٤) وَأَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٤٥) وَأَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٤٦) وَأَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٤٧) وَأَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٤٨) وَأَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٤٩) وَأَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٥٠)

* القراءة *

قرأ بوجه الأمر بضم الياء وفتح الجيم وكسرها فاع وحفص والباقون يرجع بفتح الياء وقرأ عما تعملون بالنساء هنا وفي آخر النمل اهل المدينة والشام ويعقوب وحفص والباقون بالياء

* الحجة *

من ضم الياء من يرجع فلقوله ثم ردوا إلى الله مولاهم الحسق والمعنى رد أمرهم إلى الله ومن فتح الياء فلقوله والأمر يومئذ لله والمعنيان متقاربان ومن قرأ بالثناء في تعملون جعل الخطاب للنبي ﷺ وأمه وهو أعم فائدة ومن قرأ بالياء وجهه إلى من تقدم ذكره من الكفار وفيه ضرب من التهديد

* اللغة *

القصص الخبر عن الأمور بما يتلو بعضه بعضاً لأنه من قصه يقصه إذا تبع أثره لأنه يتبع أثر من يخبر عنه والنبأ الخبر بما فيه عظيم الشأن يقولون لهذا الأمر نبأً والتثبيت تمكين إقامة الشيء من الثبوت يقال ثبته بتسكينه وثبته بتسكينه وثبته بالدلالة على نبوته وثبته بالخبر عن وجوده والنفوذ القلب أخوذ من المفتاد وهو المستوى قال كآته خارجاً من جنب صفحته سفود شرب نسوه عند مفتاد

والمكانة الطريقة التي يتمكن من العمل عليها وله مكانة عند السلطان أي جاء وقدر والانتظار طلب الإدراك لما يأتي من الأمر لأنه من النظر والفرق بين الانتظار والترجي ان الترجي للخير خاصة والانتظار في الخير والشر

* الاعراب *

إلا من رحم ربك قال الزجاج هو استثناء على معنى لكن وتقديره لكن من رحم ربك فإنه غير مختلف وقوله لا ملأن جهنم جواب القسم وتقديره بينما لا ملأن كما تقول حثي لأضربك وبدا لي لأضربك وكل فعل كان تأويله كتأويل بلغني أو قيل لي أو انتهى إلي فإن الألام وإن يصلحان فيه فتقول بدا لي لأضربك وبدا لي أن أضربك ولو قيل وتمت كلمة ربك أن يملأ جهنم كان صواباً وكلا نقص عليك نصب على المصدر وتقديره وكل القصص نقص عليك وقيل انه نصب على الحال فقدم الحال قبل العامل كما تقول كلا ضربت القوم ويجوز أن يكون نصبا على انه مفعول به وتقديره وكل الذي يحتاج إليه نقص عليك ويكون ما ثبت به فؤادك بدلا منه قاله الزجاج وقوله إنا عاملون إنا منتظرون لو دخلت الفاء فقال فإننا لأفاد ان الثاني لأجل الأول وحيث لم يدخل لم يفد ذلك

* المعنى *

ثم اخبر سبحانه عن كمال قدرته فقال (ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة) أي على ملة واحدة ودين واحد فيكونون مسلمين صالحين عن فتادة وذلك بأن يلجئهم إلى الإسلام بأن يخلق في قلوبهم العلم بأنهم لو راموا غير ذلك لمعوا منه لكن ذلك يتنافى التكليف ويبطل الغرض بالتكليف لأن الغرض به استحقاق الثواب والالغاء يمنع من استحقاق الثواب فلذلك لم يشأ الله ذلك ولكنه شاء أن يؤمنوا باختيارهم ليستحقوا الثواب وقيل معناه لو شاء ربك لجعلهم امة واحدة في الجنة على سبيل التفضل لكنه اختار لهم اعلى الدرجتين فكفهم ليستحقوا الثواب عن ابي مسلم وقيل معناه لو شاء لرفع الخلاف فيما بينهم (ولا يزالون مختلفين) في الأديان بين يهودي ونصراني ومجوسي وغير ذلك عن مجاهد وفتادة وعطاء والأعمش والحسن في احدى الروايتين عنه وفي الرواية الاخرى عنه انهم مختلفون في الأرزاق والأحوال ولتسخير بعضهم لبعض وقيل معناه يخلف بعضهم بعضاً في الكفر تقليداً من غير نظر فإن قولك خلف بعضهم بعضاً وقولك اختلفوا سواء كما ان قولك قتل بعضهم بعضاً وقولك اقتتلوا سواء عن ابي مسلم (إلا من رحم ربك) من المؤمنين فإنهم لا يختلفون ويجمعون على الحق عن ابن عباس والمعنى لا يزالون مختلفين بالباطل إلا من رحمهم الله بفعل اللطف لهم الذي يؤمنون عنده ويستحقون به الثواب فإن من هذه صورته ناج من الاختلاف بالباطل (ولذلك خلقهم) اختلف في معناه فقيل يريد وللرحمة خلقهم عن ابن عباس ومجاهد وفتادة والضحاك

وهذا هو الصحيح واعترض على ذلك بأن قيل لو أراد الله ذلك لقال ولتلك خلقهم لأن الرحمة مؤنثة وهذا باطل لأن تأنيث الرحمة غير حقيقي فإذا ذكر فعل معنى التفضل والانعام وقد قال سبحانه هذا رحمة من ربي وإن رحمة الله قريب ومثله قول امرئ القيس

برهرة رودة رخصة
كخرعوبة البائة المنفطر
ولم يقل المنفطرة لأنه ذهب إلى النقص وقال
قامت تبكيه على قبره
من لي من بعدك يا عامر
تركتني في الدار ذاغربة
قد ذل من ليس له ناصر
ولم يقل ذات غربة لأنه أراد شخصا ذا غربة وقالت الخنساء

فذلك يا هند الرزية فاعلمي ونيران حرب حين شب وقودها

أراد الرزة وفي امثال ذلك كثرة على ان قوله إلا من رحم ربك كما يدل على الرحمة بدل ايضا على أن يرحم فلا يمتنع ان يكون المراد لأن يرحموا خلقهم وقيل ان المعنى ولاختلاف خلقهم واللام للعاقبة يريد أن الله خلقهم وعلم ان عاقبتهم تول إلى الاختلاف المذموم كما قال ولقد ذرأنا لجنهم عن الحسن وعطا ومالك ولا يجوز على هذا أن يكون اللام للفرض لأنه تعالى لا يجوز ان يريد منهم الاختلاف المذموم إذ لو أراد ذلك منهم لكانوا مطيعين له في ذلك الاختلاف لأن الطاعة حقيقتها موافقة الإرادة والأمر ولو كانوا كذلك لما استحقوا عقابا وأما إذا حمل معنى الاختلاف على ما قاله ابو مسلم فيجوز أن تكون اللام للفرض وقيل إن ذلك اشارة إلى اجتماعهم على الإيمان وكونهم فيه امة واحدة ولا محالة ان الله سبحانه لهذا خلقهم ويؤيد هذا قوله تعالى وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون (وقال) المرتضى قدس الله روحه قد قال قوم أن معنى الآية ولو شاء ربك أن يدخل الناس بأجمعهم الجنة فيكونوا في وصول جميعهم إلى النعيم امة واحدة لفعل وأجروا هذه الآية مجرى قوله ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها في انه أراد هديها إلى طريق الجنة فعلى هذا التأويل يمكن أن يكون لفظ ذلك اشارة إلى ادخالهم اجمعين الجنة لأنه تعالى إنما خلقهم للمصير إليها والوصول إلى نعيمها (وتمت كلمة ربك) أي وصل وحيه ووعيده الذي لا خلف فيه بتمامه إلى عبادته وقيل تمت كلمة ربك (صدقا) بأن وقع مجزها على ما خبر به عن الجبائي وقيل معناه وجب قول ربك عن ابن عباس وقيل مضى حكم ربك عن الحسن (لأن ملائكة جهنم من الجنة والناس اجمعين) بكفرهم (وكلا) أي وكل القصص (نقص عليك من انباء الرسل) أي من اخبارهم (ما ثبت به فؤادك) أي ما تقوي به قلبك ونطيب به نفسك وتزبدك به ثباتا على ما انت عليه من الانذار والصبر على اذى قومك الكفار (وجاءك في هذه الحق) أي في هذه السورة عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل في هذه الدنيا عن تنادة وقيل في هذه الانبياء عن الجبائي والحق الصدق من الانبياء والوعد والوعيد وقيل معناه وجاءك في ذكر هذه الآيات التي ذكرت قبل هذا الموضع الحق في أن الخلق يجازون بانصابتهم في قوله وإنما لو فوهم نصيبهم وإن كلا لما ليوفيتهم وقد جاء في القرآن كله الحق ولكنه ذكرها هنا تو كيدا ولبس إذا قيل قد جاءك في هذا الحق وجب أن يكون لم يأتك الحق إلا فيه ولكن بعض الحق او كد من بعض عن الزجاج (وموعظة) أي وجاءك موعظة تعظ الجاهلين بالله وتزجر الناس عن المعاصي (وذكرى للمؤمنين) تذكركم الآخرة (وقل) يا محمد للذين لا يؤمنون (اعملوا على مكائسكم) هذا مثل قوله اعملوا ما شئتم (إنا عاملون) على ما امرنا الله تعالى به وقد مر تفسير هذه الآية فيما مضى (واتظروا) أي توقعوا ما بعدكم ربكم على الكفر من العقاب (إنا منتظرون) ما بعدنا على الإيمان من الثواب وقيل اتظروا ما بعدكم الشيطان من الفرور وإنا منتظرون

ما بعدنا ربنا من النصر والعلو عن ابن جريج (وقه غيب السماوات والأرض) معناه وقه علم ما غاب في السماوات والأرض لا يخفى عليه شيء منه عن الضحاك وقيل معناه والله مالك ما غاب في السماوات والأرض وقيل معناه وقه خزائن السماوات والأرض عن ابن عباس ووجدت بعض المشايخ ممن يتسم بالعدوان والتشنيع قد ظلم الشيعة الإمامية في هذا الموضوع من تفسيره فقال هذا يدل على ان الله سبحانه يختص بعلم الغيب خلافا لما تقول الرافضة أن الائمة يعلمون الغيب ولا يشك انه عني بذلك من يقول بإمامة الاثني عشر ويدين بأنهم أفضل الأنام بعد النبي ﷺ فإن هذا دأبه وديدنه فيهم بشتم في مواضع كثيرة من كتابه عليهم وينسب الفضائح والقبائح اليهم ولا يعلم احدا منهم استجاز الوصف بعلم الغيب لأحد من الخلق فإنما يستحق الوصف بذلك من يعلم جميع المعلومات لا يعلم مستفاد وهذه صفة القديم سبحانه العالم لذاته لا بشر كنه فيها احد من المخلوقين ومن اعتقد أن غير الله سبحانه يشركه في هذه الصفة فهو خارج عن ملة الإسلام فأما ما نقل عن امير المؤمنين عليه السلام ورواه عنه الغصاص والعام من الاخبار بالغائبات في خطب لللاحم وغيرها مثل قوله يومئذ به إلى صاحب الزنج كأنني به يا احنق وقد سار بالجيش الذي ليس له غبار ولا لجم ولا قعقة لجم ولا صهيل خيل يشيرون الأرض بأقدامهم كأنها أقدم النعام وقوله بشير إلى مروان أما إن له إمرة كلمعة الكلب اقه وهو ابو الأكبش الاربعة وستلقى الائمة منه ومن ولده موتا احمر وما نقل من هذا الثمن عن ائمة الهدى عليهم السلام من أولاده مثل ما قاله ابو عبد الله «ع» لعبد الله بن الحسن وقد اجتمع هو وجماعة من العلوية والعباسية ليأبوعوا ابنه محمدا والله ما هي اليك ولا إلى ابنيك ولكنها لهم وأشار إلى العباسية وان ابنيك لمتقولان ثم نهض وتوكل على يد عبد العزيز بن عمران الزهري فقال له أرايت صاحب الرداء الأصفر يعني ابا جعفر المنصور قال نعم فقال انا والله نجده يقتله فكان كما قال ومثل قول الرضا «ع» بورك قبر بطوس وقبران ينداد فقيل له قد عرفنا واحدا فما الآخر فقال ستعرفونه ثم قال قبوري وقبر هارون هكذا وضم اصبعيه وقوله في القصة المشهورة لأبي حبيب التياحي وقد ناوله قبضة من التمر لو زادك رسول الله ﷺ لزدناك وقوله في حديث علي بن احمد الوشاحين قدم مروان الكوفة معك حلة في السنفط الفلاني دفعتها اليك اجتك وقالت اشتر لي بسمتها فيروزجا والحديث مشهور إلى غير ذلك مما روي عنهم عليهم السلام فإن جميع ذلك متلقى عن النبي ﷺ مما اطلمه الله عليه فلا معنى لنسبة من روى عنهم هذه الاخبار المشهورة الى انه يعتقد كونهم عالمين للغيب وهل هذا الاسباب قبيح وتضليل لهم بل تكفير لا يرتضيه من هو بالمذهب خبير والله يحكم بينه وبينهم واليه المصير (واليه يرجع الأمر كله) أي الى حكمه يرجع في المعاد كل الأمور لأن في الدنيا قد يملك غيره بعض الأمر والنهي والنفع والضرر (فابعده وتوكل عليه) يريد أن من له ملك السماوات والأرض واليه يرجع جميع الامور فحقيق أن يعبد ويتذل له ويتوكل عليه ويوثق به (وما ربك بغافل) أي بساه (عما تعملون) أي عن أعمال عبادته بل هو عالم بها ومجاز كلا منهم عليها ما يستحقه من ثواب وعقاب فلا يجوز لك يا محمد اعراضهم عنك وتركهم القبول منك وروي عن كعب الاحبار انه قال خاتمة التوراة خاتمة هود

سورة يوسف

مكية وقال المعدل عن ابن عباس غير اربع آيات نزلن بالمدينة ثلاث من اولها والرابعة لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين

﴿ عدد آياتها ﴾

مائة واحدى عشرة آية بالاجماع

﴿ فضلها ﴾

ابن بن كعب عن النبي ﷺ قال علموا ارفاقكم سورة يوسف فإنه أيا مسلم تلاها وعلمها أهلها وما ملكت يمينه هون الله تعالى عليه سكرات الموت واعطاء القوة ان لا يحسد مسلما وروى ابو بصير عن ابي عبد الله عليه السلام قال من قرأ سورة يوسف في كل يوم او في كل ليلة بعثه الله يوم القيامة وجاله مثل جمال يوسف ولا يصيبه فزع يوم القيامة وكان من خيار عباد الله الصالحين وقال فيها انها كانت في التوراة مكتوبة وروى اسماعيل بن ابي زياد عن ابي عبد الله عن ابيه عن آبائه عليهم السلام قال قال رسول الله ﷺ لا تنزلوا نساءكم القرف ولا تملوهن الكتابة ولا تعلموهن سورة يوسف وعلموهن الغزل وسورة النور

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سبحانه سورة هود بذكر قصص انباء الرسل افتتح هذه السورة بأن من تلك القصص قصة يوسف (ع) واخوته وانها من احسن القصص فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) آثر تلك آيات الكتاب المبين (٢) إنا أنزلناه قرآنًا عربيًّا لعلكم تعقلون (٣) نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين ثلاث آيات

- الاعراب -

قرآنا عريافيه وجهان ﴿ احدها ﴾ قرآنا انتصب بأنه بدل من الها في انزلناه فكانه قال انا انزلنا قرآنا ﴿ والثاني ﴾ انه توطئة للحال لأن عريبا حال وهذا كما تقول مررت بزيد رجلا صالحا فنصب صالحا على الحال وتقبل رجلا توطئة للحال وقوله بما أوحينا اليك هذا القرآن التران نصب وإنه وصف لمعمول أوحينا وهو هذا او بدل او عطف بيان قال الزجاج ويجوز الجر والرفع جميعا في الكلام وإن لم يقرأ بها أما الجر فعلى البدل بما أوحينا اليك اي بهذا القرآن وأما الرفع فعلى ترجمته بما أوحينا اليك كأن قائلنا قال ما هو قهبل هذا القرآن - (المعنى) -

(الر) قد سبق الكلام فيه في أول البقرة وإنما لم يعد آية لأنه على حرفين ولا يشاكل رؤوس الآتي وعد طه آية لأنه يشبه رؤوس الآتي (تلك آيات الكتاب) قيل في معنى الإشارة بتلك وجوه ﴿ احدها ﴾ انه اشارة الى ما سيأتي من ذكرها على وجه التوقع لها ﴿ الثاني ﴾ انه اشارة الى السورة اي سورة يوسف آيات الكتاب المبين ﴿ الثالث ﴾ ان معناه هذه الآيات تلك الآيات التي وعدتم بها في التوراة كما قال

الم ذلك الكتاب عن الزجاج و(المبين) المظهر لحلال الله وحرامه والمعاني المرادة فيه عن مجاهد وقناة
والمبين والمبين واحد والبيان هو الدلالة (انا أنزلناه) يعني القرآن اي أنزلنا هذا الكتاب وقيل أنزلنا خبر
يوسف وقصته عن الزجاج قال لأن علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آلي يعقوب من
الشام الى مصر وعن قصة يوسف (ع) فقال انا أنزلناه (قرآنا عربيا) على مجاري كلام العرب في محاوراتهم
وروى ابن عباس عن النبي ﷺ قال أحب العرب لثلاث لأنني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي
(لعلكم تعقلون) اي لتعلموا جميع معانيه وتفهموا ما فيه وقبل معناه لتعلموا انه من عند الله اذ كان عربيا وعجزتم
عن الايمان بمثله وفي هذه الآية دلالة على ان كلام الله سبحانه محدث وانه غير الله لأنه وصفه بالانزال وبأنه
عربي ولا يوصف بذلك التقديم سبحانه (نحن نقص عليك أحسن القصص) اي نبين لك أحسن البيان عن
الزجاج وهذا كقولهم صمت أحسن الصيام وقت أحسن القيام مما يكون انصابه على انه قائم مقام المصدر
فالعنى نبين لك أحسن تبين وأحسن ابضاح (بما أوحينا اليك) اي بوحينا اليك (هذا القرآن) ودخلت
الباء لتبيين القصص اذ القصص تكون قرآنا وغير قرآن والقصص ههنا بوحى القرآن وقيل انما سمي القرآن
أحسن القصص لأنه بلغ النهاية في الفصاحة وحسن المعاني وعذوبة الالفاظ مع التلاوم المنافي للتنافر والتشاكل
بين المقاطع والفواصل وقيل لأنه ذكر فيه أخبار الأمم الماضية واخبار الكائنات الآتية وجميع ما يحتاج اليه
العباد الى يوم القيامة بأعذب لفظ وتهذيب في احسن نظم وترتيب وقيل أراد بأحسن القصص قصة يوسف
وحدها لأنها تتضمن من الفوائد والنكت والترايب مالا يتضمنه غيرها ولأنها تمتد امتدادا لا يمتد غيرها
مثلا وقوله احسن القصص يدل على ان الحسن يتفاضل ويتماثل لأن لفظة افضل حقيقتها ذلك وإنما يتماثل
بكثرة استحقاق المدح عليه ويسأل عن هذا فيقال هل يجوز ان يسمى الله سبحانه قاصفا فيقال لا لأنه في
العرف انما يستعمل فيمن تمسك بطريقة مخصوصة وهذا كما انه سبحانه لا يسمى مملوا ولا مفتيا وان وصف
نفسه بأنه علم القرآن وبأنه يفتيكم في النساء وقوله (وإن كنت من قبله لمن الغافلين) معناه وما كنت من
قبل ان أوحينا اليك هذا القرآن او من قبل نزول القرآن عليك إلا من الغافلين عن الحكم التي في القرآن
لا تعلم شيئا منها وقيل من الغافلين عن قصة يوسف وعن الحكم التي فيها

قوله تعالى (٤) إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر
رأيتهم لي ساجدين (٥) قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن
الشیطان للإنسان عدو مبين (٦) وكذلك يمتيئك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم
نعمة عليك وعلى آل يعقوب كما أنما على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم
حكيم ثلاث آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر وابن عامر يا أبت بفتح التاء والباقون بكسرها وابن كثير وقف على الها يا أبت والباقون
بالتاء وروي في الشواذ عن ابي جعفر ونافع وطلحة بن سليمان أحد عشر بسكون العين والقراءة بفتحها وقرأ

الكسائي الا ابا الحرث وقتيبة با مائة روياك والرويا في جميع القرآن وروى ابو الحرث عنه فتح روياك وامالة
الباقي وقتيبة امال للرويا تعبرون فقط وقرأ خلف في اختياره با مائة ما فيه الفولام والباقون بالتفخيم وخفف
الهمزة في جميع ذلك ابو جعفر وورش وشجاع والترمذي الا ان ابا جعفر يدغم الواو في الياء فيجعلها ياء مشددة
(الحجة) -

قال الزجاج من قرأ يا ابت بكسر التاء فلي الاضافة الى نفسه وحذف الياء لأن ياء الاضافة تحذف
في النداء وأما ادخال تاء التانيث في الأب فإنا دخلت في النداء خاصة والمذكر قد يسمى باسم فيه علامة
التانيث ويوصف بما فيه تاء التانيث فالاسم نحو نفس وعين والصفة نحو غلام بعة ورجل ربة فلزمت التاء
في الأب عوضا من ياء الاضافة والوقف عليها يا أبة بالهاء وان كانت في المصحف بالتاء وزعم الفراء انك
اذا كسرت وفتت بالتاء لا غير واذا فتحت وفتت بالتاء والهاء ولا فرق بين الكسر والفتح وأما يا ابت بالفتح
فعلى أنه ابدل من ياء الاضافة الفاء ثم حذفت الألف كما يحذف ياء الاضافة وبقيت الفتحة قال ابو علي من
فتح فله وجهان **احدهما** ان يكون مثل يا طلحة اقبل ووجه قول من قال يا طلحة ان هذا النحو من
الاسماء التي فيها تاء التانيث أكثر ما يدعى مرخا فلما كان كذلك رد التاء المحذوفة في الترخيم اليه وترك
الآخر يجري على ما كان يجري عليه في الترخيم من الفتح فلم يعتد بالهاء واقحمها والوجه الآخر ان يكون
أراد يا أبا فحذف الالف كما يحذف التاء فتبقى الفتحة دالة على الالف كما ان الكسرة تبقى دالة على الياء
والدليل على قوة هذا الوجه كثرة ما جاءت هذه الكلمة على هذا الوجه كقول الشاعر « وهل جزع ان قلت
وأبتاهما » وقول الاعشى

ويا ابت لا تزل عندنا فإنا نخاف بأن نخترم

وقول روية « يا ابتاملك او عساكا » فلما كثرت هذه الكلمة في كلامهم الزموا لها القلب والحذف على ان ابا عثمان
قدر رأى ذلك مطردا في جميع هذا الباب وأما وقف ابن كثير على الهاء فلأن التاء التي للتانيث يبدل منها الهاء
في الوقف فيغير الحرف بذلك في الوقف كما غير التنوين اذا انفتح ما قبله بأن ابدل منه الألف ومن قرأ أحد
عشر بسكون العين قال ابن جني سبب ذلك عندي ان الاسمين لما جعلتا كالأسم الواحد وبني الأول منها
لأنه كصدر الاسم من مجزء جعل نسكين أول الثاني دليلا على انها قد صارتا كالأسم الواحد وكذلك بقية العدد
الى تسعة عشر الاثني عشر واثنى عشر فإنه لا يسكن العين لسكون الألف والياء قبلها قال الزجاج الرويا فيها
أربع لغات رويا بالهمزة ورويا بالواو من غير همز ورويا على الادغام ورويا بكسر الراء قال ابو علي الرويا
مصدر كالبرى والسقيا والبقيا والشورى الا انه لما صار اسما لهذا التخيل في المنام جرى مجرى الاسماء
كما ان درا لما كثرت في كلامهم في قولهم لله درك جرى مجرى الاسماء وخرج من حكم الاعمال فلا يعمل
واحد منها اعمال المصادر وبما يقوى خروجه عن احكام المصادر تكسبهم لها روى فصار بمنزلة ظم والمصادر
في الاكثر لا تكسر والرويا على تحقيق الهمز فان خففت قلبتها في اللفظ واوا ولم تدغم الواو في الياء
وان كانت قد تقدمتها سا كنة كما قلب في نحو طي ولي لأن الواو في تقدير الهمزة فهي لذلك غير لازمة
فلا يقع الاعتداد بها وقد كسرا ولها قوم فقالوا رويا فهو لا قلبوا الواو قلبا على غير وجه التخفيف ومن ثم
كسروا الفاء كما كسروا من قولهم قرن الوى وقرون لي

— * اللغة * —

الرويا تصور المعنى في المنام على توهم الابصار وذلك ان العقل مغمور بالنوم فإذا تصور الإنسان المعنى توهم انه يراه والكيد طلب الحيلة واللام في يكيدوا لك لام التعديبة كما تقول قدمت لك طعاما وقدمت اليك طعاما وشكرت لك وشكرتك يقال كاده يكيد به كيداً وكاد له والاجتباء اختيار معالي الأمور للمجتبي وأصله من جبيت الماء في الحوض اذا جمعه

— * الإعراب * —

تقدير العامل في اذ يجوز ان يكون اذ كر كأنه قال اذ كر اذ قال يوسف قال الزجاج ويجوز ان يكون على نقص عليك اذ قال وقد غلط في هذا لأن الله تعالى لم يقص على نبيه عليه السلام هذا النقص في وقت قول يوسف (ع) و كوا منصوب على التمييز وقوله رأيتهم كر الروية توكيدا ولأن الكلام قد طال والمعنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر لي ساجدين ولم يقل ساجدان لأنه لما وصف هذه الاشياء بالسجود كما يوصف الآدميون بذلك اجري فعلها مجرى فعل العقلاء وكما قال يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم وموضع الكاف من قوله وكذلك نصب والمعنى ومثل ما رأيت يجتبيك ربك ويعلمك

— (المعنى) —

ثم ابتداء سبحانه بقصة يوسف (ع) فقال (إذ قال يوسف لأبيه) يعقوب (ع) وهو اسرائيل الله ومعناه عبد الله الخالص ابن اسحاق نبي الله بن ابراهيم خليل الله وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم (يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) اي رأيت في منامي قال ابن عباس ان يوسف (ع) رأى في المنام ليلة الجمعة ليلة القدر أحد عشر كوكبا نزلن من السماء فسجدن له ورأى الشمس والقمر نزلا من السماء فسجدنا له قال فالشمس والقمر أبواه والكواكب إخوته الأحد عشر وقال السدي الشمس أبوه والقمر خالته وذلك أن أمه راحيل قد ماتت وقال ابن عباس الشمس أمه والقمر أبوه وقال وهب كان يوسف رأى وهو ابن سبع سنين ان أحد عشر عصا طولا كانت مراكوزة في الأرض كهيئة الدائرة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لأبيه فقال له إياك ان تذكر هذا لإخوتك ثم رأى وهو ابن اثني عشرة سنة ان أحد عشر كوكبا والشمس والقمر سجدت لها فقصها على أبيه (فقال) له لا تقصص رؤياك على إخوتك الآية وقيل انه كان بين رؤياه وبين مصير أبيه وإخوته الى مصر اربعون سنة عن ابن عباس واكثر المفسرين وقيل ثمانون سنة عن الحسن ولما طال الكلام كرر رؤيتهم وأعادته للتأكيد وقيل أراد بالرويا الأولى روية الأعيان والاشخاص وبالروية الثانية روية سجودهم واختلف في معنى هذا السجود فقيل انه السجود المعروف على الحقيقة لتكرمه لا لعبادته وقيل معناه الخضوع له عن الجبائي كما قال الشاعر « ترى الأكم فيه سجدا للحوافر » وهذا ترك الظاهر ويقال ان اخوته لما بلغهم رؤياه قالوا ما رضى أن يسجد له اخوته حتى يسجد له ابواه (قال) يعقوب يا بني (لا تقصص رؤياك على اخوتك) اي لا تخبرهم بذلك (فيكيدوا لك كيدا) اي فيحسدوك او يقابلوك بما فيه هلاكك وذلك ان رؤيا الانبياء وحى وعلم يعقوب ان اخوة يوسف يعرفون تأويلها ويخافون علو يوسف عليهم فيحسدونه ويبغونه الفرائد (ان الشيطان للإنسان عدو مبين) اي ظاهر

العداوة فيلقي بينهم العداوة ويحملهم على انزال المكروه بك (و كذلك) اي كما أريك هذه الروايات تكريماً لك وأبين ان اخوتك يخضعون لك او يسجدون لك (يحببتك ربك) اي يصطفيك ربك ويختارك للنبوة عن الحسن وقيل الحسن الخلق والخلق (ويملك من تأويل الأحاديث) قبل معناه ويملك من تعبير الروايات لأن فيه أحاديث الناس عن رؤياهم وسماه تأويلاً لأنه يؤول أمره إلى ما رأى في المنام عن قنادة وقال ابن زيد كان أعبر الناس للروايات وقيل معناه ويملك عواقب الأمور بالنبوة والوحي اليك فتعلم الأشياء قبل كونها معجزة لك لأنه أضاف التعليم إلى الله وذلك لا يكون إلا بالوحي عن أبي مسلم وقيل تأويل أحاديث الأنبياء والأهم يعني كتب الله ودلائله على توحيده والمشروع من شرائعه وأمر دينه عن الحسن والجبائي والتأويل في الأصل هو المنتهى الذي يؤول إليه المعنى وتأويل الحديث فقهه الذي هو حكمه لأنه أظهر ما يؤول إليه أمره مما يعتمد عليه وفائدته (ويتم نعمته عليك) بالنبوة لأنها منتهى نعيم الدنيا وقيل تمام النعمة هو ان يحكم بدوامها على تخلصها من شائب بها فهذه النعمة التامة وخلوصها مما ينقصها ولا يطلب ذلك إلا من الله تعالى لأنه لا يقدر عليها سواه وقيل معناه ويتم نعمته عليك بأن يزوج اخوتك اليك حتى تنعم عليهم بعد اساءتهم اليك (وعلى آل يعقوب) اي وعلى اخوتك بأن يثبتهم على الإسلام ويشرفهم بمكانك ويجعل فيهم النبوة وقيل يتم نعمته عليهم بإتقادهم من المحن على يدك (كما أتتها على أبيك من قبل ابراهيم واسحاق) اي كما أتم النعمة على ابراهيم بالخلة والنبوة والنجاة من النار وعلى اسحاق بأن فداءه عن الذبيح بذبح عظيم عن عكرمة وقال انه الذبيح وقيل بإخراج يعقوب واولاده من صلبه عن أكثر المفسرين قالوا وليس هو الذبيح وإنما الذبيح اسماعيل (ان ربك عليم) بمن يصلح للرسالة (حكيم) في اختيار الرسل وقيل عليم بأحوال خلقه حكيم في قضاياه

قوله تعالى (٧) لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِّلسَّائِلِينَ (٨) إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ غُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَلْفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٩) أَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهٌ أُيُّكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (١٠) قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غِيَابِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ أربع آيات

❖ القراءة ❖

قرأ ابن كثير آية السائلين والباقون آيات وقرأ أهل المدينة غيابات الحب والباقون غيابة الحب وفي الشواذ قراءة الاعرج غيابات مشددة وقراءة الحسن غية الحب وقرأ أهل المدينة والكسائي مبین اقولوا بضم التنوين والباقون بالكسر

❖ الحجة ❖

قال ابو علي من قرأ آية على الأفراد جعل شأنه كله آية ويقويه قوله وجعلنا ابن مريم وأمه آية فكل واحد منهما على انفراده يجوز أن يقال فيه آية فأفرد مع ذلك ومن جمع جعل كل حال من احواله آية على ان المفرد المنكر في الإيجاب يقع دالاً على الكثرة كما يقع كذلك في غير الإيجاب قال الشاعر
فقتلا بتقتيل وضرباً بضر بكم
جزاء العطاش لا ينام من الثار

واما الغيبة فكل شيء غيب شيئا عن ابي عبدة وأنشد

فإن انا يوما غيبتني غيبة فسيروا بسيري في العشرة والأهل
والجب الركبة التي لم تطو فمن أفرد فالوجه فيه ان الجب لا يخلو من أن يكون له غيبة واحدة أو
غيابات وغيابة المفرد يجوز أن يعني به الجمع كما يعني به الواحد ومن جمع فإنه يجوز أن يكون له غيبة
واحدة فجعل كل جزء منها غيبة كقولهم شابت مفارقة وبثر ذو غيابتين ويجوز ان يكون للبشر عدة غيابات
فجمع لذلك واما غيابات بالتشديد فيكون اساجاء على فمالة كما جاء التيار للموج والفياد لليوم الذكر والفخار
للخزف وغير ذلك واما غيبته فيجوز ان يكون حدثا على فعلة من غاب فيكون بمعنى الظلمة ويجوز أن يكون
موضعا على فعلة واما من ضم التنوين فلأنه التقي الساكنان التنوين والقاف في اقتلوا ولزم تحريك الأول
منها فحركه بالضم ليتبع الضمة الضم كما قيل سر ومد ومن كسر التنوين فإنه لم يتبع الضم كما ان من قال
مد لم يتبع وكسر الساكن على ما يجري عليه أمر تحريك الساكن في الأمر الشائع

✽ اللغة ✽

الآية والعلامة والعبارة نظائر والعصبة الجماعة التي يتعصب بعضها لبعض ويقع على جماعة من عشرة إلى
خمس عشر وقبل ما بين العشرة إلى الأربعين ولا واحد له من لفظه كالقوم والرهط والنفر والفرق بين
المحبة والشهوة ان الانسان يحب ولده ولا يشتهيه بأن يميل طبعه اليه ويرق عليه ويريد له الخير والشهوة
منازعة النفس إلى ما فيه اللذة وإنما سمي البئر جبا لأنه قطع عنها ترابها حتى بلغ الماء من غير طي ومنه
المجبوب قال الأعشى

وإن كنت في جب ثمانين قامة ورقيت اسباب السماء بسلم

وكل ما غيب شيئا عن الحس بكونه فيه فهو غيبة فغيابة البئر شبه لطف او طاق فوق ما البئر والسيارة
الجماعة المسافرين لأنهم يسرون في البلاد وقبلهم مارة الطريق والاتقاط تناول الشيء من الطريق ومنه
القطعة والقيط ومعناه أن يجده من غير ان يحسبه يقال وردت الماء التقاطا إذا وردته من غير أن تحسبه

✽ الإعراب ✽

العامل في قوله إذ قالوا اذكر وتقديره اذكر إذ قالوا ليوسف ويحتمل أن يكون العامل فيه ما في
الآية التي قبله من قوله لقد كان في يوسف واخوته آيات إذ قالوا واللام في قوله ليوسف جواب القسم
تقديره والله ليوسف وأخوه أحب إلى أئبنا منا يخل لكم جواب الأمر وتكونوا جزم لأنه معطوف عليه وروي
عن الحسن تلقطه بعض السيارة بالتاء وهذا كما يقال أذهبت بعض اصابعه وقال الشاعر

طول الليالي اسرعت في نقضي طوين طولي وطوين عرضي

فقال اسرعت وطوين لتأنيث الليالي ولم يحمله على طول وهو مذكر

✽ المعنى ✽

ثم أنشأ سبحانه في ذكر قصة يوسف فقال (لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين) ومعناه لقد
كان في حديث يوسف واخوته عبر للسائلين عنهم وأعاجيب فمنهم نالوه بالأذى ودبروا في قتله واجتمعوا
على القائه في البئر للحسد مع انهم اولاد الأنبياء فصفع عنهم عليه السلام لما مكته الله منهم وأحسن إليهم

ولم يعيرهم بما كان منهم وهذا خارج عن العادة وفيه عبرة لمن اعتبر فيها في منافع الدين ومنها الفرج بعد الشدة والمنحة بعد المحنة ومنها الدلالة على صحة نبوة نبينا محمد ﷺ لأنه «ع» لم يقرأ كتابا فلم انه لم يأت به ذلك إلا من جهة الوحي فهو بصيرة للذهن سألوه أن يخبرهم بذلك ومعجزة دالة على صدقه وأخوته هم أولاد يعقوب وكان ليعقوب اثنا عشر ولدا اصلبه وكانوا اولاد علة عن الجبائي وقيل اسماؤهم روييل وهو اكبرهم وشعمون ولاوي ويهودا وريالون ويشجر وأهم لها بنت لبان وهي ابنة خالة يعقوب ثم توفيت لها فتزوج يعقوب أختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين وقيل ابن يامين وولد له من سررتين له اسم احدهما زلفة والاخرى بلهة اربعة بنين دان ونفتالي وحاد وآشر وكانوا اثني عشر ثم اخبر سبحانه عما قالت أخوة يوسف حين سمعوا منام يوسف وتأويل يعقوب إياه فقال (إذ قالوا) اي قال بعضهم لبعض (ليوسف وأخوه) لأنه وأمه بنيامين (أحب الى آيينا) يعقوب (بنا) وذلك أن يعقوب (ع) كان شديد الحب ليوسف وكان يوسف من أحسن الناس وجها وكان يعقوب يؤثره على اولاده فحسدوه ثم رأى الرويا فصار حسدهم له أشد وقيل انه «ع» كان يرجمه وأخاه ويقربها لصغرهما فاستثقلوا ذلك وروى ابو حمزة الثمالي عن زين العابدين «ع» ان يعقوب كان يذبح كل يوم كبشا فيصدق به ويأكل هو وعياله منه وان سائلا موثنا صواما اعتر بياه عشية جمعة عند أو ان افطاره وكان مجتازا غريبا فتهنأ على بابه واستطعمهم وهم يسمعون فلم يصدقوا قوله فلما بش أن يطعموه وغشيه الليل استرجع واستعبر وشكا جوعه الى الله تعالى وبات طاولا واصبح صائما صابرا حامدا لله وبات يعقوب وآل يعقوب بطائنا واصبحوا وعندهم فضلة من طعامهم فابتلاه الله سبحانه بيوسف (ع) وأوحى اليه ان استعد لبائني وارض بقضائي واصبر للمصائب فرأى يوسف الرويا في تلك الليلة والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة وروى ذلك عن ابن عباس او قريب منه (ونحن عصبة) معناه ونحن جماعة يتعصب بعضنا لبعض ويعين بعضنا بعضا اي فنحن أنفع لأنبينا وقيل يعني ونحن عصبة لا يعجزنا الاحتيال عليه (إن أبانا لفي ضلال مبين) اي في ذهاب عن طريق الصواب الذي هو التعديل بيننا في المحبة وقيل معناه انه في خطأ من الرأي في أمور الأولاد والتدبير الدنيوي ونحن اقوم بأمر مواشيه وامواله وسائر اعماله ولم يريدوا به الضلال عن الدين لأنهم لو أرادوا ذلك لكانوا كفارا وذلك بخلاف الاجماع ولأنهم بالاتفاق كانوا على دينه وكانوا يعظّمونه غاية التعظيم ولذلك طلبوا محبته وأصل الضلال العدول وكل من ذهب عن شيء وعدل عنه فقد ضل واكثر المفسرين على ان أخوة يوسف كانوا أنبياء وقال بعضهم لم يكونوا أنبياء لأن الأنبياء لا يقع منهم القبايح وقال المرتضى قدس الله روحه لم يرق لنا الحجة بأن أخوة يوسف الذين فعلوا ما فعلوه كانوا أنبياء ولا يمنع ان يكون الاسباط الذين كانوا أنبياء غير هؤلاء الأخوة الذين فعلوا بيوسف ما قصه الله تعالى عنهم وليس في ظاهر الكتاب ان جميع أخوة يوسف وسائر الاسباط فعلوا بيوسف ما حكاه الله من الكيد وقيل يجوز أن يكون هؤلاء الأخوة في تلك الحال لم يكونوا بلغوا الحلم ولا توجه اليهم التكليف وقد يقع بمن قارب البلوغ من الغلمان مثل هذه الأفعال ويعاتب على ذلك ويلام ويضرب وهذا الوجه قول البلخي والجبائي ويدل عليه قوله ترفع وتلعب وروى ابو جعفر بن بابويه رحمه الله في كتاب النبوة باسناده عن محمد بن اسماعيل بن بزيع عن حنان بن سدير قال قلت لابي جعفر أكان اولاد يعقوب أنبياء فقال لا ولكنهم كانوا اسباطا اولادا لأنبياء ولم يفارقوا الدنيا إلا سعداء تلوا وتذكروا ما صنعوا وقال الحسن كانوا رجالا بالغين ووقعت ذلك منهم صغيرة ثم اخبر سبحانه عنهم انهم قال بعضهم لبعض (اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا) اي اطرحوه في ارض بعيدة عن أبيه فلا يهتدي اليه وقيل معناه في ارض تأكله السباع او يهلك بغير ذلك (يخل لكم وجه ابيكم) عن يوسف

وتخلص لكم محبته والمعنى انكم متى قتلتموه او طرحتموه في ارض أخرى خلا لكم ايكم وعن عليكم (وتكونوا من بعده قوما صالحين) اي وتكونوا من بعد قتل يوسف او غيبته قوما ثابتين والمعنى انكم اذا فعلتم ذلك وبلغتم اغراضكم تبتم مما فعلتموه وكنتم من جملة الصالحين الذين يعملون الصالحات وهذا يدل على انهم رأوا ذلك ذنباً يصح التوبة منه عن جماعة من المفسرين وقيل معناه وتكونوا قوما صالحين في امر دنياكم اي يعود حالكم مع ابيكم إلى الصلاح عن الحسن ومتى يسأل ههنا على قول من جعلهم غير الثابتين فقال ليس يدل هذا القول منهم على بلوغهم لعلمهم بالوعيد فالجواب ان المراهق قد يجوز أن يعلم ذلك خاصة إذا كان مربي في حجر الأنبياء. ومن اولادهم واختلف فيمن قال ذلك من اخوته فقال وهب قاله شعون وقال مقاتل قاله رويين ثم اخبر سبحانه من واحد من جملة القوم بقوله (قال قائل منهم) اي من اخوة يوسف (لا تقتلوا يوسف وأخوته في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة) اي القوم في قبر البشريتناوله بعض مارة الطوق والمسافرين فيذهب به إلى ناحية أخرى والقائل لذلك رويين وهو ابن خالة يوسف عن قتادة وابن اسحاق وكان احسنهم رأياً فيه فنهاهم عن قتله وقيل هو يهوذا وكان اقدمهم في الرأي والفضل وأسئهم عن الاصم والزجاج وقيل هو لادويدها علي بن ابراهيم في تفسيره واختلفوا في ذلك الجب فقيل هو بئر بيت المقدس عن قتادة وقيل بارض الاردن عن وهب وقيل بين مدين ومصر عن كعب وقيل على ثلاث فراسخ من منزل يعقوب عن مقاتل (إن كنتم فاعلين) معناه إن كنتم فاعلين شيئاً مما تقولون في يوسف فليكن هذا فعلكم فإنه دون القتل الصريح وقال ابن عباس يريد إن أضرت ما تريدون وقيل للحسن أيحسد المؤمن فقال ما أنساك حديث بني يعقوب

قوله تعالى (١١) قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (١٢) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ آيَات

(- القراءة -)

قرأ أبو جعفر والحلواني عن قالون لا تأمنا مشددة النون بلا شمة وقرأ الباقون بالإشمام وهو الإشارة إلى النون المدغمة بالضمه وهو اختيار أبي عبيدة وقرأ أبو جعفر ونافع يرتع ويلعب بالياء فيها وكسر العين من يرتع وقرأ ابن كثير نزع ونلعب بالنون فيها وكسر العين وقرأ أبو عمرو وابن عامر نزع ونلعب بالنون فيها وجزم العين وقرأ أهل الكوفة ورويس عن يعقوب يرتع ويلعب بالياء فيها وجزم العين وقرأ روح وزيد عن يعقوب نزع بالنون وجزم العين ويلعب بالياء. وقد روي ذلك عن أبي عمرو وهو قراءة الأعرج وإبراهيم النخعي وفي الشواذ قراءة الملايين سبابة يرتع بالياء وكسر العين ويلعب رفعا وقراءة أبي رجا يرتع ويلعب

(- الحجة -)

قال الزجاج يجوز في تأمنا أربعة أوجه اشمام النون مع الإدغام. الضم وهو الذي حكاه ابن مجاهد عن الفراء والاشعار بالضمه والإدغام من غير اشمام لأن الحرفين من جنس واحد وتأمنا بالانفصال ورفع النون الأولى لأن النونين من كلمتين وتشنا بكسر التاء. لأن ماضيه على فعل كما قالوا تعلم ونعلم وهي قراءة يحيى بن وثاب وهذه القراءة مخالفة للمصحف وإن كانت في العربية جائزة وأما قوله نزع ويلعب فقد قال أبو علي قراءة من قرأ نزع بالنون وكسر العين ويلعب بالياء حسن لانه جعل الارتقاء والقيام على المال لمن يبلغ وجاوز الصغر واستند العقب إلى يوسف لصغره ولا لوم على الصغير في اللعب والدليل على صغر يوسف قول اخوته وانا له لحافظون ولو كان كبيراً لم يحتج إلى حفظهم ويدل على ذلك قول يعقوب وأخاف ان يأكله الذئب وإنما يخاف الذئب على من لا دفاع به من شيخ كبير او من صبي صغير قال

اصبحت لا احمل السلاح ولا
وامك رأس البعير إن نقرأ
والذئب اخشاه إن مررت به
وحدي واخشى الرياح والمطر
وأما الارتقاء فهو افتعال من رعت مثل شويت واشتويت وكل واحد منهما متعد إلى مفعول به قال الأعشى
ترتمي السفح فالكثيب فذاقار
فروض القطا فذات الرمال
وقال آخر

رَعَتْ بَارِضَ الْبُهْمَى جَحِيماً وَبُسْرَةَ
وَصَمْعَاءَ حَتَّى آتَقْتَهَا نِصَالَهَا

وقد يستقيم أن يقال نرتع وإنما ترتم ابلهم فيا قال ابو عبيدة ووجه ذلك انه كان الأصل يرتع ابلنا ثم حذف
المضارع واستند الفعل إلى المتكلمين فصارت ترتم وكذلك نرتعي على يرتعي ابلنا ثم حذف المضارع فيكون نرتع
وقال ابو عبيدة نرتع نلهو وقد يكون هذه الكلمة على غير معنى الملهو ولكن على معنى النيل من الشيء كقولهم في
المثل الصيد والرقة وكان على هذا النيل والذلول ما يحتاج اليه الحيوان وقد قال الأعشى (صدر النهار يراعي نيرة
رتما) وعلى هذا القول قالوا رأيت مرتع ابلك لمرادها الذي فيه فهذا لا يكون على اللهلوانه جمع ثور راتع اوردت
فاما من قرأ نرتع ونلعب بالنون فيكون نرتع على يرتع ابلنا او على اننا نعال ما يحتاج اليه وينال معنا وامانلعب
فحكى ان ابا عمرو قيل له كيف يقولون نلعب وهم انبياء فقال لم يكونوا يومئذ انبياء فاصححت هذه الحكاية
عنه وصح عنده هذا التاريخ وإلا فقد قال الشاعر

جدت جداد بلاعب وتقسعت
غمرات قالت ليته حيران

فكان اللاعب هاهنا الذي لم يتشمر في اهله فدخله بعض الهويننا فهذا اسهل من الوجه الذي قوبل به الحق
وقد روي عن النبي ﷺ انه قال لجابر فهلا بكرا تلاعبها وتلاعبك فهذا كأنه يتشافل بباح وبنفس وجمام
من الجدد وقد روي عن بعض السلف انه كان إذا اكثر النظر في مسائل الفقه قال احضوا فليس هذا اللعب كاللعب
في قوله ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب وأما من قرأ بالياء فيها فإن كان يرتع من اللهلوانه كما فسره ابو
عبيدة فلا يستقيم أن يخبر به عن يوسف اصغره كما لا يستقيم أن ينسب اليه اللعب لذلك وان كان يرتع من النيل
من الشيء فذلك لا يستقيم عليه ايضا فوجهها بين وهذا ابرين من قول من قال ونلعب بالنون لأنهم سألوا ارساله
ليتنفس بلعبه ولم يسألوا ارساله ليلعبوا هم وأما من قرأ ويلعب بالرفع فإنه جعله استئنافا اي هو ممن يلعب كقولك
زرني احسن اليك اي انا ممن يحسن اليك وأما من قرأ ويرتم فمعناه يرتع ابله فحذف المفعول كما قال الخطيب

منعمة تصون اليك منها
كصونك من رداء شرعي

اي تصون الحديث وقال الشنفرى

كان لها في الأرض نسيا تقصه
على امها وان تكلمك تبلى

أي تقطع حديثها خفرا وحياء

المعنى

ثم بين سبحانه انهم عند اتفاق آرائهم فيا قاموا فيه من امر يوسف كيف سألوا اباهم (قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف) اي ما لك لا تثق بنا ولا تعتمدنا في امر يوسف (وإننا له لناصرون) أي مخلصون في إرادة
الخير به وفي هذا دلالة على انه عليه السلام كان يأبى عليهم ان يرسله معهم (ارسله معنا غدا) اي إلى الصحراء
(زرع ونلعب) الجزم على جواب الأمر والمعنى ان ترسله معنا زرع ونلعب اي نذهب ونجني وننشط ونلهو عن
الكلي والضحاك وقيل نتحافظ فيحفظ بعضنا بعضا ونلهو عن مجاهد وقيل نرعى ونتصرف والرتم هو التردد

بيننا وشالا عن ابن زيد وأرادوا به اللب المباح مثل الرمي والاستياق بالأقدام وقد روي أن كل لب حرام إلا ثلاثة لعب الرجل بقوسه وفرسه وأهله (وإنا له) أي ليوسف (حافظون) أي نحفظه لئلا نرده اليك وقيل نحفظه في حال لعبه وقال مقاتل هاهنا تقديم وتأخير وذلك إن اخوة يوسف قالوا له ارسله فقال ابوهم إنني ليحزني أن تذهبوا به الآية فحينئذ قالوا يا أبانا ما لك لاتأمننا على يوسف وإنا له لناصرون وإذا صح الكلام من غير تقديم وتأخير فلا معنى لحمله عليه قال الحسن جمل يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة وكان في البلايا إلى أن وصل إليه ابوه ثمانين سنة ولبث بعد الاجتماع ثلاثا وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل أنه كان ليوسف يوم القي في الجب عشر سنين وقيل كان له اثنتا عشرة سنة وقيل كان ابن سبع سنين أو تسع وجمع بينه وبين أبيه وهو ابن أربعين سنة عن ابن عباس وغيره وفي الآيات دلالة على ظهور حسدهم ليوسف لأنه كان يحرسه منهم ويمنعه من الخروج معهم ولا يأمنهم عليه

قوله تعالى (١٣) قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّبُّ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٤) قَالُوا لَئِن آكَلَهُ الذِّبُّ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ (١٥) فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٦) وَجَاءُوا آبَاءَهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٧) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّبُّ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٨) وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ست آيات

اللفظة

الذئب أصله الممزر وإن خفت جاز وقراءة الكسائي وخلف وابو جعفر وورش والاعشى واليزيدي بتخفيف الهزة في المواضع الثلاث والباقيون بالهمز وجمع الذئب اذئوب وذئاب وذؤبان وتذاهبت الريح أنت من كل جهة وحزنت واحزنت لثقتان والحزن ألم القلب بفراق المحبوب والشعور إدراك الشيء بمثل الشعرة في الدقة ومنه المشاعر في البدن والمجني والمصير إلى الشيء واحد وقد يكون المصير بالانقلاب كمصير الطين خزفا وقد يكون بمعنى الانتقال والعشاء آخر النهار ومنه اشتق الاعشى لأنه يستضي ببصر ضيف ويقال العشاء اول لظلام الليل ويقال العشى من زوال الشمس إلى الصباح والعشاء من صلاة المغرب إلى العتمة والاستياق افتعال من السبق واستباق تبادرا حتى يظهر الاقوى ومنه المسابقة وهو على ثلاثة أوجه سباق بالرمي وذلك جائز بالاتفاق وسباق على الخيل والابول وذلك جائز عندنا وسباق على الاقدام وذلك غير جائز بعرض وبه قال الشافعي وعند أبي حنيفة يجوز بعرض وبلا عرض وبه قال قوم من اصحابنا وكذلك القول في الصراع ودم كذب أي مكذوب فيه وهو مصدر وصف به وقيل ان تقديره بدم ذي كذب قال الفراء يجوز أن يقع المصدر موقوع المفعول كما يقع المفعول موقوع المصدر في مثل قول الشاعر

حتى إذا لم يتركوا المعظامه لحما ولا لقواده معقولا

ولم يجره سيبويه وقال المفعول لا يكون مصدرا ويتأول قولهم خذ ميسرة ودع ميسرة وقال يعني به خذ ما يسر له ودع ما عسر عليه وكذلك ليس لقواده معقول أي ما يعقل به وروي عن عائشة انها قرأت بدم كذب بالبدال أي دم طري والتسويل تزيين النفس ما ليس بحسن وقيل هو تقدير معنى في النفس على الطمع في تمامه

* الاعراب *

اللام في قوله لئن هي اللام التي يتلقى بها القسم وانا إذا لحاسرون جواب القسم فلما ذهبوا به جواب لما محذوف وتقديره عظمت فتنتهم او كبر ما قصدوا له والكوفيون يقولون الراو في واجمرا مقحمة وتقديره اجمرا ولا يميز البصريون اقحام الراو وقالوا لم يثبت ذلك بحجة ولا قياس وما أنشده الكوفيون في ذلك قول الشاعر

حتى إذا قملت بطونكم
ورأيتم ابناكم شبوا
وقلبتم ظهر المجن لنا
إن اللثيم العاجز الحب

وقول امرئ القيس

فلما أجزنا ساحة الحمي وانتحي

بنابطن خبت ذي حفاف عقتقل
قالوا أراد انتحي والبصريون يحملون الجميع على حذف الجواب وقوله سيكون في موضع نصب على الحال وعشاء منصوب على الظرف وجائز أن يكون وهم لا يشعرون من صلة قوله لتبنتهم وجائز أن يكون من صلة وأوحينا اي نبأناه بالوحي وهم لا يشعرون انه نبي قد أوحى اليه ونسبت في موضع نصب على الحال وصبر جميل مرفوع على احد وجهين على انه خبر مبتدأ محذوف وتقديره فشأنني صبر جميل او فصبري صبر جميل وهو قول قطرب او على انه مبتدأ محذوف الخبر والتقدير فصبر جميل امثل وانشد

شكا إلي جملي طول السرى

يا جملي ليس إلي المشتكى
صبر جميل فكلانا مبتلى

ويجوز في غير القرآن فصبر جميل وروي ذلك عن ابي ويكون معناه فاصبري يا نفس صبرا جميلا قال ذو الرمة

ألا إنما مي فصبرا بلية

وقد يبتلى الحر الكريم فيصبر
وقال الآخر

أبي الله أن يبقى لحي مجاشة

فصبرا على ما شاءه الله لي صبرا

* المعنى *

ثم اخبر سبحانه انهم لما اظهروا النصح والشفقة على يوسف هم يعقوب ان يبعث معهم وحتمهم على حفظه فقال (إني ليعزني) اي يعيني (ان تذهبوا به) وتقديره عني وقيل معناه يعزني مفارقتي إياي (واخاف) عليه إذا ذهبتم به إلى الصحراء (أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون) فهذه جملة في موضع الحال وتقديره اخاف ان يأكله الذئب في حال كونكم ساهين عنه مشغولين ببعض اشغالكم قالوا وكانت ارضهم مذابة وكانت الذئاب ضاربة في ذلك الوقت وقيل ان يعقوب رأى في منامه كأن يوسف قد شد عليه عشرة اذواب ليقتلوه وإذا ذئب منها يحمي عنه فكان الارض انشقت فدخل فيها يوسف فلم يخرج منها إلا بعد ثلاثة ايام فمن ثم قال هذا فلقتهم العلقوا كانوا لا يدرون وروي عن النبي ﷺ انه قال لا تلقوا الكذب فيكذبوا فإن بني يعقوب لم يعلموا ان الذئب يأكل الانسان حتى لقتهم ابوهم وهذا يدل على ان الحصم لا ينبغي أن يلحق حجة وقيل انه خاف عليه أن يقتلوه فكفى عنهم بالذئب مسابرة لهم قال ابن عباس ساهم ذئابا (قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة) اي جماعة متعاضدون متناصرون نرى الذئب قد قصده ولا يمنعه منه (إنا إذا لحاسرون) أي نكون كالذين تذهب عنه رؤوس اموالهم على رغم منهم وقيل معناه إنا إذا عجزت ضفة قال الحسن والله لقد كانوا اخوف عليه من الذئب وقيل معناه إنا إذا لمضيعون بلغة قيس عيلان عن الموزج وهنسا حذف والتقدير انه ارسله معهم إجابة لما سأله ليؤدي ذلك إلى الإلفة والمحبة (فلما ذهبوا به واجمرا) اي عزموا جميعا (أن يجعلوه في غيابة الحب) اي قمر

البشر واتفقت دواعيهم عليه فلون من دعاه داع واحد إلى الشيء لا يقال فيه انه اجمع عليه فكأنه مأخوذ من اجتماع الدواعي وبدل الألف واللام على انه كان بشرا معروفة معندهم تجيئها السيارة وقيل انهم طلبوا بشرا قليلة الماء يقيبه ولا تفرقه فجعلوه فيها وقيل بل جعلوه في جانب منها وقيل ان يعقوب ارسله معهم فأخرجوه مسكرا فلما وصلوا إلى الصحراء أظهروا له العداوة وجعلوا يضربونه وهو يستغيث بواحد واحد منهم فلا يغيثه وكان يقول يا أبتاه فحموا بقتله فمنهم يهودا منه وقيل منهم لاوي رواه بعض اصحابنا عنهم عليهم السلام فانطلقوا به إلى الجب فجعلوا يدلونه في البئر وهو يتعلق بشفير البئر ثم تزعموا قبضه عنه وهو يقول لا تغفلوا ردوا علي القميص أتواري به فيقولون ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكبا يوتسنتك فدلوه في البئر حتى إذا بلغ نصفها القوة ارادة ان يموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم آوى إلى صخرة فقام عليها وكان يهودا يأتيه بالطعام من السدي وقيل ان الجب اضاء له وعذب ماؤه حتى اغناه عن الطعام والشراب وقيل كان الماء كدرا فصفا وعذب وروى كل الله به ملكا يحرسه ويطلع منه عن مقاتل وقيل ان جبرائيل كان يوتسه وقيل ان الله تعالى أمر بصخرة حتى ارتفعت من اسفل البئر فوقف يوسف عليها وهو عريان وكان ابراهيم الخليل (ع) حين القي في النار جرد من ثيابه وقذف في النار عريانا فآتاه جبرائيل (ع) بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه وكان ذلك عند ابراهيم (ع) فلما مات ورثه اسحاق فلما مات اسحاق ورثه يعقوب فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص في تعريذ وعلقه في منقعه فكان لا يفارقه فلما ألقى في البئر عريانا جاءه جبرائيل وكان عليه ذلك التعريذ فأخرج منه القميص فألبسه إياه وروى ذلك مفضل بن عمر عن الصادق (ع) قال وهو القميص الذي وجد يعقوب ربيحه ولما فصلت العير من مصر وكان يعقوب بفسطين فقال إني لأجد ربيح يوسف وفي كتاب النبوة من الحسن بن محبوب عن الحسن بن عمار عن مسمع ابني سيار عن الصادق (ع) قال لما ألقى اخوة يوسف في الجب تزل عليه جبرائيل فقال له يا غلام من طرحك هنا فقال اخوتي لمترلي من ابني حسدوني ولذلك في الجب طرحوني فقال أحب أن تخرج من هذا الجب قال ذلك إلى آل ابراهيم واسحاق ويعقوب فقال له جبرائيل فلون إلى آل ابراهيم واسحاق ويعقوب يقول لك قل اللهم إني اسألك بأنك الحمد لا إله إلا انت بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاکرام أن تصلي على محمد وآل محمد وان تجعل لي في امري فرجا ومخرجا وترزقني من حيث احتسب ومن حيث لا احتسب فجعل الله له من الجب يومئذ فرجا ومخرجا ومن كيد المرأة مخرجا وآتاه ملك مصر من حيث لم يحتسب وروى علي بن ابراهيم ان يوسف (ع) قال في الجب يا آل ابراهيم واسحاق ويعقوب ارحم ضعفي وقلة حيلتي وصغري وقوله (وأوحينا اليه) يعني إلى يوسف (ع) قال الحسن اعطاه الله النبوة وهو في الجب والبشارة بالنجاة والملك (لتنبئهم بأمرهم هذا) أي لتخبرنهم بيقين فعلهم بعد هذا الوقت يريد ما ذكره سبحانه في آخر السورة من قوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه (وهم لا يشعرون) انك يوسف وكان الرحي اليه كآرحي الى سائر الأنبياء وقال مجاهد وتنادى اوحى الله اليه ونبأ وهو في الجب وكان فيما اوحى اليه ان اكنتم حالك واصبر على ما اصابك فانك ستخبر اخوتك بما فعلوا بك في وقت لا يعرفونك وقيل يريد وهم لا يشعرون بأنه اوحى اليه وقيل ان معنى قوله لتنبئهم لتجزيهم على فعلهم تقول العرب للرجل يتوعد بجازاة سو. فله لا تبذك ولا عرفنك اي لا جازيتك وقيل أراد بذلك انهم لما دخلوا مصر عرفهم يوسف وهم له منكرون فأخذ الصاع ونقره فطن فقال ان هذا الجاه ليخبرني انه كان لكم أخ من أبيكم القيتوه في الجب وبعثوه بشمن نجس فهذا معنى قوله لتنبئهم بأمرهم هذا عن ابن عباس ثم بين سبحانه حالهم حين رجعوا إلى أبيهم فقال (وجاؤا إياهم) يعني وانقلب اخوة يوسف إلى أبيهم (عشاء) اي ليلا وفي آخر النهار لبسوا على أبيهم وليكونوا اجرا على الاعتذار (بيكون) وانما أظهر والبكاء ليومروا انهم صادقون وفي هذا دلالة على ان البكاء لا يوجب صدق دعوى الباكي في دعواه قال السدي لما سمع

بكتاهم فزع فقال ما بالكم (قالوا يا اباانا انا ذهبنا نستبق) اي نشدد ونعدو على الاقدام لننظر ايننا امدى
 واسبق لصاحبه عن الجبائي والسدي وقيل معناه نتصل وتترامى فننظر اي السهام اسبق الى الغرض عن الزجاج
 وفي قراءة عبد الله نتصل (وتركتنا يوسف عندماتنا) اي تركناه عند الرجل ليحفظه (فأكله الذئب وما انت
 بمؤمن لنا) اي ما لتت بصدق لنا (وارو كتنا صادقين) جواب لو محذوف اي وارو كتنا صادقين ما صدقتنا لاتهامك
 لنا في أمر يوسف ودل الكلام عليه ولم يصغوه بأنه لا يصدق الصادق لأن المعنى لا يصدقهم لاتهامهم لهم وسوء
 ظنه بهم لما ظهر له من امارات حسدهم ليوسف وشدة محبته ليوسف (وجاوا على قميصه بدم كذب) معناه ان
 اخوة يوسف جاوا اباهم ومعهم قميص يوسف ملطخا بدم فقالوا له هذا دم يوسف حين أكله الذئب وقيل اتهم
 ذبحوا سخة وجعلوا دمه على قميصه عن ابن عباس ومجاهد وقيل ظنيا ولم يمزقوا ثوبه ولم يخطريبالهم ان الذئب
 اذا أكل إنسانا فإنه يمزق ثوبه وقيل ان يعقوب قال لهم اروني القميص فاروه اياه فقال لهم لما رأى القميص
 صحيحا يا بني والله ما عهدت كالايوم ذنبا أحلم من هذا الكسل ابني ولم يمزق قميصه عن الحسن وروي انه القى
 ثوبه على وجهه وقال يا يوسف لقد أكلت ذنبا رجيم أكل لحمك ولم يشق قميصك ومعنى قوله بدم كذب مكذوب
 عليه او فيه كما يقال ماء سكب اي مسكوب وشراب صب اي مصبوب قال الشاعر

تظن جيادهم نوحا عليهم مقلدة اعتتها صفونا

اراد ناخحة عليهم وقيل انه كان في قميص يوسف ثلاث آيات حين قدم من دبر وحين القى على وجه ابيه فارتد
 بصيرا وحين جاوا عليه بدم كذب فتنبه يعقوب على ان الذئب لو أكله لمزق قميصه عن الشعبي وقيل انه لما قال
 لهم يعقوب ذلك قالوا بل قتله اللصوص فقال (ع) فكيف قتلوه وتركوا قميصه وهم الى قميصه أخرج منهم الى
 قتله (قال بل سوت لكم أنفسكم أمرا) اي قال يعقوب لهم اذ اتهمهم في يوسف لم يأكله الذئب ولم يقتله
 اللصوص ولكن زينت اكم أنفسكم امرا علمتموه عن قتادة وقيل سهل بعضكم لبعض امرا في يوسف غير
 الذي فعلتموه حتى سهل عليكم فقتلتموه عن ابي مسلم والجبائي وانما رد يعقوب عليهم يوحي من الله عز اسمه
 وقيل كان ذلك حدثا بصائب رايه صادقا ذهته (فصبر جميل) اي فصبر جميل لاجزع فيه ولا شكوى إلى الناس
 وقيل فصبر جميل احسن واولى من الجزع الذي لا يعني شيئا وقيل انما يكون الصبر جميلا اذا قصد به وجه الله تعالى وفعل
 للوجه الذي وجب فلما كان الصبر في هذا الموضع واقعا على الوجه المعهود صح وصفه بذلك ذكره المرتضى قدس الله
 روحه وقيل ان البلاء تزل يعقوب على كبره ويوسف على صغره بلا ذنب كان منهما فأكب يعقوب على حزنه وانطلق
 يوسف في رقهو كل ذلك بعين الله يرى ويسمع حتى أتى بالخرج وكل ذلك امتحان (والله المستعان على ما تصفون)
 اي بالله استعين على دفع ما تصفون او به استعين على تحمل مرارة الصبر عليه ومكث يوسف في الجب ثلاثة ايام

قوله تعالى (١٩) وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ
 وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةٌ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٢٠) وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا
 فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة يا بشري بالف بغير ياء الا ان حمزة والكسائي وخلف يميلون الراء وعاصم لا يميل والباقون
 يا بشراي بفتح الياء واثبات الالف وفي الشواذ قراءة الجحدري وابن ابي اسحاق والحسن يا بشري

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من قرأ يا بشراي فأضاف الى الياء التي للمتكلم كان للالف التي هي حرف الاعراب عنده موضعان من وجهين ﴿ احدهما ﴾ ان الالف في موضع نصب من حيث كان نداء مضافا ﴿ والآخر ﴾ ان يكون في موضع كسر من حيث كان بمنزلة حرف الاعراب الذي في غلامي والدليل على استحقاتها لهذا الموضع قولهم كسرت سيفي فلولا ان حرف الاعراب الذي ولي ياء الإضافة في موضع كسر ما كسرت الفاء من في فلما كسرت كما كسرت من قولهم فيك وكما فتحت من قولهم رأيت فاك لما كانت في موضع الفتحة التي في قولك رأيت غلامك وانضمت في قولك هذا فوك لاتباعه الضمة المقدرة فيها كالتي في قولك هذا غلامك كذلك كسرت سيفي قولهم كسرت في وهذا بذلك على انه ليس يعرب من مكانين الا ترى انها تبعت حركة غير الاعراب في قولك كسرت في يا هذا كما تبعت حركة الاعراب في رأيت فاك ومن قال يا بشري احتمل وجهين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون في موضع ضم مثل يا رجل لاختصاصه بالنداء ﴿ والآخر ﴾ ان يكون في موضع نصب وذلك لأنك اشبعت النداء ولم تختص به كما فعلت في الوجه الأول فصار كقوله يا حسرة على العباد الا ان التثوين لم يلحق بشري لأنها لا تنصرف فأما من قرأ يا بشري فإن تلك لغة هذيل قال ابو ذؤيب

سبقوا هوي واعتقوا لسبيلهم
فتخرموا ولكل جنب مهجع

وقال آخر

يطوف لي به عكبي في سعد
ويطمن بالصملة في قفيا
فإن لم تثار لي من عكبي
فلا رويما أبدا صديا

وامثاله كثيرة

— اللغة —

الوارد الذي يتقدم الرفقة الى الماء ليستقي وتقول ادليت الدلو اذا ارسلتها في البئر لتتملاها ودلوتها اذا اخرجتها ملاء وبضاعة قطعة من المال تجعل للتجارة من بضعت الشيء اذا قطعته ومنه الموضع لأنه يوضع به العرق والشري البيع قال الشاعر « وشريت بردا ليشي * من بعد برد كنت هامه » والشمع بدل الشيء من العين والورق ويقال في غيرهما ايضا مجازا والبخس النقص من الحق يقال يخسه في الكيل او الوزن اذا قصه من حقه فيها

— (الاعراب) —

قال الزجاج معنى النداء في يا بشري وما في معناها مما لا يجب ولا يعقل فإنه على تشبيه المخاطبين وتوكيد القصة اذا قلت يا عجباه فكأنك قلت اعجبوا يا أيها العجب هذا من حينك وكذلك اذا قلت يا بشري فكأنك قلت ابشروا بأيتها البشرية هذا من آياتك وبضاعة منصوب على الحال وتقديره وأسروه جاعليه بضاعة ودرام في موضع جر بأنه بدل من ثمن ومعدودة صفة الدرهم وكانوا فيه من الزاهدين فيه ليست من صلة الزاهدين والمعنى وكانوا من الزاهدين ثم بين في آية شيء زهدوا فقال فيه فكأنه قال زهدوا فيه وهذا في الظروف جائز ولا يجوز ذلك في المفعولات لو قلت كنت زيدا من الضاريين لم يجوز لأن زيدا من صلة الضاريين ولا تتقدم الصلة على الموصول

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن حال يوسف بعد لقائه في الجب فقال (وجاءت سيارة) اي جماعة مارة قالوا وانما جاءت من قبل مدين يريدون مصر فأخطأوا الطريق فانطلقوا بهيمون على غير الطريق حتى نزلوا قريبا من الجب

وكان الجب في قفرة بعيدة عن العمران وانما هو للرعاة والمجتازة وكان ماؤه ملحا فعذب وقيل كان الجب يظهر الطريق (فأرسلوا واردهم) اية فبعثوا من يطلب لهم الماء يقال بثوا رجلا يقال له مالك بن زعر ليطلب لهم الماء (فأدلى دلوه) اي ارسل دلوه في البئر ليستقي فتعلق يوسف (ع) بالحبل فلما خرج اذا هو بغلام أحسن ما يكون من الغلمان قال النبي ﷺ اعطى يوسف شطر الحسن والنصف الآخر لسائر الناس وقال كعب الاحبار وكان يوسف حسن الوجه جعد الشعر ضخم العين مستوي الخلق ايض اللون غليظ الساقين والعضدين خميص البطن صغير السرة وكان اذا تبسم رأيت النور في ضواحه واذا تكلم رأيت في كلامه شعاع النور يلمع عن ثناياه ولا يستطيع احد وصفه وكان حسنه كضوء النهار عند الليل وكان يشبه آدم (ع) يوم خلقه الله عز وجل وصوره وقبح فيه من روحه قبل ان يصيب المعصية ويقال انه ورث ذلك الجمال من جدته سارة وكانت قد اعطيت سدس الحسن فلما رآه المدني (قال يا بشرى هذا غلام) عن قتادة والسدي وقيل انه نظر في البئر لما نقل عليه الدلو فرآى يوسف (ع) فقال هذا غلام فأخرجوه عن الجبائي وقيل ان بشرى رجل من اصحابه ناداه عن السدي (وأسرؤه بضاعة) اي وأسر يوسف الذين وجدوه من رفقاءهم من التجار مخافة ان يطلبوا منهم الشراكة معهم في يوسف فقالوا هذا بضاعة لأهل الماء دفعوه اليها لتبيعه لهم عن مجاهد والسدي وقيل معناه وأسر اخوته يكتمون انه اخوهم فقالوا هو عبد لنا قد أبق واخفى منا في هذا الموضع وقالوا له بالعبرانية لئن قلت انا اخوهم قتلناك فتابعهم على ذلك لئلا يقتلوه عن ابن عباس (والله عليم بما يعملون) اي بما يعمل اخوة يوسف (وشروه بخرم بخرم) اي باعوه بخرم ناقص قليل عن عكرمة والشعبي وقيل حرام لأن ثمن الحر حرام عن الضحاك ومقاتل والسدي وسعي الحرام بخس لأنه لا يركب فيه فهو منقوص البركة (دراهم معدودة) اي قليلة وذكر العدد عبارة عن القلة وقيل انهم كانوا لا يزنون من الدراهم ما دون الاوقية وكانوا يزنون الاوقية وهي الاربعون فما زاد عليها وكانت الدراهم عشرين درهما عن ابن عباس وابن مسعود والسدي وهو المروي عن علي بن الحسين (ع) قال وكانوا عشرة فاقسموها درهمين درهمين وقيل كانت اثنين وعشرين درهما عن مجاهد وقيل كانت اربعين درهما عن عكرمة وقيل ثمانية عشر درهما عن ابي عبد الله (ع) واختلف فيمن باعه فقيل ان اخوة يوسف باعوه وكان يهودا متبينا ينظر الى يوسف فلما اخرجوه من البئر أخبر اخوته فأتوا مالك الكاهن وباعوه منه عن ابن عباس ومجاهد واكثر المفسرين وقيل باعه الواجدون بمصر عن قتادة وقيل ان الذين اخرجوه من الجب باعوه من السيارة عن الأصم والأصح الأول وذكر ابو حمزة الثمالي في تفسيره قال فلم يزل مالك بن زعر وأصحابه يتعرفون من الله الخبير في سفرهم ذلك حتى فارقوا يوسف ففقدوا ذلك قال وتحرك قلب مالك ليوسف فأتاه فقال اخبرني من انت فاتتبه له يوسف ولم يكن مالك يعرفه فقال أنا يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم فالزمه مالك وبكى وكان مالك رجلا عاقرا لا يولد له فقال ليوسف لو دعوت ربك ان يهب لي ولدا فدعا يوسف ربه ان يجعل له ولدا ويجعلهم ذكورا فولد له اثنا عشر بطنا في كل بطن غلامان (وكانوا فيه من الزاهدين) قيل يعني به ان الذين اشترؤه كانوا من الزاهدين في شرائه لأنهم وجدوا علامة الاحرار وأخلاق أهل البر والثيل فلم يرغبوا فيه مخافة ان يلحقهم تبعه في استعباده وقيل معناه وكانوا من الزاهدين في نفس يوسف لم يشروه للفجور وانما اشترؤه للربح وقيل المراد به الذين باعوه من اخوته كانوا غير راغبين في يوسف ولا في ثمنه ولكنهم باعوه حتى لا يظهر ما فعلوا به وكان قصدهم تبعية يوسف وقيل كانوا من الزاهدين في يوسف لأنهم لم يعرفوا موضعه من الله سبحانه وكرامته عليه ولاتتافي بين هذه الاقوال فيجوز حمل الآية على جميعها وقيل ان الذين باعوه بمصر كانوا من الزاهدين في ثمنه لأنهم علموا انه لقطعة وليست ببضاعة

قوله تعالى (٢١) وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ

تَتَّخِذُهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٢) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ آيات

(- اللفظة -)

الثواء الإقامة والثوى موضع الإقامة والاكرام اعطاء المراد على جهة الاعظام وهو يتعاضم فأعلاه منزلة ما يستحق بالنبوة وادناه ما يستحق بخصلة من الطاعات وأشد جمع لا واحد له وقيل هو واحد وان كان على وزن الجمع فهو مثل الآتك وهو الرصاص وقيل انه جمع واحده شد كما ان واحدا لا شرشر قال الشاعر

هل غير أن كثر الاشر واهلكت حرب (?) الملوك أكثر الاموال

(- الاعراب -)

مصر لا يتصرف لأنه مؤنث معرفة وان ينفعنا في موضع رفع لكونه فاعل عسى وعسى هذه تامة لأنها تامة بغاؤها واللام في قوله ولنعلمه محمولة على تقدير دبرنا ذلك لنمكنه ولنعلمه

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن حال يوسف بعد ان بيع فقال (وقال الذي اشتراه) اي اشترى يوسف (من مصر) اي من أهل مصر (لاسرأته اكرمي مثواه) اي مقام يوسف وموضع نزوله اي حيثي له موضعا كرميا شريفا وتقدير الآية فحملوه الى مصر وباعوه وحذف ذلك للدلالة عليه وكان المشتري خازن فرعون مصر وخليفته وصاحب جنوده واسمه قطفير وكان لا يأتي النساء وقيل ان اسمه اظفير وكان يلقب بالعزيز ومن كان بمكانه يسمى بالعزيز ومن يسمى بالعزيز ممن لم يكن بمكانه نزع لسانه عبر يوسف رؤيا الملك سمي العزيز وجعل مكان العزيز وكان باعه مالك بن زعر منه بأربعين دينارا وزوج نعل وثوبين ايضين عن ابن عباس وقيل انه عرضه على البيع في سوق مصر فترابوا حتى بلغ ثمنه وزنه ورقا ومسكا وحريرا عن وهب فاشتراه العزيز بهذا الثمن وقال لاسرأته راعيل ولقبها زليخا اكرمي مثواه (عسى ان ينفعنا) اي عسى ان نبيعه فترج على ثمنه (او نتخذه ولدا) فإنه لا ولد لنا وإنما قال ذلك لما رأى على يوسف من الجمال والعقل والهداية في الأمور وعلى هذا فالعزيز هو خازن الملك وخليفته والملك هو الريان بن الوليد رجل من العماليق وقيل ان هذا الملك لم يمت حتى آمن واتبع يوسف على دينه ثم مات ويوسف بعده حبي فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف إلى الإسلام فأبى ان يقبل وقال ابن عباس العزيز ملك مصر وكذلك هو في حديث علي بن الحسين عليه السلام (وكذلك مكنا ليوسف في الارض) أي كما أنعمنا على يوسف بالسلامة والخروج من الجب مكناه في الأرض بأن عطفنا عليه قلب الملك الذي اشتراه حتى صار بذلك متمكنا من الأمر والنهي في الأرض التي كانت يستولي عليها الملك وهي أرض مصر (ولنعلمه من تأويل الأحاديث) وقد مضى معناه في أول السورة (والله غالب على أمره) أي على أمر يوسف يحفظه ويرزقه حتى يبلغه ما قددر له من الملك والنبوة ولا يكله إلى غيره وقيل معناه والله غالب على أمر نفسه لا يعجزه شيء من تدابير وأفعاله فهو الفاعل لما يشاء كيف يشاء (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ان الله غالب على أمره او أمر يوسف وقيل معناه لا يعلمون ما يصنع الله يوسف وما يؤول اليه حاله (ولما بلغ يوسف) يوسف (أشده) أي منتهى شبابه وقوته وكال عقله وقيل الأشد من ثمانين عشرة سنة إلى ثلاثين سنة عن ابن عباس وقيل ان أقصى الأشد أربعون سنة وقيل ستون سنة وهو قول الأكثرين ويؤيده الحديث من عمره الله ستين سنة فقد اعذر

اليه وقيل ان ابتداء الأشد من ثلاث وثلاثين سنة عن مجاهد و كثير من المفسرين وقيل من عشرين سنة عن الضحاك (آتينا حكما) أي اعطيناه القول الفصل الذي يدعو إلى الحكمة (وعلما) وهو تبيين الشيء على ما هو به بما يجعل في القلب عن علي بن عيسى وقيل الحكم النبوة والعلم الشريعة عن ابن عباس وقيل الحكم الدعاء إلى دين الله والعلم علم الشرع وقيل أراد الحكم بين الناس والعلم بوجود المصالح فإن الناس كانوا إذا تحاكموا على العزيز أمره بأن يحكم بينهم لما رأى من عقله واصابته في الرأي وقيل هو العلم والعمل به وهو الحكم (و كذلك نجزي المحسنين) أي مثل ما جزينا يوسف بصبره نجزي كل من أحسن أي فعل الأفعال الحسنة من الطاعات وقيل ان المحسنين الصابرون على التوابع عن الضحاك وقيل هم المؤمنون عن ابن عباس وقيل أراد محمداً ﷺ أي كما فعلنا يوسف واعطيناه الملك بعد مقاساته البلاء والشدة كذلك فعل بك يا محمد عن ابن جريج

قوله تعالى (٢٣) وَرَأَوْا ذَاتَهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ آيَةٌ

﴿ القراءه ﴾

قرأ أهل المدينة والشام هيت لك بكسر الماء وفتح التاء وقرأ ابن كثير هيت لك بفتح الماء وضم التاء وقرأ الباقون هيت لك بفتح الماء والتاء وروي عن علي (ع) وأبي رجاة وأبي وائل ويحيى بن وثاب هنت لك بالهمزة وضم التاء وروي ذلك على خلاف فيه عن ابن عباس وعن عكرمة ومجاهد وقتادة وروي عن ابن عباس أيضاً هيت لك بفتح الماء وكسر التاء وروي ذلك عن أبي الاسود وابن أبي اسحق وابن محيصن وعيسى الثقفي وروي أيضاً عن ابن عباس هنت لك ايضاً

﴿ الحجة ﴾

قال الزجاج في هيت لك لغات أجودها هيت لك بفتح الماء والتاء قال الشاعر

أبلغ أمير المؤمنين أخا العراق إذا أتيتا

ان العراق واهله عنق اليك فهيت هيتا

أي فاقبل وتعال وحكى قطرب انه اشده بعض أهل الحجاز لطفرة

ليس قومي بالابعدين إذا ما قال داع من العشيرة هيت

هم يحييون ذا هلم سراعاً كالأبايل لا تغادر بيتا

فهذا شاهد لابن كثير وكلها أسماء سمي بها الفعل بمنزلة صه ومه وابهو الحركات في أواخرها الالتقاء الساكنين وأما الفتح فلأن قبل التاء ياء فهو كما قبل أبن وكيف والكسر لأن الأصل في التقاء الساكنين حر كة الكسر وأما الضم فلأنها في معنى الغايات كأنها قالت دعائي لك فلما حذفوا الاضافة وتضمنت هيت معناها بنيت على الضم كما بنيت حيث ومنذ واما هنت بالهمزة وضم التاء فعمل تقول هنت أهى هيتة أي هيتة هيتة وقالوا أيضاً هنت أهى كخفت أخاف وأما هيتت لك ففعل صريع كقولك اصلحت لك واللام تتعلق بنفس هيت وهيت وهيت وهنت كما يتعلق بنفس هلم في قولك هلم لك

﴿ اللفه ﴾

المرادوة المطالبة بأمر بالرفق واللين ليعمل به ومنه المرود لأنه يعمل به ولا يقال في المطالبة بدين راوده وأصله من راد يروود إذا طلب المرعى وفي المثل الرائد لا يكذب أهله وهو في الآية كناية عما تريد النساء

من الرجال والتغليق إطباق الباب بما يعسر فتحه وإنما شدد ذلك لتكثير الاغلاق أو للمبالغة في الإطباق

✽ الاعراب ✽

معاذ الله نصب على المصدر على تقدير أعوذ بالله معاذاً تقول عدت بالله عوداً ومعاذاً وعياداً ومعاذة

✽ المعنى ✽

ثم أخبر سبحانه عن امرأة العزيز وما همت به فقال (وراودته التي هو في بيتها عن نفسه) أي وطالبت يوسف المرأة التي كان يوسف في بيتها عن نفسه وهي زليخا والمعنى طلبت منه ان يواقمها (وغلقت الأبواب) على نفسها وعليه بابا بعد باب قالوا وكانت سبعة ابواب وقيل أراد باب الدار وباب البيت (وقالت هيت لك) أي هلم لك عن ابن عباس والحسن ومعناه أقبل وبادر إلى ما هو مهياً لك (قال) يوسف (معاذ الله) أي اعتصم بالله واستجير به مما دعوتني اليه وتقديره عياداً بالله ان أجيب إلى هذا فكان (ع) أظهر الإياء وسأل الله سبحانه ان يعينه ويعصمه من فعل ما دعته اليه (انه ربي أحسن مثواي) الهاء عائدة إلى زوجها عند أكثر المفسرين ومعناه ان العزيز زوجك مالكي أحسن تربيتي واكرامي وبسط يدي ورفع منزلتي فلا أخونه وإنما ساء ربا لما كان ثبت له عليه من الرق في الظاهر وقيل ان الهاء عائد إلى الله سبحانه والمعنى ان الله ربي رفع من مجلي واحسن إليّ وجعلني نبياً فلا اعصيه أبداً (انه لا يفلح الظالمون) دل بهذا على انه لو فعل ما دعته اليه لكان ظالماً وفي هذه الآية دلالة على ان يوسف لم يهجم بالفاحشة ولم يردّها بقبیح لأن من همّ بالقبیح لا يقول مثل ذلك

قوله تعالى (٢٤) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَجُلًا بَرُّهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصَّرَفَ عَنْهُ

السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ آية

✽ القراءة ✽

قرأ أهل المدينة والكوفة المخلصين بفتح اللام والباقون بكسر اللام في جميع القرآن

-- (الحجة) --

قال ابو علي حجة من كسر اللام قوله اخلصوا دينهم لله ومن فتح اللام فيكون بنى الفعل للمفعول به ويكون معناه ومعنى من كسر اللام واحد فإذا اخلصوا دينهم فهم مخلصون وإذا اخلصوا فهم مخلصون

✽ اللفظ ✽

الهم في اللفظ على وجوه منها العزم على الفعل كقوله تعالى اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم أيديهم أي أرادوا ذلك وعزموا عليه ومنه قول ضايق البرجمي

هممت ولم أفعل وكدت وليتني

وقول حاتم طي

ولله صعلوك يشاور همه

وقول الخنساء

وقضل مرداسا على الناس جملة

وان كل هم همه فهو فاعله

ومنها خطور الشيء بالبال وان لم يقع العزم عليه كقوله اذ هممت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليها يعني ان الفشل خطر بياهم ولو كان الهم ههنا عزمًا لما كان الله وليها لأن العزم على المعصية معصية ولا يجوز ان يكون الله ولي من عزم على التورار عن نصرته نبيه عليه وآله السلام ويقوي ذلك قول كعب بن زهير

فكفم فيهم من فارس متوسم
ومن فاعل للخير ان هم او عزم
ففرق بين الهم والعزم ومنها ان يكون بمعنى المقاربة قالوا هم فلان ان يفعل كذا اي كاد بفعله قال ذو الرمة
أقول لمسعود بجرعاء مالك
وقد هم دمعني ان تلج اوائله
والدمع لا يجوز عليه العزم ومعناه كاد وقارب وقال ابو الاسود الدثلي
وكنتم متى تهتمم يمينك مرة
لتفعل خيرا تقتضيها شالكا
وعلى هذا جاء قوله جدرا يريد ان يتقض اي يكاد وقال الحارثي

يريد الرمح صدر ابي براء
ويرغب عن دماء بني عقيل
ومنها الشهوة ونيل الطبايع يقول القائل فيها يشبهه ويميل طبعه اليه هذا أهم الاشياء الي وفي ضده ليس هذا
من همي واذا كانت معاني الهم في اللغة مختلفة يجب ان يتفي عن نبي الله يوسف (ع) ما لا يليق به وهو العزم على
القيح لأن الدليل قد دل على ان الانبياء لا يجوز المعاصي والقبايح عليهم واجزنا عليهم ما سواه من معاني الهم
لأن كل واحد من ذلك يليق بحاله

✽ المعنى ✽

(ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه) اختلف العلماء فيه على قولين ﴿احدها﴾ انه لم يوجد من يوسف ذنب كبير ولا صغير ﴿والآخر﴾ انه وجد منه العزم على القبيح ثم انصرف عنه فأما الاولون فالهمم اختلفوا في تأويل الآية على وجوه ﴿احدها﴾ ان الهم في ظاهر الآية قد تعلق بما لا يصح تعلق العزم به على الحقيقة لأنه قال ولقد همت به وهم بها فعلق الهم بها وذاتهما لا يجوز ان يرادا ويعزم عليهما لأن الموجود الباقي لا يصح ان يراد ويعزم عليه فإذا حملنا الهم في الآية على العزم فلا بد من تقدير أمر محذوف يتعلق العزم به وقد امكن ان تعلق عزمه (ع) بقبح القبيح وتجعله متناولا لضربها اودفعها عن نفسه فكأنه قال ولقد همت بالفاحشة منه وأرادت ذلك وهم يوسف (ع) بضربها ودفعها عن نفسه كما يقال هممت بفلان اي بضربه وايقاع مكروه به وعلى هذا فيكون معنى رؤية البرهان ان الله سبحانه اراه برهانا على انان أقدم على ما هم به اهلكه أهلها او قتلوه او ادعت عليه المرأودة على القبيح وقذفته بأنه دعاها اليه وضربها لامتناعها منه فأخبر سبحانه انه صرف عنه السوء والفحشاء اللذين هما القتل وظن اقرار الفاحشة به ويكون التقدير لولا ان رأى برهان ربه لتعل ذلك ويكون جواب لولا محذوف كما حذف فيه قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤوف رحيم وقوله كلا لو تعلمون علم اليقين اي لولا فضل الله لهلكتم ولو تعلمون علم اليقين لم يهلككم التكاثر ومثله قول امرئ القيس

ولو انها نفس تموت نوية
ولكنها نفس تساقط أنفسا

يريد فلو انها نفس تموت سوية لتقضت وفيت فحذف الجواب تعويلا على ان الكلام يقتضيه وعلى هذا يكون جواب لولا محذوفا بدل عليه قوله وهم بها ولا يجوز ان يكون قوله وهم بها جوابا بلولا لأن جواب لولا لا يتقدم عليه ﴿وثانيها﴾ ان يحتمل الكلام على التقديم والتأخير ويكون التقدير ولقد همت به ولولا ان رأى برهان ربه لم يهلكها ولما رأى برهان ربه لم يهلكها ويجري ذلك مجرى قولهم قد كنت هالكت لولا اني تدار كنتك وقد كنت قلت لولا اني خلاصتك والمعنى لولا تداركي هالكت ولولا تخليصي إياك لتنت وان كان لم يقع هلاكه وقتل ومثله قول الشاعر

فلا يدعني قومي ليوم كربيته

لئن لم اعجل ضربة او اعجل

وقال آخر

فلا يدعني قومي صريحا لحره

لئن كنت مقتولا ويسلم عامر

وفي القرآن ان كادت لتيدي به لولا ان ربطنا على قلبها وهذا الوجه اختاره ابو مسلم وهو قريب من الأول
 ونالها * ان معنى قوله هم بها اشتهاها ومال طبعه الى مادته اليه وقد يجوز ان تسمى الشهوة مما على سبيل
 التوسع والمجاز ولا قبح في الشهوة لأنها من فعل الله تعالى وانما يتعلق القبح بالمشتهي وقد روي هذا التأويل عن
 الحسن قال أما همها فكان اخبث الهم وأما همه فما طبع عليه الرجال من شهوة النساء وروي الضحاك عن ابن
 عباس انه قال همها القصد وهمه انه تمنها ان تكون زوجة له وعلى هذا الوجه فيجب ان يكون قوله لو لا
 ان رأى برهان ربه متعلقا بحذوف ايضا كما انه قال لو لا ان رأى برهان ربه لمزم او فعل * سؤال * قالوا ان قوله ولقد همت
 به وهم بها خرجا مخرجا واحدا فلم جعلتم همها به متعلقا بالقيح وهمه بها متعلقا بغير القبيح وجوابه ان الظاهر
 لا يدل على ما يتعلق به الهم فيها جميعا وانما اثبتنا همها به متعلقا بالقيح لشهادة القرآن والآثار به ولأنها من
 يجوز عليه فعل القبيح والشاهد لذلك من الكتاب قوله وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وقوله وقال نسوة
 في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها جبا إنا لتراها في ضلال مبين وقوله حكايبة عنها الآن
 صحصص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ولقد راودته عن نفسه فاستصم والشاهد من الآثار
 اجماع المفسرين على انها همت بالمعصية والفاحشة وأما يوسف عليه السلام فقد دلت الأدلة العقلية التي لا يتطرق
 اليها الاحتمال والمجاز على انه لا يجوز ان يفعل القبيح ولا يعزم عليه فأما الشاهد من القرآن على انه ما هم بالفاحشة
 فقوله سبحانه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب وغير ذلك من قوله قلن
 حاش لله ما علمنا عليه من سوء والعزم على الفاحشة من اكبر السوء وأما الفرقة الأخرى فلأنهم قالوا فيه ما لا
 يجوز نسيته الى الأنبياء فقال بعضهم انه قعد بين رجلها وحل تكفة سراويله وقال بعضهم حل السراويل حتى بلغ
 الثنن وجلس منها مجلس الرجل من امرأته وقد تزهه الله سبحانه عن ذلك كله بقوله كذلك لنصرف عنه السوء
 والفحشاء وأمثال ذلك مما عدناه فأما البرهان الذي رآه فقد اختلف فيه على وجوه * أحدها * انه حجة الله
 سبحانه في تحريم الزنا والعلم بالعذاب الذي يستحقه الزاني عن محمد بن كعب والجبائي * وثانيها * انه ما
 آتاه الله سبحانه من آداب الأنبياء واخلاق الاصفياء في العفاف وصيانة النفس عن الادناس عن ابي مسلم
 * وثالثها * انه النبوة المانعة من ارتكاب القواحش والحكمة الصارفة عن القبايح روي ذلك عن الصادق عليه
 السلام * ورابعها * انه كان في البيت صنم فأقت المرأة عليه ثوبا فقال (ع) ان كنت تستحيين من الصنم فأنا
 أحق ان استحي من الواحد القهار عن علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام * وخامسها انه اللطف الذي
 لطف الله تعالى به في تلك الحال او قبلها فاختر عنده الامتناع عن المعاصي وهو ما يقتضي كونه معصوما لأن المعصية
 هي اللطف الذي يختار عنده التنزه عن القبايح والامتناع من فعلها ويجوز ان يكون الرؤية ههنا بمعنى العلم كما
 يجوز ان يكون بمعنى الادراك فأما ما ذكر في البرهان من الأشياء البعيدة بأث قيل انه سمع قائلا يقول يا ابن
 يعقوب لا تكونن كالطير له ريش فلماذا زنا ذهب ريشه وقيل انه رأى صورة يعقوب عاضا على أنامله وقيل
 انه رأى كفا بدت فيها بينهما مكتوبا عليها النهي عن ذلك فلم ينته فأرسل الله سبحانه جبريل (ع) وقال ادرك
 عبدي قبل ان يصيب الخطيئة فرآه عاضا على اصبعه فكل هذا سوء نداء على الانبياء مع ان ذلك يتنافى التكليف ويقتضي
 ان لا يستحق على الامتناع من القبيح مدحا ولا ثوبا وهذا من أقبح القول فيه (ع) (كذلك لنصرف عنه السوء)
 أي كذلك أربناه البرهان لنصرف عنه السوء أي الخيانة (والفحشاء) أي ركوب الفاحشة وقيل السوء الاثم

والفحشاء الزنا (انه من عبادنا المخلصين) أي المصطنين المختارين للنبوة وبكسر اللام المخلصين في العبادة والتوحيد أي من عبادنا الذين أخلصوا الطاعة لله وخلصوا انفسهم له وهذا يدل على تنزيه يوسف وجلالة قدره عن ركوب القبيح والعزم عليه

قوله تعالى (٢٥) وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٦) قَالَ حِي رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدِّمَ مِنْ قَبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدِّمَ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٨) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدِّمَ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كِبْدٍ كُنَّ إِنْ كَبِدُكُمْ عَظِيمٌ (٢٩) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قراءة ابن يعمر وابن ابي اسحق ونوح القاري من قبل ومن دبر بثلاث ضبات من غير تنوين

(- الحجة -)

قال ابن جني ينبغي ان يكونا غاييتين كقوله تعالى لله الأمر من قبل ومن بعد كأنه يريد وقدت قميصه من دبره وإن كان قميصه قد من قبله فلما حذف المضاف اليه أعني الماء وهي مرادة صار المضاف غايبة بعد ما كان المضاف اليه غايبة له

﴿ اللفظة ﴾

القد شق الشيء طولاً مثل قد الأديم يقال قدده يقده قدأ فهو مقدود إذا كان ذاهباً في الطول على استواء وفي الحديث كانت ضربات علي بن ابي طالب عليه السلام ابتكاراً كان إذا اعتلى قدواً إذا عترض فقط والقد بكسر القاف السير المقطوع طولاً والالغاء المصادفة قال ذو الرمة

ومطعم الصيد هبال لبغيته

التي أباه بذاك الكسب يكتسب
أي وجد أباه والكيد طلب الشيء بما يكرهه كما طلبت المرأة يوسف بما يكرهه وبأباه والخطيئة العدول عما تدعو اليه الحكمة إلى ما تزجر عنه ويقال لصاحبه خطأ خطأ فهو خاطئ إذا وقع ذلك منه عن قصد فإذا وقع من غير قصد قيل أخطأ المقصد فهو مخطن فاصل الخطأ العدول عن الغرض الحكيم بقصد أو غير قصد قال امية
عبادك يخطأون وأنت رب بكفيك المنايا والحتوم

(- الإعراب -)

إنما عطف قوله عذاب اليم على الفعل لأن تقديره إلا السجن أو عذاب ومن في قوله قد من دبر ومن قبل لا ابتداء الغاية لأن ابتداء القدر كانت منها ومن في قوله من الكاذبين للتبعيض لأنه بعض الكاذبين ولم يقل وشهد شاهد انه ان كان لأنه ذهب مذهب القول في الحكاية كما ان قوله بوصيكم الله في اولادكم كذلك والتقدير بوصيكم الله ان المال للذكر مثل حظ الانثيين وقوله ان كان قميصه قال ابو العباس المبرد معناه ان يكن وجاز ذلك بي في كان لأنها ام الباب كما جاز في التعجب ما كان احسن زبداً ولم يميز ما اصبح احسنه وقال ابو بكر السراج ان يكن بمعنى ان يصبح قد قميصه من دبر وقوله فلما رأى الرؤية ههنا تحتل أسرين (أحد ههنا)

ان تكون بمعنى رؤية العين فلا تكون رؤية العين رؤية للقد ويكون قوله قد من دير في موضع الحال وإنما يكون رؤية للقيص **﴿والآخر﴾** ان يكون بمعنى العلم وتكون رؤية للقد وإنما قال من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات لتغليب المذكر على المؤنث

﴿ المعنى ﴾

(واستبقا الباب) يعني تبادرا الباب أي طلب كل واحد من يوسف وامرأة العزيز سبق إلى الباب أما يوسف فانه كان يقصد ان يهرب منها ومن ركوب الفاحشة وأما هي فإنما كانت تطلب يوسف لتقضي حاجتها منه وتقصد أن تغلق الباب وتمتعه من الخروج وتراوده نائياً عن نفسه (وقد قبيصه من دير) أي لحقت يوسف فجدبت قبيصه وشقته طولاً من خلفه لأن يوسف كان هارباً وهي تعدو من خلفه وقيل ان يوسف رأى الأبواب قد افتتحت فعلم ان الصواب هو الخروج فخرج هارباً وقيل بل اخذ بفتح الأبواب وادركته فتعلقت بقبيصه من خلفه فشقة (واقبها سيدها لدى الباب) أي فلما خرجا وجدا زوجها عند الباب وسماه سيدها لأنه مالك أمرها (قالت ما جزاء من اراد بأهلك سوءاً إلا ان يسجن او عذاب اليم) يعني ان المرأة سبقت بالكلام لثورك الذنب على يوسف فقالت لزوجها ليس جزاء من اراد بأهلك خيانة إلا ان يسجن أو ان يضرب بالسياط ضرباً وجيعاً عن ابن عباس قالوا ولو صدق حبها لم تقل ذلك ولا آثرته على نفسها ولكن حبها إياه كان شهوة (قال هي راودتني عن قسي) لما ذكرت المرأة ذلك لم يجد يوسف بداً من تزويه قسه بالصدق ولو كفت عن الكذب عليه لكف عليه السلام عن الصدق عليها فقال هي التي طالبتني بالسوء الذي نسبتني اليه (وشهد شاهد من أهلها) قال ابن عباس وسعيد ابن جبير انه صبي للمهد وقيل كان الصبي ابن اخت زليخا وهو ابن ثلاثة أشهر وروي عن ابن عباس أيضاً في رواية أخرى وعن الحسن وقتادة وعكرمة انه شهد رجل حكيم من أهلها بتبرئة يوسف واختاره الجبائي قال لو كان طفلاً لكان قوله معجزاً لا يحتاج معه إلى البيان وقيل كان الرجل ابن عم زليخا وكان جالساً مع زوجها عند الباب عن السدي (ان كان قبيصه قد) أي شق (من قبل فصدقت) المرأة (وهو من الكاذبين) فيها قال يعني يوسف لأنه كان هو الفاسد وهي الدافعة (وإن كان قبيصه قد من دير) أي من خلف (فكذبت) المرأة (وهو) أي يوسف (من الصادقين) لأنه الهارب وهي الطالبة وهذا امر ظاهر واستدلال صحيح (فلما رأى قبيصه قد من دير) أي فلما رأى زوجها قبيص يوسف شق من خلف عرف خيانة المرأة (فقال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم) وقيل هو من قول الشاهد وإنما وصف كيدهن بالعظم لأنها حين فاجأت زوجها عند الباب لم يدخلها دهش ولم تنحير في أمرها ووركت الذنب على يوسف (ع) ولأن قليل حيل النساء اسبق إلى قلوب الرجال من كثير حيل الرجال (يوسف اعرض عن هذا) يعني ان الشاهد قال ليوسف يا يوسف امسك عن هذا الحديث أي عن ذكرها حتى لا يفشو في البلد عن ابن عباس وقيل إنما قاله زوجها وقيل معناه لا تلتفت يا يوسف إلى هذا الحديث ولا تذكره على سبيل طلب البراءة فقد ظهرت براءتك عن أبي مسلم والجبائي ثم اقبل على زليخا فقال (واستغفري لذنبك) أي سلي زوجك ان لا يعاقبك على ذنبك (انك كنت من الخاطئين) أي من المذنبين وقيل انه لم يكن غيوراً سلبه الله الغيرة لطفاً منه بيوسف حتى كفي شره ولذلك قال ليوسف اعرض عن هذا واقصر على هذا القدر وقيل معناه استغفري الله من ذنبك وتولني اليه فإن الذنب كان منك لامن يوسف فلم ينهم كانوا يعبدون الله تعالى مع عبادتهم الأصنام

قوله تعالى (٣٠) وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣١) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكَنًا

وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ أَخْرِجْ عَلَيْنَ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ
 وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣٢) قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ
 رَأَوْذُنَهُ عَنِ نَفْسِهِ فَأَسْتَعْصِمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمَرُهُ لَيَسْجُنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ (٣٣) قَالَ
 رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ
 الْجَاهِلِينَ (٣٤) فَأَسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَّفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) ثُمَّ بَدَأ لَهُمْ
 مِن بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِ لَيْسَجْنَهُ حَتَّىٰ حِينٍ ست آيات

﴿ القراءة ﴾

روي عن علي (ع) وعن علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد عليهم السلام وعن الحسن بخلاف ويحيى بن يعمر
 وقتادة بخلاف ومجاهد بخلاف وابن عبيصن قد شغفها بالعين وروى عن أبي جعفر متكاً بنير همز مشدداً التاء والباقون
 متكاً بالهمز والتشديد وروى في الشواذ قراءة مجاهد متكاً خفيفة ساكنة التاء وروى ذلك عن ابن عباس وقرأ
 أبو عمر وحاشي الله والباقون حاش لله وروى عن ابن مسعود وأبي بن كعب حاش الله وعن الحسن حاش الآلة
 وفي رواية أخرى عنه حاش لله بسكون الشين وقرأ يعقوب وحده السجين احب إلي يفتح السين والباقون بكسرهما

﴿ الحجة ﴾

قال الزجاج معنى شغفها بالعين ذهب بها كل مذهب مشتق من شغفات الجبال أي رؤوس الجبال يقال فلان
 مشغوف بكذا أي قد ذهب به الحب أقصى للمذاهب وقال ابن جنبي معناه وصل حبه إلى قلبها فكاد يحرقه
 لحدته وأصله من البعير بهناً بالفطران فتصل حرارة ذلك إلى قلبه قال امرؤ القيس

لتقتلني وقد شغفت فؤادها كما شغف المهنوءة الرجل الطالبي

وأما القراءة المشهورة شغفها بالعين فمعناه انه خرق شغاف قلبها وهو غلافه فوصل إلى قلبها وأما المتكاً فهو
 ما يشكك عليه لطعام أو شراب أو حديث وأصله موتكاً مفتعل من وكات مثل مؤتزن من الوزن وأما من قرأ متكاً
 فيجوز ان يكون مفتعلاً من قوله

إذا شرب المرضة قال او كي على ما في سقائك قد روي

يقال او كيت السقا إذا شددته وأما متكاً فإنهم قالوا المتك الاترج واحدته منكة وقيل هو الزمور دوام حاجة
 أبي عمرو في قوله حاشي الله فقول الشاعر

حاشي ابي ثوبان إن به ضنا عن الملحاة والشتم

وقال أبو علي لا يخلو قولهم حاش لله من ان يكون الحرف الجار في الاستثناء كما ذكرناه في البيت أو فاعلا
 من قولهم حاشي بحاشي ولا يجوز ان يكون حرف الجر لأن حرف الجر لا يدخل على مثله ولأن الحرف لا يحذف
 إذا لم يكن فيها تضعيف فإذا بطل ذلك ثبت انها فاعل مأخوذ من الحشاء الذي هو الناحية والمعنى انه صار في
 حشاء أي سيف ناحية مما قذف به وفاعله يوسف والمعنى بعد عن هذا الذي رمي به - لله أي خوفه من الله ومراقبته
 أمره ومن حذف الألف فكما حذف من لم يك ولا أدر وإذا أريد به حرف الجر يقال حاشا وحاشا وحشا ثلاث
 لغات قال الشاعر

حشارهط النبي فإن فيهم
بجوراً لا تقطعها الدلاء
وأما من قرأ حاش الله فعلى أصل اللغة يكون حرف جر كما جاء في البيت «حاشى ابى ثوبان» وأما حاش الإله
فمحدوف من حاشا تخفيفاً وهو كقولك حاش المعبود ومنه قول الشاعر

لعن الإله وزوجها معها
هند الهنود طويلة النعل
وأما حاش الله فضعيف للتقاء الساكنين فيه ولا يسكن الشين بعد حذف الألف ولا موجب لذلك وأما من
فتح السين من السجن فجعله مصدرأ ومعناه ان اسجن احب إلي ومن كسر فعلى اسم المكان والمعنى نزول
السجن احب إلي

اللغة

العزيز المتبع بقدرته عن ان يضام سيف امره وسعي بذلك لأنه كان ملكاً ممتعاً بملكه واتساع مقدرته
وقال ابو داود

درة غاص عليها تاجر
جلبت عند عزيز يوم طل
والتقى الغلام الشاب والمرأة فتاة قال ابو مسلم والزجاج وتسمي العرب العبدفتى والمكر الفتلى بالحيلة إلى
ما يراد من الطلبة وجارية مذكورة السابقين أسية مفتولة السابقين وأعدت مأخوذة من العتاد ومثله أعدت والمشكأ
الوسادة وهو التمرق الذسبى يتكأ عليه وقيل هو الاترج وانكر ذلك ابو عبيدة قال ولا يمنع أن يقال قد
كان في ذلك المجلس فواكه واترج فاما ان يعرف ذلك من هذا القول فلا والاكبار الاعظام والاجلال وقال
قوم معنى اكبرنه انهن حضن حين رأينه وأشدوا قول الشاعر

يأتي النساء على اطهارهن ولا
يأتي النساء إذا اكبرن اكبارا
وأنكر ذلك ابو عبيدة وقال لا تعرف ذلك في اللغة ولكنه يجوز ان يكن قد حضن من شدة اعظامهن
إياه والبيت مصنوع لا يعرفه العلماء بالشعر والسجن المتبع عن التصرف بالحبس بسجن بسجن سجننا والاعتصام
الامتناع عن طلب المعصية والاعتصام طلب العصمة من الله تعالى والصاغرين من الصغار صغر بصغر صغارا وهو
الذل والهوان والصبأ رقة القلب يقال صبا يصبو صبا فهو صاب قال

إلى هند صبا قلبي
وهند مثلها يصبي

وقال

صبا صبوة بل لبح وهو لجوج
وزالت له بالانعمين خدوج

الاعراب

وقال نسوة انما حذف فيه حرف التانيث لأنه تانيث جمع وتانيث الجمع تانيث لفظ يبطل تانيث المعنى لانه
لا يجتمع سيف اسم واحد تانيثان وكذلك يبطل تذكير المعنى في رجال وإذا صار كذلك جاز فيه الحمل على
اللفظ والحمل على المعنى فيؤث ويذكر وقوله ما هذا بشرأ نصب بشرأ على مذهب اهل الحجاز في اعمال ما عمل
ليس في رفع الاسم ونصب الخبر فاما بنو تميم فلا يعملونها قال

لستان ما أنوي وينوي بنو ابي
جميعاً فما هذان مستويان

تمنوا لي الموت الذي يشعب الفتى
وكل فتى والموت يلتقيان

وردوي عن الحسن انه قرأ ما هذا بشرأي أي ليس هو بمملوك وهو شاذ وذلكن كن للخطاب للضمير فلا

موضع له من الاعراب والاسم ذا وهو في موضع رفع على الابتداء والذي لمتني فيه موصول وصلة في موضع خبره وليكون من الصاغرين هذه التون الخفيفة التي يتلقى بها القسم وإذا وقعت عليها وقتت بالالف تقول وليكونا وهي بمنزلة التنوين الذي يوقف عليه بالالف في نحو قولك رأيت رجلاً قال الاعشى

وصل على حين المشيات والضحى ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا

اي فاعبدن فأبدل في الوقف من التون الفاء ثم بدا لهم فاعله مصدر مضمع على تقدير بدا لهم بداء وقد اظهره الشاعر في قوله

لعلك والموعود حق لقاءه بدا لك من تلك القلوص بداء

ولا يجوز ان يكون ليسجته في موضع الفاعل لأن الجملة لا تكون فاعلاً

المعنى

ثم ذكر سبحانه شياع هذه القصة فقال (وقال نسوة في المدينة) اي جماعة من النساء في المصر الذي كان فيه الملك وزوجته ويوسف (امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه) اي امرأة العزيز تدعو بمملوكها إلى قسها ليفجر بها (قد شغفها حباً) أي أحبه حباً دخل شغاف قلبها (انا لتراها في ضلال مبين) أي في خطأ بين وذهاب عن طريق الرشيد بدعائها بمملوكها إلى الفجور بها قال الكلبي هن اربع نسوة امرأة ساقى الملك وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وقال مقاتل كن خمسا وزاد امرأة الحاجب (فلما سمعت بمكرهن) اي لما سمعت المرأة بتعيرهن وإيها وقصدن اشاعة امرها وساء مكرراً لأن قصدن من هذا القول كان ان تزيهن يوسف لما وصف لمن من حسنه فخالف ظاهر الكلام باطنه فسمي ذلك مكرراً وقيل لأنها اظهرت لمن حبها وإياه واستكتمتهن ذلك فأظهرنه فسمي ذلك مكرراً (ارسلت اليهن) فاستضافتهن قال وهب اتخذت مأدبة ودعت اربعين امرأة منهن (واعتدت لمن متكأ) اي واعدت لمن وسائد يتكئين عليها عن ابن عباس والاتكأ الميل إلى احد الشقين وقيل اراد بقوله متكأ الطعام من قول العرب اتكأنا عند فلان اي اطعمنا عنده واصله ان من دعي إلى طعام بعد له المتكأ فيسمى الطعام متكأ على الاستعارة وقال الضحاك كان ذلك الطعام الزماورد وقال عكرمة هو كل ما يجز بالسكين لانه يؤكل في الغالب على متكأ وقال سعيد بن جبير انه كل طعام وشراب على عمومه وبه قال الحسن واما المتك فقد قيل فيه انه الاخرج على ما تقدم بيانه وقال السدي بل هو المجلس وكل شيء يجز بالسكين يقال له متكأ (وآتت كل واحدة منهن سكيناً) اي واعطت كل واحدة من تلك النسوة سكيناً لتقطع به الفواكه والاخرج على ما هو العادة بين الناس (وقالت اخرج عليهن) اي وقالت امرأة الملك ليوسف (ع) وكانت قد اجلسته غير مجلسهن فأمرته بالخروج عليهن في هيأته اما للخدمة واما للسلام او ليربته ولم يكن يتهاى له ان لا يخرج لانه بمنزلة العبد لما عن الزجاج (فلما رأته اكبرنه) اي اعظمته وتجبون في جماله إذ كان كاقصر ليلة البدر (وقطنن ابيديهن) بثلث السكاكين على جهة الخطأ بدل قطع الفواكه فما احسن إلا بالدم ولم يجدن الم القطع لاشغال قلوبهن يوسف (ع) عن مجاهد والمعنى جرحن ابيديهن وهذا مستعمل في الكلام تقول للرجل قد قطعت يدي تريد قد خدشتها وقيل انهن ابن ابيديهن حتى القينها عن قتادة (وقلن حاش لله) وحاشي لله اي صار يوسف في حشا اي ناحية مما قذف به اي لم يلاسه والمعنى بعد يوسف عن هذا الذي رمي به الله اي خوفه ومراقبته امر الله هذا قول اكثر المفسرين قالوا هذا تنزيه ليوسف عما رمته به امرأة العزيز وقال آخرون هذا تنزيه له من شبه البشر لفرط جماله وهدل على هذا سياق الآية (ما هذا بشراً ان هذا إلا ملك كريم) أي رفع الله منزلته عن منزلة البشر فتعوز بالله ان تقول انه بشر ومعناه انه منزه ان يكون بشراً وليس صورته صورة البشر ولا خلقته خلقة البشر ولكنه ملك كريم حسنه ولطافته وروي عن ابي سعيد الخدري قال

سمعت رسول الله ﷺ وهو يصف يوسف حين رآه في السماء الثانية رأيت رجلاً صورته صورة القمر ليلة البدر قلت يا جبريل من هذا قال هذا اخوك يوسف وقيل معناه ليس هذا إلا ملك كريم في عفته قال الجبائي وهذا يدل على ان الملك افضل من بني آدم لأنهن ذكرن من هو في نهاية الفضل ولم ينكر الله تعالى ذلك عليهن وهذا من ركيك الاستدلال لأنه سبحانه انما حكى عن النساء اعظامهن ليوسف حين رأين جماله وبعده عن سوء فشيئته بالملك ولم يقصدن كثرة الثواب الذي هو حقيقة الفضل وانما لم ينكره سبحانه عليهن لأنه علم انهن لم يقصدن في كلامهن ما حمله عليه الجبائي على ان الظاهر يقتضي انهن قنن ان يكون يوسف من البشر وقطعن على انه ملك وهذا كذب ولم ينكره الله سبحانه عليهن لما علم من انهن يقصدن بذلك تشبيه حاله بحال الملائكة (قالت) امرأة العزيز للنسوة التي عدلنها على محبتها ليوسف (فذلكن الذي لتنتي فيه) اي هذا هو ذلك الذي لتنتي في امره وفي حبه وشعني به جعلت اعظامهن اياه عذراً لما والمعنى هذا الذي اصابكن في رويته مرة واحدة ما اصابكن من ذهاب العقل فكيف عدلنتي في حبي اياه وأنا أنظر اليه آناً ليلى ونهاري ثم اعترفت ببرائة يوسف وأقرت على نفسها فقالت (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) أي امتنع عنه وقيل معناه امتنع بالله وسأله العصمة من فعل القبيح وفي هذا دلالة على ان يوسف لم يقع منه قبيح ثم توعدته بايقاع المكروه به ان لم يطعها فيما تدعوه اليه فقالت (ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين) أي وان لم يجئني إلى ما ادعوه اليه ليسجن في السجن وليكون من الأذلاء فلما رأى يوسف اصرارها على ذلك وتهديدها له اختار السجن على المعصية (فقال رب السجن احب إلي مما يدعونني اليه) معناه يا رب ان السجن احب إلي واسهل علي مما يدعونني اليه من الفاحشة وفي هذا دلالة على ان النسوة دعونه إلى مثل ما دعته اليه امرأة العزيز وفي حديث ابي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عليه السلام ان النسوة لما خرجن من عندها ارسلت كل واحدة منهن إلى يوسف سرّاً من صاحبه تسأله الزيارة وقيل انهن قلن له اطع مولاناك واقض حاجتها فإنها المظلومة وانت ظالم وقيل انهن لما رأين يوسف استأذن امرأة العزيز بأن تخلو كل واحدة منهن به وتدعوه إلى ما ارادته منه إلى طاعتها فلما خلون به دعت كل واحدة منهن إلى نفسها فلذلك قال مما يدعونني اليه ويسأل فيقال كيف قال يوسف السجن احب إلي مما يدعونني اليه ولا يجوز ان يراد السجن الذي هو المكان وان عني به السجن الذي هو المصدر فإن السجن معصية كما ان مادعونه اليه معصية فلا يجوز ان يريد فالجواب انه لم يرد المحبة التي هي الارادة وانما اراد ان ذلك اخف علي واسهل ووجه آخر ان المعنى لو كان مما اریده لكان ارادتي له اشد وقيل ان معناه لو طيبت النفس على السجن احب إلي من توطيني النفس على الزنا عن ابي علي الجبائي (وإلا تصرف عني كيدهن) بالطفافك لأن كيدهن قد وقع وحصل (اصب اليهن) امل اليهن او إلى قولهن بهواي والصبوة لطافة الهوى (واكن من الجاهلين) اي المستحقين لصفة الذم بالجهل وقيل معناه اكن بمنزلة الجاهلين في فعلي (فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن) اي فأجاب له ربه فيما دعاه فعصمه من مكروهه فان قيل ما معنى سؤال يوسف اللطف من الله وهو عالم بأن الله يفعل له محالة فالجواب انه يجوز ان تتعلق المصلحة باللطف عند الدعاء المجدد ومتى قيل كيف علم انه لولا اللطف لركب الفاحشة وإذا وجد اللطف امتنع قلنا لما وجد في نفسه من الشهوة وعلم انه لولا لطف الله لارتكب القبيح وعلم ان الله سبحانه يعصم انبياءه باللطف وان من لا يكون له لطف لا يبعثه الله نبياً قال الجبائي في الآية دلالة على جواز الدعاء بما يعلم الله تعالى انه يكون لأن يوسف كان عالماً بأنه ان كان له لطف فلا بد ان يكون الله يفعل ذلك به ومع هذا سأله ذلك ولا تمدل الآية على ما قاله لما قلناه من انه يجوز ان يكون سألته لتجوز ان يكون له لطف عند الدعاء ولو لم يدع لم يكن ذلك لطفًا فما سأل إلا ما يجوز ان لا يكون لو لم يدع (انه هو السميع العليم) اي السميع لدعاء الداعي العليم بإخلاصه في دعائه وما يصلحه من الإجابة او بفسده (ثم بدا لهم) اي ظهر لهم (من

بعد ما رأوا الآيات) وإنما لم يقل لمن مع تقدم ذكر النسوة لأنه أراد به الملك وقيل أراد به زليخا وعاونها فغلب المذكور وأراد بالآيات العلامات الدالة على براءة يوسف وهي قد القميص من دبره وجز الأيدي عن فتادة وغيره وقيل يريد بالآيات العلامات الدالة على الأيأس منه وقوله بدا فاعله مضمر وتقديره ثم بدا لم بداء (ليسجنته حتى حين) ودل ليسجنته عليه فإن السجن هو الذي بدا لم قال السدي وذلك أن المرأة قالت لزوجها ان هذا العبد قد فضحتني في الناس من حيث انه يخبرهم اني راودته عن نفسه ولست اطيع ان اعتذر بعذري فإما ان تأذن لي فأخرج واعتذر وإما ان تحبسه كما حبستني فحبسه بعد علمه ببراءته وقيل ان الغرض من الحبس ان يظهر للناس ان الذنب كان له لأنه إنما يحبس المجرم وقيل كان الحبس قريبا منها فأرادت ان يكون بقرها حتى إذا ائتمرت عليه رأته وقوله حتى حين قيل إلى سبع سنين عن عكرمة وقيل إلى خمس سنين عن الكاظمي وقيل إلى وقت أن بنى حديث المرأة معه وينقطع فيه عن الناس خبره عن الجبائي

قوله تعالى (٣٦) وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خَيْبًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٣٧) قَالَ لَا يَا بُتَيَكُمَا طَعَامُ تَرْزُقَانِهِ إِلَّا نَبَأُ نَكْمَا بِنَاءٍ وَيَلَهُ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ (٣٨) وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ثلاث آيات

❖ اللغة ❖

قال الزجاج كانوا يسمون المملوك فتي فجائز أن يكون الفتيان حديثين أو شيخين وقال غيره يقال للعبد فتي وللأمة فتاة وفي الحديث لا يقولن احدكم عبدي وامتي ولكن فتاي وفتاتي والتأويل الخبر عما حضر بما يؤول اليه امره فيها غاب ولذلك قال قبل ان يأتيكما تأويل القرآن ما يؤول اليه من المعنى اي يرجع اليه والتعليم تفهيم الدلالة المؤدية إلى العلم بالمعنى وقد يكون الاعلام بالمعنى في القلب والاتباع اقتفاء الاثر وهو طلب اللحاق بالأول

— الاعراب —

ثم الثانية دخلت للتوكيد لأنه لما دخل بينها قوله بالآخرة صارت الأولى كالملغاة وصار الاعتماد على الثانية كما قال وهم بالآخرة هم يوقنون وكما قال ابعدهم انكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون

❖ المعنى ❖

ثم اخبر سبحانه عن حال يوسف (ع) في الحبس فقال (ودخل معه السجن فتيان) والتقدير فسجن يوسف ودخل معه السجن فتيان أي شابان حدثان وقيل انهما مملوك كان ملك مصر الأكبر واسمه وليد بن ريان وكان احدهما صاحب شرابه والآخر صاحب طعامه فنعى اليه ان صاحب طعامه يريد ان يسمه وظن ان الآخر ساعده على ذلك ومالاه عليه عن فتادة والسدي (قال احدهما اني ارا في اعصر خمرا) هو من رؤيا المنام كان يوسف (ع) لما دخل السجن قال لأهله اني اعبر الرؤيا فقال احد العبيدين لصاحبه هلم فلنجربه فسألاه من غير ان يكون رأيا شيئا عن ابن مسعود وقيل بل رؤياها على صحة وحقيقة ولكنها كذبا في الانكار عن مجاهد والجبائي وقيل ان

المصلوب منها كان كاذبا والآخر صادقا عن ابي مجلز ورواه علي بن ابراهيم أيضا في تفسيره عنهم (ع) والمعنى قال احدهما وهو الساقى رأيت اصل حيلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فجنيتها وعصرتها سبي كأمس الملك وسقيته اباها وتقديره اعصر عنب خمر اي العنب الذي يكون عصيره خمرأ فحذف المضاف قال الزجاج وابن الانباري العرب تسمي الشيء باسم ما يؤول اليه إذا وضع المعنى ولم يلبس بقولون فلان يطبخ الآجر ويطبخ الدبس وانما يطبخ اللبن والعصير وقال قوم ان بعض العرب يسمون العنب خمرأ حكى الاصمعي عن المعتز بن سليمان انه لقي امرأيا معه عنب فقال له ما معك قال خمر وهو قول الضحاك فيكون معناه اني اعصر عنباً وروي في قراءة عبد الله واني جيبا اني رأيتني اعصر عنباً (وقال الآخر اني أراني احمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه) معناه وقال صاحب الطعام اني رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها الحبز وألوان الأطلعة وسباع الطير تنهش منه (نشنا بتأويله) أي أخبرنا بتعبيره وما يؤول اليه امره (انا نراك من المحسنين) أي تؤثر الاحسان والافعال الجميلة قال الضحاك كان إذا ضاق على رجل مكانه وسع له وان احتاج جمع له وان مرض قام عليه وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) وقال الزجاج جاء في التفسير انه كان يعين المظلوم وينصر الضعيف ويعود العليل قال وقيل من المحسنين أي ممن يحسن تأويل الرويا قال وهذا دليل على ان امر الرويا صحيح وانها لم تنزل في الأمم السانفة وفي الحديث ان الرويا جزء من ستة واربعين جزءاً من النبوة وتأويله ان الأنبياء يجربون بما سيكونون الروياتدل على ما سيكون فيكون المعنى في الآية انا نعلمك او نظنك ممن يعرف تعبیر الرويا ومن ذلك قول امير المؤمنين (ع) قيمة كل امرئ ما يحسنه وقال ابو مسلم نراك من المحسنين اليانا ان فسرت لنا الرويا وهو قول ابن ابي اسحاق ثم ذكر لها يوسف (ع) ما يدل على انه عالم بتفسير الرويا (قال لا يأتيكما طعام ترزقانه) في منامكما (إلا نباتكما بتأويله) في اليقظة (قبل ان يأتيكما) التأويل وذلك انه كره ان يجربها بالتأويل لما على احدهما فيه من البلاء فأعرض عن سؤالهما واخذ في غيره عن السدي وابن اسحق وقيل انه لما قدم هذا ليعلم ما خصه الله تعالى به من النبوة وليقبلا عنه فقال لا يأتيكما طعام من منزلكما إلا أخبركما بصفة ذلك الطعام وكيفية قبل ان يأتيكما كما قال عيسى بن مريم (ع) وانبتكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم عن الحسن والحسيني (ذاكما منا علمني ربي) كأنهما قالوا له كيف عرفت تأويل الرويا ولست بكاهن ولا عراف فأخبرهما انه رسول الله وانه تعالى علمه ذلك وتعلمه تعالى قد يكون بأن يفعل العلم في قلبه وقد يكون بالوحي وقد يكون بنصب الادلة التي يدرك بها العلم (اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون) معناه انه لا يستحق هذه الرتبة الخطيرة إلا المؤمنون المخلصون واني تركت طريقة قوم لا يؤمنون فلذلك خصني الله بهذه الكرامة (واتبع ملة آبائي) اي شريعة آبائي (ابراهيم واسحق ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء) اي لا ينبغي لنا ونحن معدن النبوة واهل بيت الرسالة ان ندين بغير التوحيد (ذلك) أي التمسك بالتوحيد والبراءة من الشرك وقيل النبوة والعلم (من فضل الله علينا) بأن خصنا بها وعلى الناس ايضا لرسالتنا اليهم واتباعهم ايانا واهتدائهم بنا (ولكن اكثر الناس لا يشكرون) نعم الله تعالى وقد كان يوسف (ع) قياً بينهم زماناً ولم يحك الله سبحانه انه دعا إلى الدين وكانوا يعبدون الأصنام لأنه لم يطمع منهم في الاستماع والقبول فلما رأهم عارفين بحسنة مقبلين عليه رجا منهم القبول منه فدعاهم إلى التوحيد على ما امر الله سبحانه له في قوله ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وقد روي ان صاحبي السجن قال لا له لقد احببتك حين رأيتك فقال لا تجابني فوالله ما احبني احد الا دخل علي من جبهه بلاء احبتي عمتي فنسبت إلى السرقة واحبني الي فالتقت في الحب واحبتي امرأة العزيز فالتقت في السجن

قوله تعالى (٣٩) يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٤٠)

مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ
إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ الْأَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤١)
يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمْ كَمَا فَيَسْقِي رَبُّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخِرُ فَيُصَلِّبُ فَنَأْكُلُ الطَّيْرَ مِنْ رَأْسِهِ
قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (٤٢) وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهَا أُذْكَرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ
فَأَنسَأَهُ الشَّيْطَانُ ذَكَرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ أَرْبَعُ آيَاتٍ

اللغة

الصاحب الملازم لغيره على وجه الاختصاص وهو خلاف ملازمة الاتصال ومنه اصحاب الشافعي واصحاب ابى حنيفة واصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . للملازمة له وكونهم معه في حروبه وصاحب السجين هما الملازمان له بالكون فيه والقيم المستقيم واصله من قام يقوم والاستفتاء طلب التتيا والبضع القطعة من الدهر واصله من القطع والبضعة القطعة من اللحم ومنه الحديث فاطمة بضعة مني يؤذيني من آذاها
(المعنى) -

(يا صاحبي السجن) هذا حكاية نداء يوسف للمستفتين له عن تأويل رؤياها اي ياملزمي السجن (ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار) اي املك متباينون من حجر وحسب لا تضر ولا تنفع خير لمن عبدا ام الله الواحد القهار الذي اليه الخير والشر والنفع والضر وهذا ظاهره الاستفهام والمراد به التقرير والزام الحجة والقاهر هو القادر الذي لا يتنجس عليه شيء * (ما تعبدون من دونه الا اسما . سميتها و آباؤكم ما انزل الله بها من سلطان) ابتداء بخطاب اثنين ثم خاطب بلفظ الجمع لأنه قصد جميع من هو في مثل حالها وقيل انه خطاب لجميع من في الحبس ومعناه ان هذه الاصنام التي تعبدونها من دون الله وسميتها باسما . يعني الارباب والالهة هي اسما . فارغسة عن المعاني لا حقيقة لها ما انزل الله من حجة بعبادتها (ان الحكم الا لله) اي ما الحكم والامر الا لله فلا يجوز العبادة والخضوع والتذلل الا لله (أمران لا تعبدوا الا اياه) اي وقد أمرم ان لا تعبدوا غيره (ذلك) اي ذلك الذي بينت لكم من توحيد الله وعبادته وترك عبادة غيره (الدين القيم) اي الدين المستقيم الذي لا عوج فيه (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) قال ابن عباس ما للمطيعين من الثواب وللعاصين من العقاب وقيل لا يعلمون صحة ما أقوله لعدو لهم عن النظر والاستدلال ثم عبر (ع) رؤياها فقال (يا صاحبي السجن اأما احدكما فيسقي ربه خمرا) بدأ بما هو الأهم وهو الدعاء الى توحيد الله وعبادته واظهار معجزته ثم بتعبير رؤيا الساقى فروي انه قال أما العناقيد الثلاثة فلونها ثلاثة أيام تبقى في السجن ثم يخرجك الملك اليوم الرابع وتعود الى ما كنت عليه واجرى على ما لكه صفة الرب لأنه عبده فأضافه اليه كما يقال رب الدار ورب الضيعة (وأما الآخر فيصلب فتنأكل الطير من رأسه) يريد بالآخر صاحب الطعام روي انه قال بئس ما رأيت أما السلال الثلاث فلونها ثلاثة ايام تبقى في السجن ثم يخرجك الملك فيصلبك فتنأكل الطير من رأسك فقال عند ذلك ما رأيت شيئا وكنت العب فقال يوسف (قضى الامر الذي فيه تستفتيان) اي فرغ من الأمر الذي تسألان وتطلبان معرفته وما قلته لكما فلونه نازل بكما وهو كائن لا محالة وفي هذا دلالة على انه كان يقول ذلك على جهة الاخبار عن الغيب بما يوحى اليه لا كما يعبر احدنا الرويا على جهة التأويل (وقال) يوسف (للذي ظن انه ناج منها) معناه للذي علم من طريق الوحي انه ناج اي متخلص كما في قوله تعالى إني ظننت اني ملاق حسابه هذا قول الأكثرين واختيار الجبائي وقال قتادة للذي ظنه ناجيا لأنه لم يحكم بصدقه فيا قصه من الرويا والأول اصح (اذ كرني عند ربك) اي اذ كرني عند سيدك بأنني

محبوس ظلما (فأنساه الشيطان ذكر ربه) يعني انسى الشيطان يوسف ذكر الله تعالى في تلك الحال حتى استغاث بمخلوق فالتمس من الناجي منها ان يذكره عند سيده وكان من حقه ان يتوكل في ذلك على الله سبحانه (فلبث في السجن بضع سنين) اي سبع سنين عن ابن عباس وروي ذلك عن علي بن الحسين (ع) وابي عبد الله (ع) وقيل معناه فأنسى الشيطان الساقى ذكر يوسف عند الملك فلم يذكره حتى لبث في السجن عن الحسن ومحمد بن اسحاق والجبائي وابي مسلم وعلى هذا فتقديره فأنساه الشيطان ذكر يوسف عند ربه وقد روي عن النبي ﷺ انه قال عجبت من اخي يوسف (ع) كيف استغاث بالمخلوق دون الخالق وروي انه (ع) قال لولا كلمته ما لبث في السجن طول ما لبث يعني قوله اذ كرني عند ربك ثم بكى الحسن وقال انا اذا نزل بشا امر فرعنا الى الناس وروي عن ابي عبد الله (ع) قال جاء جبرائيل (ع) فقال يا يوسف من جملك احسن الناس قال بربي قال فمن حييك الى ابيك دون اخواتك قال بربي قال فمن ساق اليك السيارة قال بربي قال فمن صرف عنك الحجارة قال بربي قال فمن انقذك من الجب قال بربي قال فمن صرف عنك كيد النسوة قال بربي قال فلان ربك يقول ما دعاك الى ان تنزل حاجتك بمخلوق دوني البث في السجن بما قلت بضع سنين وعنه في رواية اخرى قال فبكى يوسف عند ذلك حتى بكى ببيكانه الحيطان فتأذى ببيكانه اهل السجن فصالحهم على ان يبكي يوما ويسكت يوما فكان في اليوم الذي يسكت اسوء حالا والقول في ذلك ان الاستعانة بالعباد في دفع المضار والتخلص من المكاراه جائز غير منكر ولا قبيح بل ربما يجب ذلك وكان نبينا ﷺ يستعين فيما ينوبه بالمهاجرين والانصار وغيرهم ولو كان قبيحا لم يفعله فلو صحت هذه الروايات فإنا عرتب يوسف عليه السلام في ترك عادته الجميلة في الصبر والتوكل على الله سبحانه في كل اموره دون غيره وقتاما ابتلا وتشديدا وانما كان يكون قبيحا لو ترك التوكل على الله سبحانه واقتصر على غيره وفي هذا ترغيب في الاعتصام بالله تعالى والاستعانة به دون غيره عند نزول الشدائد وان جاز ايضا ان يستعان بغيره واختلف في البضع فقال بعضهم البضع ما بين الثلاث الى الخمس عن ابي عبيدة وقيل الى السبع عن قطرب وقيل الى التسع عن الاصمعي ذكره الزجاج وقول قطرب مروى عن مجاهد وقول الاصمعي مروى عن قتادة وقال ابن عباس هو ما دون العشرة واكثر المفسرين على ان البضع في الآية سبع سنين قال الكلبي وهذه السبع سوى الحمسة التي كانت قبل ذلك وروي عن ابي عبد الله (ع) قال علم جبرائيل (ع) يوسف في حبسه فقال قل في دبر كل صلاة فريضة اللهم اجعل لي فرجا ومخرجا وارزقني من حيث احتسب ومن حيث لا احتسب وروي شعيب المقرئ في عنه (ع) قال لما انقضت المدة واذن له في دعاء الفرج وضع خده على الارض ثم قال اللهم ان كانت ذنوبي قد اخلقت وجهي عندك فانني اتوجه اليك بوجه آبائي الصالحين ابراهيم وموسى وعيسى واسحاق ويعقوب ففرج الله عنه قال فقلت له جعلت فداك اندعو نحن بهذا الدعاء فقال ادعوا بئله اللهم ان كانت ذنوبي قد اخلقت عندك وجهي فلوني اتوجه اليك بوجه نبيك نبي الرحمة وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام

قوله تعالى (٤٣) وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعُ سُنْبُلَاتٍ خَضِرٍ وَأُخْرٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا بَاءً تَعْبُرُونَ (٤٤) قَالُوا أَضْغَاتٌ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ (٤٥) وَقَالَ الَّذِي نَجَّى مِنْهُمَا وَأَدْكُرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أَنبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (٤٦) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خَضِرٍ وَأُخْرٍ يَا أَيُّهَا الَّذِي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (٤٧) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ

(٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعَ شِدَادٍ يَا كَلْبَانَمَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ (٤٩) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ سبع آيات

(- القراءة -)

قرأ حفص دأباً بفتح الهمة والباقون بسكونها وقرأ تعصرون بالتاء اهل الكوفة غير عاصم والباقون بالياء وفي الشواذ قراءة ابن عباس وابن عمر بخلاف والضحاك وقاتدة وزيد بن علي (ع) وادكر بعدامه بالهاء وقراءة الاشهب العقيلي بعد امة بكسر الهمة وقرأ جعفر بن محمد عليها السلام وسبع سنابل وقرأ ايضاً ما قرأتم وقرأ هو والاعرج وعيسى بن عمر وفيه يعصرون بياء مضومة وصاد مفتوحة

(- الحجة -)

قال ابو علي انتصب دأباً بادل عليه ترعون وفيه علاج ودووب فكأنه قال تدميون فانتصب دأباً به لا بالمضمر ولعل الفتح لغة فيه فيكون كشمع وشمع ونهر ونهر ويعصرون يحتمل امرين احدهما ان يكون من العصر الذي يراد به الضغط الذي يلحق ما فيه دهن او ماء نحو الزيتون والسسم والعنب لينخرج ذلك منه وهذا يمكن ان يكون تأويل الآية عليه لأن من المتأولين من يحكى انهم لم يعصروا اربع عشر سنة زيتاً ولا عنباً فيكون المعنى تعصرون للخصب الذي اتاكم كما كنتم تعصرون ايام الحصب من قبل الجلب الذي دفتم اليه ويكون يعصرون من العصر الذي هو الالتجاء الى ما يقدر به من النجاة قال ابن مقبل

وصاحبي قهوة مستوهل زعل يحول بين حمار الوحش والعصر

اي يحول بينه وبين الملجأ الذي يقدر به النجاة وقال ابو زيد الطائي

صاديا يستغيث غير مغاث ولقد كان عصرة المنجود

قال ابو عبيدة يعصرون ينحون وانشد للبيد

فبات واسرى القوم آخر ليلهم وما كان وقافا بدار مەصر

فأما من قال يعصرون بالياء فانه جعل الفاعلين الناس لأن ذكرهم قد تقدم ومن قرأ بالتاء وجه الخطاب الى المستغثين الذين قالوا اقتنا ويجوز ان يريدهم وغيرهم الا انه غلب الخطاب على التيبة كما يغلب التذكير على التأنيث واما الامة فهو النسيان قال امه يا امه اذا نسي انشد ابو عبيده

اهمت وكنت لا انسى حديثاً كذاك الدهر يوذي بالعقول

والامة النعمة فيكون المراد بعد ان انعم عليه بالنجاة واما يعصرون بضم الياء فيجوز ان يكون من العصرة والعصر للنجاة ويجوز ان يكون من عصرت السحابة ماها عليهم وفي كتاب علي بن ابراهيم عن ابي عبد الله (ع) قال قرأ رجل على امير المؤمنين علي (ع) هذه الآية فقال يعصرون بالياء وكسر الصاد فقال ويحك واي شيء يعصرون ايعصرون فقال الرجل يا امير المؤمنين فكيف اقرأها قال عام فيه يفاث الناس وفيه يعصرون مضومة الياء مفتوحة الصاد اي يطرون بعد سني المجاعة ويدل عليه قوله وانزلنا من المعصرات ماء نجاها

❖ اللغة ❖

الملك القادر الواسع المقدور الذي اليه السياسة والتدبير والرويا ما يراه النائم ويرجع الى الاعتقاد ثم يكون علي وجوه منها ما يكون من الله تعالى وملائكته وهو الذي له تعبير وتأويل ومنها ما يكون من الشيطان ولا تأويل له ومنها ما يكون من جهة النائم واعتقاداته او يكون بقية اعتقاد كان اعتقده والمعجب ذهاب السمن

والذكر اعجف والانشى اعجفاء وجمعها عجاف ولا يجمع افعل على فعال الا هذا والعبر والتعبير تفسير الرويا وهو من عبور النهر ونحوه والاضغاث الاحلام الملتبسة والاضغث الخزمية من كل شي وقال الترمذي الضغث مل اليد من الحشيش ومنه وخذ بيدك ضغثاً اي قبضة والفعل منه اضغث وقيل الضغث خلط قش المد وهو غير متشاكل ولا متلائم فشبهوا به تحليط المنام والاحلام جمع حلم وهو الرويا في النوم ويقال حلم يحلم حلما واحتملم فهو حالم والحلم بكسر الحاء ضد الطيش وهو الاناة وكان اصل حلم النوم مسن هذا لأنه حال اناة وسكون وتأويل الرويا تفسير ما يؤول اليه معناه وتأويل كل شي تفسير ما يؤول اليه معنى الكلام والادكار افتعال من الذكر واصله اذتكار لكن التاء ابدل منها الدال وادغمت الذال في الدال ويجوز اذكر بالذال ايضا الا ان الاجود الدال وهو طلب الذكر ونظيره الاستذكار والتذكرة والامة الجماعة تؤم امرا والامة المدة وهي الجملة من الحين والصديق الكثير التصديق للحق وقيل هو الكثير الصدق وفعل بناء المبالغة والكثرة والفتيا الجواب عن حكم المعنى وقد يكون الجواب عن نفس المعنى فلا يكون فتيا والزرع القاء البذر في الارض للنبات ومنه المزارعة بالثلاث او الربيع وتسمى المخابرة ايضا وهي مأخوذة من فعل اهل خيبر والدأب العادة يقال دأب يادأب دأبا ويقال دأب في عمله يدأب دؤوبا اجتهد وادأبته انا ادأبا وذر ودع بمعنى لم يجي منها لفظة الماضي استغني عن ذلك بقرك والشدة والصلابة والصعوبة نظائر وقيل الشدة تكون في سبعة اصناف في العقد والمد والزمان والنضب والالم والشراب والبدن والاحضان مثل الاحراز احصنه احصانا جعله في حرز والعرث هو نفع يأتي على شدة حاجة ينفي المضرة ومنه الغيث المطر الذي يأتي في وقت الحاجة قال الازهري غاث الله البلاد يغيثها وقد غيثت الارض فهي مغيثة ومغيوثة والغيث الكلا ينبت من ماء السماء وجمعه غيوث والغيث اصله الواو ومنه الغوث وغوث تغويثا اذا قال واغوثاه من يغيثي ويغاث يجتهد ان يكون من الواو ويجتهد ان يكون من الياء.

✽ الاعراب ✽

ان كنتم للرويا تعبرون هذه اللام دخلت للتبيين المعنى ان كنتم تعبرون ثم بين باللام فقال للرويا عن الزجاج وهذه اللام تزداد في المفعول به اذا تقدم على الفعل تقول عبرت الرويا وللرويا عبرت وقد جاء مثله في قوله الذين هم لربهم يرهبون وقد جاء فيها ليس بتقديم من المفعول نحو قوله ردف لكم وآخر لا ينصرف لأنه صرف عن جهة صواحبا التي جاءت بالالف واللام وهذه جاءت خاصة بغير الف ولا م فكانها عدلت عن وجهها تقول هذه النسوة الوسط والكبير ولا تقول وسط وكبير وتقول نسوة اخر فلما خالفت اخواتها ترك صرفها وموضعها في الآية الرابعة جرت تقديره وفي آخر اضغاث احلام تقديره هي اضغاث احلام يوسف المراد به ها يوسف ويجوز حذف حرف النداء في المنادى المفرد العلم تقول يا زيد اقبل وزيد اقبل قال

محمد تفقد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر وبال

ويروي تبالا اراد يا محمد

✽ المعنى ✽

ثم اخبر سبحانه عن سبب نجات يوسف من السجن وهو انه لما قرب الفرج رأى الملك روبا هاته واشكل تعبها على قومه حتى عبرها يوسف فقال سبحانه (وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان) يعني وقال ملك مصر وهو الوليد بن ريان والعزيز وزيره فيما رواه الاكثر اني ارى في منامي سبع بقرات سمان يا كلهن سبع اي سبع بقرات اخر (عجاف) اي مهازبل فدخلت السمان في بطون المهازبل حتى لم ار منهن شيئا

(وسبع سنبلات خضر) اي وارى في منامى سبع سنبلات قد انعقد حبها (واخر) أي وسبعاً آخر (بابسات) قد احتصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها (يا ايها الملأ) اي جمع الاشراف وقيل جمع السحرة والكهنة وقص رؤياه عليهم وقال يا ايها الاشراف او الجماعة (افتوني في رؤياي) اي عبروا ما رأيت في منامى وبينوا لي الفتوى فيه وهو حكم الحادثة (ان كنتم للرؤيا تصبرون) معناه ان كنتم عابرين للرؤيا وقبل ان اللام تغيد معنى الى اي ان كنتم توجهون العبارة الى الرؤيا (قالوا اضفنا احلام) اي هذه اباطيل احلام عن الكلبي وقيل تخاليط احلام عن قتادة والمعنى هذه منامات كاذبة لا يصح تأويلها (وما نخرج بتأويل الاحلام) التي هذه صفتها (بالمين) وانا نعلم تأويل ما يصح وكان جهل الملأ بتأويل رؤيا الملك سبب نجاة يوسف لأن الساقى تذكر حديث يوسف فجثا بين يديه وقال يا ايها الملك اني قصصت انا وصاحب الطعام على رجل في السجن مناميت فخبير بتأويلهما وصدق في جميع ما وصف فان اذنت مضيت اليه واتيتك من قبله بتفسير هذه الرؤيا فذلك قوله (وقال الذي نجا منها وادكر بعد امة انا انبئكم بتأويله فأرسلون) عن الكلبي وقوله واذكر بعد امة معناه تذكر شأن يوسف وما وصاه به بعد حين من الدهر وزمان طويل عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقاتدة وهما حذف بدل الكلام عليه وهو فأرسلون الى يوسف فأرسل فاتي يوسف في السجن وقال له (يوسف) اي يا يوسف (يا ايها الصديق) اي الكثير الصدق فيما تخبر به (افتنا في سبع بقرات سمان) الى قوله (بابسات) فان الملك رأى هذه الرؤيا واشتبه تأويلها (لعلني ارجع الى الناس) يعني الملك واصحابه والعلماء الذين جمعهم لتعبير رؤياه (لعلهم يعلمون) فضلك وعلمك فيخرجوك من السجن وقيل لعلهم يعرفون تأويل رؤيا الملك قال يوسف في جوابه معبراً ومعلماً اما البقرات السبع العجاف والسنابل السبع اليابسات فالسنون الجذبة واما السبع السمان والسنابل السبع الخضر فانهن سبع سنين مخصبات ذوات نعمة وانتم تزرعون فيها فذلك قوله (تزرعون سبع سنين دأباً) اي فزرعوا سبع سنين متواليه عن ابن عباس اي زراعة متواليه في هذه السنين على عادتكم في الزراعة سائر السنين وقيل دأباً اي يجود واجتهاد في الزراعة ويجوز ان يكون حالاً فيكون معناه تزرعون دائبين (فما حصدم) من الزرع (فدروه) اتركوه (في سنبله) لا تدروه ولا تدوسوه (الا قليلاً مما تأكلون) وانا امرهم بذلك ليكون ابقى وابعث من الفساد يعني ان ما اردتم اكله فدوسوه واتركوا الباقي في السنبل وقيل انما امرهم بذلك لأن السنبل لا يقع فيه سوس ولا يهلك وان بقي مدة من الزمان واذا صفي اسرع اليه الهلاك (ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد) اي سبع سنين مجدبات صعبات تشد على الناس (بأكلن ما قدمتمهن) معناه تأكلن فيها ما قدمتم في السنين المخصصة لتلك السنين وانا اضافة الاكل الى السنين لأنه يقع فيها كما قال الشاعر

نهارك يا مفرور سهو وغفلة وليلك نوم والردى لك لازم

وسميك فيما سوف تكره غبه كذلك في الدنيا تعيش البهائم

وقيل اراد بالاكل الافناء والاهلاك كما يقال اكل السير لحم الناقة اي ذهب به قال زيد بن اسلم كان يوسف يصنع طعام اثنين فيقره الى رجل فيأكل نصفه حتى كان ذات يوم قره اليه فأكله كله فقال هذا اول يوم من السبع الشداد (الا قليلاً مما تحصنون) معناه الا شيئاً قليلاً مما تحرزون وتدخرون (ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يقات الناس) معناه ثم يأتي من بعد هذه السنين الشداد عام فيه يمطر الناس من الغيث وقيل

يناثون من الفوث والنياث اية يتقذون وينجون من القحط (وفيه بمصرون) الثار التي تمصر في الخصب كالنصب والزيت والسسم عن ابن عباس ومجاهد وقناة وقيل معناه ينجون من الجذب من المصرة والمصر والاعتصار الاتجاء قال عدي بن زيد

لو بغير الماء حلقي شرق كنت كالغصان بالماء اعتصاري

وهذا القول من يوسف اخبار عالم يسألوه منه ولم يكن في روثيا الملك بل هو مما اطلعه الله تعالى عليه من علم الغيب ليكون من آيات نبوته (ع) قال البخاري وهذا التأويل من يوسف يدل على بطلان قول من يقول ان الروثيا على ما عبرت اولاً لأنهم كانوا قالوا هي اضمغات احلام فلو كان ما قالوه صحيحاً لكان يوسف لا يتأولها

قوله تعالى (٥٠) وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْئَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ اَيْدِيَهُنَّ اِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (٥١) قَالَ مَا خَطْبُكُمْ اِيَّادْرَاوَدُتُنَّ يُوْسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلّٰهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَاَتُ الْعَزِيزِ اِنَّنِي حَصْحَصَ الْحَقُّ اَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَاِنَّهٗ لَيَبْغِيكَ اَلصَّادِقِينَ (٥٢) ذَلِكَ لِيَعْلَمَ اَنِّي لَمْ اَخْنُهَا بِالْغَيْبِ وَاَنَّ اللّٰهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ (٥٣) وَمَا اَبْرَأُ نَفْسِي اِنْ اَلنَّفْسَ لَامَارَةً بِالسُّوءِ اِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي اِنْ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ اربع آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ما بال النسوة بضم النون والاعشى والبرجي عن ابي بكر عن عاصم والباقون بكسر النون وهما الفتان وقد تقدم ذكر قراءة ابي عمر رحاشا الله بالالف ومربانه

﴿ اللفظة ﴾

الخطب الأمر الذي يعظم شأنه فيخطب الانسان فيه صاحبه يقال هذا خطب جليل قال الزجاج حصحص الحق اشتقاقه من الحصاة اي بانة حصاة الحق وجهته من حصاة الباطل وقال غيره هو مكرر من قولهم حص شعره اذا استأصل قطعه وازاله عن الرأس فيكون معناه اتقطع الحق عن الباطل بظهوره وبيانه ومثله كبوا وكبكبوا وكف الدمع وكفكفه فهو زيادة تضعيف دل عليه الاشتقاق قال

قد حصت البيضة رأسي فما اطعم يوما غير تهجاع

وخصحص البعير بثغفاته في الارض اذا حرك حتى تستبين آثارها فيه قال حميد

وخصحص في صم الحصا ثغفاته ورام القيام ساعة ثم صمما

والكهد الاحتيال سراً لا يوصل الضرر الى الغير

﴿ الاعراب ﴾

ذلك مرفوع بالابتداء وان شئت على خبر الابتداء كأنه قال امري ذلك وموضع ما رحم ربي نصب على الاستثناء

- المعنى -

ثم اخبر سبحانه عن اخراج يوسف من السجن فقال (وقال الملك ائتوني به) وفي الكلام حذف يدل ظاهره عليه وهو فلما رجع صاحب الشراب وهو رسول الملك الى الملك بجواب يوسف وتعبيره روياء قال الملك ائتوني به اي يوسف الذي عبر رويائي (فلما جاءه الرسول) اي لما جاء يوسف رسول الملك فقال له اجب الملك . ابي يوسف ان يخرج مع الرسول حتى تبين براءته مما قذف به (وقال) للرسول (ارجع الى ربك) اي سيدك وهو الملك (فستله ما بال النسوة) اي ما حالهن وما شأنهن والمعنى فاسأل الملك ان يعرف حال النسوة (اللاتي قطعن ايديهن) ليعلم صحة براءتي ولم يفرد امرأة العزيز بالذكر حسن عشرة منه ورعاية ادب لكونها زوجة الملك او زوجة خليفة الملك فخلطها بالنسوة وقيل انه ارادهن دونها لانهن الشاهدات له عليها الا ترى انها قالت الآن حصحص الحق وهذا يدل على ان النسوة كن ادعين عليه نحو ما ادعته امرأة العزيز قال ابن عباس لو خرج يوسف يومئذ قبل ان يعلم الملك بشأته مازالت في نفس العزيز منه حالة يقول هذا الذي راود امرأتي وقيل اشفق يوسف من ان يراه الملك بعين مشكوك في امره متهم بفاحشة فأحب ان يراه بعد ان يزول عن قلبه ما كان فيه وروي عن النبي ﷺ انه قال لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يفقر له حين سئل عن البقرات المجاف والسنان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترط ان يخرجوني من السجن ولقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه والله يفقر له حين اتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لا سرعت الاجابة وبادرتهم الباب وما ابتغيت العذر انه كان لجليا ذانا (ان ربي بكبدهن عليم) اي ان الله عالم بكبدهن قادر على اظهار براءتي وقال ان سيدي الذي هو العزيز عليم بكبدهن استشهده فيما علم من حاله عن ابي مسلم والاول هو الوجه (قال ماخطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه) معناه ان الرسول رجع الى الملك واخبره بما قاله يوسف (ع) فارسل الى النسوة ودعاهن وقال لهن ما شأنكن وما امركن اذا طلبتن يوسف عن نفسه ودعوته الى انفسكن (قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء) هذه كلمة تنزيه اي نزهة يوسف مما اتهم به قتلن معاذ الله وعبادا بالله من هذا الأمر وما علمنا عليه من سوء وخيانته وما فعل شيئا مما نسب اليه واعترفن ببراءته وبأنه حبس مظلوما (قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق) اي ظهر وتبين وحصل على امكن وجوهه عن ابن عباس ومجاهد وقناة وكان معناه انقطع الحق عن الباطل بظهوره وبيانه (انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) في قوله هي راودتني عن نفسي اعترفت بالكذب على نفسها فيما اتهم يوسف به وانا حملها على الصدق انتطاع طمعا منه فجمع الله ليوسف في اظهار براءته ونزاهته عما قذف به بين الشهادة والاقرار حتى لا يبقى موضع شك (ذلك يعلم) هذا من كلام يوسف اي ذلك الذي فعلت من ردي رسول الملك اليه في شأن النسوة يعلم الملك او العزيز (اني لم اخنه بالغيب) في زوجتي ابي في حال غيبته عني عن الحسن ومجاهد وقناة والضحاك وابي مسلم وانصل كلام يوسف بكلام امرأة العزيز لظهور الدلالة على المعنى ونظيره قوله تعالى وجعلوا اعزة اهلا اذلة وكذلك يفعلون وقوله يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره وهو من كلام الملا ثم قال فاذا تأمرون وهو حكاية عن قول فرعون قال الفراء وهذا من اغمض ما يأتي في الكلام ان يخكي عن واحد ثم يبدل الى شي آخر من قول آخر لم يجز له ذكر وقيل بل هو من كلام امرأة العزيز اي ذلك

الاقرار ليعلم يوسف اني لم اخنه في غيبته بتوريك الذنب عليه وان خنته بمحضرته وعند مشاهدته عن الجبائي (وان الله لا يهدي كيد الخائنين) اي لا يهديهم في كيدهم ومكرهم (وما ابرى نفسي) هذا من كلام يوسف عند اكثر المفسرين وقيل بل هو من كلام امرأة العزيز عن الجبائي اي ما ابرى نفسي عن سوء والخبائة في امر يوسف (ان النفس لا مارة بالسوء) اي كثيرة الامر بالسوء والشهوة قد تدعو الانسان الى المعصية والالف واللام للجنس فيكون المعنى ان كل النفوس كذلك ويجوز ان يكون للمعنى ان نفسي بهذه الصفة (الا مارحم ربي) اي الا من رحمة الله تعالى فعصمه بأن لطف له فيكون ما بمعنى من كقوله ما طاب لكم ويجوز ان يكون معناه الامدة ما عصم ربي ومن قال انه من كلام يوسف قال انه اراد الدعاء والمنازعة والشهوة ولم يرد العزم على المعصية اي لا ابرى نفسي مما لا تعرى منه طباع البشر وانما امتنعت عن الفاحشة بحول الله ولطفه وهدايته لا بنفسي قال الحسن انما قال وما ابرى نفسي لانه كره ان يكون قد زكى نفسه (ان ربي غفور) بعباده (رحيم) بهم

قوله تعالى (٥٤) وَقَالَ الْمَلِكُ ائتوني به استخلصه لنفسه فلما كلمه قال انك اليوم لذبتا مكين امين (٥٥) قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم (٥٦) وكذلك مكننا ليوسف في الارض يتبوا منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين (٥٧) ولا اجر الاخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون اربع آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير حيث نشاء بالنون والباقون بالياء.

(- الحجة -)

قال ابو علي من قرأ بالياء فيشاء مسند الى الغائب كما ان يتبوا كذلك وبقوي ذلك قوله واورثنا الجنة نتبوا منها حيث نشاء فكما ان قوله نشاء وفق لفعل المتبوين كذلك قوله حيث يشاء وفق لقوله يتبوا ومن قرأ بالنون فإنه على احد وجهين اما ان يكون اسند المشيئة اليه وهو ليوسف في المعنى لأن مشيئته لما كانت بقوته واقداره عليها جاز ان ينسب الى الله وان كانت ليوسف في المعنى كما قال سبحانه وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فاضيف الرمي الى الله لما كان بقوته وان كان الرمي للنبي ﷺ والآخر ان يكون الموضع المتبوا موضع نسك وقرب فالكث فيه قرينة الى الله تعالى فهو يشاءه ويريد فاما اللام في قوله مكننا ليوسف وقوله انا مكننا له في الارض فيجوز ان يكون على حد التي في قوله ردف لكم وللروايات تعبرون بدل على ذلك قوله ولقد مكنناهم فيما ان مكنناكم فيه وقوله يتبوا في موضع نصب على الحال تقديره مكنناهم متبوا حيث يشاء واما قوله حيث يشاء فيجوز ان يكون في موضع نصب على الحال تقديره بأنه ظرف والاخر ان يكون في موضع نصب بأنه مفعول به وبدل على جواز هذا الوجه قول الشاخر

وخلاها عن ذي الاراكة عامر اخو الحضير يرضي حيث تكبو النواجز

(- اللغة -)

الاستخلاص طلب خلوص الشيء من شائب الاشتراك كأنه يريد ان يكون خالصا له وفي حديث

سلطان الفارسي (رض) انه كاتبه أهله علي أربعين اوقية خلاص اي ما اخلصته النار من الذهب وكذلك
الخلاصة والمكين من المكانية واصله التمكن في الامر يقال مكن مكانة فهو مكين اذا كان له قدر وجاه يتمكن
بهما يروم والتبوء اتخاذ منزل يرجع اليه واصله من باء ييؤ اذا رجع

✽ المعنى ✽

(وقال الملك أنتوني به) معناه ان الملك لما تبين له امانة يوسف وبرائه من سوء وعلمه أمر باحضاره
فقال أنتوني به (استخلصه لنفسه) اي اجعله خالصا لنفسه ارجع اليه في تدبير مملكتي واعمل علي إشارته
في مهات أموري (فلما كلمه) ههنا حذف معناه فلما جاء الرسول يوسف ودعاه خرج من السجن ودخل
علي الملك وكلمه وعرف فضله وأمانته وعقله لأنه استدلل بكلامه علي عقله وبمعفته علي أمانته (قال إنك اليوم
لدينا مكين أمين) اي انك عندنا ذو مكانة متمكن في المنزلة والقدر نأخذ القول والأمر ظاهر الأمانة مأمون
ثقة قال ابن عباس يريد مكتتك من ملكي وجعات سلطانك فيه كسلطاني وأنتمكتك فيه قال الكلبي
ان رسول الملك جاءه فقال له قم فإن الملك يدعوك والقي ثياب السجن عنك والبس ثيابا جدد فأقبل
يوسف وتنظف من درن السجن ولبس ثيابه وأتى الملك وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة فلما رآه الملك شابا حدث
السن قال يا غلام هذا تأويل رؤياي ولم يعلمه السحرة ولا الكهنة قال نعم فأقدمه قدامه وقص عليه رؤياه
وروي ان يوسف لما خرج من السجن دعا لاهله وقال اللهم اعطف عليهم بقلوب الاخيار ولا تعمر عليهم
الاخبار فلذلك يكون أصحاب السجن اعرف الناس بالاخبار في كل بلدة وكتب علي باب السجن هذا قبور
الاحياء وبيت الاحزان وتجربة الاصدقاء وشاة الاعداء قال وهب ولما وقف بباب الملك قال حسبي ربي
من دنياي وحسبي ربي من خلقه عز جاره وجل ثناؤه ولا إله غيره ولما دخل علي الملك قال اللهم اني
اسألك بخيرك من خيره وأعوذ بك من شره وشر غيره ولما نظر اليه الملك سلم عليه يوسف بالعربية فقال له
الملك ما هذا اللسان قال لسان عمي اسماعيل ثم دعا له بالعبرانية فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان آبائي
قال وهب وكان الملك يشكلم بسبعين لسانا فكلما كلم يوسف بلسان أجابه بذلك اللسان فأعجب الملك ما رأى
منه فقال له اني أحب ان اسمع رؤياي منك شفاها فقال يوسف نعم أيها الملك رأيت سبع بقرات سمان
شهب غر حسان كشف لك عنهن النيل فطلعن عليك من شاطئه تشخب اخلافهن لبنافينا تنظر اليهن وبمعجبك
حسنهن اذ نصب النيل فنار ماؤه وبدأ يبسه فخرج من حننه ووحله سبع بقرات عجاف شعث غير مقلصات
البطون ليس هن ضرور ولا اخلاف وهن أنياب وأضراس وأكف كأكف الكلاب وخراطيم كخراطيم
السباع فاختلطن بالسمان فاقرستن اقراس السبع فأكلن لحومهن ومزقن جلودهن وحطنن عظامهن وتمششن
مخهن فيبنا انت تنظر وتعجب اذا سبع سنابل خضر واخر سود في منبت واحد عروقهن في الثرى والماء
فيبنا انت تقول في نفسك اني هذا وهؤلاء خضر مشرات وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد واصولهن في
الماء اذ هبت ريح فذرت الارقات من اليابسات السود علي الثمرات الخضر فاشتعلت فيهن النار واحرقتهن
وصرن سوداً منفريات فهذا آخر ما رأيت من الرؤيا ثم اتبته من نومك مذعورا فقال الملك والله ماشأن
هذه الرؤيا وان كانت عجيباً أعجب مما سمعته منك فما ترى في رؤياي ايها الصديق فقال يوسف ارى ان
تجمع الطعام وتزرع زرعا كثيرا في هذه السنين المخيبة وتبني الاهراء والخزائن فتجمع الطعام فيها بقصبه

وسنبله ليكون قصبه وسنبله علفا للدواب وتأمر الناس فيرفون من طعامهم الخمس فيكفيك من الطعام الذي جمعه لاهل مصر ومن حولها وأتيتك الخلق من النواحي فينتارون منك بحكمك ويجمع عندك من الكنوز ما لم يجمع لاحد ذلك قال الملك ومن لي بهذا ومن يجمعه ويبيعه ويكفي الشغل فيه فعند ذلك (قال) يوسف (اجلني على خزائن الأرض) الالف واللام في الأرض العهد دون الجنس يعني اجلني على خزائن أرضك حافظا وواليا واجل تدبيرها الي (فإني حفيظ) اي حافظ لما استودعني لحفظه عن ان تجري فيه خيانة (عليم) بمن يستحق منها شيئا ومن لا يستحق فأضعها مواضعا عن فتاة وابن اسحاق والجبائي وقيل حفيظ عليم اي كاتب حاسب عن وهب وقيل حفيظ للتقدير في هذه السنين الجذبة عليم بوقت الجوع حين يقع عن الكلبي وقيل حفيظ للحساب عالم بالاسن وذلك ان الناس يقدون من كل ناحية ويتكلمون بلغات مختلفة عن السدي وفي هذا دلالة على انه يجوز للانسان ان يصف نفسه بالفضل عند من لا يعرفه فانه عرف الملك حاله ليقبه في الامور التي في ابايتها اصلاح العباد والبلاد ولم يدخل بذلك تحت قوله سبحانه فلا تزكوا انفسكم قالوا فقال الملك ومن احق به منك فولاه ذلك وقيل ان الملك الاكبر فوض اليه امر مصر ودخل بيته وعزل قطفير وجعل يوسف مكانه وقيل ان قطفير هلك في تلك الليالي فزوج الملك يوسف راعيل امرأة قطفير العزيز فدخل بها يوسف فوجدها عذراء ولما دخل عليها قال اليس هذا خيرا مما كنت تريدن وولدت له افرائيم وميشا واستوتق ليوسف ملك مصر وقيل انه لم يتزوجها يوسف وانها لما رآته في موكبه بكت وقالت الحمد لله الذي جعل الملوك بالمعصية عبيدا والعبيد بالطاعة ملوكا فضما اليه وكانت من عياله حتى ماتت عنده ولم يتزوجها وفي تفسير علي بن ابراهيم بن هاشم قال لما مات العزيز وذلك في السنين الجذبة افتقرت امرأة العزيز واحتاجت حتى سألت الناس فقالوا لها ما يضرك لو قدمت للعزيز وكان يوسف يسمى العزيز وكل ملك كان لهم سموه بهذا الاسم فقالت استحي منه فلم يرالوا بها حتى قدمت له فأقبل يوسف في موكبه فقامت اليه زليخا وقالت سبحانه من جعل الملوك بالمعصية عبيدا والعبيد بالطاعة ملوكا فقال لها يوسف أنت تبيك قالت نعم وكان اسمها زليخا فقال لها هل لك في قالت دعني بعد ما بثت أتهرا بي قال لا قالت نعم قال فأمر بها فحولت الى منزله وكانت هرمة فقال لها يوسف الست فلت بي كذا وكذا قالت يا نبي الله لا تلني فأني بليت في بلاء لم يبل به احد قال وما هو قالت بليت بجك ولم يخلق الله لك نظيرا في الدنيا وبليت بأنه لم تكن بمصر امرأة اجل مني ولا اكثر مالا مني وبليت بزواج عنين فقال لها يوسف فما حاجتك قالت تسأل الله ان يرد علي شبابي فسأل الله فرد عليها فتزوجها وهي بكر وروي عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ انه قال رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اجلني على خزائن الأرض لولاه من شاعته ولكنه أخر ذلك سنة قال ابن عباس فأقام في بيت الملك سنة فلما انصرفت السنة من يوم سأل الإمارة دعاه الأمير فتوجه ورداه بسيفه وأمر بأن يوضع له سريره من ذهب مكلل بالدر والياقوت ويضرب عليه كاة من استبرق ثم أمره ان يخرج متوجا لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه في صفا لون وجهه فانطلق حتى جلس على السرير ودانت له الملوك فعدل بين الناس فأحبه الرجال والنساء وذلك قوله عز اسمه (وكذلك مكنا ليوسف في الأرض) اي ومثل ذلك الانعام الذي انعمنا عليه اقدرنا يوسف على ما يريد في الأرض يعني أرض مصر (يقبوا منها حيث يشاء) اي

يتصرف فيها حيث يشاء وينزل منها حيث يشاء (نصيب برحمتنا من نشاء) اية نخص بنعم الدين والدنيا من نشاء (ولا نضيع اجر المحسنين) اية المطيعين وقيل الصابرين عن ابن عباس وقيل انه دعا الملك الى الاسلام فاسلم عن مجاهد وغيره قالوا واسلم ايضاً كثير من الناس فهذا في الدنيا (ولاجر الآخرة) اية ثواب الآخرة (خير للذين آمنوا وكانوا يتقون) خلوصه عن الشوائب والاقذار وفي هذه اشارة الى انه سبحانه يوتي يوسف في الآخرة من الثواب والدرجات ما هو خير مما آتاه الله في الدنيا من الملك والنعمة

سؤال * قالوا كيف جاز ليوسف ان يطلب الولاية من قبل الكفرة الظلمة وجوابه لانه علم انه يتمكن بذلك من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ووضع الحقوق مواضعها وقد جعل الله سبحانه جميع ذلك له من جهة كونه نبيا اماما وكان يفعل ذلك من قبل الله تعالى وانا سأل الولاية لئتمكن من الامور التي له ان يفعلها وايضاً فإنه علم انه سبب يتوصل به الى الدعاء الى الخير والى روية والديه واخوته وفي الآية دلالة على ان ذلك التمكين والملك والتدبير كان بلطف الله سبحانه وفضله وفيها دلالة ايضاً على جواز تولي القضاء من جهة الباغي والظالم اذا يتمكن بذلك من إقامة احكام الدين وفي قوله يتبوأونها حيث يشاء دلالة على ان تصرفه كان باختياره من غير رجوع الى الملك وانه صار بحيث لا أمر عليه وفي كتاب النبوة بالاسناد عن احمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن علي بن بنت الياس قال سمعت الرضا (ع) يقول وأقبل يوسف على جمع الطعام فجمع في السبع السنين المخصصة فكسبه في الخزانين فلما مضت تلك السنون وأقبلت المجدبة أقبل يوسف على بيع الطعام فباعهم في السنة الأولى بالدرهم والدنانير حتى لم يبق بصر وما حولها دينار ولا درهم الا صار في مملكة يوسف وباعهم في السنة الثانية بالجلي والجواهر حتى لم يبق بصر وما حولها حلي ولا جوه الا صار في مملكته وباعهم في السنة الثالثة بالدواب والمواشي حتى لم يبق بصر وما حولها دابة ولا ماشية الا صار في مملكته وباعهم في السنة الرابعة بالبيد والاماء حتى لم يبق بصر عبد ولا أمة الا صار في مملكته وباعهم في السنة الخامسة بالدور والعقار حتى لم يبق بصر وما حولها دار ولا عقار الا صار في مملكته وباعهم في السنة السادسة بالمزارع والانهار حتى لم يبق بصر وما حولها نهر ولا مزرعة الا صار في مملكته وباعهم في السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بصر وما حولها عبد ولا حر الا صار عبد يوسف فملك لحرارهم وعبيدهم وأموالهم وقال الناس ما رأينا ولا سمعنا بملك اعطاه الله من الملك ما اعطى هذا الملك حكماً وعلماً وتديراً ثم قال يوسف لملك أيها الملك ما ترى فيما خولني ربي من ملك مصر وأهلها أشرف علينا برأيك فلو لم اصلحهم لأفسدهم ولم انجهم من البلاء لأكون بلاء عليهم ولكن الله تعالى انجاهم على يدي قال له الملك الرأي رأيك قال يوسف اني اشهدك الله واشهدك أيها الملك اني قد امتقت أهل مصر كاهم ورددت عليهم أموالهم وعبيدهم ورددت عليك أيها الملك خاتك وسريرك وتاجك على ان لا تسير الا بسيرتي ولا تحكم الا بحكمي قال له الملك ان ذلك لزيني وفخري ان لا أسير الا بسيرتك ولا احكم الا بحكمك ولولاك ما قويت عليه ولا اهتديت له ولقد جعلت سلطاناً عزيزاً لا يرام وأنا أشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له واناك رسوله فأقم على ما وليتك فلذلك لدينا مكين أمين وقيل ان يوسف (ع) كان لا يتلى شبعاً من الطعام في تلك الأيام المجدبة فقيل له تجوع ويبيدك خزان الأرض فقال (ع) أخاف ان أشبع فأنسى الجياع

قوله تعالى (٥٨) وَجَاءَ إِخْوَةَ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ (٥٩) وَمَلَأَ جَهَنَّمَ مِجْمَازِهِمْ قَالَ أَلَمْ تَأْتُوا بِنَارٍ لَكُمْ مِنْ أَيْدِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أَوْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ

الْمَنْزِلِينَ (٦٠) فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ (٦١) قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ (٦٢) وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِيضَاعَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ خمس آيات

❖ القراءة ❖

قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر لفتيانه والباقر لفتيته

— (الحجة) —

قال أبو علي الفتية جمع فتى في العدد القليل والفتيان في الكثير ومثل فتية إخوة وولدة في جمع أخ وولد ونيرة وقيعة في جمع نار وقاع ومثل فتيان برقان وخربان في جمع برق وخرب وجيران وتيجان في جمع جار وتاج وقد يقوم البناء الذي للقليل مقام الذي للكثير وكذلك يقوم الكثير مقام القليل حيث لا قلب ولا إعلال وذلك نحو ارجل واقدام وارسان وفي الكثير قولهم ثلاثة شوع فلماذا فعل ذلك فيما لا إعلال فيه فإن يرفض فيما يؤدي الى الإعلال والقلب اولى

❖ اللفظة ❖

جهاز البيت متاعه وجهزت فلانا هيات جهاز سفره ومنه جهاز المرأة والرجال اراد به الاومية ولحدها رحل وجمعها القليل ارحل قال ابن الانباري يقال للوعاء رحل والمسكن رحل وأصله الشيء المعد للرحيل من وعاء المتاع ومركب البعير وحلس ورسن

❖ المعنى ❖

ثم اخبر سبحانه انه لما تمكن يوسف بصر واصاب الناس ما احابهم من القحط وقصدوا مصر نزل بال يعقوب منازل بالناس فجمع يعقوب بنيه وقال لهم بلغني انه يباع الطعام بمصر وان صاحبه رجل صالح فاذهبوا اليه فلونه سيحسن اليكم ان شاء الله فتجهزوا وساروا حتى وردوا مصر فدخلوا على يوسف فذلك قوله (وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون) اي جاؤوا ليمتاروا من مصر كما امتار غيرهم ودخلوا عليه وهم عشرة وامسك ابن يامين اخا يوسف لأمه فعرفهم يوسف وانكروه قال ابن عباس وكان بين ان قذفه في الحب وبين ان دخلوا عليه اربعين سنة فلذلك انكروه ولا أنهم رأوه ملكا جالسا على السرير عليه ثياب الملوك ولم يكن يخطر ببالهم انه يصير الى تلك الحالة وكان يوسف ينتظر قدومه عليهم فلكان اثبت لهم فلما نظر اليهم يوسف وكلموه بالعبرانية قال لهم من انتم وما امركم فاني انكر شأنكم وفي تفسير علي بن ابراهيم فلما جهزهم واعطاهم واحسن اليهم في الكيل قال لهم من انتم قالوا نحن قوم من ارض الشام رعاة اصابنا الجهد فجننا ننتار فقال لعالمكم ميون جئتم تنظرون عودة بلادنا فقالوا لا والله ما نحن ببجواسيس واننا نحن إخوة بنو أب واحد وهو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم خليل الرحمن ولو تعلم بايينا لكرمتنا عليك فلونه نبي الله وابن انبيائه وانسه لمحزون قال وما الذي احزنه فلعل احزنه انما كان من قبل سفهكم وجهلكم قالوا يا أيها الملك لستنا بسفهاء ولا جهال ولا أتاه الحزن من قبلنا ولكنه كان له ابن كان اصغرنا سنا وانه خرج يوما معنا الى الصيد فأكله الذئب فلم يزل بعده حزينا كنييا باكيا فقال لهم يوسف كلكم من أب وأم قالوا أبونا واحد وأمها تاناشي قال فما حمل أباكم على ان سرحككم كلكم ألا حبس واحدا منكم يستأنس به قالوا قد فعل حبس منا واحدا وهو اصغرنا سنا لأنه آخر الذي هلك من أمه فابينا يتسلى به قال فمن يعلم ان الذي تقولونه حق قالوا يا أيها الملك إنا ببلاد

لا يعرفنا أحد فقال يوسف فانتوني بأخيكم الذي من أبيكم ان كنتم صادقين وأنا أرضى بذلك قالوا إن أبانا
 يجزن على فراقه وسنراوده عنه قال فدعوا عندي رهينة حتى تأتوني بأخيكم فاقتنعوا بينهم فأصابت القرعة
 شعرون وقيل ان يوسف اختار شعرون لأنه كان احسنهم رأيا فيه فظفوه عنده فذلك قوله (ولما جهزهم بجهازهم)
 يعني حمل لكل رجل منهم بعير بعدتهم (قال أنتوني بأخ لكم من أبيكم) يعني ابن يمين (الا ترون إني
 أوف الكيل) اي لا انجس الناس شيئا وأنتم لهم كيلهم (وانا خير المنزلين) اي المضيفين ما أخذ من المنزل وهو
 الطعام وقيل خير المنزلين للأمر منازلها فتدخل فيه الضيافة وغيرها ما أخذ من المنزل وهو الدار (فإني لم تأتوني
 به فلا كيل لكم عندي) اي ليس لكم عندي طعام اكيله عليكم والمراد بالكيل المكيل (ولا تقرّبون)
 اي ولا تقرّبوا داري وبلادي خلط عليه السلام الوعد بالوعيد (قالوا سنراود عنه أباه) اي نطلبه ونسأله ان يرسله
 معنا قال ابن عباس معناه نستخذه عنه حتى يخرج منه معنا (وإنا لفاعلون) ما أمرتنا به قال وكان يوسف أمر ترجمانا
 يعرف العبرانية ان يكلمهم وكان لا يكلمهم بنفسه ليشبه عليهم فلم يعرفوه ربنا كانوا يهيمون في الأرض
 حياء من أبيهم فيتركون خدمته وكان في معرفتهم إياه مقسدة (وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم) اي قال
 يوسف لعبيده وغلطانه الذين يكيلون الطعام عن قتادة وغيره وقيل لاهوانه اجعلوا ثمن طعامهم وما كانوا جاؤا به
 في اوعيتهم وقيل كانت بضاعتهم النمال والأدم وقيل كانت الورق من قتادة (لعلمهم يعرفونها إذا انقلبوها الى أهلهم)
 اي لعلمهم يعرفون متاعهم اذا رجعوا الى أهلهم (لعلمهم يرجعون) بعد ذلك لطلب الميرة مرة أخرى وانما فعل ذلك
 ليعرفوا ان يوسف انما فعل ذلك إكراما لهم ليرجعوا اليه وقيل انه خاف ان لا يكون عندهم من الورق مسا
 يرجعون به مرة أخرى عن الكفاي وقيل انه رأى انما أخذ من الطعام من ابيه وإخوته مع حاجتهم اليه فرده عليهم
 من حيث لا يعلمون تفضلا وكرما وقيل فعل ذلك لأنه علم ان ديانتهم وأمانتهم تحملهم على رد بضاعتهم إذا
 وجدوها في رحالهم ولا يعرفون ان الملك أمر بذلك فيرجعون ليردوا ذلك عليه ومتى قيل كيف لم يعرفهم يوسف
 نفسه مع علمه بشدة حزن أبيه وقلقه واحترافه على ألم فراقه فالجواب انه لم يؤذن له في التعريف استتماما للمحنة
 عليه وعلى يعقوب ولما علم الله تعالى من الحكمة والصلاح في تشديد البلية تعريضا للمنزلة السنية وقيل انما لم
 يعرفهم بنفسه لأنهم لو عرفوه ربنا لم يرجعوا اليه ولم يحملوا أخاه اليه والأول هو الوجه الصحيح

قوله تعالى (٦٣) فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَنَعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا
 نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٦٤) قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ
 خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٦٦) وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا
 يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلَ بِعِيرِ ذَلِكَ كَيْلٌ
 بِسَيْرٍ (٦٦) قَالَ لَن أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا
 آتَوْهُ مَوْثِقَتَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ أربع آيات

القراءة

قرأ يكتل بالياء. اهل الكوفة غير عاصم والباقون بالنون وقرأ خير حافظا بالالف اهل الكوفة غير ابي بكر
 والباقون حفظا بغير الف وفي الشواذ قراءة علقمة ويحيى ردت الينا بكسر الراء

الحجة

قال ابو علي يدل على النون في نكتل قوله ونمير اهلنا ونحفظ اخانا وتزداد كيل بعير الا ترى انهم الغايرون

اهلهم بما يكتلون فيكون نكتل مثل ندير وايضا فاذا قالوا نكتل جاز ان يكون اخوهم داخلا معهم واذا كان بالياء لم يدخلوهم فيه وزعموا ان في قراءة عبد الله نكتل بالنون وكان النون لتولهم منع منا الكيل لنيبة اخينا فارسه نكتل ما معناه لغيته ووجه اليا. انه يكتل حمله كما نكتال نحن احمالنا ووجه من قرأ خير حفظا انه قد ثبت من قوله ونحفظ اخانا وقراه وانا له حافظون انهم قد اضافوا الى انفسهم حفظا للمعنى على الحفظ الذي نسبوه الى انفسهم وان كان منهم تفریط في حفظهم ليوسف كما ان قوله اين شركائي لم يثبت لله شريكا وانا المعنى على الشركاء الذين نسبوهم الي فكذلك المعنى على الحفظ الذي نسبوه الى انفسهم وان كان منهم تفریط فيه فاذا كان كذلك كان المعنى فانه خير حفظا من حفظكم الذي نسبوه الى انفسكم وان كان منكم فيه تفریط واطافة خير الى حفظ محال ولكن تقول حفظ الله خير من حفظكم ومن قرأ حافظا فيكون حافظا منتصبا على التمييز دون الحال كما كان حفظا كذلك ولا يستحيل الاضافة في فانه خير حافظ وخير الحافظين كما يستحيل في خير حفظا فان قلت فهل كان ثم حافظ كما ثبت انه كان حفظ لما قدمته فاقول انه قد ثبت انه كان ثم حافظ لقوله وانا له حافظون ولقوله يحفظونه من امر الله فتقول حافظ الله خير من حافظكم كما كان حفظ الله خير من حفظكم لان الله سبحانه حافظه كما ان له حفظا فحافظه خير من حافظكم كما كان حفظه خيرا من حفظكم وتقول هو احفظ حافظ كما تقول هو ارحم راحم لانه سبحانه من الحافظين كما كان من الراحين واما قوله ردت فان فعل من المضاعف والمعتل العين مجيء على ثلاثة اوجه عندهم لغة فاشية واخرى تليها وثالثة قليلة فاقوى اللغات في المضاعف ضم اوله كشد وعد ورد ثم يليه الاشمام وهو بين ضم الأول وكسره ثم قولهم رشد ورد باخلاص الكسرة وهو الاقل واقرى اللغات في المعتل العين كسر اوله نحو قيل وييم ثم يليه الاشمام بين الضمة والكسرة والثالثة اخلاص الضمة نحو قول وبرع وانشد لذي الرمة

دنا البين من مي فردت جمالها وهاج الهوى تقويضها واحتالها

اللغة

يقال كلت فلانا اي اعطيته الشيء كيلا واكتلت عليه اخذت منه والامن اطمئنتان القلب الى سلامة الامر يقال آمنه يا آمنه ائنا والميرة الاطعمة التي تحمل من بلد الى بلد ويقال مرتهم أميرهم ميرا اذا أتيتهم بالميرة ومثله امرتهم امتيارا قال

بمشك مائرا فمكثت حولا متى يأتي غيائك من يغيث

الاعراب

قال الزجاج حفظا منصوب على التمييز وحافظا على الحال ويجوز ان يكون حافظا على التمييز وما في قوله ما نبي استفهام موضعه نصب والمعنى اي شيء تريد ويكون المراد به الجهد ويجوز ان يكون ما ايضا تقيبا كأنهم قالوا ما نبغ شيئا وموضع ان يحاط بك نصب والمعنى الا الاحاطة بك اي لا تمتنعوا من الاتيان به الا لهذا وهذا يسمى مفعولا له قال الزجاج والا هذاه بمعنى تحقيق الجزاء تقول ما تأتينا الا لاخذ الدرهم والا تاخذ الدرهم

المعنى

(فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل) قيل انهم لما دخلوا على يعقوب وسلموا عليه سلاما ضعيفا فقال لهم يا بني ما لكم تسلمون سلاما ضعيفا ومالي لا اسمع فيكم صوت شمعون فقالوا يا ابانا انا جئناك من عند اعظم الناس ملكا ولم ير الناس مثله حكما وعلما وخشوعا وسكينة ووقارا ولئن كان لك شبيه فلانه يشبهك ولكننا اهل بيت خلقنا للبلاء انه اتهمنا وزعم انه لا يصدقنا حتى ترسل معنا باين يامين برسالة منك اليه ليخبره من حزنك وما الذي احزنك وعن سرعة الشيب اليك وذهاب بصرك وقوله منع منا الكيل معناه منا فيما يستقبل ان لم تأتته

بأخيها لقوله فلا كيل لكم عندي (فأرسل معنا اخانا) ابن يامين (نكتل) اي نأخذ الطعام بالكيل ان ارسلته
اكتلنا والا فتعنا الكيل ومن قرأ يكتل بالياء فالمنى يأخذ أخونا ابن يامين وفر يعير يكتال له (وإنا له
لخافظون) من ان يصيبه سوء ومكروه (قال) يعقوب (هل امنكم عليه إلا كما آمنتكم على أخيه من قبل)
اي لا آمنكم على ابن يامين في الذهاب به الا كما مني على يوسف ضمتتم لي حفظه ثم ضيعتموه او اهلكتموه او
غيبتموه عني وانما قرعهم بمحدث يوسف والا فقد كان يعلم انهم في هذه الحال لا يفعلون ما لا يجوز (فأنه خير
حافظا) اي حفظ الله خير من حفظكم (وهو أرحم الراحمين) يرحم ضعفي و كبر سني ويرده علي ووورد سيف
الخبر ان الله سبحانه قال فيعزني لأردنهما اليك من بعد ما توكلت علي (ولما فتحوا متاعهم) يعني اوعية الطعام
(وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا أبانا ما نبغي) اي ما نطلب في منع أخيها عنه وقيل معناه ما نطلب بما
اخبرناك عن ملك مصر الكذب وقيل معناه اي شيء نطلب وراء هذا اوفى لنا الكيل ورد علينا الثمن عن قتادة
وأراد ان تطيب نفس يعقوب فيبعث ابنه معهم وتم الكلام ثم قالوا ابتداء (هذه بضاعتنا ردت الينا) اي فلا ينبغي
ان نخاف على أخيها من قد احسن الينا هذا الاحسان وقيل المراد ما تريد منك دراهم تعطيناها نرجع بها اليه
بل تكفيها في الرجوع اليه بضاعتنا هذه فإن الملك إذا فعلنا ما أمرنا به في أخيها بغي بما وعدنا وأرسله معنا
(وغير أهلنا) اي تجلب اليهم الطعام (ونحفظ أخانا) في السفر حتى ترده اليك (وتزداد كيل يعير) لأجله لأنه
كان بكمال لكل رجل وفر يعير (ذلك كيل يسير) اي ذلك كيل سهل ايسر سهل على الذي يمضي اليه عن
الزجاج والمعنى انه حين على الملك لا يصعب عليه ولا يظهر في ماله وقيل معناه ان الذي جشاك به كيل قليل
لا يقتنعنا فنحتاج ان نضيف اليه كيل يعير أخيها عن الجبائي وقيل يسير على من يكتاله لا مؤنة فيه ولا مشقة عن
الحسن وهذا كله تنبيه منهم على وجه الصواب في إرساله معهم فلما رأى يعقوب (ع) رده البضاعة وتحقق عنه
اكرام الملك إياهم وعزم على ارسال ابن يامين معهم (قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقان الله) اي تعطونني
ما يوثق به من يمين او عهد من الله (لتأتني به) اي لتردنه الي قال ابن عباس يعني حتى تحلفوا الي بحق محمد خاتم
النبيين ﷺ وسيد المرسلين اي لا تغدروا بأخيكم ولتأتني به اللام فيه لجواب القسم (الا ان يحاط بكم)
اي الا ان تمهلكوا جميعا عن مجاهد وقيل الا ان تغلبوا حتى لا تطيقوا ذلك عن قتادة والمعنى الا ان يحال بينكم
ويمنه حتى لا تغدروا على الايمان به عن الزجاج (فلما أتوه موثقهم) ايسر اعطوه عهدهم وحلفوا بحق محمد
ومثله من ربه عن ابن عباس (قال) يعقوب (الله على ما نقول وكيل) اي شاهد حافظ ان اختلفتم اتصفلي
منكم وفيه هذا دلالة على وجوب التوكل على الله سبحانه في جميع المهمات والتفويض اليه في كل الأمور وفيها
دلالة ايضا على ان يعقوب (ع) انما ارسل ابن يامين معهم لأنه علم انهم لما كبروا ندموا على ما كان فرط منهم في
أمر يوسف ولم يصرروا على ذلك ولهذا وثق بهم وانما عيرهم بمحدث يوسف حثالهم على حفظ أخيهم

قوله تعالى (٦٧) وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِن أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا
أَغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ
(٦٨) وَمَا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ
بِعَقُوبٍ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لُدُوْعٌ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ آيَاتُ

— اللغة —

الغنى الكفاية في المال لأنه اكتفى به وربما مد لضرورة الشعر والغناء بكسر الغين المد من الصوت يقال

منه غنى يعني غناء والغناء بالفتح والمد الكفاية وغني عن كذا فهو غان وغني القوم في دارهم أقاموا والمعاني المنازل
لأنهم اكتفوا بها والغاية المرأة لأنها تكنفي بزوجها عن غيره أو يجهلها عن التزين

المعنى

(و) لما تجوزوا للمسير (قال) يعقوب (يا بني لا تدخلوا) مصر (من باب واحد) ادخلوا من ابواب متفرقة)
خاف عليهم العين لأنهم كانوا ذوي جمال وهيئة وكال وهم أخوة اولاد رجل واحد عن ابن عباس والحسن وقتادة
والضحاك والسدي وأبي مسلم وقيل خاف عليهم حسد الناس إياهم وإن يبلغ الملك قوتهم وبطشهم فيحبسهم
أو يقتلهم خوفا على ملكه عن الجبائي وانكر العين وذكر أنه لم يثبت بحجة وجوزة كثير من المحققين ورووا فيه
الخير عن النبي صلى الله عليه وسلم أن العين حق والعين تستنزل الخالق والخالق المكان المرتفع من الجبل وغيره فجعل (ع)
العين كأنها تحط ذروة الجبل من قوة أخذها وشدة بطشها وورد في الخبر أنه عليه وآله السلام كانت يعوذ الحسن
والحسين عليها السلام بأن يقول أعيد كما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة وروي أن
ابراهيم (ع) عوذ ابنه وان موسى عوذ ابني هارون بهذه العوذة وروي أن بني جعفر بن أبي طالب كانوا غلمانا
يضا فقالت أسماء بنت عميس يا رسول الله أن العين اليهم سريرة فاستترت لهم من العين فقال صلى الله عليه وسلم نعم وروي
أن جبرائيل (ع) رقى رسول الله وعلمه الرقية وهي بسم الله أرقيك من كل عين حاسد الله يشفيك وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين ثم اختلفوا في وجه الإصابة بالعين فروي عن
عمرو بن بحر الجاحظ أنه قال لا ينكر أن ينفصل من العين الصائبة إلى الشيء المستحسن أجزاء لطيفة فتصل به
وتؤثر فيه فيكون هذا المعنى خاصة في بعض الاعين كالخواص في الاشياء وقد اعترض على ذلك بأنه لو كان
كذلك لما اقتص ذلك ببعض الاشياء دون بعض ولأن الاجزاء تكون جواهر والجواهر متائلة ولا يؤثر بعضها
في بعض وقال ابو هاشم انه فعل الله بالمادة لضرب من المصلحة وهو قول القاضي ورأيت في شرح هذا للشريف
الأجل الرضي الموسوي قدس الله روحه كلاما احببت ايراده في هذا الموضع قال ان الله تعالى يفعل المصالح
بعباده على حسب ما يعلمه من الصلاح لهم في تلك الافعال التي يفعلها فغير ممنوع ان يكون تغييره نعمة زيد بمصلحة
لعمرو واذا كان يعلم من حال عمرو انه لو لم يسلب زيدا نعمته اقبل على الدنيا بوجهه ونأى عن الآخرة
بعطفه واذا سلب نعمة زيد للعملة التي ذكرناها عوضه فيها واعطاء بدلا منها عاجلا او آجلا فيمكن ان يتأول قوله
(ع) العين حق على هذا الوجه على انه قد روي عنه (ع) ما يدل على ان الشيء اذا عظم في صدور العباد وضع الله
قدره وصغر أمره واذا كان الأمر على هذا فلا ينكر تغيير حال بعض الاشياء عند نظر بعض الناظرين اليه
واستحسانه له وعظمه في صدره وفخامته في عينه كما روي انه قال لما سبقت نافته العصابة وكانت إذا سوبق بها
لم يسبق ما رفع العباد من شيء الا وضع الله منه ويجوز ان يكون ما أمر به المستحسن للشيء عند رؤيته من
تعويذه بالله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما في المصلحة مقام تغيير حالة الشيء المستحسن فلا يغير عند ذلك
لأن الرائي لذلك قد اظهر الرجوع إلى الله تعالى والاعادة به فكأنه غير راكن إلى الدنيا ولا معتربها انتهى كلامه
رضي الله عنه (وما أغني عنكم من الله من شيء) اية وما ادفع من قضاء الله من شيء ان كان قد قضى عليكم
الإصابة بالعين او غير ذلك (ان الحكم الا لله عليه توكلت) فهو القادر على ان يحفظكم من العين او من الحسد
ويردكم على سالمين (وعليه فليتوكل المتوكلون) اي وليفوضوا أمورهم اليه وليثقوا به (ولما دخلوا مصر من حيث
أمرهم أبوهم) اي من ابواب متفرقة كما أمرهم يعقوب وقيل كان لمصر اربعة ابواب فدخلوها من ابوابها
الاربعة متفرقين (ما كان يغني عنهم من الله من شيء) الإحاجة في نفس يعقوب قضاها اي لم يكن دخولهم مصر
كذلك يغني عنهم او يدفع عنهم شيئا اراد الله تعالى إبقاعه بهم من حسد او إصابة عين وهو (ع) كان عالما

انه لا يبتغى حذر من قدر ولكن كان ما قاله لبيته حاجة في قلبه ففرض يعقوب تلك الحاجة اي ازاله اضطراب قلبه لأن لا يبال على العين مكروه بصيبيهم وقيل معناه ان العين لو قدر ان تصيبيهم لأصابهم وهم متفرقون كما تصيبيهم مجتمعين عن الزجاج قال وحاجة استثناء ليس من الأول بمعنى لكن حاجة (وانه لذو علم) اي ذو يقين ومعرفة بالله (لما علمناه) اي لأجل تلميذنا اياه عن مجاهد مدحه الله سبحانه بالعلم والمعنى انه حصل له العلم بتلميذنا اياه وقيل وانه لذو علم لما علمناه اي يعلم ما علمناه فيعمل به لأن من علم شيئاً ولا يعمل به كان كمن لا يعلم فعلى هذا يكون اللام في قوله لما علمناه كاللام في قوله للرويا تعبرون (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) مرتبة يعقوب في العلم عن الجبائي وقيل لا يعلم المشركون ما لهم الله أولياءه عن ابن عباس

قوله تعالى (٦٩) وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبَشِّرْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٧٠) فَلَمَّا جَهَّزْتُمُ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَابَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَتَيْتُمَا الْعَبْرَٰةَ إِنَّكُم لَسَارِقُونَ (٧١) قَالُوا أَوْ قَبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا اتَّفَقْتُمَا عَلَىٰ قَالَوَا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ (٧٢) قَالُوا تَنَافَعْنَا لَقَدْ عَلِمْتُمَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ (٧٣) قَالُوا فَمَا جزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ (٧٤) قَالُوا جزَاؤُهُ مِن وُجْدٍ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٧٥) فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاةِ أَخِيهِ ثُمَّ أَسْتَخْرَجَهُمَا مِنْ وِعَاةِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَ آخِذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّن نَّشَاءَ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ثَمَانِي آيَات

﴿ القراءه ﴾

في الشواذ قراءة أبي رجا صواع الملك بفتح الصاد وقراءة أبي عبد الله بن عوف صوع بضم الصاد بغير الف وقراءة يحيى بن يعمر صوغ بفتح الصاد والغين معجمة وقراءة أبي هريرة ومجاهد بخلاف صاع الملك والقراءة المشهورة صواع الملك وقراءة الحسن من وعاء اخيه بضم الواو وقراءة سعيد بن جبیر عاء اخيه بالهمزة وقرأ يعقوب وسهل يرفع ويشاء بالياء والباقون بالنون وقرأ اهل الكوفة درجات بالتنوين والباقون بغير تنوين وفي الشواذ قراءة ابن مسعود فوق كل ذي علم عليم

﴿ الحجة ﴾

الصواع والصاع والصوع واحد وهو مكيال واما الصوع فصدر وضع موضع اسم المفعول اي المصوع وهو مثل الخلق والصيد بمعنى الخلق والمصيد ومن قرأ عاء فاصله وعاء ابدلت الواو المكسورة همزة كما قالوا في وسادة اسادة وفي رجاح للستر اجاح ومن قرأ وعاء بالضم فإنه يكون لغة والهمزة فيه اقيس كما قالوا اعد في وعد واجوه في وجوه ومن قرأ درجات بالتنوين فلان من يكون في موضع نصب على معنى يرفع من نشاء درجات ومن قرأها بغير تنوين فلان من يكون في موضع جر بالاضافة وقال ابن جني ان قراءة من قرأ وفوق كل ذي علم عليم يشمل ثلاثة اوجه احدها ان يكون من باب اضافة المسعى الى الاسم اي وفوق كل شخص يسمى عالماً او يقال له عالم عليم مثل قول الكميث

اليكم ذوي آل النبي تطلعت نوازع من قلبي ظمًا والب

اي اليكم يا آل النبي اي يا اصحاب هذا الاسم الذي هو آل النبي وعليه قول الاعشى
فكذبوها بما قالت فصبحهم
اي صبحهم الجيش الذي يقال له آل حسان والوجه الثاني ان يكون عالم مصدراً كالباطل وغيره ولثالث ان
يكون على مذهب من اعتقد زيادة ذي فكأنه قال وفوق كل عالم عليهم
(اللغة) -

يقال آوى الى منزله يا وى او يا اذا صار اليه واوتيه انا ابواء والابتئاس الاغتنام واجتلاب البؤس والحزن والسقاية
الابواء التي يسقى منها وهو من السقي وقيل السقاية والصواع واحد والاذان والتأذين واحد وهو النداء . يسمع
بالاذن ويقال اذنته بالشئ اي اعلمته واذنته اكثرت اعلامه والعبير القافلة من الحمير وقيل هو القافلة التي فيها
الاجمال والأصل للحمير ثم كثر فسمي كل قافلة عبيراً وقيل العبير الاوبل السائرة المركوبة والجمع عبيران والحمل
بالكسر لا انفصل وبالفصح لا انفصل وجمعه احمال وحمول والزعيم والكفيل والضمين نظائر والزعيم ايضاً القائم بأمر
القوم وهو الرئيس قالت ليلي الاخيلية

حتى اذا رفع اللواء رأيتني تحت اللواء على الحميس زعيماً

(الاعراب) -

تألفه معناه والله الا ان التاء تختص باسم الله لا يجوز تالرحمن وتربي وهو بدل من الواو كما ابدل من الواو في
تراث وتجاه وتخمّة قالوا جزاؤه من وجد في رحله ذكر في اعرابه وجهان ﴿ احدهما ﴾ ان يكون جزاؤه
مبتدأ ومن وجد في رحله الخبر ويكون المعنى جزاء السرقة الانسان الموجود في رحله السرقة ويكون قوله فهو
جزاؤه جملة اخرى ذكرت زيادة في الابانة كما يقال جزاء السارق القاطع فهو جزاؤه وهذا جزاؤه زيادة في البيان
وعلى هذا تكون من موصولة ويكون تقديره استترقاق الذي وجد في رحله السرقة فحذف المضاف ﴿ والآخر ﴾
ان يكون جزاؤه مبتدأ ومن وجد في رحله فهو جزاؤه جملة شرطية في موضع الخبر والعائد على المبتدأ الأول
من الجملة الأولى جزاؤه من قوله فهو جزاؤه فكأنه قال فهو هو اي فهو الجزاء والاظهار ههنا احسن لثلاث بقع في
الكلام لبس قال الزجاج ان العرب اذا فحمت أمر الشئ جعلت العائدة اليه اعادة اللفظ بعينه وانشد

لا أرى الموت يسبق الموت شيئاً
نقص الموت ذا الغنى والفقيراً

وعلى هذا يكون المعنى قالوا جزاء السرقة ان وجد في رحل رجل منا فالوجود في رحله السرقة جزاؤه
استترقاق وقال صاحب الكشف تقديره جزاء المسروق من وجد في رحله اي انسان وجد الصاع في رحله فعم
نكرة وهو مبتدأ ثان وقوله وجد في رحله صفة لمن وقوله فهو جزاؤه خبر لمن والجملة خبر قوله جزاؤه والتقدير
جزاؤه انسان وجد في رحله الصاع فهو الا انه وضع الظاهر موضع المضمرة قال وليس في التنزيل من نكرة
الا في هذا الموضع وموضع الكاف من كذلك كدنا نصب بأن صفة مصدر محذوف وموضع ان يشاء الله نصب
لما سقطت الباء افضى الفعل اليها فنصب والتقدير الا بمشيئة الله

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن دخولهم عليه فقال (ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه) اي لما دخل اولاد يعقوب
على يوسف ضم اليه أخاه من أبيه وأمه ابن يامين وانزله معه عن الحسن وقتادة وقيل انهم لما دخلوا عليه قالوا هذا
أخونا الذي امرتنا ان نأتيك به فقال أحسنتم ثم أنزلهم وأكرمهم ثم أضافهم وقال ليجلس كل بني أم على مائدة
فجلسوا فبقي ابن يامين قائماً فردا فقال له يوسف مالك لا تجلس قال انك قلت ليجلس كل بني أم على مائدة

وليس لي فيهم ابن أم فقال يوسف انما كان لك ابن أم قال لي قال يوسف فمافعل قال زعم هو لا ان الذئب
أكله قال فما بلغ من حزنك عليه قال ولد لي احد عشر ابنا كلهم اشتقت له اسما من اسمه فقال له يوسف
أراك قد عانقت النساء وشحمت الولد من بعده قال ابن يامين ان لي ابا صالحا وقد قال لي تزوج لعل الله يخرج
منك ذرية تثقل الأرض باليسيع فقال له يوسف تعال فاجلس معي على مائدتي فقال اخوة يوسف لقد فضل الله
يوسف وأخاه حتى ان الملك قد اجلسه معه على مائدته روى ذلك عن الصادق (ع) (قال اني انا أخوك) اي اطلعه
على انه أخوه وقيل انه قال انا أخوك مكان أخيك المالك ولم يعترف له بالنسبة ولم يطلعه على انه أخوه ولكنه
أراد ان يطيب قسه (فلا تبتس بما كانوا يعملون) اي فلا تسكن ولا تحزن لشيء سلف من اخوتك اليك عن
وهب والشعبي (فلما جهزهم بجهازهم) اي فلما اعطاهم ما جاؤا لطلبه من الميرة وكال لهم الطعام الذي جاؤا
لأجله وجعل لكل منهم حمل بعير ويسعى حمل التاجر جهازا (جعل السقاية في رحل أخيه) معناه أمر حتى جعل
الصاع في متاع أخيه وانما أضاف الله تعالى ذلك اليه لوقوعه بأسره وقيل إن السقاية هي المشربة التي كان يشرب
منها الملك ثم جعل صاعا في الستين الشداد القحاط يكال به الطعام وقيل كان من ذهب عن ابن زيد وروى ذلك
عن ابي عبد الله (ع) وقيل كان من فضة وذهب عن ابن عباس والحسن وقيل كان من فضة مرصعة
بالجواهر عن عكرمة ثم ارتحلوا وانطلقوا (ثم أذن مؤذن) اي نادى مناد مسمعا معلما (أيتها العير) اي القافلة
والتقدير يا أهل العير وقيل كانت القافلة من الحمير عن مجاهد (انكم لسارقون) قيل انما قال ذلك بعض من فقد
الصاع من قوم يوسف من غير امره ولم يعلم بما أمره يوسف من جعل الصاع في رحلهم عن الجبائي وقيل ان يوسف
أمر المتادي بأن يتادى به ولم يرد به سرقة الصاع وانما عسى به انكم سرقتم يوسف عن أبيه والقيشموه في
الجب عن ابي مسلم وقيل ان الكلام يجوز ان يكون خارجا مخرج الاستفهام كأنه قال انكم لسارقون فأسقطهمزة
الاستفهام كما في قول الشاعر

كذبتك عينك أم رأيت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا

ويؤيده ما روى هشام بن الحكم عن ابي عبد الله (ع) انه قال ما سرقتوا ولا كذب ومتى قيل كيف جاز
ليوسف (ع) ان يحزن والده وأخوته بهذا الصنيع ويجعلهم متهمين بالسرقة فالجواب ان الغرض فيه التنبؤ الى
احتباس أخيه عنده ويجوز ان يكون ذلك بأمر الله تعالى وروى انه اعلم اخاه بذلك ليحمله طريقا الى التمسك
به واذا كان ادخال هذا الحزن سببا مؤديا الى إزالة غموم كثيرة عن الجميع ولا شك انه يتعلق به المصلحة
فقد ثبت جوازه فأما التعريض للتهمة بالسرقة فغير صحيح لأن وجود السقاية في رحله يحتمل أموراً كثيرة غير
السرقة فعلى هذا من حمله على السرقة مع دلالة أنهم اولاد الأنبياء توجهت اللائمة عليه (قالوا) اي قال اصحاب
العير (وأقبلوا عليهم) اي على اصحاب يوسف (ماذا تقعدون) اي ما الذي فقدتموه من متاعكم (قالوا) تقعد صواع
الملك (اي صاعه وسقايته) (ولمن جاء به حمل بعير) اي وقال المتادي من جاء بالصاع فله حمل بعير من الطعام
(وانا به زعيم) اي كفيل ضامن (قالوا) اي قال اخوة يوسف (تالله لقد علمتم) أيها القوم (ما جئنا لنفسد
في الأرض وما كنا سارقين) قط وانما أضافوا العلم اليهم بذلك مع انهم لم يعلموه لأن معنى هذا القول انكم
قد ظهر لكم من حسن سيرتنا ومعاملتنا معكم مرة بعد أخرى ما تعلمون به انه ليس من شأننا السرقة وقيل انهم
قالوا ذلك لأنهم ردوا البضاعة التي وجدوها في رحلهم مخافة ان يكون قد وضع ذلك بغير إذن يوسف اي فإذا
كنا تخرجنا عن هذا فقد علمتم اننا لا نسرق لأن من رد ما وجد لا يكون سارقا عن الكلبي وقيل انهم لما
دخلوا مصر وجدوهم قد شدوا أفواه دوابهم كي لا تتناول الحرت والزرع وفي هذا دلالة على ان ما فعله أخوة
يوسف به انما كان في حال الصغر وعدم كمال العقل لنفيهم عن اتسهم الفساد الذي هو ضد الصلاح (قالوا فما جزاؤه)

اي قال الذين نادوهم فما جزاء السرق (ان كنتم كاذبين) سيف قولكم انا لم نسرق وظهرت السرقة وقيل معناه فما جزاء من سرق (قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه) اي قال اخوة يوسف جزاء السرق السارق وهو الإنسان الذي وجد المسروق في رحله وقد بينا تقديره فيما قبل ومعناه ان السنة في بني اسرائيل وعند الملك كان استرقاق السارق عن الحسن والسدي وابن اسحاق والجبائي وكان يسرق سنة وقيل كان حكم السارق في آل يعقوب ان يستخدم ويسرق على قدر سرقة وفي دين الملك الضرب والضمان عن الضحاك وقيل ان يوسف سألهم ما جزاء السارق عندكم فقالوا ان يؤخذ بسرقة (كذلك نجزي الظالمين) اي مثل ما ذكرنا من الجزاء نجزي السارقين يعني اذا سرق استرق وقيل ان ذلك جواب يوسف (ع) لقول اخوته ان جزاء السارق استرقاقه (فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه) اي بدأ يوسف في التفتيش بأوعيتهم لإزالة التهمة (ثم استخرجها) يعني السقاية (من وعاء أخيه) وإنما بدأ بأوعيتهم لأنه لو بدأ بوعاء أخيه لعلمو انه هو الذي جعلها فيه وإنما قال استخرجها لأنه أراد به السقاية وحيث قال ولن جاء به اراد به الصاع وقيل ان الصاع بذكر ويوث قالوا فاقبلوا على ابن يامين وقالوا له فضحتنا وسودت وجوهنا متى أخذت هذا الصاع فقال وضع هذا الصاع في رحلي الذي وضع الدرهم في رحالكم (كذلك كدنا ليوسف) اي مثل ذلك الكيد أمرنا يوسف ليكيد بما يتهيأ له ان يجبس أخاه ليكون ذلك سبباً لوصول خبره الى أبيه اي الهنا يوسف هذا الكيد والحيلة فجازيناهم على كيدهم يوسف اي كلفوا في الابتداء فعلنا بهم وقيل ان معنى كدنا صنعنا ليوسف عن ابن عباس وقيل الهنا عن الريح وقيل ديونا يوسف بدلالة قوله وفوق كل ذي علم عليم على انه سبحانه علم من صلاح هذا التدبير ما لم يعلمه غيره عن القتيبي (ما كان يأخذ أخاه سيف دين الملك الا ان يشاء الله) اي ما كان يمكنه ان يأخذ أخاه في حكم الملك وقضائه وان يجسه اذ لم يكن ذلك من حكم ملك مصر. وأهله عن قتادة وقيل في دين الملك في سلطانه عن ابن عباس وقيل في عادته في جزاء من سرق ان يستعبد وقيل انه كان عادلا ولولا هذه الحيلة لما كان يمكنه من أخذ أخيه الا ان يشاء الله ان يجعل ليوسف عذرا فيما فعل وقيل الا ان يشاء الله ان بأسره بذلك لأنه كان لا يمكنه ان يقول هذا أخي وكان لا يمكنه حبه من غير حيلة لأنه كان يكون فعله ظلما وكان من سنة آل يعقوب ان يسرق وفي حكم الملك وأهل مصر ان يضرب ويغرم وحبه يوسف على قولهم والتزم حكمهم الذي جرى على لسانهم مبالغة في نفي السرقة عن افسهم وكان ذلك مراده وقد شاء الله لأنه بأمره عن الحسن وإنما ساء كيدا لأنه لولا هذا السبب لم يتهيأ له أخذه والكيد ما يفعله فاعله ليوصل به الى غيره ضررا من حيث لا يعلمه اولينال منه شيئا من غير ان يعلمه (نرفع درجات من نشاء) بالعلم والنبوة كما رفعنا درجة يوسف على اخوته وقيل بالتقوى والتوفيق والعصمة والالطاف الجميلة (وفوق كل ذي علم عليم) يعني ان كل عالم فلان فوقه عالما اعلم منه حتى ينتهي الى الله تعالى العالم بجميع المعلومات لذاته فيقف عليه ولا يتعداه وفي هذا دلالة على بطلان قول من يقول ان الله سبحانه عالم بعلم قديم لأنه لو كان كذلك لكان فوقه عليم على ما يقتضيه الظاهر

قوله تعالى (٧٧) قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا والله اعلم بما تصفون (٧٨) قالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا فخذنا مكانه انا نراك من المحسنين (٧٩) قال معاذ الله اننا نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون (٨٠) فلما استئسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم ألم تعلموا ان اباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض حتى يأذن

لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ أَرْبَع آيَات

* اللغة *

اليأس قطع الطمع من الأمر يقال - بش يأس وأيس بأيس لغة واستعمل مثل استيأس واستأيس وروى ابو ربيعة عن البيهقي عن ابن كثير استيأسوا منه واستيأس الرسل وبش واستيأس بمعنى مثل سخر واستسخر وعجب واستعجب والتجوى القوم يتناجون الواحد والجمع فيه سواء قال سبحانه وقربناه نجيا وانما جاز ذلك لأنه مصدر وصف به والمتناجاة المسارة وأصله من التجوة وهو المرتفع من الأرض فإنه رفع السر من كل واحد الى صاحبه في خفية والتجوى يكون اسما ومصدرا قال سبحانه واذا هم نجوى اي يتناجون وقال في المصدر إنما التجوى من الشيطان وجمع النجى انجية قال «اني اذا ما القوم كانوا انجيه» وبرح الرجل يراحا اذا تنجى عن موضعه

- الاعراب -

قوله فأمرها يوسف في نفسه ولم يبيدها لهم قال الزجاج هذا اضمار على شريطة التفسير لأن قوله تعالى اتم شر مكانا بدل من ها في اسرها والمعنى فأمرها يوسف في نفسه قوله اتم شر مكانا قال ابو علي ان الاضمار على شريطة التفسير يكون على ضربين * احدهما * ان يفسر بفرد نحو نعم رجلا زيد فقولك رجلا تفسير للرجل الذي هو فاعل نعم وقد اضمر * والاخر * ان يفسر بجملة وأصل هذا يقع في الابتداء كقوله فإذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا وقل هو الله أحد المعنى القصة ابصار الذين كفروا شاخصة والامراة أحد ثم تدخل عوامل المبتدأ عليه نحو كان واخواتها وإن واخواتها فينتقل هذا الضمير من الابتداء بها كابتئذ سائر المبتدآت كقوله انه من يأتيه مجرما فإنها لا تعنى ابصار وقول الشاعر «وليس منها شفاء الداء مبذول» والذي ذهب أبو اسحاق فيه الى انه مضمر على شريطة التفسير ليس يمتدأ فيلزمه التفسير بالجملة الا ترى انها فضلة مذكورة بعد فعل وفاعل وهو قوله اسر فإذا كان مابنا لما اصله المبتدأ لم يجز ان يفسر تفسيره وايضا فإن المضمر على شريطة التفسير لا يكون الا متعلقا بالجملة التي يفسرها ولا يكون منقطعاً عنها ولا متعلقاً بجملة غيرها وما ذكره ابو اسحاق فالتفسير فيه منفصل عن الجملة التي فيها الضمير الذي زعم انه اضمار على شريطة التفسير فخرج بذلك عما يكون عليه الاضمار قبل التفسير فإن قلت فعل لم تحمل الضمير في اسرها قلنا يحتمل ان يكون اضماراً للجملة كما أنهم لما قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل أسر يوسف اجابهم في نفسه ولم يبيدها لهم في الحال وجاز اضمار ذلك لأنه دل ما تقدم من مقاتم عليه وجاز ان يكون اضماراً للمقالة كأنه أسر يوسف مقاتم لأن القول والمقالة واحد ويكون معنى المقالة المقول كما ان الخلق عبارة عن المخلوق اي اكنها في نفسه واوعاها ولم يطررها ارادة للتويخ عليها والمجازاة بها انتهى تلخيص كلام ابي علي وقوله شيخنا صفة الأب والكبير صفة الشيخ ومماذ الله منصوب على المصدر والعرب تقول معاذ الله ومعاذة الله وعودنا الله وعودا الله وعباد الله ويقولون اللهم عائذا بك اي ادعوك عائذا بك وان تأخذ في موضع نصب والمعنى اعوذ بالله من اخذ احد الامن وجدنا متاعنا عنده فلما سقطت من افضى العمل فنصب عن الزجاج وقوله انا إذا لظالمون فيه معنى الجزاء أي إن اخذنا غيره فتحن ظالمون ونجياً نصب على الحال وما في قوله ما فرطتم لغواي ومن قبل فرطتم ويجوز أن تكون مصدرية في موضع رفع بمعنى تنزيه بطم واقع من قبل فيكون ما فرطتم في يوسف في موضع رفع بالابتداء ومن قبل خبره ويجوز أن يكون في موضع نصب عطفاً على ان فيكون المعنى المتعلموا ان اباكم قد أخذ عليكم موثقا وتفریطكم في يوسف . ويجمك عطف على يأذن ويجوز ان يكون بمعنى الا ان اي لن ابرح الأرض الا ان يحكم الله لي

* المعنى *

ثم اخبر سبحانه عن اخوة يوسف انهم (قالوا) ليوسف (ان يسرق) ابن يامين (فقد سرق اخ له) من امه

(من قبل) فليست سرقة بأمر بديع فإنه اقتدى بأخيه يوسف واختلف فيها ودفوه به من السرقة على اقوال فقيل ان عمه يوسف كانت تحضنه بعد وفاة امه وتعبه حبا شديدا فلما ترعرع اراد يعقوب ان يسترده منها وكانت اكبر ولد اسحاق وكانت عندها منطقة اسحاق وكانوا يتوارثونها بالكبر فاحتالت وجاءت بالمنطقة وشدتها على وسط يوسف وادعت انه سرقتها وكان من سنتهم استرقاق السارق فحبسته بذلك السبب عندها عن ابن عباس والضحاك والجبائي وقد روي ذلك عن أمثنا عليهم السلام وقيل إنه سرق صنبا لجده من قبل امه فكرهه والقاه على الطريق عن سعيد بن جبير وقتادة وابن زيد وقيل إنه سرق دجاجة كانت في بيت يعقوب اويضة فأعطاهاسانلا فبيروه بها عن سفيان بن عيينة ومجاهد (فأسرها يوسف في نفسه) أي فأخفى يوسف تلك الكلمة التي قالوها (ولم يبدها لهم) أي لم يظهرها (قال انتم شر مكانا) في السرقة لأنكم سرقتم اخاكم من ابيكم (والله أعلم بالتصفون) أي والله أعلم اسرق اخ له ام لا عن الزجاجة ويكون للمعنى انتم اسروا حالا من يوسف فإنه لم يكن له صنيع في المنطقة وكان يتصدق باذن ابيه ولم تكونوا براء ما عاملتموه به وقيل معناه انتم شر صنيعا بما اقدمتم عليه من ظلم اخيكم وعقوق ابيكم فأنتم شر مكانا عند الله منه أي اسر هذه المقالة في نفسه ثم جهر بقوله والله اعلم بما تصفون قال الحسن لم يكونوا انبياء في ذلك الوقت وانما اعطوا النبوة بعد ذلك والصحيح عندنا انهم لم يكونوا انبياء لأن النبي عندنا لا يجوز ان يقع منه فعل القبيح اصلا وقال البلخي انهم كذبوا في هذا القول ولم يصح انهم كانوا انبياء وجوز أن يكون الاسباط غيرهم وأن يكونوا من اولادهم (قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فنخذ احدنا مكانه) أي بدلا عنه انما قالوا هذا لما علموا انه استحقه فألوه ان يأخذ عنه بدلا شفقة على والدم ورتقوا في القول على وجه الاسترحام ومعناه كبيرا في السن وقيل كبيرا في القدر لا يجس ابن مثله (انازك من المحسنين) إلى الناس وقيل من المحسنين البنا في الكيل ورد البضاعة وفي الضيافة ونحن نأمل هذا منك لإحسانك البنا وقيل ان فعلت هذا فقد احسنت البنا فأجابهم يوسف بأن (قال معاذ الله ان نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده) أي اعوذ بالله ان آخذ البري بجرم السقيم وقال من وجدنا متاعنا عنده ولم يقل من سرقتم تحرزاً من الكذب (انا إذا لظالمون) أي لو فعلنا ذلك لكننا ظالمين وفي هذا دلالة على ان اخذ البري بالمجرم ظلم ومن فعله كان ظلما والله تعالى ويجل عن ذلك علوا كبيرا (فلما استأسوا منه) أي فلما يش اخوة يوسف من يوسف ان يجيبهم إلى ما سألوه من تخليع سبيل ابن يامين معهم (خلصوا نجيا) أي اقرودوا عن الناس من غير أن يكون معهم من ليس منهم يتناجون فيما يعملون في ذهابهم إلى ابيهم من غير اخيهم ويتديرون في أنهم يرجعون أم يقيمون وتلخيصه اعترضوا عن الناس متناجين وهذا من الفاظ القرآن التي هي في الغاية القصوى من الفصاحة والابجاز في اللفظ مع كثرة المعنى (قال كبيرهم) وهو رويين وكان اسنم وهو ابن خالة يوسف وهو الذي نعى اخوته عن قتله عن قتادة والسدي والضحاك وكمب وقيل شمعون وهو كبيرهم في العقل والعلم لا في السن وكان رئيسهم عن مجاهد وقيل يهوذا وكان اعقلهم عن وهب والكلبي وقيل لادوي عن محمد بن اسحاق وعن علي بن ابراهيم بن هاشم (ألم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله) اراد به الوثيقة التي طلبها منهم يعقوب حين قال لن ارسله معكم حتى تؤثون موثقا من الله لنا نثني به فذكرم ذلك (ومن قبل ماقرطتم في يوسف) أي قصرتم في أمره وكنتم قد عاهدتم اباكم ان تردوه اليه سالما فنقضتم العهد (فلن ابرح الأرض) أي لا ازال بهذه الأرض ولا ازول عنها وهي ارض مصر (حتى بأذن لي ابني) في البراح والرجوع اليه (او يحكم الله لي) بالخروج وترك اخي هاهنا وقيل بالموت وقيل بما يكون عذرا لنا عند ابينا عن ابني مسلم وقيل بالسيف حتى احارب من حبس اخي عن الجبائي (وهو خير الحاكمين) لا يحكم إلا بالحق قالوا انه قال لم انا اكون هاهنا واحملوا انتم الطعام اليهم فأخبروهم بالواقعة قوله تعالى (٨١) ارجعوا إلى ابيكم ققولوا يا اباانا ان ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا

وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (٨٢) وَسئِلُ الْقَرْيَةِ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٨٣) قَالَ بَلْ سَوَّاتْ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٨٤) وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَوْسُفَ وَأَيُّضًا عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (٨٥) قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُنَا نَذْكَرُ يَوْسُفَ حَتَّىٰ نَكُونَ حَرَضًا أَوْ نَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (٨٦) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٧) يَا بَنِي إِذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَبْسُوْا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَبْسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ

سبع آيات

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قراءة ابن عباس سرق بضم السين وتشديد الراء وكسرهما وقراءة الحسن وفتادة وعمر بن عبدالعزيز من روح الله بضم الراء

— (الحجة) —

معنى سرق بضم السين نسب إلى السرقة فيكون من باب فسقه وفجره وشجعه إذا نسب إلى هذه الخلال وأما روح الله فيمكن أن يكون من الروح الذي هو من عند الله وبلغفه وهدابته ونعمته

﴿ اللفظة ﴾

القرية الأرض الجامعة لمساكن كثيرة وأصله من القرى وهو الجمع يقال قربت المساء في الحوض ونظيره البلدة والمدينة والعير قد مضى ذكر معناه والكظم اجتراح الحزن وهو أن يمسه في قلبه ولا يبسه إلى غيره ويقال ما زلت أفعل كذا وما فتئت أفعله افتاء فنأ قال اوس بن حجر يصف حرباً

فما فتأت خيل تثوب وتدعي ويلحق منها لاحق وتقطع

والحرض المشرف على الهلاك يقال رجل حرض وحارص أي فاسد سيف جسمه وعقله ومنه حرضته على كذا أمرته به لأنه إذا خالف الأمر فكأنه هلك واحرضه أي افسده قال العرجي

إني امرء لرج بي حب فأحرضني حتى بليت وحتى شفني السقم

والجرض لا يبني ولا يجمع لأنه مصدر والشكوى صفة ما عنده من البلوى يقال شكوته إلى فلان شكوى وشكابة وشكواء فأشكاني أي أعثنني من شكواي وأشكاني أيضاً أخرجني إلى الشكوى والبث الهم الذي لا يقدر صاحبه على كتمانته فيبثه أي يفرقه وكل شيء فرقه فقد بثته ومنه قوله وبث فيها من كل دابة والتجسس طلب الشيء بالحاسة والتجسس نظيره وفي الحديث لا تجسسوا ولا تجسسوا وقيل إن معناهما واحد ونسق أحدهما على الآخر لاختلاف اللفظين كقول الشاعر « متى أدن منه بدأ عني ويبعد » وقيل التجسس بالجمع البحث عن عورات الناس وبالهاء الاستماع لحديث قوم وسئل ابن عباس عن الفرق بينها قال لا يبعد أحدهما عن الآخر التجسس في الخير والتجسس في الشر والروح الراحة والروح الرحمة وأصل الباب من الربيع التي تأتي بالرحمة

الأعراب =

اسأل القرية أي أهل القرية وأهل العير فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه يا أسفى معناه يا حمرقي والأصل يا أسفى إلا أن باء الإضافة يجوز أن يبدل الفاء لظنة الألف والفتحة ويجوز أن يكون الف التبدية

ويكون معناه البيان ان الحال حال حزن فكأنه قال يا اسف هذا من اوانك وقوله على يوسف من صلة المصدر
فتأ معناه لا تفتأ حذف حرف التثنية لعلم السامع به كما في قول امرئ القيس

فقلت بيمين الله ابرح قاعدا
ولو ضربوا رأسي لديك واوصالي

وإنما جاز ذلك لأنه لا يجوز في القسم تأله تفعل حتى تقول تأله لتفعلن او تقول لا تفعل

المعنى

ثم اخبر سبحانه انه قال لهم كبيرهم سيفه السن او في العلم (ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا اباانا ان ابنك سرق)
في الظاهر (وما شهدنا) عندك بهذا (إلا بما علمنا) أي بما شهدنا من ان الصاع استخرج من رحله في الظاهر
وبين بهذا انهم لم يكونوا قاطعين على انه سرق وقيل معناه ما شهدنا عند يوسف ان السارق يسترق إلا بما علمنا
ان الحكم ذلك ولم نعلم ان ابنك سرق أم لا إلا انه وجد الصاع عنده فحكم بأنه السارق سيف الظاهر وإنما
قالوا ذلك حين قال يعقوب «ع» لهم ما يدري الرجل ان السارق يؤخذ بسرقة ويسترق وإنما علم ذلك بقولكم
(وما كنا للغيب حافظين) أي انا لم نعلم الغيب حين سألتك ان تبعث ابن يامين معنا ولم ندر ان امره يؤول
إلى هذا وإنما قصدنا به الخير ولو علمنا ذلك ما ذهبنا به عن مجاهد وقتادة والحسن وقال علي بن عيسى علم الغيب
هو علم من لو شاهد الشيء لشاهده بنفسه لا بأمر يستفيده والعالم بهذا المعنى هو الله وحده جل اسمه وقيل معناه
ما كنا لسر هذا الأمر حافظين وبه عالمين فلا ندري انه سرق أم كذبوا عليه وإنما اخبرناك بما شاهدنا عن
عكرمة وقيل معناه ما كنا لغيب ابنك حافظين أي انا كنا نحفظه في محضره وإذا غاب عنا ذهب عن حفظنا
يعنون انه سرق ليلا وهم نيام والغيب هو الليل بلغة حمير عن ابن عباس قال أي انا لم نعلم ما كان يصنع في
ليله ونهاره ومجيئه وذهابه (واسئل القرية) أي أهل القرية (التي كنا فيها) والقرية مصر عن ابن عباس والحسن
وقتادة ومعناه سل من شئت من أهل مصر عن هذا الأمر فإن هذا أمر شائع فيهم يخبرك به من سألكه وإنما
قالوا ذلك لأن بعض أهلها كانوا قد صاروا إلى الناحية التي كان فيها أبوهم والعرب تسمي الامصار والمدائن قرى
(والغير التي اقبلنا فيها) أي وسل أهل القافلة التي قدمنا فيها وكانوا من ارض كنعان من جيران يعقوب وإنما
حذف المضاف للإيجاز ولأن المعنى مفهوم وقيل انه ليس في الكلام حذف لأن يعقوب «ع» نبي صاحب
معجز يجوز أن تكلمه القرية والغير على وجه خرق العادة وإنما قالوا ذلك لأنهم كانوا أهل تهمة عند يعقوب
(وإنما لصادقون) فيما اخبرناك به (قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً) ههنا حذف كثير بدل الحال عليه تقديره
فلما رجعوا إلى أبيهم وقصوا عليه القصة بطولها قال لهم ما عندي ان الأمر على ما تقولونه بل سولت لكم أنفسكم
أمراً فيما أظن (فصبر جميل) أي فأمرني صبر جميل لا جزع معه (عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً) أي عسى الله
أن يأتيني يوسف وابن يامين وروويل او شمعون او لاوي او يهوذا (انه هو العليم) بعباده (الحكيم) في تدبير
الخلق (وتولى عنهم) أي انصرف واعرز عنهم بشدة الحزن لما بلغه خبر حبس ابن يامين وهاج ذلك وجدده
يوسف لأنه كان يسلى به (وقال يا أسنى على يوسف) أي يا طول حزني على يوسف عن ابن عباس وروي
عن سعيد بن جببر انه قال لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة ما لم يعط لأنبيا قبلهم وإنما الله وإنما اليه راجعون
ولو اعطيا الأنبيا لأعطيا يعقوب إذ يقول يا أسنى على يوسف (وايبضت عيناه من الحزن) والبكاء ولما كان
البكاء من أجل الحزن أضاف يباض البصر اليه وسئل الصادق «ع» ما بلغ من حزن يعقوب على يوسف قال
حزن سبعين حري تكلى قيل كيف وقد اخبر انه يرد عليه فقال أنسى ذلك وقيل انه عمي ست سنين عن مقاتل
وقيل انه اشرف على العمى فكان لا يرى إلا شيئاً سيراً (فهو كظيم) والكظيم ههنا بمعنى الكاظم وهو المحلوم
من الهم والحزن الممسك للغيظ لا يشكوه لأهل زمانه ولا يظهره بلسانه ولذلك لقب موسى بن جعفر عليها السلام

الكافظم لكثرة ما كان يتجرع من الفيظ والغم طول ايام خلافته لأبيه في ذات الله تعالى وقال ابن عباس هو المغموم المكروب (قالوا) اي قال ولد يعقوب لأبيهم (تالله تفتؤ نذكر يوسف) اي لا تزال تذكر يوسف (حتى تكون حرضا) اي دقا فاسد العقل عن ابن عباس وابن اسحاق وقيل قريبا من الموت عن مجاهد وقيل هربا باليا عن قتادة والضحاك (او تكون من الهالكين) أي الميتين وإنما قالوا ذلك اشفاقا عليه وتعطفوا ورحمة له وقيل انهم قالوا ذلك تبرما بىكائه إذ تنص عيشهم بذلك (قال) يعقوب في جوابهم (إنما اشكو بشي) أي همي عن ابن عباس وقيل حاجتي عن الحسن (وحزني إلى الله) المعنى إنما اشكو حزني وحاجتي واختلال حالي واتشارها إلى الله في ظلم الليالي واوقات خلواتي لا اليكم وقيل البث ما أبداه والحزن ما أخفاه وروي عن النبي ﷺ ان جبرائيل أتاه فقال يا يعقوب ان الله بقرأ عليك السلم ويقول ابشر وليفرح قلبك فوعزني لو كانا ميتين لنشرتها لك اصنع طعاما للمساكين فإن أحب عبادي إلى المساكين او تدري لم أذهبت بصرك وقوست ظهرك لأنكم ذبحتم شاة وانا كم مسكين وهو صائم فلم تطعموه شيئا فكان يعقوب بعد ذلك إذا أراد الغذاء امر مناديا يتنادي ألا من اراد الغذاء من المساكين فليتخذ مع يعقوب وإذا كان صائما امر مناديا فتنادي ألا من كان صائما فليفطر مع يعقوب رواه الحاكم ابو عبد الله الحافظ في صحيحه (واعلم من الله ما لا تعلمون) اي واعلم صدق رؤيا يوسف واعلم انه حي وانكم سنجدون له كما اقتضاه رؤياه عن ابن عباس وقيل واعلم من رحمة الله وقدرته (ما لا تعلمون) عن عطاء وفي كتاب النبوة بالاسناد عن سدير الصيرفي عن ابي جعفر الباقر «ع» قال ان يعقوب دعا الله سبحانه في ان يهبط عليه ملك الموت فأجابه فقال ما حاجتك قال اخبرني هل مر بك روح يوسف في الأرواح فقال لا فعلم انه حي فقال (يا بني اذهبوا فتحسوا من يوسف وأخيه) ابن يامين وقيل انهم لما اخبروه بسيرة الملك قال لعله يوسف عن السدي فلذلك قال يا بني اذهبوا فتحسوا من يوسف واخيه ابن يامين اي استخبروا من شأنها واطلبوا خبرهما وانظروا ان ملك مصر ما اسمه وعلى أي دين هو فإنه التي في روعي ان الذي حبس ابن يامين هو يوسف وإنما طلبه منكم وجعل الصاع في رحله احتيالا في حبس اخيه عند قسه (ولانياسوا من روح الله) اي لا تقنطوا من رحمته عن ابن عباس وفتادة والضحاك وقيل من الفرج من قبل الله عن ابن زيد والمعنى لا تياسوا من الروح الذي يأتي به الله (انه لا يياس من روح الله إلا القوم الكافرون) قال ابن عباس يريد ان المؤمن من الله على خير يرجوه في الشدائد والبلاء وبشكره وبمحمده في الرخاء والكافر ليس كذلك وفي هذا دلالة على ان الفاسق الملي لا يأس عليه من رحمة الله بخلاف ما يقوله اهل الوعيد

﴿سؤال﴾ كيف خفي اخبار يوسف على يعقوب في المدة الطويلة مع قرب المسافة وكيف لم يعلمه يوسف بخبره لتسكن نفسه ويزول وجده

﴿الجواب﴾ قال الجبائي العلة في ذلك انه حمل إلى مصر فبيع من عزيز فالزمه داره ثم لبث في السجن بضع سنين فانقطعت اخبار الناس عنه فلما تمكن احتال في إيصال خبره بأبيه على الوجه الذي امكنه وكان لا يأمن لو بث رسولا اليه ان لا يمكنه اخوته من الوصول اليه وقال المرتضى قدس الله روحه يجوز ان يكون ذلك له ممكنا وكان عليه قادرا لكن الله سبحانه أوحى اليه بأن يعدل عن اطلاعه على خبره تشديداً للمحنة عليه والله سبحانه ان يصعب التكليف وان يسهل

قوله تعالى (٨٨) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلُنَا الضَّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٩) قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَتَمْتُمْ جَاهِلُونَ (٩٠) قَالُوا أَهْ نَكَ لَأَنْتَ بُوْسُفُ قَالَ أَنَا بُوْسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ

مَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ بَتَّى وَبَصِيرٌ فَإِنَّ اللَّهَ لَا بَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩١) قَالُوا تَأْتِيهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩٢) قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٣) أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ

ست آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو جعفر وابن كثير انك لأنت يوسف بكسر المعزة وقرأ نافع ويعقوب غير زيد وسهل انك بفتح المعزة غير ممدود وقرأ أبو عمرو وقالون عن نافع وزيد عن يعقوب أنك بالمد وقرأ الباقون أنك بهمزتين وفي الشواذ قراءة أبي انك أو أنت يوسف وقرأ ابن كثير وحده من بتقي ياء في الوصل والوقف والباقيون بغير ياء فيها - (اللمحة) -

بدل على الاستفهام قوله أنا يوسف وإنما أجابهم عما استنهموا عنه قال أبو الحسن في قوله وتلك نعمة تمنها علي انه على الاستفهام كأنه قال أو تلك نعمة فيجوز أن يكون من قرأ انك على هذا فيكون القراءة ان متفتحين وقلما يحذف حرف الاستفهام فأما في القراءة فإنه يجري على مذهبه في اجتماع الميزتين وقد تقدم القول في ذلك وأما قراءة أبي فيكون على حذف خبر ان كأنه قال انك لغير يوسف أو أنت يوسف قال ابن جني فكأنه قال بل أنت يوسف فلما خرج مخرج التوقف قال أنا يوسف وقد جاء عنهم حذف خبر ان قال الاعشى

ان حلا وان مرتحلا وان في السفر إذ مضوا مهلا

أراد ان لنا محلا وان لنا مرتحلا قال أبو علي قوله من بتقي لا يجعل على نحو قول الشاعر «ألم يأتيك والآباء تسمى» لأن هذا ونحوه إنما يجيء في الشعر ولكن تجعل من موصولة فيكون بمنزلة الذي بتقي ويحمل المطفوف على المعنى لأن من بتقي إذا كان من منزلة الذي بمنزلة الجزء الجازم بدلالة ان كل واحد منها يصلح دخول الغاء في جوابه فإذا اجتمعا في ذلك جاز أن يعطف عليه كما يعطف على الشرط المجزوم لكونه بمنزلة يباذ كراهه ومثل ذلك قوله فأصدقي واكن حملت واكن على موضع الغاء ومثله قول من قرأ ويذرهم في طفياهم جزما ويجوز أن تقدر الضمة في قوله وبصير وتحذفها للاستخفاف كما يخفف نحو عضد وسبع وجاز هذا في حركة الاعراب كجوازها في حركة البناء وزعم أبو الحسن انه سمع رسلنا لديهم يكتبون بأسكان اللام من رسلنا ويقوي ذلك قراءة من قرأ وبتقه ألا ترى انه جعل تقه بمنزلة كتف وعلم فاسكن فكذلك يسكن على هذا وبصير

﴿ اللغة ﴾

الاجزاء في اللغة السوق والدفع قليلا قليلا ومنه قوله يزجي سحابا قال النابغة

وهبت الريح من تلقاء ذي ارك تزجي مع الليل من صرادها صرما

وفلان يزجي العيش أي يدفع بالليل ويكتفي به قال الاعشى

الواهب المائة الهجان وعبدها عودا يزجي خلفها اطفالها

أي يدفع وقال آخر «وحاجة غير مزجاة من الحاج» وإنما قيل يضاعة مزجاة لأنها يسيرة ناقصة وإنما يجوز ذلك على دفع من أخذها والمن النعمة وأصله القطع لأنها تقطع المنعم عليه من حال يؤسه والإيثار تفضيل احد الشئيين على الآخر ونظيره الاختيار والاجتباء وتفضيه الإيثار عليه وأصله من الأثر فإنه يؤثر من له أثر جميل والأثر الاخبار يقال أثر بأثر والمأثرة المكرمة لأنها تؤثر والخطأ ضد الثواب يقال خطأ الرجل بخطأ

خطأ وخطأ فهو خاطئ واحطى بخطأ اخطأ فهو مخطئ قال امرؤ القيس

يا لهف هند إذ خطئن كاهلا القاتلين الملك الحلا حلا

التثريب التويخ يقال ثرب وأثرب وثرب عن ابن الأعرابي وقيل التثريب اللوم والافساد والتقريب بالذنب قال ابو عبيدة وأصله الافساد وأنشد

فعفوت عنهم عفو غير مثرب وتركتهم لعقاب يوم سرمد

وقال ثعلب ثرب وأثرب فلان على فلان أي عدد عليه ذنوبه وقال ابو مسلم هو مأخوذ من الثرب وهو شحم الجوف فكأنه موضوع للمبالغة في اللوم والتعنيف والبلوغ بذلك إلى أقصى غاياته

✽ الاعراب ✽

هل علمتم استقهام والمراد به التقرير ما فعلتم يوسف تقديره أي شيء فعلتم يوسف فكان ما سيفه موضع نصب والجملة معلقة بعلمتم وقوله فإن الله لا يضيع أجر المحسنين في موضع الجزم بأنه جواب الشرط وذكر المحسنين ناب عن الضمير العائد إلى من لأن الانتقاء والصير في معنى الإحسان فكأنه قال لا يضيع جزاءه لأن يوسف هذه لام الابتداء وأنت مبتدأ ويوسف خبره والجملة خبره ان ويجوز ان يكون انت فصلا كما علمت فيما تقدم وقوله لا تثريب عليكم نكرة مفردة مبنية مسع لا على الفتح ولا يجوز أن يتعلق عليكم به إذ لو كان كذلك لكان مشتبهاً بالمضاف من حيث يكون عاملاً فيما بعده ويكون عليكم من تمامه وكان يجب أن يكون منصوباً متوناً كما تقول لا مرورا يزيد عندك وإذا عرفت هذا فإن عليكم ههنا فيه وجهان **✽ احدهما ✽** ان يكون في موضع الخبر على تقدير لا تثريب بثبت عليكم او ثابت عليكم ثم حذف ذلك وانتقل الضمير منه إلى عليكم حيث سد مسده **✽ والآخر ✽** أن يتعلق بمضمر ذلك المضمر وصف لتثريب وعلى هذا فيجوز فيه وجهان **✽ احدهما ✽** أن يكون في محل رفع تقديره لا تثريب ثابت عليكم كما تقول لا رجل ظريف **✽ والآخر ✽** أن يكون في محل نصب تقديره لا تثريب ثابتاً عليكم كما تقول لا رجل ظريف ثم حذف الصفة وقام الظرف مقامه ويكون اليوم على هذا الوجه خبر لا وعلى الوجه الأول يجوز أن يكون خبراً بعد خبر ويجوز أن يكون متعلقاً بالضمير الذي في الخبر ويجوز ان يكون قد تم الكلام عند قوله عليكم وتعلق اليوم بما بعده فيكون تقديره اليوم يقر الله لكم وهذا اختيار الأخصس وهكذا الكلام في قوله لا ريب فيه

(- المعنى -)

ولما قال يعقوب لبنيه اذهبوا فتجسسوا من يوسف واخيه خرجوا إلى مصر (فلما دخلوا عليه) أي على يوسف (قالوا يا ايها العزيز مسنا وأهلنا الضر) أي اصابنا ومن يختص بنا الجوع والحاجة والشدة من السنين الشداد القحاط وقيل انهم شكروا ما نالهم من هلاك مواشيهم والبلاء الذي اصابهم (وجئنا ببضاعة مزجاة) أي ندافع بها الأيام ونتقوتها وليست ما يتسع به وقيل رديئة لا تؤخذ إلا بوكس عن ابن عباس والجبائي وقيل قليلة عن الحسن ومجاهد وقادة وابن زيد والبيهاسم واختلاف في تلك البضاعة فقيل كانت دراهم رديئة زيوفا لا تنفق في ثمن الطعام عن عكرمة عن ابن عباس وقيل كانت خلق الفرارة والحبل ورث المتاع عن ابن ابي مليكة عنه وقيل كانت متاع الاعراب الصوف والسنن عن عبد الله بن الحرث وقيل الصنوبر والحبة الخضراء عن الكلبي ومقاتل وقيل دراهم فسول عن سعيد بن جبير وقيل كانت اقلنا عن الحسن وقيل النعال والأدم عن الضحاك وعنه ايضا انها سويق المقل (فأوف لنا الكيل) كما كنت توفي في السنين الماضية ولا تنظر إلى قلة بضاعتنا في هذه السنة (وتصدق علينا) أي ساحتنا بما بين التقدين وسمرانا بالردي كاتسمر بالجيد وقيل معناه تصدق علينا برد اخينا عن ابن جريج والضحاك (إن الله يجزي المتصدقين) أي يشبههم على صدقاتهم بأفضل منها وفي كتاب النبوة

منكم ما تقدم من ذنبكم وقيل في صنيعه بي حتى جعلني ملكا وقيل اراد باليوم الزمان فتدخل فيه الاوقات كلها كما قال الشاعر

فاليوم يرحمنا من كان يغبطنا واليوم نتبع من كانوا لنا تبعا

وقيل ان الكلام قد تم عند قوله لا تقرب عليكم ثم ابتداء بقوله اليوم يغفر الله لكم وهو دعاء لهم (اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه ابي يأت بصيرا) قيل انه ع^ع لما عرفهم نفسه سألمهم عن ابيه فقال ما فعل ابي بعدي قالوا ذهبت عيناه فقال اذهبوا بقميصي هذا واطرحوه على وجهه بعد بصيرا كما كان من قبل قال ابن عباس يأت بصيرا يرتد بصيرا ويذهب البياض الذي على عينيه (واتوني بأهلكم أجمعين) إذا عاد بصيرا وهذا كان معجزا منه إذ لا يعرف انه يعود بصيرا بل لقاء القميص على وجهه إلا بالرحي وقيل ان يوسف قال إنا بذهب بقميصي من ذهب به اولا فقال يهوذا انا ذهبت به وهو ملطخ بالدم فأخبرته انه أكمله الذئب قال فاذهب بهذا ايضا واخبره انه حي وافرحة كما حزته فحمل القميص وخرج حافيا حاسرا حتى اتاه وكان معه سبعة ارغفة وكانت مسافة بينهما ثمانين فرسخا فلم يستوف الأربعة في الطريق وقد ذكرنا شأن القميص من قبل وروى ايضا الواحدي باسناده يرفعه إلى أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال ان نمرود الجبار لما التقى ابراهيم في النار نزل اليه جبرائيل بقميص من الجنة وطنفسة من الجنة فألبسه القميص واقعدته على الطنفسة وقعد معه يتحدث فكسا ابراهيم ذلك القميص اسحاق وكساه اسحاق يعقوب وكساه يعقوب يوسف فجعله في قبة من فضة وعلقها في عنقه فألقى في الحب والقميص في عنقه فذلك قوله اذهبوا بقميصي هذا وقال ابن عباس اخرج لهم قبة من فضة كانت في عنقه لم يعلم بها اخوته فيها قميص وهو الذي نزل به جبرائيل على ابراهيم وذكر القصة وقال مجاهد امره جبرائيل ان يرسل اليه قميصك فان فيه ريح الجنة لا يقع على ميتي ولا سقيم إلا صح وعوفي

قوله تعالى (٩٤) وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعَيْرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُون (٩٥)
قَالُوا نَأْتِيهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ (٩٦) فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا
قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٩٧) قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (٩٨) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ خمس آيات

﴿ التمة ﴾

الفصل أصله القطع ومنه قيل للحاكم فيصل لأنه يقطع الأمور والتفنيذ تضعيف الرأي قال
يا صاحبي دعا لومي وتفنيدي فليس ما فات من أمر بردود
والفند ضعف الرأي وقيل ان أصله الفساد قال النابغة
إلا سليمان إذ قال المليك له قم في البرية فأحددها عن الفند
أي امنعها عن الفساد

﴿ المعنى ﴾

(ولما فصلت العير) أي لما خرجت القافلة وانفصلت من مصر متوجهة نحو الشام (قال ابوهم) يعقوب لا وولد أولاده الذين كانوا عنده (إني لأجد ريح يوسف) روي عن ابي عبد الله (ع) قال وجد يعقوب ريح قميص يوسف حين فصلت العير من مصر وهو بفلسطين من مسيرة عشر ليال وقيل من مسيرة ثمانين ليال عن ابن عباس وقيل من ثمانين فرسخا عن الحسن وقيل مسيرة شهر عن الأصم قال ابن عباس هاجت ريح فحملت بريح قميص يوسف

بالاستناد عن الحسن بن محبوب عن ابي اساميل الفراء عن طربال عن ابي عبد الله (ع) في خبر طويل أن يعقوب كتب إلى يوسف بسم الله الرحمن الرحيم إلى عزيز مصر ومظهر العدل وموفي الكيل من يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم خليل الرحمن صاحب نمود الذي جمع له النار ليحرقه بها فجعلها الله عليه برداً وسلاماً والنجاه منها أخبرك ايها العزيز انا اهل بيت لم يزل البلاء الينا سريعاً من الله ليلونا عند السراء والضراء وأن المصائب تتابعت علي عشرين سنة اولها انه كان لي ابن سيته يوسف وكان سروري من بين ولدي وقررة عيني وثمرة فؤادي وأن اخوته من غير امه سألتوني أن ابشيه معهم يرتع ويلعب فبعثته معهم بكرة فجاؤني عشاء يسكون وجاءوا على قميصه بدم كذب وزعموا أن الذئب اكله فاشتد لفقدته حزني وكثر عن فراقه بكائي حتى ابيضت عيني من الحزن وانه كان له اخ وكنت به معجباً وكان لي ائيسا وكنت إذا ذكرت يوسف ضمته إلى صدري فسكن بعض ما اجد في صدري وأن اخوته ذكروا لي انك سألتهم عنه وأمرتهم ان يأتوك به فإن لم يأتوك به منعتهم الميرة فبعثته معهم ليمتاروا لنا قمحاً فرجعوا الي وليس هو معهم وذكروا انه سرق مكيال الملك ونحن اهل بيت لا نسرق وقد حبسته عني وفعمتني به وقد اشتد لفراقه حزني حتى تقوس لذلك ظهري وهظمت به مصيبتني مع مصائب تتابعت علي فمن علي بتخليه سيله واطلاقه من حبسك وطيب لنا القمح واسمح لنا في السعر وارف لنا الكيل ومجل سراح آل ابراهيم قال فمضوا بكتابه حتى دخلوا على يوسف في دار الملك وقالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر إلى آخر الآية وتصدق علينا بأخيها ابن يامين وهذا كتاب ايها يعقوب اليك في امره يسألك تخليه سيله فمن به علينا فأخذ يوسف كتاب يعقوب وقبله ووضع على عينيه وبكى وانتحب حتى بلت دموعه القميص الذي عليه ثم اقبل عليهم (وقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه) ومعناه انه قال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف من اذلاله وابماده عن ابيه واقائه في البشر والاجتماع على قتله ويبيعهمشمن وكس وما فعلتم بأخيه من افراذه عن يوسف والتفريق بينها حتى صار ذليلاً فيا بينكم لا يكلمكمم إلا كما يكلم الذليل العزيز وإنما لم يذكر اياه يعقوب مع عظم ما دخل عليه من النعم لفراقه تعظيماً له ورفعاً من قدره وعلماً ان ذلك كان بلاء له ليزداد به علو الدرجة ورفعة المترة عند الله تعالى قال ابن الانباري هذا استفهام يعني به تعظيم القصة ومعناه ما اعظم ما ارتكبتم وما اتحب ما اتيتم من قطيعة الرحم وتضييع حقه كما يقول الرجل هل تدري من عصيت وفي هذه الآية مصداق قوله لتبئنههم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون وقوله (إذ انتم جاهلون) اي صبيان عن ابن عباس وقيل شبان عن الحسن ومعناه فعلتم ذلك حين كنتم جاهلين جاهلية الصبي في عنفوان الشباب حين يغلب على الانسان الجهل ولم ينسبهم إلى الجهل في حال الخطاب لانهم كانوا تائبين ناديين في تلك الحال وكان هذا تلقيناً لهم لما يتذكرون به اليه وهذا هو الناية في الكرم إذ صفع عنهم ولقنهم وجه العذر وقالوا أأنك لأنت يوسف قيل ان يوسف لما قال لهم هل علمتم الآية تبسم فلما ابصروا ثنياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم شبهوه بيوسف (وقالوا) له (إنك لأنت يوسف) من ابن عباس وقيل رفع التاج عن رأسه فرفوه (قال أنا يوسف) اظهر الاسم ولم يقل انا هو تعظيماً لما وقع به من ظلم اخوته فكانه قال انا المظلوم المستحل منه المعرم المراد قتله فكفى ظهور الاسم من هذه الممانتي عن ابن الانباري قال ولهذا قال (وهذا اخي) لأن قصده وهذا المظلوم كظلمي (قد من الله علينا) بالاجتماع بعد طول الفرقة وقيل من الله علينا بكل خير في الدنيا والآخرة (انه من يتق) اي يتق الله (ويصبر) على المصائب وعن المصافي (فلأن الله لا يضيع اجر المحسنين) اي اجر من كان هذا حاله والضياع ذهاب الشيء من غير عوض (قالوا تالله) اي اقسموا بالله سبحانه (لقد آتاك الله علينا) اي فضلك واختارك الله علينا بالحلم والعلم والعقل والحسن والملك (وإن كنا لحاطئين) اي ما كنا إلا مخطئين أكثين فيا فعلنا وهذا يدل على انهم ندموا على ما فعلوا ولم يصرروا عليه (قال) يوسف (لا تثريب عليكم اليوم) اي لا تعبير ولا توبيخ ولا تعريب عليكم الآن فيا فعلتم (ينفر الله لكم) ذنوبكم فلاني استغفر الله لكم (وهو ارحم الراحمين) في غفوه

إلى يعقوب وذكر في القصة ان الصبا استأذنت ربها في أن تأتي يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير بالقبص
فأذن لها فأته بها ولذلك يستروح كل محزون بريح الصبا وقد أكثر الشعراء من ذكرها فمن ذلك قولهم

فإن الصبا بريح إذا ما تنسمت
على نفس مهموم تجلت هووما
وقول أبي الصخر الهذلي

إذا قلت هذا حين اسلو يهيجني
نسيم الصبا من حيث أن يطلع الفجر

وقوله (لولا أن تفندون) معناه لولا أن تسفهوني عن ابن عباس ومجاهد وقيل لولا أن تضعفوني في الرأي
عن ابن اسحاق وقيل لولا أن تكذبوني والفند الكذب عن سعيد بن جبير والسدي والضحاك وروي ذلك أيضا
عن ابن عباس وقيل لولا أن تهرمني عن الحسن وقتادة أي تقولون انه شيخ قد هرم وخرف وذهب عقله وتقديره
اني اقطع انها ريح يوسف لولا أن تفندون (قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم) أي قالوا له اشفاقا عليه وترحما
انك لفي ذهابك القديم من الصواب في حب يوسف (ع) وانه كان عندهم ان يوسف قد مات منذ سنين ولم يريدوا
بذلك الضلال عن الدين وانما ارادوا به المبالغة في حب يوسف والاماني الفاسدة فيا كان يرجو من عوده بعد موته
عن قتادة والحسن وقيل معناه انك لفي شقائك القديم عن مقاتل وفي هذا دلالة على ان لفظ القديم قد يطلق في
اللغة على المتقدم في الوجود (فلما ان جاء البشير) وهو يهوذا عن ابن عباس وفي رواية أخرى عنه انه مالك بن
ذمر (القاء على وجهه فارتد بصيرا) أي القى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب فعاد بصيرا قال الضحاك عاد
اليه بصره بعد العمى وقوته بعد الضعف وشبابه بعد الهرم وسروره بعد الحزن فقال للبشير ما أدري ما أتيتك به
هون الله عليك سكرات الموت (قال) يعقوب لهم (ألم أقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون) أي اني
كنت اعلم ان الله يصدق رؤيا يوسف ويكشف الشدائد عن أنبيائه بالصبر وكنتم لا تعلمون ذلك قال الحسن
كان الله سبحانه أعلمه بجياته ولم يعلمه بكاته (قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين) فيا فلما (قال)
يعقوب (سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم) إنما لم يستغفر لهم في الحال لأنه أخرهم إلى سحر
ليلة الجمعة عن ابن عباس وطاوس وروي ذلك عن أبي عبد الله (ع) وقيل أخرهم إلى وقت السحر لأنه اقرب
إلى إجابة الدعاء عن ابن مسعود وابراهيم التيمي وابن جريج وروي أيضا عن أبي عبد الله (ع) وقيل انه كان
يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة عن وهب وقيل انه كان يقوم ويصلي اولاده خلفه عشرين سنة يدعو
ويؤمنون على دعائه واستغفاره لهم حتى نزل قبول توبتهم وروي ان أبا جبرائيل (ع) علم يعقوب هذا الدعاء يارجا
المؤمنين لا تخيب رجائي ويا غوث المؤمنين أغثني ويا عون المؤمنين اعني ويا حبيب الترابين تب علي واستجب لهم

قوله تعالى (٩٩) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ

آمِينَ (١٠٠) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ
قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رُبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ
نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (١٠١) رَبِّ قَدْ
آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ (١٠٢) ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ النَّبِيِّ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ

لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ أربع آيات

* الإعراب *

دخول من في قوله من الملك ومن تأويل الأحاديث جائز أن يكون للتبعض فيكون المراد آتيتني بعض الملك وعلتني بعض تأويل الأحاديث وجائز أن يكون للتيين هذا الجنس من سائر الاجناس فيكون المعنى آتيتني الملك وعلتني التأويل عن الزجاج قال وقوله توّقي الملك من تشاء وتزعج الملك ممن تشاء ويدل على ان من هاهنا تبيين الجنس ومثله قوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان اي الرجس الذي هو وثن فاطر السماوات والأرض منصوب على وجهين ﴿١﴾ احدها ﴿٢﴾ ان يكون على الصفة لقوله رب لأن المعنى ياربي فهو نداء مضاف في موضع نصب فيكون فاطر السماوات صفة له وجائز أن ينتصب على انه نداء ثان على تقدير يافطر السماوات وذلك في موضع رفع بالابتداء ويكون خبره من انباء الغيب ويكون نوحيه اليك خبرا ثانيا وإن شئت جعلت نوحيه هو الخبر وجعلت ذلك في معنى الذي وقوله من انباء الغيب صلته

— المعنى —

(فلما دخلوا على يوسف) هاهنا حذف تقديره فلما خرج يعقوب وأهله من ارضهم واتوا مصر دخلوا على يوسف وفي حديث ابن محبوب باسناده عن لبي جعفر (ع) أن يعقوب قال لولده تمحلوا إلى يوسف من يومكم هذا بأهلكم اجمعين فساروا اليه ويعقوب معهم وخالة يوسف ام يامين فحشوا السير فرحا وسرورا تسعة أيام إلى مصر فلما دخلوا على يوسف في دار الملك اعتنق أباه وقبله وبكى ورفع ورفع خاله على سرير الملك ثم دخل منزله واكتحل وادهن ولبس ثياب العز والملك فلما رأوه سجدوا جميعا اعظاما له وشكراً لله عند ذلك ولم يكن يوسف في تلك العشرين سنة يدهن ولا يكتحل ولا يتطيب حتى جمع الله بينه وبين ابيه واخوته وقيل ان يوسف بعث مع البشير مائتي راحلة مع ما يحتاج اليه في السفر وسألهم أن يأتوه بأهلهم اجمعين فلما دنا يعقوب من مصر تلقاه يوسف في الجند وأهل مصر فقال يعقوب يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا ابنك ثم تلاقيا قال الكاهني على يوم من مصر فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه بدأ يعقوب بالسلام فقال السلام عليك يا مذهب الأحرار وفي كتاب النبوة بالاسناد عن محمد بن ابي عمير عن هشام بن سالم عن ابي عبد الله (ع) قال لما أقبل يعقوب إلى مصر خرج يوسف ليقبله فلما رآه يوسف هم بأن يترجل له ثم نظر إلى ما هو فيه من الملك فلم يفعل فلما سلم على يعقوب نزل عليه جبرائيل فقال له يا يوسف إن الله جل جلاله يقول منعك ان تنزل إلى عبدي الصالح ما انت فيه ابسط يدك فبسطها فخرج من بين اصابعه نور فقال ما هذا يا جبرائيل قال هذا انه لا يخرج من صدك نبي ابداً يعقوب بما صنعت بيعقوب إذ لم تنزل اليه وقوله (آوى اليه ليويه) اي ضمها اليه وأنزلها عنده وقال أكثر المفسرين انه يعني بأبويه اباه وخالته فسمى الخالة أما كما سمي العم ابا في قوله وإله آبائك ابراهيم واسماعيل وذلك ان أمه كانت قد ماتت في نفاسها بابن يامين فتزوجها ابوه وقبله يريد اباه وأمه وكانا حين عن ابن اسحاق والجبائي وقيل ان راحيل أمه نشرت من قبرها حتى سجدت له تحقيقاً للرواية عن الحسن (وقال) لهم قبل دخولهم مصر (ادخلوا مصر إن شاء الله آمين) والاستثناء يعود إلى الآمن وإنما قال آمين لأنهم كانوا فيما خلا يخافون ملوك مصر ولا يدخلونها إلا ببجوازم قال وهب انهم دخلوا مصر وهم ثلاثة وسبعون إنساناً وخرجوا مع موسى وهم ستائة الف وخمس مائة وبضع وسبعون رجلاً (ورفع ابويه على العرش) أي رفعها على سرير ملكه اعظاماً لها والعرش السرير الرفيع عن ابن عباس والحسن وقنادة (وخرروا له سجداً)

اي انحطوا على وجوههم وكان تحية الناس بعضهم لبعض يومئذ السجود والانحناء والتكفير عن قتادة ولم يكونوا
نهوا عن السجود لغير الله في شريعتهم فأعطى الله تعالى هذه الأمة السلام وهي تحية أهل الجنة عجلها لهم قال
اعشى بن ثعلبة

فلما أتانا بعيد الكرى سجدنا له ورفعنا العمارا

وكان من سنة التعظيم يومئذ ان يسجد للمعظم من الزجاج وقيل كان سجودهم كهينة الركوع كما يفعل
الأمم عن الكلبي وقيل ان السجود كان لله تعالى شكرانه كما يفعله الصالحون عند تجدد النعم والهبة في قوله
له عائدة الى الله تعالى اي سجدوا لله تعالى على هذه النعمة وتوجهوا في السجود اليه كما يقال صلى للقبلة ويراد
به استقبالها عن ابن عباس وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) قال علي بن ابراهيم وحدثني محمد بن عيسى بن عبيد
ابن يقطين ان يحيى بن اكرم سأل موسى بن محمد بن علي بن موسى مسائل فعرضها على ابي الحسن علي بن محمد
(ع) فكان احداها ان قال اخبرني اسجد يعقوب وولده يوسف وهم انبياء فأجاب ابو الحسن عليه السلام
اما سجود يعقوب وولده فإنه لم يكن ليوسف وانما كان ذلك منهم طاعة لله وتحية ليوسف كما ان السجود من
الملائكة لآدم كان منهم طاعة لله وتحية لآدم فسجد يعقوب وولده يوسف معهم شكرا لله تعالى لاجتماع شملهم
لم تر انه يقول في شكره في ذلك الوقت رب قد آتيتني من الملك الآية الخبر بتامه (وقال) يوسف (يا أبت
هذا تأويل روياي) اي هذا تفسير روياي وتصديق روياي التي رأيتها (من قبل قد جعلها ربي حقا) اي صدقا
في اليقظة وقيل كان بين الرويا وتأويلها ثمانون سنة عن الحسن وقيل سبعون سنة عن عبد الله بن شوذب وقيل
اربعون سنة عن سلمان الفارسي وعبد الله بن شداد وقيل اثنتان ومشرون سنة عن الكلبي وقيل ثمانين سنة
عن ابن اسحق قال ابن اسحق وولد ليوسف من امرأة العزيز افرام وميشا ورحمة امرأة ايوب وكان بين يوسف
وبين موسى اربعمائة سنة (وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن) اي وقد احسن ربي الي حيث اخرجني من
السجن وانعم علي به (وجاء بكم من بلدو) اي من البادية فالوهم كانوا يسكنون البادية ويرعون اغنامهم
فيها فكانت مواشيم قد هلكت في تلك السنين بالقطع فأغنامهم الله تعالى بصيرهم الي يوسف وانا بدأ (ع) بالسجن
في تعداد نعم الله دون اخراجهم من الجب كرما لئلا يبدأ بصنيع اخوته به وقيل لأن نعم الله تعالى في اخراجهم
من السجن كانت اكثر ولأن السجن طالت مدته وكثرت محنته (من بعد ان نزع الشيطان بيني وبين اخوتي)
اي من بعد ان افسد الشيطان بيني وبين اخوتي وحرش بيني وبينهم وقال ابن عباس معناه دخل بيننا بالحسد
(ان ربي لطيف لما يشاء) اي لطيف في تدبير عبادته يدبر امرهم على ما يشاء ويسهل لهم العسير وبلطفه حصص
هذه النعم علينا من الاجتماع وغيره قال الازهري اللطيف من اساء الله سبحانه معناه الرفيق بعباده يقال لطف
فلان بفلان لطفنا اذا رفق وقال غيره اللطيف الذي يوصل اليك اربك في رفق وقيل اللطيف العالم بدقائق الأمور انه هو
العليم (بجميع الاشياء) الحكيم (في كل التدابير) وفي كتاب النبوة بالاسناد عن ابي عبد الله (ع) قال قال
يعقوب ليوسف يا بني حدثني كيف صنع بك اخوتك قال يا أبة دعني فقال اقمست عليك الا اخبرتني فقال له
أخذوني واقعدوني على رأس الجب ثم قالوا لي اترع قميصك فقلت لهم إني اسألكم بوجه اني يعقوب ان لاتنزعوا
قميصي ولا تبدوا عورتني فرجع فلان السكين علي وقال انزع فصاح يعقوب فسقط مغشيا عليه ثم أفاق فقال له
يا بني كيف صنعوا بك فقال يوسف إني اسألك بالله ابراهيم واسماعيل واسحق الا اغفيتني قال فتركه وروي
ايضا ان يوسف قال ليعقوب (ع) يا أبة لا تسأني عن صنيع اخوتي بي وسل عن صنع الله بي قال ابو حمزة بلغنا
ان يعقوب عاش مائة وسبعا واربعين سنة ودخل مصر على يوسف وهو ابن مائة وثلاثين سنة وكان عند يوسف

بمصر سبع عشرة سنة وقال ابن اسحق أقام يعقوب بمصر اربعا وعشرين سنة ثم توفي ودفن بالشام وقال سعيد بن جبير نقل يعقوب إلى بيت المقدس في تابوت من ساج ووافق ذلك يوم مات عيصو فدفنا في قبر واحد فمن ثم ينقل اليهود موتاهم إلى بيت المقدس وولد يعقوب وعيصو في بطن واحد ودفنا في قبر واحد وكان عمرها جسيما مائة وسبعا واربعين سنة ثم رجع يوسف إلى مصر بعد ان دفن اياه في بيت المقدس عن وصية منه إليه وعاش بعد ابيه ثلاثا وعشرين سنة وكان اول رسول في بني اسرائيل ثم مات واوصى ان يدفن عند قبور آباءه وقيل دفن بمصر ثم اخرج موسى عظامه فحمله حتى دفنه عند أبيه وقيل افضت النبوة بعده إلى روبييل ثم إلى يهوذا وفي كتاب النبوة بالاسناد عن محمد بن مسلم عن ابي جعفر (ع) قال قلت له كم عاش يعقوب مع يوسف بمصر قال عاش حراين قلت فمن كان الحجة في الأرض يعقوب أم يوسف قال كان يعقوب الحجة وكان الملك ليوسف فلما مات يعقوب حمله يوسف في تابوت إلى ارض الشام فدفنه في بيت المقدس فكان يوسف بعد يعقوب الحجة قلت وكان يوسف رسولا نبيا قال نعم اما تسمع قوله عز وجل ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وبالاسناد عن ابي خالد عن ابي عبد الله (ع) قال دخل يوسف السجن وهو ابن اثنتي عشرة سنة ومكث فيها ثمانين سنة وبقى بعد خروجه ثمانين سنة فذلك مائة سنة وعشرين سنة قالوا ولما جمع الله سبحانه ليوسف شمله وأقر له عينه وأتم له رزقا موسما عليه في ملك الدنيا ونعيمها علم ان ذلك لا يبقى له ولا يدوم فطلب من الله سبحانه نعيلا لا يقنى وتأت نفسه إلى الجنة فتعنى الموت ودعا به ولم يسم ذلك نبي قبله ولا بعده حتى أحد فقال (رب قد آتيتني من الملك) اي اعطيتني ملك النبوة وملك مصر (وعلمتني من تأويل الأحاديث) اي تأويل الرويا (فاطر السماوات والأرض) اي خالق السماوات والأرض ومنشئها لا على مثال سبق (انت وليي) اي ناصرني ومدبري وحافظي (في الدنيا والآخرة) تتولى فيها اصلاح معاشي ومعادي (توفني مسلما) قال ابن عباس ما تمنى نبي تعجيل المات الا يوسف لما انتظمت اسباب ملكته اشتاق إلى ربه وقيل معناه ثبتني على الايمان إلى وقت المات وأمتني مسلما (والحقني بالصالحين) اي بأهل الجنة من الانبياء والاولياء والصديقين وقيل لما جمع الله سبحانه بينه وبين ابيه واخوته احب ان يجتمع مع آباءه في الجنة فدعا بهذا الدعاء والمعنى الحقني بهم في ثوابهم ودرجاتهم قيل فتوفاه الله تعالى بمصر وهو نبي دفن في النيل في صندوق من رخام وذلك انه لما مات تشاح الناس عليه كل يحب ان يدفن في محلته لما كانوا يرجون من بركته فرأوا ان يدفنوه في النيل فيسرق الماء عليه ثم يصل إلى جميع مصر فيكون كلهم فيه شركاء وفي بركته شرعا سواء فكان قبره في النيل إلى ان حمله موسى (ع) حين خرج من مصر ثم عاد سبحانه بعد تمام القصة إلى خطاب النبي ﷺ فقال (ذلك) اي الذي قصصت عليك من قصة يوسف يا محمد (من انباء الغيب) اي من جملة اخبار الغيب (نوحيه اليك) على السنة الملائكة لتخبر به قومك ويكون دلالة على اثبات نبوتك ومعجزة دالة على صدقك (وما كنت لديهم) اي وما كنت يا محمد عند اولاد يعقوب (اذ اجتمعوا امرهم) اذ عزموا على القائه في البئر واجتمعت آراؤهم عليه (وهم يكفرون) اي يمتارون في أمر يوسف حتى القوه في البئر من الجبائي وقيل يكفرون بيوسف عن ابن عباس والحسن وقتادة

قوله تعالى (١٠٣) وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (١٠٤) وَمَا تَسْلُمُ عَلَيْهِ مِنْ
 أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (١٠٥) وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ
 عَنْهَا مُعْرِضُونَ (١٠٦) وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (١٠٧) أَفَأَمِنُوا أَنْ نَأْتِيَهُمْ
 غَاشِيَةً مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ خمس آيات

﴿ القرآنة ﴾

في الشواذ قرآنة معكرومة ومعروبن فائد والارض يبرون عليها بالرفع وقرآنة السدي والارض نصباً والقرآنة المشهورة بالجر

(= الحجة) =

من رفع او نصب وقف على السواوت ثم ابتدأ والارض فالرفع على الابتداء والجملة بعدها خبره والعائد الى المبتدأ الهامن عليها والضمير في عنها عائد الى الآية وأما النصب فبفعل مضر تقديره ويطأون الأرض ويؤيد ذلك قرآنة ابن مسعود يشون عليها فلما اضر الفعل الناصب فسر به بقوله يبرون عليها ومن جر الأرض على قرآنة القراء فلان شاء وقف على الأرض وإن شاء وقف آخر الآية

﴿ التفة ﴾

الحرص طلب الشيء بجاهد في إصابته والعالم الجماعة من الحيوان التي من شأنها ان تعلم ماخوذ من العلم وقيل لما حواه الفلك عالم على سبيل التبع للحيوان الذي ينتفع به وهو مخلوق لأجله والناشية المجلسة للشيء بانسائها عليه وغشيه بغشاه اذا غطاء والغشاء الغطاء والبغنة الفجأة وهو مجيب الشيء من غير توقع

﴿ الاعراب ﴾

وكأين في معنى كم واصلا اي دخلت عليها الكيف وبتمة مصدر وضع موضع الحال تقول لقيته بغنة وفجأة

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر الآيات والمعجزات التي لو تفكروا فيها عرفوا الحق من جهتها فلم يتفكروا بين عقبيها ان التصير من جهتهم حيث رضوا بالجهل وليس من جهته سبحانه لأنه نصب الأدلة والبيئات ولا من جهتك لأنك دعوتهم فقال (وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) اي وليس اكثر الناس بمصدقين ولو حرصت على ايمانهم وتصديقهم واجتهدت في دعائهم اليه وارشادهم اليه لأن حرص الدلمي لا يفني شيئاً اذا كان المدعو لا يجيب (وما تسألهم عليه من اجر) اي ولا تسألهم على تبليغ الرسالة وبيان الشريعة اجرا فيصدقهم ذلك عن القبول ويسئلمهم من الايمان ويثقل عليهم ما يلزمهم من الغرامة فاغذارهم منقطعة (ان هو الا ذكر للعالمين) اي ما القران الا موعظة وعبرة وتذكير للمخلق لجمعين فليست بنذير لهؤلاء خاصة (وكأين من آية) اي كم من حجة ودلالة (في السماوات والأرض) تدل على وحدانية الله تعالى من الشمس والقمر والنجوم في السماء ومن الجبال والشجر والوان النبات واحوال المتقدمين واثار الأمم السالفة في الأرض (يبرون عليها) ويصرونها ويشاهدونها (وهم عنها معرضون) اي هم عن التفكير فيها والاعتبار بها معرضون لا يتفكرون فيها يعني الكفار (وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون) اختلف في معناه على أقوال ﴿ احدها ﴾ انهم مشركو قريش كانوا يقولون بالله خالقاً ومحيياً ومميتاً ويعبدون الاصنام ويدعونها آلهة مع انهم كانوا يقولون الله ربنا ولو لهنا يرزقنا فكانوا مشركين بذلك عن ابن عباس والجبائي ﴿ وثانيها ﴾ انها نزلت في مشركي العرب اذ سألوا من خلق السماوات والأرض وينزل المطر قالوا الله ثم هم يشركون وكانوا يقولون في تليبتهم ليبيك لاشريكك الا شريكك هو لك تملكه وما ملك عن الضحاك ﴿ وثالثها ﴾ انهم اهل الكتاب آمنوا بالله واليوم الآخر والتوراة والانجيل ثم اشركوا بانكار القران وانكار نبوة نبينا محمد ﷺ عن الحسن وهذا القول مع ما تقدمه رواه دارم بن قبيصة عن علي بن موسى الرضاعن أبيه عن جده عن ابي عبد الله (ع) ﴿ ورابعها ﴾ انهم المناقون يظهرون الايمان ويشركون في السر عن البلخي ﴿ وخامسها ﴾ انهم المشبهة آمنوا في الجملة واشركوا في التفصيل وروي ذلك عن ابن عباس ﴿ وسادسها ﴾

ان المراد بالاشراك شرك الطاعة لا شرك العبادة أطاعوا الشيطان في المعاصي التي يرتكبونها مماوجب الله عليها النار فأشركوا بالله في طاعته ولم يشركوا بالله شرك عبادة فيعبدون معه غيره عن ابي جعفر (ع) وروي عن ابي عبد الله انه قول الرجل لولا فلان لهلكت ولولا فلان لضاع عيالي جعل لله شريكاً في ملكه يرزقه ويدفع عنه فقيل له لو قال لولا أن من الله علي بفلان لهلكت فقال لا بأس بهذا وفي رواية زرارة ومحمد بن مسلم وحران عنها (ع) انه شرك النعم وروي محمد بن الفضيل عن ابي الحسن الرضا (ع) قال انه شرك لا يبلغ به الكفر (أفأنتوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله) اي أفأنتوا هولاء الكفار ان يأتيهم عذاب من الله سبحانه يعمهم ويحيط بهم وهي من غاشية السرج لأنها تمه بالسر وانما هي بلطفة التأنيث على تقدير العقوبة اي عقوبة مجللة لجبيهم عن ابن عباس وقيل هو عذاب الاستئصال عن مجاهد وابي مسلم وقيل هي الصواعق والقرايع عن الضحاك (او تأتيهم الساعة) يعني القيامة (بنّية) اي فجأة على غفلة منهم (وهم لا يشعرون) بقيامها قال ابن عباس تهجم الصيحة بالناس وهم في اسواتهم

قوله تعالى (١٠٨) قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٩) وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ آيَات

❖ القراءة ❖

قرأ حفص عن عاصم إلا رجلاً نوحى اليهم بالنون حيث كان وقرأ الباقون بوحى بالياء وفتح الحاء أفلا تعقلون ذكرنا الخلاف فيه في سورة الأنعام

❖ الحجة ❖

قال ابو علي الوجه في النون قوله إنا اوحينا اليك كما اوحينا إلى نوح والوجه في الياء قوله وأوحى إلى نوح وقل اوحى إلي

(- اللغة -)

السبيل الطريق وهو المكان المهيأ للسلوك ودين الإسلام طريق بوذي إلى الجنة والسبيل بذكر وبوئ قال فلا تبعد فكل بني اناس سيصبح سالكا تلك السبيل والبصيرة ما يبصر به الشيء أي يعرف والسير المرور الممتد في جهة ومنه السير واحد السور لامتداده في جهة

❖ المعنى ❖

ثم امر سبحانه نبيه ﷺ ان يبين للمشركين ما يدعو اليه فقال (قل) يا محمد لهم (هذه سبيلي) اي طريقتي وسنتي ومنهاجي عن ابن زيد وقيل معناه هذه الدعوة التي ادعو اليها ديني وطريقي عن مقاتل والجبائي ثم فسّر ذلك بقوله (ادعو إلى الله على بصيرة) أي ادعو إلى توحيد الله وعدله ودينه على يقين ومعرفة وحجة قاطعة لا على وجه التقليد (انا ومن اتبعني) اي ادعوكم انا وادعوكم ايضا اليه من آمن بي ويذكر بالقرآن والموعظة وينهى عن معاصي الله قال ابن الانباري ويجوز أن يشتم الكلام عند قوله ادعو إلى الله ثم ابتداء وقال على بصيرة انا ومن اتبعني وهذا معنى قول ابن عباس انه يعني اصحاب محمد كانوا على احسن طريقة (وسبحان الله) معناه تنزيها

الله عما اشركوا وتقديره قل هذه سبيلي وقل سبحان الله وقيل انه اعتراض بين الكلامين والواو فيه مثل قولك قال الله وهو منزه عن الشركاء سبحان الله (وما انا من المشركين) الذين اتخذوا مع الله ندا وكفوا وولدا وفي هذه الآية دلالة على فضل الدعاء الى الله سبحانه وإلى توحيدِه وعَدله وبعض ذلك الحديث عنه صحيح انه قال العلماء امتناء الرسل على عباده وفيها دلالة ايضا على انه (ع) كان يدعو إلى الله في كل اوقاته وإن كان بين الشرائع في اوقات ما وفيها دلالة ايضا على أن الواجب في الداعي أن يكون على ثقة وبصيرة ودلالة فاطمة وذلك يوجب فساد التقليد (وما ارسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى اليهم من اهل القرى) بين سبحانه انه إنما ارسل الرسل من أهل الأمصار لأنهم ارجح عقلا وعلمًا من أهل البوادي لبعدها عن العلم وأهلها عن فتادة وقال الحسن لم يبعث الله نبيًا قط من أهل البادية ولا من الجن ولا من النساء وذلك أن أهل البادية يغلب عليهم القسوة والجفاء وأهل الأمصار أحد فطنًا (افل يسيروا في الأرض) أي اقلم يسر هؤلاء المشركون المشكرون لبوتك يا محمد في الأرض (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من الامم المكذبين لرسولهم وكيف اهلكهم الله بعدذاب الاستئصال فيعتبروا بهم ويحذروا مثل ما اصابهم (ولدار الآخرة خير للذين اتقوا) يقول هذا صنيعنا بأهل الإيمان والطاعة في دار الدنيا إذ اهلكنا عدومهم ونجيتهم من شرهم ودار الآخرة خير لهم من دار الدنيا ونعيمها وروى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لشبر من الجنة خير من الدنيا وما فيها قال الزجاج قال الله سبحانه في غير هذا الموضع والدار الآخرة . فالآخرة نعت للدار لأن لجميع الخلق دارين الدار التي خلقوا فيها وهي الدنيا والدار الآخرة هي التي يعادون فيها خلقًا جديدًا فإذا قال دار الآخرة فكأنه قال دار الحال الآخرة لأن للناس حالين حال الدنيا وحال الآخرة ومثل هذا في الكلام الصلاة الاولى وصلاة الاولى فمن قال الصلاة الاولى جعل الاولى نعتًا للصلاة ومن قال صلاة الاولى أراد صلاة القرينة الاولى والساعة الاولى (أفلا تعقلون) أي أفلا يفهمون ما قبل لهم فيعلمون

قوله تعالى (١١٠) حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَشَأِهِمْ وَلَا يُروُدُ بِأُسْنَانٍ عَنِ الْقَوْمِ الْمَجرِمِينَ (١١١) لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ آياتان

(- القراءة -)

قرأ أهل الكوفة وابو جعفر كذبوا بالتخفيف وهي قراءة علي وزين العابدين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وزيد بن علي وابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير وعكرمة والضحاك والأعمش وغيرهم وقرأ الباقر كذبوا بالنشدب وهي قراءة عائشة والحسن وعطاء والزهري وقتادة وروى عن ابن عباس بخلاف ومجاهد بخلاف كذبوا بالتخفيف وفتح الذال والكاف وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب وسهل فنجي من نشأ بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء وقرأ الباقر فنجي من نشأ بنونين وتخفيف الجيم وسكون الياء وفي الشواذ عن ابن عمير فنجبا بفتح النون والجيم والتخفيف وعن عيسى الثقفي ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة برفع الحرف الثلاثة والقراءة بنصبها

(- الحجة -)

قال ابو علي الضمير في ظنوا في قول من شدد كذبوا للرسل تقديره ظن الرسل اي تيقنوا او ظنوا الظن

الذي هو حسان ومعنى كذبوا تلقوا بالكذب كقولهم جنته خطاؤه وتكذيبهم اياهم يكون بان يلقوا بذلك كقولهم له وان نظنك لمن الكاذبين او بما يدل عليه وان خالفه في اللفظ ومن حجة التثقيل قوله فقد كذبت رسل من قبلك وقوله كذبوا رسلي وقوله الا كذب الرسل واما من خفف فقال كذبوا فهو من قولهم كذبتك الحديث اي لم اصدقك وفي التنزيل وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وقياسه إذا اعتبر بالغلط ان يتعدى إلى مفعولين كما تعدى صدق في قوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقال الأعشى (فصدته وكذبه* والمرء يتفمه كذابه) قال سيبويه كذب بكذب كذبا وقالوا كذبا فبجاءوا به على فعال وقد خففه الأعشى وقال ذو الرمة

وقد حلفت بالله مية ما الذي اقول لها إلا الذي انا كاذبه

والضمير الذي في قوله وظنوا انهم كذبوا للمرسل اليهم وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم فيما اخبروهم به من انهم ان لم يؤمنوا انزل بهم العذاب وإنما ظنوا ذلك لما شاهدوه من امهال الله اياهم واملائته لهم فإن قلت كيف يجوز أن يجعل الضمير في ظنوا على انه للمرسل اليهم الرسل والذين قد تقدم ذكرهم الرسل دون المرسل اليهم قيل إن ذلك لا يجتمع لأن ذكر الرسل يدل على المرسل اليهم لمقاربة احدى الاسمين الآخر ولما في لفظ الرسل من الدلالة على المرسل اليهم وقد قال الشاعر

امنك البرق ارقبه فهاجا فبت اخاله دهما خلاجا

اي بت اخال الرعد صوت دم فاضر الرعد ولم يجر له ذكر لدلالة البرق عليه لمقاربة لفظ كل واحد منهما للآخر وفي التنزيل سراويل تقيكم الحر واستغنى عن ذكر البرد لدلالة الحر عليه وإن شئت قلت أن ذكرهم قد جرى في قوله أقم بسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم فيكون الضمير للذين من قبلهم من مكذبي رسل الله فإن ذهب ذهاب إلى ان المعنى ظن الرسل أن الذي وعد الله سبحانه امهم على لسانهم قد كذبوا به فقد اتى عظيما لا يجوز أن ينسب مثله إلى الانبياء ولا إلى صالحى عباد الله تعالى وكذلك من زعم ان ابن عباس ذهب إلى أن الرسل قد ضعفوا فظنوا انهم قد اختلفوا لأن الله تعالى لا يخلف الميعاد حدثنا احمد بن محمد قال حدثنا المؤمل قال حدثنا اسماعيل بن علية عن ابي المولى عن سعيد بن جبيرة في قوله حتى إذا استياس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا قال ان الرسل يشوا من قومهم ان يؤمنوا وأن قومهم ظنوا أن الرسل قد كذبوا فيما قالوا لم اتاهم نصر الله عند ذلك وأما قوله فتجي من نشاء فإن تنجي حكاية للحال لأن القصة مما قد مضى وإنما حكى فعل الحال كما كانت عليه كما ان قوله وان ربك ليحكم بينهم حكاية للحال الكائنة وكما أن قوله ربما بود الذين كفروا لو كانوا مسلمين جاء على الحكاية للحال الكائنة ومن ذلك قوله وكبهم باسط ذراعيه بالوصيد فلولا حكاية الحال لم يعمل اسم الفاعل لانه إذا مضى اختص وصار معهودا فخرج بذلك من شبه الفعل الأترى أن الفعل لا يكون معهودا فكما أن اسم الفاعل إذا وصف أو سقر لم يعمل عمل الفعل لزوال شبه الفعل عنه بالاختصاص الفدي يحدنه فيه التحقير والوصف كذلك إذا كان ماضيا واما النون الثانية من تنجي فهي مخفاة مع الجيم وكذلك النون مع سائر حروف الفم لا تكون إلا مخفاة قال ابو عثمان تبيينها معها لحن ولنون مع الحروف ثلاث احوال الادغام والاختفاء والبيان وإنما تدغم إذا كانت مع مقاربتها كما يدغم سائر المقاربة فيما يقاربه والاختفاء فيها مع حروف الفم التي لا تقاربه والبيان فيها مع حروف الخلق فأما حذف النون الثانية من الخط فيشبه أن يكون لكرامة اجتماع المثاليين فيه ألا ترى انهم كتبوا مثل العليا والسديا ويحيا ونحو ذلك بالألف فلولا اجتماعها مع الياء لكتبت بالياء كما كتبت حيلي ويخشى وما لم يكن فيه ياء من هذا النحو بالياء فكأنهم لما كرهوا اجتماع المثاليين في الخط حذفوا النون وقوى ذلك انه لا يجوز فيها إلا الاختفاء ولا يجوز فيها البيان

فاشبه بذلك الإدغام لأن الاختفاء لا يبين فيه الحرف المخفي كما أن الإدغام لا يبين فيه الحرف المدغم بياناً في غير الإدغام فلما وافق التون المدغم في هذا الوجه استجيز حذفه من الخط ومن ذهب إلى أن النون الثانية مدغمة في الجيم فقد غلط لأنها ليست مثل الجيم ولا مقاربة لها وإذا خلا الحرف من هذين الوجهين لم يدغم فيما اجتمع معه ومن قرأ فتجني فإنه أتى على لفظ الماضي لأن القصة ماضية ويقوي ذلك أنه عطف عليه فعل مستند إلى المفعول به وهو قوله ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين ولو كان تنجي مستنداً إلى الفاعل كقول من خالفه لكان لا يرد بأسنا أشبه ليكون مثل المعطوف عليه ومن قرأ تصديق الذبيبة بين يديه وما بعده بالرفع فيكون التقدير لكن هو تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء فحذف للبند وبقي الخبر

(- اللغة -)

استأنس بمعنى يشس كأنه طلب اليأس لعلمه بامتناع الأمر والبأس الشدة وهو شدة الأمر على النفس ومنه البؤس الفقر ومنه لا بأس عليك والقصص الخبر يتلو بعضه بعضاً من أخبار من تقدم والعمرة الدلالة التي تعبر إلى البنية والالباب العقول واحدها لب وإنما سمي بذلك لأنه أفسس شيء في الإنسان ولب كل شيء خياره

✽ المعنى ✽

ثم أخبر سبحانه وتعالى عن حال الرسل مع أممهم تسلياً للذي صَلَّى فقال (حتى إذا استأنس الرسل) وهاهنا حذف بدل الكلام عليه وتقديره إنا أخبرنا العقاب عن الأمم السالفة المكذبة لرسولنا كما أخبرناه عن امتك يا محمد حتى إذا بلغوا إلى حالة بأس الرسل عن إيمانهم وتحقق بأسهم بأخبار الله تعالى إياهم (وظنوا أنهم قد كذبوا) أي تيقن الرسل أن قومهم كذبوهم تكذيباً عاماً حتى أنه لا يصلح واحد منهم عن عائشة والحسن وقاتادة وإبي علي الجبائي ومن خفف فعناه ظن الأمم أن الرسل كذبوهم فيما أخبروهم من نصر الله إياهم وأهلك أعدائهم عن ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبيرة ومجاهد وابن زيد والضحاك وأبي مسلم وقيل يجوز أن يكون الضمير في ظنوا راجعاً إلى الرسل أيضاً ويكون معناه وعلم الرسل أن الذين وعدوهم بالإيمان من قومهم اختلفوهم أو كذبوا فيما اظهروه من الإيمان وروي أن سعيد بن جبيرة والضحاك اجتمعا في دعوة فستل سعيد بن جبيرة في هذه الآية كيف بقرأها فقال وظنوا أنهم قد كذبوا بالتخفيف بمعنى وظن المرسل اليهم أن الرسل كذبوهم فقال الضحاك ما رأيت كاليوم قط لو رحلت في هذه إلى اليمن لكان قليلاً وروي ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال كانوا بشراً فضعفوا ويشوا وظنوا أنهم قد اختلفوا ثم تلا قوله تعالى حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه من نصر الله الآية وهذا بعيد وقد يتنا ما فيه (جاءهم) أي جاء الرسل (نصرنا) حين بأسوا بإرسال العذاب على الكفار (فتجني من نشاء) أي تخلص من نشاء من العذاب عند نزوله وهم المؤمنون (ولا يرد بأسنا) أي عذابنا (عن القوم المجرمين) أي المشركين (لقد كان في قصصهم) أي في قصص يوسف وأخوته (عبرة) أي فكرة وبصيرة من الجهل وموعظة وهو ما أصابه (ع) من ملك مصر والجمع بينه وبين أبويه وأخوته بعد لقائه في الجب ويومه وجبه وقيل في قصصهم عبرة لأن نبينا صَلَّى لم يقرأ كتاباً ولا سمع حديثاً ولا خالط أهله ثم حدثهم به في حسن معانيه وبراعة ألفاظه ومبانيه بحيث لم يرد عليه أحد من ذلك شيئاً فهذا من أدل الدلائل على صدقه وصحة نبوته (لاولي الالباب) أي لذوي العقول (ما كان حديثاً يفترى) أي ما كان ما آداه محمد أو أنزل عليه حديثاً يختلق كذباً (ولكن تصديق الذي بين يديه) أي ولكن كان تصديق الكتب الذي بين يديه لأنه جاء كما بشر به في الكتب عن الحسن وقاتادة (وتفصيل كل شيء) أي وبيان كل شيء يحتاج إليه من الحلال والحرام وشرائع الإسلام (وهدي) أي ودلالة (ورحمة) أي ونعمة ينتفع بها المؤمنون علماء وعملاً (لقوم يؤمنون) وإنما خصهم بذلك لأنهم المنتفعون به دون غيرهم وبالله التوفيق والعصمة وهو حسبنا ونصم الوكيل

تم الجزء الخامس من كتاب

مجمع البيان في علوم القرآن

﴿ الجزء السادس ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم (سورة الرعد)

مكية كلها عن ابن عباس وعطاء وقال الكلبى ومقاتل مكية إلا آخر آية منها نزلت في عبد الله بن سلام وقال سعيد بن جبیر كيف تكون هذه الآية نزلت في عبد الله بن سلام والسورة كلها مكية وقال الحسن وعكرمة وقتادة انها مدنية إلا آيتين نزلتا بمكة ولو ان قرآنا سيرت به الجبال وما بعدها

﴿ عدد آياتها ﴾

اربعون وسبع آيات شامي وخمس بصري اربع حجازي ثلاث كوفي

﴿ اختلافها ﴾

خمس آيات لفي خلق جذبد الظلمات والنور غير الكوفي الأعمى والبصير وسوء الحساب شامي من كل باب عراقي شامي

﴿ فضائها ﴾

أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة الرعد أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل سبحانه مضى وكل سبحانه يسكون إلى يوم القيامة وكان يوم القيامة من المؤمنين بعهد الله تعالى وقال ابو عبد الله (ع) من أكثر قراءة الرعد لم يصبه الله بصاعقة ابدا وإن كان مؤمنا أدخل الجنة بغير حساب وشفع في جميع من يعرفه من أهل بيته واخوانه

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سبحانه سورة يوسف بذكر قصص الأنبياء افتتح هذه السورة بأن جميع ذلك آيات الكتاب وأن الذي أنزله هو الحق تعالى فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) أَلَمْ تَرَ أَنَّ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (٢) اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأُمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ آيات

ولم بعد أحد الر آية وعد الكوفيين طه وحم آية لأن طه مشاكلة لرؤس الآي التي بعدها بالألف مع انه لا يشبه الاسم المفرد كما اشبه صاد وقاف ونون لأنها بمنزلة باب ونوح

﴿ اللفظة ﴾

العمد والعمد جميعا بمعنى واحد وهما جمع عمود وعماد إلا ان عمدا جمع عمود وعماد وعمدا اسم للجمع ومثله اديم وادم مثل هاب وأهب وافيق وأفق

* الاعراب *

الذي أنزل بجوز أن يكون موضعه رفعا على الاشداء وبجوز أن يكون موضعه بالمطف على آيات الكتاب ويكون الحق مرفوعا على اضرار هو وبجوز أن يكون في موضع جر بالمطف على الكتاب وتقديره تلك آيات الكتاب وآيات الذي أنزل اليك من ربك ويكون الحق مرفوعا على الاضرار وبجوز أن يكون الحق مجرورا صفة للذي إذا جعلته عطفًا على الكتاب ولكنه لم يقرأ به أحد من القراء

* المعنى *

الآمر قد فسرناه في اول البقرة وبيننا ما قيل فيه وروي ان معناه انا الله اعلم وأرى (تلك آيات الكتاب) أي هذه السورة هي آيات الكتاب التي تقدم الوعد بها ليست بمختريات ولا بسحر والكتاب القرآن عن ابن عباس والحسن وقيل ان الكتاب عبارة عن التوراة والانجيل عن مجاهد وقناة ويكون تقديره تلك الاخبار التي قصصتها عليك آيات التوراة والانجيل والكتب المتقدمة والآيات الدلالات العجيبة المؤدية إلى المعرفة بالله سبحانه وانه لا يشبه الأشياء ولا تشبهه (والذي أنزل اليك من ربك الحق) يعني وهذا القرآن الذي أنزل اليك من ربك هو الحق فاعتصم بالله واعمل بما فيه وعلى القول الأول فإنه وصف القرآن بصفتين احدهما بأنه كتاب والأخرى بأنه منزل (ولكن اكثر الناس لا يؤمنون) اي لا يصدقون بأنه منزل وانه حق مع وضوحه (الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها) لما ذكر الله سبحانه انهم لا يؤمنون عرف الدليل الذي يوجب التصديق بالخالق ويريد بالعمد السواري والدعائم وقيل فيه قولان * احدهما * ان المراد رفع السماوات بغير عمد وانتم ترونها كذلك عن ابن عباس والحسن وقناة والجبائي والبي مسلم وهو الأصح قال ابن عباس يعني ليس من دونها دعامة يدعمها ولا فوقها علاقة تمسكها قال الزجاج وفي ذلك من القدرة والدلالة ما لا شيء أوضح منه لأن السماء محيطة بالأرض مثيرة منها بغير عمد * والأخر * ان يكون ترونها من نعمت العمدة فيكون المعنى بغير عمد مرئية فعل هذا تعمدتها قدرة الله عز وجل وروي ذلك عن ابن عباس ومجاهد (ثم استوى على العرش) قد مضى تفسيره وإذا حملنا الاستواء على معنى الملك والاعتدار فالوجه في ادخال ثم فيه ولم يزل سبحانه كذلك ان المراد اقتداره على تصرفه وتقليبه وإذا كان كذلك فلا يكاد القدم سبحانه يوصف به إلا وقد وجد نفس العرش (وسخر الشمس والقمر) أي ذللهما لمنافع خلقه ومصالح عبادته (كل يجري لأجل مسي) اي كل واحد منهما يجري إلى وقت معلوم وهو فناء الدنيا وقيام الساعة التي تكور عندها الشمس ويخسف القمر وتنكدر النجوم عن الحسن وقال ابن عباس أراد بالأجل المسمى درجاتهما ومنازلهما التي ينتهيان اليها ولا يجاوزانها وللشمس مائة وثمانون منزلا تنزل كل يوم منزلا حتى تنتهي إلى آخر المنازل فلا تجاوزه وترجع إلى اول المنازل وينزل القمر كل ليلة منزلا حتى ينتهي إلى آخر منازلها (يدبر الأمر) أي يدبر الله كل أمر من أمور السماوات والأرض وأمور الخلق على وجه توجبه الحكمة وتقتضيه المصلحة (يفصل الآيات) اي يأتي آية في إثر آية فصلا مميذا بعضها عن بعض ليكون أمكن للاعتبار والتفكر وقيل معناه يبين الدلائل بما يحدثه في السماوات والأرض (لعلكم تلقوا ربكم توفقون) اي لكي توفقوا بالبحث والشور وتعلموا أن القادر على هذه الأشياء قادر على البعث بعد الموت وفي هذا دلالة على وجوب النظر المؤدي إلى معرفة الله تعالى وعلى بطلان التقليد ولولا ذلك لم يكن لتفصيل الآيات معنى

قوله تعالى (٣) وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٤) وَفِي الْأَرْضِ

قَطَعَ مُتَجَاوِرَاتٍ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرَاعٍ وَنَخِيلٍ صِنَوَانٍ وَغَيْرِ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفْضِلُ
بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ آيَات

﴿ القراة ﴾

قد ذكرنا الاختلاف في قوله ينشي الليل النهار في سورة الاعراف وقرأ ابن كثير وابو عمر ويعقوب وحفص
وزرع ونخيل صنوان أو غير صنوان جميعها بالرفع والباقون بالجر في الجميع وقرأ حفص صنوان بضم الصادو كذلك
رواية الحلواني عن القواس وقرأ الباقر بكسر الصاد وفي الشواذ قراءة الحسن وقتادة صنوان وقرأ يسقي بالياء
ابن عاصم وزيد ورويس عن يعقوب وقرأ الباقر تسقى بالتاء وقرأ اهل الكوفة غير عاصم وروح عن يعقوب
ويفضل بالياء والباقر بالتون

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من رفع قوله وزرع فتقديره وفي الارض زرع ونخيل صنوان فجعله محمولا على قوله وفي الارض
قطع ولم يجعله محمولا على ما في الجنات من الأعتاب والجنة على هذا تقع على الارض التي فيها الأعتاب دون
غيرها كما تقع على الارض التي فيها الأعتاب والنخيل دون غيرها ويقوي ذلك قول زهير

كأن عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا

فالمعنى تسقي نخيل جنة فأما من قرأ بالجر فإنه حمل النخيل والزرع على الأعتاب فكأنه قال جنات من
اعتاب من زرع ونخيل والدليل على ان الارض إذا كان فيها النخل والكرم والزرع سميت جنة قوله جعلنا لأحدهما
جنتين من اعتاب وحفناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا فكما سميت الارض ذات العنب والنخل والزرع جنة كذلك
يكون النخيل والزرع محمولين على الأعتاب فتكون الجنة من هذه الأشياء ويقوي ذلك قوله

أقبل سيل جاء من امر الله يجرد حرد الجنة المغلة

والغلة إنما هي ما يكال بالقفيز في أكثر الأمر قال والصنوان فيما يذهب اليه ابو عبيدة صفة للنخيل والمعنى أن
يكون من أصل واحد ثم يتشعب من الرؤوس فيصير نخلا ونخلين قال وقال يسقي بماء واحد لأنها تشرب من
أصل واحد تفضل بعضها على بعض في الأكل وهي التمر وأجاز غيره أن يكون الصنوان من صفة الجنات وكأنه يكون
يراد به في المعنى ما في الجنات وإن جرى على لفظ الجنات وعلى هذا يجوز أن ترفع وإن جررت النخيل لأن الجنات
مرفوعة ولم يحك هذا في قراءة السبعة وأما الكسرة التي في صنوان فليست التي كانت في صنو كما ان الكسرة التي
في فتو ليست التي في فتوان لأن تلك قد حذفت في التكسير وعاقبتها الكسرة التي يحذفها التكسير وكذلك
الكسرة التي في هجان وانت تريد الجمع ليست الكسرة التي كانت في الواحد ولكنه مثل الكسرة التي
في ظراف إذا جمعت عليه ظرفها وأما من ضم الصاد من صنوان فإنه جعله مثل ذئب وذؤبان وربما تعاقب فعلان
وفعلان على البناء الواحد نحو حش وحشان وحشان وأما صنوان فبفتح الصاد فليست من أمثلة الجمع المكسر فإن
صح ذلك فإنه يكون اسما للجمع لا مثالا له من أمثلة التكسير فيكون بمنزلة الجمال والاسر ومثله قولهم السعدان
والضمران في الجمع ومن قرأ تسقى بالتاء فالمراد تسقى هذه الأشياء ومن قرأ بالياء حملة على الزرع وحده

﴿ المعنى ﴾

لما ذكر سبحانه وتعالى في الآية من نعمته وآلائه على عباده في رفع الساعات وتسخير الشمس والقمر ودل
بذلك على وحدانيته عقبه بذكر الارض وما فيها من الآيات فقال (وهو الذي مد الأرض) اي بسطها طولا

وعرضا ليمكن الحيوانات من الثبات فيها والاستقرار عليها (وجعل فيها رواسي) اي جبالا ثوابت لتمسك الارض ولو أراد أن يسكنها من غير جبال لفعل إلا انه أمسكها بالرواسي لأن ذلك اقرب إلى افهام الناس وادعى لهم إلى الاستدلال والنظر (وانهارا) اي وشق فيها انهارا تجري فيها المياه ولولا الانهار لفضح اكثر المياه ولما امكن الشرب والسقي (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) اي وجعل في الارض من كل الثمرات لما كوتهم ومطعمهم صنفين اسود وأبيض وحلوا وحامضا وصيفيا وشتويا ورطبيا ويابسا عن ابن عباس وقيل الزوج قد يكون واحداً وقد يكون اثنين يقال زوج نعل زوج نعلين عن ابى عبيدة وإنما قال اثنين للتأكيد والزوج في الحيوانات عبارة عن الذكر والانثى وفي الثمار عبارة عن لونين وقال الماوردي واحد الزوجين ذكر وأثنى كفحول النخل وانثاها وكذلك كل جنس من النبات وإن خفي الزوج الآخر حلو وحامض او عذب ومالح أو أبيض واسود او احمر واصفر فإن كل جنس من النبات ذو نوعين فصارت كل ثمرة زوجين هما اربعة انواع (بعضي الليل النهار) اي يلبس ظلمة الليل ضياء النهار عن الحسن وقيل يدخل الليل في النهار والنهار في الليل عن ابن عباس وقيل معناه يأتي بالليل ليذهب بضياء النهار ويستمره ليسكن الحيوانات فيه ويأتي بضياء النهار ليمحو ظلام الليل ويتصرف الناس فيه لمعايشهم (إن في ذلك) اي فيما سبق ذكره (لايات) اي لدلالات واضحات على وحدانية الله تعالى (لقوم يتفكرون) فيها فيستدلون منها على ان لهم صنما (وفي الارض قطع متجاورات) أي ابعاض متقاربات مختلفات في التفاضل منها جبل صلب لا ينبت شيئا ومنها سهل حر ينبت منها سبخة لا تنبت عن ابن عباس ومجاهد والضحاك بين الله سبحانه باختلاف هذه الارضين مع تجاورها وتقارب بعضها من بعض في الهيئة والنظر انه قادر على كل شيء من الأصناف المختلفة والموتلفة «وقيل» انها متجاورات بعضها عامر وبعضها غير عامر عن الزجاج (وجنات) اي بساتين (من اعناب وزرع ونخيل صنوان) اي نخلات من أصل واحد (وغير صنوان) اي نخلات من أصول شتى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والصنو الاصل يقال هذا صنوه أي أصله عن ابن الانباري وقيل ان الصنوان النخلة تكون حولها النخلات وغير صنوان النخل المتفرق عن البراء بن عازب وسعيد بن جبير وقيل الصنو المثل والصنوان الامثال ومنها قوله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ عم الرجل صنو أبيه عن الجبائي (يسقى بماء واحد) اي يسقى ما ذكرناه من القطع المتجاورة والجنات والنخيل المختلفة بماء النهار او بماء السماء (ويفضل بعضها على بعض في الأكل) اي ويفضل الله ومن قرأ بالتون فالمعنى تفضل نحن بعضها على بعض في الطعم واللون والطبع مع أن البئر واحدة والشرب واحد والجنس واحد حتى يكون بعضها حامضا وبعضها حلوا وبعضها سارا فلو كانت بالطبع للاختلاف الوانها وطعومها مع كون الارض والماء والهواء واحدا وفي هذا واضح دلالة على ان لهذه الأشياء صنما قادرا أحدثها وأبدعها وديرها على ما تقتضيه حكمته والأكل الثمر الذي يؤكل (إن في ذلك) اي في اختلاف الوانها وطعومها عن ابن عباس وقيل ان فيما تقدم ذكره (لايات) اي حججا ودلالات (لقوم يعقلون) دلائل الله تعالى ويتفكرون فيها ويستدلون بها وروي عن جابر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لعلي (ع) الناس من شجر شتى وانما وانت من شجرة واحدة ثم قرأ في الأرض قطع متجاورات وبنات من اعناب الآية قوله تعالى (٥) وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَعْنَابًا لَقَدْ خَلَقْنَاكَ جَدِيدًا أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا يُرِيدُونَ بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٦) وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّبِئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ (٧) وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ثلاث آيات عند الكوفي اربع آيات عند غيرهم

عدوا لفي خلق جديد آية

* القراءة *

قرأ أبو جعفر إذا كنا بغير استفهام انا بهمزة واحدة مطولة وكذلك يفعل بكل استفهامين يمتنعان في القرآن يستفهم بالثاني ولا يستفهم بالأول الا في سورة الصافات والواقعة واما نافع ويعقوب وسهل فالنهم يستفهمون بالأول بهمزة واحدة غير مطولة ولا يستفهمون بالثاني إلا في سورة النمل والعنكبوت إلا ان قالون عن نافع وزيدا عن يعقوب يمدان الهزمة مثل ابي جعفر والكسائي ايضا يستفهم بالأول ولا يستفهم بالثاني إلا في سورة النمل غير انه يهزم بهمزتين وابن عامر مثل ابي جعفر لا يستفهم في إذا كل القرآن إلا في سورة الواقعة فإنه يستفهم في أمداو أمنا جميعا بهمزتين همزتين بينهما مد أنا يهزم ثم يمد ثم يهزم على وزن عاعتا ولا يجمع بين استفهامين إلا هاهنا وفي سورة النمل يستفهم إذا بهمزتين أمنا بنونين والكسائي مثله في هذا الموضع وابو عمرو يستفهم فيها جميعا وفي جميع اشباهها همزة واحدة مطولة وابن كثير يستفهم فيهما جميعا بهمزة واحدة غير مطولة وعاصم وهمزة وخلف يستفهمون فيها بهمزتين همزتين كل القرآن وخالف ابن كثير وحفص عن عاصم في حرف واحد في العنكبوت وسنذكره هناك إن شاء الله

= (الحجة) =

قال أبو علي من استفهم في الجملتين فموضع إذا نصب بفعل مضمر يدل عليه قوله أنا لفي خلق جديد لأن هذا الكلام يدل على نبث ونحشر فكأنه قال انبث إذا كنا ترابا ومن لم يدخل الاستفهام في الجملة الثانية كان موضع إذا ايضا نصبا بما دل عليه قوله أنا لفي خلق جديد فكأنه قال انبث إذا كنا ترابا وما بعد أن في انه لا يجوز أن يعمل فيما قبله بمنزلة الاستفهام فكما قدرت هذا الناصب لا إذا مع الاستفهام لأن الاستفهام لا يعمل فيما قبله كذلك تقدره في ان لأن ما بعدها ايضا لا يعمل فيما قبلها ومن قرأ إذا كنا من غير استفهام أمنا ينبغي ان يكون على مضمر كما حمل من تقدم على ذلك لأن ما بعد الاستفهام منقطع ما قبله

= اللغة =

العجب والتعجب هجوم ما لا يعرف سببه على النفس والفعل طوق تشد به اليد الى العنق والاستعجال طلب التعجيل بالأمر والتعجيل تقديم الأمر قبل وقته والسيئة خصلة تسوء النفس وتقيضها الحسنة وهي خصلة تسر النفس والمثلثات العقوبات واحدها مثلة بفتح الميم وضم التاء ومن قال في الواحد مثلة بضم الميم وسكون التاء قال في الجمع مثلثات بضمثين نحو غرفة وغرفات وقيل في جمعها مثلثات ومثلثات ايضا قال الشاعر

ولما رأونا باديا ركبانا
على موطن لا يخلط الجد بالهزل
رووه بفتح الكاف في ركبنا

* المعنى *

لما تقدم ذكر الأدلة على انه سبحانه قادر على الانشاء والاعادة عقبه بالتعجب من تكذيبهم بالبعث والنشور فقال (وان تعجب) يا محمد من قول هؤلاء الكفار في انكارهم البعث مع اقرارهم بايجاد خلق الخلق فقد وضعت التعجب موضعه لأن هذا قول عجب ومعناه عجب للمخلوقين فإن معنى العجب في صفات الله لا يجوز لأن العجب ان يشبهه عليه سر امره فيستطرفه (فجعب قولهم) اي فقولهم عجب (إذا كنا ترابا أمنا لفي خلق جديد) أي انبث ونعاد بعد ما صرنا ترابا هذا مما لا يمكن وهذا منهم نهاية في الاعجوبة فإن الماء إذا حصل في الرحم استحبال علقه ثم مضغه ثم لحما فإذا مات ودفن استحبال ترابا فإذا جاز أن يتعلق الإنشاء بالاستحالة الاولى فلم لا يجوز تعلقه بالاستحالة الثانية وسمى الله تعالى الاعادة خلقا جديدا واختلف المتكلمون فيما يصح

عليه الاعادة فقال بعضهم كلما يكون مقدورا للقديم سبحانه خاصة ويصح عليه البقاء ويصح عليه الاعادة ولا يصح الاعادة على ائمة لا يقدر على جنسه غيره تعالى وهذا قول ابي علي الجبائي وقال آخرون كلما كان مقدورا له وهو مما يبقى ويصح عليه الاعادة وهو قول ابي هاشم ومن تابعه فعلى هذا يصح اعادة اجزاء الحياة ثم اختلفوا فيما يجب اعادته من الحي فاقال ابو القاسم البلخي يعاد جميع اجزاء الشخص وقال ابو هاشم يعاد الاجزاء التي بها يتميز الحي من غيره ويعاد التأليف ثم رجع عن ذلك وقال تعاد الحياة مع البنية وقال القاضي ابو الحسن تعاد البنية وما عدا ذلك يجوز فيه التبديل وهذا هو الاصح (او لئلك) المنكرون للبعث (الذين كفروا بربهم) اي جحدوا قدرة الله تعالى على البعث (واولئك الاغلال في اعناقهم) في الآخرة وقيل اراد به اغلال الكفر اي كفرهم اغلال في اعناقهم (واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) مضى تفسيره (وبستمجلونك) اي بستمجلك يا محمد هؤلاء المشركون (بالسنة قبل الحنة) أسى بالمذاب قبل الرحمة عن ابن عباس ومجاهد أي بالعقاب الذي توعدوا به على التكذيب قبل الثواب الذي وعدوا به على الإيمان وذلك حين قالوا فأمطر علينا حجارة من السماء وقيل بستمجلونك بالمذاب الذي توعدهم به قبل الإحسان بالانتظار فإن انتظار من وجب عليه العقاب احسان اليه كأنذار من وجب عليه الدين وسماها سنة لأنها جزاء السنة (وقد خلت من قبلهم) اي مضت من قبلهم (المثلاث) اي العقوبات التي يقع بها الاعتبار وهو ما حل بهم من المسخ والحسف والفرق وقد سلك هؤلاء طريقتهم فكيف يتجاسرون على استعجالها وقيل هي العقوبة الفاضحة التي تسير بها الامثال وتقديره وقد خلت المثلاث باقوامهم او خلا اصحاب المثلاث فحذف المضاف (وان ربك لذو مقررة للناس على ظلمهم) قال المرتضى (ره) في هذه الآية دلالة على جواز المغفرة للمذنبين من اهل القبلة لانه سبحانه دلنا على انه يغفر لهم مع كونهم ظالمين لأن قوله على ظلمهم اشارة إلى الحال التي يكونون عليها ظالمين ويجري ذلك مجرى قول القائل أنا اود فلانا على غدره وأصله على هجره (وان ربك لشديد العقاب) لمن استحقه وروى عن سعيد بن المسيب قال لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لولا عفو الله وتجاوزة ما هنا احداً العيش ولولا وعيد الله وعقابه لانكلك كل واحد وتلا مطرف يوماً هذه الآية فقال لو يعلم الناس قدر رحمة الله وعفو الله وتجاوزة الله لغرت اعينهم ولو يعلم الناس قدر عذاب الله وبأس الله ونكال الله وقسمة الله ما رقأ لهم دمع ولا قرأت اعينهم بشيء (ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه) مثل الناقية والعصا عن ابن عباس وقال الزجاج طلبوا غير الآيات التي اتى بها فالتمسوا مثل آيات موسى وعيسى فاعلم الله أن لكل قوم هاد والمعنى انه سبحانه بين سوء طريقتهم في اقتراح الآيات كما في قوله لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً إلى قوله أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً وكما قالوا اجعل الصفا لنا ذهباً حتى نأخذ منه ما نشاء وإنما لم يظهر الله تعالى تلك الآيات لأنه لو اجاب أولئك لا ترح قوم آخرون آية اخرى وكذلك كل كافر كان يؤدي إلى غير نهاية (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) فيه أقوال **أحدها** ان معناه إنما انت منذر اي مخوف وهاد لكل قوم وليس إليك ازال الآيات عن الحسن والبي الضحى وعكرمة والجبائي وعلى هذا فيكون انت مبتدأ ومنذر خبره وهاد عطف على منذر وفصل بين الواو والمعطوف بالظرف **والثاني** ان المنذر هو محمد والهادي هو الله تعالى عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك ومجاهد **والثالث** ان معناه إنما انت منذر يا محمد ولكل قوم هاد نبي يهديهم وداع يرشدهم عن ابن عباس في رواية اخرى وقراءة والزجاج وابن زيد **والرابع** ان المراد بالهادي كل داع الى الحق وفي رواية اخرى عن ابن عباس قال لما نزلت الآية قال رسول الله انا المنذر وعلي الهادي من يهدي بك يهدي المهتدون وروى الحاكم ابو القاسم الحسكاني في كتاب شواهد التنزيل بالاستناد عن ابراهيم بن الحكم بن ظهير عن ابيه عن حكم بن جبير عن ابي بردة الأسلمي قال دعا رسول الله ﷺ بالطهور وعنده علي بن ابي طالب فأخذ رسول الله ﷺ بيد علي بعد ما تطهر فالزمها بصدرة ثم قال إنما أنت منذر ثم ردها الى صدر علي ثم قال ولكل قوم هاد ثم قال انك منارة

الأنام وغاية الهدى وامير القرى واشهد على ذلك انك كذلك وعلى هذه الأقوال الثلاثة يكون هاد مبتدأ ولكل قوم خبره على قول سيبويه ويكون مرتفعاً بالظرف على قول الأخفش
 قوله تعالى (٨) اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ (٩) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (١٠) سَوَاءٌ لَدُنَّكَ مِنَ الْأُنثَىٰ الْمُتَكِنَةُ الرَّحْمَىٰ وَالَّتِي الْيَمَانُ يَتَكِنُ وَالَّتِي يُتَكِنُ مِنْ حَيْثُ يَنْتَقِلُ وَالَّتِي فِي الْبَيْتِ الْمَدِينَةِ وَالَّتِي فِي الْبَيْتِ الْحَرَامِ الَّذِي فِيهِ كُنْتُمْ تُكَلِّمُونَ الْمَلَائِكَةَ لِتُنزِلُوا فِيهَا الْقُرْآنَ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءَ فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ اربع آيات
 — (القراءه) —

في الشواذ قراءة ابي ابراهيم (١) له معاقب من بين يديه ورقباء من خلفه يحفظونه بأمر الله وروي عن ابي عبد الله (ع) له معقبات من خلفه ورقيب من بين يديه يحفظونه بأمر الله وروى عن علي (ع) وابن عباس وعكرمة وزيد بن علي يحفظونه بأمر الله

— الحجية —

يجب أن يكون معاقب تكسير معقبة غير انه لما حذف احد القافين عوض منها الياء وقوله يحفظونه بأمر الله فعناه يحفظونه مما يحاذره بأمر الله والمفعول هنا محذوف قال ابن جنبي وأما قراءة الجماعة يحفظونه من امر الله فتقديره له معقبات من امر الله يحفظونه مما يخافه فمن على هذا مرفوعة الموضع لأنها صفة للمرفوع الذي هو معقبات وليس هذا على معنى يحفظونه من امر الله ان ينزل به لأنه لو كان كذلك لكانت منصوبة الموضع كقولك حفظت زيداً من الاسد والذي ذكرته رأي ابي الحسن فإن قلت فهلا كان تقديره على يحفظونه من امر الله بأمر الله ويستدل على ارادة الياء هنا بقراءة علي (ع) يحفظونه بأمر الله وجاز أن يكون يحفظونه بأمر الله لأن هذه المصائب كلها في علم الله وإيقداره فاعليها عليها فيكون هذا كقولك هربت من قضاء الله بقضاء الله قيل تأويل ابي الحسن اذهب في الاعتداد عليهم وذلك لأنه سبحانه وكل بهم من يحفظهم من حوادث الدهر ومخاوفه التي لا يعتد عليهم بتسليطها عليهم فهذا اسهل طريقاً وارسخ في الاعتداد بالنعمة عليهم عرفاً

❦ اللقمة ❦

الفيض ذهاب المائع في جهة العمق وغاضت المياه تقصت وغيضته تقصته قال

غيضن من عبراتهن وقلن لي ماذا لقيت من الهوى ولقيتنا

التمالي والعالي واحد وتعالى اي جل عن كل ثناء وقيل التعلالي المتندر على وجه يستحيل ان يساويه غيره والسارب الساري الجاري بسرعة والسرب بفتح السين والراء الماء السائل من الزيادة قال ذو الرمة

ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كلي مفرية سرب

وقيل السارب الذاهب في الأرض ومنه قول قيس بن الحظيم (اني سربت وكنت غير سروب) ويقال خل سربه اي طريقه والمعقبات المتناوبات التي يخلف كل واحد منها صاحبه ويكون بدلائمه وأصل التعقيب أن يكون الشيء تعقب آخر والمعقب الطالب دينه مرة بعد مرة قال الشاعر

حتى تهجر في الرواح وهاجه طلب المعقب حقه المظلوم

ومنه العقاب لأنه يستحق عقيب الجرم والعقاب لأنها تعقب الصيد تطلبه مرة بعد مرة وقيل إن واحد المعقبات معقب والجمع معقبة ومعقبات جمع الجمع كما قالوا رجالات عن القراء

— الأعراب —

ما في قوله ما تحمل وما تفيض وما تزداد استفهامية وموضعها نصب بالفعل الذي بعدها معناه أي شيء تحمل والجملة معلقة يعلم قال الزجاج سواء منكم من أمر القول ومن جهر به موضع من رفع بسواء وكذلك من الثانية يرتفعان جميعاً بسواء لأن سواء يطلب اثنين تقول سواء زيد وعمرو في معنى ذو سواء لأن سواء مصدر فلا يجوز أن يرتفع ما بعده إلا على المحذوف تقول عدل زيد وعمرو والمعنى ذو عدل زيد وعمرو لأن المصادر ليست بأسماء الفاعلين وإنما ترفع الأسماء أو صافها فإذا رفعتها المصادر فهي على المحذوف كما قالت الخنساء

ترتفع ما رتعت حتى إذا ذكرت فإنيما هي أقبال وادبار

أي ذات أقبال وادبار وكذلك زيد أقبال وادبار وهذا بما كثر استعماله أعني سواء فجرى مجرى أسماء الفاعلين ويجوز إن يرتفع على أن يكون في موضع مستوي إلا أن سيبويه يستقبح ذلك لا يجيز مستو زيد وعمرو لأن أسماء الفاعلين عنده إذا كانت نكرة لا يبتدأ بها لضغفها عن الفعل فلا يبتدأ بها ويجري مجرى الفعل

✽ المعنى ✽

(الله يعلم ما تحمل كل أنثى) أي يعلم ما في بطن كل حامل من ذكرا أو أنثى تام أو غير تام ويعلم لونه وصفاته (وما تفيض الأرحام) أي يعلم الوقت الذي تنقصة الأرحام من المدة التي هي تسعة أشهر (وما تزداد) على ذلك عن أكثر المفسرين وقال الضحاك الفيض نقصان من الأجل والزيادة ما يزداد على الأجل وذلك إن النساء لا يلدن لأجل واحد وقيل يعني بقوله ما تفيض الأرحام الولد الذي تأتي به المرأة لأقل من ستة أشهر وما تزداد الولد الذي تأتي به المرأة لأقصى مدة الحمل عن الحسن وقيل معناه ما تنقص الأرحام من دم الحيض وهو انقطاع الحيض وما تزداد بدم النفاس بعد الوضع عن ابن عباس بخلاف وابن زيد (وكل شيء) أي وكل شيء من الرزق أو الأجل أو ما سبق ذكره من الحمل (عنده بمقدار) أي بقدر واحد لا يجاوزه ولا يقصر عنه على ما توجه الحكمة (عالم الغيب والشهادة) أي عالم بما غاب عن حس العباد وبما يشاهده العباد لا يغيب عنه شيء وقيل عالم بالمعدوم والموجود والغيب هو المعدوم وقيل عالم السر والعلائية عن الحسن والأولى أن يجعل على المسموم ويدخل في هاتين الكلمتين كل معلوم نيه سبحانه بذلك على أنه عالم بجميع المعلومات الموجودات منها والمعدومات منها (الكبير) وهو السيد الملك القادر على جميع الأشياء وقيل هو الذي كل شيء دونه لكمال صفاته ولكونه عالماً لذاته قادراً لذاته حياً لذاته وقيل هو الذي كبر عن شبه المخلوقين (المتعال) وهو الذي علا كل شيء بقدرته فلا يساويه قادر وقيل هو المنزه عما لا يجوز عليه في ذاته وفعله وعما يقوله المشركون (سواء منكم من أمر القول ومن جهر به) معناه سواء عند الله وفي علمه من أمر القول في نفسه وأخفاه ومن أعلنه وأبداه ولم يضره في نفسه (ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار) أي ومن هو مستتر منوار بالليل ومن هو سالك في سره أي في مذهبه ماض في حوائجه بالنهار معناه أنه يرى ما أخفته ظلمة الليل كما يرى ما أظهره ضوء النهار بخلاف المخلوقين الذين يخفي عليهم الليل أهوال أهله وقال الحسن معناه ومن هو مستتر بالليل ومن هو مستتر بالنهار وضحح الزجاج هذا القول لأن العرب تقول انسرب الوحش إذا دخل في كتاسه (لمعقبات) اختلف في الضمير الذي في له على وجوه ✽ أحدها ✽ أنه يعود إلى من في قوله من أمر القول ومن جهر به ✽ والآخر ✽ أنه يعود إلى اسم الله تعالى وهو عالم الغيب والشهادة ✽ وثالثها ✽ أنه يعود إلى النبي ﷺ في قوله وإنما أنت منذر عن ابن زيد واختلف في المعقبات على أقوال ✽ أحدها ✽ أنها للملائكة يتعاقبون تعقب ملائكة الليل وملائكة النهار

ملائكة الليل وهم الحفظة يحفظون على العبد عمله عن الحسن وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد والجبائي وقال الحسن هم اربعة املاك يجتمعون عند صلاة الفجر وهو معنى قوله إن قرآن الفجر كان مشهودا وقد روي ذلك عن أنثنا «ع» ايضا * والثاني * انهم ملائكة يحفظونه من الممالك حتى يتهبوا به إلى المقادير فيحيلون بينه وبين المقادير عن علي «ع» وابن عباس وقيل هم عشرة املاك على كل آدمي يحفظونه * والثالث * انهم الأمراء والملوك في الدنيا الذين يمنعون الناس عن المظالم وتكون لهم الاحراس والشرط والمواكب يحفظونه عن عكرمة والضحاك وروي ايضا عن ابن عباس وتقديره ومن هو سارب بالنهار له احراس وأعوان قدر انهم يحرسونه ولم يتجه احراسه من الله (من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله) ابي يطوفون به كما يطوف الموكل بالحفظة وقيل يحفظون ما تقدم من عمله وما تأخر إلى أن يموت فيكتبونه عن الحسن وقيل يحفظونه من وجوه الممالك والمعاطب ومن الجن والانس والهوام وقال ابن عباس يحفظونه مما لم يقدر نزوله فإذا جاء المقدربطل الحفظ وقيل من امر الله أي بأمر الله عن الحسن ومجاهد والجبائي وروى ذلك عن ابن عباس وهذا كما يقال هذا الامر يتدبير فلان ومن تدبير فلان وقيل معناه يحفظونه عن خلق الله فتكون من بمعنى عن كما في قوله وآمنهم من خوف أي عن خوف قال كعب : لولان الله وكل يكمل ملائكة يذوبون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم لئلا تخطفكم الجن (إن الله لا يغير ما بقوم) من النعمة والحال الجميلة (حتى يغيروا ما بأنفسهم) من الطاعة فيعصون ربهم ويظلم بعضهم بعضا قال ابن عباس إذا انعم الله على قوم فشكروها زادهم وإذا كفرها سلبهم اباها وإلى هذا المعنى اشار امير المؤمنين (ع) بقوله إذا قبلت عليكم اطراف النعم فلا تنفروا اقصاها بقله الشكر (وإذا أراد الله بقوم سوء) أي عذابا وإنما ساء سوءا لأنه يسوء (فلا مرد له) أي لا مدفع له وقيل معناه إذا أراد الله بقوم بلاء من مرض وسقم فلا مرد لبلائه (وما لهم من دونه من وال) يلي امرهم ويمنع العذاب عنهم

* النظم *

اتصلت الآية الاولى بقوله وإن تعجب الآية فإنه احتجاج للبعث والمعنى أن من كان بهذه الصفة في القدرة والعلم فإنه يقدر على البعث وقيل انها اتصلت بقوله ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقوله لولا انزل عليه آية من ربه يعني ان من يعلم غوامض الامور فهو اعلم بالمصالح ولو علم الصلاح في ازال العذاب أو الآية لفعل عن البلخي وأبي مسلم وقوله له معقبات يتصل بقوله وسارب بالنهار عن الجبائي وقيل يتصل بقوله عالم الغيب والشهادة ويعلم ما تحمل كل انثى أي كما يعلمهم جعل عليهم حفظة يحفظونهم وقيل يتصل بقوله إنما انت منذر يعني انه (ع) محفوظ بالملائكة واتصل قوله إن الله لا يغير ما بقوم إلى آخره بقوله ويستعجلونك بالعذاب يعني انه لا ينزل العذاب إلا بمن يعلم من جهتهم التغير حتى لو علم أن فيهم من يؤمن في المستقبل او يعقب مؤمنا لا ينزل العذاب وقيل بل اتصلت بالسارب بمعنى انه إذا اتى بالمعصية بطل به حفظه وحق به عقابه وقيل بل هو على الاطلاق والمعموم قوله تعالى (١٢) هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً وبششي السحاب الثقال (١٣) ويوسخ الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال (١٤) له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشي إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو بآلئه وما دعاه الكافرين إلا في ضلال (١٥) والله بسجد من في السماوات والأرض طوعاً وكرها وظلالهم بالغدو والآصال اربع آيات

* القراءة *

في الشواذ قراءة الأعرج شديد المحال بفتح الميم وقراءة ابي مجلز بالغدو والابصال

* الحجة *

قال ابن جنى المحال مفعول من الحيلة قال ابو زيد يقال ما له حيلة ولا محالة فيكون تقديره شديد الحيلة وتفسيره قوله سبحانه سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقوله ومكروا ومكر الله والابصال مصدر اصلنا أي دخلنا في وقت الأصيل ونحن موصلون

* اللغة *

يقال اراه يريه اراة وهو أن يجعله على صفة الرؤية باظهار المرئي له او يجعله على صفة يرى والسحاب جمع سحابة ولذلك قال الثعال ولو قيل الثقليل لجاز والصواعق جمع صاعقة وهي نار تسقط من السماء والرعد والبرق ذكرنا معناها في اول البقرة والمحال الأخذ بالمعقاب هاهنا فقال ماحله ماحلة ومحالا إذا قاواه حتى يتبين ابهاما اشد ومحلته به محلا قال الاعشى

فرع نبع يهترأ في غصن المجد غزير الندى شديد المحال

والاستجابة والإجابة بمعنى غير ان في الاستجابة معنى الطلب قال (فلم يسئبه عند ذاك مجيب) والظلال جمع الظل وهو ستر الشخص ما بازائه والظل الظليل وهو ستر الشمس اللازم واما التي فهو الذي يرجع بعد ذهاب ضوئه ومنه الظلة لسترها والآصال جمع اصل واصل جمع اصيل فهو جمع الجمع مأخوذ من الأصل فكانه اصل الليل الذي ينشأ منه وهو ما بين العصر إلى مغرب الشمس وقد يقال في جمعه اصائل قال ابو ذؤيبه

لعمرى لأنت البيت اكرم اهله واقعد في افئاته بالأصائل

— (الاعراب) —

خوفاً وطمعاً لا ينتصيان على الغرض لأن ما ينتصب لذلك يجب أن يكون فاعله وقاعل الفعل الأول واحداً وهاتان الخائف والطامع ليسا بالذي يرى البرق وهما في قوله يدعون ربه خوفاً وطمعاً ينتصيان على الغرض لأن الخائف والطامع هناك هو الداعي فاعلمه فإنه مجيد مفيد والمعنى هاهنا يخوفكم بما يريكم خوفاً ويطعمكم طمعاً فالمصدر وقع موقع الحال وهم يجادلون في الله جاز أن تكون هذه الواو والحال أي يصيب بها من يشاء في حال جدالهم في الله لأنه جاء في التفسير أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فجادله فقال يا محمد مم ربك أم من نحاس أم من حديد أم من لؤلؤ أم من ياقوت أم من ذهب أم من فضة فأرسل الله عليه صاعقة ذهبت بقحفه وهو قول انس بن مالك ومجاهد ويجوز أن يكون لما تمم الله اوصاف ما يدل على توحيده وقدرته قال بعد ذلك وهم يجادلون والكاف من قوله كباسط كفيه بتعلق بصفة مصدر تقديره إلا استجابة كائنة كاستجابة باسط كفيه إلى الماء هذا إذا كان الكاف حرقاً وإذا كان اسماً محضاً فالتقدير إلا استجابة مثل استجابة باسط كفيه إلى الماء فلا يكون في الكاف ضمير أي كما يستجيب الماء باسط كفيه إليه واللام في قوله ليبلغ فاه بتعلق باسط كفيه وما هو ببالته أي ما الماء يبالغ فاه وقيل ما فوه يبالغ الماء وقيل ما باسط كفيه إلى الماء يبالغ الماء وطوعاً وكرهاً مصدران وضعا موضع الحال

— المعنى —

ثم اخبر سبحانه عن كمال قدرته فقال (هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً) أي تخويفاً واطمعاً فأقام الخوف والطمع مقام التخويف والاطمع وذكر فيه وجوه ▶ احدها ▶ أن المعنى خوفاً من الصواعق التي يكون معها وطمعاً في النيث الذي يزيل القحط عن الحسن واني مسلم ▶ والثاني ▶ خوفاً للمسافر من

ابن بضل الطريق فلا يمكنه السير وطعما للمقيم في نمو الزرع والخير الكثير عن قتادة والضحاك والجبائي
 الثالث ﴿ خوف لمن يخاف ضر المطر لا نه ليس كل بلد ينتفع فيه بالمطر وطعما لمن يرجو الانتفاع به
 عن الزجاج (وينشئ السحاب الثقال) أي ويخلق السحاب الثقال بالماء يرفعها من الأرض فيجرها في الجو
 (ويسبح الرعد بحمده) تسيح الرعد دلالة على تنزيه الله تعالى ووجوب حمده فكأنه هو المسبح وقيل إن الرعد
 هو الملك الذي يسوق السحاب ويزجره بصوته وهو يسبح الله تعالى ويحمده وروي عن النبي ﷺ انه قال إن
 ريك سبحانه يقول لو أن عبادي اطاعوني لاسقيتهم المطر بالليل واطلعت عليهم الشمس بالنهار ولم اسمعهم صوت
 الرعد وكان ﷺ إذا سمع صوت الرعد قال سبحان من يسبح الرعد بحمده وكان ابن عباس يقول
 سبحان الذي سبحت له وروى سالم بن عبدالله عن ابيه قال كان رسول الله ﷺ إذا سمع الرعد والصواعق
 قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وقال ابن عباس من سمع صوت الرعد فقال
 سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير فإن أصابته صاعقة فعلي دية
 (والملائكة من خيفته) أي وبسبح الملائكة من خيفة الله تعالى وخشيته قال ابن عباس إنهم خائفون من الله
 تعالى ليس كخوف ابن آدم لا يعرف احدهم من على يمينه ومن على يساره ولا يشغل عن عبادة الله طعام ولا شراب
 ولا شيء (وهرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) ويصرها عن شيا إلا انه حذف وروي عن ابي جعفر الباقر
 عليه السلام أن الصواعق تصيب المسلم وغير المسلم ولا تصيب ذاكرا (وهم يجادلون في الله) يعني ان هؤلاء
 الجهال مع مشاهدتهم لهذه الآيات يخاصمون اهل التوحيد ويحاولون قتلهم عن مذاهبهم بجدهم لأن معنى
 الجدل قتل الخصم عن مذهبه بطريق الججاج روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس انه عنى بذلك ان زيد بن
 قيس اخا لبيد بن ربيعة العامري لأمه وعامر بن طفيل وذلك انهما اتيا النبي ﷺ بجادلانه ويريدان القتال
 به وكان عامر اوصى إلى زيد إذا رأيتني اكله فدر من خلفه فاضربه بالسيف فجعل عامر يخاصم رسول
 الله ﷺ ويراجعه الكلام فدار زيد خلف رسول الله ﷺ ليضربه فاخترط من سيفه شبرا ثم حبه الله
 عنه فلم يقدر على سله وجعل عامر يومي اليه فالتفت رسول الله ﷺ فرأى زيدا وما يصنع بسيفه فقال اللهم
 اكفنيهما بما شئت فأرسل الله على زيد صاعقة في يوم صائف فاحرقته وولى عامر هاربا وقال يا محمد دعوت
 ربك فقتل زيدا والله لا ملأها عليك خيلا جردا وفتيانا مردا ولا رطبن بكل نخلة فرسا فقال ﷺ الله يمتك
 من ذلك فتزل بيت امرأة من سلول وخرج على ركبيه في الوقت غدة عظيمة فكان يقول غدة كفدة البعير
 وموت في بيت سلولة حتى قتله وفي ذلك يقول لبيد بن ربيعة يرثي اخاه زيدا

اخشي على زيد الختوف ولا ارهب نوء السماء والاسد

فجمعني البرق والصواعق بالافارس يوم الكريهة النجد

(وهو شديد الحال) أي شديد الأخذ عن علي (ع) وقيل شديد القوة عن قتادة ومجاهد وقيل شديد
 النعمة عن الحسن وقيل شديد القدرة والعذاب عن الزجاج وقيل شديد الكيد للكفار عن الجبائي (له دعوة
 الحق) أي لله سبحانه دعوة الحق واختلاف في معنى دعوة الحق على أقوال ﴿ احدها ﴾ انها كلمة الإخلاص
 شهادة أن لا إله إلا الله عن ابن عباس وقاتادة وابن زيد ﴿ والثاني ﴾ أن الله تعالى هو الحق فدعاؤه دعوة الحق
 ومن دعاه دعا الحق عن الحسن ﴿ والثالث ﴾ انها الدعوة التي يدهى بها الله على اخلاص التوحيد عن
 الجبائي والمعنى أن من دعاه على جهة الاخلاص فهو يجيبه فله سبحانه من خلقه دعوة الحق (والذين يدعون من
 دونه) أي والذين يدعوه المشركون من دون الله حاجاتهم من الاوثان وغيرها (لا يستجيبون لهم بشي إلا
 كباط كفيه إلى الماء ليلغ فيه وما هو بباله) هذا مثل ضربه الله لكل من عبد غير الله ودعاه رجاء أن ينفعه

يقول ان مثله كمثل رجل بسط كفيه إلى الماء من مكان بعيد ليتناوله ويسكن به غلته وذلك الماء لا يبلغ فاه بعد المسافة بينهما فكذلك ما كان يعبد المشركون من الاصنام لا يصل نفعها اليهم ولا يستجيب دعاءهم عن ابن عباس وقيل كباسط كفيه إلى الماء أي كالذي يدعوا الماء بلسانه ويشير اليه بيده فلا يأتيه الماء من مجاهد وقيل كالذي يبسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه قبل أن يبلغ الماء فاه عن الحسن وقيل انه تمثيل العرب لمن يسمى فيبا لا يدركه فيقول هو كالقابض على الماء عن ابي عبيدة والبغوي وابي مسلم قال الشاعر

فاصبحت مما كان بيني وبينها من الود مثل القابض الماء باليد

وقال الآخر

فإني وإياكم وشوقا اليكم كقابض ماء لم تسعه انامله

(وماء الكافرين إلا في ضلال) أي ليس دعاءهم الاضام من دون الله إلا في ذهاب عن الحق والصراب وقيل في ضلال من طريق الإجابة والنفع ثم بين سبحانه كمال قدرته وسعة مملكته فقال (وهو يسجد من في السموات والأرض) يعني الملائكة وسائر المكلفين (طوعا وكرها) اختلف في معناه على قولين ﴿احدهما﴾ ان معناه انه يجب السجود لله تعالى إلا ان المؤمن يسجد له طوعا والكافر يسجد له كرها بالسيف عن الحسن وقتادة وابن زيد ﴿والثاني﴾ ان المعنى وهو يخضع من في السموات والأرض إلا ان المؤمن يخضع له طوعا والكافر يخضع له كرها لأنه لا يمكنه ان يستمتع من الخضوع لله لما يجعل به من الآلام والاسقام عن الجبائي (وظلالهم) أي ويسجد ظلالمهم (بالعدو والآصال) أي المشيات قيل ان المراد بالظل الشخص فلو من يسجد يسجد ظله معه قال الحسن يسجد ظل الكافر ولا يسجد الكافر ومعناه عند اهل التحقيق انه يسجد شخصه دون قلبه لأنه لا يريد بسجوده عبادة ربه من حيث انه يسجد للخرف وقيل إن الظلال على ظاهرها والمعنى في سجودها تأييدها من جانب إلى جانب وانقيادها بالتسخير بالطول والقصر

قوله تعالى (١٦) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ نَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ آية في الكوفي آيتان مدني وبصري ثلاث آيات شامي لم يعد الكوفي الظلمات والنور وعد الشامي وحده لاعمي والبصير

﴿القرائة﴾

قرأ أهل الكوفة غير حفص أم هل يستوي الظلمات بالياء والباقون بالتاء.

-(الحجة)-

من قرأ بالتاء فلونه مسند إلى مونت لم يفصل بينه وبين فاعله بشي كقوله وقالت اليهود وقالت الاعراب وقد جاء في مثل ذلك التذكير كقوله وقال نسوة ومن قرأ بالياء فلونه مونت غير حقيقي

-(المعنى)-

لما بين سبحانه في الآية الأولى انه المستحق للعبادة وان له من في السموات والارض عقبه بما يجري مجرى الحجة على ذلك فقال (قل) يا محمد لموتلا الكفار (من رب السموات والارض) أي من مدبرهما وصرهما على

ما فيها من البدائع فإذا استعجم عليهم الجواب ولا يمكنهم أن يقولوا الأصنام (قل) أنت لهم رب السماوات والأرض وما بينها من أنواع الحيوان والنباتات والجماد (الله) فإذا أقروا بذلك (قل) لهم على وجه التبييت والتوبيخ لعلهم (أفأنتخذتم من دونه أولياء) توجهون بعبادتهم إليهم فالصورة صورة الاستفهام والمراد به التقرير ثم بين أن هؤلاء الذين اتخذوهم من دونه أولياء (لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا) ومن لا يملك لنفسه ذلك فلا أولى والأحرى أن لا يملك لغيره ومن كان كذلك فكيف يستحق العبادة وإذا قيل كيف يكون هو السائل والمجيب والملزم بقوله قل أفأنتخذتم من دونه أولياء فالجواب انه إذا كان القصد بالحجاج ما يبينه من بعد من بعد لم يتنع ذلك فكأنه قال الله الخالق فلماذا أنتخذتم من دون الله أولياء لأن الأمر الظاهر الذي لا يجيب الحضم إلا به لا يتنع أن يبادر السائل إلى ذكره ثم يورد الكلام عليه تقاديا مسن التلويل ويكون تقدير الكلام أليس الله رب السموات والأرض فلم اتخذتم من دونه أولياء ثم ضرب لهم سبحانه مثلا بعد الزام الحجة فقال (قل هل يستوي الأعمى والبصير) أي كما لا يستوي الأعمى والبصير كذلك لا يستوي المؤمن والكافر لأن المؤمن يعمل على بصيرة ويعبد الله الذي يملك النفع والضرر والكافر يعمل على عى ويعبد من لا يملك النفع والضرر ثم زاد في الإيضاح فقال (أم هل تستوي الظلمات والنور) أي هل يستوي الكفر والإيمان أو الضلالة والهدى أو الجهل والعلم (أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه) أي هل جعل هؤلاء الكفار لله شركاء في العبادة خلقوا افعلوا مثل خلق الله تعالى من الأجسام والألوان والطعوم والأرايح والقدرة والحياة وغير ذلك من الأفعال التي يختص سبحانه بالقدرة عليها (فتشابه الخلق عليهم) أي فاشبه لذلك عليهم ما الذي خلق الله وما الذي خلق الأوثان فظنوا أن الأوثان تستحق العبادة لأن أفعالها مثل أفعال الله فإذا لم يكن ذلك مشبها إذ كان ذلك كله لله تعالى لم يبق شبهة انه الإله لا يستحق العبادة سواء (قل) لهم (الله خالق كل شيء) يستحق به العبادة مسن أصول النعم وفروعها (وهو الواحد) ومناه انه يستحق من الصفات ما لا يستحقه غيره فهو قديم لذاته قادر لذاته عالم لذاته حي لذاته غني لا مثل له ولا شبه وقيل الواحد وهو الذي لا يتجزأ ولا يتبعض وقيل هو الواحد في الإلهية لا ثاني له في القدم (القهار) الذي يقهر كل قادر سواء ولا يتنع عليه شيء واستدل المجبر بقوله الله تعالى خالق كل شيء على ان أفعال العباد مخلوقة لله لأن ظاهر العموم يقتضي دخول أفعال العباد فيه وبقوله أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه قالوا لأنه أنكر أن يكون خالق خالق كخلقه وأجيب عن ذلك بأن الآية وردت حجة على الكفار إذ لو كان المراد ما قالوا لكان فيها حجة لهم على الله لأنه إذا كان الخالق لعبادتهم الأصنام هو الله فلا يتوجه التوبيخ إلى الكفار ولا يلحقهم اللوم بذلك بل يكون لهم أن يقولوا انك خلقت فينا ذلك فلم توبخنا على فعل فعلته فينا فيبطل حينئذ فائدة الآية وايضا فإن أكثر اصحابنا لا يطلقون على غيره سبحانه انه يخلق أصلا فضلا عن أن يقولوا انه يخلق كخلق الله ولكن يقولون ان العباد يفعلون ويحدثون ومعنى الخلق عندهم الاختراع ولا يقدر العباد عليه ومن جوز منهم إطلاق لفظ الخلق في أفعال العباد فإنه يقول انه سبحانه إنما نفى أن يكون احد يخلق مثل خلقه ونحن لا نقول ذلك لأن خلق الله اختراع وابداع وأفعال غيره مفعولة في محل القدرة عليها مباشرة او متولدا في الغير بسبب حال في محل القدرة ولا يقدر على اختراع الأفعال في الغير على وجه مسن الوجوه إلا الله سبحانه الذي ابداع السماوات والأرض وما فيها وينشئ الأجناس من الاعراض التي لا يقدر عليها غيره فكيف يشبه الخالق مع هذا التمييز الظاهر على ان عندهم كل حركة هي كسب للعبد وفعل لله تعالى ولا يميز فقد حصل التشابه هنا ونحن نقول ان احدنا يفعل بقدرة محدثة بفعلها الله تعالى فيه والله يفعل لكونه قادرا لذاته فالفرق والتمييز ظاهر فعلنا ان المراد بقوله خالق كل شيء ما قدمناه من انه خالق كل شيء يستحق خلقه العبادة

قوله تعالى (١٧) أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا

وَمَا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حَلِيبٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ بَضْرِبُ اللَّهِ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ
فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ بَضْرِبُ اللَّهِ الْأَمْثَالَ
(١٨) لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا
وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ آيَاتِنَ

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر يوقدون بالياء والباقون بالتاء.

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي من قرأ بالتاء فلما قبله من الخطاب وهو قوله قل أفاتخذتم ويجوز أن يكون خطاباً عاماً يراد به الكافة كأن المعنى ومما توقدون عليه أيها الموقدون زبد مثل زبد الماء الذي يحمل السيل ومن قرأ بالياء فلأن ذكر النبية قد تقدم في قوله أم جعلوا لله شركاء ويجوز أن يراد به جميع الناس ويقوي ذلك قوله وأما ما ينفع الناس فكما أن الناس يعم المؤمنين والكافرين كذلك الضمير في يوقدون وقال ومما يوقدون عليه في النار فجعل الظرف متعلقاً بوقدون لأنه قد يوقد على ما ليس في النار كقوله فأوقد لي يا هامان على الطين فهذا أيقاد يقال على ما ليس في النار وإن كان يلحقه وهجها وهجها

﴿ اللغة ﴾

الوادي سفح الجبل العظيم المنخفض الذي يجتمع فيه ماء المطر ومنه اشتقاق الودية لأنه جمع المال العظيم الذي يردى عن القليل والقدر اقتران الشيء بغيره من غير زيادة ولا نقصان والوزن يزيد وينقص فإذا كان مساوياً فهو القدر وقرأ الحسن بقدرها بسكون الدال وهما لثان يقال أعطى قدر شبر وقدر شبر والمصدر بالتخفيف لا غير وهم يقتصرون في القدر مما بالسكون والحركة قال

ألا يا لقوم للنوائب والقدر وللأمر يأتي المرء من حيث لا يدري

والاحتمال رفع الشيء على الظهر بقرة الحامل له ويقال علا صوته على فلان فاحتمله ولم يغضبه والزبد وضرب الغليان وهو خبث الغليان ومنه زبد القدر وزبد السيل والجفاء ممدود مثل النشاء وأصله الهمز يقال جفا الوادي جفاء قال أبو زيد يقال جفأت الرجل إذا صرته واجفأت القدر بزبدتها إذا القيته زبدتها عنها قال الفراء كل شيء ينضم بعضه إلى بعض فإنه يجي على فعال مثل الحطام والقماش والنشاء والجفاء والإيقاد التاء الحطب في النار واسترقت النار واتقدت وتوقدت والمتاع ما تمتت به والمكث الكون في المكان على مرور الزمان يقال مكث ومكثت النار وتمكث أي تلبث

﴿ الإعراب ﴾

قال جامع العلوم البصير قوله في النار متملن بمحذوف في موضع الحال من الضمير المجرور بقوله عليه أي ومما توقدون عليه ثابتاً في النار ابتغاء حلية أي مبتغين حلية فهو مصدر في موضع الحال من الضمير في يوقدون ولا يجوز أن يكون قوله في النار من صلة يوقدون لأن المعنى ليس على ذلك فالمعنى أنهم يوقدون على الذهب في حال كونه في النار فافهمه من كلام أبي علي ولم يبتدأ به غيره وقوله زبد مبتدأ ومثله نعمته والظرف الذي هو قوله مما توقدون خبره على قول سيويوه وهو مرتفع بالظرف على قول الاخفش وموضع جفاء نصب على الحال أي يذهب على هذه الحالة قال الشاعر

إذا أكلت سمكا وفرضا ذهب طولاً وذهبت عرضاً
أي ذهب على هذه الحالة والفرض نوع من التمر

« المعنى »

ثم ضرب سبحانه مثلين للحق والباطل ﴿ أحدهما ﴾ الماء وما يعلوه من الزبد ﴿ والآخر ﴾ ما توقد عليه النار من الذهب والفضة وغيرها وما يعلوه من الزبد على ما رتبته فقال (أنزل من السماء ماء) أي مطراً (فسالت أودية بقدرها) يعني فاحتمل الأنهار الماء كل نهر بقدره الضئيل على قدر صغره والكبير على قدر كبره فسالت كل نهر بقدره عن الحسن وفتادة والجبائي وقيل بقدرها بما قدر لها من مائها عن الزجاج (فاحتمل السيل زبدا رابياً) أي طافياً عالياً فوق الماء شبه سبحانه الحق والإسلام بالماء الصافي النافع للخلق والباطل بالزبد الذاهب باطلاً وقيل أنه مثل القرآن النازل من السماء ثم تحتمل القلوب حظها من اليقين والشك على قدرها فالما مثل اليقين والزبد مثل الشك عن ابن عباس ثم ذكر المثل الآخر فقال (وما توقدون عليه في النار) وهو الذهب والفضة والرصاص وغيره مما يذاب (ابتغاء حلية) أي طلب زينة يتخذ منه كالذهب والفضة (أو متاع) معناه أو ابتغاء متاع ينتفع به وهو مثل جواهر الأرض يتخذ منها الأواني وغيرها (زبد مثله) أي مثل زبد الماء فإن هذه الأشياء التي تستخرج من المعادن وتوقد عليها النار ليشير الخالص من الحبيث لها أيضاً زبد وهو حبيثها (كذلك يضرب الله الحق والباطل) أي مثل الحق والباطل وضرب المثل تسييره في البلاد حتى يتمثل به في الناس (فأما الزبد فيذهب جفاً) أي باطلاً متفرقاً بحيث لا ينتفع به (وأما ما ينفع الناس) وهو الماء الصافي والأيان التي ينتفع بها (فيسكت في الأرض) فينتفع به الناس فمثل المؤمن وامتداده كمثل هذا الماء المنتفع به في نبات الأرض وحياة كل شيء به وكمثل نفع الذهب والفضة وسائر الأعيان المنتفع بها ومثل الكافر وكفره كمثل هذا الزبد الذي يذهب جفاً وكمثل حبيث الحديد وما تخرجه النار من وسخ الذهب والفضة الذي لا ينتفع به (كذلك يضرب الله الأمثال للناس) في أمر دينهم قال قتادة هذه ثلاثة أمثال ضربها الله تعالى في مثل واحد شبه نزول القرآن بالماء الذي يستزل من السماء وشبه القلوب بالأودية والأنهار فمن استقصى في تدبره وتفكر في معانيه أخذ حظاً عظيماً منه كأنه كانهر الكبير الذي يأخذ الماء الكثير ومن رضي بها أدها إلى التصديق بالحق على الجملة كان أقل خطأً منه كأنه كانهر الصغير فهذا مثل تم شبه الخطرات ووساوس الشيطان بالزبد يعلو على الماء وذلك من حبيث التربة لا عين الماء كذلك ما يقع في النفس من الشكوك فمن ذاتها لا من ذات الحق يقول فكما يذهب الزبد باطلاً ويبقى صفوة الماء كذلك يذهب مخايل الشك هباءً باطلاً ويبقى الحق فهذا مثل ثانٍ والمثل الثالث قوله وما توقدون عليه في النار إلى آخره فالكفر مثل هذا الحبيث الذي لا ينتفع به والأيان مثل الماء الصافي الذي ينتفع به وتم الكلام عند قوله يضرب الله الأمثال ثم استأنف بقوله (للذين استجابوا لربهم الحسنى) عن الحسن والبليغي وقيل بل يتصل بما قبله لأن معناه أن الذي يبقى مثل الذين استجابوا لربهم والذي يذهب جفاً مثل الذي لا يستجيب والمراد به للذين استجابوا دعوة الله وآمنوا به وأطاعوه الحسنى وهي الجنة عن الحسن والجبائي وقيل معناه الخصلة الحسنى والحالة الحسنى وهي صفة الثواب والجنة أيضاً عن أبي مسلم (والذين لم يستجيبوا له) أي لله فلم يؤمنوا به (لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه لاقتدوا به) أي جملوا ذلك فديسة أنفسهم من العذاب لم يقبل ذلك منهم (أو لئن لم لهم سوء الحساب) قيل فيه أقوال ﴿ أحدها ﴾ أن سوء الحساب أخذهم بذنوبهم كلها من دون أن يغفر لهم شيء منها عن إبراهيم النخعي ويؤيد ذلك ما جاء في الحديث ومن نوقش الحساب عذب فيكون سوء الحساب المناقشة ﴿ والثاني ﴾ هو أن يحاسبوا للتقريب والتوبيخ فإن الكافر يحاسب على هذا الوجه والمؤمن يحاسب ليسر بما أعد الله تعالى له عن الجبائي ﴿ والثالث ﴾ هو أن لا يقبل لهم حسنة ولا يغفر لهم سيئة عن الزجاج

وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع) ﴿ والرابع ﴾ ان سوء الحساب هو سوء الجزاء فسمي الجزاء حسابا لأن فيه اعطاء المستحق حقه (وما واهم جهنم) اي مصيرهم الى جهنم (وبئس المهاد) اي وبئس ما مهدوا لأنفسهم والمهاد الفراش الذي يوطأ لصاحبه وتسمى النار مهادا لأنها موضع المهاد لهم

قوله تعالى (١٩) **أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ** (٢٠) **الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ** (٢١) **وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا آمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ** (٢٢) **وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ أَلَسِيَّةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَقُوبَى الدَّارِ** (٢٣) **جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ** (٢٤) **سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ** ستات

(- اللغة -)

الالباب المقول ولب الشيء اجل ما فيه واخلاه واجوده ولب الانسان عقله لأنه اجل ما فيه ولب النخلة قلبها والميثاق العهد الواقع على احكام والوصل ضم الثاني الى الأول من غير فاصلة والخوف والخشية والفرع نظائره وهو انزعاج النفس بما لا يأمن منه من الضرر والسوء وروى ما يشق على النفس والحساب احصاء ما على العامل وله وهو هاهنا احصاء ما على المجازي وله والسوء هو اخفاء المعنى في النفس ومنه السرور لأنه لذة تحصل للنفس ومنه السرير لأنه مجلس سرور والدرء الدفع والمدن الإقامة الطويلة وعدن بالمكان يعدن عدنا ومنه المعدن والصلاح استقامة الحال والمصلح من فعل الصلاح الذي يدعو اليه العقل والشرع والصالح المستقيم الحال في نفسه والمقبى فعلى من العاقبة وهو الانتها الذي يؤدي اليه الابتداء من خيرا وشر

﴿ الاعراب ﴾

موضع الذين يؤفون رفع لأنه صفة لقوله أولو الالباب وقيل انه صفة لمن يعلم وابتغاء نصب لأنه مفعول له وجنات عدن بدل من عقبى ومن صلح موضعه رفع عطفا على الواو في قوله يَدْخُلُونَهَا وجائز ان يكون نصباً لأنه مفعول معه كما تقول قد دخلوا وزيدا اي مع زيد والباء في قوله بما صبرتم يتعلق بمعنى سلام لأنه دل على السلامة لكم بما صبرتم ويحتمل ان يتعلق بحذوف على تقدير هذه الكرامة لكم بما صبرتم وما في قوله بما صبرتم مصدرية تقديره بصبركم وقيل انه بمعنى الذي كأنه قال بالذي صبرتم على فعل طاعته وتجنب معاصيه

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه الفرق بين المؤمن والكافر فقال (أفمن يعلم انما انزل إليك) يا محمد (من ربك الحق كمن هو اعشى) عنه اخرج الكلام مخرج الاستفهام والمراد به الإنكار اي لا يكونان مستويين فإن الفرق بينهما هو الفرق بين الاعشى والبصير لأن المؤمن يبصر ما فيه رُشدُه فيتبعه والكافر يتعمى عن الحق فيتبع ما فيه هلاكه (انما يتذكر أولوا الالباب) اي انما يتكفره ويستدل به ذوق العقول والمعرفة قال علي بن عيسى وفي هذا حث على طلب العلم والزام له لأنه اذا كانت حال الجاهل كحال الاعشى وحال العالم كحال البصير وأمکن هذا الاعشى ان يستفيد بصرا فما الذي يقعه عن طلب العلم الذي يخرج به عن حال العمى بالجهل الى حال البصير (الذين يؤفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق) اي يؤذون ما عهد الله اليهم والزمهم اياه عقلا وسمعا فالعهد العقلي ما جعله في عقولهم من اقتضاء صحة أمور وفساد أمور آخر كاتقضاء الفعل للفاعل وان الصنائع لا بد ان ترجع

الى صانع غير مصنوع والا ادى الى ما لا يتناهى وان للعالم مدبرا لا يشبهه والهدى الشرعي ما أخذه النبي ﷺ
 على المؤمنين من الميثاق المؤكد باليمين ان يطيعوه ولا يعصوه ولا يرجعوا عما التزموه من اوامر شرعه ونواهيه وانما
 كثر ذكر الميثاق وان دخل جميع الاوامر والنواهي في لفظ العهد لئلا يظن ظان أن ذلك خاص فيا بين العبد وربه
 فأخبر ان ما بينه وبين العباد من الموثيق كذلك في الوجوب والالتزام وقيل انه كرهه تأكيدا (والذين يصلون
 ما أمر الله به ان يوصل) قيل المراد به الايمان بجميع الرسل والكتب كما في قوله لا تفرق بين أحد من رسله
 وقيل هو صلة محمد وموارثته ومعاونته والجهاد معه عن الحسن وقيل هو صلة الرحم عن ابن عباس وروى اصحابنا
 ان ابا عبد الله (ع) لما حضرته الوفاة قال اعطوا الحسن بن الحسين بن علي بن الحسين وهو الافطس سبعين دينارا
 فقالت له أم ولد له أنعطني رجلا حمل عليك بالشفرة فقال لها ويمك أما تقرين قوله تعالى والذين يصلون ما أمر الله
 به ان يوصل الآية وقيل هو ما يلزم من صلة المؤمنين بأن يتواوهم وينصروهم ويذبحوا عنهم ويدخل فيه صلة الرحم
 وغير ذلك عن الجاثي واني مسلم وروى جابر عن ابي جعفر (ع) قال قال رسول الله ﷺ يا ابا عبد الله
 الرحم يهوان الحساب ثم تلا هذه الآية روى محمد بن الفضيل عن موسى بن جعفر الكاظم (ع) في هذه الآية
 قال صلة آل محمد ﷺ معلقة بالعرش تقول اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني وهي تجري في كل رحم
 وروى الوليد بن ابان عن ابي الحسن الرضا (ع) قال قلت له هل على الرجل في ماله سوى الزكاة قال نعم ان
 ما قال الله والذين يصلون الآية (ويخشون ربهم) اي يخافون عقاب ربهم في قطعها (ويخافون سوء الحساب)
 قد بينا ما قيل فيه وروى هشام بن سالم عن ابي عبد الله (ع) قال سوء الحساب ان يحسب عليهم السيئات ولا يحسب
 لهم الحسنات وهو الاستعصاء وروى حماد بن عثمان عن ابي عبد الله (ع) انه قال لرجل يا فلان مالك ولا أخيك قلت
 جئت فذاك لي عليه شي فاستقصيت حقي عنه قال ابو عبد الله (ع) اخبرني عن قول الله سبحانه ويخافون سوء الحساب
 أترام خافوا ان يجور عليهم او يظلمهم لا والله ولكن خافوا الاستعصاء والمدافعة (والذين صبروا ابتغاء وجه
 ربهم) اي الذين صبروا على القيام بما اوجبه الله عليهم وعلى بلاء الله من الامراض والعقوبة وغير ذلك وعن معاصي
 الله سبحانه لطلب ثواب الله تعالى لأن ابتغاء وجه الله هو ابتغاء الله ويكون ابتغاء ثوابه تقول العرب
 في تعظيم الشيء هذا وجه الرأي وهذا نفس الرأي للرأي المعظم فكذلك وجه ربهم هو نفسه المعظم فلا شيء اعظم
 منه ولا شيء يساويه في العظم وقيل ان ذكر الوجه هنا عبارة عن الاخلاص وترك الرياء (واقاموا الصلاة) اي اذوا بحدودها
 وقيل داموا على فعلها (وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) اي ظاهرا وباطنا (ويدرون بالحسنة السيئة) اي
 يدفون بفعل الطاعة المعصية قال ابن عباس يدفون بالعمل الصالح السيئ من العمل كما روي عن النبي ﷺ
 انه قال لمأذين جبل اذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة فحما وقيل معناه يدفون بالتوبة معرة الذنب عن ابن كيسان
 والغفر ولا يكافئون كقوله سبحانه ادفع بالتي هي احسن السيئة عن قتادة وابن زيد والقتبي قال الحسن اذا
 حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطروا وصلوا وقيل معناه يدفون بالتوبة معرة الذنب عن ابن كيسان
 (أو لك) يعني ان هؤلاء الذين هذه صفاتهم (لهم عقي الدار) اي ثواب الجنة فالدار الجنة وثوابها عقابها التي
 هي العاقبة المحرودة عن ابن عباس والحسن ثم وصف الدار فقال (جنات عدن) اي بساتين إقامة تدوم ولا تقفئ
 وقيل هي الدرجة العليا وسكانها الشهداء والصديقون عن ابن عباس وقيل هي مدينة في الجنة فيها الانبياء والائمة
 والشهداء عن الضحاك وقيل قصر من ذهب لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد او حاكم عدل عن الحسن وعبد الله
 ابن عمر ثم بين سبحانه ما يتكامل به سرورهم من اجتماع قومهم معهم فقال (يدخلونها ومن صلح من آباؤهم
 وازواجهم وذرياتهم) اي اولادهم يعني من آمن منهم وصدق بما صدقوا به وذلك ان الله سبحانه جعل من ثواب
 المطيع سروره بما يراه في أهل من اخاقهم به في الجنة كرامة له كما قال الحقنا بهم ذريتهم عن ابن عباس وبجاهد

(والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) من ابواب الجنة الثانية وقيل من كل باب من ابواب البر كالصلاة والزكاة والصوم وقيل من ابواب قصورهم وبساتينهم بالتحية من الله سبحانه والتحف والهدايا عن ابن عباس ويقولون (سلام عليكم يا صبرتم) والقول محذوف لدلالة الكلام عليه والسلام والتحية والبشارة منهم بالسلامة والكرامة وانتفاء كل امر تشوبه مضرة اى سلككم الله من الاحوال والمكارة بصبركم على شئنا الدنيا ومنها في طاعة الله تعالى (فنعهم عقبي الدار) اى نعم عاقبة الدار ما انتم فيه من الكرامة قوله تعالى (٢٥) وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٢٦) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ (٢٧) وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ (٢٨) الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٩) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا يُبَيِّنُ خَمْسَ آيَاتٍ

❖ اللفظة ❖

الانابة الرجوع الى الحق بالتوبة انتاب فلان القوم اتاهم مرة بعد مرة ويقال تاب يتوب توبة اذا رجع مرة بعد مرة وطوبى فعلى من الطيب وهو تأنيث الاطيب ولم يغيروا طوبى بأن يقولوا طيبى كما قالوا ضيزى فقلبوا البراىة والضة كسرة لان طوبى اسم وضيزى صفة فرقوا بين الاسم والصفة

❖ الاعراب ❖

الذين آمنوا في موضع نصب ردا على من . المعنى يهدي اليه الذين آمنوا والأحرف تنبيه وابتداء وحسن مآب عطف على طوبى لان طوبى في موضع رفع

— المعنى —

لما ذكر سبحانه الذين يوفون بعهد الله ووصفهم بالصفات التي يستحقون بها الجنة عقبه بذكر من هو على خلاف حالهم فقال (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به ان يوصل) قد ذكرنا معنى عهد الله وميثاقه وصلة ما أمر الله به ان يوصل (ويفسدون في الأرض) بالدعاء الى غير الله عن ابن عباس وقيل بقتال النبي ﷺ والمؤمنين من الحسن وقيل بالعمل فيها بما صي الله والقلم لعباده وخراب بلاده وهذا مع (أو لك لهم اللعنة) وهي الابعاد من رحمة الله والتبديد من جنه (ولهم سوء الدار) اى عذاب النار والحلود فيها (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) اى يوسع الرزق على من يشاء من عباده بحسب ما يعلم من المصلحة ويضيقه على آخرين إذا كانت المصلحة في التضييق (وفرحوا بالحياة الدنيا) اى فرحوا بما أتوا من حطام الدنيا فرح البطر ونسوا فناء موبقاه امر الآخرة وتقديره وفرح الذين بسط لهم في الرزق في الحياة الدنيا (وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع) اى ليست هذه الحياة الدنيا بالاضافة الى الحياة الآخرة الا قليل ذاهب لان هذه فانية وتلك دائمة باقية عن مجاهد وقيل انه مذكور على وجه التعجب اى عجباً لهم ان فرحوا بالدنيا الفانية وتركوا النعيم الدائم والدنيا في جنب الآخرة متاع لا خطر له ولا بقاء له مثل القدرح والقصة والقدر يتمتع به زماناً ثم ينكسر عن ابن عباس (ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه) اى هلا انزل على محمد معجزة من ربه بقتراحها ويحوزانهم لم يتفكروا في الآيات المنزلة فاعتقدوا انه لم ينزل عليه آية ولم يعتدوا بتلك الآيات فقالوا هذا

القول جهلا منهم بها (قل) يا محمد (ان الله يضل من يشاء) عن طريق الجنة بسوء افعاله وعظم معاصيه
وقدمى القول في وجوه الإضلال والهدى فلا معنى لإعادته (ويهدي اليه من اناب) أي رجع اليه بالطاعة (الذين
آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله) معناه الذين اعترفوا بتوحيد الله على جميع صفاته ونبوة نبيه وقبول ما جاء به
من عند الله وتسكن قلوبهم بذكر الله وتأنس اليه والذكر حصول المعنى للنفس وقد يسمى العلم ذكر الله والقول
الذي فيه المعنى الحاضر للنفس أيضا يسمى ذكراً وقد وصف الله المؤمن ههنا بأنه يطمئن قلبه الى ذكر الله ووصفه
في موضع آخر بأنه اذا ذكر الله وجل قلبه لأن المراد بالأول انه بذكر ثوابه وانعامه وآله التي لا تحصى
واباديه التي لا تجازى فيسكن اليه وبالتالي انه بذكر عقابه وانتقامه فيخافه ويوجل قلبه (الا بذكر الله تطمئن
القلوب) وهذا حث للعباد على تسكين القلب الى ما وعد الله به من التيمم والثواب والطمأنينة اليه فإن وعده
سبحانه صادق ولا شيء تطمئن النفس اليه ابلغ من الوعد الصادق وهو اعتراض وقع بين الكلامين اذا كان قوله
الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله في موضع رفع بالبداية ويكون قوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات بدلا
منه وقوله طوبى لهم وحسن مآب جملة في موضع الرفع بانه خير المبتدأ واذا كان الذين آمنوا الاول في موضع
نصب على ما تقدم ذكره فيكون الذين آمنوا وعملوا الصالحات مبتدأ مستأنفا وطوبى لهم خير ومعناه ان الذين
يؤمنون بالله ويعملون ما يجب عليهم من الطاعات (طوبى لهم) وفيه اقوال **➤** احدها **➤** ان معناه فرح
لهم وقررة عين عن ابن عباس **➤** والثاني **➤** غبطة لهم عن الضحاك **➤** والثالث **➤** خير لهم وكرامة
عن ابراهيم النخعي **➤** والرابع **➤** الجنة لهم عن مجاهد **➤** والخامس **➤** معناه العيش المطيب لهم
عن الزجاج والحال المستطابة لهم عن ابن الانباري لأنه فعل من الطيب وقيل اطيب الاشياء لهم وهو الجنة عن
الجبائي **➤** والسادس **➤** هنيئا بطيب العيش لهم **➤** السابع **➤** حنى لهم عن قتادة **➤** الثامن **➤**
نعم ما لهم عن عكرمة **➤** التاسع **➤** طوبى لهم دوام الخير لهم **➤** العاشر **➤** ان طوبى شجرة في الجنة
أصلها في دار النبي **ﷺ** وفي دار كل مؤمن منها غصن عن عبيد بن عمير ووهب وابي هريرة وشهر بن حوشب
ورواه عن ابي سعيد الخدري مرفوعا وهو المروي عن ابي جعفر (ع) قال لو ان راكبا مجدا سار في ظلها مائة
عام ما خرج منها ولو ان غرابا طار من أصلها ما بلغ اعلاها حتى يبيض حرما الا في هذا فارغبوا ان المؤمن قسه
منه في شغل والناس منه في راحة إذا جن عليه الليل فرش وجهه وسجد لله بناجي الذي خلقه في فكأك رقبته
الا فهكذا فكونوا وروى علي بن ابراهيم عن أبيه عن الحسن بن محبوب عن علي بن رئاب عن ابي عبيدة
الخدائ عن ابي عبد الله (ع) كان رسول الله **ﷺ** يكثر تقبيل فاطمة (ع) فأنكرت عليه بعض نساء ذلك
فقال **ﷺ** إنه لما اسرى في الى السماء دخلت الجنة وأذناني جبرائيل (ع) من شجرة طوبى وتناولني منها فتقاحة
فأكلتها فحول الله ذلك في ظهري ماء فهبطت الى الأرض وواقعت خديجة فحملت بفاطمة فكلما اشقت الى
الجنة قبلتها وما قبلتها الا وجدت رائحة شجرة طوبى فهي حوراء انسية وروى الثعلبي باسناده عن الكلبي عن ابي
صالح عن ابن عباس قال طوبى شجرة اصلها في دار علي (ع) في الجنة وفي دار كل مؤمن منها غصن ورواه
ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) وروى الحاكم ابو القاسم المسكاني باسناده عن موسى بن جعفر (ع) عن أبيه
عن آباءه (ع) قال سئل رسول الله **ﷺ** عن طوبى قال شجرة اصلها في داري وفرعها على اهل الجنة ثم
سئل عنها مرة أخرى فقال في دار علي (ع) فقيل في ذلك فقال ان داري ودار علي في الجنة بمكان واحد
(وحسن مآب) أي ولهم حسن مآب أي مراجع

✽ النظم ✽

وجه اتصال قوله الله ببسط الرزق لمن يشاء وبقدر الآية بما قبله انه بين ان تقضهم للعهد انما كان لحب الرئاسة

والمنافسة في الدنيا وزهدهم في المنافسة وأخبر بأنه يبسط الرزق لمن يرى صلاحه فيه ويرزق مقدار الكفاية من علم
إن صلاحه فيه ثم لما ذكر سبحانه سوء عاقبة الكفار عقب ذلك بذكر ما اقترحوه من الآيات وترك تفكيرهم فيها
أنزل من الآيات الخارقة للعادات فقال ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه ولما استعجلوا العذاب بين
سبحانه أنه بضل من يشاء أبله من بهلك من يشاء معجلا ويؤخر عذاب من يشاء عن أبي مسلم قال والمراد بقوله آية
آيات العذاب وقيل أنهم لما اقترحوا الآيات بين أنهم إنما يجابوا إلى ذلك لأن في المعلوم أنهم لا يؤمنون وأنه بهلكهم

قوله تعالى (٣٠) كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَتَتْلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي
أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ يَا رَحْمَنُ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابُ
(٣١) وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَةٌ بِهِ الْعَمَوْتَى بَلَّ اللَّهُ الْأَمْرَ
جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِسَّ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا
نُصِيبَهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ
آيَات

❖ القراءة ❖

قرأ علي وابن عباس وعلي بن الحسين (ع) وزيد بن علي وجعفر بن محمد وابن أبي مليكة وعكرمة والمجدري
وأبو يزيد المزني أفلم يتبين والقراءة المشهورة بياض

(- الحجة) -

قال ابن جني هذه القراءة فيها تفسير قوله أفلم يأتس الذين آمنوا وروي عن علي بن عياش أنها لغة فخذمن
التخيم قال

ألم يأتس الأقومافي انا ابنه
وان كنت عن أرض العشييرة نائيا
وقال سحيم بن وثيل

أقول لأهل الشعب اذ يأسروني ألم يأسوا افي ابن فارس زهدم

وروي اذ يسروني اي يقسموني اي ألم يعلموا قال ويشبه عندي ان يكون هذا ايضا راجعا الى معنى اليأس
وذلك ان المتأمل للشي المتطلب لعلمه ذاهب بفكره في جهات تعرفه إياه فلذا ثبت عنه على شيء اعتقده واضرب
عما سواه فلم ينصرف اليه كما ينصرف اليأس عن الشيء عنه ولا بلغت اليه هذا طريق الصنعة فيها

❖ اللغة ❖

المتاب التوبة تاب بنوب توبا وتابا والتوبة الفعل الواحدة والتسيير تصيير الشيء بحيث يسير يقال سار يسير سيرا
وسيره غيره والتقطيع تكثير القطع والقطع تفصيل المتصل والحلول حصول الشيء سيف الشيء كحصول العرض
في الجوهر وحصول الجواهر في الوعاء والأصل الأول والثاني مشبه به والقارعة الشديدة من شدائد الدهر ومنه
سميت القيامة قارعة وأصله من القرع وهو الضرب ومقارعة الإبطال ضرب بعضهم بعضا وقوارع القرآن الآيات
التي من قرأها أمن من الشيطان كما أنها تضرب الشياطين اذا قرئت

❖ النزول ❖

نزلت الآية الأولى في صلح الحديبية حين أرادوا كتاب الصلح فقال رسول الله ﷺ لعلي (ع) اكتب

بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل بن عمرو والمشر كون ما نعرف الرحمن الا صاحب البهامة يعنون مسيلمة الكذاب اكتب باسمك اللهم وهكذا كان أهل الجاهلية يكتبون ثم قال رسول الله ﷺ اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقال مشركو قريش لئن كنت رسول الله ثم قاتلناك وصددناك لقد ظلمناك ولكن اكتب هذا ما صالح محمد بن عبد الله فقال اصحاب رسول الله ﷺ دعنا فقاتلهم قال لا ولكن اكتبوا كما يريدون فأنزل الله عز وجل كذلك أرسلناك في أمة الآفة عن قتادة ومقاتل وابن جريج وقيل نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي ﷺ اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن عن الضحاك عن ابن عباس ونزلت الآية الأخرى في نفر من مشركي مكة منهم ابو جهل بن هشام وعبد الله بن ابى أمية المخزومي جلسوا خلف الكعبة ثم ارسلوا الى النبي ﷺ فأنام فقال له عبد الله بن أمية إن سرك ان تتبعك فسيرنا جبال مكة بالقرآن فأذهبنا عنا حتى تفسخ فإنها ارض ضيقة واجعل لنا فيها عيوننا وانهارا حتى نفرس ونزرع فلست كما زعمت اهون على ربك من داود (ع) حيث سخر له الجبال تسبح معه او سخر لنا الريح فنركبها الى الشام فنقضي عليها مسيرتنا وحوأجبتنا ثم نرجع من يومنا فقد كان سليمان سخرت له الريح فكما زعمت لنا فلست اهون على ربك من سليمان واحي لنا جدك قصيا او من شئت من موتانا لنسأله أحق ما تقول أم باطل فإن عيسى (ع) كان يحيي الموتى ولست بأهون على الله منه فأنزل الله سبحانه ولو ان قرآنا الآية

المعنى

لما ذكر سبحانه النعمة على من تقدم ذكره بالثواب وحسن المآب عقبه بذكر النعمة على من أرسل اليه النبي ﷺ فقال (كذلك أرسلناك) اي كما انعمنا على المذكورين بالثواب في الجنة انعمنا على المرسل اليهم بأرسالك وقيل ان معنى التشبيه انا كما أرسلنا الانبياء في الأمم قبلك أرسلناك (في أمة قد خلت من قبلها أمة) اي في جماعة قد مضت من قبلها قرون وجماعات (لنتلوا عليهم الذي اوحينا اليك) بين الغرض في ارساله وهو ان يقرأ عليهم القرآن ليتدبروا آياته ويتعظوا بها (وهم يكفرون بالرحمن) أي وقريش يكفرون بالرحمن اي ويقولون قد عرفنا الله ولا ندري ما الرحمن كما اخبر عنهم بأنهم قالوا وما الرحمن انسجدا لما تأمرنا عن الحسن وفتادة وقيل معناه انهم يجحدون بالوحدانية (قل) يا محمد (هو ربي) اي الرحمن الذي انكرتموه ربي اي خالقي ومدبري (لا إله إلا هو عليه توكلت) اي اليه فوضت امري متمسكا بطاعته راضيا بحكمه (واليه متاب) اي مرجعي وقيل معناه الى الرحمن تويتي (ولو ان قرآنا سيرت به الجبال) اي تجعل به الجبال سائرة فأذهبت من مواضعها وقلعت من أما كتبها (او قطعت به الأرض) او شققت فجعلت انهارا وعيونا (او كلم به الموتى) او احيي به الموتى حتى يعيشوا ويتكلموا وحذف جواب لولأن في الكلام دليلا عليه والتقدير لكان هذا القرآن لعظم محله وعلو امره وجلالة قدره قال الزجاج والذي اتوهم وقد قاله بعضهم ان المعنى لو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الأرض او كلم به الموتى لما آمنوا ودليله قوله ولو انزلنا اليهم الملائكة الى قوله ما كانوا ليؤمنوا وحذف جواب لو بكثير في الكلام قال امرؤ القيس

فلو انها نفس تموت سوية ولكنها نفس تساقط انفسا

وهو آخر القصيدة وقال

وجدك لو شيء أتانا رسوله سواك ولكن لم نجد لك مدفعا

(بل لله الأمر جميعا) معناه ان جميع ما ذكر من تسيير الجبال وتقطيع الأرض واحياء الموتى وكل تدبير يجري هذا المجرى لله لأنه لا يملكه سواه ولا يقدر عليه غيره ولكنه لا يفعل لأن فيها أنزل من الآيات مقنعا وكفاية للمنتصفين والأمر ما يصح ان يؤمر به وينهى عنه وهو عاد وأمره الأمر قبيض النبي (أفلم يبين الذين

آمنوا) أي أفلم يعلموا ويتبينوا عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وابن مسعود وقيل معناه أفلم يعلم الذين آمنوا علما يئأسوا معه من أن يكون غير ما علموه عن الفراء وقيل معناه أفلم يئأس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء الذين وصفهم الله عز وجل بأنهم لا يؤمنون عن الزجاج قال لأنه قال (ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) أي ان الله لو أراد ان يهدي الخلق كلهم الى جنته لهداهم لكنه كلفهم لينالوا الثواب بطاعتهم على وجه الاستحقاق وقيل أراد به مشيئة الاجلاء أي لو أراد ان يبلجهم إلى الاهتداء لقدرة على ذلك لكنه يتأني التكليف ويبطل الغرض به (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) من كفرهم وعمالهم الخبيثة (قارعة) أي نازلة وداهية تفرغهم ومصيبة شديدة من الحرب والجذب والقتل والامر عليهم على جهة العقوبة للثيبه والزجر وقيل أراد بالقارعة سرايا النبي ﷺ كانت يبعثها اليهم وقيل أراد بذلك ما مر ذكره من حديث زيد وعامر (أو تحمل قريبا) من دارهم وقيل ان التاء في تحمل للتأنيث والمعنى أو تحمل تلك القارعة قريبا من دارهم فتجاورهم حتى يحصل لهم المخافة منه عن الحسن وقتادة وابن مسعود والجبائي وقيل ان التاء للخطاب والمعنى أو تحمل انت يا محمد بنفسك قريبا من دارهم (حتى يأتي وعد الله) أي ما وعد الله من فتح مكة عن ابن عباس قال وهذه الآية مدنية وقيل حتى يأتي يوم القيامة عن الحسن (ان الله لا يخلف الميعاد) ظاهر المعنى

﴿ النظم ﴾

اتصلت الآية الأخيرة بقوله وبقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه والتقدير ان مثل هذا القرآن انزل عليهم وهم يطلبون آيات اخر عن الجبائي وقيل اتصلت بقوله كذلك أرسلناك الآية لأن المفهوم من قوله لتتلو عليهم انه قرأ عليهم القرآن وانهم كفروا به

قوله تعالى (٣٢) وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمَلْتَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٣٣) أَقَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا اللَّهَ شُرَكَاءَ قُلُوبِهِمْ أَمْ تَنْتَهُنَّوْنَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ يَأْمُ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يَضِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٤) لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَذَابٌ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ثلاث آيات

(القراءة) -

قرأ أهل الكوفة ويعقوب وصدوا بضم الصاد وكذلك في حم المؤمن والباقون وصدوا بفتح الصاد

- الحجة -

قال ابو الحسن صد وصددته مثل رجم ورجمته قال

صدت كما صد عمالا يحل له ساقى نصارى قبيل الفصح صوام

قال عمرو بن كلثوم

صدت الكأس عنا ام عمرو وكان الكأس مجراها اليمين

وحجة من اسند الفعل إلى الفاعل قوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وفي موضع آخر وصدون عن سبيل الله وصدوكم عن المسجد الحرام فلما اسند الفعل إلى الفاعل في هذه الآية فكذلك في هذه الآية أي صدوا الناس عن النبي ﷺ ومن بنى الفعل للمفعول به جعل فاعل الصد غواتهم والعتاة منهم في كفرهم وقد يكون على نحو ما يقال صد

فلان عن الخير وصد عنه بمعنى انه لم يفعل خيراً ولا يراد به ان مانعاً منه

❀ اللغة ❀

الاستهزاء طلب المزو والمزؤ اظهار خلاف الاضمار للاستصغار والاملاء التأخير وهو من الملاوة والملاوان الليل والنهار قال ابن مقبل

ألا يا ديار الحي بالسبعان الح عليها باليلي الملووان

وقال في التهئة البس جديداً وتل حياً أي لتطل أيامك معه والواق المانع فاعل من الوقاية وهو الحجر بما يدفع الأذى والمكروه

❀ المعنى ❀

ثم عزى سبحانه نبيه ^{صلى الله عليه وسلم} فقال (ولقد استهزى برسول من قبلك) كما استهزأ هؤلاء بك (فألميت للذين كفروا) أي فأمهلتهم وأطلت مدتهم ليثوبوا ولتتم عليهم الحجة (ثم أخذتهم) أي أهلكتهم وأزلت عليهم عذابي (فكيف كان عقاب) أي فكيف حل عقابي بهم وهو إشارة إلى تعذيب ذلك العقاب وتعظيمه ثم عاد سبحانه إلى الحجاج مع الكفار (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) معناه أفمن هو قائم بالتدبير على كل نفس وحافظ على كل نفس اعمالها يجازيها وقيل أفمن هو قائم عليها يرزقها وحفظها والدفع عنها كمن ليس بهذه الصفات من الأصنام التي لا تنفع ولا تضر وبدل على هذا المحذوف قوله (وجعلوا لله شركاء) يعني ان هؤلاء الكفار جعلوا لله شركاء في العبادة من الأصنام التي لا تقدر على شيء مما ذكرنا (قل) يا محمد (سموم) أي سموم بما يستحقون من الصفات وازافة الأفعال اليهم ان كانوا شركاء لله كما يوصف الله بالخالق والرازق والمحيي والمميت ويعود المعنى إلى ان الصنم لو كان إلهاً لتصور منه ان يخلق الرزق فيحسن حينئذ ان يسمى بالخالق والرازق وقيل سموم بالأسماء التي هي صفاتهم ثم انظروا هل تدل صفاتهم على جواز عبادتهم واتخاذهم آلهة وقيل معناه انه ليس لهم اسم له مدخل في استحقاق الإلهية وذلك استحقاق لهم وقيل سموم ماذا خلقوا وهل ضرروا أو قعموا وهو مثل قوله أروني ماذا خلقوا من الأرض عن الحسن (أم تتبشونه بما لا يعلم في الأرض) هذا استفهام منقطع مما قبله أي بل أتخبرون الله بشريك له في الأرض وهو لا يعلمه على معنى انه ليس ولو كان لعلم (أم يظاھر من القول) أي أم تقولون مجازاً من القول وباطلاً لا حقيقة له عن مجاهد وقتادة والضحاك وعلى هذا فالمعنى انه كلام ظاهر ليس له سيف الحقيقة باطن ومعنى فهو كلام فقط وقيل أم يظاھر كتاب أنزل الله تعالى سميتم الأصنام آلهة فيبين انه ليس هاهنا دليل عقلي ولا سمعي بوجوب استحقاق الأصنام الإلهية عن الجبائي ثم بين سبحانه بطلان قولهم فقال (بل زين للذين كفروا مكرهم) أي دع ذكر ما كنا فيه زين الشيطان لهم الكفر لأن مكرهم بالرسول كفر منهم عن ابن عباس وقيل بل زين لهم الرؤساء والنوأة كذبهم وزورهم (وصدوا عن السبيل) أي وصدوا الناس عن الحق أو صدوا بأنفسهم عن الحق وعن دين الله (ومن بضل الله فما له من هاد) سبق معناه في مواضع (لهم عذاب في الحياة الدنيا) بالقتل والسي والأمر وقيل بالمصائب والأمراض (ولعذاب الآخرة أشق) أي أغلظ وأبلغ في الشدة على النفس الدوامه وخلوصه وكثرته (وما لهم من الله من واق) أي ما لهم من دافع يدفع عنهم عذاب الله تعالى

قوله تعالى (٣٥) مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تظلئك عيسى الذين اتقوا وعيسى الكافرين النار (٣٦) والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به

إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابٍ (٣٧) وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنَّ آتِبِعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ
مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وِيٍّ وَلَا وَاقٍ ثلاث آيات

— اللغة —

الأنهار جمع نهر ونهر كفرد وافراد وجمل - اجمال والنهر المجري الواسع من بحاري الماء على وجه الأرض
واصله الاتساع ومنه النهار لاتساع الضياء فيه وانهرت الدماء وسعت مجراها وقال « ملكت بها كفي فانهرت فنتقها »
أي وسعته والأكمل بضم الهمزة المأكول والأحزاب جمع الحزب وهم الجماعة التي تقوم بالنائبه يقال تحزب القوم
إذا صاروا حزبا وحزبهم الا سيجز بهم أي نالهم بمكروه

✽ الاعراب ✽

مثل الجنة التي . فيه اقوال ✽ أحدها ✽ انه بمعنى الشبه وخبره محذوف وتقديره مثل الجنة التي هي كذا اجل
مثل ✽ والثاني ✽ ان تقديره فيما نقص عليكم مثل الجنة أو مثل الجنة فيما نقص عليكم فهو مرفوع أيضا على الابتداء
وخبره محذوف وهو قول سيبويه واختاره ابو علي الفارسي ✽ والثالث ✽ ان معناه صفة الجنة التي وعد المتقون
تجري من تحتها الأنهار فتجري من تحتها الأنهار مع ما بعده خبر المبتدأ الذي هو مثل الجنة قالوا وقوله سبحانه
وَقَدْ مَثَلُ الْأَعْلَى معناه الصفة العليا ولم يرتض ابو علي هذا القول

✽ المعنى ✽

لما تقدم ذكر ما اعد الله للكافرين عقبه سبحانه بذكر ما اعد للمؤمنين فقال (مثل الجنة التي وعد المتقون)
أي شبيها عن مقاتل وقيل صفتها وصورتها عن الحسن قال ابن قتيبة المثل الشبه في أصل اللغة ثم قد بصير بمعنى
صورة الشيء وصفته يقال مثل لك كذا أي صورته ووصفته وقيل ان مثل مقحم والتقدير الجنة التي وعد
المتقون (تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم) يعني ان ثمارها لا تنقطع كثمار الدنيا وظلها لا يزول ولا تنسخه
الشمس عن الحسن وقيل معناه نعيمها لا ينقطع بموت ولا آفة عن ابن عباس وقيل لذتها سيف الأفواه باقية عن
ابراهيم التيمي (وظلها) ايضا دائم لا يكون مرة شمسا ومرة ظللا كما يكون في الدنيا (تلك عيسى الذبي
اتقوا) أي تلك الجنة عاقبة المتقين فالطريق اليها التقوى (وعيسى الكافرين النار) أي وعاقبة أمر الكفار
النار ولما تقدم ذكر الوعد والوعيد اخبر سبحانه عن المتقين والكافرين فقال (والذين آتيناهم الكتاب بفرحون
بما أنزل اليك) يريد اصحاب النبي ﷺ الذين آمنوا به وصدقوه اعطوا القرآن وفرحوا بانزاله (ومن الأحزاب
من ينكر بعضه) يعني اليهود والنصارى والمجوس انكروا بعض معانيه وما يخالف احكامهم عن الحسن وفتادة
ومجاهد وقيل الذين آتيناهم الكتاب هم الذين آمنوا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه فرحوا بالقرآن
لأنهم يصدقون به والاحزاب بقية اهل الكتاب وسائر المشركين عن ابن عباس قال لأن عبد الله بن سلام
واصحابه أساءهم قلة ذكر الرحمن في القرآن مع كثرة ذكره في التوراة فأنزل الله قسلا ادعوا الله او ادعوا
الرحمن فرحوا بذلك وكفر المشركون بالرحمن وقالوا ما نعرف الرحمن إلا رحمن البهامة ويريد بالأحزاب الذين
تحزبوا على رسول الله ﷺ بالمعاداة ومن ينكر بعضه يعني ذكر الرحمن وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن
(قل) يا محمد (إنما أمرت ان اعبد الله ولا اشرك به) أي أمرت ان اوجه عبادتي إلى الله ولا اشرك به في عبادته
أحدًا (اليه ادعوا) يعني إلى الله أو إلى الاقرار بتوحيده وصفاته وتوجيه العبادة اليه وحده ادعوا (واليه متاب)
أي اليه مرجعي ومصيري أي أرجع واصير إلى حيث لا يملك الضر والنفع إلا هو وحده فإنه لا يملك يوم القيامة
الأمر أحدًا من عباده كما ملكهم في الدنيا (و كذلك أنزلناه حكما عربيا) أي كما أنزلنا الكتاب إلى من تقدم

من الأنبياء بلسانهم أنزلنا إليك حكمة عربية أي جارية على مذاهب العرب في كلامهم يعني القرآن فالحكم هاهنا بمعنى الحكمة كما في قوله وآتيناه الحكم والنبوة وقيل إنما ساء حكماً لما فيه من الأحكام في بيان الحلال والحرام وساء عربياً لأنه أتى به نبي عربي (واثن اتبعته أهواءهم) خطاب للنبي ﷺ والمراد به الأمة أي لئن وافقت وطلبت أهواء الذين كفروا والأهواء جمع الهوى وهو ميل الطباع إلى شيء بالشهوة (بعد ما جاءك من العلم) بالله تعالى لأن ما آتيناك من الدلالات والمعجزات موجب للعلم الذي يزول معه الشبهات (مالك من الله من ولي) أي ناصر بعينك عليه ويمتلك من عذابه (ولا واق) بيقين منه من ولي في موضع رفع ومن مزيدة

قوله تعالى (٣٨) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (٣٩) يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٤٠) وَإِنْ مَأْنُرَيْكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ

ثلاث آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل البصرة وابن كثير وعاصم بثبت بالتخفيف وقرأ الباقون بثبت بالشديد

﴿ الحجية ﴾

قال أبو علي المعنى يمحو ما يشاء ويثبت ما يستغني بتعدية الأول من الفعلين عن تعدية الثاني ومثل ذلك والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات وزعم سيبويه أن العرب من يعمل الأول من الفعلين ولا يعمل الثاني في شيء من كلامهم كقولهم متى رأيت أو قلت زيداً منطلقاً قال الكهيت

بأي كتاب أم بأية سنة ترى جههم عاراً علي وتحسب

فلم يعمل الثاني وهذا والله أعلم فيما يمتثل النسخ والتبدل من الشرائع الموقوفة على المصالح على حسب الاوقات فأما غير ذلك فلا يمحى ولا يبدل وحجة من قال بثبت قوله واشد ثبوتاً وحجة من قرأ بثبت ما روي عن عائشة كان رسول الله ﷺ إذا صلى صلاة أثبتها وقوله ثابت لأن ثبت مطاوع أثبت

— النزول —

قال ابن عباس عيروا رسول الله ﷺ بكثرة تزويج النساء وقالوا لو كان نبياً لشغلته النبوة عن تزويج النساء فنزلت الآية ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك

﴿ المعنى ﴾

(ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك) يا محمد (وجعلنا لهم أزواجاً وذرية) أي نساء وأولاداً أكثر من نساءك وأولادك وكان لسليمان (ع) ثلاث مائة امرأة مهيبة وسبعائة سرية ولدواود (ع) مائة امرأة عن ابن عباس أي فلا ينبغي أي يستشكر منك أن تتزوج ويولد لك وروي أن أبا عبد الله (ع) قرأ هذه الآية ثم أومى إلى صدره فقال نعم والله ذرية رسول الله ﷺ (وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله) أي لم يكن لرسول يرسله الله أن يجيء بآية ودلالة إلا بعد أن يأذن الله في ذلك ويطلق له فيه (لكل أجل كتاب) ذكر فيه وجوه ﴿ أحدها ﴾ أن معناه لكل أجل مقدر كتاب أثبت فيه ولا تكون آية إلا بأجل قد قضاه الله في كتاب على وجه ما يوجب التدبير فالآية التي اقترحوها لها وقت أجله الله لا على شهواتهم واقترحاتهم عن البلخي ﴿ والثاني ﴾ لكل أمر قضاه الله كتاب كتبه فيه فهو عنده كأجل الحياة والموت وغير ذلك عن أبي علي الجبائي ﴿ والثالث ﴾

انه من المقلوب والمعنى لكل كتاب ينزل من السماء أجل ينزل فيه عن ابن عباس والضحاك ومعناه لكل كتاب وقت يعمل به فالتوراة وقت وللانجيل وقت وكذلك القرآن (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب) قيل في المحو والاثبات أقوال **(ع)** احدها **(ع)** ان ذلك في الاحكام من الناسخ والمنسوخ عن ابن عباس وقتادة وابن زيد وابن جريج وهو اختيار ابى علي الفارسي **(ع)** والثاني **(ع)** انه يمحو من كتاب الحفظ المباحات وما لا جزاء فيه ويثبت ما فيه الجزاء من الطاعات والمعاصي عن الحسن والكلبسي والضحاك عن ابن عباس والجبائي **(ع)** والثالث **(ع)** انه يمحو ما يشاء من ذنوب المؤمنين فضلا فيسقط عقابها ويثبت ذنوب من يريد عقابه عدلا عن سعيد بن جبير **(ع)** الرابع **(ع)** انه عام في كل شيء فيمحو من الرزق ويزيد فيه ومن الاجل ويمحو السعادة والشقاوة ويثبتها عن عمر بن الخطاب وابن مسعود وابى وائل وقتادة وأم الكتاب أصل الكتاب الذي اثبت فيه الحوادث والكائنات وروى ابو قلابة عن ابن مسعود أنه كان يقول اللهم ان كنت كتبتني في الأشقياء فامحني من الأشقياء واثبتني في السعداء فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب وروى مثل ذلك عن أئمتنا **(ع)** في دعواتهم المأثورة وروى عكرمة عن ابن عباس قال هما كتابان كتاب سوى أم الكتاب يمحو الله منه ما يشاء ويثبت وأم الكتاب لا يغير منه شيء ورواه عمران بن حصين عن النبي **(ص)** وروى محمد بن مسلم عن ابى جعفر قال سألت عن ليلة القدر فقال ينزل الله فيها الملائكة والكتب الى السماء الدنيا فيكتبون ما يكون من أمر السنة وما يصيب العباد وأمر ما عنده موقوف له فيه المشيئة فيقدم منه ما يشاء ويؤخر ما يشاء ويمحو ويثبت وعنده أم الكتاب وروى الفضيل قال سمعت اباجعفر **(ع)** يقول العلم علان علم علمه ملائكته ورسله وانبياءه وعلم عنده مخزون لم يطلع عليه أحد يحدث فيه ما يشاء وروى زرارة عن عمران عن ابى عبد الله **(ع)** قال هما امران موقوف ومحتوم فما كان من محتوم امضاء وما كان من موقوف فله فيه المشيئة يقضي فيه ما يشاء **(ع)** والخامس **(ع)** انه في مثل تقدير الارزاق والمحن والمصائب يثبت في أم الكتاب ثم يزيله بالدعاء والصدقة وفيه حث على الاقطاع اليه سبحانه **(ع)** والسادس **(ع)** انه يمحو بالثوبة جميع الذنوب ويثبت بدل الذنوب حسنات يبيته قوله إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات عن عكرمة **(ع)** والسابع **(ع)** انه يمحو ما يشاء من القرون ويثبت ما يشاء منها كقوله ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين وقوله كم أهلكنا قبلهم من القرون وروى ذلك عن علي **(ع)** **(ع)** والثامن **(ع)** انه يمحو ما يشاء يعني القمر ويثبت يعني الشمس ويأمنه فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة عن السدي وأم الكتاب هو اللوح المحفوظ الذي لا يغير ولا يبدل لأن الكتب المنزلة اتسخت منه فالمحو والاثبات إنما يقع في الكتب المنتسخة لا في أصل الكتاب عن أكثر المفسرين وقيل ان ابن عباس سأل كعبا عن أم الكتاب فقال علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون فقال لعلمه كن كتابا فكان كتابا وقيل انما سمي أم الكتاب لأنه الأصل الذي كتب فيه أولا سيكون كذا وكذا لكل ما يكون فإذا وقع كتب انه قد كان ما قيل انه سيكون والوجه في ذلك ما فيه من المصلحة والاعتبار لمن تفكر فيه من الملائكة الذين يشاهدونه اذا قابلوا ما يكون بما هو مكتوب فيه وعلموا ان ما يحدث على كثرته قد احصاه الله تعالى وعلمه قبل ان يكون مع ان ذلك اهل في الصدور وأعظم في النفوس حتى كان من تصوره وفكر فيه شاهدا له (واما نريك) يا محمد (بعض الذي نعدم) اي نعد هو لاء الكفار من نصر المؤمنين عليهم شمشكيتك منهم بالقتل والأسر واغتنام الأموال (وتوفينك) اي وتقبضك البنا قبل ان نريك ذلك وبين بهذا انه يكون بعض ذلك في حياته وبعضه بعد وفاته اي فلا تنتظر ان يكون جميع ذلك في أيام حياتك وان يكون مما لا بد ان تراه (فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب) اي عليك ان تبلغهم ما ارسلناك به اليهم وتقول بما أمرناك بالقيام به وعلينا حسابهم ومجازاتهم والانتقام منهم إما عاجلا وإما آجلا وفي هذه دلالة على ان الاسلام سيظهر على سائر

الاديان ويبطل الشرك في آياته وبعد وفاته وقد وقع المخبر به عن وفق الخبر

✽ النظم ✽

اتصلت الآية الأولى بما تقدمها من قولهم لولا أنزل عليه آية من ربه فبين سبحانه انه بشر كما ان الرسل الذين كانوا قبله كانوا بشرا والبشر لا يقدر على الآيات بل إنما يأتي الله سبحانه بها اذا اقتضت المصلحة ذلك عن ابي مسلم وقيل انه لما تقدم ذكر ارساله بين سبحانه انه ارسل قبله بشرا كما ارسله فعاله مثل حالهم عن القاضي وإنما اتصلت الآية الثانية بقوله لكل اجل كتاب لأن الظاهر اقتضى ان يكون كل مكتوب لا يجوز محوه فبين سبحانه انه يحمو ما يشاء ويثبت لثلاث بتوهم ان المعصية مثبتة مع التوبة كما انها كذلك قبل التوبة عن علي ابن عيسى وقيل لما نزلت وما كانت لرسول ان يأتي بآية إلا باذن الله قالت قريش ما نراك بامحمد تملك شيئا فلقد فرغ من الأمر فانزل هذه الآية تخويفاً ووعيدا لهم ان لو شئنا احدثنا من امرنا ما شئنا ونحوه وثبت في ليلة القدر ما نشاء من ارزاق الناس ومصائبهم عن مجاهد وإنما اتصل قوله واما نرينك الآية بما قبله من وعيد الله بالعذاب فبين سبحانه انه يفعل ذلك لا محالة امانى حياته او بعد وفاته بشارة له وقيل انما تقدم ان لكل اجل كتابا بين ان لعذابهم وقتا سيفعله فيه لا محالة اما في حياته او بعد وفاته

قوله تعالى (٤١) أولم يروا أننا في الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب (٤٢) وقد مكّر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار (٤٣) ويقول الذين كفروا لست مرسلأ قلا كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ثلاث آيات
 = (القراءه) =

قرأ أهل الحجاز وابو عمرو وسيعلم الكافر على لفظ الواحد والباقون الكفار على الجمع وفي الشواذ قراءة النبي ﷺ وعلي وابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة وابن ابي اسحاق والضحاك والحكم بن عينية ومن عنده علم الكتاب بكسر الميم والبدال وقراءة علي والحسن وابن السميع ومن عنده علم الكتاب

✽ الحجة ✽

قال ابو علي العلم في قوله وسيعلم الكافر هو المتعمد الى مفعولين بدلالة تعليقه ووقوع الاستفهام بعده تقول علمت لمن الغلام فتعلقه مع الجار كما تعلقه مع غيره في نحو فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار وموضع الجار مع المجرور نصب من حيث سد الكلام الذي هو فيه سد المفعولين لا من حيث حكمت في نحو مرت يزيد بان موضعه نصب ولكن اللام الجارة كانت متعلقة في الأصل بفعل فكان مثل علمت بمن تمر في ان الجار يتعلق بالمرور والجملة التي هي منها في موضع نصب وقد علق الفعل عنها فلما من قرأ الكافر فلانه جعل الكافر اسما شائما كالانسان في قوله ان الانسان لفي خسر وزعموا ان لا الف فيه وهذا الحذف إنما يقع في كل فاعل نحو خالد وصالح ولا يكاد الحذف في فعال وزعموا ان في بعض الحروف وسيعلم الذين كفروا فهذا يقوي الجمع قد جاء فاعل يراد به اسم الجنس انشد ابو زيد

ان تبخلي يا جمل او تعتلي وتصبجي في الظاعن المولي

فهذا انما يكون في الكسرة وليس المراد على كل كافر واحد والجمع الذي هو الكفار المراد في الآية لا اشكال فيه فأما من قرأ ومن عنده علم الكتاب فمعناه ومن فضله ولطفه ام الكتاب ومن قرأ من عنده علم الكتاب

فالمنى مثل ذلك الا ان الجار هنا يتعلق بعلم وفي الاول بحذوف وعلم الكتاب مبتدأ مرفوع بالظرف على ما تقدم ذكره في قوله ومنهم اميون

✽ اللغة ✽

التقص اخذ الشيء من الجملة ثم يستعمل في تقصان المنزلة والظرف انتهى الشيء وهو موضع من الشيء ليس وراءه ما هو منه واطراف الارض نواحيها والتمقيب رد الشيء بعد فصله ومنه عقب العقاب على صيده اذا رد الكرور عليه بعد فصله عنه ومنه قول لبيد «طلب المعقب حقه المفلوم» والمكر القتل عن البغية بطريق الخيلة والشهيد والشاهد واحد الا ان في شهيد مبالغة والشهادة البيعة على صحة المعنى من طريق المشاهدة

✽ الاعراب ✽

نقصها من اطرافها جملة منصوبة والموضع على الحال وكذلك قوله لا معقب لحكمه والباء في قوله كفى بالله زائدة قال علي بن عيسى دخلت لتحقيق الاضافة من وجهين جهة الفاعل وجهة حرف الاضافة وذلك ان الفعل لما جاز ان يضاف الى غير فاعله بمعنى انه امر به ازيل هذا الاحتمال بهذا التأكيد ونظيره في تأكيد الاضافة قوله لما خلقت بيدي

✽ المعنى ✽

ثم ذكر سبحانه ما يكون الكفار كاليئة على الاعتبار فقال (اولم يروا انا تأتي الارض نقصها) اي تقصدها (من اطرافها) واختلف في معناه على اقوال **✽** احدها **✽** او لم ير هؤلاء الكفار انا تقص اطراف الارض باؤماتة اهلها ومجازة نقص اهلها من اطرافها كقوله واسأل القرية اي افلا يخافون ان تفعل مثل ذلك بهم عن ابن عباس وقتادة وعكرمة **✽** وثانيها **✽** نقصها بذهاب علمائها وفقهائها وخيار اهلها عن عطاء ومجاهد والبخاري وروي نحو ذلك عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعن ابي عبد الله (ع) قال عبد الله بن مسعود موت العالم نلعة في الاسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار **✽** وثالثها **✽** ان المراد تقصد الارض نقصها من اطرافها بالفتوح على المسلمين معناه فتقص من اهل الكفر ونزيد في المسلمين يعني ما دخل في الاسلام من بلاد الشرك عن الحسن والضحاك ومقاتل قال الضحاك او لم ير اهل مكة انا نتصح لمحمد **✽** ما حولها من القرى وقال الزجاج علم الله تعالى ان بيان ما وعد المشركون من قهرهم قد ظهر اي افلا يخافون ان فتتح لمحمد ارضهم كما فتحن له غيرها وقد روي ذلك ايضا عن ابن عباس قال القاضي وهذا القول اصح لانه يتصل بما وعد من اظهار دينه ونصرتهم **✽** ورابعها **✽** ان معناه اولم يروا ما يحدث في الدنيا من الخراب بعد العمارة والموت بعد الحياة والتقصان بعد الزيادة عن الجبائي (والله يحكم) اي يفصل الامر لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه عن ابن عباس ومعناه لا يعقب احد حكمه بالرد والنقض (وهو سريع الحساب) اي سريع للمجازاة على افعال العباد على الطاعات والثواب وعلى المعاصي بالعقاب ثم بين سبحانه ان مكرهم بضمحل عند نزول العذاب بهم فقال (وقد مكر الذين من قبلهم) يريد ان الكفار الذين كانوا قبل هؤلاء قد مكروا بالمؤمنين واحتالوا في كفرهم وديروا في تكذيب الرسل بما في وسعهم فابطل الله مكرهم كذلك يبطل مكر هؤلاء (فله المكر جميعا) اي له الامر والتدبير جميعا فيرد عليهم مكرهم بنصب الحجج لعباده وقيل معناه فانه يملك الجزاء على المكر عن ابي مسلم وقيل يريد بالمكر ما يفعل الله تعالى بهم من المكروه عن الجبائي (يعلم ما تكسب كل نفس) فلا يخفى عليه ما يكسبه الانسان من خير وشر لانه عالم بجميع المعلومات وقيل يعلم ما يمكرونه في امر الرسول فيبطل امرهم ويظهر امره ودينه (وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار) هنا تهديد لهم بانهم سوف يعلمون من تكون له عاقبة الجنة حين يدخل المؤمنون الجنة والكافرون النار وقيل معناه وسيعلمون لمن العاقبة المحمودة لكم ام لهم

اذا اظهر الله ديبه (ويقول الذين كفروا) لك يا محمد (لست مرسلًا) من جهة الله تعالى اليانا (قل) لهم (كفى بالله شهيداً بيني وبينكم) اي كفى الله شاهداً بيني وبينكم بما اظهر من الآيات وابان من الدلالات على نبوتي (ومن عنده علم الكتاب) قيل فيه اقوال * احدها * ان من عنده علم الكتاب هو الله عن الحسن والضحاك وسعيد بن جبير واختاره الزجاج قال وبدل عليه قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب * والثاني * ان المراد به مؤمنو اهل الكتاب منهم عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وتميم الداري عن ابن عباس وقتادة ومجاهد واختاره الجبائي وانكر الأولون هذا القول بأن قالوا السورة مكية وهو لا اسلموا بعد الهجرة * والثالث * ان المراد به علي بن ابي طالب وأئمة الهدى (ع) عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) وروى عن يربد بن معاوية عن ابي عبد الله انه قال ابانا عني وعلي اولنا وفضلنا وخيرنا بعد النبي ﷺ وروى عنه عبد الله بن كثير انه وضع يده على صدره ثم قال عندنا والله علم الكتاب كعلاء وبوبيد ذلك ما روى عن الشعبي انه قال ما احد اعلم بكتاب الله بعد النبي من علي بن ابي طالب (ع) ومن الصالحين من اولاده وروى عاصم بن ابي النجود عن ابي عبد الرحمن السلمي قال ما رأيت احداً قرأ من علي بن ابي طالب (ع) للقرآن وروى ابو عبد الرحمن ايضا عن عبد الله بن مسعود قال لو كنت اعلم أن احداً اعلم بكتاب الله مني لا تيته قال فقلت له فعلي قال اولم آتته

(سورة ابراهيم)

قال ابن عباس وقتادة والحسن هي مكية إلا آيتان نزلتا في قنقري بدر من المشركين الم ترالى الذين بدلوا نعمة الله كفراً الى قوله فيس القرار

* عدد آياتها *

خمس وخمسون آية شامي اربع حجازي آيتان كوفي آية بصري
* اختلافها * سبع آيات الى التور في الموضعين حجازي شامي وعاد وثمود حجازي بصري وخلق جديد
كوفي شامي والمدني الاول وفرعها في السماء غير المدني الاول والليل والنهار غير البصري عما يعمل الظالمون شامي

* فضلها *

ابي ابن كعب قال قال رسول الله ﷺ من قرأ سورة ابراهيم (ع) والحجر اعطي من الأجر عشر حسنات
بعدد من عبد الاصنام وبعده من لم يعيدها وروى عيينة بن مصعب عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة ابراهيم
والحجر في ركعتين جميعا في كل جمعة لم يصبه فقر ولا جنون ولا بلوى

* تفسيرها *

لما ختم الله سورة الرعد بآيات الرسالة وانزال الكتاب افتتح هذه السورة ببيان الغرض في الرسالة
والكتاب فقال

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

قوله تعالى (١) آو كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور يا ذن ربهم
 الى صراط العزيز الحميد (٢) الله الذي له ما في السموات وما في الارض وويل للكافرين
 من عذاب شديد (٣) الذين يستحيون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله
 ويبتغونها عوجاً أو تلك في ضلال بعيد ثلاث آيات عراقية واربع آيات حجازية شامية

❖ القراءة ❖

الله الذي بالرفع مدني شامي والباقون بالجر

❖ الحجة ❖

قال ابو علي من قرأ بالجر جعله بدلا من الحميد ولم يكن صفة لأن الاسم وان كان مصدرا في الأصل والمصادر
 يوصف بها كما يوصف باسماء الفاعلين فكذلك كان هذا الاسم في الاصل الإله ومعناه ذو العبادة اية
 العبادة تجب له قال ابو زيد التأله التنسك وانشد لروبة « سبحن واسترجعن عن تألهي » فهذا في انه في الاصل
 مصدر قد وصف به مثل السلام والعدل الا ان هذا الاسم غلب حتى صار في الغلبة لكثرة استعمال هذا الاسم
 كالعلم وقد يغلب ما اصله الصفة فيصير بمنزلة العلم قال

ونابغة الجعدي بالرمل بيته عليه صفيح من تراب وجندل

والأصل النابغة وما غلب نزع منه الألف واللام كما ينزع من الاعلام نحو زيد وجعفر وربما استعمل في هذا
 البحر الوجهان قال

تعددهم اعراق حذيم بعدما رجا المهتم ادراك العلي والمكرم

وقال « وجلت عن وجوه الأهاتم » ومن قرأ بالرفع قطعه من الأول وجعل الذي اخبروا جملة صفة واضمر
 الخبر ومثل ذلك في القطع قل لي وربي لتأتينكم عالم الغيب من قطع ورفع جعل قوله لا يعزب عنه خيرا لقوله
 عالم الغيب والشهادة ومن جر اجري عالم الغيب صفة على الاول وعلى هذا يجوز من بثنا من مرقدنا هذا ما وعد
 الرحمن اي ان شئت جعلت هذا صفة لقوله من مرقدنا واضمرت خيرا لقوله ما وعد الرحمن وان شئت جعلت قوله
 هذا ابتداء وما وعد الرحمن خيرا

— (اللفة) —

العزب القادر على الاشياء المنتنع بقدرته من ان يضام والحميد المحمود على كل حال والاستحباب طلب محبة
 الشيء بالعرض لها والمحبة ارادة منافع المحبوب وقد يستعمل بمعنى ميل الطباع والشهوة والبغية والابتغاء الطلب

— المعنى —

(آو) قد ذكرنا معاني الحروف المقطعة في اوائل السور وذكرنا اختلاف الاقوابيل فيه في اول البقرة
 (كتاب انزلناه اليك) يعني القرآن نزل به جبرئيل (ع) من عند الله تعالى اي هذا كتاب منزل اليك يا محمد
 ولا يشتر ليس بسحر ولا بدمر (لتخرج الناس) اي جميع الخلق (من الظلمات الى النور) اي من الضلالة
 الى الهدى ومن الكفر الى الايمان (يا ذن ربهم) اي باطلاق الله ذلك وامره به وفي هذا دلالة على انه سبحانه

يريد الايمان من جميع المكلفين لأن اللام لام الغرض ولا يجوز ان يكون لام العاقبة لأنه لو كان ذلك لكان الناس كلهم مؤمنين والمعلوم خلافه ثم بين سبحانه ما النور فقال (الى صراط العزيز الحميد) اي يخرجهم من ظلمات الكفر الى طريق الله المؤدي الى معرفة الله النعيم في سلطانه المحمود في فعاله ونعمه التي انعم بها على عباده (الله الذي له ما في السماوات وما في الارض) اي له التصرف فيهما على وجه لا اعتراض عليه (وويل للكافرين من عذاب شديد) اخبر ان الويل للكافرين الذين يجحدون نعم الله ولا يعترفون بوحديته من عذاب تتضاعف الأمة ثم وصف الكافرين بقوله (الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة) اي يختارون المقام في هذه الدنيا العاجلة على الكون في الآخرة وإنما دخلت على لهذا المعنى وذمهم سبحانه بذلك لأن الدنيا دار انتقال وفناء والآخرة دار مقام وبقاء (ويصدون عن سبيل الله) اي يمتنعون غيرهم من اتباع الطريق المؤدي الى معرفة الله ويجوز ان يريد انهم يعرضون بنفوسهم عن اتباعها (ويغونها عوجاً) اي يطلبون للطريق عوجاً اي عدولاً عن الاستقامة والسبيل يذكر ويؤث وقيل معناه يلتمسون الدنيا من غير وجهها لأن نعمة الله لا تستمد الا بطاعته دون معصيته (اولئك في ضلال بعيد) اي في عدول عن الحق بعيد عن الاستقامة والصواب

قوله تعالى (٤) وما أرسلنا من رسول إلا ليلسان قومهم ليهيئ لهم فضل الله من بشاء وبهدي من بشاء وهو العزيز الحكيم (٥) ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن اخرج قومك من الظلمات الى النور وذكركم بآيات الله إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور (٦) وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون بسوءتكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلائاً من ربكم عظيم ثلاث آيات عراقي وأربع في غيرهم

﴿ اللغة ﴾

التذكير التعريض للتذكير الذي هو خلاف السهو والصبار كثير الصبر

﴿ الأعراب ﴾

ان اخرج يحتمل ان تكون ان بمعنى اي على وجه التفسير ويصلح ان تكون ان التي توصل بالافعال الا انها وصلت ههنا بالأمر والتأويل الخبر كما تقول انت الذي فعلت والمعنى انت الذي فعل بسوءتكم سوء العذاب جملة في موضع الحال

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه انه إنما يرسل الرسل الى قومهم بلغتهم ليكون اقرب الى الفهم واقطع للعذر فقال (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومهم ليهيئ لهم) اي لم يرسل فيهما مضي من الازمان رسولا الا بلغة قومه حتى اذا بين لهم فهموا عنه ولا يحتاجون الى من يترجمه عنه وقد ارسل الله تعالى نبينا محمداً ﷺ الى الخلق كافة بلسان قومه وهم العرب بدلالة قوله وما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً قال الحسن امين الله على نبيه محمد ﷺ انه لم يبعث رسولا الا الى قومه وبعثه خاصة الى جميع الخلق وبه قال مجاهد وقيل ان معناه انا كما أرسلناك الى العرب بلغتهم لتبين لهم الدين ثم انهم يبينونه للناس كذلك أرسلنا كل رسول بلغة قومه ليظهر لهم الدين ثم استأنف فقال (فضل الله من بشاء) عن طريق اللجنة اذا كانوا مستحقين للمقاب (وبهدي من بشاء) الى طريق الجنة وقيل بلطف لمن بشاء ممن له لطف ويضل عن ذلك من لا لطف فمن تفكر وتدبر اهتدى ونبته

الله ومن اعرض عنه خذله الله (وهو العزيز الحكيم) ظاهر المعنى ثم ذكر سبحانه ارساله موسى فقال (ولقد ارسلنا موسى (ع) فقال (ولقد ارسلنا موسى بآياتنا) اي بالمعجزات والدلالات (ان اخرج قومك) اي بأن اخرج قومك (من الظلمات الى النور) مر معناه اي امرناه بذلك وانما اضاف الاخراج اليه لانهم بسبب دعائه خرجوا من الكفر الى الايمان (وذكروهم بايام الله) قيل فيه اقوال ﴿ احدها ﴾ ان معناه وامرناه بأن يذكر قومهم وقائع الله في الأمم الخالية واهلاك من اهلك منهم ليخذروا ذلك عن ابن زيد والبخي وبعضه قول عمرو بن كلثوم

وايام لنا غر طوال
عصينا الملك فيها ندينا

فيكون المعنى الايام التي انتقم الله فيها من القرون الاولى ﴿ والثاني ﴾ ان المعنى ذكرهم بنعم الله سبحانه في سائر ايامه عن ابن عباس والبي بن كعب والحسن ومجاهد وقتادة وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع) ﴿ والثالث ﴾ انه يريد بايام الله سنته وافعاله في عبادته من انعام وانتقام وكنى بالأيام عنهما لأنها ظرف لهما جامعة لكل منهما عن ابي مسلم وهذا جمع بين القولين المتقدمين (ان في ذلك) التذكير (لآيات لكل صبار شكور) اي دلالات لكل من كان عادته الصبر على بلاء الله والشكر على نعمائه وإنما جمع بينهما لأن حال المؤمن لا يخلو من نعمة يجب شكرها او محنة يجب الصبر عليها فالشكر والصبر من خصال المؤمنين فكأنه قال لكل مؤمن ولأن التكليف لا يخلو من الصبر والشكر (واذ قال موسى لقومه) والتقدير واذ ذكر يا محمد اذ قال موسى لهم (اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجيتكم) اي في الوقت الذي انجاكم (من آل فرعون يسومونكم) اي يذبحونكم سوء العذاب (ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم) اي يستحيون نساءكم (من آل فرعون) وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) والآية مفسرة في سورة البقرة قال الفراء وإنما دخلت الواو هنا للعطف لأنهم كانوا يعذبون انواعاً من العذاب سوى الذبيح فجاز العطف فإذا سدلت الواو كان يذبحون تفسيرا للعذاب

قوله تعالى (٧) وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٨) وَقَالَ مُوسَى إِنَّ نَكَفَرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ (٩) أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (١٠) قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَبُخِرَ كُفْرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَنَا عَمَّا كَانَ آبَاؤُنَا فَأَنُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ اربع آيات في الكوفي خمس آيات في غيرهم لم يعد الكوفي ثمود آية .

﴿ اللقمة ﴾

التأذن الاعلام يقال أذن وتأذن ومثله اوعد وتوعد قال الحرث بن حلزة

أذنتنا بينها أسماء رب ناورمبل منه الشواء

والنبا الخبر عما يعظم شأنه يقال لهذا الأمر نبا عظيم اي شأن نبا الله محمداً أو تنبأ مسيلمة الكذاب ادعى

النبوة والريب أخبث الشك والمريب المتهم وهو الذي يأتي بما فيه التهمة يقال أراب يريب إذا أتى بما يوجب الريبة

— (الاعراب) —

قوم نوح وما بعده مجرور بأنه بدل من قوله الذين من قبلكم وفاطر مجرور بأنه صفة لله في قوله أفي الله شك ومن في قوله من ذنوبكم للتبويض وقيل ان من زائدة عن ابي عبيدة وانكر سبويه زيادتها في الإيجاب

« المعنى »

لما تقدم ذكر النعمة اتبعه سبحانه بذكر ما يلزم عليها من الشكر فقال (واذا تأذن ربكم) التقدير واذا ذكر إذ أعلم ربكم عن الحسن والبخي وقيل معناه واذا قال لكم ربكم عن ابن عباس وقيل اخبر ربكم عن الجبائي (لئن شكرتم لأزيدنكم) أي لئن شكرتم لي على نعمي لأزيدنكم في النعم (ولئن كفرتم) أي جحدتم نعمتي (ان عذابي لشديد) لمن كفر نعمتي وقال ابو عبد الله (ع) في هذه الآية ايما عبد انعمت عليه نعمة فأفر بها بقلبه وحمد الله عليها بلسانه لم ينفذ كلامه حتى يأمر الله له بالزيادة (وقال موسى ان تكفروا) أي تجحدوا نعم الله سبحانه (انتم ومن في الأرض جميعاً) من الخلق لم تضروا الله شيئاً وإنما يضركم ذلك بان تستحقوا عليه العقاب (فإن الله) سبحانه (لئن) عن شكركم (حميد) في افعاله وقد يكون كفر النعمة بأن يشبه الله بخلقه أو يجور في حكمه أو يرد على نبي من انبيائه فإن الله سبحانه قد انعم على خلقه في جميع ذلك بأن أقام الحجج الواضحة والبراهين الساطعة على صحته وعرض بالنظر فيها للثواب الجزيل (ألم يأتكم) قيل ان هذا الخطاب متوجه إلى أمة نبينا ﷺ فذكرت باخبار من تقدمها من الأمم وقيل انه من قول موسى «ع» لأنه متصل به في الآية المتقدمة والمعنى ألم يهتكم (بأ الذين من قبلكم) أي اخبار من تقدمكم (قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله أي لا يعلم تفاصيل أحوالهم وعددهم وما فعلوه وفعل بهم من العقوبات إلا الله قال ابن الانباري ان الله تعالى أهلك أمما من العرب وغيرها فاقطعت اخبارهم وعفت آثارهم فليس يعرفهم احد إلا الله وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال كذب السابون وقيل ان النبي ﷺ كان لا يجاوز في انتسابه معدن عدنان فعلى هذا يكون قوله والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله مبتدأ وخبراً (جاؤهم رسالهم بالبينات) أي بالأدلة والحجج والأحكام والحلال والحرام (فردوا أيديهم في أفواههم) اختلافوا في معناه على أقوال **﴿ أحدها ﴾** ان معناه عضوا على اصابهم من شدة الغيظ لأنه ثقل عليهم مكان الرسل عن ابن مسعود وابن عباس والجبائي **﴿ وثانيها ﴾** ان معناه جعلوا أيديهم في أفواه الأنبياء تكذيباً لهم وردوا لما جاؤوا به فالضمير في أيديهم للكفار وفي أفواههم للأنبياء فكأنهم لاسمعوا وعظ الأنبياء وكلامهم أشاروا بأيديهم إلى أفواه الرسل تسكيناً لهم عن الحسن ومقاتل **﴿ وثالثها ﴾** ان معناه وضعوا أيديهم على أفواههم مومنين بذلك إلى الرسل ان اسكتوا عما تدعوننا اليه كما يفعل الواحد منا مع غيره إذا أراد تسكينه عن الكلبي فيكون على هذا القول الضميران للكفار **﴿ ورابعها ﴾** ان كلا الضميرين للرسل أي أخذوا أيدي الرسل فوضعوا على أفواههم ليسكتوهم ويقطعوا كلامهم فيسكتوا عنهم لما ينسوا منهم هذا كله إذا حمل معنى الأيدي والأفواه على الحقيقة ومن حملها على التوسع والمجاز فاختلفوا في معناه فقيل المراد باليد ما نطقت به الرسل من الحجج والمعنى فردوا حججهم من حيث جاءت لأن الحجج تخرج من الأفواه عن النبي مسلم وقيل ان المعنى ردوا ما جاءت به الرسل وكذبوهم عن مجاهد وقتادة وقيل معناه تركوا ما امروا به وكفروا عن قبول الحق عن النبي عبدة والأخفش قال القتيبي ولم يسمع احد ان العرب تقول رد يده في فيه بمعنى ترك ما امر به وانما المعنى انهم عضوا على الأيدي حنقا وغيظا كقول الشاعر « يردون في فيه شر الحسود » يعني انهم يغيظون الحسود حتى

بعض على اصابه العشر وقال آخر

قد افنى انامله ازومه فأضحى بعض على الوظيفا

وقيل المعنى ردوا بأقوامهم نعم الرسل أي وعظهم وبياناتهم فوقع في موقع الباء عن مجاهد قال الفراء

انشدني بعضهم

وارغب فيها عن لقيط ورهطه ولكنني عن منبس لست اربغ

قال أراد اربغ بها يعني بتأله يقول اربغ بها عن لقيط وقيلته (وقالوا إنا كفرنا) أي جعدنا (يا أرسلم به) أي برسالاتكم (وانا لفي شك ما تدعوننا اليه) من الدين (مريب) متهم أي يوقنا في الرب بكهم انكم تطلبون الرئاسة وتفقدون الكذب (قالت رسلهم) حينئذ لهم (أي الله شك) مع قيام الأدلة على وحدانيته وصفاته (فاطر السموات والأرض) أي خالقها ومنشئها لا يقدر على ذلك غيره فوجب ان يعبد وحده ولا يشرك به من لا يقدر على اختراع الأجسام (يدعوكم لينفر لكم من ذنوبكم) أي يدعوكم إلى الإيمان به لينفعكم لا يضركم وقال من ذنوبكم بمعنى لينفر لكم بعض ذنوبكم لأنه ينفر ما دون الشرك ولا ينفر الشرك وقال الجبائي دخلت من التبعيض ووضع البعض موضع الجميع توسعا (ويؤخركم إلى أجل مسمى) أي يؤخركم إلى الوقت الذي ضربه الله لكم أن يميتكم فيه ولا يؤخذكم بماجل العقاب (قالوا) أي قال لهم قومهم (ان انتم) أي ما انتم (إلا بشر مثلنا) أي خلق مثلنا (تريدون أن تصدونا) أي تمنعونا (عما كان يعبد آباؤنا) من الأصنام والوثان (فأتونا بسطان مبين) أي بجملة واضحة على صحة ما تدعونه وبطلان ما نحن فيه وانا قالوا ذلك لأنهم اعتقدوا ان جميع ما جاءت به الرسل من المعجزات ليست بمعجزة ولا دلالة وقيل انهم طلبوا معجزات مقترحات سوى ما ظهرت فيايبينهم وفي هذه الآية دلالة على انه سبحانه لا يريد الكفر والشرك وانا يريد الخير والإيمان وانه انما بعث الرسل إلى الكفار رحمة وفضلا وانعاما عليهم ليؤمنوا فإنه قال يدعوكم لينفر لكم

قوله تعالى (١١) قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٢) وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَىٰ اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ آيات

(المعنى) -

ثم حكى سبحانه جواب الرسل للكفار فقال (قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم) في الصورة والهيئة ولنا ملائكة (ولكن الله يمين على من يشاء من عباده) أي يعم عليهم بالنبوة وينبئهم بالمعجزة فلقد من الله علينا واصطفانا وبعثنا أنبياء (وما كان لنا ان نأتيكم بسطان) أي بجملة على صحة دعواتنا (إلا بإذن الله) أي بأمره واطلاقه لنا في ذلك (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) المصدقون به وبأنبيائه (وما لنا الا نتوكل على الله) معناه واي شيء لنا إذا لم نتوكل على الله ولم نفوض أمورنا اليه وعلى هذا تكون ما للاستفهام وقيل ان معناه ولا وجه لنا ولا عذر لنا في ان لا نتوكل على الله ولا نتق به فتكون ما للنفي وإذا كانت للاستفهام فمعناه النفي أيضا (وقد هدانا سبلنا) أي عرفنا طريق التوكل وقيل معناه هدانا إلى سبيل الإيمان ودلنا على معرفته ووفقنا لتوجيه العبادة اليه وان لا نشرك به شيئا وضمن لنا على ذلك جزيل الثواب والمراد انا إذا كنا مهتدين فلا ينبغي لنا ان لا نتوكل على الله (ولنصبرن على ما آذيتمونا) فانه تعالى يكفيننا امركم وينصربنا عليكم (وعلى الله

فليتوكل المتوكلون) وانما قص هذا وأمثاله في القرآن على نبينا ليقتدي بن كان قبله من المرسلين في تحمل اذى المشركين والصبر على ذلك والتوكل وروى الراقي باسناده عن ابي سريم عن ابي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ إذا آذاك البراغيث فخذ قدحاً من الماء فاقراً عليه سبع مرات وما لنا ألا نتوكل على الله الآية وقيل فإن كنتم آمنتم بالله فكفروا شركم وأذاكم عناء ثم قرش الماء حول فراشك فلذلك تبيت تلك الليلة آمننا من شرها

قوله تعالى (١٣) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (١٤) وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ (١٥) وَأَسْتَفْتِحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٦) مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ (١٧) بِتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ (١٨) مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قراءة ابن عباس ومجاهد وابن محيص واستفتحوا وقراءة ابن ابي اسحاق في يوم عاصف بالاضافة

﴿ الحجة ﴾

قوله واستفتحوا معطوف على ما سبق من قوله فأوحى اليهم ربهم أي وقال لهم استفتحوا أي استنصروا الله عليهم واستعضوه بينكم وفي الحديث كان (ص) يستفتح بصالحك المهاجرين أي يستنصر بهم وقيل معناه انه يقدمهم ويبدأ امره بهم وكانهم اتوا سوا القاضي فتاحا لأنه يفتح باب الحق الذي هو منسند فيعمل عليه واما قوله في يوم عاصف فمعناه في يوم ربيع عاصف فحذف الموصوف واقامت الصفة مقامه وكذلك في قراءة الجماعة في يوم عاصف العاصف هو الريح لا اليوم

(- اللغة -)

الاستفتاح طلب الفتح بالنصر والحجية اخلاف ما قدر به المنفعة وضده النجاح وهو ادراك الطلبة والجبرية طلب سلو المتزلة بما ليس له غاية في الوصف وإذا وصف العبد بأنه جبار كان ذماً وإذا وصف الله سبحانه به كان مدحاً لأن له طر المتزلة بما ليس وراءه غاية في الصفة والعنيد مبالغة العائد والعتاد الامتناع من الحق مع العلم به كجوابين قال

إذا نزلت فأجعلاني وسطاً اني كبير لا اطيق العناد

والورا، والخلف واحد وهو الجهة المقابلة لجهة القدم وقد يكون ورا، بمعنى قدام قال

أرجو بنو مروان سمعي وطاعتي وقومي تميم والفلاة وراثيا

قال الزجاج الورا، ما يوارى عنك وليس من الاضداد قال النابغة

حلفت ولم اترك لنفسي ريبة وليس ورا، الله للمره مذهب

والصديد القيح يسيل من الجرح أخذ من انه يصد عنه تكرها له والقيح دم مختلط ببدنة وقوله صديديان لها، الذي يسقون فلذلك اهرب باعرايه والتجرع تناول المشروب جرعة جرعة على الاستمرار والامسافة اجراء الشراب

في الخلق يقال ساغ الشيء واسفته انا والاشتداد الاسراع بالحركة على عظم القوة يقال اشتد به الوجد من هذا لأنه اسرع اليه على قوة ألمه ويوم عاصف شديد الريح والعصف شدة الريح وانما جعل العصف صفة لليوم لأنه يقع فيه كما يقال ليل نائم ويوم ماطر ويجوز ان يكون المراد يوم عاصف ريحه ومثله جحر ضب أي خرب جحره أي خرب جحره

✽ الإعراب ✽

أو في قوله أو لتعودن بمعنى إلا ان كما يقال لا اكلمك أو تدعوني وقال الفراء لا يكاد يستعمل فيما يقع وفيما لا يقع فما يقع مثل قوله ولا يكاد يسيغه وما لم يقع مثل قوله لم يكدرها لأن المعنى لم يرها. مثل الذين كفروا تقديره فيما يتلى عليكم مثل الذين كفروا بربههم فيكون رفعا بالابتداء ويجوز أن يكون مثل مقعها كأنك قلت الذين كفروا بربههم فيكون رفعا بالابتداء واعمالهم رفع على البدل وهو بدل الاشتمال وكراماد الخبر

✽ المعنى ✽

(وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم من ارضنا) أي من بلادنا (أو لتعودن في ملتنا) أي الا ان ترجعوا إلى ادياننا ومذاهبنا التي نحن عليها (فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين) أي فأوحى الله إلى رسوله لما ضاقت صدورهم بما لقوا من قومهم انا نهلك هؤلاء الظالمين الكافرين (ولنسكننكم الأرض من بعدهم) أي نسكننكم ارضهم من بعدهم يريد اصبروا فاني اهلك عدوكم واورثكم ارضهم وفي معناه ما جاء في الحديث من آذى جاره ورثه الله داره (ذلك لمن خاف مقامي) أي ذلك الفوز لمن خاف وقوفه للحساب والجزاء بين يدي في الموضوع الذي اقيم فيه واذاف المقام إلى نفسه لأنهم يقومون بأمره (وخاف وعيد) أي عقابي وانما قالوا أو لتعودن في ملتنا وهم لم يكونوا على ملتهم قط اما لأنهم توهبوا على غير حقيقة انهم كانوا على ملتهم واما لانهم ظنوا بالشقاء انهم كانوا عليها (واستفتحوا) أي طلبت الرسل الفتح والنصر من قبل الله تعالى على الكفار عن مجاهد وقاتدة وقيل هو سؤالهم ان يحكمهم الله بينهم وبين اممهم لأن الفتح الحكم والفتح الحاكم عن الجبائي (وخاب كل جبار نبيذ) أي خسر كل متكبر معاند مجانب للحق دافع له وقيل معناه واستفتح الكفار العذاب الذي توعدهم به الأنبياء على جهة التذكير لهم (من ورائه جهنم) أي جهنم بين يدي هذا الجبار عن الزجاج أي له مع الحية نار جهنم بين يديه وقيل معناه من خلفه وانما جاز في الزمان ان يسمى الأمام وراءه وان لم يجز في غيره لأن الزمان المستقبل كأنه خلفهم لأنه يأتي فيلحقهم كما يلحق الإنسان من خلفه (ويسقى من ماء صديد) أي ويسقى ما يسيل من الدم والقيح من فروج الزواني في النار عن ابي عبد الله (ع) واكثر المفسرين أولونه لون الماء وطعمه طعم الصديد وروى ابو امامة عن النبي ﷺ في قوله ويسقى من ماء صديد قال يقرب اليه فيكرهه فإذا ادني منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا شرب قطع أمعاءه حتى يخرج من ذبوره يقول الله عز وجل وسقوا ماء حميا قطع أمعاءهم ويقول وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه وقال رسول الله ﷺ من شرب الخمر لم تقبل له صلاة اربعين يوما فإن مات وفي بطنه شيء من ذلك كان حقا على الله ان يسقيه من طينة خبال وهو صديد اهل النار وما يخرج من فروج الزناة فيجتمع ذلك في قدور جهنم فيشربه أهل النار فيصهر به ما في بطونهم والجلود رواه شعيب بن واقد عن الحسين بن زيد عن الصادق (ع) عن أبيه (ع) عنه ﷺ (يتجرعه) أي يشرب ذلك الصديد جرعة جرعة (ولا يكاد يسيغه) أي لا يقارب أن يشربه تكرها له وهو يشربه والمعنى ان نفسه لا تقبل لحرارته وندته ولكن يكرهه عليه (ويأتيه الموت من كل مكان) أي تأتيه شدائد الموت وسكراته من كل موضع من جسده ظاهره وباطنه حتى تأتيه من اطراف شعره عن ابراهيم التيمي وابن جريج وقيل يحضره الموت من كل موضع وبأخذه من كل جانب من فوقه ومن تحته وعن يمينه

وشاله ومن قدمه وخلفه عن ابن عباس والجائني (وما هو بيت) أي ومع اتیان أسباب الموت والشدائد التي يكون معها الموت من كل جهة وانواع العذاب التي كان يموت بدونها في الدنيا لا يموت فيستريح وهذا كقوله لا يقضى عليهم فيموتوا (ومن ورائه) أي وراء هذا الكافر (عذاب غليظ) وهو الخلود في النار وقيل معناه ومن بعد هذا العذاب الذي سبق ذكره عذاب أشد وأوجع مما تقدم عن الكلبي ثم أخبر سبحانه عما ينال الكفار من الحسرة فيما تكلفوه من الاعمال فقال (مثل الذين كفروا بربهم) وقيل ان معناه مثل اعمال الذين كفروا بربهم فحذف المضاف اعتمادا على ذكره بعد المضاف اليه عن الفراء. وقيل معناه ما نقص عليك مثل الذين كفروا عن سيئويه (أعمالهم) في قلة انتفاعهم بها (كرماد اشتدت به الريح) أي ذرته ونفثته (في يوم عاصف) أي شديد الريح فكما لا يقدر احد على جمع ذلك الرماد المتفرق والانتفاع به فكذلك هو لا الكفار لا يقدرون مما كسبوا على شيء) أي لا يقدرون على الانتفاع بأعمالهم ومثل قوله وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا (ذلك هو الضلال البعيد) يعني ان عملهم ذلك هو الذهاب البعيد عن النعم وقيل الخطأ البعيد عن الصواب عن ابن عباس وفي هذه الآية دلالة واضحة على بطلان قول المنجزة لأنه أضاف العمل اليهم ولو كان مخلوقا له سبحانه لما صح اضافته اليهم

قوله تعالى (١٩) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (٢٠) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (٢١) وَرَزَوُا اللَّهَ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَمَا نَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءَ عَلَيْنَا أَجْرٌ عَلْنَا أَمْ صَبْرًا مَا لَنَا مِنْ مَّحِصٍ ثلاث آيات في الكوفي والمدني الاول آيتان عند غيرهم

❖ القراءة ❖

قرأ خالق السموات ههنا وفي النون اهل الكوفة غير عاصم والباقرن خلق

❖ الحجة ❖

قال ابو علي من قرأ خلق فلان ذلك فعل ماض فأخبر عنه بلفظ الماضي ومن قرأ خالق على اسم الفاعل جعله مثل فاطر السموات لأن فاطر بمعنى خالق

❖ اللفظة ❖

البروز خروج الشيء عما كان ملتبسا به إلى حيث يقع عليه الحس يقال برز للقتال إذا ظهر له . الضعفاء جمع ضعيف والضعف نقصان القوة يقال اضعفه فضعف والاستكبار والتكبر والتجبر واحد وهو رفع النفس فوق مقدارها في الوصف والتبع جمع تابع كالغيب جمع غائب قال الزجاج ويجوز ان يكون مصدرا وصف به فيكون بمعنى ذوي تبع واغنى عنه أي دفع عنه فأغناه أي نفى الحاجة عنه بما فيه كفايته وحاص يحيص حيصا وحيوصا مثل حاد والحيد الزوال عن المكروه والجزع انزعاج النفس برود ما يغتم وتقيضه الصبر قال

فإن تصبرا فالصبر خير مغبة وإن تجزعا فالأمر ما قرين

❖ المعنى ❖

ثم بين سبحانه انه إنما خلق الخلق ليعبده وليؤمنوا به لا ليكفروا فقال (ألم تر) أي ألم تعلم لأن الروية قد تكون بمعنى العلم كما تكون بمعنى الادراك للبصر وههنا لا يمكن ان يكون بمعنى الروية بالبصر والحطاب

للنبي ﷺ والمراد به الأمة (ان الله خلق السموات والارض) على ما تقتضيه الحكمة والخلق فعل الشئ على تقدير وترتيب (بالحق) أي بقوله الحق وقيل اراد للحق أي للغرض الصحيح والامر الحسنى وهو الدين والعبادة أي ليعبده فيستحقوا به الثواب عن ابن عباس والجبائي (ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) أي ان يشأ يهلككم ويفنكم ويخلق قوما آخرين مكانكم لأن من قدر على بناء الشئ كان على هدمه اقدر إذالم يخرج عن كونه قادرا (وما ذلك على الله بعزيز) أي وما اهلاكمم والاتيان بخلق جديد بممتنع ولا متعذر على الله تعالى (وبرزوا لله جميعا) أخبر سبحانه ان الخلق يبرزون يوم القيامة فله أي يظهرون من قبورهم ويخرجون منها لحكم الله فاللفظ لماضي والمراد به الاستقبال للتحقيق وصحة الوقوع وقيل معناه سيبرزون لله جميعا القادة والاتباع عن ابن عباس وهو يتصل بقوله ولا يكاد يسيغه . لما تقدم ذلك العيد بين صفة ذلك اليوم وما يجري بين الاتباع والمتبوعين من المجادلة وقال (فقال الضعفاء للذين استكبروا) أي تكبروا عن الايمان فلم يؤمنوا وهم القادة في الدنيا الذين هم الأكابر والرؤساء والقادة في الدين الذين هم علماء السوء (انا كنا لكم تبعا) في الكفر على وجه التقليد (فهل انتم مغنون عنامن عذاب الله من شئ) أي هل انتم دافعون عنا شيئا من عذاب الله الذي قد نزل بنا ان لم تقدرنا على دفع الكل ومن للتبعض (قالوا لو هدانا الله لهديناكم) أي قال المتبوعون للاتباع لو هدانا الله الى طريق الخلاص من العقاب والوصول الى النعيم والثواب لهديناكم الى ذلك والمعنى لو خلصنا لخاصناكم ايضا لكن لا مطمع فيه لنا ولكم عن الجبائي وابي مسلم وقيل معناه لو هدانا الله الى الرجعة الى الدنيا فنصلح ما افسدناه لهديناكم وقيل لو هدانا الله بلجايتنا الى الطلب لهديناكم بالمسألة له سبحانه ذكر هذين الوجهين القاضي عبد الجبار في تفسيره (سواء علينا اجزعا ام صبرنا ما لنا من محيص) يعني ان الصبر والجزع سياتان مثلان ليس لنا محيص ولا مهرب من عذاب الله اي انقطعت حيلتنا وبشنا من النجاة . حث الله سبحانه في هذه الآية على النظر وحذر من التقليد والى هذا اشار امير المؤمنين علي (ع) في قوله لا تحرث الهداني يا حار الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف اهله

قوله تعالى (٢٢) وَقَالَ الشَّيْطَانُ لِمَ أَقْضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنْفُسُكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ آية

❁ القراءة ❁

قرأ حمزة وحده بمصرخي بكسر الياء والباقون بفتحها

(= الحجة =)

قال ابو علي قال الفراء في كتابه في التصريف هو قراءة الاعمش ويحيى بن وثاب قال وزعم القاسم بن معن انه صواب قال وكان ثقة بصيرا وزعم قطرب انه لغة من بني يربوع يزيدون على ياء الاضافة ياء وانشد
ماض اذا ما هم بالمضي قال لها هل لك يا ناقي قالت له ما انت بالمرضي
وانشد الفراء ذلك ايضا ووجه ذلك من القياس ان الياء ليست تخلو من ان تكون في موضع النصب او الجر فالياء في النصب والجر كالألف فيهما وكالكاف في اكرمك وهذا لك فكما ان الهمزة قد اجتمعت الزيادة في هذا كهمز والحققت ايضا الكاف الزيادة في قول من قال اعطيتكاه واعطيتكاه فيما احكاه سيبويه وهما اختا الياء

كذلك الحقوا الياء الزيادة في المدفقاوا فيبي ثم حذفت الياء الزائدة على الياء كما حذفت الزيادة من الهاء في قول من قال له ارقان وزعم ابو الحسن انها لغة فكما حذفت الزيادة من الكاف في قول من قال اعطيتك واعطيتك كذلك حذفت الياء اللاحقة للياء وبالجملة حذفت الزيادة من الياء كما حذفت من اختبها واقرت الكسرة التي كانت تلي الياء المحذوفة فبقيت الياء على ما كانت عليها من الكسرة وكما حلت الكاف والهاء والياء الزيادة كذلك حلت التاء الزيادة نحو «رميته فاصبته وما اخطأت رميته» فإذا كانت هذه الكسرة في الياء على هذه اللغة وإن كان غير ها افشى منها وعضده من القياس ما ذكرناه لم يجر لقاتل ان يقول ان القراءة بذلك لمن لاستفاضة ذلك في السماع والقياس قال البصير كسر الياء ليكون طبقا لكسرة همزة قوله اني كفرت لانه اراد الرصل دون الوقف والابتداء بانني كفرت لأن الابتداء بانني كفرت محال فلما اراد هذا المعنى كان كسر الياء أدل على هذا من فتحها

اللغة

الاصراخ الاغاثة باجابة الصارخ ويقال استصرخني فلان فاصرخته أي استغاثني فأعنته

— المعنى —

لما تقدم وعيد الكافر وصفة يوم الحشر وما يجري فيه من الجدال بين الاتباع والمتبعين عقب ذلك سبحانه بكلام الشيطان في ذلك اليوم فقال (وقال الشيطان) وهو ابليس باتفاق المفسرين يقول لأوليائه الذين اتبعوه (لما قضي الأمر) أي فرغ من الحكم بين الخلائق ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار عن ابن عباس والحسن وقالوا انه لم يخاطبهم بذلك قال الحسن وهو احقر واذل من ان يخاطب لولا ان الله اذن فيه توبيخا لأهل النار وقيل انه يوضع له منبر في النار فيرقاه ويجتمع الكفار عليه باللانسة عن مقاتل (ان الله وعدكم وعد الحق) من البعث والنشور والحساب والثواب والعقاب (ووعدتكم) ان لا يموت ولا تشرد ولا جنة ولا نار وقيل ووعدتكم الخلاص من العقاب بارتكاب المعاصي (فأخلفنكم) أي كذبتكم وقيل لم اوف لكم بواعدتكم (وما كان لي عليكم من سلطان إلا ان دعوتكم) اي وما كان لي عليكم سلطان الاكراه والاجبار على الكفر والمعاصي وانما كان لي سبيل الوسوسة والدعوة (فاستجبت لي) بسوء اختياركم وقيل معناه ما اظهرت لكم حجة احتج بها عليكم إلا ان دعوتكم فيكون هذا من الاستثناء المنقطع ومعناه ان دعوتكم إلى الضلال واغويتكم فصدقتوني واجتبتوني وقبلتم مقالي بسوء اختياركم فلا تلووني على ما حل بكم من العقاب بسوء اختياركم (ولوموا أنفسكم) حيث عدتكم عن امر الله إلى اتباعي من غير دليل وبرهان (ما انا بصرخكم وما انتم بصرخي) اي ما انا بغيثكم ولا معينكم وما انتم بغيثي ولا معيني (اني كفرت بما اشركتمون من قبل) أي كفرت الان بما كان من اشراككم اياي مع الله في الطاعة اي جحدت ان اكون شريكا لله تعالى فيما اشركتموني فيه من قبل هذا اليوم وقال الفراء وجماعة تقديره اني كفرت بما اشركتموني به اي ابانه ويعني بقوله من قبل في وقت آدم (ع) حين امر بالسجود فأبى واستكبر (ان الظالمين لهم عذاب اليم) قيل انه من تمام قول الشيطان لأهل النار وقيل انه ابتداء وعيد من الله تعالى لهم وهو الأظهر وفي هذه الآية دلالة على ان الشيطان لا يقدر على اكثر من الدماء والاغواء وانه ليس عليه إلا عقاب الدعوة فحسب

قوله تعالى (٢٣) وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ (٢٤) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٥) تَوْنِي أَكَلَهَا كُلُّ حَيْثٍ بِإِذْنِ

رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٦) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ اربع آيات في الكوفي والبصري وثلاث آيات عند الباقين ونعام الأناذية في السماء

— (القراءة) —

في الشواذ قراءة الحسن وادخل الذين آمنوا برقع اللام

— الحجة —

قال ابن جني هذه القراءة على ان ادخل من كلام الله كأنه قطع الكلام واستونف فقال الله وانا ادخل المؤمنين جنات وعلى هذا فقوله باذن ربهم أي باذني إلا انه اعاد ذكر الرب ليضيفه اليهم فيكون اذهب في الاكرام والتقريب منه لهم

— اللغة —

التحية التلقي بالكرامة في المخاطبة واما قوله التحيات فهو في ذلك ثلاثة أقوال ﴿اولها﴾ المعنى ان الملك لله يقال حياك الله أي ملكك ﴿وثانيها﴾ البقاء. لله يقال حياك الله أي ابقاك الله فيكون بمعنى احياك الله كما يقال وصى ووصى واهل واهل ﴿وثالثها﴾ ان ذلك بمعنى السلام قال القتيبي وانا جمع لأنه كان في الارض ملوك يميون بتحيات مختلفة فيقال لبعضهم أبيت الامن وبعضهم اسلم وانبعم وبعضهم عش الف سنة فقبل لنا قولوا التحيات فهو اي كل الالفاظ التي يجيأ بها الملوك هي لله والاجتثاث اقتلاع الشيء من اصله يقال جثه واجتثه والجثة اخذت منه

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم وعيد الكافرين عقبه سبحانه بالوعيد للمؤمنين فقال (وادخل الذين آمنوا) أي صدقوا الله ورسوله (وعملوا الصالحات) أي الطاعات (جنات تجري من تحتها الأنهار خالدون فيها) قد سبق معناه (باذن ربهم) أي بأمر ربهم واطلاقه (تحيتهم فيها سلام) مر تفسيره في سورة يونس ثم ضرب الله سبحانه مثلا يقرب مسن افهام السامعين ترغيبا للخلق في اتباع الحق فقال (ألم تر) أي ألم تعلم يا محمد (كيف ضرب الله مثلا) أي بين الله شيئا ثم فسره ذلك المثل فقال (كلمة طيبة) وهي كلمة التوحيد شهادة ان لا إله إلا الله عن ابن عباس وقيل هي كل كلام امر الله تعالى به من الطاعات عن أبي علي قال وانا ساها طيبة لأنها زاكية نامية اصحابها بالخيرات والبركات (كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء) أي شجرة زاكية نامية راسخة اصولها في الأرض عالية أغصانها وثمارها في السماء. وازاد به المبانة في الرفع والاصل سافل والفرع عال الا انه يتوصل من الاصل إلى الفرع وروى انس عن النبي ﷺ ان هذه الشجرة الطيبة هي النخلة وقيل انها شجرة في الجنة عن ابن عباس وروى ابن عقدة عن أبي جعفر (ع) ان الشجرة رسول الله ﷺ وفرعها علي (ع) ومنصر الشجرة فاطمة وثمرتها اولادها وأغصانها واوراقها شيعتنا ثم قال (ع) ان الرجل من شيعتنا ليموت فيسقط من الشجرة ورقة وان المولود من شيعتنا ليولد فيبورق مكان تلك الورقة ورقة وروى عن ابن عباس قال قال جبريل (ع) للنبي ﷺ انت الشجرة وعلي غصنها وفاطمة ورقها والحسن والحسين ثمارها وقيل اراد بتلك شجرة هذه صفتها وان لم يكن لها وجود في الدنيا لكن الصفة معلومة وقيل ان المراد بالكلمة الطيبة الايمان والشجرة الطيبة المؤمن (توتى اكلها) أي تخرج هذه الشجرة ما يؤكل منها (كل حين) أي في كل سنة اشهر عن ابن عباس وأبي جعفر (ع) وقال الحسن وسعيد بن جبیر اراد بذلك انه يؤكل ثمرها في الصيف وطلوها في الشتاء. وما بين صرام النخلة إلى حملها

سنة اشهر وقال مجاهد وعكرمة كل حين اي كل سنة لأنها تحمل في كل سنة مرة وقال سعيد بن المسيب في كل شهرين لأن من وقت ما يطعم النخل إلى صرامه يكون شهرين وقيل لأن من وقت ان يُصرم النخل إلى حين يطعم يكون شهرين وقال الربيع عن انس كل حين اي كل غدوة وعشية وروي ذلك عن ابن عباس ايضا وقيل معناه في جميع الأوقات لأن ثمر النخل يكون اولاً طلعاً ثم يصير بلعاً ثم يسرا ثم رطباً ثم تمر فيكون ثمره موجوداً في كل الاوقات ويدل على ان الحين بمنزلة الوقت قول النابغة في صفة الحية والمدوغ

يبادرها الراقون من سوء سمها تطلقه حيناً وحيناً تراجع

يعني ان السم يخف ألمه وقتاً ويمر وقتاً وقيل انه سبحانه شبه الايمان بالنخلة ثبات الايمان في قلب المؤمن كشبات النخلة في منبتها وشبه ارتفاع علمه إلى السماء بارتفاع فروع النخلة وشبه ما يكسبه المؤمنون من بركة الايمان وثوابه في كل وقت وحين بما ينال من ثمره النخلة في اوقات السنة كلها من الرطب والتمر وقيل ان معنى قوله توحي اكلها كل حين (باذن ربها) ما يقضي به الأئمة من آل محمد عليهم السلام وشيعتهم في الحلال والحرام (ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) أي لكي يتدبروا فيعرفوا الغرض بالمثل (ومثل كلمة خبيثة) وهي كلمة الكفر والشرك عن ابن عباس وغيره وقيل هو كل كلام في معصية الله تعالى عن ابي علي (كشجرة خبيثة) غير زاكية وهي شجرة الحنظل عن ابن عباس وانس ومجاهد وقيل انها شجرة هذه صفتها وهو انه لا قرار لها في الارض عن الحسن وقيل انها الكشوث عن الضحاك وروي ابو الجارود عن ابي جعفر (ع) ان هذا مثل بني امية (اجتثت من فوق الأرض) اي اقتطعت واستوصلت واقتلعت جثته من الارض (ما لها من قرار) اي مالمالك الشجرة من ثبات فلان الريح تنسفها وتذهب بها فكما ان هذه الشجرة لا ثبات لها ولا بقاء ولا ينتفع بها احد فكذلك الكلمة الخبيثة لا ينتفع بها صاحبها ولا يثبت له منها نفع ولا ثواب وروي عن ابن عباس ايضا انها شجرة لم يخلقها الله بعد وانما هو مثل ضربه بهذا وهذا القول حسن لأن الحنظل وغيره قد ينتفع بذلك في الأدوية

قوله تعالى (٢٧) يَثْبِثُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٨) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كَفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٩) جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَنَسَّ الْقَرَارُ (٣٠) وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ أربع آيات

اللغة

الاحلال وضع الشيء في محل اما مجاورة ان كان من قبيل الاجسام أو بمداخلته ان كان من قبيل الاعراض والبوار الهلاك يقال بار الشيء بيور بوراً إذا هلك ورجل بور أي هالك وقوم بور ايضاً قال ابن الزبير

يا رسول المليك إن لساني راتق ما فتقت إذ أنا بور

والانداد الامثال المتأدون قال

تهدى رؤوس المترفين الانداد إلى امير المؤمنين المعتاد

الإعراب

جهنم انتصب على البدل من قوله دار البوار ويصلونها في موضع نصب على الحال من قومهم وان شئت كان حالاً من جهنم وان شئت فمتها كقولهم بعد قوله فأتت به قومها

* المعنى *

لما قدم سبحانه ذكر الكلمة الطيبة عقبه بذكر ما يحصل لصاحبها من المثوبة والكرامة فقال (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) أي يثبتهم في كرامته وثوابه بالقول الثابت الذي وجد منهم وهو كلمة الإيمان لأنه ثابت بالحجج والأدلة وقيل معناه يثبت الله المؤمنين بسبب كلمة التوحيد وحرمتها في الحياة الدنيا حتى لا يزلوا ولا يضلوا عن طريق الحق ويثبتهم بها حتى لا يزلوا ولا يضلوا عن طريق الجنة وقيل معناه يثبتهم بالتمسكين في الأرض والنصرة والفتح في الدنيا وبإسكانهم الجنة في الآخرة عن أبي مسلم وقال أكثر المفسرين إن المراد بقوله في الآخرة في القبر والآية وردت في سؤال القبر وهو قول ابن عباس وابن مسعود وهو المروي عن أمثنا (ع) وروى محمد بن يعقوب الكايني في كتاب الكافي بإسناده عن سويد بن غفلة عن أمير المؤمنين علي (ع) قال إن ابن آدم إذا كان في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة مثل له ماله وولده وعمله فيلتمت إلى ماله فيقول والله أني كنت عليك لحربصاً شحيحاً فمالى عندك فيقول خذمني كفنتك فيلتمت إلى ولده فيقول والله أني كنت لك لمجاً وعليكم لمجاً فإذا لي عندكم فيقولون نوذيك إلى حفرتك نوذيك فيها قال فيلتمت إلى عمله فيقول والله أني كنت فيك لزاهداً وإن كنت علي لتقبلاً فإذا لي عندك فيقول أنا قريتك في قبرك ويوم تشرك حتى اعرض أنا وأنت على ربك قال فإني كان لله ولياً أتاه أطيب الناس ريحاً وأحسنهم منظراً وأحسنهم ريشاً فقال أبشر بروح وريحان وجنة نعيم ومقدمك خير مقدم فيقول له من أنت فيقول أنا عمك الصالح أرتحل من الدنيا إلى الجنة وأنه ليعرف غاسله ويناشد حامله إن يعجله فإذا ادخل قبره أتاه ملكا القبر يجران أشعارهما ويخدان الأرض بأنيابها أصواتها كالرعد القاصف وإبصارهما كالبرق الخاطف فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول الله ربّي ودينّي الإسلام ونبي محمد ﷺ فيقولان ثبتك الله فيما تحب وترضى وهو قوله سبحانه يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ثم يسبحان له في قبره مد بصره ثم يفتحان له باباً إلى الجنة ثم يقولان له نعم قرير العين نوم الشاب الناعم فإن الله يقول أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً قال وإذا كان لربه عدواً فإنه يأتيه أقيح خلق الله زياً وأنته ريحاً فيقول أبشر بنزل من حميم وتصلية جحيم وأنه ليعرف غاسله ويناشد سمته أن يحسبوه فإذا ادخل القبر أتاه ملكا القبر فألقيا أكفانه ثم يقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول لا أدري فيقولان له لا دريت ولا هديت فيضربان نافوخه بمرزبة معها ضربة ما خلق الله من دابة إلا تذعرها ما خلا الثقلين ثم يفتحان له باباً إلى النار ثم يقولان له نعم بشر حال فيه من الضيق مثل ما فيه الفتاة من الزج حتى إن دماغه ليخرج من بين ظفريه ولحمه ويسلط الله عليه حيات الأرض وعقاربها وهوامها فتنتشه حتى يبعثه الله من قبره وأنه ليتمنى قيام الساعة ما هو فيه من الشر نعموذاً بالله من عذاب القبر (ويضل الله الظالمين) أي ويضلهم عن هذا التثبيت في الدنيا وفي الآخرة (ويفعل الله ما يشاء) من الإمهال والانتقام وضغطة القبر ومساءلة منكر ونكير لا اعتراض عليه في ذلك ولا قدرة لأحد على منعه وهذا من تمام الترغيب والترهيب ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ فقال (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً) يحتمل أن يكون المراد ألم تر إلى هؤلاء الكفار عرفوا نعمة الله بمحمد ﷺ أي عرفوا محمداً ثم كفروا به فبدلوا مكان الشكر كفراً وروى عن الصادق (ع) أنه قال نحن والله نعمة الله التي أنعمها أنعم بها على عباده وبنا يفوز من فاز - ذكره علي بن إبراهيم في تفسيره ويحتمل أن يكون المراد جميع نعم الله على العموم بدلوا نعمة الله بالتبديل إذ جعلوا مكان شكرها الكفر بها واختلف في المعنى بالآية فروى عن أمير المؤمنين علي (ع) وابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك ومجاهد أنهم كفار قريش كذبوا نبيهم ونصبوا له الحرب والعداوة وسأل رجل أمير المؤمنين علياً (ع) عن هذه الآية فقال هم الأفجران من قريش بنو أمية وبنو المغيرة فأما بنو أمية فتمتعوا إلى حين وأما بنو المغيرة فكفيتهم يوم بدر وقيل أنهم جيلة بن الإيهيم ومن اتبعوه من

العرب تنصروا ولحقوا بالروم (واحلوا قومهم دار البوار) أي أنزلوا قومهم دار الهلاك بأن أخرجوهم إلى بدر وقيل معناه أنزلوهم دار الهلاك وهي النار بدعائهم إياهم إلى الكفر بالنبي واغوائهم إياهم (جهنم يصلونها وبئس القرار) وهذا تفسير لدار البوار يعني أن تلك الدار هي جهنم يدخلونها وبئس القرار قرار من قرار النار (وجعلوا الله أنداداً) أي وجعل هؤلاء الكفار الذين بدلوا نعمة الله كفراً لله نظراً وامثالاً في العبادة زيادة على كفرهم وجحدهم (ليضلوا عن سبيله) أي ليكون عاقبة أمرهم إلى الضلال الذي هو الهلاك وليست هذه اللام لام الغرض لأنهم لم يعبدوا إلا وثان من دون الله وغرضهم أن يهلكوا ومن قرأ ليضلوا بضم الياء فمعناه ليضل الناس عن سبيل الله ثم قال سبحانه لئيبه ^{بِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} (قل) لهؤلاء الكفار الذين وصفناهم (تتمعوا) واتفعوا بما تهوون من عاجل هذه الدنيا والمراد به التهديد وإن كان بصورة الأمر (فلن مصيركم) أي مرجعكم ومآلكم (إلى النار) والكون فيها وكان قد يكون

قوله تعالى (٣١) قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبُنُقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خِلَالَ (٣٢) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الشَّجَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ (٣٣) وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٤) وَأَنَا كُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ سَأَلْتُمُوهُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَقَلُومٌ كَفَّارٌ

أربع آيات في الكوفي والمدني ثلاث في غيرهم

﴿ القراءة ﴾

قرأ زيد عن يعقوب من كل ما سألتموه بالتونين وهو قراءة ابن عباس والحسن ومحمد بن علي الباقر (ع) وجعفر ابن محمد الصادق (ع) والضحاك وعمرو بن قائد وقرأ سائر القراء من كل ما سألتموه بالإضافة
(- الحجة -)

أما القراءة بالتونين فإن المفعول فيها موقوف به أي وأتاكم ما سألتموه من كل شيء سألتموه أن يؤتيسكم منه وقال الضحاك إن ما لنفي معناه وأتاكم من كل شيء لم تسألوه إياه أما القراءة على الإضافة فالمفعول فيها محذوف أي وأتاكم سؤلكم من كل شيء سألتموه

﴿ اللفظة ﴾

الخلال مصدر خالته مخاللة وخاللاً أي صادقته قال امرؤ القيس

صرفت الهوى عنهن من خشية الردى ولست بمقتلي الخلال ولا قال

وقد يكون الخلال جمع خلة ويكوت مثل قلة وقلال والدؤوب سرور الشيء في العمل على عادة جارية فيه يقال دأب يدأب دأباً ودؤوباً فهو دأب

﴿ الاعراب ﴾

بقيموا جزم من ثلاثة أوجه ﴿ أحدها ﴾ أنه جواب الأمر الذي هو قل لأن المعنى في قل إن تقل لهم بقيموا الصلاة ﴿ والثاني ﴾ أنه جواب امر محذوف وتقديره قل لعبادي أقيموا الصلاة بقيموا الصلاة ﴿ والثالث ﴾ أنه على حذف لام الأمر كأنه قال قل لعبادي ليقموا الصلاة وإنما جاز حذف اللام هنا لأن في الكلام دليلاً

على المحذوف ألا ترى ان لفظ الأمر بقل قد دل على الغائب تقول قل لزيد ليضرب عمرأ وان شئت قلت قل لزيد يضرب عمرأ ولا يجوز أن تقول يضرب زيد عمرأ بالجزم حتى تقول ليضرب لأن لام الغائب ليس هنا عوض منها إذا حذفها وقوله لا يبع فيه ولا خلال ان شئت رفعت البيع والخلال جميعاً وان شئت فتحتها وان شئت فتحت احدهما ورفعت الآخر وقد شرحنا ذلك فيما مضى

﴿ المعنى ﴾

(قل) يا محمد (لعبادى الذين آمنوا) اي اعترفوا بتوحيد الله وعدله عنى به اصحاب النبي ﷺ عن ابن عباس وقيل اراد به جميع المؤمنين عن الجبائي (بقموا الصلاة) اي هوّدوا الصلوات الخمس لمواقيتها فإن الصلاة لا تصير قائمة إلا باقامتهم (وبنفقوا بما رزقناهم مرا وعلائية) أي وقل لم ينفقوا من اموالهم في وجوه البر من الفرائض والنوافل ينفقون في النوافل مراً ليدفعوا عن أنفسهم نعمة الرياء وفي الفرائض علائية ليدفعوا تهمة المنع (من قبل ان يأتي يوم لا يبع فيه) يعني يوم القيامة والمراد بالبيع اعطاء البدل ليتخلص به من النار لا ان هناك مباحة (ولا خلال) أي ولا مصادقة وهذا مثل قوله الاخلاء بومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ثم بين سبحانه انه المستحق للإلهية فقال (الله الذي خلق السموات والأرض) أي انشأهما من غير شيء وبدأ بهن كرمهما لعظم شأنهما في القدرة والنعمة (وأنزل من السماء ماء) أي غيثاً ومطراً (فأخرج به) أي بذلك الماء (من الثمرات رزقاً لكم) يعني ان الغرض في ذلك ان يؤتيكم أرزاقكم (وسخر لكم الفلك) أي السفن والمراكب (لتجري في البحر بأمره) أي بأمر الله لأنها تسير بالرياح والله هو المنشي للرياح (وسخر لكم الأنهار) التي تجري بالمياه التي ينزلها من السماء ويجريها في الأودية وينصب منها في الأنهار (وسخر لكم الشمس والقمر) أي ذلك لمنافعكم الشمس والقمر في سيرهما لتنتفعوا بضوء الشمس نهاراً وبضوء القمر ليلاً وليبلغ بها الثمار والنبات في النضج الحد الذي عليه تتم النعمة فيها (دائبين) أي دائمين لا يفتران في صلاح الخلق والنباتات ومنافعهم (وسخر لكم الليل والنهار) أي ذلها لكم ومهدما لمنافعكم لتسكنوا في الليل ولتبتغوا في النهار من فضله (وآتاكم من كل ما سألتموه) معناه ان الإنسان قد يسأل الله العافية فيعطى ويسأله النجاة فيعطى ويسأله الغنى فيعطى ويسأله الولد والعز فيعطى ويسأله تيسير الأمور وشرح الصدور فيعطى فهذا في الجملة حاصل في الدعاء لله تعالى ما لم يكن فيه مفسدة في الدين أو على غيره فأين يذهب به مع هذه النعم التي لا تحصى كثيرة عن الله الذي هو في كل حال محتاج اليه وهو مظاهره بالنعم عليه ودخلت من التبويض لأنه لو قال وآتاكم كل ما سألتموه لاقتضى ان جميع ما يسأله العبد يعطيه الله تعالى والامر بخلافه لأن ما فيه مفسدة لا يعطيه الله اياه وتقديره وآتاكم من كل ما سألتم شيئاً وقيل معناه وآتاكم من كل ما بكم اليه حاجة فما من شيء يحتاج اليه العباد الا وهو موجود في ايديهم وهو كقوله خلق لكم ما في الارض جميعاً ولم يخصص كل واحد من الخلق بإيتاء كل ما سألته وقيل معناه وآتاكم من كل شيء سألتموه ولم تسألوه فما هيئا نكرة . ووصوفة والجملة صفة له وحذف الجملة المعطوفة وهي لم تسألوه كقوله سراويل تقيكم الحر والمعنى وتقيكم البرد وان فيما أبغى دليلاً على ما التقى (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) اي لا تقدروا على احصائها لكثرتها والنعمة هنا اسم اقيم مقام المصدر ولذلك لم يجمع فيبين سبحانه انه هو المنعم على الحقيقة وانه المستحق للعبادة ويروى عن طليق بن حبيب انه قال ان حق الله تعالى اثقل من ان يقوم به العباد فإن نعم الله أكثر من ان تحصيها العباد ولكن اصبحوا تائبين وامسوا تائبين (ان الانسان لظالم) اي كثير الظلم لنفسه (كفار) أي كثير الكفران لنعم ربه وقيل معناه ظلم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع ولم يرد بالإنسان هاهنا العموم بل هو مثل ما في قوله والعصر ان الإنسان لفي خسر

﴿ النظم ﴾

اتصل قوله سبحانه قل لعبادي الذين آمنوا بقموا الصلاة بما تقدم من قوله قل تمتعوا فإن مضيركم إلى

النار فإنه عقب ذلك بالأمر للمؤمنين بما يوجب النعيم المقيم ومرافقة الأبرار ليكون قد عقب الوعيد بالوعد والمقاب بالتواب واتصلت الآية الثانية بقوله وجعلوا لله أنداداً فإنه سبحانه لما ذكر ما هم عليه من اتخاذ الأنداد لله سبحانه بين بعده أن واجب الوجود المستحق للالهية الذي يحق له العبادة هو الله الذي خلق السموات والأرض الآية

قوله تعالى (٣٥) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ
 (٣٦) رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَا كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
 (٣٧) رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا
 الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَأَرْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٨)
 رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٣٩)
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (٤٠) رَبِّ
 اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ (٤١) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ
 يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ سبع آيات

﴿القرائة﴾

في الشواذ قراءة الجحدري والثقفى والبي الجحجاج واجتنبى بقطع الهجزة وقرأ امير المؤمنين علي بن ابي طالب «ع»
 وابوجعفر الباقر (ع) وجعفر بن محمد «ع» ومجاهد تهوى اليهم بفتح الواو وقرأ ابن كثير وابوعمر وحمزة وهبيرة عن
 حفص وتقبل دعائي ربنا بألوان اليا في الوصل وفي رواية البري عن ابن كثير انه بصل ويقف بياء وقال قبيل
 انه بضم اليا في الوصل ولا يثبتها ويقف عليها بالألف والياقون دعاء بغير ياء وقرأ الحسن بن علي «ع» وابوجعفر
 محمد بن علي «ع» والزهرى وابراهيم النخعي ولولدي وقرأ يحيى بن يعمر ولولدي وقرأ سعيد بن جبير ولولدي
 - (الوجه) -

يقال جنبت الشيء جنبه جنوباً ومن العرب من يقول جنبته جنبه أي تجنبتة عن الشيء وكان معنى قوله
 اجنبي وبني ان نعبد الأصنام اصرفني وإياهم عن عبادة الأصنام ومعنى اجنبي اجعلني كالجنب عن ذلك واما قوله
 تهوى اليهم بفتح الواو فهو من هويت الشيء أهواه إذا احبته وإنما جاز تعديته إلى لأن معنى هويت الشيء ملت
 اليه فكأنه قال تميل اليهم فهو محمول على المعنى ومثله قوله سبحانه احل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم
 فعدى الرفث إلى وانت لا تقول رفثت إلى فلانة وإنما تقول رفثت بها او معها ولكنه لما كان معنى الرفث هنا معنى
 الإفضاء عداه إلى فكأنه قال احل لكم الافضاء إلى نسائكم قال ابن جنى المعنى في قراءة الجماعة تهوى اليهم
 تميل اليهم أي تجبهم فهذا في المعنى كقولهم هو ينحط في هوائك أي يخلد اليه ويقم عليه وذلك ان الانسان إذا
 أحب الشيء أكثر من ذكره واقام عليه وإذا كرهه خف إلى سواء وقولم هويت فلانا من لفظ هوى إلى الشيء
 يهوى إلا انهم خالفوا بين المثاليين لاختلاف ظاهر الأمرين وإن كانا على معنى واحد متلاقين واما من وصل
 دعائي بياء فهو القياس من شم اليا في الوصل ولا يثبتها فلدلالة الكسرة على اليا قال ابو علي حذف اليا في
 الوقف اقيس من حذفها في الوصل لأن الوقف موضع تغيير بغير فيه الحرف الموقوف عليه كثيراً قال الاعشى
 فهل يمتعني ارتيادي البلاد من حذر الموت ان يأتين

وقال

ومن شافى كاسف وجهه إذا ما انتسبت له انكرون

ومن قرأ لولدي فإنه يعني اساعيل واسحاق ومن قرأ لولدي فإن الولد قد يكون واحداً وجمعاً نقول العرب ولدك من دمي عقيقك ومعناه ولدك من ولدته فسأل دمك على عقيقك عند ولادته لا من اتخذته ولداً وإذا كان جمعاً فيجوز ان يكون جمع ولد فهو كأسد وأسد ويجوز ان يكون جمع ولد أيضاً فيكون مثل الفلك سفي أنه جمع الفلك

اللغة

الوادي سفح الجبل العظيم ومنها قيل للأ نهار العظام أودية لأن حافاتهما كالجبال لها ومنه الدبة لأنه مال عظيم يمتلئ في اسر عظيم

المعنى

(واذا قال ابراهيم) معناه واذا ذكر يا محمد إذا قال ابراهيم (رب اجعل هذا البلد آمناً) يعني مكة وما حولها من الحرم وقيل ان ابراهيم (ع) لما فرغ من بناء الكعبة دعاه بهذا الدعاء وقد تقدم تفسيره في سورة البقرة وإنما قال هناك بلداً آمناً وقال هنا هذا البلد آمناً معرفاً لأن النكرة إذا تكررت وأعيدت صارت معرفة ومثله في التنزيل فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجه كأنها كوكب فاستجاب الله دعاء ابراهيم (ع) حتى كان الإنسان يرى قاتل أبيه فيها فلا يتعرض له ويدنو الوحش فيها من الناس فيأمن منهم (واجتنبني وبني ان نعبد الأصنام) أي والطف لي ولبني لطفاً تتجنب به عن عبادة الأصنام ودعاء الأنبياء لا يكون إلا مستجاباً فعلى هذا يكون سؤاله ذلك مخصوصاً بمن علم الله من حاله ان يكون مؤمناً لا يعبد إلا الله وبكون الله سبحانه قد أذن له في الدعاء لم واستجاب دعاءه فيهم (رب انهن أضللن كثيراً من الناس) معناه ضل بسببهن وعبادتهن كثير من الناس كما يقال فتتقي فلانة يعني اتقنت بجيها لا لأنها عملت شيئاً وكما في قول الشاعر

هبوني امرأ منكم اضل بعيره له ذمة ان الذمام كبير

وإنما اراد ضل بعيره لأن احدلاً بضل بعيره قاصداً الى اضلاله (فمن تبعني فإنه مني) يريد فن تبعني من ذريتي الذين اسكنتهم هذا البلد على ديني في عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام فإنه من جملي وحاله كحالي (ومن عصاني فأولئك غفور رحيم) أي سائر على العباد معاصيهم رحيم بهم في جميع احوالهم منعم عليهم ثم حكى سبحانه تمام دعاء ابراهيم (ع) وانه قال (ربنا اني اسكنت من ذريتي) أي اسكنت بعض اولادي ولاخلاف انه يريد اساعيل (ع) مع امه هاجر وهو اكبر ولده وروي عن الباقر (ع) انه قال نحن بقية تلك العترة وقال كانت دعوة ابراهيم (ع) لنا خاصة (بواد غير ذي زرع) يريد وادي مكة وهو الابطح وإنما قال غير ذي زرع لأنه لم يكن بها يومئذ ماء ولا زرع ولا ضرع ولم يذ كر مفعول اسكنت لأن من يفيد بعض القوم كما يقال قتلنا من بني فلان واكلنا من الطعام وكما قال سبحانه افيضوا علينا من الماء وما رزقكم الله وتقديره اسكنت من ذريتي اناساً أو ولداً عن البلخي (عند بيتك المحرم) إنما اضاف اليه سبحانه لأنه مالكه لا يملكه احد سواه وما عداه من البيوت قد ملكه غيره من العباد ويسأل فيقال كيف ساء بيتاً ولم يبنه ابراهيم (ع) بعد والجواب من وجهين أحدهما أنه لما كان من المعلوم انه يبنيه سماه بيتاً والمراد عند بيتك الذي مضى في سابق علمك كونه والثاني أن البيت قد كان قبل ذلك وإنما خربه طسم وجديس وقيل انه رفعه الله إلى السماء أيام الطوفان وإنما سماه المحرم لأنه لا يستطيع أحد الوصول اليه إلا بالاحرام وقيل لأنه حرم فيه ما أحل في غيره من البيوت من الجماع والملاسة بشي من الاقدار والدماء وقيل معناه العظيم الحرمه (ربنا

ليقيموا الصلاة) أي اسكتهم هذا الوادي ليدوموا على الصلاة ويقوموا بشرائعها واللام تتعلق بقوله اسكت
وفصل بينه وبين ما تعلق بقوله ربنا لأن الفصل بالنداء مستحب في هذا وإذا جاء نحو قوله

على حين ألهي الناس جل أمورهم فبدلاً زريق المال ندل الثعالب

أي اندل المال يا زريق ففصل بالنداء بين المصدر وما تعلق به كان هذا أولى (فاجعل أئمة من الناس
تهوي إليهم) هذا سؤال من ابراهيم «ع» ان يجعل الله قلوب الخلق تمن إلى ذلك الموضع ليكون في ذلك انس
لذريته بمن يرد عليهم من الوفود وليدر أرزاقهم على مرور الأوقات ولولا لطفه سبحانه بأمانة قلوب الناس إليه
أما للدين كالحج والعمرة وأما للتجارة لما صح ان يعيش ساكنوه قال سعيد بن جبير لو قال أئمة الناس لحجت
اليهود والنصارى والمجوس ولكنه قال من الناس فهم المسلمون وروى معاهد انه قال ان ابراهيم «ع» لو قال
أئمة الناس لازدحت عليه فارس والروم وروى الفضل بن يسار وغيره عن الباقر «ع» انه قال إنما امر الناس
ان يطوفوا بهذه الاحجار ثم ينفروا البنا فيملكونا ولايتهم ويعرضوا علينا نصرهم ثم قرأ هذه الآية وقيل ان معنى
تهوي إليهم ينزع اليهم ويميل عن ابن عباس وقتادة وقيل معناه ويتزل ويهبط إليهم لأن مكة في غور عن البنا
مسلم (وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) أي لكي يشكروا لك ويعبدوك (ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلمن)
هذا اعتراف من ابراهيم «ع» لله سبحانه بأنه يعلم ما يبطن الخلق وما يظهرونه وانه لا يخفى عليه شيء مما في الارض
والسماوات وقيل ان قوله (وما يخفى على الله من شيء) في الأرض ولا في السماء) إنما هو اخبار منه سبحانه بذلك
واجدها كلام من جهته لا على سبيل الحكاية عن ابراهيم «ع» بل هو اعتراض عن الجبائي قال ثم عاد إلى حكاية
كلام ابراهيم «ع» فقال (الحمد لله الذبي وهب لي علي الكبر اسماعيل واسحاق) وهذا اعتراف منه بحمد الله
سبحانه وحمده على احسانه بأن وهب له علي الكبر كبر سنه ولدين قال ابن عباس ولد له اسماعيل وهو ابن
تسع وتسعين سنة وولد له اسحاق وهو ابن مائة واثنى عشرة سنة وقال سعيد بن جبير لم يولد لابراهيم «ع»
إلا بعد مائة وسبع عشرة سنة (ان ربي لسميع الدعاء) أي قابله ومجيبه عن ابن عباس وبو يسده قوله سمع الله
لمن حمده (رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي) تقديره واجعل من ذريتي مقيم الصلاة فحذف الفعل لأن
ما قبله يدل عليه وهذا سؤال من ابراهيم «ع» من الله تعالى بأن يطف له اللطف الذي عنده يقيم الصلاة
ويتمسك بالدين وان يفعل مثل ذلك بمجاعة من ذريته وهم الذين اسلموا منهم فسأل لهم مثل ما سأل لنفسه (ربنا
وتقبل دعاء) أي واجب دعائي فإن قبول الدعاء إنما هو الاجابة وقبول الطاعة الاثابة (ربنا اغفر لي ولوالدي)
واستدل اصحابنا بهذا على ما ذهبوا اليه من ان ابوي ابراهيم «ع» لم يكونا كافرين لأنه إنما يسأل المغفرة لها يوم
القيامة فلو كانا كافرين لما سأل ذلك لأنه قال فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه فصاح ان أباه الذي كان كافراً
إنما هو جده لأنه او عمه على الخلاف فيه ومن قال إنما دعا لأبيه لأنه كان وعده ان يسلم فلما مات على الكفر
تبرأ منه على ما روى الحسن فقوله فاسد لأن ابراهيم «ع» إنما دعا بهذا الدعاء بعد الكبر وبعد ان وهب له
اسماعيل واسحاق وقد تبين له في هذا الوقت عداوة أبيه الكافر لله فلا يجوز ان يقصده بدعائه (وللمؤمنين
يوم يقوم الحساب) أي واغفر للمؤمنين ايضاً يوم يقوم الخلق للحساب وقيل معناه يوم يظهر وقت الحساب
كما يقال قامت السوق

﴿ النظم ﴾

اتصلت الآيات بما قبلها لأن التهي عن عبادة الأصنام والأمر بعبادة الله سبحانه قد تقدم فبين الله
سبحانه عقيب ذلك ما كان عليه ابراهيم «ع» من التشدد في انكار عبادة الأصنام والدعاء بما دعا به وقبل
إنه معطوف على ما تقدم من قوله ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وقيل إنه لما قال وآتاكم من كل ما سألتموه بين

عقبيه ما دعا به ابراهيم (ع) وسأله اياه واجابته لدعائه وسؤاله
 قوله تعالى (٤٢) وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ
 فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٣) مَهْطَعِينَ مَقْنَعِي رُؤُسِهِمْ لَا يَرِنَدُ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (٤٤)
 وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَا تَبِيتُهُمُ الْعَذَابُ يَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا آخِرْنَا إِلَىٰ آجَلٍ قَرِيبٍ يُجِيبُ
 دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعُ الرُّسُلَ أُولَٰئِكَ نَكُودُونَ أَفْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ (٤٥) وَسَكَتُمْ
 فِي مَسَاكِينِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ
 أربع آيات

﴿ اللفظة ﴾

الاهطاع الاسراع قال

في مهطع سرع كأن زمامه في رأس جذع من أراك مشذب

وقال آخر

بدجلة أهلها ولقد أراهم بدجلة مهطعين الى السماع
 اي مسرعين وقيل ان الاهطاع مد العنق والهطع طول العنق قال احمد بن يحيى المهطع الذي
 ينظر في ذل وخشوع لا يقلع بصره والاقناع رفع الرأس وقال الزجاج المقنع الرافع والمقنع المرتفع قال الشاخب
 ييا كرن العضاه بمقنعات نواجذهن كالحلدا الوقيع
 اي كالقنوس المحدبة يصف ابلا ترعى الشجر والطرف مصدر طرفت عين فلان اذا نظرت وهو ان
 ينظر ثم يغمض والطرف العين ايضا وأفئدتهم هواء اي متجوفة لا تمي شيئا للخوف والفرع شبهها بهواء الجوى
 قال حسان

الا ابلغ ابا سفيان عني فانت مجوف نخب هواء

وقال زهير

كان الرجل منها فوق صعل من الظلمان جوجوه هواء
 والأجل الوقت المضروب لانقضاء الأمد

﴿ الاعراب ﴾

يوم يأتيهم نصب على انه مفعول به والعامل فيه أنذرهم ولا يكون على الظرف لأنه لم يؤمر بالانذار
 في ذلك اليوم . فيقول عطف على يأتيهم وليس جواب الأمر لأنه لو كان جوابا له لجاز فيه النصب والرفع
 فالنصب مثل قول الشاعر

يا ناق سيري عنقا فسيحا الى سليمان فنستريحا

والرفع على الاستئناف وتبين لكم كيف فعلنا بهم فاعل تبين محذوف اي تبين لكم فعلنا بهم ولا يكون الفاعل
 كيف لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ولأن كيف لا يخبر عنه وانما يخبر به وكيف هنا منصوب بقوله فعلنا

المعنى

لما ذكر سبحانه يوم الحساب وصفه وبين انه لا يجهل الظالمين عن غفلة لكن لتأكيد الحجة قال (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) وفي هذا وعيد للظالم وتمزية للمظلوم ومعناه ولا تقطن انتمهايا عن مجازاة الظالمين على اعمالهم وقيل ان تقديره ولا تحسبن الله لا يعاقب الظالمين على افعالهم ولا يتصرف المظلومين منهم (انما يؤخرهم ايوم تشخص فيه الابصار) ومعناه انما يؤخر عقابهم ومجازاتهم الى يوم القيامة وهو اليوم الذي تكون فيه الابصار شاخصة عن مواضعها لا تغمض لهول ما ترى في ذلك اليوم ولا تطرف عن الجبائي وقيل تشخص ابصارهم الى اجابة الداعي حيث يدعوهم عن الحسن وقيل تبقى ابصارهم مفتوحة لا تنطبق للتحير والرعب (مهطمين) اي مسرعين عن الحسن وسعيد بن جبير وقتادة وقيل يريد دائمي النظر الى ما يرون لا يطفون عن ابن عباس ومجاهد (مقني رؤوسهم) اي رافعي رؤوسهم الى السماء حتى لا يرى الرجل مكان قدمه من شدة رفع الرأس وذلك من هول يوم القيامة وقال مؤرج معناه ناكسي رؤوسهم بلغة قريش (لا يرتد اليهم طرفهم) اي لا ترجع اليهم اعينهم ولا يطبقونها ولا يضمضونها وانما هو نظر دائم (وأفئدتهم هوا) اي قلوبهم خالية من كل شي* فزعا وخوفا عن ابن عباس وقيل خالية من كل سرور وطعم في الخير لشدة ما يرون من الاحوال كالهواء الذي بين السماء والارض وقيل معناه وأفئدتهم زائلة عن مواضعها قد ارتفعت الى حلوقهم لا تخرج ولا تعود الى اماكنها بمنزلة الشئ* الذاهب في جهات مختلفة المتردد في الهواء عن سعيد بن جبير وقتادة وقيل معناه خالية عن العقولهم عن الأخفش (وانذر الناس) معناه ودم يا محمد على انذارك الناس وهو عام في كل مكلف عن الجبائي وابي مسلم وقيل معناه وخوف أهل مكة بالقرآن عن ابن عباس والحسن (يوم يأتيهم العذاب) وهو يوم القيامة أو يأتيهم العذاب عذاب الاستئصال في الدنيا وقيل هو يوم المعابنة عند الموت والاول اظهر (فيقول الذين ظلموا) نفوسهم بارتكاب المعاصي (ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك) اي ردنا الى الدنيا واجعل ذلك مدة قريبة نجب دعوتك فيها (وننبح الرسل) اي تنبئ رسلك فيما يدعوننا اليه فيقول الله تعالى مخاطبا لهم او يقول الملائكة بامرهم (او لم تكونوا اقستم) اي حلفتم (من قبل) في دار الدنيا (ما لكم من زوال) اي ليس لكم من انتقال من الدنيا الى الآخرة عن مجاهد وقيل معناه من زوال من الراحة الى العذاب عن الحسن وفي هذه دلالة على ان أهل الآخرة غير مكلفين خلافا لما يقول النجار وجماعة لانهم لو كانوا مكلفين لما كان لقولهم اخرنا الى اجل قريب وجه ولكن ينبغي لهم أن يؤمنوا فبتخلصوا من العقاب اذا كانوا مكلفين (وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم) هذا زيادة توبيخ لهم وتعنيف اي وسكنتم ديار من كذب الرسل قبلكم فاهلكهم الله وعرفتم ما نزل بهم من البلاء والهالك والعذاب المعجل عن ابن عباس والحسن ومساكنهم دورهم وقراهم وقيل انهم عاد وثمود وقيل هم المقتولون بيدد (وضربنا لكم الامثال) وبيننا لكم الاشياء واخبرناكم باحوال الماضين قبلكم لتعتبروا بهافلتم تعتبروا ولم تتعظوا وقبل الامثال ما ذكر في القرآن مما يدل على انه تعالى قادر على الاعادة كما هو قادر على الانشاء والابتداء وقيل هي الامثال المنبهة على الطاعة الزاجرة عن المعصية عن الجبائي وفي هذه الآيات دلالة على ان الايمان من فعل العبد اذ او كان من فعل الله تعالى لم يكن لتعني العود الى الدنيا معنى

قوله تعالى (٤٦) وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (٤٧) فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِيفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (٤٨) يَوْمَ يُبَدِّلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٤٩) وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٥٠) سَرَّابِلُهُمْ مِنْ قِطْرَانٍ وَتَنَشَى وُجُوهُهُمْ النَّارُ (٥١) لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٥٢) هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَيَذْكُرُوا الْأَلْبَابَ سَبْعَ آيَاتٍ

﴿ القراءة ﴾

قرأ الكسائي وحده لتزول بفتح اللام الاولى ورفع الثانية والباقون لتزول بكسر اللام الاولى ونصب الثانية وفي الشواذ عن علي (ع) وعمرو بن مسعود وابي بن كعب وان كاد مكروهم لتزول وقرأ زيد عن يعقوب من قطران على كلمتين منونتين وهو قراءة ابي هريرة وابن عباس وسعيد بن جبير والكلبي وقناة وعيسى الهمداني والربيع وقرأ سائر القراء قطران

(- الحجة -)

قال ابو علي من قرأ لتزول بالنصب فإن ان هي النافية فيكون مثل قوله وما كان الله ليعلمكم على التيب فعناه وما كان مكروهم لتزول منه الجبال والجبال كأنه أمر النبي ﷺ واعلامه ودلائله اي ما كان مكروهم لتزول منه ما هو مثل الجبال في امتناعه من أراد ازالته ومن قرأ لتزول كانت ان هي المخففة من الثقلية على تعظيم امر مكروهم بخلاف القراءة الاولى فيكون كقوله ومكروا مكرا كبيرا اي قد كان مكروهم لعظمه وكبره يكاد يزيل ما هو مثل الجبال في الامتناع على من أراد ازالتها وثباتها ومثل هذا في التعظيم للأمر قول الشاعر

ألم تر صدعا في السماء مبينا على ابن لبيبي الحارث بن هشام

وقال

بكي الحارث الجولان من خوف ربه وحوران منه خاشع متضائل

وقال اوس

ألم تكسف الشمس شمس النهار مع النجم والقمر الواجب

ويدل على ان الجبال يعني بها أمر النبي ﷺ قوله بعد فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله اي فقد وعد الظهور عليهم والغلبة لهم في قوله ليظهره على الدين كله وقوله للذين كفروا ستغلبون وقد استعمل لفظ الجبال في غير هذا الموضع في تعظيم الشيء وتفخيمه قال ابن مقبل

إذا مت عن ذكر القوافي فلن ترى لها شاعرا مثلي اطب واشعرا

واكثر بيتا شاعرا ضربت به بطون جبال الشعر حتى تيسرا

ومن قرأ وإن كاد مكروهم لتزول فهي مخففة من الثقلية ايضا فتقديره وانه كاد مكروهم لتزول منه الجبال قال ابن جني القطر الصفر والنحاس وهو ايضا الغلز رويناه عن قطرب وهو ايضا الصاد ومنه قدور

الصاد أي قدور الصفر والآتي الذي قد أنى وأدرك أنى الشيء يأتي أنيا وأنا مقصور ومنه قوله عز سبحانه
غير ناظرين اناء أي بلوغه وادراكه قال ابو علي ومنه الاناء لأنه الظرف الذي قد بلغ غايته المرادة منه من
حرز وصياغة ونحو ذلك قال أمية

وسليمان إذ يسيل له القطر على ملكه ثلاث ليال

وأما القطران ففيه ثلاث لغات قطران على فلان وقطران بفتح القاف واسكان الطاء وقطران بكسر
القاف واسكان الطاء والأصل فيها قطران فاسكنا على ما يقال في كلمة كلمة وكلمة لغة تسمية قال ابو النجم

جون كأن العرق المنتوحا ألبسه القطران والمسوحا

وقال!

كأن قطران إذا تلاها ترمي به الريح إلى مجراها

❖ اللغة ❖

البروز الظهور والأصفاة جمع الصغد وهو الفل الذي يقرن به اليد إلى العنق ويميز أن يكون السلسلة
التي يقع بها التقرين والتقرين جمع الشيء إلى نظيره والقران الحبل يقرن به شيان يقال صفدته بالحديد
واصفدته وصفدته قال عمرو بن كلثوم

فأبوا بالنهاب وبالسبايا وأبنا بالملوك مصفدينا

ومنه اصفدته اصفاذا إذا اعطيته مالا والصفد العطية وهو من الأول لأن العطية تصفد المودة وتقيدها
والى هذا المعنى أشار النبي بقوله «ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا» والاختيار في الحديد صفدته وفي العطية
اصفدته قال الأعشى

تضيفته يوما فقرب مجلسي واصفدني على الزمانة قائدا

ومناه واعطاني قايذا وقال التابغة في الصغد الذي هو العطية

هذا الشناء فإن تسمع لقائله فأعرضت ابيت اللعن للصفد

والسربال القبيص قال امرؤ القيس

ومثلك ييضاء العوارض طفلة لعوب نفسي يني إذا قت سربالي

والبلاغ الكفاية ومنه البلاغة وهو البيان الكافي والبلوغ هو الذي يبلغ بلسانه كنه ما في ضميره

❖ الإعراب ❖

مخلف وعده رسله اضافة مخلف الى وعده اضافة غير محضة لأنها في تقدير الانفصال ووعده وإن كان
مجرورا في اللفظ فإنه منصوب في المعنى لأنه مفعول في المعنى فإن الإخلاف يقتضي مفعولين يقال اخلفت
زيدا وعده فعل هذا يكون تقديره مخلفا وعده رسله وقيل انه قرأ في الشواذ مخلف وعده بالنصب رسله
بالجر وهي رديئة لفصل بين المضاف والمضاف إليه وأنشدوا في ذلك «فزجبتها بجزجة زج القلوص ابي مراده»
ومناه فزجبتها زج ابي مرادة القلوص والعامل في قوله يوم تبدل الارض قوله مخلف وعده او اذ قام أي
يتتم ذلك اليوم او يكون محذوفا على تقدير واذا كر يوم تبدل الارض وإن شئت جعلته نعتا لقوله يوم يقوم

الحساب والارض مرفوعة على ما لم يسم فاعله وغير منصوب على انه مفعول ما لم يسم فاعله تقول بدل الخاتم
خاتماً آخر إذا كسر وصيغ صيغة أخرى وقد تقول بدل زيد إذا تغير حاله

✽ المعنى ✽

ثم ابان سبحانه عن مكر الكفار ودفعه ذلك عن رسله «ع» تسلياً لتبينا والتبينا فقال (وقد مكروا
مكروهم) أي وقد مكروا بالأنبياء قبلك ما أمكنهم من المكر كما مكروا بك فمصمم الله من مكروهم كما
عصمك وقيل عني به ككفار قرهش الذين دبروا في أمر النبي والتبينا واحتالوا عليه ومكروا بالمؤمنين
وخذعوه (وعند الله مكروهم) أي جزاء مكروهم فحذف المضاف كما حذف من قوله ترى الظالمين مشفقين بما
كسبوا وهو واقع بهم أي جزاؤه يريد وقد عرف الله مكروهم فهو يجازيهم عليه (وإن كان مكروهم لتزول منه
الجبال) أي ولم يكن مكروهم ليبطل حجج القرآن وما معك من دلائل النبوات فإن ذلك ثابت بالدليل
والبرهان والمعنى لا تزول من الجبال فكيف يزول من الدين الذي هو أثبت من الجبال وعلى القراءة الأخرى
فالمعنى ان مكروهم وإن بلغ كل مبلغ فلا يزول دين الله تعالى على ما تقدم بيانه ولا يضر ذلك أنبياءه ولا
يزيل امره ولا سيما امر محمد والتبينا فإنه أثبت من الجبال وقد قيل ان المراد به عمرو بن كوش بن كنعان
حين أخذ التابوت وأخذ أربعة من النور فأجاعها إياماً وعلق فوقها لحماً وربط التابوت اليها وطارت النور
بالتابوت وهو وزيره فيه إلى أن بلغت حيث شاء الله تعالى وظن انه بلغ السماء ففتح باب التابوت من اعلاه
فرأى بعد السماء منه كبعدها حين كان في الارض وفتح باباً من اسفل التابوت فرأى الارض قد غابت
عنه فهاله الأمر فصوب النور وسقط التابوت وكانت له وجبة عن ابن عباس وابن مسعود وجماعة (فلا
تحسب الله مخلف وعده رسله) أي فلا تظنن الله عز اسمه مخلفاً رسله ما وعدهم به من النصر والظفر
بالكفار والظهور عليهم (إن الله عزيز) أي ممتنع بقدرته من ان ينال باهتضام وهو من الكفار (ذواتنقام
يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات) قيل فيه قولان ✽ احدهما ✽ ان المعنى تبدل صورة الارض
وهيئتها عن ابن عباس فقد روي عنه انه قال تبدل آكامها وآجامها وجبالها واشجارها والارض على حالتها وتبقى
ارضا بيضاء كالفضة لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة وتبدل السماوات فيذهب شمسها وقمرها ونجومها
وكان ينشد

فما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت اعرف

وبعضه ما رواه ابو هريرة عن النبي والتبينا قال يبديل الله الارض غير الارض والسماوات فيسطها
ويعدها مد الاديم المكافئ لا ترى فيها عوجاً ولا امناً ثم يزجر الله الخلق زجرة فإذا هم في هذه المبدلة مثل مواضعهم
من الأولى ما كان في بطنها كان في بطنها وما كان على ظهرها كان على ظهرها ✽ والآخر ✽ أن المعنى تبدل
الارض وتنشأ ارض غيرها والسماوات كذلك تبدل بغيرها وتعنى هذه عن الجبائي وجماعة من المفسرين
وفي تفسير أهل البيت «ع» بالاسناد عن زرارة ومحمد بن مسلم وحران بن أعين عن ابي جعفر وابي عبد الله
عليهما السلام قال تبدل الارض خبزة نقيه يأكل الناس منها حتى يفرغ من الحساب قال الله تعالى وما جعلناهم
جسدًا لا يأكلون الطعام وهو قول سعيد بن جبير ومحمد بن كعب وروى سهل بن سعد الساعدي عن
النبي والتبينا انه قال يحشر الناس يوم القيامة على ارض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها معلم لأحد

وروي عن ابن مسعود انه قال تبدل الارض بنار فصير الارض كلها يوم القيامة نارا والجنة من ورائها يرى
كواعبها واكوابها ويلجم الناس العرق ولم يبلغ الحساب بعد وقال كعب تصير السوات جنانا وبصير مكان
البحر النار وتبدل الارض غيرها وروي عن ابي ايوب الانصار قال، أتى النبي ﷺ حبر من اليهود فقال
أرأيت إذ يقول الله تعالى في كتابه يوم تبدل الارض غير الارض والسوات فأين الخلق عند ذلك
فقال اضياف الله فان يعجزهم ما لديه وقيل تبدل الارض لقوم بأرض الجنة ولقوم بأرض النار وقال الحسن
يمشرون على الارض الساهرة وهي ارض غير هذه وهي ارض الآخرة وفيها تكون جهنم وتقدير الكلام
وتبدل السوات غير السوات إلا انه حذف لدلالة الظاهر عليه (وبرزوا لله) اي يظهرون من ارض
قبورهم للمحاسبة لا يستترهم شي* وجعل ذلك بروزا لله لأن حسابهم معه وإن كانت الأشياء كلها بارزة له
لا يستترها عنه شي* (الواحد) الذي لا شبه له ولا نظير (القهار) المالك الذي لا يضام يقهر عباده بالموت
الزوام (و ترى المجرمين) يعني الكفار عن ابن عباس والحسن وهو الظاهر لأنه تقدم ذكرهم (يومئذ)
أي يوم القيامة (مقرنين في الأصفاة) اي جمعين في الاغلال قرنت ايديهم بها الى اعناقهم وقيل يقرب
بعضهم الى بعض عن الجبائي وقيل مشدودين في قرن اي جبل من الأصفاة والقيود عن ابي مسلم وقيل
يقرب كل كافر مع شيطان كان يضله في غل من حديد عن ابن عباس والحسن وبينه قوله تعالى احشروا
الذين ظلموا وأزواجهم اي قرنائهم من الشياطين وقوله وإذا النفوس زوجت (سرايلهم) اي قبصهم (من
قطران) وهو ما يطلى به الابل شي* اسود لزج متين يطلون به فيصير كالقميص عليهم ثم يرسل النار فيهم
لتكون اسرع اليهم وابلغ في الاشتعال وأشد في العذاب عن الحسن والزجاج وقيل نحاس او صفر مذاب قد
انتهى حره عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وجوز الجبائي على القراءتين ان يسربلوا سرايلين احدهما من
القطران والآخر من القطر الآتي (وثعشى وجوههم النار) اي وتصيب وجوههم النار لا قطران عليها
(ليجزى الله كل نفس بما كسبت) اللام تعلقت بما تقدم اخبر سبحانه انه إنما فعل ذلك بهم لتجزى كل
نفس بما كسبت ان كسبت خيرا بأن آمنت وأطاعت أتابها الله بالنعيم المقيم وان كسبت شرا بأن كفرت
وجحدت عاقبها بالعذاب الأليم في نار الجحيم (إن الله سريع الحساب) اي سريع المجازاة وقد سبق
بيانه (هذا بلاغ للناس) هو اشارة الى القرآن عن ابن عباس والحسن وابن زيد وغيرهم أي هذا القرآن عظة
للناس بالغة كافية وقيل هو اشارة الى ما تقدم ذكره اي هذا الوعيد كفاية لمن تدبره من الناس والاول هو
الصحيح (ولينذروا به) اي أنزل ليلفوا وينذروا به وليخوفوا بما فيه من الوعيد (وليعلموا انما هو إله واحد)
لا شريك له بالنظر في أدلة التوحيد التي بينها الله في القرآن (وليدكر أولوا الألباب) اي وليتعضبه أهل العقول
وذوو النهى وفي هذه الآية دلالة على ان القرآن كاف في جميع ما يحتاج الناس اليه في أمور الدين لأن
جميع أمور الدين جملها وتفصيلها يعلم بالقرآن اما بنفسه واما بواسطة فيجب على المؤمن المجتهد المهم
بأمور الدين أن يشمر عن سابق الجد في طلب أمور القرآن ويصدق عنائه بجمرفة ما فيه من بدائع الحكمة
ومواضع البيان مكنتها به عما سواه لينال السعادة في دنياه وعقباه وفي قوله ولعلموا انما هو إله واحد دلالة
على انه سبحانه أراد من الناس علم التوحيد خلافا لأهل الجبر في قولهم انه سبحانه أراد من النصارى اثبات
التثليث ومن الزنادقة القول بالتثنية تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وفي قوله ليدكر دلالة على انه أراد من

الجميع التدبير والتذكر وعلى ان العقل حجة لأن غير ذوي العقول لا يمكنهم الفكر والاعتناء

﴿ النظرية ﴾

انصلت الآية الثانية بقوله وعند الله مكرهم اي فلا تحسبوا ان الله يخلف وعده بل يجازيهم وينصر رسله وقيل انصلت بقوله إنما يؤخروهم اي فلا تحسبوه مخلف وعده في العقوبة للكفار بل ان شاء الله عز وجل وانصل قوله يوم تبدل الارض غير الارض بقوله ولا تحسبن الله مخلف وعده رسله اي لا يخلفهم وعده لا في الدنيا ولا في الآخرة عن ابي مسلم وقيل المراد به انه ذو انتقام من الكفار ذلك اليوم وانصل قوله ليحزي الله كل نفس بما كسبت بقوله يوم تبدل الارض

(سورة الحجر)

مكية في قول قتادة ومجاهد وقال الحسن إلا قوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم وقوله كما أنزلنا على المتكسبين الذين جعلوا القرآن عظيما وهي تسع وتسعون آية بالاجماع

﴿ فضلها ﴾

أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأها أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والأنصار والمستهزئين بمحمد ﷺ

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سبحانه سورة ابراهيم «ع» بذكر القرآن وانه بلاغ وكفاية لأهل الإسلام افتتح هذه السورة بذكر القرآن وانه مبين للأحكام فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) آتِ تِلْكَ آيَاتِ الْكِتَابِ وَقُرْآنِ مَبِينٍ (٢) رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ (٣) ذَرُّهُمْ يَا كُلُّوْا وَبَسِّمْتَعُوا وَيَلْبَسُوا الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٤) وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ (٥) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل المدينة وعاصم رجا يود خفيفة الباء والباقون بالتشديد وروى محمد بن حبيب الشموني عن الاشي عن ابي بكر ربتا بالتاء

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي انشد ابو زيد

ماوي بل ربتا غارة شعوا كاللذعة بالميسم
وانشد ايضا

لها لأنها لما كانت كالأسماء المبهمة في إبهامها وصفت بأسماء الأجناس كأنه قال رب شيء فتي لم يكن كذا فهذه الأوجه كلها ممكنة ويجوز في الآية أن يكون ما ينزلة شيء ويود صفة له لأن ما لعنومها يقع على كل شيء فيجوز أن يعنى بها الورد كأنه قال رب وديوده الذين كفروا ويكون يود في هذا الوجه أيضاً حكاية حال الأتري أنه لم يكن بعد وهذه الآية في المعنى كقوله ارجعنا نعمل صالحا وكقوله حتى إذا جاء أحدكم الموت قال رب ارجعون وكسمنهم الرد في قوله يا ليتنا زد ولا نكذب واما قول من قال ربنا بالتخفيف فلأنه حرف مضاعف والحروف المضاعفة قد تحذف وإن لم يحذف غير المضاعف فمن المضاعف الذي حذف أن وإن ولكن وليس كل المضاعف يحذف لم اعلم الحذف في ثم واما دخول التاء في ربنا فإن من الحروف ما يدخل عليه حرف التانيث نحو ثم وثت ولا ولات قال

ثم لا يحزوني عند ذاكم ولكن سيجزيني المليك فيعقبا
فكذلك ألقت التاء في قولهم ربنا وأنشد الزجاج في تخفيف رب قول الحاذرة
أَسْمِيَّ مَا بَدْرِيكَ أَنْ رُبَّ فِتِيَةٍ بِأَكْرَتِ لَذَّتْهُمْ بِأَدَكْنِ مَتْرَعِ

قال وقد يسكنون في التخفيف يقولون رب رجل جاءني وأنشدوا بيت المهذلي
أزهير إن شب القذال فإنني رب هبضل مرسل ففت بهبضل
ويقولون رب رب رب وفتح الراء ورب رجل وربنا رجل جاءني وربنا رجل فيفتحون حكي
ذلك قطرب

(الاعراب)

قرآن عطف على الكتاب وإنما عطفه عليه وإن كان الكتاب هو القرآن لاختلاف اللفظين وما فيها من
الفائدتين وإن كانا لموصوف واحد لأن وصفه بالكتاب يفيدانه مما يكتب ويدون ووصفه بالقرآن يفيدانه مما
يؤلف ويجمع بعض حروفه إلى بعض كما قال الشاعر

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتبية في المزدحم
وذو الرأي حين تغم الأمور بذات الصليل وذات اللجم

ويقال لم جاز ربنا يود الذين كفروا ورب للتقليل وجوابه على وجهين أحدهما أنه ابلغ في التهديد كما تقول
ربنا ندمت على هذا وانت تعلم أنه يندم ندما طويلا أي يكفئك قليل الندم فكيف كثيره ﴿ والثاني ﴾ أنه
يشغلهم العذاب عن تمجي ذلك إلا في اوقات قليلة

— المعنى —

(آر) قد تقدم الكلام في هذه الحروف واقوال العلماء فيها (تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) أي هذه
آيات الكتاب وآيات قرآن يميز بين الحق والباطل وقيل المبين البين الواضح عن أي مسلم وقيل هو المبين للحلال
والحرام والأمر والنواهي والأدلة وغير ذلك وقيل المراد بالكتاب التوراة والانجيل عن مجاهد وقيل المراد
به الكتب المنزلة قبل القرآن من قتادة (ربنا يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) أي ربما يتسنى الكفار الإسلام
في الآخرة إذا صار المسلمون إلى الجنة والكفار إلى النار ويجوز أن يتسنى ذلك وقت اليأس وروي مجاهد عن
ابن عباس قال ما يزال الله يدخل الجنة ويرحم ويشفق حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فحينئذ يود
الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقال الصادق (ع) ينادي مناد يوم القيامة يسمع الخلائق أنه لا يدخل الجنة إلا مسلم
فثم يود سائر الخلائق أنهم كانوا مسلمين وروي مرفوعا عن النبي ﷺ قال إذا اجتمع أهل النار في النار

ومعهم من يشاء الله من أهل القبلة قال الكفار للمسلمين ألم تكفروا مسلمين قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النار قالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيسمح الله مزوجا ما قالوا فأمر من كان في النار من أهل الإسلام فأخرجوا منها فحينئذ يقول الكفار يا ليتنا كنا مسلمين (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا) معناه دعهم يأكلوا في دنياهم أكل الأتعام ويتمتعوا فيها بما يريدون والتمتع التلذذ وهو طلب اللذة حالا بعد حال (ويلهم الأمل) أي وتشغلهم آمالهم الكاذبة عن اتباع النبي ﷺ والقرآن يقال الهاه الشيء أي شغله وانساه (فسوف يعلمون) وبأل ذلك فيما بعد حين يحل بهم العذاب يوم القيامة وصاروا إلى ما يجحدون به وفي هذه الآية إشارة إلى أن الإنسان يجب أن يكون مقصور الهمة على أمور الآخرة مستعدا للموت مسارعا إلى التوبة ولا يأمل الآمال المؤدية إلى الصد عنها وقد روي عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال إن أخوف ما أخاف عليكم اتنان اتباع الهوى وطول الأمل فلون اتباع الهوى يصد عن الحق وطول الأمل ينسي الآخرة (وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم) معناه ولم نهلك أهل قرية فيما مضى على وجه العقوبة إلا وكان لهم أجل مكتوب لا بد أن سيبلغونه يريد فلا يفرون هولا الكفار أمهالي إياهم إنما يتزل العذاب بهم في الوقت المكتوب المقدر لذلك (ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون) أي لم تكن أمة فيما مضى تسبق أجلها فتهلك قبل ذلك ولا تتأخر عن أجلها الذي قدر لها بل إذا استوفت أجلها أهلكها الله

قوله تعالى (۶) وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (۷) لَوْ مَا تَأْتِينَا بِيَأْتِي الْمَلَائِكَةَ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (۸) مَا نَنْزِلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مَنظَرِينَ (۹) إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (۱۰) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ (۱۱) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (۱۲) كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (۱۳) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ (۱۴) وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (۱۵) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ (۱۶) وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ (۱۷) وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (۱۸) إِلَّا مَنْ أَسْرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ثَلَاثَ عَشْرَةَ آيَةً

(القراءه) -

قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر ما نزل بنونين الملائكة بالنصب وقرأ أبو بكر عن عاصم ما تنزل بضم التاء الملائكة بالرفع وقرأ الباقون ما تنزل بفتح التاء. والزاي الملائكة بالرفع وقرأ ابن كثير سكرت بالتخفيف والباقون بالتشديد وفي الشواذ قراءة الزهري سكرت

- الحجة -

قال أبو علي حجة من قرأ تنزل قوله تنزل الملائكة والروح فيها وحجة من قرأ تنزل قوله وتنزل الملائكة تنزيلا وحجة من قرأ تنزل قوله ولو اننا نزلنا إليهم الملائكة ووجه التثنية في سكرت ان الفعل مسند إلى جماعة فهو مثل مفتحة لهم الأبواب ووجه التخفيف ان هذا النحو من الفعل المسند إلى جماعة قد يخفف قال «ما زلت أفتح أبوابها غلقها»

- اللة -

الشيع الفرق من الزجاج وكل فرقة شيعه واصله من المشايمة وهي المتابعة يقال شايح فلان فلانا على امره اي تابعه عليه ومنه شيعه علي (ع) وهم الذين تابعوه على امره ودانوا بلوامته وفي حديث أم سلمة عن النبي ﷺ شيعه علي هم الفائزون يوم القيامة وسلك واسلك بمعنى والمصدر السلك والساوك قال عدي بن زيد
و كنت لزاز خصمك لم اعد
وقد سلوكوك في يوم عصيب
وقال آخر

حتى إذا أسلكوهم في قتائده ثلاً كما تطرد الجمالة الشردا

والعروج الصعود في الدرج والمضارع يعرج ويعرج ابو عبيدة سكرت ابصارنا غشيت قال ابو علي فكان معناه لا ينفذ نورها ولا يدرك الأشياء على حقيقتها ومعنى الكلمة انقطاع الشيء من سننه الجاري فمن ذلك سكر الما. وهو رده عن سننه في الجري وقالوا التسكر في الرأي قبل ان يعزم على الشيء وإذا عزم على امر ذهب التسكر ومنه السكر في الشراب إنسا هو ان ينقطع عما هو عليه من المصافي حال الصحو فلا ينفذ رأيه ونظره على حد نفاذه في صحوه وقالوا سكران لا يثبت فمعبوا عن هذا المعنى فيه قال الزجاج فسروا سكرت أغشيت وسكرت تحيرت وسكرت عن ان تنظر والعرب تقول سكرت الريح سكرت وكذلك سكر الحر قال الشاعر
جاء الشتاء واجثال القبر وجعلت عين الحرور تسكر

والبرج اصله الظهور ومنه البرج من بروج السماء وبرج الحصن ويقال تعرجت المرأة إذا ظهرت زيتها والرجم المرجوم والرجم الرمي بالشيء بالاعتاد من غير آلة مهيأة للاصابة فلان القوس يرمى عنها ولا يرمم بها ورجمته شتمته والشهاب القطعة من النار قال الزجاج والشهب المنقضة من آيات النبي ﷺ والدليل على انها كانت بعد مولد النبي ﷺ ان شعراء العرب الذين كانوا يثلون في السرعة بالبرق والسيل وبالاشياء المسرعة لم يوجد في اشعارهم بيت واحد فيه ذكر الكواكب المنقضة فلما حدثت بعد مولد النبي ﷺ استعملت الشعراء ذكرها قال ذوالرمة

كأنه كوكب في اثر عفرية مسوم في سواد الليل منقضب

* الاعراب *

لو ما دعاء إلى الفعل وتحريض عليه وهو بمعنى لولا وهلا وقد جاءت او ما في معنى لولا التي لها جواب قال ابن مقبل
لو ما الحياء ولولا الدين عبتكما بيمض ما فيكما إذ عبتما عوري
الا من استرق السمع استثناء منقطع والمعنى لكن من استرق السمع يتبعه شهاب وقال الفراء هو استثناء صحيح لأن الله تعالى لم يحفظ السماء ممن يصعد اليها ليسترق السمع لكن إذا سمعه واداه إلى الكهنة اتبعه شهاب

* المعنى *

(وقالوا) أي قال المشركون للنبي ﷺ (يا ايها الذي نزل عليه الذكر) أي القرآن في زعمه ودعواه (إنك لمجنون) في دعواك انه ترل عليك وفي توهمك انا نتبعك ونؤمن بك (لوما تأتينا بالملائكة) يشهدون لك على صدق قولك (إن كنت من الصادقين) فيما تدعيه عن ابن عباس والحسن ثم أجابهم سبحانه بالجواب المقنع فقال (ما ننزل الملائكة إلا بالحق) اي لا ننزل الملائكة الا بالحق الذي هو الموت لا يقم فيه تقديم وتأخير فيقبض أرواحهم عن ابن عباس وقيل لا ينزلون إلا بعذاب الاستئصال ان لم يؤمنوا عن الحسن ومجاهد والحيائي وقيل ما ينزلون في الدنيا إلا بالرسالة عن مجاهد (وما كانوا إذا) اي حين ننزل الملائكة (منظرين) مؤخرين بمهلين اي لا يهلون ساعة ثم زاد سبحانه في البيان فقال (إننا نحن نزلنا الذكر) اي القرآن (وإننا له لحافظون)

عن الزيادة والتقصان والتحريف والتغيير عن قتادة وابن عباس ومثله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقيل معناه متكفل بحفظه إلى آخر الدهر على ما هو عليه فتنقله الأمة وتحفظه عصرا بعد عصر إلى يوم القيامة لقيام الحججة به على الجماعة من كل من لزمته دعوة النبي ﷺ عن الحسن وقيل يحفظه من كيد المشركين ولا يمكنهم ابطاله ولا يندرس ولا ينسى عن الجبائي وقال الفراء يجوز ان يكون الها. في له كناية عن النبي ﷺ فكانه قال إنا نزلنا القرآن وإنا لمحمد ﷺ حافظون وفي هذه الآية دلالة على ان القرآن محدث اذ المنزل والمحفوظ لا يكون إلا محدثا (ولقد أرسلنا من قبلك) يا محمد رسلا من ابن عباس فحذف المفعول لدلالة الإرسال عليه (في شيع الأولين) أي في فرق الأولين عن الحسن والكلبي وقيل في الأمم الأولين عن عطا عن ابن عباس (وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون) وهذا تسليية للنبي ﷺ اذ أخبره ان كل رسول كان مبتلى بقومه واستهزأواهم بالرسول انما حملهم على ذلك استبعادهم ما دعوه اليه واستيحاشهم منه واستنكارهم له حتى توهبوا انه مما لا يكون ولا يصح مع مخالفته لما وجدوا عليه اسلافهم (كذلك نسلك في قلوب المجرمين) فيه قولان ﴿احدهما﴾ ان معناه إنا نسلك الذكر الذي هو القرآن في قلوب الكفار باخطاره عليها والقائه فيها وبأن نفهمهم إياه وانهم مع ذلك (لا يؤمنون به) ماضين على سنة من تقدمهم في تكذيب الرسل كما سلكتنا دعوة الرسل في قلوب من سلف من الأمم عن البخاري والجبائي والمراد ان امراضهم عن القرآن لا يمننا من ان ندخله في قلوبهم تأكيداً للحجة عليهم ﴿والآخر﴾ ان المعنى نسلك الاستهزاء في قلوبهم عقوبة لهم على كفرهم والأول هو الصحيح وقد رووا عن جماعة من المفسرين ان المراد نسلك الشرك في قلوب الكفار وذلك لا يصح لأنه لم يجز للشرك ذكر وقد جرى ذكر الذكر وهو القرآن ولأنه قال لا يؤمنون به ولو عاد الضمير في قوله به إلى الشرك لكان الكفار محمدين إذا كانوا لا يؤمنون بالشرك ولا خلاف ان الآية وردت على سبيل الذم لهم ولو كان الله سبحانه قد سلك الكفر في قلوبهم لسقط عنهم الذم ولما جاز ان يقول لهم كيف تكفرون وأنتم تنلى عليكم آيات الله لقد جتتم شيئا ادا تكاد السلاوات يتفطرون منه وكيف ينكرو عليهم هذا الانتكار وهو الواضح لذلك في قلوبهم وكيف يأمرهم باخراجه من حيث وضعه فيه تعالى وتقدس عن ذلك (وقد خلت سنة الأولين) أي مضت طريقة الأمم المتقدمة بأن كانت رسلم تدعوهم إلى كسب الله المنزلة ثم لا يؤمنون وقيل مضت سنة الأولين بأن عوجلوا بعذاب الاستئصال عند الاتيان بالآيات المقترحة مع اصرارهم على الكفر عن ابي مسلم وقيل مضت سنتهم في التكذيب كما أن قومك كذوبك عن ابن عباس ثم قال بعد ما تقدم ذكر اقتراحهم للآيات (ولو فتحنا عليهم) أي على هؤلاء المشركين (بابا من السماء) ينظرون اليه (فظلوا فيه يعرجون) أي فضلت الملائكة تصعد وتزل في ذلك الباب عن ابن عباس وقاتدة وقيل فضل هؤلاء المشركون يعرجون إلى السماء من ذلك الباب وشاهدوا ملكوت السموات عن الحسن والجبائي وابي مسلم (لقالوا انما سكوت ابصارنا) أي سدت وغطيت عن مجاهد وقيل اغشيت وعميت عن ابن عباس والكلبي وابي عمرو والكلبي وقيل تحيرت وسكنت عن ان تنظر (بل نحن قوم مسحورون) مسحورنا محمد ﷺ فلا ننظر ببصر ويغيب الاشياء البنا على خلاف حقيقتها ثم ذكر سبحانه دلالات التوحيد فقال سبحانه (ولقد جعلنا) أي خلقنا وهيانا (في السماء بروجاً) أي منازل الشمس والقمر (وزيناها للنظرين) بالكواكب النيرة عن ابي عبد الله (ع) وهي اثنا عشر براجا وقيل البروج النجوم عن ابن عباس والحسن وقاتدة (وحفظناها) أي وحفظنا السماء (من كل شيطان رجيم) أي من رجوم برممي بالشهب عن ابي علي الجبائي وابي مسلم وقيل رجيم ملعون مشرور عن ابن عباس وحفظ الشيء جعله على ما ينبغي عنه الضياع فمن ذلك حفظ القرآن بدرسه حتى لا ينسى وحفظ المال باحرازه حتى لا يضيع وحفظ السماء من الشيطان بالمنع حتى لا يدخلها ولا يبلغ إلى موضع يتمكن فيه من استراق السمع بما اعد له من الشهاب (الا من استرق السمع) والسرقة عند العرب ان يأتي الإنسان إلى حرز خفية فيأخذ ما ليس له والمراد بالسمع هنا السمع والمعنى

الا من حاول أخذ المسحوق من السماء في خفية (فأبتمه) أي لحقه (شهاب مبین) أي شملة نار ظاهر لأهل الأرض بين لمن رآه ونحن في رأي العين نرى كأنهم يرمون بالنجوم والشهاب عمود من نور يضيء ضياء النار لشدة ضيائه ورروي عن ابن عباس انه قال كان في الجاهلية كهنة ومع كل واحد شيطان فكان يقعد من السماء مقاعد للسمع فيستمع من الملائكة ما هو كائن في الأرض فيترل ويخبر به الكاهن فيفشي الكاهن الى الناس فلما بعث الله عيسى (ع) منعوا من ثلاث سموات ولما بعث محمد ﷺ منعوا من السموات كلها وحرست السماء بالنجوم فالشهاب من معجزات نبينا محمد ﷺ لأنه لم ير قبل زمانه وقيل ان الشهاب يحرق الشياطين ويقتلهم عن الحسن وقيل انه يجبل ويحرق ولا يقتل عن ابن عباس

قوله تعالى (١٩) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَا وَإِلَيْنَا فِيهَا رَوَّاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (٢٠) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (٢١) وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُ إِلَّا بِالْإِقْدَارِ مَعْلُومٍ (٢٢) وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَا كُومَهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِمُجَازِينَ (٢٣) وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ السَّوَّارِثُونَ (٢٤) وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ (٢٥) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ سبع آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة وحده الريح لواقح والباقون الرياح لواقح

(الحجة) -

قال ابو عبيدة لا اعرف لذلك وجها إلا ان يريد ان الريح تأتي مختلفة من كل وجه فكانت تنزل الرياح وحكي الكسائي ارض افعال وارض سباب قال المبرد يجوز ذلك على أن يجعل الريح جنسا وليس يجيد لأن الرياح ينفصل بعضها عن بعض ومعروفة كل واحدة منها والارض ليست كذلك لأنها بساط واحد

﴿ اللغة ﴾

الرواسي الثوابت واحدها راسية والمراسي ما يثبت به والوزن وضع احد الشيتين بازاء الآخر على ما يظهر به مساواته في المقدار وزيادته والمعاش جمع معيشة وهي طلب اسباب الرزق مدة الحياة وقد يطلبها الانسان لنفسه بالتصرف والتكسب وقد يطلب له فإن أتاه اسباب الرزق من غير طلب فذلك العيش المنى واللاقح الرياح التي تلقح السحاب حتى يحمل الماء أي يلقى اليه ما يحمل به الماء يقال لفتح الناقة إذا حملت والقحها الفحل فاللاقح في معنى الملقحات وقيل في علة ذلك قولان ﴿ اهدما ﴾ انه في معنى ذات لقاح ومثله هم ناصب أي ذو نصب قال النابغة

كلبني لهم يا أميعة ناصب وليل أفاقيه بطي الكواكب

أي منصب وقال نهشل بن جري

ليبك يزيد ضارع لخصومة ومختبط مما تطيح الطوائح

أي المطاوع ﴿ والأخر ﴾ ان الرياح لاقحة بحملها الماء ملقحة بالقاء إياه إلى السحاب ويقال سقيته فيا يشربه بشفته واسقيته بالألف فيا تشربه ارضه قال علي بن عيسى وقد يجي اهدما بمعنى الآخر كقوله نسقيكم مما في بطونه وقال ذو الرمة

وقفت على ربع لية ناقتي
وأسقيه حتى كاد مما أشه
فما زلت أبكي عنده وأخاطبه
تكلمني أحجاره وملاعبه
اي ادعو له بالسقيا

﴿ الإعراب ﴾

والأرض منصوب بفعل مضمر تقديره ومددنا الأرض مددناها كقوله والقمر قدرناه اي وقدرنا القمر قدرناه
ومن لستم له برازقين من في موضع نصب عطفا على معاش والمراد به العبيد والاماء والانعام والدواب عن مجاهد
وقال الفراء العرب لا تكاد تجعل من إلا في الناس خاصة فإن كان مع الدواب العبيد حسن حينئذ قال وقد يجوز
ان يكون من في موضع جر عطفا على الكاف والميم في لكم وقال المبرد والظاهر المخفوض لا يعطف على المضمر
المخفوض نحو مرت بك وزيد إلا أن يضطر شاعر وأنشد الفراء:

تعلق في مثل السواري سيوفنا
فرد الكعب على العاء في بينها وقال
وما بينها والكعب غوط نفافن
هلا سألت بذني الجماجم عنهم
وأني نعيم ذي اللوا المحدق

فرد ابا نعيم على هم في عنهم قال ويجوز أن يكون من في موضع رفع لأن الكلام قد تم ويكون التقدير
على قوله ولكم فيها من لستم له برازقين قال الزجاج والأجود من الاقوال الاول وجاز أن يكون عطفا على تأويل
لكم لأن معنى قوله ولكم فيها معاش امثناكم ومن لستم له برازقين اي رزقناكم ومن لستم له برازقين وان
من شي من مزيدة وشي مبتدأ وعندنا خبر له وخزائنه مرفوع بالظرف لأن الظرف جرى مجرى خبرا على المبتدأ.
لاخلاف في هذا بين سيويه والاخش

« المعنى »

لما تقدم ذكر السماء وما فيها من الأدلة والنعمة اتبعه بذكر الأرض فقال (والأرض مددناها) اي بسطناها
وجعلناها طولا وعرضا (والقينا فيها رواسي) اي طرحنا فيها جبلا ثابتة (وأنبتنا فيها) اي في الأرض (مسن)
كل شي موزون) اي مقدر معلوم عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقيل مسن كل شي يوزن في المادة
كالذهب والفضة والصفرة والنحاس ونحوها من الحسن وقيل يعني بذلك كل ما تخرجه الأرض عن اي مسلم قال
وإنما خص الموزون بالذكر دون المكيل لوجهين ﴿ احدهما ﴾ ان غاية المكيل تنتهي إلى الوزن لأن جميع
المكيلات إذا صار طعاما دخل في الوزن فالوزن أهم ﴿ والآخر ﴾ ان في الوزن معنى الكيل لأن الوزن
هو طلب المساواة وهذا المعنى ثابت في الكيل فخص الوزن بالذكر لاشتائه على معنى الكيل ورد عليه السيد
الاجل المرتضى قدس الله روحه فقال ظاهر لفظ الآية يشهد بغير ما قاله فإن المراد بالموزون المقدار الواقع بحسب
الحاجة فلا يكون ناقصا عنها ولا زائدا عليها زيادة مضررة داخلة في باب العيب ونظير ذلك قولهم كلام فلان
موزون وفعله موزونة والمراد ما ذكرناه وعلى هذا المعنى تأول المفسرون ذكر الموازين في القرآن على احد
التأويلين وانها التمديل والمساواة بين الثواب والعقاب (وجعلنا لكم فيها معاش) اي خلقنا لكم في الأرض
معاش من زرع او نبات عن ابن عباس والحسن وقيل معاش اي مطاعم ومشارب تعيشون بهما وقيل هي التصرف
في اسباب الرزق مدة الحياة (ومن لستم له برازقين) يعني العبيد والدواب يرزقهم الله ولا ترزقونهم ومعناه يدور
على ما تقدم ذكره في الاعراب وأتى بلفظة من دون لفظه ما لأنه غلب العقلاء على غيرهم (وان من شي) اي
وليس من شي ينزل من السماء وينبت من الأرض (إلا عندنا خزائنه) معناه إلا ونحن مالكم والقادرون عليه

وخزائن الله سبحانه مقدوراته لأنه تعالى يقدر أن يوجد ما شاء من جميع الأجناس ويقدر من كل جنس على ما لا نهاية له وقيل المراد به الماء الذي منه النبات وهو مخزون عنده إلى أن ينزله ونبات الأرض وثمارها إنما تنبت بآء السماء. وقال الحسن المطر خزائن كل شيء (وما ننزله) أي وما ننزل المطر (إلا بقدر معلوم) تقتضيه الحكمة وقيل أنه سبحانه استعار الخزائن للقدرة على إيجاد الأشياء وعبر عن الإيجاد بالانزال لأن الانزال في معنى الإعطاء. والرزق والمعنى أن الخير كله من عند الله لا يوجد ولا يعطى إلا بحسب المصلحة والحاجة ثم بين سبحانه كيفية الانزال فقال (وارسلنا الرياح لواقح) أي أجرينا الرياح لواقح أي ملقحة للحاب محملة بالمطر (فأنزلنا من السماء ماء) أي مطرا (فأسقيناهم) أي فأسقيناهم ذلك الماء. ومكنائهم منه (وما أنتم له بمجازين) أي وما أنتم أيها الناس له بمحافظين ولا محرزين بل الله يحفظه ثم يرسله من السماء ثم يحفظه في الأرض ثم يخرج من العيون بقدر الحاجة ولا يقدر أحد على إحرار ما يحتاج إليه من الماء في موضع (وانا لنحن نحيي ونميت) أخبر سبحانه أنه يحيي الخلق إذا شاء ويميتهم إذا أراد (ونحن الوارثون) الأرض ومن عليها أخبر أنه يرث الأرض لأنه إذا أفنى الخلق ولم يبق أحد كانت الأشياء كلها راجعة إليه يتفرد بالتصرف فيها (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المتأخرين) قيل فيه اقوال **﴿ احدها ﴾** ان معناه ولقد علمنا الماضين منكم ولقد علمنا الباقين عن مجاهد والضحاك وقناة **﴿ وثانيها ﴾** علمنا الأولين منكم والآخريين عن الشعبي **﴿ وثالثها ﴾** علمنا المستقدمين في صفوف الحرب والمتأخرين عنها عن سعيد بن المسيب **﴿ ورابعها ﴾** علمنا المتقدمين في الخير والمبطلين عنه عن الحسن **﴿ وخامسها ﴾** علمنا المتقدمين إلى الصف الأول في الصلاة والمتأخرين عنه فإنه كان يتقدم بعضهم إلى الصف الأول ليدركوا فضيلته وكان يتأخر بعضهم لينظروا إلى إعجاز النساء فنزلت الآية فيهم عن ابن عباس **﴿ وسادسها ﴾** ان النبي ﷺ حث الناس على الصف الأول في الصلاة وقال خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها وقال ﷺ ان الله وملائكته يصلون على الصف المتقدم فازدحم الناس وكانت دور بني عذرة بعيدة عن المسجد فقالوا لنبيعن دورنا ولنشترين دورا قريبة من المسجد حتى ندرك الصف المقدم فنزلت هذه الآية عن الربيع بن أنس فعلى هذا يكون المعنى انا نجازي الناس على نياتهم (وان ربك هو يحشرهم) معناه ان ربك يا محمد او ايها السامع هو الذي يجهمهم يوم القيامة ويحشرهم بعد إمامتهم للمجازاة والمحاسبة (انه حكيم) في افعاله (عليم) بما استحق كل منهم

﴿ النظم ﴾

إننا اتصل قوله وانا نحن نحيي ونميت وما بعده بما ذكره فبما قبل من انواع النعم فبين سبحانه انه يرثهم كل ما خولهم من ذلك تهيدا في الدنيا وترغيبا في الآخرة عن ابي مسلم وقيل انه لما بين انواع نعمه عرفهم بعد انه لم يخلق ذلك للبقاء وإنما أنعم به عليهم ليكون طريقا إلى نعم الآخرة عن القاضي وقيل انه لما ذكرهم نعم الدنيا نبه بالاحياء والامانة وعلمه بجميع الأشياء وحشر الخلق على وجوب الانقطاع اليه والعبادة والطاعة له قوله تعالى (٢٦) وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَاءٍ مَسْنُونٍ (٢٧) وَالْجَنَّةَ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السُّمُومِ (٢٨) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَاءٍ مَسْنُونٍ (٢٩) فَإِذْ أَسْوَيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٣٠) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣١) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٣) قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِشَيْءٍ خَلَقْتُهُ

مِنْ صَلَّالٍ مِنْ حَمَاءِ مَسْنُونٍ (٣٤) قَالَ فَأَخْرَجَ مِنْهَا فَاِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٥) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ
إِلَى يَوْمِ الدَّرِينِ عشر آيات

❖ اللغة ❖

الصلال الطين اليابس اخذ من الصلصة وهي التعممة ويقال لصوت الحديد ولصوت الرعد صلصلة وهي صوت شديد متردد في الهواء وصل يصل اذا صوت قال

رجعت إلى صوت كجرة حنتم اذا قرعت صفرا من الماء صلت

ويقال الصلال المنتن اخذ من صل اللحم واصل اذا اتقت والحما جمع حمأة وهو الطين المتغير الى السواد يقال حمئت البشروا حمأتها انا والمسنون المصبوب من سنت الماء على وجهه اي صببته ويقال سنت بالسين غير معجمة ارسلت الماء وسنتت بالسين معجمة صببت وقيل انه المتغير من قولهم سنتت الحديد على المسن اذا غيرتها بالتحديد واصبها الاستمرار في جهة من قولهم هو على سنن واحد والسنة الطريقة وسنة الوجه صورته قال ذو الرمة

يريك سنة وجهه غير مقرفة ملساء ليس بها خال ولا فذب

قال سيويه جمع الجان جنان فهو مثل حائط وحيطان وراع ورعيان والسوم الريح الحارة اخذ من دخولها بلطنها في مسام البدن ومنه السم القاتل يقال سم يومنايسم اذا هبت فيه ريح السوم
-- « الاعراب » --

من جعل الجان جمعا قال ولم يقل خلقناها كما قال ما في بطونه وما في بطونها وقوله مالك ان لا تكون مع الساجدين ما مبتدأ ولك خبره والتقدير اي شيء ثابت لك والا تكون تقديره في ان لا تكون فحذف في وهي متعلقة بالخبر ايضا فلما حذف في انتصب موضع ان لا تكون على قول سيويه وبقي على الجر على قول الخليل وابو الحسن حمل ان على الزيادة ولا تكون في موضع الحال قال وتقديره مالك خارجا عن الساجدين

❖ المعنى ❖

لما ذكر سبحانه الاحياء والامانة والتشاة الثانية عقبه ببيان التشاة الأولى فقال (ولقد خلقنا الانسان) يعني آدم (من صلصال) اي من طين يابس يسمع له عند النقر صلصلة اي صوت عن ابن عباس والحسن وقتادة واكثر المفسرين وقيل طين صلب يخالطه الكتيب عن الضحاك وقيل منين عن مجاهد واختاره الكسائي (من حمأ) أي من طين متغير (مسنون) اي مصبوب كانه افرغ حتى صار صورة كما يصب الذهب والفضة وقيل انه الرطب عن ابن عباس وقيل مسنون مصور عن سيويه قال اخذ من سنة الوجه (والجان) وهو ابليس عن الحسن وقتادة وقيل هو ابو الجن كما ان آدم ابو البشر عن ابن عباس وقيل هم الجن نسل ابليس وهو منصوب بفعل مضمر معناه وخلقنا الجان (خلقناه من قبل) اي من قبل خلق آدم (من نار السموم) اي من نارها ريب حارة تقتل وقيل هي نار لا دخان لها والصواعق تكون منها وروى ابو روق عن الضحاك عن ابن عباس قال كان ابليس من سحي من احياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة وخلق الجن الذين ذكروا في القرآن من نار وقيل السموم النار الملتبئة عن ابي مسلم وفي هذا اشارة الى أن الانسان لا يفضل باصله وانما يفضل بدبته وعلمه وصالح عمله واصل آدم (ع) كان من تراب وذلك قوله خلقه من تراب ثم جعل التراب طينا وذلك قوله وخلقته من طين ثم ترك ذلك الطين حتى تغير واسترخى وذلك قوله من حمأ مسنون ثم ترك حتى جف وذلك قوله من صلصال فهذه الاقوال لا تناقض فيها اذ هي اخبار عن حالاته المختلفة (واذا قال ربك للملائكة) تقديره واذا ذكر يا محمد اذ قال ربك للملائكة (اني خالق) اي سأخلق (بشرا) اي آدم وسمي

بشراً لأنه ظاهر الجلد لا يواريه شعر ولا سوف (من صلصال من حمأ مسنون) مر معناه (فلماذا سويته) بالقسام خلقته وإكمال خلقه وقيل معناه عدلت صورته (وتنمت فيه من روحي) والنفخ اجراء الريح حيث التي باعتاد فلما جرى الله سبحانه الروح سيء آدم على هذه الصفة كان قد تنخ الروح فيه وإنما اضاف روح آدم إلى نفسه تكريماً له وتشريفاً وهي اضافة الملك (فتموا له ساجدين) أي اسجدوا له قال الكوفي اسيء فخره له ساجدين (فسجد الملائكة اجمعون) هذا توكيد بعد توكيد عند سيويوه وقال المبرد وبدل قوله اجمعون على اجتماعهم في السجود أي فسجدوا بهم في حالة واحدة قال الزجاج وقول سيويوه اجود لأن اجمعون معرفة فلا يكون حالاً (إلا ابليس اذ ان يكون مع الساجدين) أي امتنع ان يكون معهم فلم يسجد معهم وقد سبق القول في ان ابليس هل كان من الملائكة أو لم يكن واختلاف العلماء فيه وما لكل واحد من الفريقين من الخصم وذكرنا ما يتعلق بذلك من الكلام في سورة البقرة فلا معنى للاعادة وإن يكون في محل نصب أي الجالكون مع الساجدين (قال يا ابليس مالك الا تكون مع الساجدين) قال الزجاج معناه أي شيء يقع لك في ان لا تكون مع الساجدين فموضع ان نصب باسقاط في وافضاء الناصب إلى ان وهذا خطاب من الله سبحانه لابليس ومعناه لم لا تكون مع الساجدين فسجد كما سجدوا وإنما قال سبحانه بنفسه على جهة الاهانة له كما يقول لأهل النار اخصأوا فيها ولا تكلمون وقال الجبائي إنما قال سبحانه ذلك على لسان بعض رسله لأنه لا يصح ان يكلمه الله بلا واسطة في زمان التكليف (قال) أي قال ابليس محبباً لهذا الكلام (لم اكن لأسجد) أي ما كنت لاسجد وقيل معناه ما كان ينبغي ان اسجد (لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون) لأنني اشرف اصلاً منه ولم يعلم ان التضائل بالدين والاعمال لا بالأصل (قال فاخرج منها) أي من الجنة (فلو كنت رجيم) أي مشؤوم مطرود ملعون وقيل معناه اخرج من السماء عن أبي سلم وقيل من الارض فألقه بالبحار لا يتدخل الارض إلا كالسارق وقيل رجيم مرجوم أي إن رجعت إلى السماء رجمت بمثل الشهب التي يرمج به الشياطين عن الجبائي (وان عليك اللعنة) وان عليك مع ذلك اللعنة أي الابعاد من رحمة الله ولذلك لا يجوز أن يلعن بهيمة (إلى يوم الدين) أي يوم الجزاء وهو يوم القيامة والمراد ان الله سبحانه قد لعنتك وأهل السماء والارض بلعنوتك لعنة لازمة لك إلى يوم القيامة ثم يحصل بعد ذلك على الجزاء بعذاب النار وفيه بيان انه لا يؤمن قط وقال بعض المحققين إنما قال سبحانه هنا وان عليك اللعنة بالألف واللام وقال في سورة ص لعنتي بالاضافة لأن هناك يقول لما خلقت بيدى مضافاً فقال وان عليك لعنتي على المطابقة وقال هنا مالك ألا تكون مع الساجدين وساق الآية على اللام في قوله ولقد خلقنا الانسان وقوله والجان فأق باللام ايضاً في قوله وان عليك اللعنة

قوله تعالى (٣٦) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٧) قَالَ فَأَنْتَكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٣٨) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٩) قَالَ رَبِّ جَاءَ أَغْوَابِيَّ لِأَزِينَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَاغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٠) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤١) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤٢) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٣) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٤) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ تسع آيات

✽ القراءة ✽

قرأ يعقوب صراط علي بالرفع وهي قراءة ابي رجاء وابن سيرين وقناة والضحاك ومجاهد وقيس بن عباد وعمرو بن ميمون وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع) والباقون من القراء قرأوا علي

* الحجة *

قال ابن جنى علي هنا كقولهم كريم شريف وليس المراد به علو الشخص والنسبة وقال ابو الحسن في قراءة الجماعة هذا صراط علي مستقيم هو كقولك الدلالة اليوم علي اي هذا صراط في ذمتي وتحت ضاني كقولك صعة هذا المال علي وتوفية عدته علي وليس معناه عنده مستقيم علي كقولنا قد استقام على الطريق واستقر على كذا وما أسس ما ذهب اليه ابو الحسن فيه

* اللغة *

الإغواء الدناء إلى الغي والاعواء خلاف الارشاد وهذا أصله وقد يكون بمعنى الحكم بالغي على وجه الذم والتزيين جعل الشيء متقبلا في النفس من جهة الطبع او العقل بحق او باطل واعواء الشيطان تزيينه الباطل حتى يدخل صاحبه فيه

* المعنى *

ثم بين سبحانه ما سأله إبليس عند إياسه من الآخرة فقال عز اسمه (قال رب فانظرنى) أي فامهني وأخرني (إلى يوم يبعثون) أي يحشرون للجزاء استنظره إبليس إلى يوم القيامة لثلاث موت إذ يوم القيامة لا يموت فيه احد فلم يجبه الله تعالى إلى ذلك بل (قال) له (فأولئك من المنتظرين إلى يوم الوقت المعلوم) الذي هو آخر أيام التكليف وهو النفخة الأولى حين يموت اخلائق عن ابن عباس وقيل الوقت المعلوم يوم القيامة انظره الله سبحانه في رفع العذاب عنه إلى يوم القيامة عن الحسن والجبائي وابن مسلم وقيل هو الوقت الذي قدر الله أجله فيه وهو معلوم لله سبحانه غير معلوم لإبليس فأبهم ولم يبين لأن في إيانه اغراء بالمعصية عن البلخي واختلف في تجويز إجابة دعاء الكافر وقال الجبائي لا يجوز لأن في إجابة الدعاء تعظيما له وقال ابن الاخشيد يجوز ذلك لأن الإجابة كالتمعة في احتالها ان يكون نوابها وتعظيما وان يكون استصلاحا ولطفا (قال) إبليس (رب تبا أغويتني لأزینن لهم في الارض ولأغوينهم اجمعين) قيل فيه اقوال * احدها * ان الاغواء الأول والثاني بمعنى الاضلال اي كما أضللتني لأضلنهم وهذا لا يجوز لأن الله سبحانه لا يضل عن الدين إلا ان يحمل علي أن إبليس كان معتقدا للخير * وثانيها * ان الاغواء الاول والثاني بمعنى التخيب اي تبا خيبتني من رحمتك لا خيبتهم بالدناء إلى معصيتك عن الجبائي * وثالثها * ان معناه بما أضللتني عن طريق جنتك لأضلنهم بالدناء إلى معصيتك ورابعها * تبا كفتني السجود لآدم الذي غويت عنده فسي ذلك غواية كما قال فزادتهم رجسا إلى رجسهم لما ازدادوا عندها عن البلخي والباي في قوله تبا أغويتني قيل ان معناها القسم ههنا عن ابي عبيدة وقيل هي بمعنى السب اي يكوفني غاويا لأزینن كما يقال بطاعته لتدخلن الجنة وبمعصيته لتدخلن النار ومفعول التزيين محذوف وتقديره لأزینن الباطل لهم اي لأولاد آدم حتى يتموا فيه ثم استثنى من جمعتهم فقال (إلا عبادك منهم المخلصين) وهم الذين أخلصوا عبادتهم لله وامتنعوا عن عبادة الشيطان واتموا عما نهاهم الله عنه ومن قرأ المخلصين بفتح اللام فهم الذين أخلصهم الله بأن وفقهم لذلك ولطف لهم فيه ليس للشيطان عليهم سبيل (قال) الله سبحانه (هذا صراط علي مستقيم) قيل فيه وجوه * احدها * انه على وجه التهديد له كما تقول لغيرك افعل ما شئت وطريقك علي اي لا تقوتني عن مجاهد وفتادة ومثله قوله إن ربك لبالمرصاد * وثانيها * معناه ان ما نذره من امر المخلصين والفاوين طريق مسره علي أي مسر من مسلكه علي مستقيم لا عدول فيه عني وأجازي كلال من الفريقين بما عمل * وثالثها * ان معناه هذا دين مستقيم علي إيانه والهداية اليه (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان) هذا اخبار منه تعالى بأن عباده الذين بطيعونه ويتوبون إلى أوامره لا سلطان للشيطان عليهم ولا قدرة له على ان يكرهم على المعصية ويحملهم عليها ولكن من يتبعه فإنما ينه باختياره قال الجبائي وذلك يدل على ان

الجن لا يقدر على الاضرار ببي آدم لأنه على عمومته ثم استثنى سبحانه من جملة العباد من يتبع إبليس على اغوائه وينقاد له ويقبل منه فقال (إلا من اتبعك من الغاوين) لأنه إذا قبل منه صار له عليه سلطان بعدوله عن الهدى إلى ما يدعو إليه من اتباع الهوى وقيل ان الاستثناء منقطع والمراد لكن من اتبعك من الغاوين جعل لك على نفسه سلطانا (وان جهنم لو عدتهم اجمعين) أي موعده إبليس ومن تبعه (لها سبعة ابواب) فيه قولان **أحدها** ما روي عن امير المؤمنين «ع» ان جهنم لها سبعة ابواب اطباق بعضها فوق بعض ووضع احدى يديه على الأخرى فقال هكذا وان الله وضع الجنان على العرض ووضع النيران بعضها فوق بعض فأسفلها جهنم وفوقها لظى وفوقها الحطمة وفوقها سقر وفوقها الجحيم وفوقها السعير وفوقها الهاوية وفي رواية الكبي اسفلها الهاوية واعلاها جهنم وعن ابن عباس ان الباب الأول جهنم والثاني سعير والثالث سقر والرابع جحيم والخامس لظى والسادس الحطمة والسابع الهاوية اختلفت الروايات في ذلك كما ترى وهو قول مجاهد وعكرمة والجبائي قالوا ان ابواب النيران كما طباق اليد على اليد **والآخر** ما روي عن الضحاك قال للنار سبعة ابواب وهي سبعة ادراك بعضها فوق بعض فأعلاها فيه أهل التوحيد يعذبون على قدر اعمالهم واعمارهم في الدنيا ثم يخرجون والثاني فيه اليهود والثالث فيه النصارى والرابع فيه الصابئون والخامس فيه المجوس والسادس فيه مشركو العرب والسابع فيه المنافقون وذلك قوله ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار وهو قول الحسن والبي مسلم والقولان متقاربان (لكل باب منهم) أي من الغاوين (جزء مقسوم) أي نصيب مفروض عن ابن عباس

قوله تعالى (٤٥) **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ** (٤٦) **أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمَنِينَ** (٤٧) **وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ** (٤٨) **لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَسَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ** (٤٩) **نَبِيِّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** (٥٠) **وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ**

ست آيات

﴿ اللذة ﴾

القل الحقد انذي يتغل في القلب ومنه القل الذي يجعل في العنق والغلول الخيانة التي يطوق عارها صاحبها والسرير المجلس الرفيع موطأ للسرور وجمعه الأسرة والسرر والنصب التعب والوهن الذي يلحق من العمل مشتق من الاتصاب لأن صاحبه ينتصب بالانقطاع عن العمل للوهن الذي يلحقه

﴿ المعنى ﴾

لما ذكر سبحانه عبادة المخلصين عقبه بذكر حالهم في الآخرة فقال (ان المتقين) الذين يتقون عقاب الله باجتئاب معاصيه (في جنات) أي في بساطين خلقت لهم (وعيون) من ماء وخنمر وعسل بغير من الفؤارة ثم يجري في مجاريها (ادخلوها بسلام) أي يقال لهم ادخلوا الجنات بسلامة من الآفات وبرائة من المكار والمضرات (آمنين) من الاخراج منها ساكني النفس إلى انتفاء القسر فيها (ونزعنا ما في صدورهم من غل) أي وأزلنا عن صدور أهل الجنة ما فيها من أسباب العداوة من القل اسب الحقد والحسد والتنافس والتباغض (اخوانا) منصوب على الحال أي وهم يكونون اخوانا متوادين يريد مثل الاخوان فيصفو لذلك عيشهم (على سرر) أي كائنين على مجالس السرور (متقابلين) متواجهين ينظر بعضهم إلى وجه بعض قال مجاهد لا يرى الرجل في الجنة قفا زوجته ولا ترى زوجته قفاه لأن الأسرة تدور بهم كيف ما شاءوا حتى يكونوا متقابلين في عموم احوالهم وقيل متقابلين في الزيارة إذا تزاوروا استوت مجالسهم ومنازلهم وإذا ائتمروا كانت منازل بعضهم ارفع من بعض (لا يمسهم فيها) أي في الجنة (نصب) أي عناه وتمب لأنهم لا يحتاجون إلى إعتاب أنفسهم لتحصيل مقاصدهم

اذ جميع النعم حاصله لهم (وما هم منها بمخرجين) أي يقون فيها مؤبدين ثم أمر سبحانه نبيه ﷺ أن يخبر عباده بكثرة عفوه ومقرته ورحمته لأوليائه وشدة عذابه لأعدائه فقال (نبى) يا محمد (عبادي أي انا القور) أي كثير السوء لذنوب المؤمنين (الرحيم) كثير الرحمة لهم (وان عذابي هو العذاب الأليم) فلا تعملوا على محض غفرائي ورحمتي وخافوا عقابي وتقمي

قوله تعالى (٥١) وَنَبَتْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (٥٢) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجَلُونَ (٥٣) قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٥٤) قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ (٥٥) قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَسْكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ (٥٦) قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (٥٧) قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٥٨) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٥٩) إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (٦٠) إِلَّا أَمْرًا أَنَّهُ قَدَرْنَا إِنَّهَا مِنَ الْغَابِرِينَ عشر آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ نافع وحده فم تبشرون خفيفة التون مكسورة وقرأ ابن كثير وحده فم تبشرون مشددة التون مكسورة وقرأ الباقون تبشرون مفتوحة التون خفيفة وروى ابو علي الضمير عن روح وغيره عن يعقوب فم تبشروني بالنيات الياء وقرأ ابو عمرو والكسائي يقنط ويقنطوا بكسر النون حيث كان والباقون بفتح النون وقرأ لمنجوههم خفيفة اهل الكوفة غير عاصم ويعقوب والباقون بالتشديد وقرأ قدرنا بالتخفيف ابو بكر عن عاصم وكذلك في النمل والباقون بالتشديد

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي الوجه في قراءة نافع انه أراد تبشروني إلا انه حذف التون الثانية استئقلا لأن التكرير بها وقع ولم يحذف التون الأولى التي هي علامة الرفع وقد حذفوا هذه التون في كلامهم لأنها زائدة ولأن علامة الضمير الياء من دونها قال

أبالموت الذي لا بداني ملاق لا ابالك تخوفيني

وقال

تراه كالثغام يعل مسكا يسوء الفاليات إذا فليني

والوجه في تشديد ابن كثير التون انه أدغم التون الأولى التي هي علامة الرفع في الثانية المتصلة بالياء التي هي المضمرة المنصوب المتكلم ومن فتح التون فلا نه لم يعد الفعل إلى المفعول به كما عدى غيره وحذف المفعول به كثير والتون علامة الرفع وقنط يقنط وقنط بقنط لعتان وكان قنط يقنط اعلى وبدل على ذلك اجماعهم في قوله قنطوا وحكى ان يقنط لغة وهذا يدل على ان يقنط اكثر لأن مضارع فعل يجي على بفعل وبفعل وحجة من قرأ لمنجوههم قوله ونجينا الذين آمنوا وحجة من قرأ بالتخفيف قوله فأنجاه الله من النار وقدرت بالتخفيف لغة في قدرت يدل على ذلك قول العذلي

ومفرهة عنس قدرت لساقها فخرت كما تتابع الريح بالقفل

والمعنى قدرت ضربتي لساقها فضربتها فحذف للدلالة الكلام عليه فمن قرأ قدرنا محققا كان في معنى التشديد

﴿ آية ﴾

الضيف هو المنضوب إلى غيره لطلب القرى وهو يقع على الواحد والاثنتين والجمع لأنه في الأصل مصدر وصف به وقد يجمع بالاضيف والضيوف والضيفان والوجل الخوف يقال وجل يوجل ويوجل وييجل وييجل إذا خاف والخطب الأمر الجليل ومنه الخطبة والخطبة والمجرم المنقطع عن الحق إلى الباطل وهو القاطم لنفسه عن المحاسن إلى القبائح والغاير الباقي فيمن يهلك قال الشاعر

فما وفي محمد مذان غفر له إلا له ما مضى وما غبر

- (الاعراب) -

سلاماً منصوب على المصدر كأنهم قالوا سلمنا إلا آل لوط قال الزجاج هو استثناء ليس من الأول وقوله إلا امرأته استثناء من الهاء والميم في قوله إنا لمنجوهم وقوله قدرنا أنها لمن الغابرين في معنى علمنا أنها لمن الغابرين قال أبو عبيدة في الآية معنى فقهي كان أبو يوسف يتأوله فيها وهو أن الله استثنى آل لوط من المجرمين ثم استثنى امرأة لوط من آل لوط فرجعت امرأته في التأويل إلى القوم المجرمين وكذلك كل استثناء في الكلام إذا جاء بعد استثناء آخر دعا المعنى إلى أول الكلام كقول الرجل لفلان علي عشرة دراهم إلا أربعة إلا درهما فإنه يكون اقراراً بسبعة وكذلك لو قال له علي خمسة إلا درهما إلا ثلاثاً كان اقراراً بأربعة وثلاث

﴿ المعنى ﴾

لما ذكر سبحانه الوعد والوعيد عقبه بذكر قصة ابراهيم (ع) وقوم لوط مصداقاً لما ذكره وإرشاداً إلى الدلالة بالعاجل على الآجل فقال (ونبتهم عن ضيف ابراهيم) أي وأخبرهم عن اضيف ابراهيم (إذ دخلوا عليه) يعني الملائكة وإنما ساهم ضيفاً لأنهم جاءوه سيف صورة الاضيف (فقالوا سلاماً) أي سلموا عليه سلاماً على وجه الدعاء والتحية وبشروه بالولد وباهلاك قوم لوط (قال) ابراهيم (إنا منكم وجلون) أي خاتون (قالوا لا توجل) أي لا تخف (إنا نبشرك) أي نبشرك بما يسرك (بسلام عليم) أي بولد يكون غلاماً إذا ولد ويكون علياً إذا بلغ (قال) ابراهيم (ابشروني) بالمولود (على أن مسني الكبير) أي في حال الكبير الذي يوجب اليأس عن الولد (فبم تبشرون) أي بأمر الله تعالى فأنق به أم من جهة اتسكهم ومعنى مسني الكبير غير في الكبير عن حال الشباب الذي يطعم في الولد إلى حال الهرم وقيل معناه عن رأس الكبير (قالوا بشرك بالحق) أي قالت الملائكة لا ابراهيم إنا بشركك بذلك على وجه الحقيقة بأمر الله (فلا تكن من القاطنين) أي اليائسين فأجابهم ابراهيم (ع) بأن (قال) ومن يقتط من رحمة ربه إلا الضالون) أي ومن الذي ييأس من رحمة الله وحسن انعامه إلا العادلون عن الحق الضالون عن طريق الهدى الجاهلون بقدرته على خلق الولد من الشيخ الكبير وهذا القول من ابراهيم (ع) يدل على أنه لم يكن قانطاً ولكنه استبعد ذلك فظنت الملائكة قنوطاً فتفى ذلك عن نفسه (قال) ابراهيم (ع) بعد ذلك للملائكة (فما خطبكم أيها المرسلون) أي ما الأمر الجليل الذي بعثتم له وما شأنكم وساهم مرسلين لما علم أنهم ملائكة (قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين) أي مذنبين وقيل كافرين أخبروه بهلاكهم واقتصروا على هذا لأن من المعلوم أن الملائكة إنما يرسلون إلى المجرمين للهلاك (إلا آل لوط) استثنى منهم آل لوط وهم خاصته وعشيرته وإنما استثناهم منهم وإن لم يكونوا مجرمين من حيث كانوا من قوم لوط ومن بعث إليهم وقيل إن معناه لكن آل لوط (إنا لمنجوهم اجمعين) أي نخلصهم اجمعين من العذاب (إلا امرأته) استثنى امرأة لوط من آل لوط لأنها كانت كافرة (قدرنا أنها لمن الغابرين) أي من الباقين في المدينة مع المهلكين أي قضينا أنها تهلك كما يهلكون

قوله تعالى (٦١) فلما جاء آل لوط المرسلون (٦٢) قال إنكم قوم منكرون (٦٣) قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون (٦٤) وأتيناك بالحق وإنا لصادقون (٦٥) فأسر بأهلك يقطع من الليل وأتبع أذبارهم ولا يلتفت منكم أحد وأمضوا حيث تؤمرون (٦٦) وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين (٦٧) وجاء أهل المدينة يستبشرون (٦٨) قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون (٦٩) وأتقوا الله ولا تخزون (٧٠) قالوا أولم تنهك عن العالمين (٧١) قال هؤلاء بني إن كنتم فاعلين (٧٢) لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون اثنتا عشرة آية

❖ اللفظة ❖

الاسراء سير الليل يقال مري مري مري وأسرى أسرا لفتان قال امرؤ القيس
سريت بهم حتى تكمل مطيهم وحتى الجياد ما يقدن بأرسان
والقطع كأنه جمع قطعة مثل يسرة وبسر وثمرة وتمر والاتباع اقتفاء الأثر والاتباع في المذهب والابتداء بمعنى وخلافه الابتداء والادبار جمع دبر وهو جهة الخلف والقبل جهة القدام وقد يكسب بهما عن الفرج والدابر الاصل وقيل ان الدابر الآخر وعقب الرجل دابره والعمر والعمر واحد غير انه لا يجوز في القسم إلا بالفتح لأن الفتح اخف عليهم وهم يكثرون القسم بلعمرى ولعمرك فلزموا الأخف

❖ الاعراب ❖

ان دابر هؤلاء مقطوع موضع ان نصب بأنه بدل من ذلك الأمر لأنه تفسيره ويجوز أن يكون نصبا على حذف الجار فكأنه قال وقضينا اليه بأن دابرهم مقطوع وقوله مصبحين نصب على الحال ويستبشرون ايضا في موضع نصب على الحال . لعمرك مرفوع على الابتداء وخبره محذوف والتقدير لعمرك قسمي او لعمرك ما قسم به ولا يستعمل اظهار هذا الخبر قال الزجاج إن باب القسم يحذف معه الفعل تقول والله لأفعلن وبالله لأفعلن والمعنى احلف بالله فحذف الفعل للعلم به فكذلك حذف خبر الابتداء لدلالة الكلام عليه

- المعنى -

ثم اخبر سبحانه ان الملائكة لما خرجوا من عند ابراهيم «ع» اتوا لوطا «ع» يبشرونه بهلاك قومه فقال (فلما جاء آل لوط المرسلون قال إنكم قوم منكرون) وإنما قال لم لوط ذلك لأنهم جاءوه على صفة المرء على هيئة وجمال لم ير مثلهم قط فأنكر شأنهم وهياتهم وقيل انه اراد اني انكركم فعرفوني انفسكم ليطمئن قلبي (قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) أي بالعذاب الذي كانوا يشكون فيه إذا خوفتهم به (وأتيناك بالحق) (وأتيناك بالحق) أي بالعذاب المشيقن به (وإنا لصادقون) فيها اخبرناك به وقيل معناه وأتيناك بأمر الله تعالى ولا شك ان امره سبحانه حتى (فأمر بأهلك بقطع من الليل) ومعناه سر بأهلك بعد ما يمضي أكثر الليل ويبقى قطعة منه (واتبع اذبارهم) اي اقتف اثرهم وكن وراءهم لتتكون عينا عليهم فلا يتخلف احد منهم (ولا يلتفت منكم احد) أي لا يلتفت احد منكم إلى ما خلف وراءه في المدينة وهذا كما يقول القائل امض لشأنك ولا تخرج على شيء وقيل لا ينظر احد منكم وراءه لئلا يروا العذاب فيفرغوا ولا يحتمل قلبهم ذلك عن الحسن والبي مسلم (وأمضوا حيث تؤمرون) أي اذهبوا إلى الموضع الذي امركم الله بالذهاب اليه وهو الشام عن السدي (وقضينا اليه ذلك الأمر)

اي اعلنا لوطا واخبرناه واوحينا اليه ما تنزل به من العذاب (أن داير هو لاء مقطوع) يعني أن آخر من يبقى منهم يهلك وقت الصبح وهو قوله مصبحين أي داخلين في وقت الصبح والمراد انهم مستأصلون بالعذاب وقت الصباح على وجه لا يبقى منهم اثر ولا نسل ولا عقب (وجاء اهل المدينة يستبشرون) يبشر بعضهم بعضا بنزول من هو في صورة الاضياف بلوط وإنما فرحوا طمعا في ان ينالوا الفجور منهم (قال) لوط لهم (إن هو لاء ضيفي فلا تفصحون) فيهم والفضيحة الزام العار والشار بالإنسان ومعناه لا تلزموني فيهم عاراً بقصدكم اياهم بالسوء (واتقوا الله) باجتناب معاصيه (ولا تحزون) في ضيفي والغزي الاتقاع بالميب الذي يستحي منه (قالوا) اولم تنهك عن العالمين معناه اولم تنهك ان تحبب احداً او تضيف احداً قال الجبائي وهذا القول إنما كان من لوط لقومه قبل أن يعلم انهم ملائكة بثوا لإهلاك قومه وإنما ذكر موخراً وهو في المعنى مقدم كما ذكر في غير هذه السورة (قال) لوط لم وأشار إلى بناته لصلبه (هو لاء بناتي) فتزوجهن إن كان لكم رغبة في التزويج عن ابن عباس والحسن و قتادة وقوله (إن كنتم فاعلين) كناية عن النكاح إن كنتم متزوجين قيل وإنما قال ذلك للروساء الذين يكفون الاتباع وقد كان يجوز تزويج المؤمنة من الكافر يومئذ وقد كان ذلك ايضاً جائزاً في صدر شريعتنا ثم حرم عن الحسن والجبائي وقيل انهن كن بنات قومه عرضهن عليهم بالتزويج والاستغناء بين عن الذكران والأول اوضح (لعمر ك) أي وحياتك يا محمد ومدة بقائك حيا وقال المبرد هو دعاء ومعناه أسأل الله عمر ك قال ابن عباس ما خلق الله عز وجل ولا ذراً ولا براً نفساً اكرم عليه من محمد ﷺ وما سمعت الله اقم بحياة احد إلا بجماله فقال لعمر ك (إنهم لفي سكرتهم يعمهون) ومعناه انهم لفي غفلتهم يتحIRON ويترددون فلا يبصرون طريق الرشد

قوله تعالى (٧٣) فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ (٧٤) فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِنْ سِجِّيلٍ (٧٥) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ (٧٦) وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ (٧٧) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُؤْمِنِينَ (٧٨) وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ (٧٩) فَانقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مَّيْمِينٍ (٨٠) وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ الْمُرْسَلِينَ (٨١) وَأَتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٨٢) وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ يَوْتًا آمِنِينَ (٨٣) فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ (٨٤) فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ اثنتا عشرة آية

(- القراءة -)

قرأ جميع القراء الأبيكة هاءنا لأنها مكتوبة بالألف الا ورشا عن نافع فإنه يترك الهمزة ويرد حركتها إلى اللام

الحجة

إذا خفت الهمزة في الأبيكة وقد ألحقها الألف واللام حذفها وأقيت حركتها على اللام وبجوز فيه إذا استأنق لفتان فمن قال الحمر قال الأبيكة ومن قال احمر قال ابكة

(- اللفظة -)

الابكة الشجر المنف وجمعها ابك مثل شجرة وشجر قال امية

كبكا الحمام على فرو ع الأبك في الطير الجوانح

وقيل الأبيكة الفيضة والمتوسم الناظر في السمة الدالوحي العلامة ويقال وسمت الشيء ومما إذا أثرت فيه بسمة

ومنه الوسعي اول المطر لأنه يسم الارض بالنبات وتوسم الرجل طلب كلاً الوسعي قال
وأصبحن كالدموم النواعم غدوة على وجهة من طاعن متوسم
وتوسم فيه الخبير إذا عرف سمة ذلك فيه والامام الطريق والامام المبين اللوح المحفوظ والامام في اللغة هو
المتقدم الذي يتبعه من بعده . الحجز اخذ من الحجز الذي هو المتع ومنه سمي العقل حجراً لأنه يمنع من القباح
* الاعراب *

اتصّب قوله مشرقين ومصبحين على الحال يقال اشرقوا وهم مشرقون اذا صادفوا شروق الشمس وهو
طلوعها كما يقال اصبحوا اذا صادفوا الصبح فمعنى مشرقين مصادفين لطلوع الشمس وان في قوله وان كان
اصحاب الايكة مخففة من الثقيلة آمنين منصوب على الحال

* المعنى *

ثم اخبر سبحانه عن كيفية عذاب قوم لوط فقال (فأخذتهم الصيحة مشرقين) اي اخذهم الصوت
المائل في حال شروق الشمس (فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل) مضي تفسيره في سورة
هود (ان في ذلك لايات للمتوسمين) معناه ان فيما سبق ذكره من اهلاك قوم لوط لدلالات المتفكرين
المعتبرين عن قتادة وابن زيد وقيل للمتوسمين عن مجاهد وقد صح عن النبي ﷺ انه قال اتقوا فراسة
المؤمن فإنه ينظر بنور الله وقال إن الله عبادا يعرفون الناس بالتوسم ثم قرأ هذه الآية وروي عن ابي عبد الله (ع)
انه قال نحن المتوسمون والسبيل فينا مقيم والسبيل طريق الجنة ذكره علي بن ابراهيم في تفسيره (وانها
لسبيل مقيم) معناه ان مدينة لوط لطريق مسلكها الناس في حوائجهم فينظرون إلى آثارها ويعتبرون بها
لأن الآثار التي يستدل بها مقيمة ناجية بها وهي مدينة سدوم وقال قتادة ان قرى قوم لوط بين المدينة والشام
(إن في ذلك لايات) أي عبرة ودلالة (للمؤمنين) وخص المؤمنين لأنهم هم الذين اتصفوا بها (وإن كان
اصحاب الايكة لظالمين) واصحاب الايكة هم اهل الشجر الذين ارسل اليهم شعيب (ع) وارسل الى اهل
مدين فأهلكوا بالصيحة واما اصحاب الايكة فأهلكوا بالظلة التي احترقوا بناهارها عن قتادة وجماعة من المفسرين
ومعنى الآية انه كان اصحاب الايكة لظالمين في تكذيب رسولهم وكانوا اصحاب غياض فعاقبهم الله تعالى
بالحر سبعة ايام ثم أنشأ سبحانه سحابة فاستظلوا بها يلتمسون الروح فيها فلما اجتمعوا تحتها ارسل منها صاعقة
فأحرقتهم جميعا (فانتقمنا منهم) أي من قوم شعيب ومن قوم لوط أي عذبناهم بما انتقمناهم منهم والانتقام هو
المجازاة على جنابة سابقة وفرق علي بن عيسى بين الانتقام والعقاب بأن الانتقام هو قبيض الانعام والعقاب هو
قبض الثواب (وانها لايام مبين) معناه وان مدينتي قوم لوط واصحاب الايكة بطريق يوم وبتبع ويهتدى به
عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقاتدة وسعي الطريق اماماً لأن الإنسان يومه وقيل معناه وان حديث مدينتيها
لمكتوب مذكور في اللوح المحفوظ او حديث لوط وحديث شعيب عن الجبائي فيكون نظير قوله وكل شيء
أحصيناه في امام مبين والمبين الظاهر ثم اخبر سبحانه عن اهلاك قوم صالح فقال (ولقد كذب اصحاب الحجر
المرسلين) والحجر اسم البلد الذي كان فيه ثمود وإنما سمو اصحاب الحجر لأنهم كانوا سكانه كما يسمى الاعراب
الذين يسكنون البوادي اصحاب الصحارى لأنهم كانوا يسكنونها وقيل ان الحجز اسم لواد كان يسكنها هؤلاء
عن قتادة وإنما قال تعالى المرسلين لأن في تكذيب صالح تكذيب المرسلين لأنه كان يدعوهم الى ما دعا اليه
المرسلون والى الايمان بالمرسلين فكان في تكذيب احدهم تكذيب الجميع وقيل بعث الله اليهم رسلاً منهم صالح
عن الجبائي (وآتيناهم آياتنا) اي آتينا اصحاب الحجر الحجج والمعجزات والدلالات الدالة على صدق الانبياء
وقيل آتينا الرسل الآيات عن الحسن (فكانوا عنها) اي عن الآيات (معرضين) اعرضوا عن التفكير فيها

والاستدلال بها (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين) اي وكان قسوم صالح في القوة بحيث ينحتون من الجبال بيوتا يسكنونها وكانوا آمنين من خرابها وسقوطها عليهم وقيل كانوا آمنين من عذاب الله وقيل آمنين من الموت لطول اعمارهم (فأخذتهم الصيحة مصبحين) أي فأهلكوا بالصيحة في وقت دخولهم في الصباح (فما اغنى عنهم) اي فما دفع عنهم العذاب ولم يفتنهم (ما كانوا يكسبون) اي يجمعون من المال والاولاد وانواع الملاذ قوله تعالى (٨٥) وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآيَةٌ فَاصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ (٨٦) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨٧) وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (٨٨) لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَأخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (٨٩) وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ (٩٠) كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ (٩١) الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ سبع آيات

﴿ اللغة ﴾

عضين جمع عضة واصله عضوة فنقصت الواو ولذلك جمعت عضين بالنون كإفاله عزة وعزون والأصل عزوة والتعضية التريق مأخوذ من الاعضاء يقال عضيت الشيء أي فرقته وبعضته قال روية « وليس دين الله بالمعصية » وقال آخر

تلك ديار تأزم المأزما وعضوات تقطع اللهازما

وقيل أصل عضة عضبة فحذفت الهاء كما حذفت من شفة وشاة وأصلها شفبة وشاعة بدلالة ان الجمع شفاه وشياه بالهاء والتصغير شفبة وشوبهة

﴿ المعنى ﴾

(وما خلقنا السواوات والارض وما بينهما إلا بالحق) معناه وما خلقناها عبثا بل لما اقتضته الحكمة وهي انا قد تميدنا اهلها ثم نجازيهم بما عملوا (وإن الساعة) وهي يوم القيامة (لا آية) اي جآية بلا شك بعذابهم وقيل بمجازاة الخلاق كلهم وقيل هو تفسير قوله الا بالحق (فاصفح الصفح الجميل) اي فأعرض يا محمد عن مجازاة المشركين وعن مجاوتهم واعف عنهم عفوا جميلا واختلف في الآية فقيل انها منسوخة بآية القتال عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والضحاك وقيل لا نسخ فيه بل هو فيما بين النبي ﷺ وبينهم لا فيما أمر به من جهة جهادهم . أمره بالصفح عنهم في موضع الصفح لقوله فأعرض عنهم وعظهم عن الحسن قال القاضي والصفح ممدوح في سائر الحالات وهو كالحلم والتواضع وقد بلزمتنا الصفح الجميل مع لزوم التشدد في أمر الجهاد وحكي عن علي بن ابي طالب (ع) إن الصفح الجميل هو العفو من غير عتاب وقيل هو العفو بغير تعنيف وتوبيخ (ان ربك هو الخلاق) للاشياء (العليم) بتدبير خلقه فلا يمتي عليه ما يجري بينك ويجوز ان يريد ان ربك هو الذي خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اصلح الان إلى أن يؤمر بالسيف ثم ذكر سبحانه ما خص به نبيه ﷺ من النعم فقال (ولقد آتيناك سبعا من المثاني) وقد تقدم الكلام فيه وإن السبع المثاني هي فاتحة الكتاب وهو قول علي (ع) وابن عباس والحسن وابي العالية وسعيد بن جبير وابراهيم ومجاهد وقتادة وروي ذلك عن ابي عبد الله في رواية اخرى عن ابن عباس في رواية اخرى وابن مسعود وابن عمر والضحاك وقيل المثاني القرآن كله لقوله كتابا متشابها مثاني عن ابي مالك وطاوس وروي نحو ذلك عن عباس ومجاهد ومن قال هي فاتحة الكتاب

اختلفوا في سبب تسميتها مثاني فقيل لأنها نثني قرأها في الصلاة عن الحسن وإبي عبد الله (ع) وقيل لأنها تنفي بها مع ما يقرأ من القرآن عن الزجاج وقيل لأن فيها التثنية وهو الرحمن الرحيم وقيل لأنها مقسومة بين الله وعبدته على ما روي في الخبر وقيل لأن نصفها ثناء ونصفها دعاء وقيل لأنها نزلت مرتين تعظيماً وتشريفاً لها وقيل لأن حروفها كلها مشتاة نحو الرحمن الرحيم إياك وإياك والصراط وصراط وقيل لأنها نثني أهل الفسق عن الفسق ومن قال المراد بالثاني القرآن كله فإن من في قوله من المثاني يكون للتبويض ومن قال أنها الحمد كان من للتبيين وقال الراجز

نشدتكم بمنزل القرآن أم الكتاب السبع من مثاني
ثفتين من آي من القرآن والسبع سبع الطول الدواني

(والقرآن العظيم) تقديره وآيتناك القرآن العظيم وصفه بالعظيم لأنه يتضمن جميع ما يحتاج إليه من أمور الدين بأوجز لفظ واحسن نظم وأتم معنى (لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم) أي لا ترفن عينيك من هؤلاء الكفار إلى ما متعناهم وانعمنا عليهم بهامثالا في النعم من الاموال والاولاد وغير ذلك من زهرات الدنيا فإنها في معرض الزوال والفتناء مع ما يتبعها من الحساب والجزاء وعلى هذا فيكون أزواجا منصوبا على الحال والمراد به الاشياء والامثال وقيل ان معناه لا تنظرن إلى ما في أيديهم من النعم التي هي اشياء يشبه بعضها بعضا فإن ما انعمنا عليك وعلى من اتبعك من انواع النعم وهي النبوة والقرآن والاسلام والفتوح وغيرها أكثر وأوفر مما آتيناهم وقيل ان معناه ولا تنظرن ولا تعظمن في عينيك ولا تمدن إلى ما متعنا به اصنافا من المشركين والأزواج الاصناف ويكون على هذا مفعولا به نعي الله رسوله عن الرغبة في الدنيا فحظر عليه أن يمد عينيه إليها وكان رسول الله لا ينظر إلى ما يستحسن من الدنيا (ولا تحزن عليهم) أي على كفار قريش إن لم يؤمنوا ونزل بهم العذاب عن الكلي وقيل لا تحزن عليهم بما يصيرون اليه من عذاب النار بكفرهم عن الحسن وقيل لا تحزن لما نعمت عليهم دونك عن الجبائي (واخفض جناحك للمؤمنين) أي ألن لهم جانبك وارفق بهم عن ابن عباس والعرب تقول فلان خافض الجناح إذا كان وقورا حليما وأصله ان الطائر إذا ضم فرخه إلى نفسه بسط جناحه ثم خفزه فالمعنى تواضع للمؤمنين لكي يتبعك الناس في دينك (وقل اني انذار مبين) معناه وقل اني انا المعلم بموضع المخافة ليتقوا المبين لكم ما تحتاجون اليه وما ارسات به اليكم (كما أنزلنا على المقتسمين) قيل فيه قولان **﴿الاحد﴾** ان معناه أنزلنا القرآن عليك كما أنزلنا على المقتسمين وهم اليهود والنصارى (الذين جعلوا القرآن عضين) أي فرقوه وجعلوه اعضاء كأعضاء الجوزور فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه عن قتادة قال آمنوا بما وافق دينهم وكفروا بما خالف دينهم وقيل ساهم مقتسمين لأنهم اقتسموا كتب الله تعالى فآمنوا ببعضها وكفروا ببعضها عن ابن عباس **﴿والآخر﴾** ان معناه انذاركم عذابا كما أنزلنا على المقتسمين الذين اقتسموا طرق مكة بصدون عن رسول الله **﴿والثالث﴾** والإيمان به قال مقاتل وكانوا ستة عشر رجلا بعثهم الوليد بن المغيرة أيام الموسم يقولون لمن أتى مكة لا تغتروا بالخارج منا والمدعي النبوة فأنزل الله بهم عذابا فآمنوا شرمية ثم وصفهم فقال الذين جعلوا القرآن عضين أي جزأوهم اجزاء فقالوا سحر وقالوا اساطير الأولين وقالوا مفترى عن ابن عباس

﴿النظم﴾

وجه اتصال الآية الأولى بما قبلها هو ان الأمم لما خالفوا الحق أهلكوا لأن الله تعالى ما خلق السموات والارض إلا بالحق و ان الساعة آتية للجزاء وان جميع ما خلق الله يرجع إلى عالم بديوه واتصل قوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني بقوله فاصفح الصفح الجميل فإنه سبحانه لما أمره بالصفح عن أذاهم بين ما خصه الله به من النعم وما له من الحجة عليهم واتصل قوله كما أنزلنا على القول الأول بهذا أي كما أنزلنا اليك القرآن وعلى

القول الثاني يتصل بقوله انا النذير

قوله تعالى (٩٢) فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَلْتَهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٣) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٤) فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٥) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٩٦) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَاصْبِرْ بِحَسْبِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ثماني آيات

❖ اللفظة ❖

الصدع والفرق والفصل فظائر وصدع بالحق إذا تكلم به جهارا قال ابو ذؤيب كأنهن رباة وكانه لسريفيض على القداح ويصدع والصديع الصبح قال « كأن يياض غرته الصديع »

❖ الإعراب ❖

فاصدع بما تؤمر ان جعلت ما بمعنى الذي كان العائد من الصلة إلى الموصول محذوفا ويكون تقديره على استعمال الصيغة فيه فاصدع بما تؤمر بالصدع به ثم تحذف الباء التي بيته به فيصير بالصدعه ولا يجوز الاضافة مع لام المعرفة فتحذف لام المعرفة توصلا بمحذوفه إلى الاضافة فيصير بما تؤمر بصدعه ثم يحذف المضاف ويقوم المضاف اليه مقامه فيبقى بما تؤمر به ثم يحذف حرف الجر على حد قولك امرتك الخير في امرتك بالخير فيصير بما تؤمره ثم يحذف العائد المنصوب من الصلة على ما قد تكرر بيانه في مواضع فيصير بما تؤمر وهذا من لطائف اسرار النحو وإن جعلت ما مصدرية كان على تقدير فاصدع بالأمر كما تقول عجبت مما فعلت والتقدير عجبت من فعلك ولا يحتاج هنا إلى عائد يعود إلى ما لأنه حرف وحكى يونس النحوي عن رؤبة انه قال في هذه اللفظة افصح ما في القرآن

❖ المعنى ❖

لما بين سبحانه كفرهم بالقرآن وتعصيتهم له بين عقيب ذلك لئيبه ^{سبحانه} انه يسألهم عما فعلوه ويجازيهم عليه فقال (فوردك) يا محمد (لستلهم اجمعين) اقم بنفسه واذاف نفسه إلى نبيه ^{سبحانه} تشريفا له وتنبها للخلق على عظيم منزلته عنده لستلهم هو لاء الكفار سوأل تويخ وتقريع بأن تقول لهم لم عصيت وما حجتكم في ذلك فيظهر عند ذلك خزيبهم وفضيحتهم عند تعذر الجواب (عما كانوا يعملون) معناه عما عملوا فيما عملوا عن سفیان بن عيينة وقيل عن لا إله إلا الله والإيماني برسله عن الكلبي وقيل عما كانوا يعبدون وبماذا أجازوا المرسلين عن ابي العالية (فاصدع بما تؤمر) أي اظهر واعلن وصرح بما أمرت به غير خائف عن ابن عباس وابن جريج ومجاهد وابن زيد وقيل معناه فافرق بين الحق والباطل بما أمرت به عن الجبائي والأخفش وقيل ابن ماتو أمر به وأظهره عن الزجاج قال وتأويل الصدع في الزجاج وفي الخائطان تبين بعض الشيء عن بعض (واعرض عن المشركين) أي لا تخاصمهم إلى أن تؤمر بقتالهم وقيل معناه لا تلتفت اليهم ولا تخف عنهم عن ابي مسلم وقيل واعرض عن مجاوزتهم إذا أدوك عن الجبائي (إنا كفيناك المستهزين) أي كفيناك شر المستهزين واستهزاهم بأن اهلكناهم وكانوا خمسة قمر من قريش العاص بن وائل والوليد بن المغيرة وابو زمعة وهو الاسود بن المطلب والاسود بن عبد يغوث والحارث بن قيس عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقيل كانوا ستة رهط عن محمد بن ثور وسادسهم الحارث بن الغلاظة وأمه عيطلة قالوا وأتى جبرائيل النبي ^{سبحانه} والمستهزون بطوفون بالبيت فقام جبرائيل ورسول الله إلى

جنبه فمر به الوليد بن المغيرة المخزومي فأومى بيده إلى ساقه فمر الوليد على قين غزاعة وهو يجر ثيابه فتعلقت بثوبه شوكة فمنعه الكبر أن يخفض رأسه فينزعهما وجعلت تضرب ساقه فخدشته فلم يزل مريضا حتى مات ومر به العاص بن وائل السهمي فأشار جبرائيل إلى رجله فوطئ العاص على شوكة فدخلت في اخص رجله فقال لدغ فلم يزل يحكمها حتى مات ومر به الاسود بن المطلب بن عبد مناف فأشار إلى عينه فعمي وقيل رماه بورقة خضراء فعمي وجعل يضرب رأسه على الجدار حتى هلك ومر به الاسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستقى فمات وقيل اصابه السموم فصار اسود فأتى اهله فلم يعرفوه فمات وهو يقول قتلتني رب محمد ومر به الحارث بن السلاطمة فأومى إلى رأسه فامتخط فيجأ فمات وقيل ان الحرث بن قيس أكل حوتا مالخا فأصابه العطش فما زال يشرب حتى اقتد بطنه فمات ثم وصفهم سبحانه بالشرك فقال (الذين يعملون مع الله إلها آخر) أي اتخذوا معه إلها بعدونه (ف سوف يعلمون) هذا وعيد لهم وتهديد (ولقد علم أنك) يا محمد (بضيق صدرك) أي قلبك (بما يقولون) من تكذيبك والاستهزاء بك وهذا تعزية من الله تعالى لبيه وتطيب لقلبه (فسبح بحمد ربك) أي قل سبحان الله وبحمده (وكن من الساجدين) أي المصلين عن الضحاك وابن عباس قال وكان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة وقيل معناه احمد ربك على نعمه اليك وكن من الذين يسجدون لله وبوجوهن بعبادتهم اليه (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) أي إلى أن يأتيك الموت عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل حتى يأتيك اليقين من الخير والشر عند الموت عن قتادة وسمي الموت يقينا لأنه موقن به ويحتمل أن يكون أراد حتى يأتيك العلم الضروري بالموت والخروج من الدنيا الذي يزول معه التكليف قال الزجاج المعنى اعبد ربك ابد الأبدين ولو قال اعبد ربك بغير توقيت لجاز أن يكون الانسان مطيعا إذا عبد الله مرة فإذا قال حتى يأتيك اليقين فقد أمر بالإقامة على العبادة ابدا ما دام حيا

(سورة النحل)

اربعون آية من أولها مكية والباقي من قوله والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لثبوتهم إلى آخر السورة مدنية عن الحسن وقتادة وقيل مكية كلها غير ثلاث آيات نزلت في انصراف النبي ﷺ من أحد وإن عاقبتهم فاعقبوا إلى آخر السورة نزلت بين مكة والمدينة عن ابن عباس وعطا والشعبي وفي إحدى الروايات عن ابن عباس بعضها مكِّي وبعضها مدني فالمكي من أولها إلى قوله ولكم عذاب عظيم والمدني قوله ولا تشتروا بعهدي الله ثمنا قليلا إلى قوله بأحسن ما كانوا يعملون

❖ عدد آياتها ❖

مائة وثمان وعشرون آية ليس فيها اختلاف

❖ فضلها ❖

أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأها لم يمسه الله تعالى بالنعم التي أنعمها عليه في دار الدنيا وأعطى من الأجر كالذي مات وأحسن الوصية وإت مات في يوم تلاها أو ليلة كان له من الأجر كالذي مات فأحسن الوصية وروى محمد بن مسلم عن أبي جعفر «ع» قال من قرأ سورة النحل في كل شهر كفي المغرم في الدنيا وسبعين نوعا من انواع البلاء أهونه الجنون والجذام والبرص وكان مسكنه في جنة عدن وهي وسط الجنان

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سبحانه سورة الحجر بوعيد الكفار كان افتتاح هذه السورة بوعيدهم أيضا فقال
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) اَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ
 (٢) يَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا
 فَاتَّقُوا آيَاتِنَا

﴿ القراءة ﴾

تشر كون بالتاء كوفي غير عاصم والباقون بالياء تنزل الملائكة بفتح التاء والزاي والتشديد ورفع الملائكة
 روح وزيد عن يعقوب وسهل وهي قراءة الحسن والباقون ينزل بالياء بكسر الزاي ونصب الملائكة وابن كثير
 وابو عمرو ويخففان ينزل على أصلها وكذلك رويس عن يعقوب والباقون بشددون

﴿ اللفظة ﴾

قيل إن التسييح بالتشديد في اللفظة على أربعة أقسام ﴿ الاول ﴾ التنزيه كقوله سبحانه الذي أسرى ﴿ والثاني ﴾
 بمعنى الاستثناء كقوله لولا تسيحوت أي تستنون بقولكم إن شاء الله ﴿ والثالث ﴾ بمعنى الصلاة كقوله
 فلولا أنه كان من المسبحين ﴿ والرابع ﴾ بمعنى النور كما جاء في الحديث فلولا سبحات وجهه أي نوره والروح
 يأتي على عشرة أقسام الروح حياة النفوس بالارشاد والروح الرحمة كما ورد في القراءة فروح وربحان والروح
 النبوة كقوله بلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده والروح عيسى روح الله لأنه خلق من غير بشر وقيل
 من غير فعل وقيل لكونه رحمة على عباده بما يدعونه إلى الله فالروح جبرائيل (ع) والروح النسخ يقال أحييت
 النار بروحي أي بنفخي قال ذو الرمة بصف الزند والزنده

فلما بدت كفيتها وهي طفلة
 بطلساء لم تكمل ذراعاً ولا شبرا
 وقلت له ارفعها إليك وأحياها
 بروحك واقتت لها قية قدرا

والروح الوحي في قوله وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا وقيل أنه جبرائيل والروح ملك في السماء من
 اعظم من خلق الله فإذا كان يوم القيامة وقف سنا والملائكة كلهم سفا والروح روح الانسان وقال ابن عباس
 في الانسان روح وتفس فالنفس هي التي يكون فيها التمييز والكلام والروح هو الذي يكون به الغطيط والنفس
 فإذا نام العبد خرجت نفسه وبقي روجه وإذا مات خرجت نفسه وروحه معا

﴿ المعنى ﴾

(أتى أمر الله) فيه اقوال ﴿ احدها ﴾ ان معناه قرب أمر الله تعالى بعقاب هؤلاء المشركين
 المقيمين على الكفر والتكذيب عن الحسن وابن جريج قال الحسن ان المشركين قالوا للذي بعثنا بعذاب الله
 فقال سبحانه ان أمر الله آت وكل ما هو آت قريب دان ﴿ وثانيها ﴾ ان أمر الله احكامه وفرائضه عن
 الضحاك ﴿ وثالثها ﴾ ان أمر الله هو يوم القيامة عن الجبائي وروي نحوه عن ابن عباس وعلى هذا الوجه
 فيكون أتى بمعنى يأتي وجاء وقوع الماضي هنا لصدق المخبر بما أخبر به فصار بمنزلة ما قد مضى ولأن سبحانه قريب
 أمر الساعة فجعله اقرب من لمح البصر وقال اقتربت الساعة (فلا تستعجلوه) خطاب للمشركين المكذبين يوم
 القيامة ولعذاب الله المستهزئين به وكانوا يستعجلونه كما حكى الله سبحانه عنهم قولهم فأمطر علينا حجارة من
 السماء وتقديره قل هؤلاء الكفار لا تستعجلوا القيامة والعذاب فإن الله سيأتي بكل واحد منها في وقته وحينه

كما تقتضيه حكمته (سبحانه وتعالى عما بشر كون) هذه كلمة تنزيه لله تعالى عما لا يليق به وبصفاته وتنزيه له من أن يكون له شريك في عبادته أي جيل وتقدس وتنزه من أن يكون له شريك تعالى وتعظم وارقق مع جميع صفات النفس (ينزل الملائكة) أي ينزل الله الملائكة أو تنزل الملائكة (بالروح من أمره) أي بالوحي عن ابن عباس وقيل بالقرآن عن ابن زيد وهما واحد وسمي روحاً لأنه حياة القلوب والنفوس بالارشاد إلى الدين وقيل بالنبوة عن الحسن وقوله من أمره أي بأمره ونظيره قوله يحفظونه من أمر الله أي بأمر الله لأن أحداً لا يحفظه عن أمره (على من يشاء من عباده) بمن يصلح للنبوة والسنارة بينه وبين خلقه (ان انذروا انه لا إله إلا أنا فاتقون) هذا تنسير للروح المنزل وبدل منه فإن المعنى تنزل الملائكة بأن انذروا أهل الكفر والمعاصي بأنه لا إله إلا أنا أي مروج بتوحيدني وبأن لا بشر كواي شيئاً ومعنى فاتقون فاتقوا مخالفتي وفي هذا دلالة على ان الغرض من بعث الأنبياء الانذار والدعاء إلى الدين

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال قوله سبحانه وتعالى بما تقدم ان الكفار كانوا يستعجلون العذاب على وجه التكذيب به ويكذبون اليأس والقيامه بين سبحانه انه منزه عما يصنون به فإن الحكم إنا كلف وجب أن يجازي المكلف قترك المعازاة تريح وقيل لهم كانوا يتكفرون قدرة الله تعالى سبحانه على إعادة خلق فنزه نفسه عن قوطم واتصل قوله بنزل للملائكة بالروح من أمره سبحانه لما أوعدهم بالعذاب بين انه ينزل الملائكة للتخريف وانه لا يأخذ أحداً من المشركين حتى يعطي عليه بالتدبر وقيل انه سبحانه بين ان الحال حال التكليف لا سال نزول العذاب وان الصلاح الآن تنزل الملائكة إلى النبي بالوحي والكتاب للانذار وبیان الأدلة ولذلك اتبعه بذكر الأدلة

قوله تعالى (٣) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٥) وَالْأَنْعَامَ خَلَقْنَا لَكُمْ فِيهَا دِفٌّ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٦) وَلَكُمْ فِيهَا جَسَالٌ حِينَ تُرْجَعُونَ وَحِينَ تُنْسَرَسُونَ (٧) وَتَحْمِلُ أُنْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغَيْبِ إِلَّا أَيْتِي الْأَنْثَىٰ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤوفٌ رَحِيمٌ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو جعفر بشق الأتس بفتح الشين والباقون بكسرها

﴿ الحجة ﴾

الشق والشق بكسر الشين وفتحها بمعنى وكلاهما المشقة قال عمرو بن ملقط وهو جاهلي « والحيل قد تجشم أربابها الشق » وقد تعسف الراوية والرواية بفتح الشين

(اللغة) =

الانعام جمع نم وهي الأبل والبقر والغنم سميت بذلك لنعمة مشيها بخلاف الحافر الذي يصلب مشيها والدف ما استفدت به ودفوف يومنا دفاً فهو دفي والاراحة رد الماشية بالمشي من مراعيها إلى مباركها والمكان الذي يراح فيه مراح والسروح خروج الماشية إلى المرعى بالغداة يقال مرحت الماشية مرحاً ومرحاً ومرحها أهلها قال

كأن بقايا الاثر فوق متونه مذب الدبا فوق النقا وهو سارح

والانقال جمع النقل وهو المتاع الذي ينقل حمله

✽ الاعراب ✽

والانعام منصوب بفعل مقدر يفسره ما بعده والتقدير وخلق الانعام خلقها وقوله لكم فيها دفء جملة منصوبة
الموضوعة على الحال من الانعام والتقدير كائنة بهذه الصفة

✽ المعنى ✽

لما تقدم ذكر بعث الملائكة للانذار وبيان التوحيد وشرائع الاسلام اتبعه سبحانه بالاحتجاج على الخلق
بالخلق وتمداد صنوف الانعام فقال (خلق السماوات والارض بالحق) ومعناه انه خلقها ما لا يتبدل بهما على معرفته ويتوصل
بالنظر فيهما إلى العلم بكمال قدرته وحكمته وقيل خلقها ليشتم بها في الدين والدنيا ليعمل بالحق (تعالى عما يشركون) اي تقدر
عن ان يكون له شريك ثم بين سبحانه دلالة اخرى فقال (خلق الانسان من نطفة) والنطفة الماء القليل غير انه بالاعتبار صار
اسما للفعل (فأذا هو خصم مبين) اختصرها هنا ذكر تقليب احوال الانسان لذكره ذلك في امكنة كثيرة من القرآن
فالمعنى انه خلق الانسان من نطفة سيالة ضعيفة مهينة دبرها وصورها بعد ان قلبها حالا بعد حال حتى صارت
انسانا يخاصم عن نفسه ويبين عما في ضميره فيبين سبحانه انقص لحوال الانسان واكلها منها على كمال قدرته وعلمه
وقيل خصيم مجادل بالباطل مبين ظاهر الخصومة عن ابن عباس والحسن فعلى هذا يكون المعنى انه خلقه ومكنه
فأخذ يخاصم في نفسه وفيه تعريض لفاحش ما ارتكبه الانسان من تضييع حق نعمة الله عليه ثم بين سبحانه نعمته
في خلق الانعام فقال (والانعام خلقها) معناه وخلق الانعام من الماء كما خلقكم منه يدل عليه قوله والله خالق كل
دابة من ماء واكثر ما يتناول الانعام الابل ويتناول البقر والغنم ايضا وفي اللغة هي ذوات الاخفاف والاطلاف
دون ذوات الحوافر (لكم فيها دفء) اي لباس عن ابن عباس ومجاهد وقيل ما يستدفأ به مما يعمل من صوفها
ووبرها وشعرها عن الحسن فيدخل فيه الاكسية واللحف والمدرسات وغيرها قال الزجاج اخبر سبحانه ان في
الانعام ما يدفئنا ولم يقل ولكم فيها ما يكتنكم من البرد لأن ما ستر من الحر ستر من البرد وقال في موضع
آخر سراويل تقيكم الحر فعلم انها تقي البرد ايضا فكذلك هاهنا وقيل ان معناه وخلق الانعام لكم اي لمنافعكم
ثم ابتداء واخبر وقال فيها دفء عن الحسن وجماعة (ومنافع) معناه ولكم فيها منافع اخر من الحمل والركوب
وانثارة الارض والزرع والنسل (ومنها تأكلون) اي ومن لحمها تأكلون (ولكم فيها جمال) اي حسن منظر
وزينة (حين تريحون) اي حين تردونها إلى مراحمها وهي حيث تأوى اليه ليلا (وحين تسرحون) اي حين ترسلونها
بالفداة إلى مراعيها واحسن ما يكون النعم إذا راحت عظاما وضروعها مستلثة بطونها منتصبه استمتها وكذلك
إذا سرحت إلى المراعي رافعة رؤوسها فيقول الناس هذه جمال فلان ومواشيه فيكون له فيها جمال (وتحمل
اتقالكم) اي امتكنكم (إلى بلد لم تكونوا باليه إلا بشق الأنفس) أي وتحمل الابل وبعض البقر احمالكم
الثقيلة إلى بلد بعيدة لا يمكنكم أن تلبثوه من دون الأحمال إلا بكلفة ومشقة تلحق انفسكم فكيف تلبثونه
مع الاحمال لولا أن الله تعالى سخر هذه الانعام لكم حتى حملت اتقالكم إلى اين شئتم وقيل إن الشق معناه
الشطر والنصف فيكون المراد الا بأن يذهب شطر قوتكم اي نصف قوة الأنفس وقيل معناه تحمل اتقالكم
إلى مكة لأنها من بلاد الفلوات عن ابن عباس وعكرمة (إن ربكم لرؤوف) أي ذو رأفة (رحيم) أي ذو
رحمة ولذلك انعم عليكم بخلق هذه الانعام ابتداء منه بهذه الانعام

قوله تعالى (٨) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٩)
وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (١٠) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١١) بَنَيْتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ

وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٢) وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مَسْخَرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٣) وَمَا ذَرَأَّا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ست آيات

❁ القراءة ❁

قرأ حماد ويحيى عن أبي بكر عن عاصم نثبت بالنون والباقون بالياء وقرأ ابن عامر والشمس والقمر والنجوم مسخرات كلها بالرفع وقرأ حفص عن عاصم والشمس والقمر بالنصب والنجوم مسخرات بالرفع وقرأ الباقر كل ذلك بالنصب

(- الحجة -)

من قرأ ينبت بالياء فلما تقدم من قوله هو الذي اتزل فاليا. اشكل بما تقدم من الافراد والنون لا يتنوع ايضا ويقال نبت البقل وأنبت الله قال ابو علي والنصب في قوله والشمس والقمر احسن ليكون معطوفا على ما قبله وداخلا في امرابه ألا ترى أن ما في التنزيل من نحو قوله وكلا ضربنا له الامثال والظالمين اعد لهم عذابا اليا يختار فيه النصب ليكون مثل ما يعطف عليه ومشاكلا له فكذلك هنا إذا حمل ذلك على التسخير كان اشبه فلون قلت فقد جاء مسخرات بعده هذه الاشياء المنصوبة المحمولة على سخر فلان ذاك لا يتنوع لان الحال تكون مؤكدة ومجيبه الحال مؤكدة في التنزيل وغيره كثير كقوله وهو الحق مصدقا وانا ابن دارة معروفا وكفى بالنأي من اساءه كاف ويقوي النصب قوله تعالى وسخر لكم الشمس والقمر دائبين فكما حمل هنا على التسخير كذلك في الاخرى وكذلك النجوم قد حملت على التسخير في قوله وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر وكان ابن عامر قطعها عن سخر لثلا يجعل الحال مؤكدة فابتدأ الشمس والقمر والنجوم وجعل مسخرات خبرا عنها ويدل على جواز ذلك انه إذا جاء سخر لكم الشمس والقمر والنجوم علم من هذا انها مسخرات فجاز الاخبار بالتسخير عنها لذلك وأما حفص فلانها رفع والنجوم مسخرات لانه لا يصح أن يقال وسخر النجوم مسخرات فقطعها بما قبلها فعلى هذا يكون حجة من نصب أن يقدر فعلا آخر وتقديره وجعل النجوم مسخرات

❁ اللفظة ❁

القصد استقامة الطريق يقال طريق قصد وقاصد إذا قصد إلى ما يريد والجانر المائل عن الحق والشجر ما ينبت من الأرض وقام على ساق وله ورق وجمعه اشجار ومنه المشجرة لتداخل بعض الكلام في بعض كتداخل ورق الشجر وقال الازهري الشجر ما ينبت من الأرض قام على ساق أو لم يقم تسمون من الاسامة يقال اسمت الإبل إذا رعيتها واطلقتها فترعى متصرفه حيث شئت وسامت هي إذا رعت وهي تسوم وإبل سائمة ويقال ستمها إذا قصرتها على مرعى بعينه وستمها الحسف إذا تركتها على غير مرعى ومنه قيل سيم فلان خسفا إذا ذل واهتمضم قال الكمي في الاسامة

راعيا كان مسجى ففقدناه وفقد المسيم هلك السوام

وقال آخر

وأسكن ما سكنت بيطن وادر وأظعن إن ظعننت فلا اسيم

وذهب قوم إلى أن السوم في البيع من هذا لأن كل واحد من المتبايعين يذهب فيما يبيعه من زيادة ثمن او نقصانه إلى ما يهواه كما تذهب السائمة حيث شئت وقد جاء في الحديث لا سوم قبل طلوع الشمس فعمله قوم على أن

المواشي لا تسام قبل طلوع الشمس ثلاثا تنتشر وحمله آخرون على أن البيع في ذلك الوقت مكروه لأن المبيع لا تنتشر صوبه فيدخل في بيع الغرر المنهي عنه والذرا أظهر الشيء بأو يجاده يقال ذرأه يذراء وذراءه وفطره وانشأه نظائر وملح ذرأه في ظاهر اليباض

﴿ الإعراب ﴾

نصب الخيل والبغال والحمير على انها مفعول في المعنى أي وخلق الخيل والبغال والحمير ونصب زينة لأنها مفعول لها المعنى وخلقها زينة وما ذرأ ما بمعنى الذي وموضعه نصب على تقدير وخلق ما ذرأ لكم وقيل هو في موضع الجر بالطف على ذلك أي أن في ذلك وفي ما ذرأ لكم - مختلفا نصب على الحال والرواثة فاعله

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف سبحانه على ما عدده من صنوف انعامه فقال (والخييل) أي وخلق لكم الخيل (والبغال والحمير لتركبوها) في حوائجكم وتصرفاتكم (وزينة) أي ولتزينوا بها من الله تعالى على خلقه بأن خلق لهم من الحيوان ما يركبونه ويتجملون به وليس في هذا ما يدل على تحريم اكل لحومها وقدروى البخاري في الصحيح مرفوعا إلى اسما بنت ابي بكر قالت اكلنا لحم فرس على عهد رسول الله ﷺ (ويخلق مالا تعلمون) من انواع الحيوان والنبات والجلاد لنا فكمكم (وعلى الله قصد السبيل) أي بيان قصد السبيل عن ابن عباس ومعناه واجب على الله في عدله بيان الطريق المستقيم وهو بيان الهدى من الضلالة والحلال من الحرام ليتيم الهدى والحلال ويحسب الضلالة والحرام وهذا مثل قوله إن علينا لهدى (ومنها جائر) معناه من السبيل ما هو جائر أي عادل عن الحق (ولوشاء لهداكم اجمعين) إلى قصد السبيل بالإيجاب والقهر فإنه قادر على ذلك وقيل معناه لهداكم إلى الجنة والثواب تفضلا عن الجاني وأبي مسلم وقيل إن معنى الآية وعلى الله المرء ومن الطريق التي المر فيها على الله جائر وكلاهما على الله لا يخرج احدا عن قبضته وحكمه كقوله إن ربك لبالمرصاد وقيل على الله مر ذيب السبيل القصد والسبيل الجائر واليه مرجع كل واحد منها لا يخرج واحد عن سلطانه ولو أراد ان يجعل الجميع على الحق لفعل ومن عدل عن الطريق المستقيم فليس ذلك لعجز من الله تعالى ثم عد سبحانه نعمة اخرى دالة على وحدانيته فقال (هو الذي انزل من السماء ماء) أي مطرا (لكم منه شراب) أي لكم من ذلك الماء شراب تشربونه (ومنه شجر) فيه وجهان ﴿ احدهما ﴾ ان يكون المراد ومنه شرب شجر أوسقي شجر فحذف المضاف والآخر أن يكون المراد ومن جهة الماء شجر ومن سقيه وانبتاه شجر فحذف المضاف الى الماء في منه كما قال زهير

أمن ام اوفى دمنة لم تكلم
أي امن ناحية ام اوفى وقال ابو ذؤيب
امنك البرق ارقبه فهاجا
أي أمن جهتك وقال الجعدي
لمن السديار عفون بالتهطال
بقيت على حجيج خلون طوال

أي على مر حجيج والمعنى وينبت منه شجر ونبات (فيه تسيون) أي ترعون انعامكم من غير كلفة والتزام موثقة لعلها (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات) أي ينبت الله لكم بذلك المطر هذه الأشياء التي عددها لتتفعوا بها (ان في ذلك لآية) أي دلالة وحجة واضحة (لقوم

يتفكرون) فيه فيعرفون الله تعالى به وخص المتفكرين فيه لأنهم المتفكرون به (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر) قد مضى بيانه والتسخير في الحقيقة للشمس والقمر لأن النهار هو حركات الشمس من وقت طلوع الفجر الى وقت غروب الشمس والليل حركات الشمس تحت الأرض من وقت غروب الشمس الى وقت طلوع الفجر الا انه سبحانه اجرى التسخير على الليل والنهار على سبيل التجوز والاتساع (والنجوم مسخرات بأمره) مضى بيانه (إن في ذلك) التسخير (لآيات) أي دلالات (لقوم يعقلون) عن الله وينبشون ان المسخر لذلك على هذا تقدير الذي لا يختلف لأجل منافع خلقه ومصالحهم والمدير لذلك قادر عالم حكيم (وما ذره لكم في الأرض) أي سخر لكم ما خلقه لكم في الأرض أي لقوام ابدانكم من الملابس والمطاعم والمناكح من انواع الحيوان والنبات والمعادن وسائر النعم (مختلفا لوانه) لا يشبه بعضها بعضا (ان في ذلك لآية) أي دلالة (لقوم يذكرون) أي يتفكرون في الادلة فينظرون فيها ويتعظون ويعتبرون بها

قوله تعالى (١٤) وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لَنَا كُلُّوْا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَاسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلَيَبُنُّوْا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَ (١٥) وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًّا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُوْنَ (١٦) وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُوْنَ (١٧) أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُوْنَ (١٨) وَإِنْ تَعُدُّوْا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوْهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قراءة الحسن وبالنجم بضم النون

﴿ الحجة ﴾

هو جمع نجم مثل سقف وسقف ورهن ورهن

﴿ اللفظة ﴾

المخرشق الماء من عن يمين وشمال مخرت السفينة الماء تمخر مخرها فهي ماخرة والمخر ايضا صوت هبوب الريح اذا اشتد هبوبها ومخر الأرض شقها للزراعة ومخرها بالماء اذا ارسل عليها الماء لتطيب والمهد الميل يمينا وشمالا وهو الاضطراب ماد يميد ميذا والعلامة صورة يعلم بها المعنى من خط او لفظ او اشارة او هيئة وقد تكون وضعية وقد تكون برهانية

﴿ الاعراب ﴾

قوله أن تميد بكم في موضع نصب بأنه مفعول له وتقديره كراهة ان تميد بكم وانتصب قوله وانهاراوسبلا بحذوف تقديره وجعل لكم انهارا لدلالة قوله التي عليه لأنه لا يجوز ان يكون عطف على التي ومثله قوله «علفتها تبتا وما بارد» وقول الآخر

تسمع في اجوافهن سردا وفي اليدين جسأة وبردا

أي وترى في اليدين يديا وتفرقا وعلامات مندوب عطف على قوله وانهارا وسبلا وقيل وخلق لكم علامات

﴿ المعنى ﴾

تم عدد سبحانه نوعا آخر من انواع نعمه فقال (وهو الذي سخر البحر) اي ذلله لكم وسهل لكم الطريق الى ركوبه واستخراج ما فيه من المنافع (لتأكلوا منه لحما) اي تصطادوا منه انواع السمك وتأكلوا لحمه (طريا) ولا يجوز ان يهز طريا لأنه من الطراوة (وتستخرجوا منه حلية) يعني اللآلئ التي تخرج من البحر بالعرض (تلبسونها) وتزينون بها وتلبسونها نساءكم واولادكم تسخير سبحانه ذلك لكم لما قدرتم على الذنوب منه والعرض فيه (وترى الفلك مواخر فيه) اي ترى ابيها الانسان السفن شواق في البحر وقواطع لمانه عن عكرمة وقيل جوازي عن ابن عباس (وتبتغوا من فضله) اي واتركوه للتجارة وتطلبوا من فضل الله تعالى (ولعلكم تشكرون) اي ولكي تشكروا الله على نعمه ليزيدكم منها ويثيبكم والواو انما دخلت في ذلك للدلالة على ان الله سبحانه أراد جميع ما ذكره إنعاما منه على عباده (والقي في الأرض رواسي) اي جبالا عالية ثابتة واحدها راسية (ان تמיד بكم) الأرض اي كراهة ان تמיד بكم أو لتأقيد بكم اي تتحرك وتضطرب (وانهارا) اي وجعل فيها انهارا (وسبلا) اي طرقا لكي تجروا الماء في الانهار الى بساتينكم وحيث تريدون وتهتدوا بالطرق الى حيث مشتتم من البلاد وقيل اراد بالانهار النبل والقرات ودجلة وسبحان وجيحان وأمثالها (لعلكم تهتدون) قد ذكرنا معناه وقيل لتهتدوا بها الى توحيد الله (وعلامات) وجعل لكم علامات اي معالم تعلم بها الطرق وقيل العلامات الجبال يهتدى بها نهارا (وبالنجم هم يهتدون) ليلا عن ابن عباس والمراد بالنجم الجنس اي جميع النجوم الثابتة وقيل تم الكلام عند قوله وعلامات ثم ابتداء بالنجم هم يهتدون وقيل ان العلامات هي النجوم ايضا لأن من النجوم ما يهتدى بها ومنها ما يكون علامات لا يهتدى بها عن قتادة ومجاهد وقيل أراد به الاهتداء في القبلة قال ابن عباس سألت رسول الله ﷺ عنه فقال الجدي علامة قبلكم وبه تهتدون في برهم وبحركم وقال ابو عبد الله (ع) نحن العلامات والنجم رسول الله ﷺ وقال ان الله جعل النجوم أمانا لأهل السهول وجعل أهل بيتي أمانا لأهل الأرض (أفمن يخلق كمن لا يخلق) معناه أفمن يخلق هذه الأشياء في استحقاق العبادة والإيمانية كالاصنام التي لا تخلق شيئا حتى يسوي بينها في العبادة وبين خالق جميع ذلك (أفلا تذكرون) اي أفلا تذكرون أيها المشركون فتعجبون وتعرفون ان ذلك من الحطأ الفاحش وجعل من فيا لا يعقل لما اتصل بذكر الخلق ثم عطف سبحانه على ذلك تذكرا كثيرة نعمه فقال (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) معناه وإن أردتم تعداد نعم الله سبحانه عليكم ومعرفة تفاصيلها لم يمكنكم احصاؤها ولا تعديدها وإنما يمكنكم ان تعرفوا جملها بين سبحانه ان من وراء النعم التي ذكرها نعماء لا تحصى (ان الله لغفور) لما حصل منكم من تقصير في شكر نعمه (رحيم) بكم حيث لم يقطعها عنكم بتقصيركم في شكرها

قوله تعالى (١٩) وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢١) آمَاتٌ غَيْرٌ أَحْيَاءُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٢٢) إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (٢٣) لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُغِيبُ الْمُسْتَكْبِرِينَ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

والذين يدعون بالياء عاصم غير الاعشى والبرجمي عن ابي بكر ويعقوب وسهل والباقون بالتاء.

— الحجة —

من قرأ بالتاء فلأن ما بعده وما قبله خطاب ومن قرأ بالياء وجه الخطاب الى النبي ﷺ ويكون الخبر عن المشركين

المعنى

لما قدم سبحانه الدعاء إلى عبادته بذكر نعمه وكمال قدرته عقبه ببيان علمه بسريرة كل أحد وعلى نيته ثم ذكر بطلان الإشراك في عبادته فقال (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) أخبر سبحانه انه يعلم ما يسرونه وما يظهره فيجازيهم على افعالهم إذ لا يخفى عليه الجلي والخبى من أحوالهم (والذين يدعون من دون الله) إلهها (لا يخلقون شيئا وهم يخلقون) يعني الاصنام لا يمكنها خلق شيء بل هي مخلوقة مربية منحوتة من الحجر والخشب ونحوها مما هو مخلوق لله تعالى ثم قال (اموات) اي هي اموات (غير احياء) اكد كونها امواتا بقوله غير احياء لتفني الحياة عنها على الاطلاق فإن من الاموات من سبقت له حالة في الحياة وله حالة منتظرة في الحياة بخلاف الاصنام فإنه ليس لها حياة سابقة ولا منتظرة وقال موات ولم يقل اموات وان كان الاموات جمع الميت الذي كان فيه حياة فزالا لأنهم صور والاصنام على صور العقلاء وهياتهم وعاملوها معاملة العقلاء تسمية واعتقادا ولذلك قال لا يخلقون شيئا وهم يخلقون (وما يشعرون أيا نبيعتون) معناه وما تشعر هذه الاصنام متى تبعث عن الفراء وقيل في الآية ان معناه هم اموات يعني ان الكفار في حكم الاموات لذهابهم عن الحق والدين ولا يدرون متى يبعثون وقيل ان المعنى ولا تدري الاصنام متى يبعث الخلق عن الجبائي وأيان في موضع نصب يبعثون وقرئ في الشواذ ايان بكسر الهززة والفتح افصح واصح ثم خاطب سبحانه عباده فقال (إلهكم إله واحد) لا يقدر على ما يستحق به العبادة من خلق أصول النعم سواء فاقبوا على عبادته (فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) اي جاحدة للحق تستبعد ما يرد عليها من المراءظ (وهم متكبرون) عن الانقياد للحق ذاهبون عنه دافعون له من غير حجة والاستكبار طلب الترفع بترك الاذعان للحق ثم قال سبحانه (لا جرم) اي حقا وهو بقرينة اليمين قال الخليل وهو كلمة تحقيق ولا يكون إلا جوابا لقول فعلوا كذا فيقول السامع لا جرم يندمون وقال الزجاج معناه حق ان الله ووجب ان الله ولا رد فعلهم قال الشاعر

ولقد طعنت ابا عيينة طعنة جرمت فزاره بعدها ان يغضبوا

المعنى احقت فزاره بالغضب وقال ابو مسلم أصله من الكسب فكانه قال لا يحتاج في معرفة هذا الامر الى اكتساب علم بل هو معلوم (ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) وهذا تهديد لهم بأنه عالم بجميع احوالهم فيجازيهم على احوالهم وافعالهم (انه لا يجب المتكبرين) اي المتعظمين الذين يأفنون ان يكونوا اتباعا للانبيا اي لا يريد ثوابهم وتخليصهم

قوله تعالى (٢٤) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٥) لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ (٣٦) قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاتَى اللَّهُ بُيُوتَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٢٧) ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَشَاقِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ (٢٨) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَتَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٩) فَأَدْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ

ست آيات

— (القراءة) —

قرأ نافع وحده تشاقرون بكسر النون والباقون بفتحها وقرأ حمزة وخلف في الموضعين يتوفاهم بالياء. والباقون بالياء. وفي الشواذ قراءة مجاهد عليهم السقف بضم السين وروي عن أهل البيت (ع) فأثنى بنيتهم من القواعد

— (الحجة) —

قد تقدم الوجه في قراءة نافع في سورة الحجر عند قوله فهم تبشرون فأما قراءة حمزة يتوفاهم بالياء فلأن الفعل مقدم والامالة حسنة في هذا النحو من الفعل ومن قرأ بالياء فلأن الجماعة مؤنثة كما جاء. وإذ قالت الملائكة

﴿ اللغة ﴾

قد مضى معنى الأساطير والاوزار في سورة الانعام والقواعد الاساس والواحدة القاعدة وقواعد المردج خشبات اربع معترضات في اسفله والشقاق الخلاف في المعنى وتشاقرون تكونون في جانب والمسلمون في جانب ومن ثم قيل لمن خرج عن طاعة الامام وعن جماعة المسلمين شق عصا المسلمين اي صار في جانب عنهم فلم يكن مجتمعا معهم في كلمتهم وهو مأخوذ من الشق الذي هو النصف كأنه صار في شق غير شقهم

— « الاعراب » —

ما أنزل ما مبتدأ وذا بمعنى الذي والمعنى ما الذي أنزل ربكم وأساطير مرفوعة على الجواب كأنهم قالوا الذي أنزل اساطير الأولين وتقديره وإذا قيل لهم هذا القول فالذي قام مقام فاعل قيل هو المصدر لا الجملة لأن الجملة نكرة والفاعل يجوز اضراره والمضمر لا يكون قط نكرة بل هو أعرف المعارف وقوله ومن أوزار الذين يضلونهم من زيادة على قول الاخفش اي: واوزار الذين يضلونهم وعلى قول سيويه هو صفة مصدر محذوف وتقديره واوزار من أوزار الذين يضلونهم وما يزررون في موضع رفع كما يرفع بعد بش ونعم وتقديره وبش الشيء وزرهم فأحرف موصل ويزرون صلته وظالمى انفسهم نصب على الحال اي في حال ظلمهم انفسهم

— « المعنى » —

ثم ابان سبحانه عن احوال المشركين واقوالهم فقال (وإذا قيل لهم) اي لشركي قريش (ماذا أنزل ربكم) على محمد صلى الله عليه وسلم (قالوا اساطير الأولين) اي أجادوا فقالوا هذا المنزل في زعمكم هو عندنا لحديث الأولين الكاذبة عن ابن عباس وغيره ويروي انها نزلت في المقتسمين وهم ستة عشر رجلا خرجوا إلى عقاب مكة ايام الحج على طريق الناس على كل عقبة اربعة منهم ليصدوا الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم وإذا سأهم الناس عما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا أحاديث الأولين وابطالهم عن الكافي وغيره (ليحملوا اوزارهم كذبة يوم القيامة) اللام للمعاقبة والمعنى كان عاقبة امرهم حين فعلوا ذلك ان حملوا اوزار كفرهم تامة يوم القيامة (ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم) أي ويحملون مع اوزارهم بعض اوزار الذين أضلواهم عن سبيل الله وانغروهم عن اتباع الحق وهو ورد الاضلال والافتراء ولم يحملوا وزر غوايتهم وضلالهم وقوله بغير علم معناه من غير علم منهم بذلك بل جاهلين به وعلى هذا ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايا داع دعا إلى الهدى فاتبع فله مثل اجرهم من غير ان ينقص من اجرهم شيئا وايا داع دعا إلى ضلالة فاتبع عليه فان عليه مثل اوزار من اتبعه مسن غير ان ينقص من اوزارهم شيئا (ألا ساء ما يزررون) أي بنس الحمل حملهم وهو ما يحملونه من الآثام لأنه إذا تحمل الله ودخل النار كان سيبا فكيف إذا تحمله بسبب فعل غيره (قد مكر الذين من قبلهم) أي من قبل هؤلاء المشركين بأنبيائهم من جهة التكذيب وغيره وهذا على سبيل التسلية لتبيننا صلى الله عليه وسلم والوميد لقومه (فأثنى الله بنبيهم من الله بعد) أي أثنى امر الله بنبيائهم التي بنوها من جوانب قواعدها فهدمها عن ابن عباس قال يعني ثرود بن كنعان بنى صرحا طويلا ورام منه الصعود إلى السماء ليقاتل أهلها بزعمه فأرسل الله ريحا فأثقت رأس

الصرح في البحر وغر عليهم الباقي وقال الزجاج من القواعد يريد من اساطين البناء التي تعدده وقيل هربحت نصر وقيل ان هذا مثل ضربه الله سبحانه لاستئصالهم ولا قاعدة هناك ولا سقف والمعنى فأنتى الله مكرهم من أصله أي عاد ضرر المكر عليهم وبهم عن الزجاج وابن الاباري وهذا الوجه أبقى بكلام العرب كما قالوا أنتى فلان من مأمنه أي أنه الهلاك من جهة مأمنه وانما أسند سبحانه الإتيان إلى نفسه من حيث كان تحريب قواعدهم من جهته (فخر عليهم السقف من فوقهم) انما قال من فوقهم مع حصول العلم بان السقف لا يكون إلا من فوق لا حد وجوه منها ﴿ انه للتوكيد كما تقول لمن خاطبته قلت انت كذا وكذا وكما يقال مشيت برجلي وتكلمت بلساني ﴾ ومنها ﴿ انما قال ذلك ليدل على انهم كانوا تحته فإن الانسان قد يقول بيتي قد تهدم علي وان لم يكن هو تحته ﴾ ومنها ﴿ ان يكون علي في قوله فخر عليهم بمعنى عن فيكون المعنى فخر عنهم السقف من فوقهم اي خر عن كفرهم وجحدهم بالله وآياته والمراد من اجل كفرهم كما يقال اشتكى فلان عن دواء شربه وعلى دواء شربه اي من اجل الدواء قال الشاعر « ارمى عليها وهي فرع اجمع » اراد ارمى عنها ولو قال علي هذا المعنى فخر عليهم السقف ولم يقل من فوقهم لجاز ان يتروهم متروهم ان السقف خرو ليس هم تحته والعرب لا تستعمل نفاذة على في مثل هذا الموضع إلا في الشر والأمر المكروه (واتهم العذاب من حيث لا يشعرون) اي جاءهم عذاب الاستئصال من حيث لا يعلمون لأنهم ظنوا انهم على حق فكانوا لا يتوقعون العذاب وهذا مثل قوله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا (ثم يوم القيامة يخزيهم) معناه ثم انه تعالى مع ذلك يذاهم ويفضهم يوم القيامة على رؤوس الخلائق ويهينهم بالعذاب اي لا يقتصر بهم على عذاب الدنيا (ويقول) على سبيل التوبيخ لهم والتهجين (أين شركائي) الذين كنتم تشركونهم معي في العبادة على زعمكم (الذين كنتم تشاقرون فيهم) أي تعادون المؤمنين على قرارة فتح النون وعلى الكسر تعادونني فيهم (قال الذين أوتوا العلم) بالله تعالى وبدينه وشرائعه من المؤمنين وقيل هم الملائكة عن ابن عباس (ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين) أي ان الهوان اليوم والعذاب الذي يسوء على الجاحدين نعم الله المنكرين لتوحيدهم وصدق رسله (الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم) الذين في موضع جر بأنه بدل من الكافرين أو صفة لهم ومعناه الذين يقبض ملك الموت واعوانه ارواحهم ففارقوا الدنيا وهم ظالمون لانفسهم بإصرارهم على الكفر (فاتقوا السلم) أي استسلموا لاحق وانقادوا حين لا ينفعهم الانقياد والاذعان (ما كنا نعمل من سوء) اي يقولون ما كنا نعمل عند انفسنا من سوء أي من معصية فكذبهم الله تعالى وقال بلى قد فعلتم (ان الله عليهم بما كنتم تعملون) في الدنيا من المعاصي وغيرها وقيل انه يقول لهم ذلك المؤمنون الذين أوتوا العلم والملائكة (فادخلوا ابواب جهنم) أي طبقات جهنم ودرجاتها (خالدين فيها فلبس مشوى المتكبرين) أي بنس منزل المتعظمين من قبول الحق واللام للتوكيد

قوله تعالى (٣٠) وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (٣١) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (٣٢) الَّذِينَ نَلَّوْا فَاُحْمَ الْمُؤْمِنِينَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٣) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٣٤) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ

﴿ الإعراب ﴾

ماذا أنزل ربكم ما وذا هنا كالشيء الواحد وتقديره أي شيء أنزل ربكم وخيرا منصوب على انه جواب ماذا أي انزل خيرا وقوله للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة يجوز ان يكون تفسيرا لقوله خيرا ويجوز ان يكون ابتداء كلام ولنعم دار المتقين المخصوص بالمدح محذوف المعنى ولنعم دار المتقين دار الآخرة والمبين لقوله دار المتقين جنات عدن وتقديره هي جنات عدن فيكون خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون جنات عدن مرتفعة بالابتداء وتكون المخصوصة بالمدح والتقدير جنات عدن نعم دار المتقين

(المعنى) -

لما قدم سبحانه ذكر أقوال الكافرين فيما أنزله على نبيه ﷺ عقبه بذكر أقوال المؤمنين في ذلك فقال (وقيل للذين اتقوا) الشرك والمعاصي وهم المؤمنون (ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) أي أنزل الله خيرا لأن القرآن كله هدى وشفاء وخير (للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) ويجوز ان يكون هذا ابتداء كلام من الله تعالى معناه للمحسنين في هذه الدنيا حسنة مكافأة لهم وهي الثناء والمدح على السنة المؤمنين والهدى والتوفيق للأحسان (ولدار الآخرة خير) أي وما يصل اليهم من الثواب في الآخرة خيرا مما يصل اليهم في الدنيا ويجوز ان يكون الجعم من كلام المتقين واجاز الحسن والزجاج كلا الوجهين وقوله (ولنعم دار المتقين) أي والآخرة نعم دار المتقين الذين اتقوا عقاب الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه وقيل معناه ولنعم دار المتقين الدنيا لأنهم نالوا بالعمل فيها الثواب والجزاء من الحسن وقيل معناه ولنعم دار المتقين (جنات عدن يدخلونها) كما يقال نعم الدار دار يتزلها (تجري من تحتها الأنهار) سبق معناه (لهم فيها ما يشاؤون) أي يشتهون من النعم (كذلك يجزي الله المتقين) أي كذلك يجازي الله الذين اتقوا معاصيه (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) أي طيبين الأعمال طاهري القلوب من دنس الشرك وقيل معناه طيبة نفوسهم بالمصير اليه لعلمهم بما لهم عنده من الثواب وقيل طيبين أي صالحين بأعمالهم الجميلة وقيل بطيب وفاتهم فلا يكون صعبية فيها (يقولون سلام عليكم) أي تقول الملائكة سلام عليكم أي سلامة لكم من كل سوء (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) قيل انهم لما بشروهم بالسلامة صارت الجنة كأنها دارهم وهم فيها فقولهم ادخلوا الجنة بمعنى حصلت لكم الجنة وقيل انما يقولون ذلك عند خروجهم من قبورهم (هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي امر ربك) قد مضى تفسيره في سورة البقرة والانعام (كذلك فعل الذين من قبلهم) أخبر سبحانه ان الذين مضوا من الكفار فعلوا مثل ما فعل هؤلاء من تكذيب الرسل ووجد التوحيد فأهلكهم الله فالذي يؤمن هؤلاء من ان يهلكهم الله (وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون) بالمعاصي التي استحقوا بها الهلاك (فأصابهم سيئات ما عملوا) أي عقاب سيئاتهم فسمى العقاب سيئة كما قال وجزاء سيئسيئة مثلها (وحق بهم) أي وحل بهم جزاء (ما كانوا يستهزؤن)

قوله تعالى (٣٥) وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا خَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٣٦) وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ (٣٧) إِنَّ تَحْرِيصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ثلاث آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة لا يهدي بفتح الياء والباقون بضم الياء وفتح الدال ولم يختلفوا في يضل انها مضمومة الياء مكسورة الضاد
— (الحجة) —

قال ابو علي الراجع على اسم ان هو الذكر الذي في قوله يضل في قراءة من قرأ يهدي ومن قرأ يهدي فمن جعل يهدي من هديته جاز ان يعود الذكر الفاعل الذي فيه إلى اسم ان ومن جعل يهدي في معنى يهدي وجعل من يضل مرتفعاً به فالراجع إلى اسم ان الذكر الذي في يضل كما كان كذلك في قول من قال يهدي والراجع إلى الموصول الذي هو من الهاء المحذوفة من الصلة تقديره يضله والمعنى ان من حكم باضلاله لكفره وتكذيبه فلا يهدي ومثل هذا المعنى قوله فمن يهديه من بعد الله تقديره من بعد اضلال الله إياه والمفعول محذوف أي من بعد حكمه باضلاله ومن قرأ لا يهدي فهو في المعنى كقوله من يضل الله فلا هادي له وهذا كقوله والله لا يهدي القوم الظالمين وقوله وما يضل به إلا الفاسقين فموضع من نصب بيهدي وقد قيل ان يهدي في معنى يهدي بدلالة قوله لا يهدي الا ان يهدي فموضع من على هذا رفع كما انه لو قال يهدي كان كذلك وقوله لا يضل من قولك ضل الرجل واضله الله أي حكم باضلاله كقولك كفر زيد وكفره الناس أي نسبوه إلى الكفر فقالوا انه كافر كما ان اسقيته قلت له سقاك الله قال ذو الرمة

واسقيه حتى كاد مما ابته تكلمني احجاره وملاعبه

— اللفة —

البلاغ والابلاغ ايصال المعنى إلى الغير والحرص طلب الشيء بجهد واجتهاد يقال سرت بحرص حرصاً وحرص محرز بكسر الراء في الماضي وفتحها في المستقبل لفة وقد روي في الشواذ عن الحسن وابراهيم ان تحرص بفتح الراء والأول لفة أهل الحجاز والأصل من السحابة الحارصة وهي التي تقشر وجه الأرض وشجة حارصة التي تقشر جلدة الرأس وكذلك الحرص كان صاحبه ينال من نفسه لشدة اهتمامه بما هو حريص فيه

﴿ المعنى ﴾

ثم عاد سبحانه إلى حكاية قول المشركين فقال (وقال الذين اشركوا) مع الله إلهاً آخر (لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء) أي لو أراد الله ما عبدنا من دونه شيئاً من الأصنام والأوثان (نحن ولا آبائنا) الذين اقتدينا بهم (ولا حرمتنا من دونه من شيء) من البعيرة والسائبة وغيرهما بل شاء ذلك منا وأراد بذلك فعلنا فأنكر الله سبحانه هذا القول عليهم وقال (كذلك) أي مثل ذلك (فعل الذين من قبلهم) من الكفار والضلال كذبوا رسل الله وجحدوا آياته قالوا مثل قولهم وفعلوا مثل فعلهم (فهل على الرسل إلا البلاغ المبين) أي ليس عليهم إلا إبلاغ الرسالة وقد سبق بيان مثل هذه الآية في سورة الانعام (ولقد بعثنا في كل أمة) أي في كل جماعة وقرن (رسولا) كما بعثناك يا محمد رسولا إلى امتك (ان اعبدوا الله) أي يقول لهم اعبدوا الله (واجتنبوا الطاغوت) أي عبادة الطاغوت وأن هذه هي المفردة ويعني بالطاغوت الشيطان وكل داع يدعو إلى الضلالة (فمنهم من هدى الله) معناه ففتحهم من هداة الله بأن لطف له بما علم انه يومئذ عنده فآمن فسمى ذلك اللطف هداية ويجوز ان يريد فتحهم من هداة الله إلى الجنة بإيمانه ولا يجوز ان يريد بالهداية هنا نصب الأدلة كما في قوله فأما ثمود فهديناهم لأنه سبحانه سوى سيفه ذلك بين المؤمن والكافر (ومنهم من حقت عليه الضلالة) معناه ومنهم من اعرض عما دعاه إليه الرسول فخذله الله فثبتت عليه الضلالة ولزمته فلا يؤمن قط وقيل معناه وجبت عليه الضلالة وهي العذاب والهلاك وقيل معناه ومنهم من حقت عليه عقوبة الضلالة عن الحسن وقد سعى الله سبحانه العقاب ضلالاً بقوله ان المجرمين في ضلال وسمر (فسبروا في الأرض) أي ارض المكذبين الذين

عاقبهم الله ان لم تصدقوني (فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) اسي فانظروا كيف حقت عليهم العقوبة وحلت بهم فلا تسلكوا طريقهم فينزل بكم مثل ما نزل بهم (ان تحرص على هدام) اي على ان يؤمنوا بك فان الله لا يهدي من يضل (هذا تسلية للنبي ﷺ في دعائه لمن لا يفلح بالاجابة لانها كره في الكفر و اشارت الى ان ذلك ليس لتقصير وقع من جهته ﷺ واعلام له انهم لا يؤمنون ابداً واذا كانوا هكذا فان الله لا يهديهم بل يضلهم على المعنى الذي فسرناه قيل (وما لهم من ناصرين) اي ليس لهم من ناصر ينصرهم ويخاصمهم من العقاب وفي هذا بيان ان الاضلال في الآية ليس المراد به ما ذكره اهل الجبر

قوله تعالى (٣٨) وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَءَاخِرَتِهِ أَحَدًا مِمَّنْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٩) لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَيُعَلِّمُوا الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ (٤٠) إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَا أَن نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ثلاث آيات

✽ القراءة ✽

قرأ ابن عامر والكسائي فيكون بالنصب وسيف يس مثله والباقون بالرفع

✽ الحجة ✽

من نصب فإنه يحمله على ان قال الزجاج الرفع على فهو يكون على معنى ان ما أراد الله فهو يكون فالنصب على ضربين ✽ احدهما ✽ ان يكون عطفا على ان تقول ~~والآخر~~ ان يكون نصبا على جواب كن قال ابو علي اعلم ان الذي أجاز من النصب على ان يكون جواب كن لم يميزه أحد من اصحابنا غيره لأن كن وان كان على لفظ الأمر فليس القصد به سنا الأمر انما هو والله اعلم الاخبار عن كون الشيء وحدوثه

✽ الاعراب ✽

جهد ايمانهم مصدر وضع موضع الحال والتقدير يجتهدون اجتهدا في ايمانهم وهذا مثل قولهم طلبته جهدا اي تجهد جهدا وعدا منصوب لتوكيد المعنى فإن المعنى على بيعتهم الله وعدا الله ذلك وعدا وقوله ليبين اللام فيه يتعلق بالبعث ايضا اي بيعتهم ليبين لهم وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين ويجوز أن يتعلق بقوله ولقد بعثنا في كل أمة رسولا اي ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ليبين لهم اختلافهم وقولنا مرفوع بالابتداء وخبره ان تقول والمعنى انما قولنا لكل مراد قولنا له كن

== النزول ==

قالوا كان لرجل من المسلمين على مشرك دين فتقاضاه فوقع في كلامه والذي ارجوه بعد الموت انه لكذا فقال المشرك وانك لتزعم انك تبعث بعد الموت واقسم بالله لا يبعث الله من يموت فأنزله الله الآية عن ابي العالية

== المعنى ==

ثم حكى سبحانه عن المشركين نوعا آخر من كفرهم فقال (واقسموا بالله جهد ايمانهم) اي حلفوا بالله يجتهدون في ايمانهم والمعنى انهم قد بلغوا في القسم كل مبلغ (لا يبعث الله من يموت) اي لا يبشر الله أحدا يوم القيامة ولا يحيي من يموت بعد موته ثم كذبهم الله تعالى في ذلك فقال (على) يحشرهم الله ويبعثهم (وعدا) وعدهم به (عليه) انجازة وتحقيقه من حيث الحكمة (حقا) ذلك الوعد ليس له خلف اذ لولا البعث لما حسن التكليف لأن التكليف انما يحسن للإثابة من عوض به (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) صحة ذلك لكفرهم بالله وجحدهم نبوة أنبيائه وقيل لا يعلمون وجه الحكمة في البعث فلا يؤمنون به (ليبين لهم الذين يختلفون فيه) هذا بيان من الله تعالى انه انما يحشر الخلائق يوم القيامة ليبين لهم الحق فيما كانوا فيه يختلفون فيه سيف دار الدنيا

لأنه يخلق فيهم العلم الضروري يوم القيامة الذي يزول معه التكليف (وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين) في الدنيا في قولهم ان الله لا يبعث احدا بعد موته واذا تعلق اللام بقوله ولقد بعثنا فالمعنى بعثنا الى كل أمة رسولا ليبين لهم ذلك الرسول ما يختلفون فيه ويهدبهم إلى طريق الحق وينبهم عليه (انما قولنا لشيء اذا أردناه ان نقول له كن فيكون) قد ذكرنا تفسيره في سورة البقرة والمراد به هاجرتنا بيان انه قادر على البعث لا بتعذر عليه ذلك فإنه اذا أراد شيئا كونه

قوله تعالى (٤١) وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآ أَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤٢) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٤٣) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤٤) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزَّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ أربع آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ حفص نوحى بالنون وقد تقدم ذكره في سورة يوسف وروي عن علي (ع) لثوبتهم بالثناء والقراءة لنبوتهم بالباء

-(الحجية)-

قال ابن جني نصب حسنة ههنا اي نحسن اليهم احسانا ووضع حسنة موضع الاحسان كأنه واحد من الحسن دال عليه ودل قوله لنبوتهم على ذلك الفعل لأنه اذا اقرهم على الفعل باطالة مدتهم فقد احسن اليهم كما قال ليستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وذلك ضد ما يعمل بالعاصين الذين بظلمهم بذنوبهم وجرائم أفعالهم

﴿ النزول ﴾

الآية الأولى نزلت في المعذبين بمكة مثل صيب وعمار وبلال وخبابه وغيرهم مكنتهم الله بالمدينة وذكر ان صهيبا قال لأهل مكة انا رجل كبير ان كنت معكم لم ينفعكم وان كنت عليكم لم يضركم فخذوا ما في ودعوني فأعطاهم ماله وهاجر إلى رسول الله ﷺ فقال له أبو بكر ربيع الببيع يا صيب وروى ان عمرو بن الخطاب كان إذا اعطى احداً من المهاجرين عطاء قال له خذ هذا ما وعدك الله في الدنيا وما آخرك لك أفضل ثم تلا هذه الآية

﴿ المعنى ﴾

(والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا) معناه والذين فارقوا أوطانهم وديارهم واهليهم فراراً بدينهم واتباعاً لبيهم في الله أي في سبيله لا ابتغاء مرضاته من بعد ما ظلمهم المشركون وعذبوهم بمكة وبخسواهم حقوقهم (لنبوتهم في الدنيا حسنة) أي بلدة حسنة بدل أوطانهم وهي المدينة عن ابن عباس وقيل لتعطيتهم حالة حسنة وهي النصر والفتح وقيل هي ما استولوا عليه من البلاد وفتح لهم من الولايات (ولأجر الآخرة أكبر) مما اعطيتهم في الدنيا (لو كانوا يعلمون) أي لو كان الكفار يعلمون ذلك وقيل معناه لو علم المؤمنون تفاصيل ما أعد الله لهم في الجنة لازدادوا سروراً وحرصاً على التمسك بالدين (الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) هذا وصف هؤلاء المهاجرين أي صبروا في طاعة الله على اذى المشركين وفوضوا امورهم إلى الله تعالى ثقة به ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ فقال (وما أرسلنا من قبلك) إلى الأمم الماضية (إلا رجالاً) من البشر (نوحى اليهم) أسس

أوحينا إليهم كما أوحينا إليك وأرسلناهم إلى أجمع كما أرسلناك إلى أمتهك وذلك ان مشركي مكة كانوا ينكرون أن يرسل إليهم بشر مثلهم فيبين سبحانه انه لا يصلح ان يكون الرسل إلى الناس إلا من يشاهدونه ويخاطبونه ويفهمون عنه وانه لا وجه لا قراحم ارسال الملك (فاسألوا أهل الذكر) فيه أقوال **﴿﴾** أحدها **﴿﴾** ان المعنى بذلك أهل العلم باخبار من مضى من الأمم سواء كانوا مؤمنين أو كفاراً وسمي العلم ذكراً لأن الذكر منعقد بالعلم فإن الذكر هو ضد السهو فهو بمنزلة السبب المؤدي إلى العلم في ذكر الدليل فحسن ان يقع موقعه وبنيت عن معناه إذا تعلق به هذا التعلق عن الرماني والزجاج والأزهري **﴿﴾** وثانيها **﴿﴾** ان المراد بأهل الذكر أهل الكتاب عن ابن عباس ومجاهد أي فاسألوا أهل التوراة والانجيل (ان كنتم لا تعلمون) يخاطب مشركي مكة وذلك انهم كانوا يصدقون اليهود والنصارى فيما كانوا يخبرون به من كتبهم لأنهم كانوا يكذبون النبي **﴿﴾** لشدة عداوتهم له **﴿﴾** وثالثها **﴿﴾** ان المراد بهم أهل القرآن لأن الذكر هو القرآن عن ابن زيد ويقرب منه ما رواه جابر ومحمد بن مسلم عن ابي جعفر (ع) انه قال نحن أهل الذكر وقد سمي الله رسوله ذكراً في قوله ذكراً رسولاً على احد الوجهين وقوله (بالبينات والزيور) العامل فيه قوله أرسلنا والتقدير وما أرسلنا بالبينات والزيور أي بالبراهين والكتب الا رجلاً نوحى اليهم وقيل ان في الكلام اضراراً وحذفاً والتقدير أرسلنا بالبينات كما قال الأعشى

وليس مجيراً ان أتى الحي خائف

اي اعني المتعبيا ونظير الأول قول الشاعر

ولا قائل الا هو المتعبيا

نبأتهم عذبوا بالنار جارتهم

وهل يعذب الا الله بالنار

(وازلنا اليك الذكر) يعني القرآن (لتبين للناس ما نزل اليهم) فيه من الاحكام والشرايع والدلائل على توحيد الله (ولعلمهم بتفكرون) في ذلك فيعلموا انه حق وفي هذا دلالة على ان الله تعالى اراد من جميعهم التفكير والنظر المؤدي الى المعرفة بخلاف ما يقوله أهل الجبر

﴿﴾ النظم ﴿﴾

قيل في اتصال الآية الأولى بما قبلها وجوه **﴿﴾** احدها **﴿﴾** انها اتصلت بقوله ليبين لهم الذي يخلفون فيه فيكون المعنى ليبين لهم وليعلم الكافرين كونهم كاذبين وليجزى المؤمنين المهاجرين على ما فعلوه من الهجرة وقيل لما تقدم ذكر الكفار وما أعد لهم من الدمار ودخول النار عقبه بذكر المؤمنين المهاجرين والانصار تحريفاً لغيرهم في الاقتداء بهم فاتصل به اتصال النقيض بالنقيض وقيل انه لما تقدم ذكر البعث بين بعده حكم يوم البعث وانه ينتصف فيه للمظلوم من الظالم

قوله تعالى (٤٥) أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأنيهم العذاب من حيث لا يشعرون (٤٦) أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين (٤٧) أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرؤوف رحيم (٤٨) أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفوا ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله وهم داخرون (٤٩) والله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة وألائكة وهم لا يستكبرون (٥٠) يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ست آيات

(القراءة) -

قرأ اولم تروا بالتاء. أهل الكوفة غير عاصم والباقون بالياء وكذلك في العنكبوت وقرأ أهل البصرة تنفيوه بالتاء والباقون بالياء

﴿ الحجة ﴾

حجة الياء ان ما قبله غيبية وهو قوله ان يخسف الله بهم الارض او يأتيهم اوبأخذهم اولم يروا ومن قرأ بالتاء أراد جميع الناس والتأنيث والتذكير في قوله بيقبوا ظلالة حبان وقد تقدم ذكر ذلك في عدة مواضع

﴿ اللقمة ﴾

التخوف التنقص وهو ان يأخذ الأول فالأول حتى لا يبقى منهم أحد وتلك حالة يخاف معها الفناء ويتخوف الهلاك يقال تخوفه الدهر قال الشاعر

تخوف السير منها تامكا قردا
كأ تخوف عود النبعة السفن
أي ينقص السير ستامها بعد تموكه وقال آخر

تخوف عدوهم مالي واهدي
سلاسل في الخلق لها صليل

قال الفراء تخوفته وتخوفته بالخاء والحاء اذا تنقصته من حافاته قال المبرد لا يقال تخوفته وإنما يقال تحيفته بالياء والتنفية التفاعل من النفى يقال فاء النبي ينفى اذا رجع وعاد بعد ما كان ضياء الشمس نسخه ومنه في المسلمين لما يعود عليهم وقتا بعد وقت من الخراج والغنائم ويعدى فاء بزيادة الهمزة نحو أفاء وبالتضعيف نحو فاء الظل وفياء الله تنفياً والنفي ما نسخه ضوء الشمس والظل ما كان قائماً لم تنسخه الشمس قال الشاعر

فلا الظل من برد الضحي تستطيعه
ولا النبي من بعد العشي تذوق

فجعل الظل وقت الضحي لأن الشمس لم تنسخه في ذلك الوقت وجمع النبي أفياء وفيه قال

أرى المال أفياء الظلال فتارة
يؤوب وأخرى يجبل المال حابله

وقال النابغة الجعدي

فسلام الإله يغدو عليهم
وفيء الفردوس ذات الظلال

وإنما قال عن اليمين على التوحيد والشائل على الجمع لأنه أراد باليمين الإيمان كما قال الشاعر

بني الشامتين الصخر ان كان هدي
رزية شبلي مخدر في الضراغم

والمعنى بأقواه وقال آخر

الواردون ويتم في ذرى سبأ
قد عض اعناقهم جلد الجواميس

والداخر الخاضع الصاغر قال

فلم يبق إلا داخر في مخيس
ومن حجر في غير أرضك في حجر

﴿ المعنى ﴾

ثم اوعده سبحانه المشركين فقال (أفامن الذين مكروا السيئات) فاللفظ لفظ الاستفهام والمراد به الإنكار ومعناه أي شيء آمن هو لاء القوم الذين دبروا التدابير السيئة في توهين أمر النبي ﷺ واطفاء نور الدين وإهانة المؤمنين من (ان يخسف الله بهم الارض) من تحتهم عقوبة لهم كما خسف بقارون (او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) قال ابن عباس يعني يوم بدر وذلك انهم اهلكوا يوم بدر وما كانوا يقدرون ذلك ولا يشوقونه

(او يأخذهم في تقلبهم) يعني او ان يأخذهم العذاب في تصرفهم في اسفارهم وتجاراتهم وقيل يريد في تقلبهم في كل الاحوال ليلا ونهارا فيدخل في هذا تقلبهم على الفرش مينا وشمالا عن مقاتل (فسامهم بمعجزين) اي فليسوا بفاتنين وما يريد الله بهم من الهلاك لا يمتنع عليه (او يأخذهم على تخوف) قال اكثر المفسرين معناه على تنقص اما يقتل او يموت اي ينقص من اطرافهم ونواحيهم فيأخذ منهم الاول فالاول حتى يأتي على جميعهم وقيل معناه في حال تخوفهم من العذاب اي يعذب اهل قرية ويخوف به اهل قرية اخرى فيتخوفون ان ينزل بهم من العذاب ما نزل بالاولى عن الحسن وقيل معناه على تنقص من الاموال والاقس بالبلايا والاسقام ان لم يعذبهم بعذاب الاستئصال لينه غيرهم ويزجرهم عن الجبائي (فان ربكم لرووف رحيم) بكم ومن رافته ورحمته بكم انه امهلكم لتوبوا وترجعوا ولم يعاجلكم بالعقوبة ثم بين سبحانه دلائل قدرته فقال (اولم يروا الى ما خلق الله من شيء) معناه ألم ينظروا هؤلاء الكفار الذين جحدوا وحدانية الله تعالى وكذبوا به ^{بآياته} الى ما خلق الله من شيء له ظل من شجر وجبل وبناء وجسم قائم (يتفيؤ ظلالة عن اليمين والشمال سجدا لله) اي يتميل ظلالة عن جانب اليمين وجانب الشمال واضاف الظلال الى مفرد ومعناه الاضافة الى ذوي الظلال لان الذي يعود اليه الضمير واحد يدل على الكثرة وهو قوله ما خلق الله ومعنى تفيؤ الظلال مينا وشمالا ان الشمس اذا طلعت وانت متوجه الى القبلة كان الظلال قدامك واذا ارتفعت كان عن يمينك فاذا كان بعد ذلك كان خلفك فاذا كان قبل ان تغرب الشمس كان عن يسارك فهذا تفيؤ عن اليمين والشمال عن الكلي ومعنى سجود الظل لله دوران من جانب الى جانب لانه مستلم متقاد مطيع للتسخير وهذه الآية كقوله وظلالهم بالغدو والآصال وقد مر تفسيره وقيل ان المراد بالظل هو الشخص بعينه وبديل على ذلك قول علقمة

لما نزلنا رفعا ظل اخية وفار للقوم باللحم المراجيل
الأتري انهم لا ينصبون الظل وانما ينصبون الأخية ويقوي ذلك قول عمارة
كأنهن الفتيات اللعس كأن في اظلالهن الشمس
اي في اشخاصهن وقول الآخر

يتبع افياء الظلال عشية على طرق كأنهن سبوب

اي افياء الشخص فلي هذا يكون تأويل الظلال في الآية تأويل الاجسام التي عنها الظلال (وهم داخرون) اي اذلة صاغرون قد نبه الله بهذا على ان جميع الاشياء تخضع له بما فيها من الدلالة على الحاجة الى واضعها ومديرها بما لولا لبطلت ولم يكن لها قوام طرفة عين فهي في ذلك كالساجد من العباد فعليه الخاضع بذله ثم قال سبحانه (وقلع بسجدة ما في السماوات وما في الأرض من دابة) اي بسجد لله جميع ما في السماوات وجميع ما في الأرض ومعنى من سيفه قوله من دابة تبيين الصفة اي الذي هو دابة تدب على وجه الأرض (والملائكة) اي وتسجد له الملائكة وتخضع له بالعبادة وانما خص الملائكة بالذكر تشريفا لهم ولأن اسم الدابة يقع على ما يدب ويمشي وهم اولو الأجنحة فصفة الطيران اغلب عليهم (وهم لا يستكبرون) عن عبادة الله تعالى وهذا من صفة الملائكة لانه قال (يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون) وانما قال من فوقهم لوجهين ^{احدهما} ان المراد بخافون عقاب ربهم واكثر ما يأتي العقاب المهلك انما يأتي من فوق الآخر ان الله سبحانه لما كان موصوفا بأنة عال متعال بمعنى انه قادر على الكمال حسن ان يقال من فوقهم ليدل على انه في اعلى مراتب القادرين على هذا معنى قول ابن عباس في رواية مجاهد قال ذاك مخافة الاجلال واختاره الزجاج فقال يخافون ربهم خوف معظمين مجلبن ومثله في المعنى قوله وهو القاهر فوق عباده وقوله اخبارا عن فرعون وانا فوقهم قاهرون وذهب بعضهم الى ان قوله من فوقهم من صفة الملائكة والمعنى ان الملائكة من فوق بني آدم وفوق ما في الأرض من

دابة يخافون الله مع علو رتبهم فلان يخافه من دونهم اولى وقد صح عن النبي ﷺ انه قال ان الله تعالى ملائكة في السماء السابعة سجدوا منذ خلقهم الى يوم القيامة ترعد فرائصهم من مخافة الله تعالى لا تقطر من دموعهم قطرة الا صارت ملكاً فاذا كان يوم القيامة رفعوا رؤوسهم وقالوا ما عبدناك حق عبادتك اوردته الكلبي في تفسيره قوله تعالى (٥١) وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونَ (٥٢) وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ (٥٣) وَمَا يَكُفُّمِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ (٥٤) ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ يَرِيهَ يَوْمَئِذٍ بِشْرِكُونَ (٥٥) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ

خمس آيات

❖ اللفظة ❖

وصب الشيء وصبها إذا دام ووصب الدين وجب وقال ابو الاسود
لا تبغى الحمد القليل بقاؤه يوماً يذم الدهن اجمع واصبا
والوصب الأثم الذي يكون عن الاعياء بدوام العمل مدة قال
لا يغمز الساق من أين ومن وصب ولا يعض على شرسوفه الصفر
والجوار الاستغانة برفع الصوت ويقال جأر الثور بجأراً إذا رفع صوته من جوع أو غيره قال الانش
وما ايلي على هيكلي بناء وصلب فيه وصاراً
يرواح من صلوات المليك طوراً سجوداً وطوراً جواراً
وبناء الأصوات على فعال وفعيل نحو الصراخ واليكام والعيول والصفير والفعال اكثر

❖ الاعراب ❖

ذكر اثنين تو كيداً لقوله إلهين كما ذكر الواحد في قوله إله واحد صباً نصب على الحال مما بيكم بموصول
وصله في موضع الرفع بالابتداء ودخلت الفاء في خبره وهو قوله فمن الله تتدبره فهو من الله ولا فعل هاهنا لأن
قوله بكم قد تضمن معنى الفعل فإنه بمعنى وما حل بكم من نعمة

- المعنى -

لما بين سبحانه دلائل قدرته وآلئته عقبه بالتبني على وحدانيته فقال (وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين)
أي لا تعبدوا مع الله إلهاً آخر فنشركوا بينها في العبادة لأنه لا يستحق العبادة سواء وذكر اثنين كما يقال
فعلت ذلك لأمرين اثنين وقيل ان تقديره لا تتخذوا اثنين إلهين يريد به نفسه وغيره (إنما هو إله واحد)
وانما لإثبات المذكور ونفي ما عداه فكأنه قال هو إله واحد لا إله غيره (فأياي فارهبون) أي ارهبوا انفرادي
وسطواتي ولا تحشوا غيري وورد عن بعض الحكماء انه قال هناك ربك أن تتخذوا إلهين فانخذت إلهة عبادت
تسك وهواك ودنياك وطبعك ومرادك وعبدت الخلق فأن تكون موحداً (وله ما في السموات والأرض الملك
وملكا وخالقا) وله الدين واصباً) أي وله الطاعة دائمة واجبة على الدوام عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة
ومعناه انه سبحانه الذي يعبد دائماً وغيره انما يعبد في وقت دون وقت وقيل معناه وله الدين خالصاً عن الغراء أي
يجب على العبد ان بطبعه مخلصاً وقيل معناه وله الملك دائماً لا يزول (أفغير الله تتقون) أي أفغير الله تحشون

وهو استفهام فيه معنى التوبيخ أي فكيف تبدون غيره ولا تتقونه (وما بكم من نعمة فمن الله) معناه إن جميع ما بكم وما لكم من النعم مثل الصحة في الجسم والسعة في الرزق ونحوهما فكل ذلك من عند الله ومن جهته (ثم إذا مسكم الضر) مثل المرض والشدة والبلاء وسوء الحال (فإليه تجترون) أي فإليه تتضرعون في كشفه وإليه ترفعون أصواتكم بالدعاء والاستغاثة لصرفه (ثم إذا كشف الضر عنكم) معناه ثم إذا دفع ما حل بكم من الضر ودفع ما مسكم من المرض والفقر (إذا فريق منكم يوبىء بشر كون) أي دعا طائفة منكم إلى الشرك يوبىء في العبادة جهلاً منهم بربهم ومقابلة لنعمة بالكفران والعصيان وهذا عجب من فعل العاقل المميز (ليكفروا بما آتيناكم) معنى اللام هاهنا هو البيان عن العلة التي لأجلها وقع الفعل والمعنى أنهم بمنزلة من اشرك في عبادة ربه ليكفر بما آتاه من النعمة كأنه كان لا غرض له في شركه إلا هذا والمعنى لأن يكفروا بانعائنا عليهم ورزقنا إياهم وقيل إن اللام للأمر على وجه التهديد أي ليفعلوا ما شاءوا فإنه ينزل الله بهم عاقبة كفرهم ويوافق هذا القول ما رواه مكحول عن أبي رافع قال حفظت عن رسول الله ﷺ فيمنعوا فسوف يعلمون بالياء فيها فإن يمتعوا بمعطوفاً مجزوماً ويجوز أيضاً أن يكون معطوفاً منصوباً والمعنى لأن يكفروا فيمتعوا فقوله (فتمتعوا فسوف تعلمون) يكون ابتداء خطاب لهم على التهديد والوعيد يقول فتمتعوا أي الكفار في الدنيا قليلاً فسوف تعلمون ما يجلب بكم في العاقبة من العقاب واليأس العذاب وحذف لدلالة الكلام عليه

قوله تعالى ((٥٦)) وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَأْتِيهِمْ لَسْتُمْ تَقْتَرُونَ (٥٧) وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ (٥٨) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٩) بَتَوَارِيهِ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُنسِئُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٦٠) لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ خمس آيات

اللغة

يقال ظل بفعل كذا إذا فعله في صدر النهار ويقال ظلت اظل ظلولا ومثله اضحى غير أنه أكثر حتى صار بمنزلة أخذ بفعل والكظيم المغموم الذي يطبق فاه لا يتكلم للغم الذي به مأخوذ من الكظامة وهي اسم لما يشد به في القربة والكظامة أيضاً العقب على رؤوس القذذ والكظامة أيضاً البئر ومنه الحديث أن النبي ﷺ أتى كظامة فتوضأ ومسح على قدميه وجمعها كظائم والهون الهوان والمشقة وهي لغة قريش قال الحطيطبة فلما خشيت الهون والعين ممسك على رغمة ما أثبت الخيل حافره ودست الشيء في التراب أدسه دساً إذا أخفيته والدساسة حية صماء تندس تحت التراب

الأعراب

ولهم ما يشتهون إن شئت جعلت ما في موضع نصب بمعنى يجعلون لهم البنين الذين يشتهون هم ويكونون مرفوعاً سبحانه اعتراضاً بين المعطوف والمعطوف عليه وإن شئت جعلته في موضع رفع على الاستئناف فيكون مرفوعاً على الابتداء ولهم خبره أو مرفوعاً على أن الظرف عمل فيه على ما ذكرنا من الاختلاف فيه فيما مضى والهاء في ينسكه يعود إلى قوله ما بشر به فلذلك ذكر وقيل معناه ويجعلون للأصنام الذين لا يعلمون ولا يجعلون نصيباً من الانعام والزرع فكأن عن لفظة ما في قوله لما لا يعلمون بالواو لأنهم جعلوا الأصنام هنا بمنزلة العقلاء عن أبي علي الفارسي وقال أيضاً يجوز أن يكون تقديره ويجعلون لما لا يعلمونه لأنها نصيباً ويكون الضميران

بأن يجعلون ويعلمون للمشركين وحذف المفعولان

المعنى

ثم ذكر سبحانه فعلا آخر من افعال المشركين دالا على جهلهم فقال (ويجعلون لما لا يعلمون) والواو في يعلمون تعود إلى المشركين أي لما لا يعلمون انه بضر وينفع (نصيبا مما رزقناهم) يتقربون بذلك اليه كما يجب ان يتقرب إلى الله تعالى وهو ما حكى الله عنهم في سورة الانعام من الحرث وغير ذلك وقولهم هذا لله يزعمهم وهذا شركائنا عن مجاهد وقتادة وابن زيد ثم أقسم تعالى فقال (تالله لتسألن) في الآخرة (عما كنتم تكفرون) أي تكذبون به في دار الدنيا لتلزموا به الحجة وتعاقبوا بعد اعترافكم على اقسامكم ثم ذكر سبحانه نوعا آخر من جهالاتهم فقال (ويجعلون لله البنات) أي ويشبتون لله البنات ويضيفون اليه البنات وهو قولهم الملائكة بنات الله كما قال سبحانه وجعلوا للملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ثم نزه سبحانه عنه عما قالوا فقال (سبحانه) أي تنزيها له عن اتخاذ البنات (ولهم ما يشتهون) أي ويجعلون لأقسامهم ما يشتهون ويحبونه من البنين دون البنات وعلى الوجه الآخر ولهم ما يحبونه يعني البنين (واذا بشر أحدهم بالأنثى) أي واذا بشر واحد منهم بأنه ولد له بنت (ظل وجهه مسودا) أي صار لون وجهه متغيرا إلى السواد لما يظهر فيه من اثر الحزن والكراهة فقد جعلوا لله ما بكرهونه لأقسامهم وهذا غاية الجهل (وهو كظيم) أي عنقبي غيظا وحزنا (يتوارى من القوم من سوء ما بشر به) يعني ان هذا الذي بشر بالبت يستخفي من القوم الذين يستخبرونه عما ولد له استنكا قاتم وخجلا وحياء من سوء ما بشر به من الأنثى وقبحه عنده (أمسكه على هون أم يدسه في التراب) يعني يميل عنه ويدبر في امر البنت المولودة له أمسكه على ذل وهوان أم يخفيه في التراب ويدفنه حيا وهو الواو الذي كان مسن عادة العرب وهو ان أحدهم كان يحفر حفرة صغيرة وإذا ولد له أنثى جعلها فيها وحشا عليها التراب حتى تموت تحته وكانوا يفعلون ذلك مخافة الفقر عليهم فيطعم غير الاكفاء فيهن (ألا ساء ما يحكون) أي يش الحكم ما يحكونه وهو ان يجعلوا لنفوسهم ما يشتهون والله ما بكرهون وقيل معناه ساء ما يحكونه في قتل البنات مع مساواتهن للبنين في حرمة الولادة ولعل الجارية خير من الغلام وروي عن ابن عباس انه قال لو عطاء الله الناس في الناس لما كان الناس لأنه ليس احد الا ويحب ان يولد ذكر ولو كان الجميع ذكورا لما كان لهم اولاد فيفتي الناس ثم قال سبحانه (لذنب لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء والله المثل الاعلى) أي هو لاه الكفار الذين وصف الله بالولد صفة السوء أي الصفة القبيحة التي هي سواد الوجه والحزن والله الصفة العليا من السلطان والقدرة وقيل له صفات النقص من الجهل والكفر والفضلال والعمى وصفة الحدوث والضعف والعجز والحاجة إلى الابناء وقتل البنات خوف الفقر والله صفات الإلهية والاستغناء عن الصاحبة والولد والريوية واخلاص التوحيد وبسأل فيقال كيف يمكن الجمع بين قوله سبحانه وتعالى والله المثل الاعلى وقوله فلا تضربوا الله الامثال والجواب ان المراد بالامثال هناك الاشياء أي لا تشبهوا الله بشي والمراد بالمثل الاعلى هنا الوصف الاعلى الذي هو كونه قديما قادرا عالما حيا ليس كمثل شي وقيل ان المراد بقوله المثل الاعلى المثل المضروب بالحسنى وقوله فلا تضربوا الله الامثال الامثال المضروبة بالباطل (وهو العزيز) أي القادر الذي لا يتبع عليه شي (الحكيم) الذي يضع الاشياء مواضعها على ما هو حكمته وصواب وفي الآية دلالة على انه لا يضاف لله تعالى الادون فإن الله سبحانه قد عاب للمشركين باضافتهم اليه ما لا يرضونه لأقسامهم فاذا كره الانسان اضافة القبيح الى نفسه للنقص الذي فيه فكيف يجوز ان يضيفه الى الله تعالى

قوله تعالى (٦١) وَلَوْ يُوَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٦٢) وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ

مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَاجِرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ
 (٦٣) قَالَ اللَّهُ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ وَرَثَتُهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ
 عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٤) وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً
 لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٦٥) وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً
 لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ خمس آيات

﴿ القراة ﴾

قرأ نافع وخبية عن الكسائي مفرطون سا كنة الفاء مكسورة الراء خفيفة وقرأ ابو جعفر «ع» مفرطون
 مفتوحة الفاء مكسورة الراء مشددة والباقون مفرطون سا كنة الفاء مفتوحة الراء خفيفة وروي عن الأعرج
 يفتح الراء وتشديده

(- الحجة -)

قال الزجاج اما تفسير مفرطون فبجاء عن ابن عباس متروكون وقيل معجلون ومعنى التروط في اللغة
 التقدم وقد فرط بني قول أي تقدم فعني مفرطون مقدمون إلى النار وكذلك مفرطون بالتشديد من فسر متروكون
 فهو كذلك أي قد جعلوا مقدمين في العذاب أبدأ متروكين فيه ومن قرأ مفرطون فالمعنى انه وصفهم الله بأنهم
 فرطوا في الدنيا ولم يعملوا فيها للأخرة وتصديقه قوله يا حسرتنا على ما فرطت في جنب الله ومن قرأ مفرطون
 فالمراد أنهم أفرطوا في معصية الله كما تقول أفرط فلان في مكروهه وتأويله انه آثر العجز وقدمه قال ابو
 علي وكأنه من أفرط أي صار ذا فرط مثل أقطف وأجرب فهو مقطف ومجرب فمعناه انهم ذوو فرط إلى
 النار وسبق اليها

﴿ الاعراب ﴾

الكذب مفعول تصف وان لم الحسنى بدل من الكذب وتقديره وتصف ألسنتهم ان لم الحسنى أي تصفون
 ان لم مع هذا الفعل القبيح الجزاء الحسن وان لم النار في موضع نصب مجرم والمعنى جرم فعلهم هذا أي كسب ان
 لم النار وقيل ان ان في موضع رفع عن فطرب قال معناه انه وجب ان لم النار وانهم مفرطون فيها لتبين لهم أي
 لان تبين لهم الجار والمجرور في محل النصب بأنه مفعول له وكذلك قوله وهدى ورحمة وكلاهما معطوف على
 ما قبله بأنه مفعول له ايضاً أي أنزلنا عليك الكتاب بياناً وهدى ورحمة قال الزجاج ويجوز في هذا الموضع وهدى
 ورحمة بالرفع فيكون المعنى وما أنزلنا عليك الكتاب إلا للبيان وهو مع ذلك هدى ورحمة

﴿ المعنى ﴾

(ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة) أخبر سبحانه انه لو كان بمن يؤاخذ الكفار والعصاة
 بذنوبهم ويعاجلهم بالعقوبة لما ترك على وجه الأرض أحداً ممن يستحق ذلك من الظالمين وإنما قال عليها ولم يجز
 ذكر للأرض في الظاهر لأن الكلام يدل عليه فإن العلم حاصل بأن الناس يكتنون على ظهر الأرض ومثله
 كثير في محاورات العرب يقولون ما بين لاجبها مثل فلان يعنون المدينة واصبحت باردة يريدون الغداة إذ اللاتان
 بالمدينة والاصباح لا يكون إلا غدوة وقوله ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى أي يمهلهم إلى وقت معلوم مسمى
 وهو يوم القيامة وقيل إلى وقت يعلمه الله تعالى انه لا يكون في بقائهم فيه مصلحة لأنهم لا يؤمنون ولا يخرج
 من نسلهم مؤمن وإنما يؤخرهم تفضلاً منه سبحانه ليراجعوا التوبة أو لما في ذلك من المصلحة واختلف أهل العدل

في من المعلوم من حاله انه لا يؤمن فيما بعد هل يجوز اختراجه فقال بعضهم يجوز لأن التكيف تفضل فلا تجب التبقية وهو قول ابي هاشم واليه ذهب المرتضى قدس الله روحه وقال آخرون لا يجوز اختراجه ويجب تبقيته وهو قول البلخي والبي علي الجبائي وان اختلفا في علته فقال الجبائي لأنه مفسدة وقال البلخي لأنه الأصلح واليه ذهب الشيخ المفيد ابو عبد الله وقيل ان معنى الآية لو يؤخذهم بذنوبهم لحبس المطر عنهم حتى تهلك كل دابة عن السدي وعكرمة «سؤال» متى قيل ان المكاف الظالم يستحق العقوبة بظلمه فما بال الحيوانات تؤخذ بغير جرم «فجوابه» ان العذاب للظالم عقوبة ولغير الظالم عبرة ومحنة فيكون كالأضرار النازلة بالآل والياء وغير المكافين فيعوضون عنها وقيل معناه لو هلك الآباء بكرهم لم يوجد الأبناء وقيل انه إذا هلك الظلمة ولم يبق مكاف لا يبقى غيرهم من الحيوانات لأنها إنما خلقت للمكافين فلا فائدة في بقائها بعد ذلك (فلذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) قد سبق معناه فيما مضى ثم حكى سبحانه عن الكفار فقال (ويجعلون لله ما يكفرون) يعني البنات أي يحكمون لله بما يكفرونه لا تسبهم (وتصف السنتهم الكذب) أي وتجبر ألسنتهم بالكذب وهو ما يقولون (ان لهم الحسنى) وهي البنون عن مجاهد وقيل معناه تصفون ان لهم مع قبيح قولهم من الله أجزاء الحسن والثبوة الحسنى وهي الجنة عن الزجاج وغيره فإن المشركين كانوا يقولون ان كان ما يقوله محمد من امر البعث والآخرة حقاً فنحن من أهل الجنة وروي عن معاذ انه قرأ وتصف السنتهم الكذب بضم الذال والياء فعلى هذا يكون الكذب وصفاً للأئمة جمع كاذب أو كذوب ثم رد سبحانه قولهم فقال (لا جرم ان لهم النار) أي ليس الأمر على ما وصفوا جرم فعلهم وقولهم أي كسب ان لهم النار وانسروا يقولون معناه حقاً ان لهم النار لا بد أن لهم النار (وانهم مفرطون) أي مقدمون أي معجلون إلى النار ثم اقسم سبحانه فقال (تالله لقد أرسلنا إلى امم من قبلك) يا محمد (فزين لهم الشيطان أعمالهم) أي كفرهم وضلالهم وتكذيبهم الرسل (فبؤس ما يملكون) معناه ان الشيطان وليهم اليوم في الدنيا يتولونه ويتبعون اغواءه فأما يوم القيامة فيبتدأ بعضهم من بعض عن ابي سلمة وقيل معناه فهو وليهم يوم القيامة أي يكلمهم الله تعالى إلى الشيطان اياً ما لهم من رحمته (ولهم عذاب اليم) أي وللنابغ والمثبوع عذاب مؤلم وجميع ثم بين سبحانه انه قد أقام الحجية والزاح العلو واضع الحجية فقال (وما أنزلنا عليك) يا محمد (الكتاب) أي القرآن (إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه) معناه إلا وقد اردنا منك ان تكشف لهم ما اختلفوا فيه من دلالة التوحيد والعدل وتبين لهم الحلال والحرام (وهدى) أي أنزلناه دلالة على الحق (ورحمه لقوم يؤمنون) ثم اخبر سبحانه عن نعمته على خلقه فقال (واته نزل من السماء ماء) أي غيثاً ومطراً (فأحيا به) أي بذلك الماء (الأرض بعد موتها) أحياها بالنبات بعد جفافها وقحطها (ان في ذلك لآية) أي حجة ودلالة (لقوم يسمعون) أي يستصغنون أدلة الله ويتفكرون فيها ويعتبرون بها

قوله تعالى (٦٦) وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِيُفِيَكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ (٦٧) وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٦٨) وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ يَتُوقًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٩) ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سَبِيلَ رَبِّكَ ذَلِكَ يُخْرِجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٧٠) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ نافع وابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب وسهل نسقيكم بفتح النون هاهنا وفي المؤمنين والباقون نسقيكم بضمها في الموضعين وقرأ ابو جعفر في المؤمنين نسقيكم بالتاء

﴿ الحجة ﴾

قيل بين سقيت واسقيت فرق وهو ان سقيته معناه ناولته ليشرب واسقيته معناه جعلت له ماء يشربه وقيل سقيته ماء واسقيته سألت الله ان يسقيه وعليه بيت ذي الرمة

واسقيه حتى كاد مما أبته تكلمني احجاره وملاعبه

وقيل إذا سقاء مرة بقول سقيته وإذا سقاء دائما يقال أسقيته عن ابي عبيدة وقيل هما بمعنى واحد واستدل

بيت لبيد

سقى قومي بني مجد واسقى نيرا والقبائل من هلال

فانه اتى بالاعتين

﴿ اللغة ﴾

العبرة والعظة من التظائر وهو ما يعتبر به والقرث الثفل الذي ينزل إلى الكرش وساغ الطعام سيفي الخلق وسوغته واستغته السكر في اللغة على اربعة اوجه ﴿ الاول ﴾ ما اسكر من الشراب ﴿ والثاني ﴾ ما طعم من الطعام قال الشاعر « جعلت عيب الاكرمين سكرًا » أي جعلت ذمهم طعاما لك ﴿ والثالث ﴾ السكون ومنه ليلة ساكرة أي ساكنة قال الشاعر « وليست بطلق ولا ساكرة » ويقال سكرت الريح سكنت قال « وجعلت عين الحرور تسكر » ﴿ والرابع ﴾ المصدر من قولك سكر سكرًا ومنه التسكر النحيير في قوله سكرت ابصارنا والذلل جمع الذلول يقال ذابة ذلول بين الذل ورجل ذلول بين الذل والذلة والردل الدون الردي وكذلك الرذال يقال رذل الشيء يرذل رذالة وارذلتنا

﴿ الاعراب ﴾

الهاء في بطونه إلى ماذا يعود اختلف فيه فقيل ان الانعام جمع والجمع يذكر ويؤنث فجاء هاهنا على لغة من يذكر وجاء في سورة المؤمنين على لغة من يؤنث وقيل أنه رد على واحد الانعام وانشد للراجز « وطاب البات اللقاح فبرد » رده إلى اللين عن الفراء وقيل ان الانعام والتعم سواء فحمل على المعنى كما قال الصلتان العبيدي

ان الساحة والمرومة ضمنا قبرا بمر وعلى الطريق الواضح

فكانه قال شيبان ضمنا وقال الاعشى

فان تعهديني ولي لمة فان الحوادث اودى بها

حمل على الحدثنان ويجوز ان يكون التقدير نسقيكم مما في بطون المذكور وقيل ان من بدل على التبعيض فكانه قال نسقيكم مما في بطون بعض الانعام لأنه ليس لجمعها لين وقوله تتخذون منه الضمير في منه إلى ماذا يعود فيه وجهان ﴿ احدهما ﴾ انه يعود إلى المذكور ﴿ والثاني ﴾ انه يعود إلى معنى الثمرات لأن الثمرات والثمر سواء وكذا الهاء في قوله فيه شفاء للناس قيل يعود إلى الشراب وهو العسل وقيل يعود إلى القرآن فإذا عاد الضمير إلى الشراب ارتفع شفاء بالظرف على المذهبين وتقديره شراب ثابت فيه شفاء وإذا عاد الضمير إلى القرآن ففي رفع شفاء خلاف فإن الظرف لم يجر على مذكور قبله لكيلا يعلم بعد علم شيئاً ان نصبت شيئاً يعلم وهو مذهب سيبويه كنت قد عملت الثاني واضمرت كالمفعول في يعلم على شريطة التفسير وان عملت يعلم وهو مذهب الفراء

اضمعت لعلم مفعولا وفصلت بين المعمول والعامل فجمعت بين مجازين بخلاف مذهب سيبويه

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف سبحانه على ما تقدم من دلائل التوحيد وعجائب الصنعة وبدائع الحكمة بقوله (وان لكم في الأنعام) يعني الابل والبقر والغنم (لعبرة) اي لعظة واعتبار أو دلالة على قدرة الله تعالى (نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً) وروى الكلبي عن ابن عباس قال إذا استقر العلف في الكرش صار اسفله فرثاً واعلاه دماً ووسطه لبناً فيجري الدم في العروق واللبن في الضرع ويبقى الفرث كما هو فذلك قوله من بين فرث ودم لبناً خالصاً لا يشوبه الدم ولا الفرث (سائغاً للشاربين) أي جائزاً في حلوقهم والكبد مسلطة على هذه الأصناف فيقسمها على الوجه الذي اقتضاه التدبير الإلهي يزين سبحانه لمن ينكر البعث ان من قدر على إخراج لبن أبيض سائغ من بين الفرث والدم من غير ان يختلط بها قادر على اخراج الموتي من الأرض من غير ان يختلط شي من ابدانهم بأبدان غيرهم ثم قال (ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكراً) قيل معناه ولكم عبرة فيما اخرج الله لكم من ثمرات النخيل والاعناب عن الحسن وقيل معناه من ثمرات النخيل والاعناب ما تتخذون منه سكراً والعرب تضرر ما لموصولة كثير آ قال سبحانه وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً أي ما ثم وقيل ان تقديره ومن ثمرات النخيل والاعناب شي تتخذون منه سكراً (ورزقاً حسناً) فعطف الموصوف لدلالة الصفة عليه والاعناب عطف على الثمرات أي ومن الاعناب شي تتخذون منه سكراً وهو كل ما يسكر من الشراب كالخمر . والرزق الحسن ما أحل منها كأكل والزبيب والرب والرطب والتمر عن ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبيرة والحسن وقتادة ومجاهد وغيرهم وروى الحاكم في صحيحه بالاسناد عن ابن عباس انه سئل عن هذه الآية فقال السكر ما حرم من ثمرها والرزق الحسن ما أحل من ثمرها قال قتادة نزلت الآية قبل تحريم الخمر ونزل تحريمها بعد ذلك في سورة المائدة قال ابو مسلم ولا حاجة إلى ذلك سواء كان الخمر حراماً أم لم يكن لأنه تعالى خاطب المشركين وعدد انعامه عليهم بهذه الثمرات والخمر من أشربتهم فكانت نعمة عليهم وقيل بالاصح بالسكر ما يشرب من أنواع الأشربة مما يحل والرزق الحسن ما يؤكل والحسن اللذيذ عن الشعبي والجبايي المعنى تتخذون منه اصنافاً من الأشربة والأطعمة وقد أخطأ من تعلق بهذه الآية في تحليل النبيذ لأنه سبحانه إنما أخبر عن فعل كانوا يتعاطونه فأى رخصة في هذا اللفظ والوجه فيه انه سبحانه أخبر انه خلق هذه الثمار لينتفعوا بها فاتخذوا منها ما هو محرم عليهم ولا فرق بين قوله هذا وبين قوله تتخذون أيانكم دخلاً ينسكم (إن في ذلك لآية) أي دلالة ظاهرة (لقوم يعقلون) عن الله تعالى ذلك ويتفكرون فيه يزين الله سبحانه بذلك انكم تستخرجون من الثمرات عصيراً يخرج من قشر قد اختلط به فكذلك الله يستخلص ما تبدد من الميت مما هو مختلط به من التراب (وأوحى ربك إلى النحل) أي ألهماً إلهاماً عن الحسن وابن عباس ومجاهد وقيل جعل ذلك في غرائزها بما يخفى مثله عن غيرها عن الحسن قال ابو عبيدة الوحي في كلام العرب على وجوه منها وحي النبوة ومنها الإلهام ومنها الاشارة ومنها الكتاب ومنها الامرار فوحي النبوة في قوله أو يرسل رسولا فيوحي باذنه والإلهام في قوله وأوحى ربك إلى النحل وأوحينا إلى ام موسى والاشارة في قوله فأوحى اليهم أن سبحوا قال مجاهد معناه أشار اليهم وقال الضحاك كتب لم والاسرار في قوله بوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً وأصل الوحي عند العرب ان يلقي الإنسان إلى صاحبه شيئاً بالاستتار والاختفاء وأما ما روي عن ابن عباس انه قال لا وحي إلا القرآن فإن المراد به ان القرآن هو الوحي الذي نزل به جبرائيل على محمد ﷺ دون ان يكون أنكر ما قلناه ويقال أوحى له وأوحى اليه قال العجاج «أوحى لها القرار فاستقرت» والمعنى ان الله تعالى ألهم النحل اتخاذ المنازل والمسكن والاوكار والبيوت في الجبال والشجر وغير ذلك وتقديره (أن اتخذني من الجبال بيوتا) للمسل ولا يقدر على مثلها أحد (ومن الشجر وما يمرشون) أي ومن الكرم لأنه

الذي يعرش ويتخذ منه العرش وفيه لغتان يعرشون ويعرشون بضم الراء وكسرهما وقد قرئ بها وقيل معنى
 يعرشون يبنون والعرش سقف البيت عن الكلبي والمعنى ما يبني الناس لها من خلاياها التي تعمل فيها ولولا إلهام
 الله إياها ما كانت تأتي إلى ما يبني لها من بيوتها وإنما أتى بلفظ الأمر وإن كانت النحل لا تعقل الأمر ولا تكون
 مأمورة لأنه لما أتى بلفظ الوحي أجرى عليه لفظ الأمر اتساعاً (ثم كلتي من كل الثمرات) أي من أنواع الثمرات
 من أي ثمرة شئت (فاسلكي سبل ربك) أي فادخلي سبل ربك التي جعلها الله لك (ذلالاً) أي مذلة موطأة
 للسلك واسعة يمكن سلوكها فيكون قوله ذلالاً صفة للسبل وهي منصوبة على الحال وهو قول مجاهد وقيل ذلالاً
 أي مطبوعة لله متقادة مسخرة ويكون من صفة النحل عن قتادة (يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه) وهو
 العسل فإن ألوانه مختلفة لأن منه ما هو شديد البياض ومنه ما هو أصفر ومنه ما يضرب إلى الحمرة وذلك أن
 النحل تتناول ألواناً مختلفة من النبات والزهر فيجعلها الله تعالى عسلاً على ألوان مختلفة يخرج من بطونها إلا أنها
 تلقية من فوهها كالريق الذي يخرج من فم ابن آدم وإنما قال سبحانه من بطونها ولم يقل من فيها لئلا يظن أنها
 تلقية من فيها ولم يخرج من بطونها (فيه شفاء للناس) من الأدوية عن قتادة وروي عن عبد الله بن مسعود أنه
 قال عليكم بالشفاء من القرآن والعسل وقيل معناه فيه شفاء للأوجاع التي شفاؤها فيه عن السدي والحسن وروي
 عن مجاهد أن الباء في فيه راجعة إلى القرآن أي القرآن فيه شفاء للناس يعني ما فيه من الحلال والحرام والفتيا
 والاحكام والأول قول أكثر المفسرين وهو الأقوى إذ لم يسبق للقرآن ذكر في النحل والعسل وجوه من
 الاعتبار منها اختصاصه بخروج العسل من فيه ومنها جعل الشفاء من موضع السد فإن النحل يلسع ومنها ما ركب
 الله من البدائع والعجائب فيه وفي طباعه ومن أعجبها أن جعل سبحانه لكل فئة بمسواها هو أميرها يقدمها ويحامي
 عنها ويدير أمرها ويسوسها وهي تتبعه وتقتفي أثره متى فقدته تحمل نظامها وزال قوامها وتفرقت شذر مذر وإلى
 هذا المعنى فيما قال أشار أمير المؤمنين (ع) سيف قوله أنا يعسوب المؤمنين (إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون)
 معناه إن فيما ذكرناه من بدائع صنع الله تعالى دلالة بيضاء لمن تفكر فيه ثم بين نعمته علينا في خلقنا وأخرجنا من
 العدم إلى الوجود فقال (والله خلقكم) أي أوجدكم وأنعم عليكم بضره النعم الدينية والدنيوية (ثم يتوفاكم)
 ويقبضكم أي يمتكم (ومنكم من يرد إلى أرذل العمر) أي دون العمر ووضعه أسه ببقية حتى يصير إلى حال
 الهرم والخرف فيظهر النقصان في جوارحه وحواسه وعقله ورواه عن علي (ع) إن أرذل العمر خمس وسبعون سنة
 ورواه عن غيره مثل ذلك عن النبي (صلى الله عليه وآله) وعن قتادة تسعون سنة (الذي لا يعمل بعد عن شيئاً) أي ليرجع إلى حال
 الطفولية بنسيان ما كان علمه لأجل الكبر فكأنه لا يعمل شيئاً مما كان علمه وقيل يقل علمه بخلاف ما كان عليه
 في حال شبابه (إن الله عليم) بصالح عباده (قدير) على ما يشاء من تدبيره وتقدير أحوالهم

قوله تعالى (٧١) وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَأْسِي
 رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٧٢) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ
 أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ
 أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ (٧٣) وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ
 لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٧٤) فَلَا تَضْرِبُوا اللَّهَ الْأَمْثَالَ إِنَّ
 اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ أربع آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو بكر بن عباس في حديثه بالفاء والباءون بالياء

﴿ الحجة ﴾

الوجه في القراءة بالياء أنه يرد به غير المسلمين لأنه لا يخاطب مسلماً بحمد الله والوجه في القراءة بالفاء أن له أفضلية الله التي تقدمه فتصاحبها تحجدهن ويقري الراء قوله وبهتمة لله هم يكفرون

— النسخة —

الحفدة جمع حفيد وأصل حفد لا يصرخ في العمل ومنه ما جاء في الدعاء واليك تسعي وتحفد وهو البعير يحفد حفداً أي ينادي من يصرخ به سيره قال الراعي

كففت معها لها نوقاً ميانية إذا حفدت على كسائي حفدوا

ومنه قيل للأعمام حفدة لأنهم أعين في صناعة قال جميل

حفد أولاد حور لها واستسلمت بأكفني أزمه الأجل

— الأعراب —

فهم فيه سواء جملة اسمية وقعت موقع جملة فعلية في موضع نصب لأنه جواب النفي بالفاء والتقدير فيستويها شيئاً انصب على احد وجبين ما ان يكون بدلاً من رزقاً بمعنى انه لا يملك له رزقاً قليلاً ولا كثيراً وهو قول لا يخش وأما ان يكون مفعولاً لقوله رزقاً فكأنه قال ما لا يملك له ان يرزق شيئاً وهو مما عمل من مصادر المتونة

﴿ المعنى ﴾

ثم عدد سبحانه نعمة منه أخرى فقال (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) فوسع على واحد وقتر على آخر على ما توجبه الحكمة (فما الذين فضلوا برزقهم على ما ملكت أيامهم فيه فيه سواء) اختلف في معناه على قولين أحدهما أنهم لا يشركون عبيدهم في موالهم وأزواجهم حتى يكملوا فيه سواء ويرى ذلك نصاً فلا يرضون لأنفسهم به وهم بشر كون عبيدي سيه ملكي وسلطاني ويوحون العباد والقرب اليهم كما يوجهونها إلى عن ابن عباس ومجاهد فتأذة قال ابن عباس يقول إذا لم ترضوا ان تجعلوا عبيدكم شركاء كما فكيف جعلتم عيسى آلها معه وهو عبده وتزلت سيه معاري نجران الحج والثاني أن معناه هؤلاء الذين قدس الله سيه الرزق من الأحرار لا يرزقون بمالكمه ان الله تعالى رازق الملائك والملائك فإن الذي يتفقه المولى على مالكمه إنما يتفقه ما رزقه الله تعالى فالله تعالى رزقهم جميعاً انه سواء في ذلك (أفنعمه الله بجهنم) أي أفضله النعمة التي عدتها واقتصتها بجهنم هؤلاء الكفار ثم عدد سبحانه نعمة أخرى فقال (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً) أي جعل لكم من جنسكم ومن الذين تلدوهم نساء جعلهن أزواجاً لكم لتكنوا اليهن وتأنسوا بهن (وجعل لكم من أزواجكم) يعني من هؤلاء الأزواج (بين) أي أسروا بهن وتربوا بهن (وحفدة) اختلف في معناه فقيل هم الخدم والأعوان عن ابن عباس وحسن ومكرمة وفي رواية الوالي هم أختان الرجل على شافته وهو المروي عن أبي عبد الله وعن ابن مسعود وإبراهيم وسعيد بن جبير وقيل هم البنون وبنو البنين عن ابن عباس في رواية أخرى ونصه عنه أيضاً أنه بنو امرأة الرجل من غيره في رواية الفسحاء وقيل البنون الصغار من الأولاد والحفدة الكفار منهم يسعون منه عن مقاتل (ورزقكم من العليبات) أي الأشباه التي تستطيعها قد باعها لكم وإنما دخلت من لأنه ليس كل ما يستطيعه لإنسان رزقاً له وإنما يكون رزقه ماله الضرف فيه وليس لأحد منه

منه (أفبالباطل يؤمنون) يريد بالباطل الأوثان والأصنام وما حرم عليهم وزينه الشيطان من البعائر وغيرها أي أفبذلك يصدقون (وبنعمة الله) التي عددها (هم يكفرون) أي يجحدون ويريد بنعمة الله التوحيد والقرآن ورسول الله ﷺ عن ابن عباس (ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً) أي لا يملك ان يرزقهم (من السموات والأرض شيئاً ولا يستطيعون) شيئاً مما ذكرناه وقيل ان رزق السماء الغيث الذي يأتي من جهتها ورزق الأرض النبات والثمار وغير ذلك من انواع النعم التي تخرج من الأرض (فلا تضربوا الله الأمثال) أي لا تجعلوا لله الأمثال والأشياء والأمثال في العبادة فإنه لا شبه له ولا مثل ولا أحد يستحق العبادة سواء وإنما قال ذلك في اتخاذهم الأصنام آلهة عن ابن عباس وقتادة (ان الله يعلم) ان من كان إلهاً فإنه منزّه عن الشركاء (وانتم لا تعلمون) ذلك بل تجهلون ولو تفكرتم لعلمتم وقيل معناه والله يعلم ما عليكم من المضرة في عبادة غيره وانتم لا تعلمون ولو علمتم لتركتهم عبادتها

قوله تعالى (٧٥) ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٧٦) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَأَبَا تَ يُخَيِّرُ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٧٧) وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصِيرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

ثلاث آيات

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قراءة ابن مسعود وعلقمة والحسن ومجاهد ابنا بوجه وروي عن علقمة بوجه يفتح الجيم

— (الحجة) —

قال ابن جني اما بوجه بكسر الجيم فعلى حذف المفعول أي أبنا بوجه وجهه فحذف للعلم به وأقول ان نظيره ما جاء في المثل « أبنا اوجه القى سعداً » ومعناه أبنا اوجه وجوه ركابي وسعد قبيلته أي كل الناس مثل قبيلتي في التحاسد وأما بوجه يفتح الجيم فمعناه ابنا يرسل أو يبعث لا يأتي بخير

﴿ اللغة ﴾

الابكم الذي بولد اخرس لا يفهم ولا يفهم وقيل الابكم الذي لا يمكنه أن يتكلم والكل الثقل يقال كل عن الأمر بكل كلا إذا نقل عليه فلم ينبعث فيه وكات السكين كلوا إذا غلظت شفرتها وكل لسانه إذا لم ينبعث في القول لغلظه وذهاب حده فالاصل فيه الغلظ المانع من النفوذ والتوجيه الارسال في وجه من الطريق يقال وجهته إلى موضع كذا فتوجه اليه

﴿ الاعراب ﴾

ومن رزقناه منا رزقاً حسناً رزقاً مفعول ثانٍ لرزقناه وفي هذا دليل على ان رزق يتعدى إلى مفعولين ألا ترى ان قوله رزقاً حسناً لو كان مصدرًا لما جاز ان يقول فهو ينفق منه لأن الاتفاق إنما يكون من المال لا من الحدث الذي هو المصدر

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه للمشركين امر ضلاتهم فقال (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء) أي بين الله مثلا فيه بيان المقصود تقريبا للخطاب إلى أفهامهم ثم ذكر ذلك المثل فقال عبدا مملوكا لا يقدر من امره على شيء (ومن رزقناه منا رزقا حسنا) يريد وحرا رزقناه وملكناه مالا ونعمة (فهو ينفق منه سرا وجهرا) لا يخاف من احد (هل يستون) ولم يقل يستويان لأنه أراد بقوله ومن رزقناه وقوله عبدا مملوكا الشروع في الجنس لا التخصيص يريد ان الاثنين المتساويين في الخلق إذا كان أحدهما مالكا قادرا على الاتفاق والآخر عاجزا عن الاتفاق لا يستويان فكيف يستوي بين الحجارة التي لا تعقل ولا تتحرك وبين الله عز اسمه القادر على كل شيء الخالق الرازق لجميع خلقه وهذا معنى قول المعاهد والحسن وقيل ان هذا المثل للكافر والمؤمن فإن الكافر لا خير عنده والمؤمن يكسب الخير من ابن عباس وقتادة زه الله سبحانه بذلك على اختلاف حالها ودعا إلى حال المؤمن وصرف عن حال الكافر (الحمد لله) أي الشكر لله على نعمه وفيه إشارة إلى ان النعم كلها منه وقيل معناه قولوا الحمد لله الذي دلنا على توحيد معرفته وهدانا إلى شكر نعمته وأوضح لنا السبيل إلى جنته (بل أكثرهم لا يعلمون) يعني ان أكثر الناس وهم المشركون لا يعلمون ان الحمد لله وان جميع النعمة مني ثم ضرب سبحانه مثلا آخر فقال (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء) من الكلام لأنه لا يفهم ولا يفهم عنه وقيل معناه لا يقدر ان يدير امر نفسه (وهو كل على مولاه) أي تقبل ووبال على وليه الذي يتولى أمره (أينما يوجهه لا يأت بغير) معناه انه لا منفعة لمولاه فيه أينما يرسله في حاجة لا يزجج بغير ولا يهتدي إلى منفعة (هل يستوي هو) أي هذا الأبكم الموصوف بهذه الصفة (ومن يأمر بالعدل) أي ومن هو فصيح يأمر بالعدل والحق ويدعو إلى الثواب والبر (وهو على صراط مستقيم) أي على دين قويم وطريق واضح فبما يأتي به ويذو والمراد انها لا يستويان قط لأنه لا جواب لهذا الكلام إلا النفي وهذا كما قال أفندي كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستون وقيل في معنى هذا المثل أيضا قولان ﴿ أحدهما ﴾ انه مثل ضربه الله تعالى فيمن يؤمل الخير من جهته ومن لا يؤمل منه واصل الخير كله من الله تعالى فكيف يستوي بينه وبين شيء سواه في العبادة ﴿ والآخر ﴾ انه مثل للكافر والمؤمن فالأبكم الكافر والذي يأمر بالعدل المؤمن من ابن عباس وقيل ان الأبكم الذي خلف ومن يأمر بالعدل حمزة وعثمان بن مظعون عن عطاء وقيل ان الأبكم هاشم بن عمر بن الحارث القرشي وكان قليل الخير يعادي رسول الله ﷺ عن مقاتل ثم وصف سبحانه نفسه مؤكدا لما قدم ذكره من اوصاف الكمال فقال (وفيه غيب السموات والأرض) ومعناه انه المختص بعلم الغيب وهو ما غاب عن جميع الخلائق ما يصح ان يكون معلوما قال الجبائي ويمكن ان يكون المعنى وفيه ما غاب عنكم مما في السموات والأرض ثم قال (وما امر الساعة) في قدرته (إلا كلح البصر) أي كطرف العين وقيل كرد البصر قال الزجاج وما امر اقامة الساعة في قدرته إلا كلح البصر أي لا يتعذر عليه شيء (او هو أقرب) من ذلك وهو مبالغة في ضرب المثل به في السرعة ودخول أو هنالحد امرين اما للابانة على انه على إحدى هاتين المنزلتين واما لشك المخاطب وقيل معناه بل هو أقرب (ان الله على كل شيء قدير) فهو قادر على اقامة الساعة وعلى كل شيء يريد ان القدير مبالغة في صفة القادر

﴿ النظم ﴾

وجه اتصاله بما قبله ان امر القيامة من الأمور الغائبة ومن اعظمتها واحمها لما فيه من الثواب والعقاب والاتصاف والاتصاف والساعة اسم لإماتة الخلق واحيائهم

قوله تعالى (٧٨) وَأَللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ

السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٤) أَلَمْ يَرْوُوا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ
السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٨٠) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ
مِنْ بُيُوتِكُمْ مَسْكَناً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ
إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعِيرِهَا إِنَّهَا وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ ثلاث آيات

(القراءة)

قد ذكرنا القراءة في امهاتكم في سورة النساء وقرأ ابن عامر وحزمة ويعقوب وسهل وحلف ألم تروا باناء
والياقون بالياء وقرأ اهل الكوفة وابن عامر ظعنكم ساكنة العين والياقون بفتح العين

(الحجة)

من قرأ ألم تروا باناء فلونه بدل عليه ما قبله من قوله وجعل لكم السمع ولامكم تشكرون ومن قرأ
باليا فانته على وجه التثنية لمن تقدم ذكرهم من الكفار والظلم والظلم بفتح الهمزة وسكونها لثان ومثله النهر
والنهر والشمع والشمع قال الاعشى

فقد شرب الراح قد تعلمين يوم النقام ويوم الظعن

قال ابو علي ولا يجوز ان يكون الظعن مخففا عن الظعن كما ان عضدا مخفف عن عضد وكففا مخففا عن كتف
الا ترى ان من قال ذلك لم يخفف نحو جعل ورسن كما ان الذي يقول والليل إذا يسر وذلك ما كنا نبع لا يقول
والليل إذا يمش وحرف الحلق وغيره في ذلك سواء

اللغة

الامهات اصله الامات ولكن الهاء زيدت مؤكدة كما زادوها في امرقت الماء والاصل امرقت والافئدة
جمع فؤاد كما يقال غراب وغريبة ولم يجمع الفؤاد على اكثر العدد بل يقل فيه فئدان كما قالوا غرابان الجو الهوا
البعيد من الأرض وابتعد منه السكاك والالوح وواحد السكاك سكاكة من الزجاج قال الشاعر

ويلمها في هوا الجو طالبة ولا كهذا الذي في الارض مطلوب

والسكن كل ما يسكن اليه والسكن ايضا المسكن قال الفراء السكن بفتح الكاف الدار وبسكونها
أهل الدار ومنه الحديث ان الزمانة تشبع السكن واصله من السكون الذي هو ضد الحركة وهما من جنس
الايوان التي يكون الجسم بها كأننا في الجينات ومنه السكين لأنه يسكن حركة المذبح والآثت. تناع البيت
الكثير من قوله شعر أثبت أي كثير او اث البت باث اذا كثرت والتفت وكذلك الشعر ولا واحد الآثت
كأنه لا واحد لتتاع قال الشاعر

أهجتك الظمائن يوم باتوا بذني الزبي الجميل من الآثت

(الاعراب)

قوله لا تعلمون شيئا في موضع نصب على الحال من الكاف والميم وقوله شيئا يجوز ان يكون متصبا على
المصدر أي لا تعلمون علما ويجوز ان يكون مفعولا ويكون تعلمون بمعنى تعرفون لاقتصاره على مفعول واحد والآثت
ومتاعا نصب بجعل اي يجعل لكم اتنا ومتاعا

(المعنى)

ثم عدد سبحانه نعماته أخر فقال (والله اخرجكم من بطون امهاتكم) معنا عليكم بذلك انتم (لا تعلمون

شيئا) من منافعكم ومضاركم في تلك الحال (وجعل لكم السم والابصار والأفئدة) أي تفضل عليكم بالحراس الصحيحة التي هي طرق إلى العلم بالمدرجات وتفضل عليكم بالقلوب التي تفقهون بها الأشياء. إذ هي محل المعارف (لعلكم تشكرون) أي لكي تشكروه على ذلك وتحمدهم ثم عطف سبحانه على ما تقدم من الدلائل بدلالة أخرى فقال (ألم تروا) أي ألم تتفكروا وتنظروا (إلى الطير مسخرات في جو السماء) أي كيف خلقها الله خالقة يمكنها معها التصرف في جو السماء صاعدة ومنحدرة وذاهبة وجائية مذلات للطيران في الهواء باجنحتها تطير من غير أن تعتمد على شيء (ما يسكنن إلا الله) أي ما يسكنن من السقوط على الأرض من الهواء إلا الله فيمسك الهواء تحت الطير حتى لا يتزل فيه كما مسك الماء تحت السائح في الماء حتى لا يتزل فيه فجعل مساك الهواء تحتها مساك لها على التوسع فلونسكنها في الجو إنا هو فعلها فالمعنى ألم تنظروا في ذلك فتعلموا أن ما مسخرها ومدبرها لا يعجزه شيء ولا يتعذر عليه شيء وأنه إنا خلقنا ذلك ليعتبروا به فيصلوا إلى الثواب الذي عرضهم له ولو كان فعل ذلك مجرد الأنعام على العبيد لكان حسنا لكنه سبحانه وتعالى ضم إلى ذلك التعريض للثواب (إن في ذلك لآيات) أي دلالات على وحدانية الله تعالى وقدرته (لقوم يؤمنون) لأنهم الذين انتفعوا به ثم عدد سبحانه نعمها آخر في الآية الأخرى فقال (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) أي موطئا تسكنون فيه مما يتخذ من الحجر والمدر وذلك أنه سبحانه خلق الخشب والمدر والآلة التي يمكن بها تسقيف البيوت ورباطؤها (وجعل لكم من جلود الأنعام) يعني الانطاع والادم (بيوتا تستخفونها) أي قبابا وخياما يخف عليكم حملها في أسفاركم (يوم ظعنكم) أي ارتحالكم من مكان إلى مكان وقيل معنى الظعن سير أهل البوادي لنجعة أو حضور ماء أو طلب مرتع (ويوم اقامتكم) أي اليوم الذي تزلون موضعا تقيمون فيه أي لا يتحمل عليكم في الحائتين (ومن أصوافها) وهي للضأن (وأوبارها) وهي للابل (وأشعارها) وهي للعز (إنا) أي إلا عن ابن عباس وقيل نوعا من متاع البيت من الفراش والأكسية وقيل طنافس ووسطا وثيابا وكسوة والكل متعاقب (ومتاعا) تستمتعون به ومعايشا تتجرون فيه (إلى حين) أي إلى يوم القيامة عن الحسن وقيل إلى وقت الموت عن الكلبي ويحتمل أن يكون أراد به موت المالك أو موت الأنعام وقيل إلى وقت البلى والفناء وفيه إشارة إلى أنها فانية فلا ينبغي للمعاقل أن يخنارها على نعيم الآخرة

قوله تعالى (٨١) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْبُرْصَ كَذَلِكَ يُمِيتُهُ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْلِمُونَ (٨٢) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٨٣) يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يَنْكُرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ (٨٤) وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٨٥) وَإِذْ آرَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ خمس آيات

الكمة

الأكنان جمع كمن وهو الموضع الذي يستتر صاحبه فيه ويقال كننت الشيء في كنه أي صنته واكننته أي أخفيت به وكل ما لبسته من قيص أو درع أو جوشن أو غيره فهو كمن قال الزجاج والعتب الموجدة يقال عتب عليه يعتب إذا وجد عليه فإذا فاوضه ما عتب عليه قالوا عاتبه وإذا رجع إلى مسرته قيل عتب والاسم العتبي وهو رجوع العتوب عليه إلى ما يرضي العاتب واستعته طلب منه أن يعتب قال أبو مسلم الاستعتاب مأخوذ من العتاب

والعشب واصله دبغ الاديم وهو عتابه وفي المثل إنما يعاتب الاديم ذو البشرة يقال عتب على فلان واستمته إذا أنكرت منه فعلا واستزنته عنه وارتد اصلاحه واعتبك فلان إذا صار لك إلى ما تحب وزال عما تكره

✽ الإعراب ✽

فإن تولوا شرط وتقديره فإن تولوا لم يلزمك تقصير من أجل توليهم فإن الذي عليك هو البلاغ إلا أنه حذف الجزء ادلالة الكلام عليه . للذين كفروا في محل الرفع لوقوع الاذن عليه

(- المعنى -)

ثم عدد سبحانه نما آخر أضافها إلى ما عدده قبل من نعمه فقال (والله جعل لكم مما خلق) من الاشجار والابنية (ظللا) أي أشيا تستظلون بها في الحر والبرد (وجعل لكم من الجبال اكنتا) أي مواضع تسكنون بها من كهوف وقبوع وتآرون اليها (وجعل لكم سراويل) أي قيصا من القطن والكتان والصوف من ابن عباس وقتادة (تقيكم الحر) ولم يقل وتقيكم البرد لأن ما وقى الحر وقى البرد وإنما خص الحر بذلك مع ان وقايتها للبرد أكثر لأن الذين خوطبوا بذلك أهل حر في بلادهم فحاجتهم إلى ما يقي الحر أكثر عن عطا على ان العرب تكثفي بذكر احد الشيتين عن الآخر للملم به كما قال الشاعر

وما ادري إذا يممت أرضا أريد الخير أيها يليني

فكنى عن الشر ولم يذكره لأنه مدلول عليه ذكره الفراء (وسراويل تقيكم بأسكم) يعني دروع الحديد تقيكم شدة الطمن والضرب وتدفع عنكم سلاح اعدائكم (كذلك) أي مثل ما جعل لكم هذه الاشيا . وانعم بها عليكم (يتم نعمته عليكم) يريد نعمة الدنيا ويدل عليه قوله (لعلكم تسلمون) قال ابن عباس معناه لعلكم يا أهل مكة تعلمون انه لا يقدر على هذا غيره فتصدقوا رسوله (فإن تولوا فإنا عليك البلاغ المبين) هذا تسلية للنبى ﷺ ومعناه فان عرضوا عن الايمان بك يا محمد والقبول عنك وعن التدبر لما عددته في هذه السورة من النعم وبينت فيها من الدلالات فلا عتب عليك ولا لوم فإنا عليك البلاغ الظاهر وقد بلغت كما امرت والبلاغ الاسم والتبليغ المصدر مثل الكلام والتكليم ثم اخبر سبحانه عن الكفار فقال (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها) أي يعرفون نعم الله تعالى عليهم بما يجدونه من خلق نفوسهم واكمال عقولهم وخلق انواع المنافع التي ينتعمون بها لهم ثم انهم مع ذلك ينكرون تلك النعم ان تكون من جهة الله تعالى خاصة بل يضيفونها إلى الأوثان ويشكرون الأوثان عليها يقولون رزقنا ذلك بشفاعه آهتنا فيشركونهم معه فيها وقيل ان معناه يعرفون محمدا ﷺ وهو من نعم الله سبحانه ثم يكذبونه ويحجدونه عن السدي (واكثرهم الكافرون) إنما قال اكثرهم لأن منهم من لم تقم الحجة عليه إذ لم يبلغ حد التكليف لصغره أو كان ناقص العقل مأوفا اولم تبلفه الدعوة فلا يقع عليه اسم الكفر وقيل انها ذكر الأكثر لأنه علم سبحانه ان فيهم من يؤمن وقيل انه من الخاص في الصيغة العام في المعنى عن الجبائي وقريب منه قول الحسن أراد جميعهم الكافرون وانما عدل عن البعض احتقارا له ان يذكره وفي هذه الآية دلالة على فساد قول المجبرة انه ليس لله تعالى على الكافر نعمة وان جميع ما فعله بهم إنما هو خذلان ونقمة لأنه سبحانه نص في هذه الآية على خلاف قولهم (ويوم نبئ من كل امة شهيدا) يعني يوم القيامة بين سبحانه انه يبعث فيه من كل امة شهيدا وهم الأنبياء والمدول من كل عصر يشهدون على الناس باعمالهم وقال الصادق (ع) لكل زمان وامة إمام تبث كل امة مع إمامها وفائدة بعث الشهداء مع علم الله سبحانه بذلك ان ذلك امر في النفس واعظم في تصور الحال وأشد في الفضيحة إذا قامت الشهادة بمحضرة الملائكة مع جلالة الشهود وعدالتهم عند الله تعالى ولأنهم إذا علموا ان المدول عند الله يشهدون عليهم بين يدي الخلائق فإن ذلك يكون زجرا لهم عن المعاصي وتقديره واذكر يوم نبئ (ثم لا يؤذن للذين كفروا) أي لا يؤذن لهم

في الكلام والاعتذار عن ابن عباس كما قال ولا يؤذن لهم فيعتذرون وقيل معناه لا يؤذن لهم في الرجوع إلى الدنيا وقيل معناه لا يسمع منهم العذر يقال أذنت له أي استمعت كما قال عدي بن زيد

في سماع يأذن الشيخ له وحديث مثل ما ذي مشار

عن ابي مسلم (ولا هم يستعتبون) أي لا يسترضون ولا يستصلحون كما كان يفعل بهم في دار الدنيا لأن الآخرة ليست بدار تكليف ومعناه لا يسألون ان يرضوا الله بالكف عن معصية يرتكبونها (وإذا رأى الذين ظلموا العذاب) معناه إذا رأى الذين اشر كوا بالله تعالى النار (فلا يخفف عنهم) العذاب (ولا هم ينظرون) أي لا يجهلون ولا يؤخرون بل عذابهم دائم في جميع الأوقات فان وقت التوبة والندم قد فات

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال قوله فان تولوا بما قبله انه سبحانه امر نبيه ﷺ ان يذكرهم بهذه النعم ويحث عليهم بهذه الحجج فان اسلموا فذاك وان امروا فلاشيء على الرسول فاستعليه البلاغ المبين فقط. ووجه اتصال الآية الأخيرة بما قبلها وهي قوله ويوم نبعث من كل امة شهيدا انها متصل بقوله فاننا عليك البلاغ لأن المعنى انا نجازيهم على اعمالهم يوم نبعث من كل امة شهيدا وقال ابو مسلم انه عطف على قوله والله خلقكم ثم يتوفاكم يريد ثم يبعثكم يوم يبعث من كل امة شهيدا

قوله تعالى (٨٦) وَإِذْ رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَاهُمْ هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ (٨٧) وَالْقَوْمَ إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ أَسْلَمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٨٨) الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ (٨٩) وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (٩٠) إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرٍ يُسَاعِدُ لِلْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَبُنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ خمس آيات

﴿ اللغة ﴾

تقول القيت الشيء إذا طرحته والقى الشيء الملقى والقيت اليه مقالة أي قلنتها له وتلقاها إذا قبلها والسلام الاستسلام والانقياد والتبنيان والبيان واحد. الازهري قال العرب تقول بينت الشيء تبيننا وتبيننا

﴿ المعنى ﴾

ثم ابان سبحانه عن حال المشركين يوم القيامة فقال (وإذا رأى الذين اشر كوا شر كما هم) يعني الاصنام والشياطين الذين اشر كواهم مع الله في العبادة وقيل ساهم شر كما هم لأنهم جعلوا لهم نصيبا من الزرع والانتعام فهم إذا شر كواهم على زعمهم (قالوا ربنا هؤلاء شر كارتنا الذين كنا ندعوا من دونك) أي يقولون هؤلاء شر كارتنا التي اشر كناها معك في الإلهية والعبادة واضلونا عن دينك فحملهم بعض عذابنا (فألقوا إليهم القول انكم لكاذبون) معناه فقالت الأصنام وسائر ما كانوا يعبدونه من دون الله بانطاق الله تعالى إياهم لهؤلاء انكم لكاذبون في انا امرناكم بعبادتنا وانكنكم اخترتم الضلال بسوء اختياركم لأنفسكم وقيل انكم لكاذبون في قولكم انا آلهة والقائم المعنى إلى النفس اظهارها حتى تدركه متميزا عن غيره (والقوا إلى الله يومئذ السلم) معناه

واستسلم المشركون وما عبدوهم من دون الله لأمر الله وانقادوا لحكمه يومئذ عن قتادة وقيل معناه ان المشركين زال عنهم نخوة الجاهلية وانقادوا قسرا لا اختيارا واعترفوا بما كانوا ينكرونه من توحيد الله تعالى (وضل عنهم ما كانوا يفترون) أي بطل ما كانوا يأملونه ويتمنون من الأمانى الكاذبة من ان آلهتهم تشفع لهم وتنفذ (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) أي اعرضوا عن دين الله وقيل صدوا غيرهم عن اتباع الحق الذي هو سبيل الله وقيل صد المسلمين عن البيت الحرام عن ابي مسلم (زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون) أي عذبناهم على صددهم عن دين الله زيادة على عذاب الكفر وقيل زدناهم الأقامي والمقارب في النار لها انياب كالنخل الطوال عن ابن مسعود وقيل هي انهار من صفر مذاب كالنار يعذبون بها عن ابن عباس ومقاتل وقيل زيدوا حيات كأمثال الفيلة والبيوت وعقارب كالغزال الدم عن سعيد بن جبير (ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم) أي من امثالهم من البشر ويجوز ان يكون ذلك الشهيد نبيهم الذي ارسل اليهم ويجوز ان يكون المؤمنون المارقون يشهدون عليهم بما فعلوه من المعاصي وفي هذا دلالة على ان كل عصر لا يجوز ان يخلو ممن يكون قوله حجة على أهل عصره وهو عدل عند الله تعالى وهو قول الجبائي واكثر اهل العدل وهذا يوافق ما ذهب اليه اصحابنا وان خالفوهم في ان ذلك العدل والحجة منه هو (وجئنا بك) يا محمد (شهيدا على هؤلاء) يريد على قومك وامتك ولما افرد بالذکر تشريفا له وتم الكلام هاهنا ثم قال سبحانه (وتولنا عليك الكتاب) يعني القرآن (تبيان لكل شيء) أي بيان لكل امر مشكل ومعناه ليعين كل شيء يحتاج اليه من امور الشريعة فإنه ما من شيء يحتاج الخلق اليه في امر من امور دينهم إلا وهو مبين في الكتاب اما بالتنصيص عليه او بالاحاطة على ما يوجب العلم من بيان النبي ﷺ واخبر القائلين مقامه أو ابعاع الأمة فيكون حكم الجميع في الحاصل مستفادا من القرآن (وهدي ورحمة) أي ونزلنا عليك القرآن دلالة إلى الرشد ونعمة على الخلق لما فيه من الشرائع والاحكام ولأنه يؤدي إلى نعم الآخرة (وبشرى للمسلمين) أي بشارة لهم بالثواب الدائم والتعيم المقيم (ان الله يأمر بالعدل) وهو الاتصاف بين الخلق والتعامل بالاعتدال الذي ليس فيه ميل ولا عوج (والاحسان) إلى الناس وهو التفضل ولفظ الاحسان جامع لكل خير والاغلب عليه استعماله في التبرع بابناء المال وبذل السعي الجميل وقيل العدل التوحيد والاحسان أداء الفرائض عن ابن عباس وعطاء وقيل العدل في الأفعال والاحسان في الأقوال فلا يفعل إلا ما هو عدل ولا يقول إلا ما هو حسن وقيل العدل ان ينصف ويتنصف والاحسان ان ينصف ولا ينتصف (وإيتاء ذي القربى) أي ويأمركم باعطاء الأقارب حقهم بصلتهم وهذا عام وقيل المراد بذوي القربى قرابة النبي ﷺ الذين ارادهم الله بقوله فإِنَّهُ خَمَسَهُ لِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى عَلَى مَا مَرَّ تَفْسِيرُهُ وهو المرودي عن ابي جعفر (ع) قال نحن هم (وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى) انا جمع بين الأوصاف الثلاثة في النهي مسم ان الكل منكر فاحش ليعين بذلك تفصيل ما نهى عنه لأن الفحشاء قد يكون ما يفعله الإنسان في نفسه من القبيح مما لا يظهره والمنكر ما يظهره للناس مما يجب عليهم انكاره والبغى ما يتطاول به من الظلم لغيره وقيل ان الفحشاء الزنا والمنكر ما ينكره الشرع والبغى الظلم والكبر عن ابن عباس وقيل ان العدل استواء السرية والعلانية والاحسان ان تكون السرية أحسن من العلانية والفحشاء والمنكر ان تكون العلانية أحسن من السرية عن سفيان بن عيينة (يعظكم لعلكم تذكرون) معناه يعظكم بما تضمنت هذه الآية من مكارم الأخلاق لكي تذكروا وتذكروا وترجعوا إلى الحق قال عبد الله بن مسعود هذه الآية أجمع آية في كتاب الله للخير والشر قال قتادة أمر الله سبحانه بمكارم الأخلاق ونهاهم عن سفاسف الاخلاق وجاءت الرواية ان عثمان بن مظعون قال كنت اسلمت استحيا من رسول الله ﷺ لكثرة ما كان يعرض علي الإسلام ولم يقبل الإسلام في قلبي فكنت ذات يوم عنده حال تأمله ف شخص بصره نحو السماء كأنه يستنهم شيئا فلما سري منه سأته قال له فقال نعم بينا أنا أحدثك إذ رأيت جبرائيل في افواه فأتاني بهذه الآية ان الله يأمر بالعدل والاحسان وقرأها علي إلى آخرها فقرأ

الإسلام في قلبي وأتيت عمه أبا طالب فأخبرته فقال يا آل قريش اتبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم ترشدوا فإنه لا يأمركم إلا بتكامل الأخلاق وأتيت الوليد بن المغيرة وقرأت عليه هذه الآية فقال إن كان محمد فتنم ما قال وإن قاله ربه فتنم ما قال قال فأتول الله أفرايت الذي تولى وأعلى قليلا واكندى يعني قوله فتنم ما قال ومعنى قوله واكندى أنه لم يقم على ما قاله وقطعه وعن معكرمة قال إن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية على الوليد بن المغيرة فقال يا ابن أخي اعد فأعاد فقال إن له خلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمشر وإن أسفله لمغند وما هو قول البشر

✽ النظم ✽

وجه اتصال قوله وتزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء بما قبله أنه سبحانه لما بين أن الأنبياء تشهد على أمهم يوم القيامة بين عقبيه أنه سبحانه قد كلف الجميع وإزاح عنهم في التكليف بأن أتزل القرآن بما فيه من البيان والهداية والرحمة والبشارة لأهل الإيمان وانهم إذا عوقبوا فإنا أتوا في ذلك من قبل نفوسهم وهذا كله ما يدخل في الشهادة ووجه اتصال قوله إن الله يأمر بالعدل الآية بما قبله أنه سبحانه لما ذكر القرآن بين عقبيه ما يأمر به وينهى عنه فيه وقيل أنه يتصل بقوله ويوم نبث كأنه قال بعد ذكر القيامة والشهود أنه يأمر بالعدل وينهى عن الظلم فأعدوا أنه سبحانه لا يظلم أحدا بل يعدل ويتفضل ولذلك جاء بالشهود ليشهدوا على أمهم أنهم أتوا فيما لا قوة من العذاب من قبل أنفسهم

قوله تعالى (٩١) وَأَوْفُوا بعهدي الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تعملون (٩٢) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزْلَهُمْ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ فِي أَرْضٍ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِهِ وَلِيَبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٩٣) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتَسْتَلْزَمَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَخْتَلِفُونَ (٩٤) وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا أَلْسِنَةَ إِيْمَانِكُمْ بِمَا صَدَقْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ أربع آيات

✽ التثنية ✽

التوكيد التثنية راد كد عقده أي شدة وهي لغة فعل الجواز وأصل نجد يقولون اكدت تأكيدا والاتكاث الانقاض واحدها نكت والنكت المصدر وهذا قول لا نكتة فيه أي لا خلف وكل شيء نقض بعد التثنية فهو انكاث جلا كان أو نزلا والجل منتكث أي منتقض ومنه سورا من تابع الإمام طائفا ثم خرج عليها كما لأنه نقض ما وكد على نفسه الأيمان واليهود كفعل الناكثة غزها والنشل ما ادخل في الشيء على فساد وقيل الدخل الدغل والحديمة وإنما قيل الدخل لأن داخل القلب على ترك الوفاء والظاهر على الوفاء قال أبو عبيدة كل امرئ يمكن صحيحا فهو دخل وكل ما دخله عيب فهو منخول واربع افضل من الربا وهو الزيادة ربه الربوة والربا في المال والربى فلان للزيادة التي تريد على عزبة في رأس ماله قال الشاعر

واسمر خطي كأن كموبه نوى القسب قد اربى ذراعا على العشر

✽ الاعراب ✽

انكاثا منصوب لأنه في معنى المصدر دخلا بينكم منصوب لأنه مفعول له والمضى تتخذون ايمانكم للدخل

والغش وقوله ان تكون امة على تقدير بان تكون امة وهي اربى موضع اربى رفع مبتدأ وخبر وكلامهما في محل النصب بانه خبر كان وقال الفراء ان موضع اربى نصب وهي عماد وهذا لا يجوز لان الفصل الذي يسميه الكوفيون عمادا لا يدخل بين النكرة وخبره وقد اخطأ أيضا بان شبه ذلك بقوله تجدوه عند الله هو خيرا فالله الهاء في تجدوه معرفة وهاهنا امة نكرة فلا يشبه ذلك ويجوز ان تكون الجملة صفة لامة ولا يحتاج تكون إلى خبر لانه بمعنى يحدث ويقع وامة فاعله وتقديره كراهة ان تكون فهو مفعول له وثلاثا يكون عند الكوفيين

— المعنى —

لما تقدم ذكر الأمر بالعدل والاحسان والنهي عن المنكر والعدوان عقبه سبحانه بالأمر بالرفاء بالهدى والنهي عن نقض الأيمان فقال (وافرأوا بعد الله إذا عاهدتم) قال ابن عباس الومد من العهد وقال المفسرون العهد الذي يجب الوفاء به والوعده الذي يحسن فعله وعاهد الله ليفعله فإنه يصير واجبا عليه (ولا تنقضوا الأيمان بعدتوكيدها) هذا نهي منه سبحانه عن نكث الأيمان وهو ان ينقضها بخلافه موجبها وارتكاب ما يخالف عقدها وقوله بعدتوكيدها أي بعد عقدها وبراءها وتوثيقها باسم الله تعالى وقيل بعد تشديدها وتغليظها بالعزم والعقد على اليقين بخلاف لعمري اليقين عن ابي مسلم (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) أي حسيبا فيا عاهدتموه عليه وقيل كفيلا بالرفاء وذلك ان من حلف بالله فكأنه اكفل الله بالرفاء بما حلف وقيل انه قولهم الله علي كفيل أو وكيل وقيل أراد به ان الكفيل بالشئ يكون حفيظا له والانسان انما يؤكد الأمر على نفسه بذكر اسم الله تعالى على جهة اليقين ليحفظ سبحانه ذلك الامر (ان الله يعلم ما تفعلون) من نقض العهد والرفاء به فإياكم ان تلقوه وقد نقضتم وهذه الآية نزلت في الذين بايعوا النبي ﷺ على الاسلام فقال سبحانه للذين بايعوه لا يحملنكم قسلة المسلمين وكثرة المشركين على نقض البيعة فإن الله حافظكم أي اثبتوا على ما عاهدتم عليه الرسول واكذبوه بالأيمان وقيل نزلت في قوم خانقوا قوما فجاهم قوم وقالوا نحن أكثر منهم وامز واقوى فانقضوا ذلك العهد خانقونا (ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة) أي لا تكونوا كالامراة التي غزلت ثم نقضت غزلها من بعد امرار وقتل للنزل وهي امرأة حمقاء من قريش كانت تنزل مع جواربها إلى انتصاف النهار ثم تأمرهن ان ينقضن ما غزلن ولا يزال ذلك دأبها واسمها ربيعة بنت عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة وكانت تسمى خرقاء مكة عن الكلبي وقيل انه مثل ضربه الله تعالى شبه فيه حال ناقض العهد بن كان كذلك (انكثانا) جمع نكث وهو النزل من الصرف والشمر يعرم ثم ينكث وينقض لينزل ثانية (تتخذون ايمانكم دخلا بينكم) أي دخلا وخيانة ومكرا وذلك انهم كانوا يخلفون في عهدهم ويضرون الحيانة وكان الناس يسكنون إلى عهدهم ثم ينقضون العهد فقد اتخذوا ايمانهم مكرا وخيانة (ان تكون امة هي اربى من امة) أي لا تنقضوا العهد بسبب ان يكون قوم اكثر من قوم وامة اعلى من امة ولاجل ذلك وتقديره ولا تنكثوا ايمانكم متخذينها دخلا وغدرا وخديعة لمداراتكم قوما هم اكثر عددا من حلفتهم له ولقلتكم وكثرتهم بل عليكم الوفاء بما حلفتهم والحفظ لما عاهدتم عليه (انما يبلوكم الله به) أي انما يختبركم الله بالأمر بالرفاء والهاء في به عائدة على الامر وتحقيقه انه يعاملكم بمعاملة المختبر ليقم الجزاء بحسب العمل (وليبين) اي وليفصل (لكم يوم القيامة ما كنتم فيه) أي في صحته (تختلفون) وليظهرن لكم حكمه حتى يعرف الحق من الباطل (ولو شاء لجلعكم امة واحدة) أي لجعلكم مهتدين يعني به مشيئة القدرة كما قال ولو شاء الله لجلعهم على الهدى (ولكن يضل من يشاء) بالخذلان او بالحكم عليه بالضلال (ويهدي من يشاء) بالتوفيق وبالحكم عليه بالهداية وقد ذكرنا معاني الضلال والهدى في سورة البقرة (ولتستأنن عما كنتم تعملون) من الطاعات والمعاصي فستجازون على كل منها بقدرة (ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم) نهي سبحانه عن الحلف على امر يكون باطنه بخلاف ظاهره فيضمر خلاف ما يظهر أي يضم الخلف

والخنث فيه (فنزل قدم بعد ثبوتها) هذا مثل ضربه الله تعالى ومعناه فضلوا عن الرشد بعد ان تكونوا على هدى يقال زل قدم فلان في امر كذا إذا عدل عن الصواب وقيل معناه فيسخط الله عليكم بعد رضاه عنكم لأن ثبات القدم تكون برضاه الله سبحانه وزلة القدم تكون بسخطه وقيل انها نزلت في الذين بايعوا رسول الله ﷺ على نصرته الإسلام وأهله فنهوا عن نقض ذلك (وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله) أي تذوقوا العذاب بما منعتم الناس عن اتباع دين الله (ولكم) مع ذلك (عذاب عظيم) يريد عذاب الآخرة وروي عن سلمان الفارسي « ره » انه قال تهلك هذه الأمة بنقض موافيقها وروي عن ابي عبد الله (ع) انه قال نزلت هذه الآيات في ولاية علي (ع) وما كانت من قول رسول الله ﷺ سلموا على علي باصرة المؤمنين

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال قوله ولو شاء الله لجلدكم امة واحدة الآية بما قبله انه اخبر في الآية المتقدمة انه يبين لهم في الآخرة الحق من الباطل والحق من المبطل بيان ضرورة فأخبر عقيب ذلك انه يقدر على ذلك أيضا في الدنيا ولكنه لم يفعل ذلك ليستحق الناس الثواب بأعمالهم

قوله تعالى (٩٥) وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩٦) مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٨) فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٩) إِنَّهُ لَبِئْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (١٠٠) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ست آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر وابن كثير وعاصد ولنجزين بالنون والباقون بالياء وروي عياش عن ابي عمرو بالنون ايضا

﴿ الحجة ﴾

حجة الياء وما عند الله باق والنون في المعنى مثل الياء

﴿ اللمة ﴾

النفاذ الفناء ونفذ الشيء ينفذ نفادا إذا فني وانفذ القوم إذا فني زادهم ونافذت الرجل مثل حاكتته ومعناه يرجع إلى ان كل واحد من الخصبين يريد نفاذ حجة الآخر ومنه الحديث ان نافذتهم نافذوك ومن الناس من يرويه بالقاف والمعنى ان قلت قالوا لك والباقي هو الموجود المستمر وجوده وقيل الموجود عن وجود من غير فصل وضده الفاني وهو المعدم بعد الوجود واختاف المتكلمون في الباقي فقال البلخي انه يبقى بمعنى هو بقاء وقال الاكثرون لا يحتاج إلى معنى به يبقى والبقاء هو استمرار الوجود والاستمادة طلب المعاذ استفعال من العوذة والعياذ والله سبحانه معاذ من عاذبه وقال النبي ﷺ للمرأة التي قالت له اعوذ

بالله منك لقد عدت بماذا فالحقي بأهلك واصل السلطان من التسلط وهو القهر وانما سميت الحجة سلطانا لأن الخصم به يقهر وقبل اشتق من السليط وهو دهن الزيت وسميت الحجة سلطانا لاضاها في الحديث عن ابن عباس رأيت عليا وكان عهيه سراحا سليط

✽ الاعراب ✽

ما عند الله اسم ان وهو فصل وخبر وجبره وما عندكم مستدا وينفذ خبره وكذلك ما عند الله باق وانما قال ولنجزينهم بلفظ الجمع لأن لفظ من يقع على الواحد والجمع فرد الضمير على المعنى

== النزول ==

قال ابن عباس ان رجلا من حضرموت يقال له عبدان الاشرع قال يا رسول الله ان امرأ القيس الكندي جاورني في ارضي فاقتطعت من ارضي فذهب بها مني والقوم يعلمون اني لصادق ولكنه اكرم عليهم مني فسأل رسول الله ﷺ امرأ القيس عنه فقال لا أدري ما يقول فأمره ان يحلف فقال عبدان انه فاجر لا يبالي ان يحلف فقال ان لم يكن لك شهود فخذ يمينه فلما قام ليحلف انظره فانصرفا فنزل قوله ولا تشتروا بعهد الله الا بتان فلما قرأهما رسول الله ﷺ قال امرؤ القيس اما ما عندي فينفذ وهو صادق فيما يقول لقد اقتطعت ارضه ولم أدر كم هي فلأخذ من ارضي ما شاء ومثلها معها بما اكلت من ثمرها فنزل فيه ومن عمل صالحا الآية

✽ المعنى ✽

لما تقدم النبي عن نقض العهد اكد سبحانه فقال (ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا) اي لا تخالفوا عهده بسبب شيء يسير تنالونه من حطام الدنيا فتكونوا قد بتم عظيم ما عند الله بالشيء الحقير (ان ما عند الله هو خير لكم) معناه ان الذي عند الله من الثواب على الوفاء بالعهد خير لكم واشرف مما تأخذونه من عرض الدنيا على نقضها فان القليل الذي يبقى خير من الكثير الذي يبقى فكيف بالكثير الذي يبقى سيفه مقابلة القليل الذي يبقى (ان كنتم تعملون) الفرق بين الخير والشر والتفاوت الذي بين القليل الغاني والكثير الباقي (ما عندكم ينفذ وما عند الله باق) بين سبحانه بهذا ان العلة التي لأجلها كان الثواب خيرا من متاع الدنيا هو ان الثواب الذي عند الله يبقى والذي عندكم من نعيم الدنيا يبقى ثم اخبر سبحانه انه يجزي الصابر بن فقال (ولنجزين الذين صبروا) اي لسكانت الذين ثبتوا على الطاعات وعلى الوفاء بالعهد (اجرهم) وثوابهم (باحسن ما كانوا يعملون) اي بالطاعات من الواجبات والمندوبات فان اعمال المكلف قد تكون طاعة وقد تكون مباحا لا يقع الجزاء عليه ولا يستحق عليه اجر ولا حمد فلذلك قال سبحانه باحسن فان الطاعة احسن من المباح وهذا يدل على فساد قول من يقول انه لا يكون حسن احسن من حسن (من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن) هذا وعدم الله سبحانه اي من عمل عملا صالحا سواء كان ذكرا او انثى وهو مع ذلك مؤمن مصدق بتوحيد الله مبرصدق انبيائه (فلنجزيه حياة طيبة) قيل فيه اقوال ✽ احدها ✽ ان الحياة الطيبة الرزق الحلال عن ابن عباس وسعيد بن جبيرة عطا ✽ وثانها ✽ انها القناعة والرضا بما قسم الله عن الحسن وهب وروي ذلك عن النبي ﷺ ✽ وثالثها ✽ انها الجنة عن قتادة ومجاهد وابن زيد قال الحسن لا يطيب لأحد حياة الا في الجنة وقال ابن زيد الا ترى الى قوله يا ليتني قدمت لحياقي ✽ ورابعها ✽ انها رزق يوم يوم ✽ وخامسها ✽ انها حياة طيبة في القبر (ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون) مر تفسيره وإنما كرره تأكيدا (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) معناه اذا اردت يا محمد قراءة القرآن فاستعذ بالله من شر الشيطان المرجوم المطرود

المؤمن وهذا كما يقال إذا أكلت فأغسل يديك وإذا صليت فكبير ومنه إذا قمتم إلى الصلاة فأغسلوا وجوهكم والاستعاذة استدفاع الأذى بالأعلى على وجه الخضوع والتذلل وتأويله استعانة بالله من وسوسة الشيطان عند قراءتك لتسلم في التلاوة من الزلل وفي التأويل من الخطأ والاستعاذة عند التلاوة مستحبة غير واجبة بخلاف في الصلاة وخارج الصلاة وقد تقدم ذكر اختلاف القراء في لفظ الاستعاذة في أول الفاتحة (أنه) يعني الشيطان (ليس له سلطان) أي تسلط وقدرة (على الذين آمنوا) بالله (وعلى ربهم بتوكلون) والمعنى أنه لا يقدر على أن يكفرهم على الكفر والمعاصي وقيل معناه ليس له حجة على ما بدعوهم إليه من المعاصي عن فتادة (إنما سلطانه على الذين يتولونه) معناه إنما تسلطه على الذين يعطيونه قلوبهم دعاءه ويتبعون أهواءه (والذين هم به) أي بسبب طاعته (مشركون) بالله وقيل معناه والذين هم بالله مشركون أي بشركون مع الله سبحانه غيره في العبادة عن مجاهد

﴿ النظم ﴾

اتصل قوله فإذا قرأت القرآن الآيات بما قدمه سبحانه من الأمر بالطاعات فعقب ذلك بالاستعاذة من الشيطان الأمر بالمعاصي تحذيراً منه وإنما خص بالقرآن لأن القرآن هو العمدة في جميع أمور الدين وقيل اتصل بقوله وإنزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ثم اعترض ذكر الأمر والنهي ثم عاد الكلام إلى ذكر القرآن والأمر بالاستعاذة عند قراءته

قوله تعالى (١٠١) وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠٢) قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٣) وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (١٠٤) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٥) إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَاذِبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ بلحدون بفتح الياء والحاء أهل الكوفة غير عاصم والباقون بلحدون بضم الياء وكسر الحاء وروي في الشواذ عن الحسن اللسان الذي بلحدون إليه بالالف واللام

— الحجة —

حجة من قرأ بلحدون قوله ومن يرد فيه بالحاء ومن قرأ بلحدون فلأن لحد لغة في الحد وذلك إذا مال ومنه أخذ اللحد لأنه في جانب القبر ويكون الضم أرجح من حيث لغة التنزيل

— اللغة —

التبديل في اللغة رفع الشيء مع وضع غيره مكانه يقال بدله وأبدله واستبدل به بمعنى واللسان العضو المعروف ويقال للغة اللسان وتقول العرب للقصيدة هذه لسان فلان قال الشاعر

لسان السوء تهديها إلينا وحنت وما حسبتك إن تحينا

﴿ المعنى ﴾

ثم قال سبحانه مخبراً عن أحوال الكفار (وإذا بدلنا آية مكان آية) معناه وإذا نسخنا آية وأتينا مكانها آية

اخرى إمانسخ الحكم والتلاوة وإمانسخ الحكم مع بقاء التلاوة (والله اعلم بما ينزل) معناه والله اعلم بمصالح ما ينزل
 فينزل كل وقت ما توجه المصلحة وقد تختلف المصالح باختلاف الاوقات كما تختلف باختلاف الاجناس والصفات
 (قالوا انما انت مفتر) اي قال المشركون انما انت كاذب على الله قال ابن عباس كانوا يقولون يسخر محمد
 باصحابه بأمرهم اليوم بأمر وغدا بأمرهم بأمر وانه لكاذب بأنتهم بما يقول من عند نفسه (بل اكثرهم لا يعلمون)
 اي لا يعلمون انه من عند الله او لا يعلمون جواز النسخ ولا شيء سبب ورد النسخ (قل) يا محمد (نزل روح
 القدس) اي انزل الناسخ جبرائيل (ع) (من ربك بالحق) اي بالأمر الحق الصحيح الثابت (ليثبت الذين
 آمنوا) بما فيه من الحجج والآيات فيزدادوا تصديقا وبقينا ومعنى تثبيته استدعاؤه لهم بالطاعة ومعونه الى الثبات
 على الايمان والطاعة (وهدى) اي وهو هدى فيكون هدى خبر مبتدأ محذوف (وبشرى للمسلمين) اي
 بشاره لهم بالجنة والثواب (ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر) يقول سبحانه انا نعلم ان الكفار يقولون
 ان القرآن ليس من عند الله وانما يعلم النبي ﷺ بشر قال ابن عباس قالت قريش انما يعلمه بلامم وكان
 قينا بمكة روميا نصرانيا وقال الضحاك اراد به سلمان الفارسي (ره) قالوا انه يتعلم القصص منه وقال مجاهد
 وقتادة ارادوا به عبدا لبني الحضرمي روميا يقال له يعيش او عائش صاحب كتاب اسلم وحسن اسلامه وقال
 عبد الله بن مسلم كان غلامان في الجاهلية نصرانيان من اهل عين التمر اسم احدهما يسار واسم الآخر
 خير كانا صيقلين يقرآن كتابا لهما بلسانهن وكان رسول الله ﷺ ربما مر بهما واستمع لقرائتهما فقالوا
 انما يتعلم منهما ثم الزمهم الله تعالى الحجة واكذبهم بأن قال (لسان الذي يلحدون اليه اعجمي) اي لغة
 الذي يضيفون اليه التعليل ويميلون اليه القول اعجمية ولم يقل اعجمي لأن العجمي هو المنسوب الى العجم
 وان كان فصيحاً والاعجمي هو الذي لا يفصح وان كان عربيا الا ترى ان سبويه كان عجميا وان كان لسانه
 لسان اللغة العربية وقيل يلحدون اليه يرمون اليه ويرمعون انه يعلمك اي لسان هذا البشر الذي يزعمون انه
 يعلمك اعجمي لا يفصح ولا يتكلم بالعربية فكيف يتعلم منه ما هو في اعلى طبقات البيان (وهذا) القرآن
 (لسان عربي مبين) اي ظاهري لا يشكك يعني اذا كانت العرب تعجز عن الاتيان بمثله وهو بلنتهم
 فكيف يأتي الأعجمي بمثله قال الزجاج وصفه بأنه عربي اي صاحبه يتكلم بالعربية ثم اتبع سبحانه هذه
 الآية بذكر الوعيد للكفار على ما قالوه فقال (ان الذين لا يؤمنون بأيات الله) اي بحجج الله التي اظهرها
 والمعجزات التي صدق بها قومك يا محمد (لا يهديهم الله ولم عذاب اليم) اي لا يشتهم الله على الايمان ولا يهديهم الى
 طريق الجنة بدلالة انما نفى هداية من لا يؤمن فالظاهر انه اراد بذلك الهدى الذي يكون ثوبا على الايمان
 لا الهداية التي في قوله فاما ثود فهديتهم ثم بين سبحانه ان هؤلاء هم المغترون فقال (انما يفترى الكذب
 الذين لا يؤمنون بأيات الله) اي انما يبتدع الكذب الذين لا يصدقون بدلائل الله تعالى دون من آمن
 بها لأن الايمان يحجز عن الكذب (وأولئك هم الكاذبون) لا انت يا محمد فخصر فيهم الكذب بمعنى ان
 الكذب لازم لهم وعادة من عاداتهم وهذا كما تقول كذبت وانت كاذب فيكون قولك انت كاذب
 زيادة في الوصف بالكذب وفي الآية تجز عن الكذب حيث اخبر سبحانه انه انما يفترى الكذب من
 لا يؤمن وقد روي مرفوعا انه قيل يا رسول الله المؤمن يزني قال قد يكون ذلك قيل يا رسول الله المؤمن
 يسرق قال قد يكون ذلك قيل يا رسول الله المؤمن يكذب قال لا ثم قرأ هذه الآية

(النظم) -

قيل في اتصال قوله وإذا بدلنا آية مكان آية بما تقدم وجهاً واحدهما ﴿﴾ انه من تمام صفة اولياء الشيطان

المذكورين في قوله على الذين يتولونه وتقديره يتولون الشيطان وبشر كون بالآية المنزلة ويقولون عند تبديل الآية مكان الآية الأخرى إنما أنت مفتر * والآخرة * ان الآية منقطعة عما قبلها وهي معطوفة على الآتي المتقدمة التي فيها وصف أفعال الكافرين والاول أوجه

قوله تعالى (١٠٦) مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٧) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (١٠٨) أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَتْهُمْ أَبْصَارُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٠٩) لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْخَاسِرُونَ (١١٠) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا لَكُمْ جَاهِدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ خمس آيات

✽ القراءة ✽

قرأ ابن عامر فتنوا بفتح الفاء والتاء والباقون فتنوا بضم الفاء وكسر التاء.

✽ الحجة ✽

قال ابو علي حجة من قرأ فتنوا ان الآية في المستضعفين المقيمين الذين كانوا بمكة وهم صهيب وعمار وبلال فتنوا وحلوا على الارتداد عن دينهم فمنهم من اعطى التقية وعمار منهم فإنه من اظهر ذلك تقية ثم هاجر ومن قرأ فتنوا فيكون على معنى فنن نفسه باظهار ما اظهر من التقية فكأنه يحكي الحال التي كانوا عليها من اظهار ما اخذوا به من التقية لأن الرخصة فيه لم تكن نزلت بعد وهي قوله ان الذين توفاهم الملائكة ظمالي أنفسهم إلى قوله إلا المستضعفين وقوله من كفر بالله من بعد إيمانه إلا ومن اكرهه وقلبه مطمئن بالإيمان - (الاعراب) -

قال الزجاج قوله من كفر بالله في موضع رفع على البدل من الكاذبين وهو تفسير للكاذبين ولا يجوز ان يكون رفعا بالابتداء لأنه لا خبر هاهنا للابتداء فإن قوله من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من اكرهه وقلبه مطمئن بالإيمان ليس بكلام تام وقوله فعليهم غضب من الله خبر قوله من شرح بالكفر صدرا وقال الكوفيون من كفر شرط وجوابه يدل عليه جواب من شرح فكأنه قيل من كفر فعليه غضب من الله وهذا كقولهم من يأتنا فنسن يحسن نكرمهم فجواب الأول محذوف وقوله انهم في الآخرة هم الخاسرون يجوز ان يكون في موضع رفع على ان يكون قوله لا من لا جرم ردا لكلام والمعنى وجب انهم ويجوز ان يكون في موضع نصب على ان يكون المعنى جرم فعلهم هذا انهم الخاسرون وتكون لا مزيدة ويجوز ان يكون معناه لا بد انهم فيكون على حذف الجار أي لا بد من ذلك ثم ان ربك - خبر ان قوله غفور رحيم وهذا من باب ما جاء في التنزيل ان فيه مكررا وكذلك الآية التي تأتي بعد ثم ان ربك للذين عملوا السوء الآية

✽ النزول ✽

قبل نزل قوله إلا من اكرهه وقلبه مطمئن بالإيمان في جماعة اكرهوا وهم عمار وياسر ابوه وامه سمية

وصهيب وبلال وخباب عذبوا وقتل أبو عمار وامة واعطاهم عمار بلسانه ما أرادوا منه ثم اخبر سبحانه بذلك رسول الله ﷺ فقال قوم كفر عمار فقال ﷺ كلا ان عمارا مليا ايمانا من قرنه إلى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه وجاء عمار إلى رسول الله ﷺ وهو يبكي فقال ﷺ ما وراءك فقال شربا رسول الله ما تركت حتى نلت منك وذكرت آلتهم بخير فجعل رسول الله ﷺ يمسح عينيه ويقول ان عادوا لك فعد لهم بما قلت فنزلت الآية عن ابن عباس وقتادة وقيل نزلت في اناس من اهل مكة آمنوا وخرجوا يريدون المدينة فأدر بهم قريش وقتنوم فتكلموا بكلمة الكفر كارهين عن مجاهد وقيل ان ياسرا وسبية ابوي عمار اول شهيدين في الاسلام وقوله من كفر بالله ومن شرح بالكفر صدرا وهو عبد الله بن سعد ابن ابي سرح من بني عامر بن لؤي واما قوله ثم ان ربك للذين هاجروا الآية فقيل انها نزلت في عياش بن ابي ربيعة اخي ابي جهل من الرضاة وابي جندل بن سهيل بن عمرو والوليد بن الوليد بن المغيرة وغيرهم من اهل مكة فتتهم المشركون فأعطوهم بعض ما أرادوا ثم انهم هاجروا بعد ذلك وجاهدوا فنزلت الآية فيهم

✽ المعنى ✽

(من كفر بالله من بعد إيمانه) اختلف في تقديره قيل ان تقديره وتلخيص معناه من كفر بالله بأن يراد عن الاسلام وشرح بالكفر صدرا فليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم (إلا من اكره) فتكلم بكلمة الكفر على وجه التقية مكرها (وقلبه مطمئن) أي ساكن (بالإيمان) ثابت عليه فلا حرج عليه في ذلك وقيل انه يتصل بما تقدم فمعناه انما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه ثم استثنى من ذلك من اكره على ذلك وكان مطمئن القلب إلى الايمان في باطنه فإنه بخلافه (ولكن من شرح بالكفر صدرا) أي من اتسع قلبه للكفر وطابت نفسه به (فليهم غضب من الله) وله العذاب في الآخرة ثم اشار سبحانه إلى العذاب العظيم فقال (ذلك بأنهم استحبوا) أي آثروا (الحياة الدنيا) والتلذذ فيها والركون اليها (على الآخرة) عنى بذلك انهم فعلوا ما فعلوه للدنيا طلبا لها دون طلب الآخرة (وان الله لا يهدي القوم الكافرين) قد سبق معناه (وأولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم) قد سبق معنى الطبع على القلوب والسمع والأبصار في سورة البقرة (وأولئك هم المنافقون) وصفهم بمصوم الغفلة مع ان الخواطر تزعمهم لجهلهم عما يؤدى به حالهم في الآخرة وقيل اراد انهم بمنزلة العافلين فيكون تهجينا لهم وذما ثم قال (لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون) هذا تأكيد لحكم الخسار عليهم يعني انهم هم المغيبون إذ حرموا الجنة ونعيمها وعذبوا في النار (ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا) أي عذبوا في الله وارتدوا على الكفر فأعطوهم بعض ما أرادوا لیسلموا من شرهم (ثم جاهدوا) مع النبي ﷺ (وصبروا) على الدين والجهاد (ان ربك من بعدها) أي من بعد تلك الفتنة أو تلك الغفلة التي فعلوها من التفوه بكلمة الكفر (لغفور رحيم)

✽ النظم ✽

وانصلت هذه الآية الأخيرة بقوله إلا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان فيبين سبحانه حاله بعد ما تخلصوا من المشركين وهاجروا وجاهدوا عن ابي مسلم وقيل انه لما تقدم ذكر الخاسرين اتعه سبحانه بذكر من ربحت صفتته وهو من هاجر وجاهد

قوله تعالى (١١١) يَوْمَ نَأْتِي كُلَّ نَفْسٍ تِجَارِدًا لِّعَنْ نَفْسِهَا وَتُوْفَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ وَهُمْ

لَا يَظْلَمُونَ (١١٢) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْبَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٣) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١١٤) فَكَلِّوا مَا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١١٥) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَالْحَمَّ الْخَنِزِيرِ وَمَا أَهْلٌ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ خمس آيات

(القراءه) -

قرأ عباس بن الفضل عن أبي عمرو والخوف بالنصب والباقون بالجر وفي الشواذ قراءة الأعرابي وعمر بن الخطاب وعمر بن عمرو بن نعيم بن ميسرة لما تصف الستم الكذب بالجر وقراءة مسلم بن محارب الكذب

(الحجته) -

من قرأ والخوف بالنصب فإنه حمله على الاذاقة والخوف لا يذوق على الحقيقة فحمله على اللباس اولى وقوله والكذب بالجر يكون على البدل من ما تصف واما الكذب فهو وصف الاستتار وهو جمع كاذب أو كذوب

﴿ اللغه ﴾

الأنعم جمع نعمة فهو مثل شدة واشد وقيل ان واحدها نعم فهو كنعن وانصن وقيل واحدها نعام فيكون كبأساء وأبوس وقوله أذاقها الله استعاره تقول العرب اركب هذا الفرس وذقه أي اختبره قال الشاخب

فذاق فأعطاه من اللين جانباً كفى ولها أن يفرق السهم حاجز
يصف قوساً وقال الآخر

وان الله ذاق حلوم قيس فلما رأه خفتها قلاها

﴿ الاعراب ﴾

يوم تأتي منصوب على احد شيئين اما على معنى ان ربك لغفور رحيم يوم تأتي واما ان يكون على معنى العظة والتذكير أي اذ كر يوم تأتي عن الزجاج

- المعنى -

(يوم تأتي كل نفس) أراد به يوم القيامة (تجادل عن نفسها) أي تخاصم الملائكة عن نفسها وتحتج بما ليس فيه حجة وتقول والله ربنا ما كنا مشركين ويقول اتباعهم ربنا هو لا. اضلونا فاتهم عذاباً ضعفاً من النار ويحتمل ان يكون المراد انها تحتج عن نفسها بما تقدر به ازالة العقاب عنها (وتوفى كل نفس ما عملت) أي جزاء ما عملت من خير وشر (وم لا يظلمون) في ذلك (وضرب الله مثلاً قربة) أي مثل قربة (كانت آمنة) أي ذات أمن يأمن فيها أهلها لا يغار عليهم (مطمئنة) قارة ساكنة بأهلها لا يحتاجون إلى الانتقال عنها بخوف أو ضيق (يأتيها رزقها رغداً من كل مكان) أي يحمل اليها الرزق الواسع من كل موضع ومن كل بلد كما قال سبحانه يجبي اليه ثمرات كل شيء (فكفرت بأنعم الله) أي فكفر أهل تلك القربة بأنعم الله ولم

يؤدوا شكرها (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنمون) أي فأخذهم الله بالجوع والخوف بصنيعهم وسوء فعلهم وسمى اثر الجوع والخوف لباساً لأن اثر الجوع والمزال يظهر على الانسان كما يظهر اللباس وقيل لأنهم شملهم الجوع والخوف كما يشمل اللباس البدن وقيل ان هذه القرية هي مكة عن ابن عباس وبجاهد وقتادة عذبهم الله بالجوع سبع سنين حتى اكلوا القدر والمهز وهو الوبر يخلط بالدم والقراد ثم يؤكل وهم مع ذلك خانفون وجلون من النبي ﷺ واصحابه يغيرون عليهم قوافلهم وذلك حين دعا النبي ﷺ عليهم فقال اللهم اشد وطأتك على مضر واجعل عليهم سنين كسني يوسف وقيل انها قرية كانت قبل نبينا ﷺ بعث الله اليهم نبيا فكفروا بذلك النبي وقتلوه فعذبهم الله بعذاب الاستئصال (ولقد جاءهم رسول منهم) يعني أهل مكة بعث الله عليهم رسولا من صميمهم ليتبعوه لا من غيرهم فكذبوه وجحدوا نبوته (فأخذهم العذاب وهم ظالمون) أي في حال كونهم ظالمين وعذابهم ما حل بهم من الجوع والخوف المذكورين في الآية المتقدمة وما نالهم يوم بدر وغيره من القتل ومن قال ان المراد بالقرية غير مكة قال هذه صورة القرية المذكورة ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال (فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) صيفه صيغة الأمر والمراد به الاباحة أي كلوا مما اعطاكم الله من الفنائم واحلها لكم (واشكروا نعمة الله) فيما خلقه لكم واحله لكم (ان كنتم اياه تعبدون) وهذه الآية مع التي بعدها مفسرة في سورة البقرة

قوله تعالى (١١٦) وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتَكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنُفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْلِحُونَ (١١٧) مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١٨) وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَّا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١١٩) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ أربع آيات

✽ الأعراب ✽

متاع قليل خبر مبتدأ محذوف وتقديره متاعهم بهذا الذي فعلوه متاع قليل وتم الكلام عند قوله لا يفلحون

✽ المعنى ✽

لما تقدم ذكر ما احله الله سبحانه لهم وحرمه عليهم عقبه سبحانه بالهي عن مخالفة او امره ونواهي في التحليل والتحرير فقال (ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب) وتقديره لوصف السنتكم الكذب (هذا حلال وهذا حرام) اي لا تقولوا لما حلتتموه بألسنتكم مثل الميتة هذا حلال ولما حرمتتموه مثل السائمة هذا حرام (لتفتروا على الله الكذب) اي لتكذبوا على الله في اضافة التحريم اليه (ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) اي لا ينجون من عذاب الله ولا يتألون خيرا (متاع قليل) معناه الذين هم فيه من الدنيا بشي قليل ينتفعون به اياما قلائل (ولهم عذاب أليم) في الآخرة (وعلى الذين هادوا) يعني اليهود (حرمانا قصصنا عليك من قبل) يعني بذلك ما ذكره في سورة الانعام من قوله وعلى الذين هادوا حرمانا كل ذي ظفر الآية عن الحسن وقتادة وعكرمة وعنى بقوله من قبل نزول هذه الآية لأن ما في سورة الانعام نزل قبل هذه الآية (وما ظلمناهم) بتحريم ذلك عليهم (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) بالعصيان والكفر بعم الله تعالى والجحود بانبيائه واستحقاقوا بذلك تحريم هذه الاشياء عليهم لتغيير المصلحة عند كفرهم وعصيانهم

ثم ذكر سبحانه الثانيين بعد تقدم الوعد والوعيد فقال (ثم إن ربك) الذي خلقك يا محمد (للذين عملوا سوءا أي المعصية) بجهالة) أي بداعي الجهل فإنه يدعو إلى التقيح كما أن داعي العلم يدعو إلى الحسن وقيل بجهالة السبب أو بجهالتهم للعاقبة وقيل بجهالة أنها سوء وقيل بجهالة هو أن يجعل بالاقدم عليها وبعد قسه التوبة عنها (ثم تابوا) عن تلك المعصية (من بعد ذلك واصلحوا) نياتهم وأفعالهم (إن ربك من بعدها) أي من بعد التوبة أو الجهالة أو المعصية (لغفور رحيم) وأعاد قوله إن ربك لنا كيد وليعود الضمير في قوله من بعدها إلى الفعل

﴿ النظم ﴾

إنما اتصل قوله وعلى الذين هادوا حرمتنا ما قصصنا عليك بما تقدم ذكره من التحريم والتحليل ليبين أن ما كانوا يحرمونه ويحلونه يزعمهم ليس في التوراة كما أنه ليس ذلك في القرآن وقيل ليبين أنه إذا لم يحرم على اليهود جميع الطيبات بعصيانهم فكيف يحرم على المسلمين ذلك

قوله تعالى (١٢٠) **إِن إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢١)** شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتِبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٢٢) وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنهٗ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٢٣) ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعِ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٤) **إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ** **بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ** خمس آيات

﴿ المعنى ﴾

(إن إبراهيم كان أمة) اختلف في معناه فقيل قدوة ومعلما للخير قال ابن الأعرابي يقال للرجل العالم أمة وهو قول أكثر المفسرين وقيل أراد امام هدى عن قتادة وقيل سماه أمة لأن قوام الأمة كان به وقيل لأنه قام بعمل أمته وقيل لأنه اترد في دهره بالتوحيد فكان مؤمنا وحده والناس كفارا عن مجاهد (قانتا لله) أي مطيعا له دائما على عبادته عن ابن مسعود وقيل مصليا عن الحسن (حنيفا) أي مستقيما على الطاعة وطريق الحق وهو الإسلام (ولم يك من المشركين) بل كان موحداً (شاكراً لأنعمه) أي لأنعم الله معترفاً بها (اجتياه) أي اختاره الله واصفاً (وهده إلى صراط مستقيم) أي دله إلى الدين المستقيم وهو الإسلام والتوحيد (وأتيناه) أي اعطيناه (في الدنيا حسنة) أي نعمة سابقة في قسه وفي اولاده وهو قول هذه الأمة كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم وقيل هي النبوة والرسالة عن الحسن وقيل هي أنه ليس من أهل دين الا وهو برضاه ويتولاه عن قتادة وقيل هي تنويه الله بذكره بطاعته لربه ومساعدته إلى مرضاته حتى صار اماماً يقتدى به ويهتدى بهدها وقيل هي اجابة الله دعوته حتى اكرم بالنبوة ذريته (وانه في الآخرة لمن الصالحين) ولم يقل لفي اتلى منازل الصالحين مع اقتضاء حاله ذلك ترغيباً في الصلاح فإنه عز اسمه بين انه (ع) من جملة الصالحين مع علو رتبته وشرف منزلته نشرفا لهم وتنويها بذكر من هو منهم وناهيك بهذا الترغيب في الصلاح وبهذا المدح لإبراهيم (ع) ان يشرف جملة هو منها حتى يصير الاستدعاء إليها بأنه فيها (ثم أوحينا إليك) يا محمد (ان اتبع ملة إبراهيم) أي امرناك باتباع ملة إبراهيم (حنيفاً) أي مستقيم الطريقة في الدعاء إلى توحيد الله وخلع الانداد له وفي العمل بسنته (وما كان إبراهيم) من المشركين) ومتى قيل ان نبينا كان أفضل منه فكيف امرنا الفاضل باتباع المفضول فجوابه ان إبراهيم (ع) سبق إلى اتباع الحق ولا يكون سبق المفضول إلى متابعة الحق ذرية على الفاضل في اتباعه (إنما جعل السبب على الذين اختلفوا فيه) معناه إنما جعل السبب لعنة ومسحاً على الذين اختلفوا فيه فحرموه ثم استحلوه فلنهم

الله ومسئولهم عن الحسن ويجوز ان يكون اختلافهم فيه انهم نهوا عن الصيد فيه فتنصبوا الشباك يوم الجمعة ودخل فيه السمك يوم السبت واخذوه يوم الأحد وقيل معناه انما فرض تعظيم السبت على الذين اختلفوا في امر الجمعة وهم اليهود وكانوا قد اسروا بتعظيم الجمعة فعدلوا عما اسروا به عن مجاهد وابن زيد وقيل ان الذين اختلفوا فيه هم اليهود والنصارى قال بعضهم السبت اعظم الأيام لأن الله سبحانه فرغ فيه من خلق الأشياء وقال الآخرون بل الأحد اعظم لأنه ابتداء بخلق الأشياء فيه فهذا اختلافهم (وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) من اموردبتهم ويفصل بين الحق والمبطل منهم

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال الآية الأخيرة بما قبلها انه لما امر سبحانه باتباع الحق حذر من الاختلاف فيه بما ذكر من احوال المختلفين في السبت كيف شدد عليهم فرضه وضيع عليهم أمره وقيل انه سبحانه رد على اليهود والنصارى دعوتهم ان ابراهيم كان منهم ثم رد عليهم في هذه الآية ما اوجبوه من تعظيم امر السبت وانه لا يجوز نسخه كما رد عليهم ذلك عن ابي مسلم

قوله تعالى (١٢٥) **أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٦)** وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (١٢٧) وَأَصِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٨) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ اربع آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير وحده في ضيق بكسر الصاد وكذلك في النمل والباقون بفتح الصاد

﴿ الحجة ﴾

قال الزجاج من فتح أراد ضيق فخفف مثل سيد وهين ولين ويجوز ان يكون بمعنى الضيق فيكون مصدراً قال ابو الحسن الضيق والضيق لغتان في المصدر قال ابو علي ينبغي ان يجعل على انه مصدر لأنك اذا حملته على انه مخفف من ضيق فقد ائت الصفة مقام الموصوف من غير ضرورة والمعنى لا تكن في ضيق أسية لا بضيق صدرك من مكرم كما قال وضائق به صدرك وليس المراد لا تكن في امر ضيق قال ابو عبيدة الضيق بالكسر في المعاش والمسكن والضيق بالفتح في القلب وقال علي بن عيسى يقال في صدري ضيق من هذا الأمر بالفتح وهو أكثر من الكسر

﴿ المعنى ﴾

ثم امر سبحانه نبيه بالدعاء إلى الحق فقال (ادع إلى سبيل ربك) أي ادع إلى دته لأنه الطريق إلى مرضاته (بالحكمة) أي بالقرآن وسمي القرآن حكمة لأنه يتضمن الأمر بالحسن والنهي عن القبيح وأصل الحكمة المنع ومنه حكمة اللجام وإنما قيل لها حكمة لأنها بمنزلة المانع من الفساد وما لا ينبغي ان يختار وقيل ان الحكمة هي المعرفة بمراتب الأفعال في الحسن والقبح والصلاح والفساد لأن بمعرفة ذلك يقع المنع من الفساد والاستعمال للصدق والصواب في الأفعال والأقوال (والموعظة الحسنة) معناه الوعظ الحسن وهو الصرف عن القبيح على وجه الترغيب في تركه والتزهيد في فعله وفي ذلك تليين القلوب بما يوجب الخشوع وقيل ان الحكمة هي النبوة والموعظة الحسنة مواعظ القرآن عن ابن عباس (وجادلهم بالتي هي أحسن) أي ناظرهم بالقرآن وبأحسن

ما عندك من الحجج وتقديره بالكلمة التي هي احسن والمعنى اقل المشركين واصرفهم عما هم عليه من الشرك بالرفق والسكينة ولين الجانب في النصيحة ليكونوا أقرب إلى الإجابة فإن الجدل هو قتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج وقيل هو ان يجادلهم على قدر ما يحتملونه كما جاء في الحديث امرنا معاشر الانبياء ان تكلم الناس على قدر عقولهم (إن ربك هو اعلم بين ضل عن سبيله) أي عن دينه (وهو اعلم بالمهتدين) أي القابلين للهدى وهو يأمرك في القريبين بما فيه الصلاح (وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) معناه وان أردتم معاقبة غيركم على وجه المجازاة والمكافاة فعاقبوا بقدر ما عوقبتم به ولا تزيدوا عليه وقالوا ان المشركين لما مثلوا بقتلى احدويحزمة بن عبد المطلب فشقوا بطنه وأخذت هند بنت عتبة كبده فجعلت تلوكه وجعدوا الله وأذنه وقطعوا مذاكيره قال المسلمون لئن امكنا الله منهم لتمثلن بالأحياء فضلا عن الأموات فنزلت الآية عن الشعبي وفتادة وعطاب بن يسار وقيل ان الآية عامة في كل ظلم كغصب أو نحوه فإنما يجازى بمثل ما عمل عن مجاهد وابن سيرين وبرايم وقال الحسن نزلت الآية قبل ان يؤمر النبي ﷺ بقتال المشركين على العموم وأمر بقتال من قاتله ونظيره قوله فإن قاتلوكم فاقتلوهم (ولئن صبرتم) أي تركتم المكافاة والقصاص وجرحتم مرارته (لهو خير للصائرين) معناه الصبر خير وانفع للصائرين لما فيه من جزيل الثواب (واصبر) يا محمد فيما تبلغه من الرسالة وفيما تلقاه من الأذى وقيل معناه اصبر على ما يجب الصبر عليه وعمما يجب الصبر عنه (وما صبرك إلا بالله) أي وليس صبرك إلا بتوفيق الله واقداره وتيسيره وترغيبه فيه (ولا تحزن عليهم) أي ولا تحزن على المشركين في اعراضهم عنك فإنه يكون الظفر والنصرة لك عليهم ولا عتب عليك في اعراضهم فقد بلغت ما امرت به وقضيت ماحليك وقيل معناه ولا تحزن على قتلى أحد فإن الله تعالى قد تقلمهم إلى ثوابه وكرامته (ولا تك في ضيق مما يمكرون) أي ولا يكن صدرك في ضيق من مكروهم بك وباصحابك فإن الله سبحانه يرد كيدهم في نحورهم ويحفظكم من شرورهم (ان الله مع الذين اتقوا) الشرك والقواش والكبائر بالنصرة والحفظ والكلاءة (و) مع (الذين هم محسنون) قال الحسن اتقوا ما حرم عليهم وأحسنوا فيما فرض عليهم

(سورة بني اسرائيل)

هي مكية كلها وقيل مكية إلا خمس آيات ولا تقتلوا النفس الآية ولا تقرّبوا الزنى الآية أولئك الذين يدعون الآية أم الصلاة الآية وآت ذا القربى حقه الآية عن الحسن وقيل مكية إلا ثمان آيات وان كادوا ليفتنوك إلى قوله وقل رب ادخلي مدخل صدق الآية عن فتادة والمعدل عن ابن عباس

❖ عدد آياتها ❖

مائة واحدى عشرة آية كوفي وعشر آيات في الباقيين ❖ اختلافها ❖ آية للاذقان سجداً كوفي

❖ فضلها ❖

أنبي بن كعب عن النبي ﷺ انه قال من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين اعطي في الجنة قطارين من الاجر والفتنظار الف اوقية ومائتا اوقية والاوقية منها خير من الدنيا وما فيها وروى الحسن ابن الهيثم عن الصادق (ع) انه قال من قرأ سورة بني اسرائيل في كل ليلة جمعة لم يميت حتى يدرك القاسم ويكون من اصحابه

﴿ تفسيرها ﴾

ختم الله تعالى سورة النحل بذكر النبي ﷺ وانفتح سورة بني اسرائيل ايضا بذكره وبيان اسرته الى المسجد الاقصى فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٢) وَأَتَيْنَا مُوسَى أَنْ كِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ آلَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا (٣) ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ثلاث آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو عمرو وحده الا يتخذوا بالياء والباقون بالتاء

(- الحجة -)

من قرأ بالياء فلان ما تقدمه على لفظ الغيبة والمعنى هدينا لان لا يتخذوا ومن قرأ بالتاء فلانصراف من الغيبة الى الخطاب كما في قوله الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ثم قال إياك نعبد والضمير في الا تتخذوا وان كان على لفظ الخطاب فلانما يعني به الغيب في المعنى

﴿ الاعراب ﴾

سبحان منصوب على المصدر على معنى اسبح لله تسيحا قال ابو علي من زعم ان الا تتخذوا على اضرار القول فكأنه يراد قال ان لا تتخذوا لم يكن قوله هذا مستقيما وذلك لان القول لا يتخلو من ان يكون بعده جملة تسمى او معنى جملة يعمل فيه لفظ القول فالأول كقوله قال زيد عمرو منطلق فوضع الجملة نصب بالقول والآخر نحو ان يقول القائل لا إله إلا الله فنقول قلت حقا أو يقول الثلج حار فنقول قلت باطلا فهذا معنى ما قاله وليس نفس القول وقوله ان لا تتخذوا خارج من هذين الوجهين ألا ترى ان ان لا تتخذوا ليس هو القول كما ان قولك حقا إذا سمعت كلمة الاخلاص بمعنى القول وليس قوله ان لا تتخذوا الجملة فيكون كقولك قال زيد عمرو منطلق ويجوز ان تكون ان بمعنى اي التي للتفسير وانصرف الكلام في النية إلى الخطاب كما انصرف منها إلى الخطاب في قوله وانطلق الملائمة ان امشوا في الأمر فكذلك انصرف في النية إلى الخطاب في النهي في ان لا تتخذوا وكذلك قوله ان اعبدوا الله ربي وربكم في وقوع الأمر بعد الخطاب ويجوز ان يضم القول ويجعل يتخذوا على القول للمضمر إذا جمعت ان زائدة فيكون التقدير وجعلناه هدى لبني اسرائيل وقلنا لا تتخذوا فيجوز إذا في قوله ألا تتخذوا ثلاثة أوجه ﴿ أحدها ﴾ ان تكون ان الناصبة للفعل فيكون المعنى وجعلناه هدى كراهة ان يتخذوا من دوني وكيلا أو لأن لا يتخذوا ﴿ والآخر ﴾ ان يكون بمعنى أي لأنه بعد كلام تام فيكون التقدير اي لا تتخذوا ﴿ والثالث ﴾ ان تكون ان زائدة ويضم القول فأما قوله ذرية من حملنا فانه يجوز ان يكون مفعول الاتخاذ لأنه فعل يتمدى إلى مفعولين والفرد الوكيل وهو في معنى الجمع لأن فيلما يكون مفردا للفظ والمعنى على الجمع نحو قوله وحسن أو لك رقيقا فإذا حمل على هذا كان مفعولا ثانيا في قراءة من قرأ بالتاء والياء ويجوز ان يكون نداء وذلك على قراءة من قرأ بالتاء لأن النداء للخطاب ولو رفع ذرية على البدل من الضمير المرفوع في ان لا تتخذوا كان جائزا ويكون التقدير الا تتخذوا ذرية من حملنا مع نوح من دوني وكيلا ولو جعلته مجردا بدلنا من قولك بني اسرائيل جاز وكان التقدير وجعلناه هدى لذرية من حملنا مع نوح

﴿ النزول ﴾

قيل نزلت الآية في اسرائه و كان ذلك بمكة صلى المغرب في المسجد الحرام ثم اسرى به في ليلته ثم رجع فصلى الصبح في المسجد الحرام فلما الموضع الذي اسرى اليه ابن كان فان الاسراء الى بيت المقدس وقد نطق به القرآن ولا يدفنه مسلم وما قاله بعضهم ان ذلك كان في النوم فظاهر البطلان اذ لا معجز يكون فيه ولا يراهان وقد وردت روايات كثيرة في قصة المعراج في عروج نبينا ﷺ الى السماء ورواها كثير من الصحابة مثل ابن عباس وابن مسعود وانس وجابر بن عبد الله وحذيفة وعائشة وام هاني وغيرهم عن النبي ﷺ وزاد بعضهم وقص بعض وتنقسم جعلتها الى اربعة اوجه ﴿ احدها ﴾ ما يقطع على صحته لتواتر الاخبار به واحاطة العلم بصحته ﴿ وثانيها ﴾ ما ورد في ذلك مما تجوزه العقول ولا تأباه الاصول فتحن نجوزه ثم تقطع على ان ذلك كان في يقظته دون منامه ﴿ وثالثها ﴾ ما يكون ظاهره مخالفا لبعض الاصول الا انه يمكن تأويلها على وجه يوافق المعقول فالاولى ان تأوله على ما يطابق الحق والدليل ﴿ ورابعها ﴾ ما لا يصح ظاهره ولا يمكن تأويله الا على التمسك البعيد فالاولى ان لا يقبله فاما الاول المقطوع به فهو انه اسرى به على الجملة واما الثاني فعمته ما روي انه طاف في السموات ورأى الأنبياء والعرش والسدرة المنتهى والجنة والنار ونحو ذلك واما الثالث فتحوا ما روي انه رأى قوما في الجنة يتنعمون فيها وقوما في النار يعذبون فيها فيحمل على انه رأى صفتهم او اسماءهم (واما) الرابع فتحوا ما روي انه ﷺ كلم الله سبحانه جبهة وراه وقدم معه على سريره ونحو ذلك مما يوجب ظاهره التشبيه والله سبحانه يتقدس عن ذلك وكذلك ما روي انه شق بطنه وغسله لانه ﷺ كان طاهرا مطهرا من كل سوء وعيب وكيف يطهر القلب وما فيه من الاعتقاد بالماء فمن جملة الاخبار الواردة في قصة المعراج ما روي ان النبي ﷺ قال اتاني جبرائيل (ع) وانا بمكة فقال قم يا محمد فقم معي وخرجت الى الباب فلذا جبرائيل ومعه ميكائيل واسرافيل فأتى جبرائيل (ع) بالبراق وكان فوق الخمار ودون البغل خده كخد الانسان وذنبه كذنب البقر وعرفه كعرف الفرس وقوائمه كقوائم الايل عليه رحل من الجنة وله جناحان من فضبه خطوه منتهى طرفه فقال ار كبت فر كبت ومضيت حتى انتهيت الى بيت المقدس ثم ساق الحديث الى ان قال فلما انتهيت الى بيت المقدس اذا ملائكة نزلت من السماء بالبشارة والكرامة من عند رب العزة وصليت في بيت المقدس وفي بعضها بشر لي ابراهيم في رهط من الأنبياء ثم وصف موسى وعيسى ثم اخذ جبرائيل (ع) يدي الى الصخرة فاقعدني عليها فلذا معراج الى السماء لم ار مثلها حسنا وجمالا فصعدت الى السماء الدنيا ورأيت عجائبها وملكوته وملائكتها يسلمون علي ثم صعدني جبرائيل الى السماء الثانية فرأيت فيها عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ثم صعدني الى السماء الثالثة فرأيت فيها يوسف ثم صعدني الى السماء الرابعة فرأيت فيها ادريس ثم صعدني الى السماء الخامسة فرأيت فيها هارون ثم صعدني الى السماء السادسة فلذا فيها خلق كثير يمجج بعضهم في بعض وفيها الكروبيون ثم صعدني الى السابعة فابصرت فيها خلقا وملائكة وفي حديث ابي هريرة رأيت في السماء السادسة موسى ورأيت في السماء السابعة ابراهيم (ع) قال ثم جاوزناها متصاعدين الى اعلى عليين ووصف ذلك الى ان قال ثم كلمني ربي وكلمته ورأيت الجنة والنار ورأيت العرش وسدرة المنتهى ثم رجعت الى مكة فلما اصبحت حدثت به بالناس فكذبني ابو جهل والمشركون وقال مطعم بن عدي اتزعم انك سرت مسيرة شهرين في ساعة اشهد انك كاذب قالوا ثم قالت قريش اخبرنا عما رأيت فقال مرت بعير بني فلان وقد اضلوا بعيرا لهم وهم في طلبه وفي رحلهم قعب مملوء من ماء فشربت الماء ثم غطيته كما كانت فسألوم هل وجدوا الماء في القدر قالوا هذه آية واحدة قال وصرت بعير بني فلان فنورت بكرة فلان فانكسرت بعدها فسألوم عن ذلك فقالوا هذه آية أخرى قالوا فأخبرنا عن غيرنا

قال مررت بها بالتنعيم وبين لهم اجمالها وهيئتها وقال تقدمها جمل اوراق عليه فرارتان محيطتان ويطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا هذه آية أخرى ثم خرجوا يشتدون نحو التيه وهم يقولون لقد قضى محمد بيننا وبينه قضاء بيننا وجلسوا ينتظرون متى تطلع الشمس فيكذبوه فقال قائل والله ان الشمس قد طلعت وقال آخر والله هذه الابل قد طلعت يقدمها بعير اوراق فيهنوا ولم يؤمنوا وفي تفسير العياشي بالاسناد عن ابي بكر عن ابي عبد الله (ع) قال لما اسرى برسول الله ﷺ إلى السماء الدنيا لم يمر باحد من الملائكة الا استبشر قال ثم مر بملك حزين كئيب فلم يستبشر به فقال يا جبرائيل ما مررت باحد من الملائكة الا استبشر بي الا هذا الملك فمن هذا فقال هذا مالك خازن جهنم وهكذا جعله الله قال فقال له النبي ﷺ يا جبرائيل اسأله ان يرينيها قال فقال جبرائيل (ع) يا مالك هذا محمد رسول الله ﷺ وقد شككنا الي فقال ما مررت باحد من الملائكة الا استبشر بي الا هذا فاخبرته ان هكذا جعله الله وقد سألتني ان اسألك ان تربيه جهنم قال فكشف له عن طبق من اطباقها قال فما رأي رسول الله ﷺ ضاحكاً حتى قبض وعن ابي بصير قال سمعته يقول ان جبرائيل احتمل رسول الله حتى انتهى به إلى مكان من السماء ثم تركه وقال له ما وطأ نبي قط مكانك

المعنى

(سبحان الذي اسرى بعبدك) سبحان كلمة تنزيه وإبراء لله عز اسمه عما لا يليق به من الصفات وقد يراد به التعجب يعني سبحان الذي سير عبده محمداً ﷺ وهو عجيب من قدرة الله تعالى وتعجب ممن لم يقدر الله حق قدره واشرك به غيره وسرى بالليل واسرى بمعنى وقد عدي هنا بالباء والوجه في التأويل انه اذا كان مشاهدة العجب سبباً للتسبيح صار التسبيح تعجباً فقبل سبح اي عجب (ليلاً) قالوا كان ذلك الليل قبل الهجرة بسنة (من المسجد الحرام) وقال اكثر المفسرين اسرى برسول الله ﷺ من دار ام هانئ اخت علي بن ابي طالب وزوجها هبيرة بن ابي وهب المخزومي وكان ﷺ نائماً تلك الليلة في بيتها وان المراد بالمسجد الحرام هنا مكة ومكة والحرم كلها مسجد وقال الحسن وقتادة كان الاسراء من قس المسجد الحرام (إلى المسجد الأقصى) يعني بيت المقدس وإنما قال الأقصى لبعده المسافة بينه وبين المسجد الحرام (الذي باركنا حوله) اي جعلنا البركة فيها حوله من الاشجار والثمار والنبات والأمن والغصب حتى لا يحتاجوا إلى ان يجلب اليهم من موضع آخر وقيل باركنا حوله اي جعلنا البركة فيما حوله بأن جعلناه مقر الانبياء ومهبط الملائكة عن مجاهد وبذلك صار مقدساً عن الشرك لأنه لما صار متعبداً للأنبياء ودار مقام لم تفرق المشركون عنهم فصار مطهراً من الشرك والتقديس التطهير فقد اجتمع فيه بركات الدين والدنيا (لثريه من آياتنا) أي من عجائب حججنا ومنها اسراؤه في ليلة واحدة من مكة إلى هناك ومنها ان آراء الأنبياء واحداً بعد واحد وان عرج به إلى السماء وغير ذلك من العجائب التي اخبر بها الناس (انه هو السميع) لأقوال من صدق بذلك أو كذب (البصير) بما فعل من الاسراء والمعراج (وأتينا موسى الكتاب) يعني التوراة (وجعلناه هدى لبني اسرائيل) أي وجعلنا التوراة حجة ودلالة وبيانا وإرشاداً لبني اسرائيل يهتدون به (ألا تتخذوا من دوني وكيلاً) أي امرهم أن لا يتخذوا من دوني معتمداً يرجعون إليه في التوابع وقيل ربايتو كلون عليه (ذرية من حملنا مع نوح) أي أولاد من حملنا مع نوح في السفينة فأنجينا من الطوفان وقد ذكرنا وجوه ذلك في الاعراب وعلى هذا بدور المعنى (انه كان عبداً شكوراً) معناه ان نوحاً كان عبداً لله كثير الشكر وكان إذا لبس ثوباً أو أكل طعاماً أو شرب ماء حمد الله وشكراً له وقال الحمد لله وقيل انه كان يقول في ابتداء الأكل والشرب بسم الله وفي انتهائه الحمد لله وروي عن ابي عبد الله (ع) وابي جعفر (ع) ان نوحاً كان إذا أصبح وامسى قال اللهم إني أشهدك ان ما أصبح أو امسى بي من نعمة في دين أو دنيا فتك وحدك لا شريك لك لك الحمد ولك الشكر بها علي حتى ترضى وبعد الرضى وهذا كان شكره

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال قوله وآتيناه موسى الكتاب بما قبله ان المعنى فيه سبحانه الذي امرى بمحمد ﷺ وأراه الآيات كلها كما أرى موسى الآيات والمعجزات الباهرات وقيل ان معناه ان كونك نبياً ليس يدع فقد آتيناك الكتاب والحجج كما آتيناه موسى النوراة فلم أقروا به وانكروا أمرك والطريق فيها واحد وقيل ان معناه انهم كفروا بموسى كما كفروا بما اخبرتهم به من امرائك

قوله تعالى (٤) وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (٥) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (٦) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٧) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّوْا مَا عَلُوا النَّفِيرًا (٨) عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

ليسوء بفتح الهمزة شامي كوفي غير حفص إلا ان الكسائي يقرأ بالتون والباقون ليسووا بالياء وضم الهمزة على وزن ليسوعوا وفي الشواذ قراءة ابن عباس لتفسدن بضم التاء وفتح السين وعيسى الثقفي لتفسدن بفتح التاء وضم السين وقراءة علي «ع» عبيداً لنا وقراءة ابي السائب فجاسوا بالحاء وقراءة ابي بن كعب ليسووا بالتونين

﴿ الحجة ﴾

من قرأ ليسوء بالياء ففاعل ليسوء يجوز ان يكون احد شيئين اما اسم الله تعالى لأن الذي تقدم بعثنا ورددنا لكم وأممدناكم بأموال وبنين واما البعث ودل عليه بعثنا المتقدم كقوله لا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم أي البخل خيراً لم ومن قرأ ليسوء بالتون كان في المعنى كقول من قدر ان الفاعل ما تقدم من اسم الله تعالى وجاز ان ينسب المساءة إلى الله تعالى وان كانت من الذين جاسوا خلال الديار في الحقيقة لأنهم فعلوا المساءة بقوة الله تعالى فجاز ان ينسب اليه واما قوله ليسووا فمعناه إذا جاء وعد الآخرة أي وعد المرة الأخرى من قوله لتفسدن في الأرض مرتين بعثناهم ليسووا وجوهكم فحذف بعثناهم لأن ذكره قد تقدم والحجة في ليسووا انه اشبه بما قبله وما بعده ألا ترى ان قبله ثم بعثناهم وبعده ليدخلوا المسجد الحرام والمبعوثون في الحقيقة هم الذين يسوونهم يقتلهم إياهم وامرهم لهم فهو وفق المعنى وقال وجوهكم على ان الوجوه مفعول به ليسوء وعدي الى الوجوه لأن الوجوه قد يراد به ذو الوجوه كقوله كل شيء هالك إلا وجهه وقوله وجوه يومئذ ناضرة ووجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة وقال النابغة

أقارع عوفا لا أحاول غيرها وجوه قرودتبني من تخادع

وأما قراءة ابي ليسوء فالوجه فيه على قول ابن جني ان يكون على حذف الفاء كما يقال إذا سألني فلا تعطك كأنك تأمر نفسك ومعناه فلا عطيتك واللامان بعده للأمر أيضاً وهما وليدخولا المسجد وليتبروا ويقوي ذلك انه لم يأت لإذنا جواب فيما بعد واما من قرأ لتفسدن ولتفسدن فاحدى القراءتين شاهدة للأخرى لأن من افسد

فقد فسد وأما حاسوا فمعناه معنى جاسوا بعينه

﴿ اللمة ﴾

القضاء فصل الأمر على إحكام ومنه سمي القاضي ثم يستعمل بمعنى الخلق والاحداث كما قال قضاهن سبع سموات وبمعنى الإيجاب كما قال وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبمعنى الاعلام والايثار بما يكون من الأمر وهو المعنى هاهنا وأصله الإحكام والعلو الارتفاع وعلا فلان الشيء إذا أطلقه ويقال علا في المكارم يعلى علا فهو علي وعلا في المكان يعلو علوا فهو عال والجوس التخلل في الديار يقال تركت فلانا يجوس بني فلان ويجوسهم ويدوسهم أي يطأهم قال ابو عبيد كل موضع خالطته ووطئته فقد حسته وجسته قال حسان

ومنا الذي لاقى بسيف محمد فجاس به الأعداء عرض العساكر

وقيل الجوس طلب الشيء باستقصاء والكرة معناه الرجمة والدولة والتغير العدد من الرجال قال الزجاج ويجوز ان يكون جمع نفر كما قيل العبيد والضنين والمعيز والكلب ونفر الإنسان ونفره ونفيره ونافرته رطله الذين ينصرونه وينفرون معه والتنبير الإهلاك والتبار والهلاك والدمار واحد وكل ما يكسر من الحديد والذهب تبر والحصير الحبس ويقال للملك حصير لأنه محبوب قال لبيد

وقام غلب الرقاب كأنهم جن لدى باب الحصير قيام

والحصير البساط المرمول لخصر بمضه على بعض بذلك الضرب من النسج

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم امره سبحانه لبني اسرائيل عقب ذلك بذكر ما كان منهم وما جرى عليهم فقال (وقضينا إلى بني اسرائيل) أي أخبرناهم وأعلمناهم (في الكتاب) أي في التوراة (لتفسدن في الأرض مرتين) أي حقاً لا شك فيه أن اخلافكم سيفسدون في البلاد التي تسكنونها كرتين وهي بيت المقدس وأراد بالفساد الظلم وأخذ المال وقتل الأنبياء وسفك الدماء وقيل كان فسادهم الأول قتل زكريا والثاني قتل يحيى بن زكريا عن ابن عباس وابن مسعود وابن زيد قالوا ثم سلط الله عليهم سابور ذا الأكتاف ملكاً من ملوك فارس في قتل زكريا وسلط عليهم في قتل يحيى بخت نصر وهو رجل خرج من بابل وقيل الفساد الأول قتل شعيا والثاني قتل يحيى وان زكريا مات حتف انفه عن محمد بن اسحاق قال وأنهم في الأول بخت نصر وفي الثاني ملك من ملوك بابل وقيل كان الأول جالوت فقتله داود (ع) والثاني بخت نصر عن قتادة وقيل انه سبحانه ذكر فسادهم في الأرض ولم يبين ما هو فلا يقطع على شيء مما ذكر عن ابي علي الجبائي (ولتعلمن علواً كبيراً) أي ولتستكبرن ولتظلمن الناس ظلاماً عظيماً والعلو نظير العتو هنا وهو الجرأة على الله تعالى والتعرض لسخطه (فإذا جاء وعد أولاهما) معناه فإذا جاء وقت أولى المرتين اللتين تفسدون فيها والوعد هنا بمعنى الموعود ووضع المصدر موضع المفعول به أي إذا جاء وقت الموعود لا فسادكم في المرة الأولى (بمشائكم عباداً لنا أولي بأس شديد) أي سلطنا عليكم عباداً لنا أولي شوكة وقوة ونجدة وخلينا بينكم وبينهم خاذلين لكم جزاءً على كفركم وعتوكم وهو مثل قوله أرسلنا الشياطين على الكافرين توزم أزا عن الحسن وقيل معناه أمرنا قوماً مؤمنين بقتالكم وجهادكم لأن ظاهر قوله تعالى عباداً لنا وقوله بمشائكم يقتضي ذلك عن الجبائي وقيل يجوز ان يكونوا مؤمنين أمرهم الله بجهاد هؤلاء ويجوز ان يكونوا كافرين فآلفهم نبي من الأنبياء

لحرب هؤلاء وسلطهم على نظرائهم من الكفار والفاسق عن ابي مسلم (فجاسوا خلال الديار) أي فطافوا وسط الديار يترددون وينظرون هل بقي منهم احد لم يقتلوه عن الزجاج (وكان وعداً مفعولاً) أي موعوداً كأننا لا خلف فيه (ثم رددنا لكم الكرة عليهم) أي رددنا لكم يا بني اسرائيل الدولة واطهرناكم عليهم وعاد ملككم على ما كان عليه (وأمددناكم بأموال وبنين) أي وأكثرنا لكم أموالكم وأولادكم ورددنا لكم العدة والقوة (وجعلناكم أكثر نفيراً) أي أكثر عدداً وأنصاراً من اعدائكم (ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم) معناه ان أحسنتم في أقوالكم وأفعالكم ففعل احسانكم عائد عليكم وثوابه واصل اليكم تنصرون على اعدائكم في الدنيا وتتابون في المعقب (وإن أسأتم فلها) معناه وان أسأتم قد أسأتم إلى أنفسكم أيضاً لأن مفسدة الاساءة عائدة اليها وإنما قال فلها على وجه التقابل لأنه في مقابلة قوله ان احسنتم أحسنتم لأنفسكم كما يقال أحسن إلى نفسه ليقابل أساء إلى نفسه ولأن معنى قولك أنت منتهى الاساءة وأنت المختص بالاساءة متقارب فذلك وضع اللام موضع إلى وقبل ان قوله فلها بمعنى فعلها كقوله تعالى لم العنة أي عليهم اللعنة وقبل معناه فلها الجزاء والمقاب وإذا امكن حمل الكلام على الظاهر فالاولى ان لا يعدل عنه وهذا الخطاب لبني اسرائيل ليكون الكلام جارياً على النسق والنظام ويجوز ان يكون خطاباً لامة نبينا ^{صلى الله عليه وسلم} فيكون اعتراضاً بين القصة كما يفعل الخطيب والواعظ يحكي شيئاً ثم يعط ثم يعود إلى الحكاية فكأنه لما بين ان بني اسرائيل لما علوا وبنوا في الأرض سلط عليهم قوماً ثم لما تابوا قبل توبتهم وأظفرهم على عدوهم خاطب أمتنا بأن من أحسن عاد نفع احسانه اليه ومن أساء عاد ضرره اليه ترغيباً وترهيباً (فإذا جاء وعد الآخرة) أي وعد المرة الأخرى من قوله لتفسدن في الأرض مرتين والمراد به جاء وعد الجزاء على الفساد في الأرض في المرة الأخيرة أو جاء وعد فسادكم في الأرض في المرة الأخيرة أي الوقت الذي يكون فيه ما اخبر الله عنكم من الفساد والعدوان على العباد (ليسوا ووجوهكم) أي غزاهم اعداؤكم وغلبوكم ودخلوا دياركم ليسوا وكم بالقتل والاسرى يقال سته اسوة مسائة ومساوية وسوائية إذا أحرزته وقبل معناه ليسوا كبراءكم وروساءكم وفي مسائة الاكبر واهاتهم مسائة الأصاغر (وليدخلوا المسجد) أي بيت المقدس ونواحيه فكنى بالمسجد وهو المسجد الأقصى عن البلد كما كنى بالمسجد الحرام عن الحرم ومعناه وليستولوا على البلد لأنه لا يمكنهم دخول المسجد إلا بعد الاستيلاء (كما دخلوه أول مرة) دل بهذا على ان في المرة الأولى قد دخلوا المسجد أيضاً وإن لم يذكر ذلك ومعناه وليدخل هؤلاء المسجد كما دخله أولئك أول مرة (وليتبروا ما علوا تنبيراً) أي وليدمروا وهلكوا ما غلبوا عليه من بلادكم تدميراً ويجوز ان يكون ما مع الفعل بتأويل المصدر والمضاف محذوف أي ليتبروا مدة علوهم (عسى ربكم) يا بني اسرائيل (ان يرحمكم) بعد انتقامه منكم ان تبتم ورحمتكم إلى طاعته (وان عدتم عدنا) معناه وإن عدتم إلى الفساد عدنا بكم إلى العقاب لكم والتسليط عليكم كما فعلناه فيما مضى عن ابن عباس قال انهم عادوا بعد الأولى والثانية فسلط الله عليهم المؤمنين يقتلونهم ويأخذون منهم الجزية إلى يوم القيامة (وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً) أي سجننا ومحسباً عن ابن عباس

❖ القصة ❖

اختلف المفسرون في القصة عن هاتين الكرتين اختلافاً شديداً فالأولى ونورد من جعلتها ما هو الأهم

على سبيل الايجاز قال لما عثا بنوا اسرائيل في المرة الاولى سلب الله عليهم ملك فارس وقيل بخت نصر وقيل ملكا من ملوك بابل فخرج اليهم وحاصرهم وفتح بيت المقدس وقيل ان بخت نصر ملك بابل بعد سنحاريب وكان من جيش نمرود وكان لزانية لآب له فظهر على بيت المقدس وخرب المسجد وأحرق التوراة والتي الجيف في المسجد وقتل على دم يحيى سبعين الفا وسبى ذرارهم وأغار عليهم وأخرج أموالهم وسبى سبعين الفا وذهب بهم إلى بابل فبقوا في يده مائة سنة يستعبدهم المجوس واولادهم ثم تفضل الله عليهم بالرحمة فأمر ملكا من ملوك فارس عارفا بالله سبحانه وتعالى فردهم إلى بيت المقدس فأقاموا به مائة سنة على الطريق المستقيم والطاعة والعبادة ثم عادوا إلى الفساد والمعاصي فجاهم ملك من ملوك الروم اسمه انطياخوس فخرب بيت المقدس وسبى أهله وقيل غزاهم ملك الرومية وسباهم عن حذيفة وقال محمد بن اسحق كان بنو اسرائيل يعصون الله تعالى وفيهم الاحداث والله يتجاوز عنهم وكان اول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم ان الله تعالى بعث اليهم شعيا قبل مبعث زكريا وشعيا هو الذي بشر بعيسى (ع) وبمحمد ﷺ وكان لبني اسرائيل ملك كان شعيا يرشده ويسدده فرض الملك وجاء سنحاريب إلى باب بيت المقدس بستائة الف راية فدعا الله سبحانه شعيا فبرأ الملك ومات جمع سنحاريب ولم ينج منهم إلا خمس نفر منهم سنحاريب فهرب وارسلوا خلفه من اخذه ثم امر سبحانه باطلاقه ليخبر قومه بما نزل بهم فاطلقوه وهلك سنحاريب بعد ذلك بسبع سنين واستخلف بخت نصر ابن ابنه فلبث سبع عشرة سنة وهلك ملك بني اسرائيل ومرج أمرهم وتنافسوا في الملك فقتل بعضهم بعضا فقام شعيا فيهم خطيبا ووعظهم بمغزات بليغة وأمرهم ونهاهم فمحموا بقتله فهرب ودخل شجرة قطعوا الشجرة بالمنشار فبعث الله اليهم ارميا من سبط هرون ثم خرج من بينهم للارأى من أمرهم ودخل بخت نصر وجنوده بيت المقدس وفعل ما فعل ثم رجع إلى بابل بسبابا بني اسرائيل وكانت هذه الدفعة الأولى وقيل ايضا ان سبب ذلك كان قتل يحيى بن زكريا وذلك ان ملك بني اسرائيل أراد ان يتزوج بنت امرأته فنهاه يحيى وبلغ أمها فحقدت عليه وبعثته على قتله فقتله وقيل انه لم يزل دم يحيى بن زكريا يغلي حتى قتل بخت نصر منهم سبعين الفا أو اثنين وسبعين الفا ثم سكن الدم وذكر الجميع ان يحيى بن زكريا هو المتبول في الفساد الثاني قال مقاتل كان بين فساد الأول والثاني مائتا سنة وعشر سنين وقيل انما غزا بني اسرائيل في المرة الأولى بخت نصر وفي المرة الثانية ملوك فارس والروم وذلك حين قتلوا يحيى فقتلوا منهم مائة الف وثمانين الفا وخرب بيت المقدس فلم يزل بعد ذلك خرابا حتى بناه عمر بن الخطاب فلم يدخله بعد ذلك رومي إلا خانغا وقيل انما غزاهم في المرة الأولى جالوت وفي الثانية بخت نصر والله اعلم

قوله تعالى (٩) **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْرَبُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَثِيرًا** (١٠) **وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** (١١) **وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا** (١٢) **وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّبَنَاتِنَا أَفَصَلَا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِيَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَلَّنَاهُ فَفَصَّلْنَا تَفْصِيلًا** أربع آيات

﴿ اللغة ﴾

مبصرة أي مضيئة منيرة نيرة قال ابو عمرو أراد تبصر بها كما يقال ليل نائم وسر كاتم وقال الكسائي العرب تقول ابصر النهار إذا أضاء وقيل المبصرة التي أهلها بصراء فيها كما يقال رجل مخبث أي أهله خبثاء ومضغف أي أهله ضعفاء ولا يكتب الواو في يدع في المصحف وهي ثابتة في المعنى

﴿ الإعراب ﴾

ان لم أجراً كبيراً فتح ان على تقدير حذف الباء أي يبشرهم بأن لهم الجنة وان الثانية معطوفة عليها ولو كسرت على الاستئناف لجاز وان لم يقرأ به احد واعتدنا أصله أعددنا فقلبت احدى الدالين تاء فراراً من التضعيف إلى حرف من مخرج الدال وكل شيء منصوب بفعل مضمر يفسره ما بعده وهو قوله فصلناه والتقدير وفصلنا كل شيء

﴿ المعنى ﴾

(ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم) معناه ان هذا القرآن يهدي إلى الديانة والملة والطريقة التي هي أشد استقامة يقال هذه الطريق والطريق والى الطريق وقيل معناه يرشد إلى الكلمة التي هي اعدل الكلمات وأصوبها وهي كلمة التوحيد وقيل يهدي إلى الحال التي هي اعدل الحالات وهي توحيد الله والايان به وبرسله والعمل بطاعته عن الزجاج (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم) أي بأن لهم (أجراً كبيراً) أي ثواباً عظيماً على طاعتهم (و) يبشرهم أيضاً (بأن الذين لا يؤمنون بالآخرة) أي بالنشأة الآخرة (اعتدنا لهم) أي هيأنا لهم (عذاباً أليماً) وهو عذاب النار وإنما سمي العذاب اجرا لأنه يستحق في مقابلة عمل كالأجرة التي تجب في مقابلة عمل يعود نفعه إلى المستأجر والثواب يستحق على الله تعالى وان كان نفعه يعود إلى العامل لأنه سبحانه اوجب ذلك على نفسه في مقابلة عمل العبد فضلاً منه وكرماً (ويدع الإنسان بالشرك دعاءه بالخير) قيل في معناه اقوال ﴿ احدها ﴾ ان الإنسان ربما يدعو في حال الزجر والنضب على نفسه وأهله وماله بما لا يحب ان يستجاب له فيه كما يدعو لنفسه بالخير فلو اجاب الله دعاءه لأهلكه لكنه لا يجيب بفضله ورحمته عن ابن عباس والحسن وقتادة ﴿ والآخرة ﴾ ان معناه ان الإنسان قد يطلب الشر لاستجماله المنفعة ﴿ وثالثها ﴾ ان معناه ويدعو في طلب المحظور كدعائه في طلب المباح (وكان الإنسان عجولاً) يعجل بالدعاء في الشر عجولته بالدعاء في الخير عن مجاهد وقيل يريد ضجراً لا صبراً له على ضراء ولا على سراء عن ابن عباس وروى عنه ايضاً إنه أراد به آدم (ع) لما انتهت النفخة إلى سرته أراد أن ينهض فلم يقدر فشبه الله سبحانه ابن آدم بأبيه في الاستعجال وطلب الشيء قبل وقته (وجعلنا الليل والنهار آيات) أي دلائل يدلان على وحدانية خالقهما لما في كل واحد منهما من الفوائد من الكسب بالنهار والاستراحة بالليل والزيادة في اجزاء احدهما بالنقصان من اجزاء الآخر ولأن كل واحد منهما ينقضي لمجيب الآخر وذلك يدل على حدوثها اذ القديم لا يجوز عليه الانقضاء وعلى ان لها محدثاً قادراً عالماً وقد علمنا ضرورة ان احداً من البشر لم يحدثها لعجز البشر عن ذلك فدل على انه من صنع القديم القادر لذاته العالم لذاته الذي ليس كمثل شيء ولا يتعذر عليه شيء وقيل ان الآيتين هنا الشمس والقمر (فمحونا آية الليل) وهي القمر أي طمسنا نورها بما جعلنا فيها من السواد عن ابن عباس (وجعلنا آية النهار) يعني الشمس (مبصرة) أي نيرة مضيئة

للإبصار يبصر أهل النهار النهار بها وقيل ان ممناه جعلنا آية الليل محسوسة والمراد جعلنا الليل مظلم لا يبصر فيه كما لا يبصر ما يحى من الكتاب وجعلنا آية النار مبصرة اي جعلنا النهار مضيا يبصر فيه وتدرك الاشياء فيه وعلى هذا فتكون آية الليل هي الليل نفسه وآية النهار هي النهار نفسه كما يقال نفس الشيء وعين الشيء وهذا من عجب البلاغة وقيل ان آية الليل ظلمته وآية النهار ضوؤه فالمراد محونا ظلمة الليل بضوء النهار ومحونا ضوء النهار بظلمة الليل الا انه ذكر احدهما وحذف الآخر لدلالة المذكور على المحذوف ثم بين سبحانه الغرض في ذلك وقال (تبتغوا فضلا من ربكم) اي لتسكنوا بالليل وتطلبوا الرزق بأنواع التصرف في النهار الا انه حذف لتسكنوا بالليل لما ذكره في مواضع اخرى (وتعلموا عدد السنين والحساب) اي لتعلموا بالليل والنهار عدد السنين والشهور وآجال الديون وغير ذلك من المواقيت وتعلموا حسنات اعمالكم وآجالكم ولولا الليل والنهار لما علم شيء من ذلك (وكل شيء فصلناه تفصيلا) اي ميزناه تميزا ظاهرا بينا لا يلتبس وبيناه تبيانا شافيا لا يخفى

﴿ النظم ﴾

اتصلت الآية الأولى بقوله عسى ربكم ان يرحمكم والوجه فيه انه لما أمر بني اسرائيل بالرجوع الى الطريق المستقيم من التوبة وقبول الإسلام بين ان ذلك الطريق هذا الكتاب الذي يدل على ما هو احسن الاديان وقيل بتصل بقوله وآتيناه موسى الكتاب اي كما آتيناه التوراة آتيناه محمد صلى الله عليه وسلم القرآن الذي يهدي الى الاحسن الاقوم وقيل اتصل بقوله سبحانه الذي اسرى كأنه قال اسرى بيده وآتاه الكتاب الذي هذه صفته وانما اتصل قوله بدع الانسان بالشر الآية مما تقدم من بشارة الكفار بالعذاب فيبين عقبيه انهم يستمطلون العذاب جهلا وعتادا ثم بين انه يستجيب لهم ما فيه صلاحهم ثم بين بالآية الأخرى انه انعم عليهم بوجوه النعم كالليل والنهار ونحو ذلك وان لم يشكروه

قوله تعالى (١٢) وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا (١٤) من أهدى فأنا ما يهتدي لنفسه ومن ضل فأنا بضل عليها ولا تزر وازرة وزرأ أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
ثلاث آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر ويخرج له بضم الياء وفتح الراء وقرأ يعقوب ويخرج له بفتح الياء وضم الراء والباقون ويخرج بالنون وقرأ ابو جعفر وابن عامر تلقية بضم التاء وفتح اللام وتشديد القاف والباقون بفتح الياء وسكون اللام
(الحجة) -

من قرأ ويخرج له فعناه انه يخرج له عمله او يخرج له طائره يوم القيامة كتابا ويكون كتابا منصوبا على الحال ومن قرأ ويخرج فتقديره فيخرج له عمله او طائره ويكون كتابا حالا ايضا من الضعيف في يخرج كما في الأول ومن قرأ ويخرج بالنون فيكون كتابا مفعولا لنخرج ويجوز ان يكون منصوبا على التمييز على معنى ونخرج طائره له كتابا ويجوز ان يكون نصبا على الحال فيكون بمعنى ذا كتاب اي مثبتا في الكتاب الذي قال فيه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا احصاها وقوله منشورا يكون منصوبا على الحال من الماء في يلقاه على القراءات

جميعاً ومن قرأ بلفظه منشوراً فإنه يدل عليه قوله وإذا الصحف نشرت ومن قرأ بلفظه فيدل عليه قوله ويلقون فيها تحية وسلاماً

اللغة

الإنسان يقع على المذكر والمؤنث فإذا أردت الفصل قلت رجل وامرأة ومثل ذلك فرس يقع على المذكر والمؤنث فإذا أردت الفصل قلت حصان وحجر وسيف المماليج يرذون ورمكة وكل يعبر يقع على المذكر والمؤنث فإذا فصلت قلت جمل وناقرة واشتقاق الإنسان من الأونس أو الأونس وهو فعلان عند البصريين وقال الكوفيون هو من النسيان وأصله إنسيان حذف الياء منه استخفافاً واحتجوا على ذلك بقول العرب في تصغيره انيسيان وهذه الياء عند البصريين زائدة وهو من التصغير الشاذ عندهم مثل عشيشة ومغبربان الشمس وليبية وأشباه ذلك والطائر هاتعمل الإنسان شبه بالطائر الذي يسنح ويتبرك به والطائر الذي يبرح فيتشاء به والسائح الذي يجعل ميامنه إلى ميامرك والبارح الذي يجعل ميامره إلى ميامنك والأصل في هذا أنه إذا كان سائحاً أمكن الرامي وإذا كان بارحاً لم يمكنه قال أبو زيد كل ما يجري من طائر أو ظبي أو غيره فهو عندهم طائر وأنشد لكثير

فلست بناسيها ولست بتارك
إذا عرض الأدم الجوارى سواها
أأدرك من أم الحكيم عبيطة
بها خبرتني الطير أم قد اتى لها

في البيت الأخير ان الذي زجره طائر وأنشد لزهير في ذلك

فلما ان تفرق آل ليلي جرت بيني وبينهم ظباء
جرت سنحاً فقلت لهم مروغاً نوى مشمولة فمتى اللقاء
قال وقولهم سألت الطير وقلت للطير إنما هو زجرتها من خير أو شر ويقوي ما ذكره قول الكهيت
ولا أنا ممن يزجر الطير همه
أصاح غراب أم تعرض ثعلب
وأنشد لحسان بن ثابت

ذريني وعلمي بالأمر وشيعتي
أي ليس رأيي بمشؤوم وأنشد لكثير

أقول إذا ما الطير مرت مخيلة
لعلك يوماً فانتظر أن تنالها

وإنما قال طائرته في عنقه ولم يقل في يده لينبه على لزوم ذلك له وتعلقه به كما يقال طوقتك كذا أي قلدتك كذا والزمنه إياك ومنه قلده السلطان كذا أي صارت الولاية في لزومها له في موضع القلادة وكان الطوق قال الأعشى

قلدتك الشعر يا سلامة ذا الإبر
فضال والشعر حيث ما جعلنا

وقال الآخر

ان لي حاجة إليك فقالت
بين أذني وعاتقي ما تريد

والعرب تقيم هذا العضو مقام الذات فتقول أعتقت رقبة وطوقت عنتي وأمانته ولذلك قال أبو حنيفة إذا قال الإنسان عنتك أو رقتك حر عنتك لأنه يعبر بذلك عن جميع البدن ولو قال يدك أو شمرك حر لا يعتق لأنه لا يعبر بذلك عن جميع البدن وقال الشافعي هما سواء يعتق في الحالين

(الاعراب) -

موضع بنفسك رفع لأنه فاعل كفى وحسباً نصب على التمييز له وقال أبو بكر السراج المعنى كفى الاكتفاء

بنفسك فالفاعل على هذا محذوف والجار والمجرور في موضع النصب على اصله وحسباً نصب على الحال من كفى

المعنى

لما قدم سبحانه ذكر الوعيد أتبع ذلك بذكر كيفية فقال (وكل انسان الزمناه طائره في عنقه) معناه والزمناه كل انسان عمله من خير أو شر في عنقه عن ابن عباس ومجاهد وقتادة يريد جعلناه كالطوق في عنقه فلا يفارقه وإنما قيل للعمل طائراً على عادة العرب في قولهم جرى طائره بكذا ومثله قوله سبحانه قالوا طائركم معكم وقوله وإنما طائركم عند الله وقيل طائره بينه وشؤمه عن الحسن وهو ما يتطير منه وقيل طائره خطفه من الخبير والشر عن ابي عبيدة والقتبي وخص العنق لأنه محل الطوق الذي يزين المحسن والغسل الذي يشين المسيء وقيل طائره كتابه وقيل معناه جعلناه لكل انسان دليلاً من نفسه لأن الطائر عندهم يستدل به على الأمور الكائنة فيكون معناه كل انسان دليل نفسه وشاهد عليها إن كان محسناً فطائره ميمون وإن ساء فطائره مشؤوم (ونخرج له يوم القيامة كتاباً) وهو ما كتبه الحفظة عليهم من أعمالهم (بلفاه) أي يرى ذلك الكتاب (منشوراً) أي مفتوحاً معروضاً عليه ليقرأه ويعلم ما فيه والماء في له يجوز ان تكون عائدة إلى الانسان ويجوز ان تكون عائدة إلى العمل (اقرأ كتابك) فها هنا حذف أي ويقال له اقرأ كتابك قال قتادة يقرأ يومئذ من لم يكن قارئاً في الدنيا وروى جابر بن خالد بن نجيب عن ابي عبد الله (ع) قال يذكر العبد جميع أعماله وما كتب عليه حتى كأنه فعله تلك الساعة فلذلك قالوا يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها (كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً) أي محاسباً وإنما جعله محاسباً لنفسه لأنه إذا رأى أعماله يوم القيامة كلها مكتوبة ورأى جزاء أعماله مكتوباً بالعدل لم ينقص عن ثوابه شيء ولم يزد على عقابه شيء أذعن عند ذلك وخضع وتضرع واعترف ولم يتنهي له حجة ولا إنكار وظهر لأهل المحشر انه لا يظلم قال الحسن يا ابن آدم لقد أنصفتك من جعلك حسيب نفسك (من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه) أي من اهتدى في الدنيا إلى دين الله وطاعته فتنفعة اهتدائه راجعة إليه (ومن ضل فإنما يضل عليها) أي ومن ضل عن الدين في الدنيا فضرر ضلاله راجع إلى نفسه وعقوبة ضلاله على نفسه (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أي لا تحمل حاملة حمل أخرى أي ثقل ذنوب غيرها ولا يعاقب أحد بذنوب غيره وروى عن النبي ﷺ انه قال لا تحن بينك على شمالك وهذا مثل ضربه (ع) وفي هذا دلالة واضحة على بطلان قول من يقول ان أطفال الكفار يعذبون مع آباءهم في النار (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) معناه وما كنا معذبين قوماً بعذاب الاستئصال الا بعد الاعتذار اليهم والانهذار لهم بأبلغ الرجوه وهو ارسال الرسل اليهم مظهرة في العدل وإن كان يجوز مؤاخذتهم على ما يتعلق بالعقل معجلاً فعلى هذا التأويل تكون الآيات عامة في العقليات والشرعيات وقال الاكثرون من المفسرين وهو الأصح ان المراد بالآية انه لا يعذب سبحانه في الدنيا ولا في الآخرة إلا بعد البعثة فتكون الآيات خاصة فيما يتعلق بالسمع من الشرعيات فأما ما كانت الحججة فيه من جهة العقل وهو الإيمان بالله تعالى فانه يجوز العقاب بتركه وإن لم يبعث الرسول عند من قال ان التكليف العقلي بنفسك من التكليف السمعي على ان المحققين منهم يقولون انه وإن جاز التعذيب عليه قبل بعثة الرسول فانه سبحانه لا يفعل ذلك مبالغاً في الكرم والفضل والاحسان والطول فقد حصل من هذا انه سبحانه لا يعاقب احداً حتى ينفذ اليهم الرسل المنبهين إلى الحق المهادين إلى الرشده استظهاراً في الحججة لأنه إذا اجتمع داعي العقل وداعي السمع تأكد الأمر وزال الريب فيما يلزم العبد وقد أخرج سبحانه في هذه الآية عن ذلك وهذا لا يدل على انه لو لم يبعث رسولا لم يحسن منه ان يعاقب إذا ارتكب القبائح العقلية إلا ان يفرض في بعثة الرسول لطفاً فإن عند ذلك لا يحسن منه سبحانه ان يعاقب احداً إلا بعد ان يوجه اليه مما هو لطف له فيزاح بذلك عنه

قوله تعالى (١٦) وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا (١٧) وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (١٨) مَنْ كَانَ يَرْيِدُ الْمَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (١٩) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (٢٠) كَلَّا نُمَدِّهُ هُوْلَاءَ وَهَوْلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (٢١) أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ الْكِبْرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (٢٢) لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَحْذُورًا سبع آيات

﴿ القراءة ﴾

القراءة العامة أمرنا بالتخفيف غير ممدود وقرأ يعقوب أمرنا بالمد وهو قراءة علي بن أبي طالب (ع) والحسن وأبي العالية وفتادة وجماعة وقرأ أمرنا بالتشديد للميم ابن عباس وأبو عثمان النهدي وأبو جعفر محمد بن علي بخلاف وقرأ أمرنا بكسر الميم بوزن عمرنا الحسن ويحيى بن يعمر

﴿ الحجة ﴾

قال أبو عبيدة أمرنا أكثرنا من قولهم امر بنو فلان أي كثروا وانشد لليبيد

ان يغبطوا يهبطوا وان امروا يوماً يصيروا للهلك والنقد

قال أبو علي لا يخلو قوله أمرنا محققة الممزة من ان يكون فعلنا من الأمر أو من أمر القوم وأمرتهم مثل شترت عينه وشترتها ورجع ورجعته وسار وسرته فمن لم ير ان يكون أمرنا من أمر القوم إذا كثروا كما حكى ذلك يونس عن أبي عمرو فإنه ينبغي ان يكون من الأمر الذي هو خلاف النهي ويكون المعنى أمرناهم بالطاعة فعصوا وفسقوا ومن قرأ أمرنا فإنه يكون فعلنا من أمر القوم إذا كثروا وأمرهم الله وكذلك ان ضاعف الميم فقال أمرنا ويقوي حمل أمرنا على النقل من امر وان لا يجعل من الأمر الذي هو خلاف النهي ان الأمر بالطاعة على هذا يكون مقصوداً على المترفين فقد أمر الله بطاعته جميع خلقه من مترف وغيره ويحمل أمرنا على انه مثل أمرنا ونظير هذا كثرة واكثره الله وكثره ولا يحمل أمرنا على ان المعنى جعلناهم أمراء لأنه لا يكاد يكون في قرينة واحدة جماعة أمراء فإن قلت يكون منهم الواحد بعد الواحد فإنهم إذا كانوا كذلك لا يكثرون في حال وإنما يهلك بكثرة المعاصي في الأرض وعلى هذا جاء الأمر في التنزيل يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة فإياي فاعبدون فأمرنا بالخروج من الأرض التي تكثر فيها المعاصي إلى ما كان بخلاف هذه الصفة وبما جاء فيه امر بمعنى الكثرة قول زهير

والإثم من شر ما يصل به والبر كالغيث نبتة امر

وأما امر فقد روى ابن جني بإسناده عن أبي حاتم قال قال أبو زيد يقال امر الله ماله وأمره ومن قال ان أمرنا لا يكون بمعنى أكثرنا قال في قوله خير المال سكة مأبورة ومهرة مأبورة ان معنى مأبورة مؤمّرة فأمرنا قال هذه لمكان الازدواج كما قالوا الغدايا والعشايا والغداة لا تجتمع على الغدايا لكن قيل ذلك ليزدوج الكلام

— (اللفظة) —

الترفة النعمة قال ابن عرفة المترف المتروك بصنع ما يشاء ولا يمنع منه والتدبير والاهلاك والدمار الهلاك ويقال

ذمته وذاميته وذمته فهو مذموم ومذموم ومذموم بمعنى ويكون ذامته بمعنى طرده ويقال اصنع ذاك وخلاك ذم أي
ولا ذم عليك والدحر الإبعاد والمدحور المبعود والمطرود يقال اللهم ادحر عنا الشيطان أي ابعده

❖ الاعراب ❖

كم اهلكنا موضع كم نصب بأهلكنا ودخلت الباء في قولك يربك للمدح كما تقول ناهيك به رجلا وجاء
بشريك ثوبا وطاب بطعامك طعاما واكرم به رجلا ويكون في كل ذلك في موضع رفع كما قال الشاعر

ويخبرني عن غائب المرء هديه كفى الهدى إماغيب المرء مخبرا

فرفع لما اسقط الباء وبصلها في موضع نصب على الحال لمن يريد بدل من قوله عجلنا له فيها ما نشاء واعاد
اللام لما كان البدل في تقدير جملة أخرى كقوله لمن آمن منهم ومذموما حال من الضمير المستكن في يصلها
كلا نمد نصب كلا بجمد وهؤلاء بدل من قوله كلا أي نمد كل واحد من هؤلاء وهؤلاء.

❖ المعنى ❖

(واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيا ففسقوا فيها) لما لم يميز في العقول تقديم إرادة العذاب على المعصية
لأنه عقوبة عليها ويستحقه لأجلها فتم لم توجد المعصية لم يحسن فعل العقاب وإذا لم يحسن فعله لم تحسن إرادته
اختلفوا في تأويل الآية وتقديرها على وجوه ❖ أحدها ❖ ان معناه وإذا أردنا أن نهلك أهل قرية بعد قيام
الحجة عليهم وإرسال الرسل اليهم أمرنا مترفيا أي رؤساءها وساداتها بالطاعة واتباع الرسل أمرا بعد أمر نكرره
عليهم وبينت بعد بينة تأتيهم بها عذارا للعصاة وانذارا لهم وتوكيدا للحجة ففسقوا فيها بالمعاصي وأبوا إلا تماديا
في العصيان والكفران (فحق عليها القول) أي فوجب حينئذ عليها الوعيد (فدمرناها تدميرا) أي أهلكناها
إهلاكا وإنما خص المترفين وهم المتممون والرؤساء بالذكر لأن غيرهم تبع لم فيكون الأمر لم أمرا لا تبعهم
وعلى هذا فيكون قوله أمرنا مترفيا جوابا لا إذا واليه يؤول ما روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير ان معناه
أمرناهم بالطاعة فعصوا وفسقوا ومثله امرتك فعصيتي ويشهد بصحة هذا التأويل الآية المتقدمة وهي قوله من اهتدى
فإنما يهتدي لنفسه إلى قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ❖ وثانيها ❖ ان قوله أمرنا مترفيا من صفة القرية
وتقديره وإذا أردنا أن نهلك قرية صفتها انا كنا قد أمرنا مترفيا ففسقوا فيها فلا يكون لا إذا جواب ظاهر في
اللفظ للاستغناء عنه بما في الكلام من الدلالة عليه ونظيره قوله سبحانه حتى إذا جاؤوها وفنحت ابوابها إلى قوله ونعم أجر
العاملين فلم يأت لا إذا جواب في طول الكلام للاستغناء عنه بما في الكلام من الدلالة وبما يشهد بصحة ذلك قول المهذلي

حتى إذا سلكوهم في قنائة شلا كما تطرد الجمالة الشردا

فحذف جواب إذا لأن هذا البيت آخر القصيدة ❖ وثالثها ❖ ان الآية محمولة على التقديم والتأخير وتقديرها
إذا أمرنا مترفي قرية بالطاعة فعصوا أردنا اهلاكم وبما يمكن ان يكون شاهدا لهذا الوجه قوله وإذا كنت
فيهم فأقت لم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وقيام الطائفة معه يكون قبل إقامة الصلاة لأن إقامتها هي الاثيان
بجميعها على الكمال وكذلك قوله إذا قمتم إلى الصلاة فأغسلوا وجوهكم والطهارة إنما تجب قبل القيام إلى الصلاة
❖ ورابعها ❖ انه سبحانه ذكر الإرادة على وجه المجاز والانساع وإنما عني بها قرب الهلاك والعلم بكونه لا محالة
كما يقال إذا أراد الليل انت يموت خلط في مأكله ويسرع إلى ما تنوق نفسه اليه وإذا أراد التاجر ان يفترق
أناه الخسران من كل وجه ومعلوم ان الليل والتاجر لم يريد في الحقيقة شيئا لكن لما كان من المعلوم من حال
هذا الهلاك ومن حال ذلك الخسران حسن هذا الكلام واستعمل ذكر الارادة لهذا الوجه وللكلام العرب اشارات
واستعارات ومجازات لاجلها كان كلامهم في الغاية القصوى من الفصاحة والوجه الأول عندي أصح الوجوه
وأقربها إلى الصواب إذا تأولت الآية على الأمر الذي هو ضد النهي فأما إذا تأولت الآية على معنى القراءتين

الأخيرين من أمرنا بالمد وامرنا بالتشديد فلن يخرج على هذا الوجه وتكون محمولة على احد الأوجه الثلاثة
 الآخر ثم بين سبحانه ما فعله من ذلك بالقرون الخالية فقال (وكم أهلكنا من القرون) أي من الأمم الكثيرة
 المكذبة (من بعد نوح) أي من بعد زمان نوح إلى زمانك هذا لأن كم تفيد التكثير كما ان رب تقييد التقليل
 والقرن مائة وعشرون سنة عن عبد الله بن ابي أوفى وقيل مائة سنة عن محمد بن القاسم المازني وروي ذلك
 مرفوعاً وقيل ثمانون سنة عن الكلبي وقيل اربعون سنة ورواه بن سيرين مرفوعاً (وكفى بربك بذنوب عباده
 خبيراً) أي كفى ربك علماً بذنوب خلقه (بصيراً) بها بجازهم عليها ولا يفوته شيء منها ثم بين سبحانه انه
 يدبر عباده بحسب ما يراه من المصلحة فقال (من كان يريد العاجلة) أي النعم العاجلة وهي الدنيا فغير عنها
 بصفتها (جعلنا له فيها ما نشاء) من البسط والتفتير وعلق ذلك بمشيئته لا بمشيئة العبد فقد يشاء العبد ما لا يشاء الله
 فلا يعطيه لكونه مفسدة (لمن نريد) أي لمن نريد اعطاءه يين بذلك أنه ربما يكون حريصاً يريد الدنيا فلا يعطى
 وإن اعطى اعطى قليلاً (ثم جعلنا له جهنم يصليها) أي يصير بصلاحها ويحترق بنارها (مذموماً) ملوماً (مدحوراً)
 مبعداً من رحمة الله وروي عن ابن عباس ان النبي ﷺ قال معنى الآية من كان يريد ثواب الدنيا بعمله الذي اقرضه الله
 عليه لا يريد به وجه الله والدار الآخرة عجل له فيها ما يشاء الله من عرض الدنيا وليس له ثواب في الآخرة
 وذلك ان الله سبحانه وتعالى يؤتيه ذلك ليستعين به على الطاعة فيستعمله في معصية الله فيعاقبه الله عليه (ومن اراد
 الآخرة) أي ومن اراد خير الآخرة ونعم الجنة (وسعى لها سعيها وهو مؤمن) أي فعل الطاعات وتجنب المعاصي
 وهو مع ذلك مصدق بتوحيد الله تعالى مقر بأخباره (فأولئك كان سعيهم مشكوراً) أي تكون طاعتهم مقبولة
 وقيل شكره انه سبحانه يضاعف حسناتهم ويتجاوز عن سيئاتهم عن فتادة والمعنى انا احللتنا سعيهم محل ما يشكر
 عليه في حسن الجزاء وروي عن الحسن انه قال اطلبوا الآخرة فمأربت طالباً لها إلا نالها وربما نال الدنيا وما رأيت
 طالب دنيا نال الآخرة وربما لا ينال الدنيا ايضاً (كلا ثم هؤلاء وهؤلاء) أي كل واحد من هذين الفريقين
 ممن يريد الدنيا ومن يريد الآخرة ندم أي تزيدم وقيل كلا نعطي من الدنيا البر والقاجر عن الحسن والمعنى
 انا نعطي المؤمن والكافر في الدنيا وأما الآخرة فالمتقين خاصة (من عطاء ربك) أي نعمة ربك ورزقه (وما كان
 عطاء ربك محظوراً) معناه وما كان رزق ربك محبوباً عن الكافر لكفره ولا عن الفاسق لفسقه « سؤال » فإن
 قيل هل يجوز ان يريد المكلف بعمله العاجل والآجل والجواب نعم إذا جعل العاجل تبعاً للآجل كالمجاهد في
 سبيل الله يقاتل لاعتزاز الدين ويجعل النعمة تبعاً (انظر) يا محمد (كيف فضلنا بعضهم على بعض) بأن جعلنا
 بعضهم أغنياء وبعضهم فقراء وبعضهم موالى وبعضهم عبيداً وبعضهم أصحاباً وبعضهم مرضى على حسب ما علمناه
 من المصالح (وللآخرة أكبر درجاتاً وأكبر تفضيلاً) أي درجاتها ومراتبها أعلى وأفضل وهي مستحقة على
 قدر الأعمال فينبغي أن تكون رغبتهم في الآخرة وسعيهم لها أكثر وقد روي ان ما بين أعلى درجات الجنة
 وأسفلها ما بين السماء والأرض وفي الآية دلالة على ان الطاعة لا تزيد في رزق الدنيا وإنما تزيد في درجات الآخرة
 (لا تجعل مع الله إلهاً آخر) قيل ان الخطاب للنبي ﷺ والمراد به أمته وقيل معناه لا تجعل أيها السامع أو
 أيها الإنسان مع الله إلهاً آخر في اعتقادك واقراءك ولا في عبادتك ولا في رغبتك ورهبتك (فتقعد مذموماً
 مخذولاً) معناه فإنك إن فعلت ذلك قعدت وبقيت ما عشت مذموماً على لسان العقلاء مخذولاً ولا ناصر لك يجمع
 الله نصرته عنك ويكلك إلى ما أشركت به « وقيل » معنى القعود الذل والخزي والخسران والعجز لا الجلوس
 كما يقال قعد به الضعف عن القتال أي عجز عنه

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال الآية الأولى بما قبلها انها اتصلت بقوله حتى يبعث رسولا والمعنى انه لا يعذب إلا بعد إرسال

الرسول وتقدم الأمر والنهي وإتمام النعمة في الانذار والاعذار وظهور النصيان من الكفار والفجار وقيل انها متصل بما تقدم من قصة بني اسرائيل وما فعل بهم في الكرة الأولى والثانية فيبين سبحانه ان ما فعله موافق لمعادته فيمن يريد اهلا كما فعلنا بهلك القرى إذا أمر مترفيها بالطاعة فسقوا فيكون اهلا كما هم بالاستحقاق لا على الابتداء

قوله تعالى (٢٣) وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَيَا آلَ الدِّينِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمْ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٤) وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمَهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا (٢٥) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ثلاث آيات

✽ القراءة ✽

يبلغان بالالف وكسر النون كوفي غير غاصم والباقون يبلغان أف بفتح الفاء هاءنا وفي الأبياء والاحقاف مكسي شامي ويعقوب وسهل واف بالكسر والتنوين في الجميع مدني وحفص والباقون اف بالكسر غير منون وفي الشواذ قراءة ابي السماء اف مضومة غير منونة وقرأ ابن عباس اف خفيفة وجناح الذل بكسر الذال

✽ الحجة ✽

قال ابو علي قوله اما يبلغان يرتفع احدهما به وقوله كلاهما معطوف عليه والذكر الذي عاد من قوله احدهما يعني عن اثبات علامة الضمير في يبلغان فلا وجه لقول من قال ان الوجه اثبات الالف لتقدم ذكر الوالدين يعني به الفراء وإنما الوجه في ذلك انه على الشيء الذي يذكروا على وجه التوكيد ولو لم يذكروا لم يقع بترك ذكره اخلال نحو قوله أموات غير أحياء فقوله غير أحياء توكيد لأن قوله أموات يدل عليه فيكون الالف مجردة لعنى التثنية ولا حظ للاسمية فيها يرتفع احدهما أو كلاهما بالفعل وقال الزجاج يكون أحدها أو كلاهما بدلا من الألف في يبلغان قال ابو علي من قرأ أف بالفتح فانه بناء على الفتح كقولهم سرعان ذا اهال وهو اسم لسرع ومثله وشكان قال

أوشكان ما عنيتهم وشعيتهم
ياخوانكم وألعتهم لم يتجمع

وكذلك اف اسم لا تفسح واتكروه ونحو ذلك ومن قرأ اف فإنه يدخل التنوين بدل على التنكير مثله مه وصه ومثله قولهم فداء لك بتوه على الكسر وإن كان في الأصل مصدراً كما كان اقه في الأصل مصدراً من قولهم اقه وتفه يراد بها تننا ودفرا ومن قرأ أف ولم ينون جعله معرفة فلم ينون كما ان من قال صه وغاق فلم ينون أراد به المعرفة فإن قلت ما موضع أف في هذه اللغات بعد القول هل يكون موضعه نصباً كما ينتصب المفرد بعده أو يكون كما تكون الجمل فالقول ان موضعه موضع الجمل كما انك لو قلت رويد لكان موضعه الجمل قال الزجاج في اف سبع لغات اف بالضم منونا وغير منون واف بالكسر منونا وغير منون واف واقفا وفي جملة وزاد ابن الاباري اف خفيفة مفتوحة قال ابو الحسن وقول الذين قالوا اف أكثر وأجود ولو قلت اف لك واقفا لك لاحتمل وجهين ✽ احدهما ✽ ان يكون الذي صار اسما للفعل لحقه التنوين علامة للتنكير ✽ والاخر ✽ ان يكون نصباً معرباً وكذا الضم فإن لم يكن معه لك كان ضعيفاً ألا ترى أنك لا تقول وبيل ولو قلته لم يستقم حتى يوصل به لك فيكون في موضع الخبر والذل ضد الصعوبة والذل ضد العز والأول في الدابة والثاني في الإنسان

✽ الإعراب ✽

قوله وبالوالدين احسانا العامل في الباء قضي والتقدير وقضى بالوالدين احسانا ويجوز ان يكون على تقدير

واوصى بالوالدين إحسانا وحذف لدلالة الكلام عليه قال الشاعر

عجبت من دهما إذ تشكرونا ومن أبي دهما إذ يوصينا
خنيا بها كأننا خافونا

فاعمل بوصينا في الخير كما ريباني أي كرحمة تربيتها بمعنى رحمة تحدث عند التربية كما تقول ضرر التلف وقيل الكاف بمعنى على ارحمها على ما ريباني عن الأخصف وكذا قال في قوله كما أمرت ان تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين منكم فحذف ويجوز ان يكون على كان لكم فوضع الظاهر موضع المصغر لأنهم الصالحون

« المعنى »

لما تقدم النهي عن الشرك والمعاصي عقب سبحانه بالأمر بالتوحيد والطاعات فقال سبحانه (وقضى ربك) أي أمر ربك أمراً باتناً عن ابن عباس والحسن وقتادة وقيل الزم وأوجب ربك عن الربيع بن أنس وقيل أوصى عن مجاهد (ان لا تعبدوا إلا اياه) معناه أن تعبدوه ولا تعبدوا غيره فإن قيل ان الأمر لا يكون أمراً باتناً لا يكون الشيء لأن الأمر يقتضي ارادة المأمور به والارادة لا تتعلق بأن لا يكون الشيء وإنما تتعلق بحدوث الشيء فالجواب ان المعنى أراد منكم عبادته على وجه الاخلاص وكره منكم عبادة غيره وعبر عن ذلك بقوله أمر ان لا تعبدوا إلا اياه (وبالوالدين إحساناً) أي وقضى بالوالدين إحساناً أو أوصى بالوالدين إحساناً ومعناها واحد لأن الوصية أمر (إما يبلغن عندك الكبر أحدها أو كلاهما) يعني به الكبر في السن والمعنى إن عاشا عندك أيها الإنسان المخاطب حتى يكبرا أو عاشا أحدهما حتى يكبر يريد ان بلغا في السن مبلغا بصيران بمنزلة الطفل الذي يحتاج إلى متعهد وخص حال الكبر وإن كان من الواجب طاعة الوالدين على كل حال لأن الحاجة أكثر في تلك الحال إلى التمهيد والخدمة وهذا مثل قوله وبكلم الناس في المهد وكهلاً مع ان الناس كلهم يتكلمون في حال الكهولة والوجه فيه انه سبحانه اخبر ان عيسى بكلم الناس في المهد وانه يعيش حتى يكهل ويتكلم بعد الكهولة ونحو ذلك قوله والأمر يومئذ لله وإنما خص ذلك اليوم لأنه لا يملك فيه احد سواه وقيل ان الكبر في الآية راجع الى المخاطب أي ان بلغت حال الكبر وهو حال التكليف وقد بقي معك أبواك أو أحدهما (فلا تقل لها أف) وروي عن علي بن موسى الرضا عن ابيه عن جده أبي عبد الله (ع) قال لو علم الله لفظة أوجز في ترك عقوق الوالدين من أف لا أقي به وفي رواية اخرى عنه قال أدنى العقوق أف ولو علم الله شيئاً يسرته واهون منه لنهى عنه وفي خبر آخر فليعمل العاق ما يشاء ان يعمل فلن يدخل الجنة فالمعنى لا تؤذيها بتقيل ولا كثير قال مجاهد معناه ان بلغا عندك من الكبر ما يبولان ويحدثان فلا تنفذ برها وامط عنها كما كانا يطمأن عنك في حال الصغر والمترحم يكسر قول أف وهي كلمة تدل على الضجر وقيل ان الأف والتف وسخ الاصابع إذا فلتته عن أبي عبيدة وقيل هي كلمة كراهة عن ابن عباس وقيل معناه التن وجاء في المثل امر من النسر قالوا لأن النسر إذا كبر ولم ينهض للطيران جاء الفرخ فزقه كما كان ابواه يزقانه (ولا تنهرها) أي لا تزجرها بأغلظ وصياح وقيل معناه لا تمنع من شيء اراداه منك كما قال واما السائل فلا تنهر (وقل لها قولاً كريماً) أي وخاطبهما بقول رقيق لطيف حسن جميل بعيد عن اللغو والقيح يكون فيه كرامة لهما ويدل على كرامة القول له على القائل وقيل معناه قل لهما قول العبد المذنب للسيد الغليظ عن سعيد بن المسيب (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) أي وبالغ في التواضع والخضوع لهما قولاً وفعللاً يراً بهما وشفقة عليهما والمراد بالذل هاهنا اللين والتواضع دون الهوان من خفض الطائر جناحه إذا ضم فرخه إليه فكأنه سبحانه قال ضم ابوبك إلى صك كما كانا يفتعلان بك وانت صغير واذا وصفت العرب إنساناً بالسهولة وترك الآباء قالوا هو خافض الجناح وقال ابو عبد الله (ع) معناه لا تملأ عينيك من النظر اليهما الا برأفة ورحمة ولا ترفع صوتك فوق اصواتهما ولا بدبك فوق ايديهما

ولا تتقدم قدمهما (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً) معناه ادع لهما بالمغفرة والرحمة في حياتهما وبعد
ماتهما جزاء لثريتهما اياك في صباك وهذا إذا كانا مؤمنين وفي هذا دلالة على ان دعاء الولد لوالده الميت
مسموع ولو لم يكن الأمر به معنى وقيل ان الله تعالى اوصى الأبناء بالوالدين لقصور شفقتهم ولم يوص الوالدين
بالأبناء لوفور شفقتهم وذكر حال الكبير لأنها احوج في تلك الحال إلى البر لضعفهما كونهما كلالا على الولد
ففي الحديث ان النبي ﷺ قال رغم الله رغم الله قالوا من يا رسول الله قال من ادرك ابويه عند
الكبر احدهما او كلاهما ولم يدخل الجنة اوردته مسلم في الصحيح وروى ابو اسيد الانصاري قال بيننا نحن عند رسول
الله ﷺ إذ جاء رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي من بر ابوي شي ابرهما به بعد موتهما قال
نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما واقاذ عهدهما من بعدهما واكرام صديقهما وصله الرحم التي لا توصل
إلا بهما قال قتادة هكذا علمت وبهذا امرتم فخذوه بتعليم الله وادبه (ربكم اعلم) اي اكثر معلوماً وقيل اثبت
علماً فإنه سبحانه اعلم بأن الجسم حادث من الإنسان العالم بذلك (بما في قومكم) اي بما تضمنون من البر
والمعقوق فمن ندرت منه نادرة وهو لا يضم عقوقاً غير الله له ذلك وقيل معناه انه اعلم بجميع ما في ضمائركم
وهذا اوجه (ان تكونوا صالحين) اي طائعين لله (فإنه كان للأوابين غفورا) والأواب التواب المتعبد الراجع
عن ذنبه عن مجاهد وروى ذلك عن ابي عبد الله (ع) وقيل ان الأولين المطيعون للمحسنين عن قتادة وقيل انهم
الذين يذنبون ثم يتوبون ثم يذنبون ثم يتوبون عن سعيد بن المسيب وقيل هم الراجعون الى الله فيما يتوبهم عن ابن
عباس وقيل هم المسجون عن ابن عباس في رواية أخرى وبعضه قوله يا جبال اوبي معه وقيل انهم الذين يصلون
بين المغرب والعشاء روي ذلك مرفوعاً وروى هشام بن سالم عن ابي عبد الله (ع) قال صلاة اربع ركعات بقرا في
كل ركعة خمسين مرة قل هو الله احدهي صلاة الأولين

قوله تعالى (٢٦) وآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا (٢٧)
إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢٨) وَإِمَاتُ عُرْسٍ عَنْهُمْ
أَبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيَسُورًا (٢٩) وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ
وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا (٣٠) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ
إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا خمس آيات

— اللغة —

التبذير التفريق بالاسراف وأصله ان يفرق كما يفرق البذر الا انه يختص بما يكون على سبيل الافساد وما
كان على وجه الاصلاح لا يسمى تبذيرا وان كثر قال النابغة
تراثب يستضيئ الحلى فيها كجمر النار بذر بالظلام
والاعراض صرف الوجه عن الشيء وقد يكون عن قلى وقد يكون للاشتغال بما هو الاولى وقد يكون
للإذلال كما قال واعرض عن الجاهلين وأصل الحسر الكشف من قولهم حسر عن ذراعه بحسر حسرا إذا كشف
عنه والحسرة الغم لانحسار ما فات ودابة حسير اذا كلت لشدة السير لانحسار قوتها بالكلال ومنه قوله ينقلب
اليك البصر خاسئا وهو حسير والمحسور المنقطع به لذهاب ما يفي يده وانحساره عنه قال الهذلي
ان العسير بها داء مخامرها فشطرها نظر العينين محسور
ويقال حسرت الرجل بالمسألة اذا افتتت جميع ما عنده

﴿ اعراب ﴾

• أما تعرضن تقديره وان تعرض وما مزبدة وإبتناء مفعول له وقيل هو مصدر وضع موضع الحال اي ميتنيا
رحمة من ربك ترجوها اي راجيا إياها وترجوها جملة في موضع الجر يكونها صفة لرحمة ويجوز ان يكون في
موضع النصب على الحال من الضمير في تعرضن

﴿ المعنى ﴾

ثم حث سبحانه نبيه ﷺ على إبتناء الحقوق لمن يستحقها على كيفية الاتفاق فقال (وآت ذى القربى
حقه) معناه واعطى القربان حقوقهم التي اوجبها الله لهم في أموالكم عن ابن عباس والحسن وقيل ان المراد قرابة
الرسول عن السدي قال ان علي بن الحسين (ع) قال لرجل من اهل الشام حين بعث به (ع) عبيد الله بن زياد
الى يزيد بن معاوية أقرأت القرآن قال نعم قال أما قرأت وآت ذى القربى حقه قال وانكم ذو القربى الذي أمر
الله ان يؤتى حقه قال نعم وهو الذي رواه اصحابنا عن الصادقين (ع) واخبرنا السيد ابو الحمد مهدي
ابن زرار الحسيني قراءة قال حدثنا ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله الحكاني قال حدثنا الحاكم الواحد ابو
محمد قال حدثنا عبد الله عمر بن احمد بن عثمان ينفذ شفاها قال اخبرني عمر بن الحسن بن علي بن مالك قال
حدثنا جعفر بن محمد الاحمسي قال حدثنا حسن بن حسين قال حدثنا ابو معمر سعيد بن جشم وعلي بن القاسم
الكندي ويحيى بن يعلى وعلي بن مسهر عن فضل بن مرزوق عن عطية العوفي عن ابي سعيد الخدري قال
لما نزل قوله وآت ذا القربى حقه اعطى رسول الله ﷺ فاطمة فدكا قال عبد الرحمن بن صالح كتب
المأمون الى عبد الله بن موسى يسأله عن قصة فدك فكتب اليه عبد الله بهذا الحديث رواه الفضيل بن مرزوق عن
عطية فرد المأمون فدكا الى ولد فاطمة (ع) (والمسكين وابن السبيل) معناه وآت المسكين حقه الذي جعله
الله له من الزكاة وغيرها وآت المجتاز المتقطع عن بلاده حقه ايضا (ولا تبذر تبذيرا) قيل ان المبذر
الذي ينفق المال في غير حقه عن ابن عباس وابن مسعود وقال مجاهد لوافق مدا في باطل كان مبذرا ولو
اتفق جميع ماله في الحق لم يكن مبذرا وروي عن ابي عبد الله (ع) ان امير المؤمنين (ع) قال لعنابة كثر زائلة
للمؤمنين وان خير المطايا امثلها واسلمها ظهرا ولا تكن من المبذرين (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) معناه ان
المسرفين اتباع الشياطين سالكون طريقهم وهذا كما يقال لمن لازم السفر هو اخو السفر وقيل معناه انهم قرناء
الشياطين في النار (وكان الشيطان لربه كفورا) اي كان الشيطان في قديم مذهبه كثير الكفر مرة بعد اخرى
(وإما تعرضن عنهم) اي وان تعرض عن هؤلاء الذين امرتك بإبتناء حقوقهم عند مسألتهم إياك لأنك لا تجد
ذلك حياء منهم (ابتناء رحمة من ربك ترجوها) اي لتبتمني الفضل من الله والسعة التي يمكنك معها البذل بأمل تلك
السعة وذلك الفضل (فقل لهم قولاً ميسوراً) اي عدم عدة حسنة وقل لهم قولاً - هلا لينا يتيسر عليك وروي ان
النبي ﷺ كان لما نزلت هذه الآية اذا سئل ولم يكن عنده ما يعطي قال يرزقنا الله وإياكم من فضله
(ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك) اي لا تكن ممن لا يعطي شيئا ولا يهب فتكون مغلولة من يده مغلولة الى
عنقه لا يقدر على الاعطاء والبذل وهذا مبالغة في النهي عن الشح والامساك (ولا تبسطها كل البسط) اي ولا تعط
ايضا جميع ما عندك فتكون مغلولة من بسط يده حتى لا يستقر فيها شيء وهذا كناية عن الاسراف (فتقدم ملوما)
تقوم نفسك وتلام (محسورا) منقطعا به وليس عندك شيء عن السدي وابن عباس وقيل عاجزا نادما عن قتادة
وقيل محسورا من الثياب والمحسور العريان عن ابي عبد الله (ع) وقيل معناه ان امسكت قعدت ملوما مذموما
وان اسرفت بقيت متحسرا مغموما عن الجبائي وقال الكلبي لا تعط ما عندك جميعا فيجيب الآخرون يسألونك
فلا تجد ما تعطهم فيلومونك وروي ان امرأة بعثت ابنها الى رسول الله ﷺ وقالت قل له ان أمي تستكسبك

درعا فان قال حتى يا تينا شي* فقل له انها تستكسيك قبيصك فانه فقال ما قالت له فترع قبيصه فدفعه اليه فترت الآية ويقال انه (ع) بقي في البيت اذ لم يجد شيئا يلبسه ولم يمكنه الخروج الى الصلاة فلامه الكفار وقالوا ان محمدا اشتغل بالنوم واللهم عن الصلاة (ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) اي يوسع مرة ويضيئ مرة بحسب المصلحة مع سعة خزائنه (انه كان بعباده خيرا بصيرا) اي عالما بأحوالهم بصيرا بمصالحهم فيبسط على واحد ويضيئ على آخر يديرهم على ما يراه من الصلاح

(النظم) -

وانما اتصلت هذه الآية الأخيرة بما قبلها من حيث ان فيها حثا على الاعطاء اعتمادا على الله تعالى ونهياعن البخل وحثا على القصد اذ هو سبحانه مع غناه وكمال قدرته يوسع مرة ويضيئ مرة اخرى مراعاة للمصلحة فمن هو دونه اولى ان يراعي الصلاح ويملك طريق القصد

قوله تعالى (٣١) وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِن قَتَلْتُمْ كَانَتْ خِطْيًا كَبِيرًا (٣٢) وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٣) وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوَلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (٣٤) وَلَا تَقْرَبُوا أَمْوَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (٣٥) وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِذَا كَلِمْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا

(القرأة) -

قرأ ابو جعفر وابن عامر برواية ابن ذكوان كان خطأ بفتح الحاء والطاء من غير الف بعدها وقرأ ابن كثير خطأ بكسر الحاء وممدودا والباقون خطأ بكسر الحاء من غير مد وفي الشواذ قرأة الزهري واني رجاء خطأ بكسر الحاء غير ممدود وقرأة الحسن خطأ بالمد وفي رواية اخرى عنه خطأ بفتح الحاء والطاء خفيفة وقرأ اهل الكوفة غير عاصم فلانصرف بالتاء والباقون بالياء وقرأ اهل الكوفة غير ابي بكر القاسم بكسر القاف والباقون بضمها

(الحجة) -

الخطأ ما لم يتعمد وكان المأثم فيه موضوعا عن صاحبه قال ابو علي قالوا الخطأ في معنى خطى كما ان خطى في معنى اخطأ في مثل قوله

عبادك يخطئون وانت رب كريم لا يلبق بك الذموم

فمجرى الكلام انهم خاطئون وفي التنزيل لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا والمواخذة عن المخطى موضوع فهذا يدل على ان اخطانا في معنى خططنا وكما جاء اخطأ في معنى خطى كذلك جاء خطى في معنى اخطأ في قوله «يا لهف هند اذ خطنتن كاهلا» وفي قول الآخر

والناس يلحون الأ مير اذا هم خطئوا الصواب ولا يلام المرشد

فكذلك قرأة ابن عامر خطأ في معنى اخطأ كما جاء خطى بمعنى اخطأ ويجوز ان يكون الخطأ بمعنى الخطأ ايضا كالمثل والمثل والشبه والشبه والبدل والبدل واما قرأة ابن كثير خطأ فإنه يجوز ايضا ان يكون مصدر خاطأ وان لم يسمع خاطأ ولكن جاء ما يدل عليه وهو قوله «تخاطأت النبل احشاه» قال واشدنا محمد ابن السري في وصف كفاءة

واشعث ان ناولته حوش (?) القرى ادرت عليه المدجنات الهواضب

تخاطأه القناص حتى وجدته وخرطومه في متقع الماء راسب

فتخاطأ يدل على خاطأ لأن تفاعل مطاوع فعل كما أن تفاعل مطاوع فعل ووجه من قرأ خطأ بين فإنه يقال خطي بخطأ خطأ اذا تمعد الشئ والفاعل منه خاطي وقد جاء الوعيد فيه في قوله تعالى لا يأكله الا الخاطئون واما خطأ فهو اسم بمعنى المصدر من اخطأت كالمطاء من اعطيت وقال ابن جنى يقال خطي بخطأ خطأ وخطأ في الدين واخطأ الغرض ونحوه وقد تبدت اخلان واما خاطأ وخطأ فتخفيف خطأ وخطأ قال ابو علي واما قوله فلا يسرف بالياء فان فاعل يسرف يجوز ان يكون على وجهين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون القاتل الاول فيكون تقديره فلا يسرف القاتل في القتل ويكون مضمرًا وان لم يجوز له ذكر لأن الحال تدل عليه فإن قلت كيف يكون في القتل قصد بين شيئين حتى ينهى عن الاسراف فيه الذي هو ترك القصد (فالجواب) انه لا يستع ان يكون فيه الاسراف كما جاء في اموال اليتامى ولا تأكلوها اسرافا ولم يجوز ان يؤكل كل منه لا على الاقتصاد ولا على غيره لقوله ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما الآية فكذلك لا يستع ان يقال للقاتل الاول لا يسرف في القتل لأنه يقتله يكون مسرفا ويكون الضمير على هذا في قوله انه كان منصورا لقوله ومن قتل مظلوما تقديره فلا يسرف القاتل المبتدئ بقتله في القتل لأن من قتل مظلوما كان منصورا بأن يقتص له وليه او السلطان ان لم يكن له ولي غيره فيكون هذا ردعا للقاتل عن القتل كما ان قوله ولكم في القصاص حياة كذلك فالولي اذا اقتص فإنه يقتص للمقتول ومنه انتقل الى الولي بدلالة ان المقتول لو ابرى من السب المؤدي الى القتل لم يكن للولي ان يقتص ولو صالح الولي من العمد على مال كان للمقتول ان يؤذي منه دينه ولا يستع ان يقال في المقتول منصور لأنه قد جاء ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا ﴿ والآخر ﴾ ان يكون في يسرف ضمير الولي اي فلا يسرف الولي في القتل واسرافه فيه ان يقتل غير الذي قتل او يقتل اكثر من قاتل وليه وكان مشركا العرب يفعلون ذلك والتقدير فلا يسرف الولي في القتل اذ الولي كان منصورا بقتل قاتل وليه والاقتصاص من القاتل ومن قرأ فلا تسرف بالياء. احتمال وجهين ايضا ﴿ احدهما ﴾ ان يكون المبتدئ القاتل ظلما فليله لا تسرف ايها الانسان فتقتل ظلما من ليس لك قتله ان من قتل مظلوما كان منصورا بأخذ القصاص له ﴿ والآخر ﴾ ان يكون الخطاب للولي فيكون التقدير فلا تسرف ايها الولي في القتل فتتهدى قاتل وليك الى من لم يقتله ان المقتول ظلما كان منصورا وكل واحد من المقتول ظلما ومن ولي المقتول قد تقدم ذكره في قوله ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا واما القسطاس والقسطاس فهما لغتان مثل القراطس والقراطس والضم اكثر

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال (ولا تقتلوا اولادكم) اي بناقتكم (خشية اطلاق) اي خوف فقر وعجز عن النفقة عليهن ويحتمل ان يكون قوله ولا تقتلوا منصورا عطفًا على قوله ان لا تعبدوا ويجوز ان يكون على النهي فيكون مجزوما وانما نهاهم الله عن ذلك لأنهم كانوا يشدون البنات فيدفنونهن احياء (نحن نرزقهم وايامكم) اخبر سبحانه انه متكفل برزق اولادهم ورزقهم (ان قتلهم كان خطأ كبيرا) يعني ان قتلهم في الجاهلية كان إثما عظيما عند الله وهو اليوم كذلك (ولا تقربوا الزنى) وهو وطء المرأة حراما بلا عقد ولا شبهة عقد (انه كان فاحشة) اي معصية كبيرة عظيمة والمراد انه كان عندهم في الجاهلية فاحشة وهو الآن كذلك ومثل هذا في القرآن كثير (وساء سيلا) اي وبئس الطريق الزنا وفيه اشارة الى ان العقل يقبح الزنى من حيث انه لا يكون للاراد نسب اذ ليس بعض الزناة اولي به من بعض فيؤدي الى قطع الانساب وابطال الموارث وابطال صلة الرحم وحقوق الاباء على الاولاد وذلك مستنكر في العقول واخبرني المفيد عبد الجبار بن عبد الله بن علي قال حدثنا الشيخ ابو جعفر

الطوسي قال حدثنا ابو عبد الله الحسن بن احمد بن حبيب الفارسي عن ابي بكر محمد بن احمد بن محمد الجرجاني قال سمعت ابا عمر وعثمان بن الخطاب المعروف بابي الدنيا يقول سمعت علي بن ابي طالب يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول في الزنا ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فأما اللواتي في الدنيا فيذهب بنور الوجه ويقطع الرزق ويسرع الفنا وأما اللواتي في الآخرة فغضب الرب وسره الحساب والدخول في النار والخلود في النار (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) وهو ان يجب عليه القتل اما لكفره أو رده أولاً أنه قتل نفساً بغير حق أو زنى وهو محض (ومن قتل مظلوماً) بغير حق (فقد جعلنا لوليهِ سلطاناً) أي قد اثبتنا لوليهِ سلطان القود على القاتل أو الدية أو العفو عن ابن عباس والضحاك وقيل سلطان القود عن قتادة (فلا يسرف في القتل انه كان منصوراً) مر تفسيره قبل (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي احسن حتى يبلغ أشده) فسره في سورة الانعام (واوفوا بالعهد) في الوصية بال يتيم وغيرها وقيل ان كل ما أمر الله به ونهى عنه فهو من العهد وقد يجب الشيء ايضاً بالنذر والعهد به وان لم يجب ابتداءً وانما يجب عند العقد (ان العهد كان مسؤلاً) عنه للجزاء عليه فحذف منه لأنه مفهوم وقيل ان معناه ان العهد يسأل فيقال له بما نقضت كما تسأل الموثدة بأي ذنب قتلت (واوفوا الكيل إذا كلتم) أي أتموه ولا تبخسوا منه ومعناه اوفوا الناس حقوقهم إذا كلتم عليهم (وزنوا بالقسطاس) وهو الميزان صغر ام كبر عن الزجاج وقيل هو القبان عن الحسن وقيل هو العدل بالرومية عن مجاهد فيكون محمولاً على موافقة اللتين (والمستقيم) الذي لا يخس فيه ولا يغبن (ذلك خير) أي خير ثواباً عن قتادة وقيل اقرب إلى الله عن عطاء وقيل معناه ان ايفاء الكيل والوزن خير لكم في دنياكم فانه يكسب اسم الأمانة في الدنيا (واحسن تأويلاً) اي واحسن عاقبة في الآخرة ومرجها من آل يؤول إذا رجع حث الله سبحانه بهذه الآية على اتمام الوزن والكيل في المعاملات والبياعات وايفاء حقوق العباد

قوله تعالى (٣٦) وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (٣٧) وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا (٣٨) كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (٣٩) ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُنْقَلِبَ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا (٤٠) أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا خمس آيات

❖ القراءة ❖

قرأ ابن مامر واهل الكوفة كان سيئه بضم الهززة مضافاً إلى الماء وقرأ الباقون سيئة منصوباً منونا غير مضاف

❖ الحجة ❖

من قرأ سيئه مضافاً قال لأنه قد تقدم ذكر أمر منها سي ومنها حسن فنص الله سبحانه السي منها بأنه مكروه عنده لأنه عز اسمه لا يكره الحسن ويقوي ذلك قوله مكروها ولو كان سيئة غير مضاف لوجب ان تكون مكروهة فلن قيل ان التأنيث غير حقيقي فلا يمنع ان يذكر قيل ان هاهنا التذكير لا يحسن وان لم يكن حقيقياً لأن المؤنث قد تقدم ذكره فلن قوله «ولا ارض اقبل ابقالها» مستقيم عندهم ولو قال اقبل ارض لم يستقيم وذلك ان المتقدم الذكر ينبغي ان يكون الراجع اليه وبقه كما يكون وبقه في التثنية والجمع واذ لم يتقدم له ذكر لم يلزم ان يراعي ذلك ومن قرأ سيئة فانه يشبه ان يكون لما رأى الكلام اقتطع عند قوله واحسن تأويلاً وكان

الذي بعده من قوله ولا تقف ما ليس لك به علم لا امر حسنا فيه قال كل ذلك كان سيئة فأفرد ولم يضاف
فإن قلت كيف ذكر الموت ثم قال مكروها قلت فإنه يجوز أن لا يجعل مكروها صفة لسيئة ولكن نجعله بدلا
ولا يلزم أن يكون في البديل ذكر المبدل منه كما يجب ذلك في الصفة ويجوز أن يكون مكروها حالا من الذكر
الذي في قوله عند ربك على أن تجعل عند ربك صفة للتكرة قال النحوي البصير ليس هذا بصحيح لأن الضمير الذي
في الظرف موث كما أن السيئة موث فيلزم منه ما لزم من الأول إذا جعلته صفة للسيئة وإن حمله على التأنيث
غير الحقيقي يجيء منه ما قال في قوله ولا أرض اقبل ابقاها

❖ اللغة ❖

القفو اتباع الاثر ومنه القيافة فكأنه يتبع قفا المتقدم قال

ومثل الدمى شم المرانين ساكن بهن الحياء لا يشعن التقافيا

أي التقاذف قال أبو عبيدة القفوة المضيه يقال قافه يقوفه وقفاه يقفوه بمعنى فهو مثل جذب وجذب واصل
الحرق القطع ورجل حرق يتحرق في السخاء والخرق الغلاة لا تقطاع اطرافها بتباعدتها قال رؤبة وقاتم الاعماق
خاوي المخرق أي خاوي المقطع والمرح شدة الفرح

❖ الاعراب ❖

قال كل أو تلك لأن أو تلك وهو لا للجمع القليل من المذكر والمؤنث وإذا أريد الكثير يقال كل هذه
وتلك قال الشاعر

ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الايام

فأولئك كما يكون إشارة إلى العقلاء يكون إشارة إلى غيرهم وقوله كان عنه مسؤولا الهاء تعود إلى كل
أي يسأل عن استعمال هذه الأشياء وإن شئت كان الهاء يعود إلى الإنسان أي يسأل عن الإنسان فيما استعمل
هذه الأشياء ويكون في مسؤولا ضمير يقود إلى كل وقدره أبو علي أن أفعال السمع والبصر والفؤاد كل أفعال
أولئك طولاً مصدر وضع موضع الحال أما عن القاعل في أن تبلغ أو من الجبال وجوز الأمرين أبو علي فتلقى
منصوب باضمار أن لكونه جواب النهي بإفناء ملوماً مدحوراً نصب على الحال ومرحاً نصب على التمييز ويجوز
أن يكون مصدر وضع موضع الحال كقولهم جاء زيد ركضاً وجاء زيد ركضاً فركضاً أو كد في الاستعمال
لأن ركضاً يدل على توكيد الفعل وتقديره يركض ركضاً وعلى هذا يكون معناه ولا تمت في الأرض مختلاً وقيل
أن طولاً نصب على التمييز

❖ المعنى ❖

ثم قال سبحانه (ولا تقف ما ليس لك به علم) ومعناه لا تقف سمعت ولم تسمع ولا رأيت ولم تر ولا علمت ولم تعلم
عن ابن عباس وقناة وقيل معناه لا تقف في قفا غيرك كلاماً أي إذا مر بك فلا تقفبه عن الحسن وقيل هو شهادة
الزور عن محمد بن الحنفية والاصل أنه عام في كل قول وفعل أو عزم يكون على غير علم فكأنه سبحانه قال
لا تقف إلا ما تعلم أنه يجوز أن يقال ولا تقفل إلا ما تعلم أنه مما يجوز أن يفعل ولا تعتقد إلا ما تعلم أنه مما يجوز
أن تعتقد وقد استدلل جماعة من أصحابنا بهذا على أن العمل بالقياس وبخبر الواحد غير جائز لأنها لا يوجب العلم
وقد نهى الله سبحانه عن اتباع ما هو غير معلوم (أن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً) معناه
أن السمع يسأل عما سمع والبصر عما رأى والقلب عما عزم عليه ذكر سبحانه السمع والبصر والفؤاد والمراد أن
أصحابها هم المسؤولون ولذلك قال كل أو تلك وقيل بل المعنى كل أو تلك الجوارح يسأل عما فعل بها قال الوابي
عن ابن عباس يسأل الله العباد فيما استعملوها وروى علي بن إبراهيم في تفسيره عن أبيه عن الحسن بن محبوب عن

ابن حمزة الثمالي عن ابي جعفر (ع) قال قال رسول الله ﷺ لا يزول قدم عبد يوم القيامة بين يدي الله عز وجل حتى يسأله عن اربع خصال عمرك فيما افنيت وجسدك فيما أبليت ومالك من ائمة كسبته وامن وضمته وعن جنات أهل البيت (ولا تمس في الارض مرحا) معناه لا تمس على وجه الاشر والبطر والخيلاء والتكبر قال الزجاج معناه لا تمس في الارض مختالا فخورا وقيل المرح شدة الفرح بالباطل (انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا) هذا مثل ضربه الله تعالى قال انك ايها الانسان لن تشق الارض من تحت قدمك بكبرك ولن تبلغ الجبال بطاولك والمعنى انك لن تبلغ مما تريد كثير مبلغ كما لا يمكنك ان تبلغ هذا فبا وجه المنايزة على ما هذا سبيله مع ان الحكمة زاجرة عنه ولما قال ذلك لان من الناس من يشي في الارض بطرا يدق قدميه عليها ليري بذلك قدرته وقوته ويرفع رأسه وعنقه فيبين سبحانه انه ضعيف مهين لا يقدر ان يخرق الارض بدق قدميه عليها حتى ينتهي الى آخرها وان طوله لا يبلغ طول الجبال وان كان طويلا علم الله سبحانه عباده التواضع والمروءة والوقار (كل ذلك) اشارة الى جميع ما تقدم ذكره مما نهى الله سبحانه عنه في هذه الآيات (كان سيئه) اي معصيته (عند ربك مكروها) له سبحانه بكرهها ولا يريد بها ولا يرضاها وعلى القراءة الثانية فيكون ذلك اشارة الى جميع ما امر به من الحسنات ونهى عنه من المقبحات اي كان سيء ما سبق من هذه الاشياء مكروها عند ربك وفي هذا دلالة واضحة على بطلان قول المجرة فانه سبحانه صرح بأنه يكره المعاصي والسيئات وإذا كرهها فكيف يريد بها فان من المحال ان يكون الشيء الواحد مرادا مكروها عنده (ذلك) الذي تقدم ذكره من الأوامر والنواهي (بما اوحى اليك ربك) يا محمد (من الحكمة) المودية الى المعرفة بالحسن والقبح والفرق بينهما (ولا تجعل مع الله الها آخر) في اقرارك وقولك والخطاب للذي ﷻ والمراد به غيره ليكون ابلغ في الزجر كقوله لن اشركت ليجطن عمك (قتلني) أي قتلح بمعنى انك إذا فعلت ذلك القيت وطرحت (في جهنم ملوما) يلومك الناس (مدحورا) أي مطرودا مبعدا عن رحمة الله تعالى (أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا) هذا خطاب لمن جعل الملائكة بنات الله تعالى ومعناه اخلصكم الله سبحانه بالبنين وخصكم بهم واتخذ لنفسه الإناث وجعل البنات مشتركة بينكم وبينه واختصكم بالأرفع وجعل لنفسه الأودن تقول اصفيت فلانا بالشيء إذا آثرته به (انكم لتقولون قولاً عظيماً) اي كبيرا في الاثم واستحقاق العقوبة حيث اضعتم الى الله سبحانه ما لم ترضوا لأنفسكم به وجعلتم الملائكة وهم اعلى خلق الله واشرفهم أودن خلق الله وهم الاناث

قوله تعالى (٤١) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤٢) قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذْ الْأَبْتَوُا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا (٤٣) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوقًا كَثِيرًا (٤٤) نُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا أَرْبَع آيَات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة غير عاصم ليدكروا ساكنة الذال خفيفة وفي سورة الفرقان مثله والباقرن ليدكروا بفتح الذال والكاف وتشديدها في السورتين وقرأ كما يقولون بالياء يسبح له بالياء أهل المدينة والشام وابو بكر وقرأ أهل البصرة كما تقولون بالياء عما يقولون بالياء تسبح له بالياء وقرأ حفص كما يقولون وعما يقولون بالياء تسبح بالياء وقرأ الجميع بالياء ابن كثير وقرأ الجميع بالياء حمزة والكسائي وخلف

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي حجة من قال ليدكروا قوله ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون فالتذكر هنا أشبه من الذكر

لأنه كان يراد به التدبير وليس يراد الذكر الذي هو ضد النسيان ولكنه كما قال كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب وليس المراد ليتذكروه بعد نسيانهم بل المراد ليتدبروه بمقولهم ووجه التخفيف ان التخفيف قد جاء في هذا المعنى خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه فهذا ليس على معنى لاتنسوه ولكن تدبروه ومن قرأ كما يقولون بالياء فالمعنى كما يقول المشركون من اثبات الآلهة من دونه فهو مثل قوله تعالى قل للذين كفروا ستغلبون لأنهم غيب فأما من قرأ سبحانه وتعالى عما يقولون فإنه يحتمل وجهين ﴿أحدهما﴾ ان يعطف على كما يقولون ﴿والآخر﴾ ان يكون تزه سبحانه نفسه عن دعوتهم قال سبحانه وتعالى عما يقولون ومن قرأ كما تقولون بالياء وعما يقولون بالياء فإن الأول على ما تقدم والثاني على انه تزه نفسه عن قولهم ويجوز أن تحمله على القول كأنه قال قل أنت سبحانه وتعالى عما يقولون وأما قوله تسبيح له السموات فكل واحد من الياء والثاء حسن

﴿ المعنى ﴾

ثم احتج سبحانه على الذين تقدم ذكرهم فقال (ولقد صرفنا) أي كررنا الدلائل وفصلنا المعاني والأمثال وغير ذلك مما يوجب الاعتبار به (في هذا القرآن ليدكروا) أي ليتفكروا فيها فيعملوا الحق وحذف ذكر الدلائل والمبرر لدلالة الكلام عليه وعلم السامع به (وما يزيدهم إلا نفورا) أي وما يزداد هؤلاء الكفار عند تصريف الأمثال والدلائل لهم إلا تباعدا عن الاعتبار ونفورا عن الحق وأضاف النفور إلى القرآن لأنهم ازدادوا النفور عند تزوله كقوله فلم يزدحم دعائي إلا فرارا فإن قيل إذا كان المعلوم أنهم يزدادون النفور عند ازالة القرآن فما المعنى في ازاله وما وجه الحكمة فيه قيل الحكمة فيه الزام الحجعة وقطع المذنب في اظهار الدلائل التي تحسن التكليف وانه يصلح عند ازاله جماعة ما كانوا يصلحون عند عدم ازاله ولو لم ينزل لكان هؤلاء الذين ينفرون عن الايمان يفسدون بفساد اعظم من هذا النفور فالحكمة اقتضت ازاله لهذه المعاني وإنما ازدادوا نفورا عند مشاهدة الآيات والدلائل لاعتقادهم انها شبه وحيل وقلة تفكرهم فيها (قل) يا محمد هؤلاء المشركين (لو كان معي آلهة كما يقولون) هم أو تقولون أنتم على القراءتين (إذا لابتغوا إلى ذي العرش سيلا) أي اطلبوا طريقا يقربهم إلى مالك العرش والتسوا الزاقتة عنده لعلهم يعلوه عليهم وعظمتهم عن مجاهد وقنادة وقال اكثر المفسرين معناه لطلبوا سيلا إلى معازة مالك العرش ومغالبته ومنازحته فإن المشتركين في الإلهية يكونان متساويين في صفات الذات ويطلب احدهما مغالبة صاحبه ليصغر له الملك وفي هذا إشارة إلى دليل التانع ثم نزه سبحانه نفسه من ان يكون له شريك في الإلهية فقال (سبحانه وتعالى عما يقولون) أي عن قولهم (علوا كبيرا) وإنما لم يقل تعاليا كبيرا لأنه وضع مصدر مكان مصدر نحوه قوله تبثل اليه تبثيلا ومعنى تعالي ان صفاته في اعلى المراتب ولا مساوي له فيها لأنه قادر لا أحد أقدر منه وعالم لا أحد اعلم منه وخص العرش باضافته اليه تعظيما للعرش ويجوز ان يريد بالعرش الملك (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن) معنى التسبيح هاهنا الدلالة على توحيد الله وعدله وانه لا شريك له في الإلهية وجري ذلك مجرى التسبيح باللفظ وربما يكون التسبيح من طريق الدلالة اقوى لأنه يؤدي إلى العلم (وان من شيء إلا يسبح بحمده) أي ليس شيء من الموجودات إلا ويسبح بحمد الله تعالى من جهة خلقته إذ كل موجود سوى القديم حادث يدعو إلى تعظيمه لحاجته إلى صانع غير مصنوع صنعه أو صنع من صنعه فهو يدعو إلى تثبيت قديم غني بنفسه عن كل شيء سواه ولا يجوز عليه ما يجوز على المحدثات وقيل ان معناه وما من شيء من الاحياء إلا يسبح بحمده عن الحسن وقيل ان كل شيء على العموم من الوحوش والطيور والجمادات يسبح الله تعالى حتى صرير الباب وخرير الماء عن ابراهيم وجماعة (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) أي لا تعلمون تسبيح هذه الأشياء حيث لم تنظروا فيها فتعلموا كيف دلالتها على توحيد الله (انه كان حليما)

بمهلكم ولا يماجلكم بالعقوبة على كفركم (غفورا) لكم اذا تبتم وانبتم اليه

قوله تعالى (٤٥) واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجبا مستورا (٤٦) وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على آذانهم نفورا (٤٧) نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا (٤٨) انظر كيف ضرب بوالك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سيلا أربع آيات

﴿ اللغة ﴾

الوقر بالفتح الثقل في الاذن وبالكسر الحمل والاصل فيه الثقل إلا انه خولف بين البناءين للفرق والنفور جمع نافر وهذا الجمع قياس في كل فاعل اشتق من فعل مصدره على فعول مثل ركوع وسجود وشهود والنجوى مصدر يوصف به الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث وهو مفر على لفظه
— (الاسراب) —

قوله ان يفقهوه في موضع نصب بأنه مفعول له على كراهة ان يفقهوه . نفورا نصب على الحال وتقديره ولوا نافرين وقيل انه مصدر ولوا اخرج على غير لفظه لأن معنى ولوا نفروا فكأنه قال نفروا نفورا

﴿ النزول ﴾

قيل نزل قوله واذا قرأت القرآن الآية في قوم كانوا يؤذون النبي ﷺ بالليل إذا تلا القرآن وصلى عند الكعبة وكانوا يرمونه بالحجارة ويمنونه عن دعاء الناس إلى الدين فقال الله سبحانه بينه وبينهم حسي لا يؤذوه من الزجاج والجبائي

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم قوله ولقد صرفنا في هذا القرآن بين سبحانه حالهم عند قراءة القرآن فقال (واذا قرأت القرآن) يا محمد (جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة) وهم المشركون (حجبا مستورا) قال الكلبي وهم ابو سفيان والنضر بن الحرث وابو جهل وأم جميل امرأة ابي لهب حجب الله رسوله عن ابصارهم عند قراءة القرآن وكانوا يأتونه ويمرون به ولا يرونه وقيل أراد حجبا ساترا عن الأخص والفاعل قد يكون في لفظ المفعول يقال مشونوم وميمون إنما هو شائم ويامن وقيل هو على بناء النسب لا على ان المفعول بمعنى الفاعل والمفعول بمعنى المفعول والمعنى حجبا ذا ستر وهذا هو الصحيح وقيل حجبا مستورا عن الاعين لا يبصر إنما هو من قدرة الله تعالى حجب نبيه بحجاب لا يرونه ولا يراه النبي ﷺ وقيل ان المعنى في الآية جعلنا بينك وبينهم حجبا بمعنى باعدنا بينك وبينهم في القرآن فهو لك وللؤمنين . مك شفا . وهدي وهو للمشركين في آذانهم وقر عليهم عسى فهذا هو الحجاب عن ابي مسلم وهذا بعيد والاول أوجه لأنه الحقيقة (وجعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا) مر تقديره في سورة الأنعام (واذا ذكرت ربك في القرآن وحده) معناه واذا ذكرت الله بالتوحيد وأبطلت الشرك (ولوا على آذانهم نفورا) أي اعرضوا عنك مديرين نافرين والمعنى بذلك كفار قريش وقيل هم الشياطين عن ابن عباس وقيل معناه إذا سمعوا بسم الله الرحمن الرحيم ولوا وقيل إذا سمعوا قول لا إله إلا الله (نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك) معناه ليس يخفى علينا حال هؤلاء المشركين وغرضهم في الاستماع اليك وقد علمنا سبب استماعهم وهذا كما يقال فعلت ذلك بحرمتك (واذ هم نجوى) أي متناجون وقيل هم ذوو نجوى

والمنى انا نعلمهم في حال ما يصغون الى سماع قراءتك وفي حال ما يقومون من عندك ويتناجون فيما بينهم فيقول بعضهم هو ساحر وبعضهم هو كاهن وبعضهم هو شاعر وقيل يعني به ابا جهل وزمعة بن الأسود وعمر بن هشام وخويط بن عبد العزى اجتمعوا وتشاوروا في امر النبي ﷺ فقال ابو جهل هو مجنون وقال زمعة هو ساحر وقال خويط هو كاهن ثم اتوا الوليد بن المغيرة وعرضوا ذلك عليه فقال هو ساحر (اذ يقول الظالمون ان تبصرون الا رجلا مسحورا) قيل فيه وجه ﴿احدها﴾ انهم يقولون ما يشعرون الا رجلا قد سحر فاختلط عليه امره وإنما يقولون ذلك للتفتير عنه ﴿وثانيها﴾ ان المراد بالمسحور المخدوع الملعول كما في قول امرئ القيس

أرانا موضعين لحتم غيب ونسحر في الطعام وفي الشراب
وقول امية بن ابي الصلت

فان تسألينا فيم نحن فاننا عصفير من هذا الأنام المسحر

﴿وثالثها﴾ ان المنى ان تبصرون الا رجلا ذا سحر أي رثة خلقه الله بشرا مثلكم ﴿ورابعها﴾ ان المسحور بمعنى الساحر كما قيل في قوله حجابا مستورا أي ساترا وقد زيف هذا الوجه والوجه الثلاثة أوضح وعلى هذا فمعنى الآية البيان عما توجه حال المعادي للدين الناصب للحق اليقين وان قلبه كما أنه في كنانة عن تفهمه وكان في أذنيه وقرأ عن استماعه فهو مول نافر عنه يتأجج في حال الانحراف عنه جهالا أمثاله قد بعدوا بالحجة حتى نسبوا صاحبها إلى انه مسحور لما لم يكن لهم إلى مقاومة ما أتى به سبيل ولا على كسره بالمعارضة دليل ثم قال سبحانه على وجه التعجيب (انظر) يا محمد (كيف ضربوا لك الأمثال) أي شبهوا لك الاشياء فقالوا مجنون وساحر وشاعر (فضلوا) بهذا القول عن الحق (فلا يستطيعون سبيلا) أي لا يجدون حيلة ولا طريقا إلى بيان تكذيبك إلا البهت الصريح وقيل لا يجدون سبيلا أي لا يجدون حيلة وطريقا إلى صد الناس عنك وإلى اثبات ما ادعوا عليك وقيل ضلوا عن الطريق المستقيم وهو الدين والإسلام فلا يجدون إليه طريقا بعد ما ضلوا عنه

قوله تعالى (٤٩) وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا أَعْتَابُ لِمُعْتَابُونًا خَلَقًا جَدِيدًا (٥٠) قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥١) أَوْ خَلَقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْفِضُونَ إِلَيْكُمْ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا (٥٢) يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِئْسَ إِلَّا قَلِيلًا
أربع آيات قد ذكرنا اختلاف القراء في الاستفهامين من قوله إذا وأما في سورة الرعد فلا معنى لإعادته

اللغة

الرفات ما تكسر ولى من كل شيء ويكثر بناء فعال في كل ما يحطم ويرضض يقال حطام ودقاق وتراب وقال المبرد كل شيء مدفوق مبالغ في دقته حتى انسحق فهو رفات وقال القراء لا واحد له من لفظه يقال رففت الشيء رففتا فهو رفوت إذا صير كالحطام ويقال انفض رأسه بنفضه نفضا إذا حركه قالوا والنفض تحريك الرأس بارتفاع وانخفاض ومنه قيل للظلم نفث لأنه يحرك رأسه في مثيه بارتفاع وانخفاض قال العجاج «اصك نفثا لا يني مستهدجا» ونفض السن إذا تحركت قال « فنفضت من همم استأنها »

«الاعراب» -

إذا في موضع نصب فعل يدل عليه قوله آتينا لمبعوثون وتقديره أنبعث في ذلك الوقت ولا يجوز ان يكون ظرفا لقوله لمبعوثون لأن ما بعد ان ولام الابتداء لا يجوز ان يعمل فيما قبلها والباء في بحمده باء الحال اي تستجيبيون حامدين له ويدعوكم في موضع الجر بإضافة يوم اليه وتستجيبيون عطف عليه وتظنون ليس في موضع الجر لأن الواو للحال وتقديره وحالكم إذ ذاك ان تظنوا قليلا نصب على الظرف وتقديره ان لبستم لازمتنا قليلا

- المعنى -

لما تقدم ذكر البعث والنشور حكى سبحانه عن الكفار ما قالوا في انكاره فقال (وقالوا اذا كنا عظاما ورفاتا) اي غبارا عن ابن عباس وقيل ترابا عن مجاهد (انالمبعوثون خلقا جديدا) والمعنى قال المنكرون للبعث انا اذا متنا واتت ثرت لحومنا وصرنا عظاما وترابا أنبعث بعد ذلك خلقا جديدا اي متجددا وهو انكار في صورة الاستفهام (قل) يا محمد لهم (كونوا حجارة او حديدا) اي اجهدوا سيفه ان لاتعادوا وكونوا ان استطعتم حجارة في القوة او حديدا في الشدة (او خلقا مما يكبر في صدوركم) اي خلقا هو اعظم من ذلك عندكم واصعب فالانكم لا تفوتون الله تعالى وسيحييكم بعد الموت وينشركم الا ان الكلام خرج مخرج الأمر لأنه ابلغ في الإلزام وقيل يعني بقوله ما يكبر في صدوركم الموت وقيل عن ابن عباس وسعيد بن جبير اي لو كنتم الموت لأنتم الله تعالى وليس شيء أكبر في صدور بني آدم من الموت وقيل يعني به السماوات والارض والجبال عن مجاهد (فيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة) معناه فإنك اذا قلت لهم ذلك سيقولون لك من يحيينا بعد الموت قل يا محمد يحييكم من خلقكم اول مرة فإن من قدر على ابتداء الشيء كان على اعادته اقدر ما لم تبطل قدرته ولم يتغير فإن ابتداء الشيء اصعب من اعادته وإنما قال ذلك لهم لأنهم كانوا يقرون بالنشأة الاولى (فينبغضون اليك رؤوسهم) اي فيسبحون اليك رؤوسهم تحريك المستهزي المستخف المستبطل لما تنذرهم به (ويقولون متى هو) اي متى يكون البعث (قل عسى ان يكون قريبا) لأن ما هو آت قريب ومن كلام الحسن كأنك بالدنيا لم تكن وكأنك بالآخرة لم تنزل (يوم يدعوكم فتستجيبيون بحمده) معناه عسى ان يكون بعثكم قريبا ايها المشركون يوم يدعوكم من قبوركم الى الموقف على السنة الملائكة وذلك عهد النفخة الثانية فيقولون ايها العظام النخرة والجلود البالية عودي كما كتبت فتستجيبيون مضطرين بحمده اي حامدين لله على نعمه واتم موحدون وهذا كما يقول القائل جاء فلان بغضبه اي جاء غضبان وقيل معنى تستجيبيون بحمده انكم تستجيبيون معترفين بأن الحمد لله على نعمه لا تنكرونها لأن المعارف هناك ضرورة قال سعيد بن جبير يخرجون من قبورهم يقولون سبحانك وبحمدك ولا بضعمهم في ذلك اليوم لأنهم حمدوا حين لا ينفعهم الحمد (وتظنون ان لبستم الا قليلا) اي وتظنون انكم لم تلبثوا في الدنيا الا قليلا لسرعة انقلاب الدنيا الى الآخرة قال الحسن وقتادة استقصروا مدة لبثهم في الدنيا لما يعلمون من طول لبثهم في الآخرة ومن المفسرين من يذهب الى ان هذه الآية خطاب للمؤمنين لأنهم الذين يستجيبيون الله بحمده ويحمدونه على احسانه اليهم ويستقلون مدة لبثهم في البرزخ لكونهم في قبورهم متعمين غير معذبين واهام السرور والرخاء قصار

قوله تعالى (٥٣) وَقُلْ لِبِئَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا (٥٤) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ بَشَأَ بِرْحِمِكُمْ أَوْ إِنَّ بَشَأَ يُعَذِّبِكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا (٥٥) وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا (٥٦) قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ

دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (٥٧) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا خمس آيات

❖ اللغة ❖

الوسيلة القرية والواصل الراغب قال لييد « على كل ذي دين الى الله واسل » قال الزجاج الوسيلة والسؤل والطلبية في معنى واحد

❖ الاعراب ❖

يقولوا جواب شرط محذوف تقديره قل لعبادي قولوا التي هي احسن يقولوا وكان ابو عثمان يزعم أن يقولوا واقع موقع قولوا وهو مبني لأنه وقع موقع قولوا ووقع الفعل موقع الفعل المبني لا يوجب له البناء الا ترى ان قوله تؤمنون بالله ورسوله واقع موقع آمنوا وهو معرب وإنما ذلك في الاسماء نحو يا زيد بني لوقوعه موقع يا انت اولئك رفع بالابتداء والذين يدعون صفة لهم ويبتغون خبر الابتداء وقوله ايهم اقرب قال الزجاج ان شئت كان ايهم رفعا بالابتداء والخبر وقوله اقرب ويكون معناه ينظرون ايهم اقرب اليه فيتوسلون به والجملة متعلقة ينظرون المضمره ويجوز ان يكون ايهم اقرب بدلا من الواو في يبتغون

❖ النزول ❖

كان المشركون يؤذون اصحاب رسول الله ﷺ بمكة فيقولون يا رسول الله لئذ لنا في قتالهم فيقول لهم اني لم اوامر فيهم بشي فأ نزل الله سبحانه قل لعبادي الآية عن الكلبي

❖ المعنى ❖

ثم امر سبحانه عباده باتباع الأحسن من الأقوال والأفعال فقال (وقل) يا محمد (لعبادي) وهذا اضافة تخصيص وتشريف أراد به المؤمنين وقيل هو عام في جميع المكلفين (يقولوا التي هي أحسن) أي يختاروا من المقالات والمذاهب المقالة التي هي أحسن المقالات والمذاهب وقيل معناه مرم يقولوا الكلمة التي هي أحسن الكلمات وهي كلمة الشهادتين وكل ما تدب الله اليه من الأقوال وقيل معناه بأمرنا بما امر الله به وبنهوا عما نهى الله عنه عن الحين وقيل معناه قل لهم يقل بعضهم لبعض أحسن ما يقال مثل رحمك الله ويغفر الله لك وقيل معناه قل لعبادي إذا سمعوا قولك الحق وقول المشركين يقولوا ما هو أولى ويتبعوا ما هو أحسن عن ابي مسلم وقال نظيره فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه (ان الشيطان يترغ بينهم) أي يفسد بينهم ويفري بعضهم ببعض ويلقي بينهم العداوة (ان الشيطان كان) في جميع الأوقات (للانسان) أي لآدم وذريته (عدواً مبيناً) مظهراً للعداوة ثم خاطب سبحانه الفريقين فقال (ربكم أعلم بكم) معناه انه أعلم بأحوالكم فيدبر أموركم على ما يعلمه من المصلحة لكم (ان يشأ برحمكم أو ان يشأ يعذبكم) قيل أراد انه سبحانه مالك للرحمة والعذاب فيكون الرجاء اليه والخوف منه عن الجبائي وقيل معناه ان يشأ برحمكم بالتوبة أو ان يشأ يعذبكم بالإصرار على المعصية عن الحسن وقيل معناه ان يشأ برحمكم باخراجكم من مكة وتخليصكم من ابناء المشركين أو ان يشأ يعذبكم بتسليطهم عليكم وقيل ان يشأ برحمكم بفضله وان يشأ يعذبكم بعدله وهو الاظهر ثم عاد الى خطاب النبي ﷺ فقال (وما أرسلناك عليهم وكيلا) أي وما أرسلناك موكلا عليهم حفيظاً لأعمالهم يدخل الايمان في قلوبهم شاقوا أم أبوا ومعناه انك لا تؤخذ بأعمالهم فإننا أرسلناك داعياً لهم الى الايمان فإن أجابوك والا فلا شي عليك فإن عتاب ذلك يحل بهم واللائمة تلزمهم (وربك اعلم من في السموات والأرض) أي هو اعلم من في

السموات من الملائكة ومن في الأرض من الأنبياء بين سبحانه بهذا أنه لم يختار الملائكة والأنبياء للميل اليهم وإنما اختارهم لعلمه ياطنهم وقيل معناه أنه أعلم بالجميع فجعلهم مختلفين في الصور والرزق والأحوال كما اقتضته المصلحة كما فضل بعض النبيين على بعض ، ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض (والمعنى ان الأنبياء وان كانوا في أعلى مراتب الفضل فإنهم طبقات في ذلك وبعضهم أعلى من بعض بزيادة الدرجة والثواب وبالمعجزات والكتب ولما كان سبحانه عالماً بيواطن الأمور اختار للنبوة وفضلك على الأنبياء كما فضل بعضهم على بعض فسخر لبعضهم النار وألان لبعضهم الحديد وآتى بعضهم الملك وكلم بعضهم وكذلك خصك بمصاص لم يعطها أحداً وختم بك النبوة ثم قال (وآتينا داود زبوراً) قال الحسن كل كتاب زيور الا ان هذا الاسم غلب على كتاب داود (ع) كما غلب اسم الفرقان على القرآن وان كان كل كتاب من كتب الله فرقانا لأنه يفرق بين الحق والباطل وقال الزجاج معنى ذكر داود هنا انه يقول لا تنكروا تقضيل محمد ﷺ واعطاء القرآن فقد اعطينا داود الزبور ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله (ادعوا الذين زعمتم من دونه) انها آلهة عند ضر ينزل بكم ليكشفوا ذلك عنكم او يحولوا تلك الحالة الى حالة اخرى (فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً) للحالة التي تكمونها الى حالة تحبونها يعني تحويل حال القحط الى الخصب والفقرا الى الغنى والمرض الى الصحة وقيل معناه لا يملكون تحويل الضر عنكم الى غيركم بين سبحانه ان من كان بهذه الصفة فإنه لا يصلح للإلهية ولا يستحق العبادة والمراد بالذين من دونه الملائكة والمسيح وعزير عن ابن عباس والحسن وقيل هم الجن لأن قوماً من العرب كانوا يعبدون الجن عن ابن مسعود قال واسلم أو لك النفر من الجن وبقي الكفار على عبادتهم قال الجبائي ثم رجع سبحانه الى ذكر الانبياء في الآية الاولى فقال (أو لك الذين يدعون بيثغون إلى ربهم الوسيلة) ومعناه أو لك الذين يدعون إلى الله تعالى ويطلبون القربة اليه بفعل الطاعات (أيهم أقرب) أي ليظهر أيهم الأفضل والأقرب منزلة منه وتأويله ان الأنبياء مع علو رتبهم وشرف منزلتهم إذا لم يعبدوا غير الله فأنتم أولى ان لا تعبدوا غير الله وإنما ذكر ذلك حثاً على الاقتداء بهم وقيل ان معناه أو لك الذين يدعونهم ويعبدونهم ويعتقدون انهم آلهة من المسيح والملائكة بيثغون الوسيلة والقربة إلى الله تعالى بعبادتهم ويبتهد كل منهم ليكون أقرب من رحمة أو يطلب كل منهم ان يعلم أيهم أقرب إلى رحمة أو إلى الإجابة (ويرجون رحمة ويخافون عذابه) أي وهم مع ذلك يستغفرون لأنفسهم فيرجون رحمة ان اطاعوا ويخافون عذابه ان عصوا ويعملون عمل العبيد (ان عذاب ربك كان محذوراً) أي متقياً يجب ان يحذروا منه لصعوبته وقد ذكرنا ما جاء في معنى الوسيلة عند قوله وابتغوا اليه الوسيلة

قوله تعالى (٥٨) وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (٥٩) وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِآيَاتٍ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ وَآتَيْنَا نُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (٦٠) وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرِّهْءَ بَأِ التِّي أَرَيْنَاكَ الْإِفْتِنَةَ لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنَخَوِيَهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ثلاث آيات

❖ اللفظ ❖

المسطور المكتوب قال العجاج

في الصحف الاولى الذي كان سطر

واعلم بأن ذا الجلال قد قدر

والمنع وجود ما لا يضح معه وقوع الفعل من القادر عليه وإنما جازأني وصف الله تعالى بمنعنا للمبالغة في انه لا يقع منه الفعل فكأنه قد منع منه الفعل وان كان لا يجوز إطلاقاً مثل هذه الصفة عليه سبحانه لأنه قادر لذاته ومقدوراته غير متناهية فلا يصح ان يمانه شيء

✽ الاعراب ✽

وما معنا ان نرسل بالآيات إلا ان كذب بها الأولون ان الأولى نصب وان الثانية رفع والمعنى وما معنا الارسال إلا تكذيب الأولين ومبصرة نصب على الحال والشجرة الملعونة تقديرها وما جعلنا الشجرة الملعونة في القرآن الا فتنة للناس أيضاً والمعنى الشجرة الملعونة أهلها وآكلوها وهم الكفرة والفجرة فلما حذف المضاف استتر الضمير في اسم المفعول فأنت للمفعول لما جرى على الشجرة وقوله فما يزيدم الا طغيانا كبيرا أي فما يزيدم التخويف فأضمر التخويف لجرى ذكر الفعل واتصّب قوله طغيانا على انه مفعول ثان لقوله يزيد

✽ المعنى ✽

ثم زاد سبحانه سيف الموعظة فقال (وان من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة) معناه وما من قرية إلا نحن مهلكوها بإماتة أهلها (أو معذبوها عذاباً شديداً) وهو عذاب الاستئصال فيكون هلاك الصالحين بالموت وهلاك الطالحين بالعذاب في الدنيا فإنه ينفي الناس ويخرب البلاد قبل يوم القيامة ثم تقوم القيامة عن الجاني ومقاتل وقيل ان المراد بذلك قرى الكفر والضلال دون قرى الإيمان والمراد بالهلاك التدمير عن النبي مسلم (كان ذلك في الكتاب مسطوراً) أخبر ان ذلك كائن لا محالة ولا يكون خلافه ومعناه كان ذلك الحكم في الكتاب الذي كتبه الله تعالى لملائكته وهو اللوح المحفوظ مكتوباً (وما معنا ان نرسل بالآيات إلا ان كذب بها الأولون) ذكر فيه أقوال **✽ احدها ✽** ان التقدير ما معنا ارسال الآيات التي سألوها إلا تكذيب الأولين ومعناه انما نرسل الآيات التي اقترحتها فريش في قولهم حول لنا الصفا ذهباً وفجر لنا الأرض بنبوعا الى غير ذلك لأننا لو ارسلناها لم يؤمنوا فيستحقوا المعالجة بالمعقوبة كما انما لما اجبتنا الأولين من الامم الى آيات اقترحوها فكذبوا بها عذبناهم بعذاب الاستئصال لأن من حكم الآية المقترحة انه اذا كذب بها وجب عذاب الاستئصال ومن حكمنا التافذ في هذه الآيات ان لا نعدبهم بعذاب الاستئصال لشرف محمد ﷺ ولما يعلم في ذلك من المصلحة ولأن فيهم من يؤمن به وينصره ومن يولد له ولد مؤمن ولأن امتة باقية وشريعته موبدة الى يوم القيامة فلذلك لم نجهم الى ذلك وانزلنا من الآيات الواضحات والمعجزات البينات ما تقوم به الحجة وتنقطع به العذرة **✽ الثاني ✽** ان معناه انما نرسل الآيات لعلنا بأنهم لا يؤمنون عندها فيكون انزلنا اياها عبثاً لا فائدة فيه كما ان من كان قبلهم لم يؤمنوا عند انزال الآيات والمعجزات ضربان **✽ احدهما ✽** ما لا يصح معرفة النبوة إلا به وهذا الضرب لا بد من اظهاره سواء وقع منه الايمان او لم يقع **✽ والثاني ✽** ما يكون لطفاني الايمان فهذا أيضاً يظهره الله سبحانه وما خرج عن هاتين الصفتين من المعجزات لا يفعله سبحانه **✽ الثالث ✽** ان المعنى انما لا نرسل الآيات لأن آباءكم واسلافكم سألوها مثلها ولم يؤمنوا عندها وأتمم على آثار اسلافكم مقتدون فكما لم يؤمنوا هم لا يؤمنون انتم عن ابي مسلم (واتينا نوحاً الناقة مبصرة) أي بينة أراد آية مبصرة كما قال وجعلنا آية النهار مبصرة ومعناه دلالة واضحة ظاهرة وقيل ذات ابصار وقيل تبصرهم وتبين لهم حتى يبصروا بها الهدى من الضلالة وهي ناقة صالح المخرجة من الصخرة على الصفة التي اقترحوها (فظلموا بها) أي فكفروا بذلك الآية وجحدوا بأنها من عندها وقيل ظلموا أنفسهم بسببها وبعقرها (وما نرسل بالآيات الا تخويفاً) أي لا نرسل الآيات التي تظهرها على الانبياء الا عظة للناس وزجراً وتخويفاً لهم من عذاب الله ان لم يؤمنوا ثم خاطب سبحانه النبي ﷺ فقال (واذ قلنا لك اي واذا ذكر الوقت الذي قتلناك يا محمد) ان ربك احاط بالناس) اي احاط علماً بأسواهم وبما يفعلونه من طاعة او

معصية وما يستحقونه على ذلك من الثواب والعقاب وهو قادر على فعل ذلك بهم فهم في قبضته لا بقدرت على الخروج من مشيئته وهذا معنى قول ابن عباس وقيل إن المراد به انه عالم بجميع الأشياء فيعلم قصدهم الى ابدانك اذا لم تأتم ما اقترحوا منك من الآيات وهذا حث للرسول ﷺ على التبليغ ووعد له بالعصمة من آذية قومه وهذا معنى قول الحسن وقيل معناه انه احاط بأهل مكة فيستفتحها لك عن مقاتل وقال الفراء معناه احاط امره بالناس وقيل معناه انه قادر على ما سألوه من الآيات عالم بمصالحهم فلا يفعل إلا ما هو الصلاح فامض لما امرت به من التبليغ فإن الله سبحانه إن انزلها فلا يعلم في انزالها من اللطف وإن لم ينزلها فلا يعلم من المصلحة عن الجبائي (وما جعلنا الرؤيا التي اريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن) فيه اقوال * احدها * ان المراد بالرؤيا رؤية العين وهي ما ذكره في اول السورة من اسراء النبي ﷺ من مكة إلى بيت المقدس والى السماوات في ليلة واحدة إلا أنه لما رأى ذلك ليلا واخبر بها حين اصبح سماها رؤيا وسماها فتنة لأنه أراد بالفتنة الامتحان وشدة التكليف ليعرض المصدق بذلك لجزيل ثوابه والمكذب لأليم عقابه وهذا معنى قول ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وقتاد ومجاهد * وثانيها * ما روي عن ابن عباس في رواية اخرى انها رؤيا نوم رآها أنه سيدخل مكة وهو بالمدينة فقصدتها فصدته المشركون في الحديبية عن دخولها حتى شك قوم ودخلت عليهم الشبهة فقالوا يا رسول الله اليس قد أخبرتنا انا ندخل المسجد الحرام آمنين فقال ﷺ او قلت لكم انكم تدخلونها العام قالوا لا فقال لندخلها إن شاء الله ورجع ثم دخل مكة في العام القابل فنزل لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وهو قول الجبائي وابي مسلم وانما كان فتنة وامتحانا وابتلاء لما ذكرناه * وثالثها * ان ذلك رؤيا رآها النبي ﷺ في منامه أن فروداً تصعد منيره وتنزل فساءه ذلك واغتم به روى سهل بن سعيد عن ابيه ان النبي ﷺ رأى ذلك وقال انه ﷺ لم يستجمع بعد ذلك ضاحكا حتى مات وروى سعيد بن يسار ايضا وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وابي عبد الله (ع) وقالوا على هذا التأويل ان الشجرة الملعونة في القرآن هي بنو امية اخبره الله سبحانه بتقليبهم على مقامه وقتلهم ذريته روي عن المنهال بن عمرو قال دخلت على علي بن الحسين (ع) فقلت له كيف اصبحت يا ابن رسول الله فقال اصبحنا والله بمنزلة بني اسرائيل من آل فرعون يذبحون ابناءهم ويستحيون نساءهم واصبح خير البرية بعد رسول الله ﷺ بلعن على المناير واصبح من يمجنا منقوصا حقه بحبه ايانا وقيل للحسن يا ابا سعيد قتل الحسين بن علي (ع) فبكي حتى اختلج جنبا ثم قال واذلاه لأمة قتل ابن دعيها ابن بنت نبيها وقيل ان الشجرة للملعونة هي شجرة الزقوم عن ابن عباس والحسن وقيل الشجرة الملعونة هي اليهود عن ابي مسلم وتقدير الآية وما جعلنا الرؤيا التي اريناك والشجرة الملعونة الا فتنة للناس قالوا وانما سمي شجرة الزقوم فتنة لأن المشركين قالوا ان النار تحرق الشجرة فكيف تثبت الشجرة في النار وصدق بها المؤمنون وروي ان ابا جهل قال ان محمداً بوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم انه تثبت فيها الشجرة وقوله في القرآن معناه التي ذكرت في القرآن (ونخوفهم) اي نزعهم بما نقص عليهم من هلاك الأمم الماضية وقيل بما نزل من الآيات (فما يزيدهم) ذلك (الا طغيانا كبيرا) اي عتوا في الكفر عظيما وتماديا في النفي كبيرا لأنهم لا يرجعون عنه

قوله تعالى (٦١) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَسِبَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (٦٣) قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (٦٤) وَأَسْتَفْزِرُّ مِنْ اسْطِطْعَتِ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ

في الأموال والأولاد وعدتهم وما يعيدهم الشيطان إلا غرورا (٦٥) إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلًا خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ حفص ورجلك بكسر الجيم والباقون بسكونها

— (الحجة) —

من سكن الجيم فهو جمع راجل مثل راكب وراكب وصاحب وصحب وتاجر وتجر وأما قراءة حفص بكسر الجيم فروى أبو علي عن أبي زيد يقال رجل للراجل ويقال جاءنا حافيا رجلا وانشد

أما أقاتل عن ديني على فرسي ولا كذا رجلا إلا بأصحاب

كأنه قال أما أقاتل فارسا وراجلا وروى ابن جني عن قطرب أنه قال الرجل الرجال وعليه قراءة عكرمة وقتادة، قال جالك قال زهير في الرجل

هم ضربوا عن فرجها بكتيبة كبيضاء حوس في جوانبها الرجل

— (اللفظة) —

الاحتناك الاقتطاع من الأصل يقال احتنك فلان ما عند فلان من مال أو علم إذا استقصاه فأخذه كله واحتنك الجراد الزرع إذا أكله كله قال الشاعر

أشكو لك سنة قد أجهفت جهدا إلى جهد بنا وأضعفت

واحتنكت أموالنا وجلفت

وقيل أنه من قولهم حنك الدابة يحنكها إذا جعل بين حنكها الأسفل جبلا يقودها به والموفور المكمل يقال وفرتة افره وفرا قال زهير

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

والاستفزاز الإزعاج والاستنهاض على خفة وإسراع وأصله القطع وتفزز الثوب إذا تخرق وتفززته تفزيرزا فكان معنى استفزة استزله بقطعه عن الصواب ورجل فرأي خفيف والاستطاعة قوة تنطاع بها الجوارح للفعل ومنه الطوع والطاعة وهو الاتقياد للفعل والإجلاب السوق يجلبه من السائق والجلبة شدة الصوت وقال ابن الأعرابي أجلب الرجل على صاحبه إذا توعده بالشر وجمع عليه الجيش

﴿ الأعراب ﴾

قال الزجاج طينا منصوب على الخال بمعنى أنك انشأته في حال كونه من طين ويموز أن يكون تقديره من طين فحذف من فوصل الفعل ومثله قوله إن تسترضعوا أولادكم أي لأولادكم وقيل أنه منصوب على التمييز والكاف في قوله أرايتك لا موضع لها من الأعراب لأنها حرف خطاب جاء للتوكيد وموضع هذا نصب بأرايت والجواب محذوف المعنى أخبرني عن هذا الذي كرمته علي ولم كرمته علي وقد خلقتني من نار وخلقته من طين فحذف ما ذكرناه لأن في الكلام دليلا عليه

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه قصة آدم «ع» وإبليس فقال (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس) قد مر تفسيره في سورة البقرة (قال) إبليس (أسجد لما خلقت طينا) وهو استفهام بمعنى الإنكار أي كيف

اسجد له وانا افضل منه وأصلي اشرف من أصله وفي هذا دلالة على ان إبليس فهم من ذلك تفضيل آدم على الملائكة ولولا ذلك لما كان لامتناعه من السجود وجه وإنما جاز أن بأسرهم سبحانه بالسجود لآدم «ع» ولم يجوز أن يأمرهم بالعبادة له لأن السجود يترتب في التعظيم حسب ما يراده وليس كذلك العبادة التي هي خضوع بالقلب ليس فوقه خضوع لأنه يترتب في التعظيم لجنسه يبين ذلك انه لو سجد ساهياً لم يكن له منزلة في التعظيم على قياس غيره من افعال الجوارح (قال أرايتك هذا الذي كرمت علي) أي قال إبليس أرايت يارب هذا الذي فضته علي يعني آدم «ع» (لئن أخرتن إلى يوم القيامة) أي لئن أخرت أجل موتي (لأحتكن ذريته إلا قليلا) أي لأغوين ذريته واقودنهم معي إلى المعاصي كما تقاد الدابة بحنكها إذا شد فيها جبل تجر به إلا القليل الذين تعصمهم وهم المخلصون عن ابي مسلم وقيل لأحتكنهم أي لأستولين عليهم عن ابن عباس وقيل لأستأصلنهم بالإغواء من احتناك الجراد الزرع وهو ان يأكله ويستأصله عن الجبائي وإنما طمع الملعون في ذلك لأن الله سبحانه أخبر الملائكة انه سيجعل في الارض من يفسد فيها فكان العلم قد سبق له بذلك عن الجبائي وقيل لأنه وسوس إلى آدم فلم يجد له عزما فقال ان اولاده اضعف منه عن الحسن (قال) الله سبحانه له على وجه الاستهانة والاستصغار (اذهب) يا إبليس (فمن تبعك منهم) أي من ذرية آدم «ع» واقننى أثرك وقيل منك (فلون جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً) أي موفوراً كاملاً لا نقصان فيه عن الاستحقاق (واستغز من استطعت منهم بصوتك) أي واستزل من استطعت منهم أضلهم بدعائك ووسوستك من قولهم صوت فلان بفلان إذا دعاه وهذا تهديد في صورة الأمر عن ابن عباس ويكون كما يقول الانسان لمن يهدده أجهد جهدك فسترى ما ينزل بك وإنما جاء التهديد في صورة الأمر لأنه ينزلة ان يؤمر الغير باهانة نفسه وقيل بصوتك أي بالغناء والمزامير والملاهي عن مجاهد وقيل كل صوت يدعى به إلى الفساد فهو من صوت الشياطين (واجلب عليهم بجيالك ورجلك) أي اجمع عليهم ما قدرت عليه من مكابذك وأتباعك وذريتك واعوانك وعلى هذا فيكون الباء مزيدة في بجيالك وكل راكب او ماش في معصية الله من الانس والجن فهو من خيل إبليس ورجله وقيل هو من اجلب القوم وجلبوا أي صاحوا أي صح بجيالك ورجلك واحشرم عليهم بالاغواء (وشاركهم في الأموال والأولاد) وهو كل مال أصيب من حرام وأخذ بغير حقه وكل ولد زنا عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل ان مشاركتهم في الأموال انه أمرهم ان يجعلوها سائبة وبجيرة وغير ذلك وفي الأولاد انهم هودوم ونصروهم ومجسوم عن قتادة وقيل ان كل مال حرام او فرج حرام فله فيه شرك عن الكلبي وقيل ان المراد بالأولاد تسميتهم عبد شمس وعبد الحرث ونحوهما وقيل هو قتل المؤمنة من اولادهم والقولان مرويان عن ابن عباس (وعدم) أي ومنهم البقاء وطول الأمل وانهم لا يموتون وكل هذا زجر وتهديد في صورة الأمر (وما بعدم الشيطان إلا غرورا) هذا اخبار من الله عز وجل ان مواعيد الشيطان تكون غرورا أي يزين لهم الخطأ انه صواب وهو اعتراض (ان عبادي) يعني الذين يطيعوني اضافهم الى نفسه تشريفا لهم (ليس لك عليهم سلطان) أي قوة وقاد لأنهم يعلمون ان مواعيدك باطلة فلا يفترون بها وقيل معناه لا سلطان لك على جميع عبادي إلا في الوسوسة والدعاء إلى المعصية فأما ان تمنعهم عن الطاعة وتحملهم على المعصية جبرا وكرها فلا عن الجبائي (وكفى برك وكيلا) أي حافظا لعباده من شرك

﴿ النظم ﴾

الوجه في اتصال الآيات بما قبلها على تقدير وما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا محققين ظن إبليس فيهم يوم قيل له اسجد فقال كذا وكذا عن علي بن عيسى وقيل اتصلت بقوله ان الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ثم عاد إلى ذكر الشيطان لزيادة الايضاح والبيان بما أبان عن قصته مع آدم «ع» عن ابي مسلم

قوله تعالى (٦٦) رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ
كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٦٧) وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ
إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا (٦٨) أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخَسِّفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ
يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا الْكُفْرَ وَكَيْلًا (٦٩) أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَ كُمْ فِيهِ نَارًا
أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا الْكُفْرَ عَلَيْهَا بِهِ
تَبِيحًا أَرْبَع آيَاتٍ

❖ القراءة ❖

قرأ ابن كثير وابو عمرو نخسف ونرسل ونعيدكم فنرسل عليكم فنفرقكم كله بالنون وقرأ ابو جعفر ويعقوب
فنفرقكم بالتاء والباقي بالياء وقرأ الباقون كلها بالياء.

❖ الحجة ❖

من قرأ الجميع بالياء فلما تقدم من قوله ضل من يدعون إلا إياه فلما نجاكم ومن قرأ بالنون فلأن هذا النحو
قد تقطع بضمه من بعض ولأن الانتقال من النبوة إلى الخطاب جائز ومن قرأ فنفرقكم بالتاء فإنه رد الضمير
المؤنث في فنفرقكم إلى الريح

❖ اللغة ❖

الإجزاء سوق الشيء حالا بعد حال والحاصب من قولهم حصبه بالحجارة يحصبه حصبا إذا رماه بها رميا متتابعا
قال القتيبي الحاصب الريح التي ترمى بالحصبا وهي الحصا الصغار قال الفرزدق
مستقبلين شمال الشام يضربنا بحاصب كنديف القطن مندوف
والتقاصف الكاسر بشدة قصفه بقصفه قصفا

❖ المعنى ❖

لما تقدم ذكر الشيطان وذكر المشركين وعبدة الأوثان احتج عليهم سبحانه بدلائل التوحيد والإيمان
فقال (ربكم) أي خالقكم ومدبركم (الذي يزجي لكم الفلك) أي يجري لكم السفن (في البحر) بما
خلق من الرياح وبأن جعل الماء على وجه يمكث جري السفن فيه (لتبتغوا من فضله) أي لتطلبوا من فضل الله
تعالى يركوب السفن على وجه الماء فيما فيه صلاح دنياكم من التجارة أو صلاح دينكم من الفرق (إنه كان بكم
رحيما) حيث أنعم عليكم بهذه النعم (وإذا مسكم الضر) أي الشدة (في البحر) بسكون الرياح واحتباس
السفن أو باضطراب الأمواج وغير ذلك من أهوال البحر (ضل من تدعون إلا إياه) أي ذهب عنكم ذكر
كل معبود إلا الله فلا ترجون هناك النجاة إلا من عنده فتدعون ولا تدعون غيره (فلما نجاكم) من البحر (إلى
البر) وأمتهم الفرق (اعرضتم) عن الإيمان به وعن طاعته كفرانا للنعمة (وكان الإنسان كفوراً) أي كثير
الكفران (أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر) معناه إن فعلكم هذا فعل من يتوهم أنه إذا صار إلى البر أمن
المكاره حتى اعرضتم عن شكر الله وطاعته فهل أمتهم أن يخسف بكم أي يغييكم ويذهبكم في جانب البر وهو
الأرض يقال خسف الله به الأرض أي غاب به فيها وأراد به بعض البر وهو موضع حلولهم فيه فساه جانباً لأنه
يصير بعد الخسف جانباً قبل أنهم كانوا على ساحل البحر وساحله جانب البر وكانوا فيه أمنين من أهوال البحر

فحذرهم ما امنوه من البر كما حذرهم ما خافوه من البحر (او يرسل عليكم حاصبا) اي او هل امتتم أن يرسل عليكم حجارة تحصبون بها أي ترمون بها والمعنى انه سبحانه قادر على اهلاككم في البر كما انه قادر على اغراقكم في البحر (ثم لا تجدوا لكم وكيلا) أي حافظا يحفظكم عن عذاب الله ودافعا بدفعه عنكم (أم أمتم) اي ام هل أمتم (أن يعيدكم فيه تارة أخرى) اي في البحر مرة أخرى بأن يجعل لكم حاجة او يحدث لكم رغبة او رهبة فترجعون إلى البحر مرة أخرى (فيرسل عليكم قاصفا من الريح) اي فإذا ركبت البحر ارسل عليكم ريحا شديدة كاسرة للسفينة وقيل الحاصب الريح المهلكة في البر والقاصف المهلكة في البحر (فيغير فكم بما كفرتم) من نعم الله (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) أي تابعا يتبع اهلاكم للمطالبة بدمائكم ويقول لم فعلت هذا بهم وهذا في معنى قول المفسرين يعني نائرا ولا ناصرا

قوله تعالى (٧٠) وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (٧١) يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ فَمَنْ أُوِّيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوثِّقَ بَقَرَتُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧٢) وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ثلاث آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل البصرة اعمى الأولى بالامالة واعمى الثانية بالتخميم وقرأ حمزة والكسائي بالامالة فيها والباقون بالتخميم فيها وقرأ زيد عن يعقوب يوم يدعوا بالياء والباقون بالنون وفي الشواذ قراءة الحسن يوم يدعوا بضم الياء وفتح العين

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من امالها فإنه حسن لأنه ينحو بالألف نحو الياء ليعلم انها ينقلب إلى الياء وإن كانت فاصلة او مشبهة بالفاصلة فالامالة فيها حسنة لأن الفاصلة موضع وقف والألف تخفى في الوقف فإذا أمالنا نفي بها نحو الياء ليكون اظهر لها وأبين وبما بقوي ذلك ان من العرب من يقلب هذه الالفات في الوقف بآت ليكون أبين لها قالوا أعمى وحبل ومنهم من يقول اعمو وهم كأنهم احرص على البيان من الاولين من حيث كانت الواو اظهر من الياء والياء أخفى منها من حيث كانت اقرب إلى الألف من الواو الياء واما من امال الألف من الكلمة الأولى ولم يعل من الثانية فإنه يجوز أن لا يجعل اعمى الكلمة الثانية عبارة عن المؤوف الجارحة ولكنه جعله اعمل من كذا مثل أبلد من فلان فجاز أن يقول فيه اعمل من كذا وإن لم يجز أن يقول ذلك في المصاب ببصره فإذا جعله كذلك لم يقع الألف في آخر الكلمة لأن آخرها إنما هو من كذا وإنما تحسن الامالة في الاواخر لما تقدم وقد حذف من اعمل الذي هو للتفضيل الجار والمجرور وهما مرادان في المعنى مع الحذف وذلك نحو قوله فإنه يعلم السر وأخفى المعنى من السر وكذلك قولهم عام اول اي اول من عامك وكذلك قوله فهو في الآخرة اعمى أي اعمى منه في الدنيا ومعنى اعمى في الآخرة انه لا يهتدي إلى طرق الثواب ويؤكد ذلك ظاهر ما عطف عليه من قوله وأضل سبيلا فكما ان هذا لا يكون إلا على اعمل فكذلك المعطوف عليه ومعنى أضل سبيلا في الآخرة ان ضلاله في الدنيا قد كان ممكنا من الخروج منه وضلاله في الآخرة لا سبيل له إلى الخروج منه ويجوز ان يكون اعمى فيمعن تأوله اعمل من كذا على هذا التأويل ايضا قال ابن جني قراءة الحسن يوم يدعوا على لغة من ابدل الألف في الوصل واوا نحو اعمو وحبلو ذكر ذلك سيويوه واكثر هذا في الوقف

المعنى

لما تقدم قول إبليس هذا الذي كرمت علي ذكر سبحانه بعد ذلك تكريمة لبني آدم بأنواع الاكرام وفنون الانعام فقال (ولقد كرمتنا بني آدم) أي فضلناهم عن ابن عباس وأجزبت الصفة على جميعهم من أجل من كان فيهم على هذه الصفة كقوله كنتم خير أمة أخرجت للناس وقيل إنما عمهم بالتكرمة مع ان فيهم الكافر المهان لأن المعنى اكرمتناهم بالنعم الدنيوية كالصور الحسنة وتسخر لأشياء لم يبعث الرسل اليهم وقيل معناه عاملناهم معاملة المكرم على وجه المبالغة في الصفة واختلف فيما كرموا به فقيل بالقوة والعقل والتطرق والتمييز عن ابن عباس والضحاك وقيل انهم يأكلون باليد وكل دابة تأكل بعضها رواه يمينون بن مهران عن ابن عباس وقيل بتعديل القامة وامتدادها عن عطاء وقيل بالأصابع يعملون بهما يشاؤون روى ذلك جابر بن عبد الله وقيل بتسليطهم على غيرهم وتسخير سائر الحيوانات لم عن ابن جرير وقيل بأن جعل محمدًا ﷺ منهم عن محمد بن كعب وقيل بأنهم يعرفون الله ويأتمرون بأمره وقيل بجميع ذلك وغيره من النعم التي خصوا بها وهو الوجه (وحملناهم في البر والبحر) في البر على الإبل والحيل والبغال والحمير وفي البحر على السفن (ورزقناهم من الطيبات) أي من الثمار والقواكه والأشياء الطيبة وسائر الملاذ التي خص بها بنو آدم ولم يشر كهم شيء من الحيوانات فيها (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً) استدلل بعضهم بهذا على ان الملائكة افضل من الأنبياء قال لأن قوله على كثير يدل على ان هنا من لم يفضلهم عليه وليس إلا الملائكة لأن بني آدم افضل من كل حيوان سوى الملائكة بالاتفاق وهذا باطل من وجوه **أحدها** ان التفضيل هنا لم يرد به الثواب لأن الثواب لا يجوز التفضيل به ابتداء وإنما المراد بذلك ما فضلهم الله به من فنون النعم التي عددنا بعضها **وثانيها** ان المراد بالكثير الجميع فوضع الكثير موضع الجميع والمعنى انا فضلناهم على من خلقنا وهم كثير كما يقال بذلك له العريض من جهي وأجمته المتبع من حريمي ولا يراد بذلك ابي بذلك له عريض جاهي ومنعته ما ليس بعريض وأجمته متبع حريمي ولم أجمه ما ليس متبعاً بل المقصود ابي بذلك له جاهي الذي من صفته انه عريض وفي القرآن ومحاورات العرب من ذلك ما لا يحصى ولا يخفى ذلك على من عرف كلامهم قال سويد بن ابي كاهل في شعره

من أناس ليس في أخلاقهم عاجل الفحش ولا سوء الجزع

ولم يرد ان في اخلاقهم فحشا آجلا ولو أراد ذلك لم يكن مادحاً لهم **وثالثها** انه إذا جزم ان المراد بالتفضيل زيادة الثواب وان لفظة من في قوله ممن خلقنا يفيد التبويض فلا يمتنع أن يكون جنس الملائكة افضل من جنس بني آدم لأن الفضل في الملائكة عام لجميعهم او اكثرهم والفضل في بني آدم يختص بقليل من كثير وعلى هذا فغير منكر أن يكون الأنبياء افضل من الملائكة وإن كان جنس الملائكة افضل من جنس بني آدم ومتى قيل إذا كان معنى التكريم والتفضيل واحداً فما معنى التكرار **فجوابه** ان قوله كرمنا بني آدم عن الانعام ولا بني عن التفضل فجاء بلفظ التفضيل ليدل عليه وقيل ان التكريم يتناول نعم الدنيا والتفضيل يتناول نعم الآخرة وقيل ان التكريم بالنعم التي يصح بها التكليف والتفضيل بالتكليف الذي عرضهم به للمنازل العالية (يوم ندعوا كل أناس بامامهم) فيه اقوال **أحدها** ان معناه يتبعهم عن مجاهد وقتادة ويكون المعنى على هذا أن ينادى يوم القيامة فيقال هاتوا متبعي ابراهيم هاتوا متبعي موسى هاتوا متبعي محمد فيقوم أهل الحق الذين اتبعوا الأنبياء فيأخذون كتبهم بأيمانهم ثم يقال هاتوا متبعي الشيطان وهاتوا متبعي رؤساء الضلالة وهذا معنى ما رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس وروي ايضا عن علي «ع» ان الأئمة إمام هدى وإمام ضلالة ورواه الوابي عنه بأئمتهم في الخير والشر **وثانيها** معناه بكتابتهم الذي أنزل عليهم من أوامر الله ونواهيه فيقال يا أهل القرآن ويا أهل التوراة عن ابن زيد والضحاك **وثالثها** ان معناه بمن كانوا يأتمنون به

من علمائهم وأئمتهم عن الجبائي وابي عبيدة ويجمع هذه الأقوال ما رواه الخاص والعام عن الرضا علي بن موسى «ع»
بالأسانيد الصحيحة انه روى عن آياته «ع» عن النبي ﷺ انه قال فيه يدعى كل اناس بأوامم زمانهم وكتاب
ربهم وستة نبيهم وروى عن الصادق «ع» انه قال ألا تحمدون الله إذا كان يوم القيامة فدعا كل قوم إلى من
يتولونه وودعانا إلى رسول الله ﷺ وفزعتم الينا فأولى أين ترون يذهب بكم إلى الجنة ورب الكعبة فالها ثلاثا
﴿ورابعها﴾ ان معناه بكتابتهم الذي فيه اعمالهم عن ابن عباس في رواية أخرى والحسن وابي العالية ﴿وخامسها﴾
معناه بأعمالهم عن محمد بن كعب (فمن أوتي كتابه يمينه) أي فمن اعطي كتاب عمله الذي فيه طاعاته
وثواب اعماله يمينه (فأولئك يقرؤون كتابهم) فرحين مسرورين لا يجنبون عن قراءته لما يرون فيه من الجزاء
والتواب (ولا يظلمون فتيلًا) أي لا ينقصون ثواب اعمالهم مقدار فتيل وهو الفتول الذي في شق التواة عن
قتادة وقيل الفتيل في بطن التواة والتقير في ظهرها والقطمير قشر التواة عن الحسن جعل الله اعطاء الكتاب باليمين
علامة الرضا والخلص واعطاء الكتاب باليسار ومن وراه الظهر علامة السخط والهلاك (ومن كان في هذه أعمى
فهو في الآخرة أعمى) ذكر في معناه اقوال ﴿احدها﴾ ان هذه اشارة إلى ما تقدم ذكره من النعم ومعناه ان
من كان في هذه النعم وعن هذه العبر أعمى فهو عما غيب عنه من امر الآخرة أعمى عن ابن عباس ﴿وثانيها﴾
ان هذه اشارة إلى الدنيا ومعناه من كان في هذه الدنيا أعمى عن آيات الله ضالا عن الحق ذاهبا عن الدين فهو
في الآخرة أشد تخيرا وذهابا عن طريق الجنة او عن الحجة إذا سئل فإن من ضل عن معرفة الله في الدنيا يكون
يوم القيامة منقطع الحجة فالأول اسم والثاني فعل من العمى وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وقتادة ﴿وثالثها﴾
ان معناها من كان في الدنيا أعمى القلب فإنه في الآخرة أعمى العين يحشر كذلك عقوبة له على ضلالته في الدنيا
عن ابي مسلم قال وهذا كقوله ونحشره يوم القيامة أعمى وتأول قوله سبحانه فبصرك اليوم حديد بأن معناه
الاخبار عن قوة المعرفة والجاهل بالله سبحانه يكون عارفا به في الآخرة وتقول العرب فلان بصير بهذا الأمر
وإنما أرادوا بذلك العلم والمعرفة لا الابصار بالعين وعلى هذا فليس يكون قوله فهو في الآخرة أعمى على سبيل المبالغة
والتعجب وإن عطف عليه بقوله (وأضل سبيلا) ويكون التقدير وهو أضل سبيلا قال ويجوز أن يكون
اعمى عبارة عما يلحقه من النعم المفرط فإنه إذا لم ير إلا ما يسوء فكأنه أعمى كما يقال فلان سخين العين ﴿ورابعها﴾
ان معناه من كان في الدنيا ضالا فهو في الآخرة أضل لأنه لا يقبل توبته عن الحسن واختاره الزجاج على هذا
القول وقال تأويله انه إذا عمى في الدنيا وقد عرفه الله الهدى وجعل له إلى التوبة وصلة فعمى عن رشده ولم ينب
فهو في الآخرة أشد عمى وأضل سبيلا لأنه لا يجد طريقا إلى الهداية

﴿النظم﴾

قيل في وجه اتصال قوله يوم ندعو كل اناس بأواممهم بما قبله وجوه ﴿احدها﴾ انه سبحانه
ذكر تفضيل بني آدم ثم بين أن ذلك التفضيل إنما يكون في ذلك اليوم فيستحق المهتدون الثواب بهدايتهم
﴿وثانيها﴾ انها اتصلت بقوله إن عذاب ربك كان محذورا أي فاحذروا يوم يدعى كل أمة بأواممهم
﴿وثالثها﴾ انها اتصلت بقوله يعيدكم أي يعيدكم يوم يدعو ﴿ورابعها﴾ انه تعالى ذكر فيما تقدم
من آمن ومن كفر ثم بين في هاتين الآيتين ما اعد للفريقين من ثواب وعقاب وانه يعطيهم ذلك على ما هو
مكتوب في كتبهم عن ابي مسلم

قوله تعالى (٧٣) وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا
لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا (٧٤) وَلَوْلَا أَنْ نَبَأْنَاكَ لَقَدْ كِدْتُمْ تَرَ كُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٥) إِذَا

لَا ذِقَانِكَ ضِعْفُ الْحَيَاةِ وَضِعْفُ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ثلاث آيات
 ﴿الاعراب﴾

لولا ان ثبتناك تقديره لولا ثبتنا اياك فان هاهنا في موضع رفع بالابتداء وغيره مضمرة وهذا يدل على بطلان مذهب ابي سعيد حيث قال «لولا حدثت ولا عدوى لمحدود» واستدل به على ان لولا تدخل على الفعل وخفي عليه اشارة ان في البيت

— النزول —

في سبب نزوله اقوال ﴿احدها﴾ ان قريشا قالت للنبي ﷺ لا ندعك تستلم الحجر حتى تلم بالمتنا فحدث نفسه وقال ما علي في ان أم بها والله يعلم ابي لكاره لها وبدعوني استلم الحجر فأزول الله تعالى هذه الآية عن سعيد بن جبير ﴿وثانيها﴾ انهم قالوا له كف عن شتم آلهتنا وتنفية اسلامنا واطرده هؤلاء العبيد والسقاط الذين راعيتهم رائحة الصنان حتى نجالتك ونسمع منك قطع في اسلامهم فنزلت الآية ﴿وثالثها﴾ ان رسول الله ﷺ اخرج الاصنام من المسجد فطلبت اليه قريش ان يترك صنما كان على المروة فهم يتركه ثم امر بعد بكره فنزلت الآية رواء العياشي باسناده ﴿ورابعها﴾ انها نزلت في وفد ثقيف قالوا نبايعك على ان تعطينا ثلاث خصال لا نتخى بنفوس الصلاة ولا نكسر اصنامنا بأيدينا ونتمتعنا باللات سنة فقال ﷺ لا خير في دين ليس فيها ركوع ولا سجود فأما كسر اصنامكم بأيديكم فذاك لكم وأما الطاعة فلات فاني غير متمكم بها وقام رسول الله ﷺ وتوخأ فقال عمر بن الخطاب ما بالكُم اذيتُم رسول الله ﷺ انه لا يدع الاصنام في ارض العرب فما زالوا به حتى انزل الله هذه الآيات عن ابن عباس ﴿وخامسها﴾ ان وفد ثقيف قالوا اجلنا سنة حتى قبض ما يهدى لآلهتنا فإذا قبضنا ذلك كسرناها واسلمنا فهم بتأجيلهم انزلت الآية عن الكلبي رواء عن مطية عن ابن عباس

« المعنى »

ثم حكى الله سبحانه عن الكفار فقال (وان كلدوا ليقتنوك عن الذي اوحينا اليك) ان هذه مخففة من الثقيلة والمعنى ان المشركين الذين تقدم ذكرهم في هذه السورة هموا وقاربوا ان يزأروك ويصرفوك عن القرآن الذي اوحينا اليك اي من حكمه (لتفتري علينا غيره) اي لتخترع علينا غير ما اوحينا اليك والمعنى لتحل محل المفتري لانك تخبر انك لا تنطق الا عن وحي فاذا اتبعتهم او هممت انك تفعله بأمر الله فكنت كالمفتري (واذا لا تخذوك خليلا) معناه وانك لو أجبتهم إلى ما طلبوا منك لتولوك وأظهروا خلتك اي صداقتك لموافقك معهم وقيل هو من الخلة التي هي الحاجة اي فقيرا محتاجا اليهم والأول اوجه (ولولا ان ثبتناك) اي ثبتنا قلبك على الحق والرشد بالنبوة والمعصية والمعجزات وقيل بالالطاف الخفية (لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا) أي ركونا قليلا والمعنى لقد قاربت ان تسكن اليهم بعض السكون وأن تميل اليهم قليلا فتعطيهم بعض ماسألوك يقال كدت أفعل كذا أي قاربت ان افعله ولم افعله وقد صح عنه ﷺ قوله وضع عن أمي ما حدثت به قسا ما لم تعمل به او تتكلم به قال ابن عباس يريد حيث سكنت عن جوابهم والله اعلم ببيته ثم توعده سبحانه على ذلك لو فعله فقال (اذا لا ذقناك ضعف الحياة وضعف المات) اي لو فعلت ذلك لعدبتك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب المات اي مثلي ما تعذب به المشرك في الآخرة لأن ذنبك يكون اعظم وقيل ان المراد بالضعف العذاب المضعف المة والمعنى لا ذقناك عذاب الدنيا وعذاب الآخرة عن ابيان بن تغلب وأشد قول الشاعر

لمقتل مالك إذا بان مني ابنت الليل في ضعف اليم

أبى عذاب قال ابن عباس رسول الله ﷺ معصوم ولكن هذا تخويف لأمته لئلا يركن أحد من المؤمنين إلى أحد من المشركين في شيء من أحكام الله وشرائعه (ثم لا تجدك علينا نصيرا) أي ناصرا بنصرك وقال انه لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ اللهم لا تكني إلى نفسي طرفة عين أبدا عن قتادة قوله تعالى (٧٦) وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (٧٧) سَنَةٌ مِنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا آياتان (القراءة) =

قرأ أهل الحجاز وابوعمر ووابو بكر خلقك بغير الف والباقون خلافاً بالألف وقرأ رويس عن يعقوب بالوجهين

✽ الحجة ✽

قال ابو علي زعم ابوا الحسن ان خلافاً في معنى خلفك ومعناه بعدك فمن قرأ خلفك او خلافاً فهو سيف القراءتين جميعاً على تقدير حذف المضاف اي بعد خروجك فيكون مثل قول ذي الرمة له واجف بالقلب حتى تقطعت
خلاف الأثر يا من اريك ما ربه
والمعنى خلاف طلوع الثريا وكذلك من جعل قوله خلاف رسول الله ﷺ اسماً للحجة كان على حذف المضاف كأنه خلاف خروج رسول الله ومن جعله مصدراً جعله مضافاً الى مفعول به وعلى اي الأمرين حمل ذلك في سورة التوبة كان بمقدمهم المقدم فيه مصدر لا اسم المكان لأن اسم المكان لا يتعلق به شيء

✽ الاعراب ✽

قال لا يلبثون بالرفع لأن إذا اذا وقعت بعد الواو جاز فيها الالقاء لأنها متوسطة في الكلام كأنه لا يلد من أن تلقى اذا وقعت حشا وسنة من قد ارسلنا انتصب بمعنى قوله لا يلبثون لأن تأويله انا ستاهذه السنة فيمن ارسلناهم قبلك والتقدير اهلكناهم اهلاكاً وسنة مثل سنة من قد ارسلنا قبلك

✽ النزول ✽

نزلت في أهل مكة لما هموا باخراج النبي ﷺ من مكة عن مجاهد وقتادة وقيل نزلت في اليهود بالمدينة لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قالوا له ان هذه الأرض ليست بأرض الأنبياء وانما أرض الانبياء الشام فأنت الشام عن ابن عباس

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه ان الكفار لما يشوا من اجابته إياهم فيما التمسوه منه كادوا له فقالوا (وان كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها) معناه وان المشركين ارادوا ان يزعموك من أرض مكة بالاخراج عن قتادة ومجاهد وقيل عن أرض المدينة يعني اليهود عن ابن عباس وقيل يعني جميع الكفار ارادوا ان يخرجوك من أرض العرب عن الجبائي وقال الحسن ليستفزونك معناه ليقتلونك (واذا لا يلبثون خلافاً الا قليلاً) معناه انهم لو اخرجوك لكانوا لا يلبثون بعد خروجك إلا زماناً قليلاً ومدة يسيرة قيل وهي المدة بين خروج النبي ﷺ من مكة وقتلهم يوم بدر عن الضحاك وقيل انهم اخرجوه واهلكوا والمراد بقوله الا قليلاً الا ناساً قليلاً منهم يريد من اقلت منهم يوم بدر وآمنوا بعد ذلك (سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا) معناه انهم لو اخرجوك لاستأصلناهم بعد خروجك كسنتنا فيمن قبلك قال سفيان بن عيينة بقول لم ترسل قبلك رسولا فأخرجه قومه الا اهلكوا فقد سنتنا هذه السنة فيمن ارسلنا قبلك اليهم (ولا تجد لسننتنا تحويلاً) اي تبديلاً ومعناه ما يتبعها لأحد ان يقلب سنة الله ويبطلها والسنة هي العادة الجارية والصحيح ان المعنيين في الآية مشركو مكة وانهم لم يخرجوه

من مكة ولكنهم هموا بإخراجه كما في قوله واذا يمشون بك الذين كفروا إلى قوله او يخرجوك ثم خرج بالتفصيل
لما امر بالمجرة خوفاً منهم وتدموا على خروجها ولذلك ضمنوا الاموال في رده فلم يقدروا على ذلك ولو اخرجوه
لاستوصلوا بالعذاب ولما توارطوا

قوله تعالى (٧٨) أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن
الفجر كان مشهوداً (٧٩) ومن الليل فتعبد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً
(٨٠) وقل رب اذخاني مدخل صدق واخر جني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً
نصيراً (٨١) وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً أربع آيات

❖ اللغة ❖

الدلوك الزوال وقال المبرد دلوك الشمس من لدن زوالها إلى غروبها وقيل هو الغروب واصله من الدلك فسمي
الزوال دلو كما لأن الناظر اليها يدلك عينه لشدة شعاعها وسمي الغروب دلو كما لأن الناظر يدلك عينه ليقتينها
قال ثعلب دلكت الشمس مالت وقال الزجاج يقال دلكت براح و براح اي مالت للزوال حتى صار الناظر
يحتاج اذا تبصرها ان يكسر الشعاع عن بصره براحتة قال الراجز

هذا مقام قديم رباح للشمس حتى دلكت براح

ورباح اسم ساقى الإبل ومن قال براح بفتح الباء جعلها اسماً للشمس منبياً على فعال مثل قطام وحذام ومن روى
براح بكسر الباء أراد براحتة وقال الفراء اي قال بالراحة على العين لينظر هل غابت الشمس بعد وغسق الليل
ظهور ظلامه يقال غسقت القرحة اذا تمجرت فظهر ما فيها والتهجد التيقظ والسهو بما ينفي النوم والمجود النوم
وهو الأصل هجد بهجد نام وقد هجدته إذا نومه قال لبيد

قلت هجدناً وقد طال السرى وقدردنا ان ختنا الدهر غفل
وقال آخر

الا طرقتنا والرفاق هجود فباتت بعلات النوال تجود
وقال الحطيئة

الا طرقت هند الهنود وصحبتى بحوران حوران الجنود هجود
قال المبرد التهجد السهر للصلاة او لذكر الله وقال علقمة التهجد يكون بعد نومة والنافلة والنفل الغنيمة
قال لبيد

ان تقوى ربنا خير نفل وبإذن الله ريشى وعجل
أي وعجلي وعسى من الله واجبة وقد أشد لابن مقبل في وجوبها

ظني بهم كعسى وهم بتنوفة يتنازعون جوائز الأمثال
يريد كيقين والزهوق الملاك والبطلان يقال زهقت نفسه إذا خرجت فكأنه قد خرجت إلى الملاك

❖ الاعراب ❖

قرآن الفجر منصوب على تقدير وأم قرآن الفجر وانصب قوله نافلة لك لأنه في موضع الحال

* المعنى *

ثم أمر سبحانه بعد إقامة الينبات وذكر الوعد والوعيد وإقامة الصلاة فقال مخاطباً للنبي ﷺ والمراد هو وغیره (أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل) اختلف المفسرون في الدلوك فقال قوم دلوك الشمس زوالها وهو قول ابن عباس بخلاف ابن عمر وجابر وابي العالية والحسن والشعبي وعطاء ومجاهد وقتادة والصلاة المأمور بها على هذا هي صلاة الظهر وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وابي عبد الله (ع) ومعنى قوله لدلوك الشمس اي عند ذلوكها وقال قوم دلوكها غروبها وهو قول النخعي والضحاك والسدي والصلاة المأمور بها على هذا هي المغرب وروي ذلك عن ابن مسعود وابن عباس والقول الأول هو الاوجه لتكون الآية جامعة للصلوات الخمس فصلاة دلوك الشمس الظهر والمصر وصلات غسق الليل هما المغرب والعشاء الآخرة والمراد بقرآن الفجر صلاة الفجر فهذه خمس صلوات وهذا معنى قول الحسن واختاره الواحدي وغسق الليل هو أول بدء الليل عن ابن عباس وقتادة وقيل هو غروب الشمس عن مجاهد وقيل هو سواد الليل وظلمته عن الجبائي وقيل هو انتصاف الليل عن ابي جعفر (ع) وابي عبد الله (ع) واستدل قوم من اصحابنا بالآية على ان وقت صلاة الظهر موسم الى آخر النهار لأنه سبحانه اوجب إقامة الصلاة من وقت دلوكها الى غسق الليل وذلك يقتضي ان ما بينهما وقت ولم يرتضه الشيخ ابو جعفر قدس الله روحه قال لأن من قال ان الدلوك هو الغروب فلا دلالة فيه عنده بل يقول اوجب سبحانه إقامة المغرب من عند الغروب الى وقت اختلاط الظلام الذي هو غروب الشفق ومن قال الدلوك هو الزوال امكنه ان يقول ان المراد بالآية بيان وجوب الصلوات الخمس على ما ذكره الحسن لا بيان وقت صلاة واحدة وأقول انه يمكن الاستدلال بالآية على ذلك بأن يقال إن الله سبحانه جعل من دلوك الشمس الذي هو الزوال الى غسق الليل وقتاً للصلوات الأربع إلا أن الظهر والمصر اشتركا في الوقت من الزوال الى الغروب والمغرب والعشاء الآخرة اشتركا في الوقت من الغروب الى التسق وافرد صلاة الفجر بالذكر في قوله (وقرآن الفجر) ففي الآية بيان وجوب الصلوات الخمس وبيان اوقاتها ويؤيد ذلك ما رواه العياشي بالاسناد عن عبيد بن زرارة عن ابي عبد الله (ع) في هذه الآية قال ان الله افترض اربع صلوات أول وقتها من زوال الشمس الى انتصاف الليل منها صلاتان أول وقتها من عند زوال الشمس الى غروبها الا ان هذه قبل هذه ومنها صلاتان أول وقتها من غروب الشمس الى انتصاف الليل إلا ان هذه قبل هذه والى هذا ذهب المرتضى علم الهدى قدس الله روحه في اوقات الصلوات وقال الزجاج ان في قوله وقرآن الفجر فائدة عظيمة تدل على ان الصلاة لا تكون إلا بقراءة لأن قوله أقم الصلاة وأقم قرآن الفجر قد أمر فيه ان يقيم الصلاة بالقراءة حتى سميت الصلاة قرآناً فلا يكون صلاة إلا بقراءة (إن قرآن الفجر كان مشهوراً) كلهم قالوا معناه ان صلاة الفجر تشهدا ملائكة الليل وملائكة النهار وقال النبي ﷺ تفضل صلاة الجماعة صلاة احدكم وحده بخمسة وعشرين جزءاً ويجتمع ملائكة الليل والنهار في صلاة الفجر اورده البخاري في الصحيح (ومن الليل فتهجد به) خطاب للنبي ﷺ اي فصل بالقرآن عن ابن عباس ولا يكون التهجد إلا بعد النوم عن مجاهد والاسود وعلقمة واكثر المفسرين وقال بعضهم ما تنفقت به في كل الليل يسمى تهجداً والتهجد الذي يلقي الهجود عن نفسه كما يقال المتخرج والمتأمم (نافلة لك) اي زيادة لك على الفرائض وذلك ان صلاة الليل كانت فريضة على النبي ﷺ مكتوبة عليه ولم تكتب على غيره وكانت فضيلة لغيره عن ابن عباس وقيل كانت واجبة عليه فنسخ وجوبها بهذه الآية وقيل ان معناه فضيلة لك وكفارة لغيرك فلو ان كل انسان يحتاج ان لا يقبل فرضه فيكون نفله كفارة والنبي لا يحتاج الى كفارة عن مجاهد وقيل معناه نافلة لك ولغيرك وانما اختصه بالحطاب لما في ذلك من دعاء الغير الى الاقتداء به والحث على الاستئنان بسنته (عسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً) عسى من الله واجبة والمقام بمعنى البعث فهو مصدر من غير جنسه اي

ببعثك يوم القيامة بعثا أنت محمود فيه ويجوز أن يجعل البعث بمعنى الإقامة كما يقال بعثت بعيري أي اثرته وأقمته فيكون معناه يقيمك ربك مقاما محمودا يحمذك فيه الأولون والآخرون وهو مقام الشفاعة تشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتعطى وتشفع فتشفع وقد اجتمع المفسرون على أن المقام المحمود هو مقام الشفاعة وهو المقام الذي يشفع فيه للناس وهو المقام الذي يعطى فيه لواء الحمد فيوضع في كفه ويجتمع تحته الأنبياء والملائكة فيكون **أول شافع وأول مشفع (وقل) يا محمد (رب ادخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق) المدخل والمخرج هنا مصدر الإدخال والإخراج فالتقدير ادخلني ادخال صدق وأخرجني إخراج صدق وفي معناه اقوال أحدها** ﴿ ان المعنى ادخلني في جميع ما أرسلتني به ادخال صدق وأخرجني منه سالما إخراج صدق أي اعني على الوحي والرسالة عن مجاهد ﴾ وثانيها ﴿ ان معناه ادخلني المدينة وأخرجني منها إلى مكة لفتح عن ابن عباس والحسن وقتادة وسعيد بن جبير ﴾ وثالثها ﴿ انه **صلى الله عليه وسلم** أمر بهذا الدعاء إذا دخل في أمر أو خرج من أمر والمراد ادخلني كل أمر مدخل صدق عن أبي مسلم ﴾ ورابعها ﴿ ان المعنى ادخلني القبر عند الموت ومدخل صدق وأخرجني منه عند البعث مخرج صدق عن عطية عن ابن عباس ومدخل الصدق ما تحمد عاقبته في الدنيا والدين وثالثا اضاف الإدخال والإخراج إليه سبحانه وان كانا من فعل العبد لأنه سأله اللطف المقرب إلى خير الدين والدنيا (واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) أي اجعل لي عزاء امتنع به من يحاول صدي عن إقامة فرائضك وقوة تنصرتي بها على من عاداني فيك وقيل لجعل لي ملكا عزيزا أقهر به العصاة فنصر بالرب حتى خافه العدو على مسيرة شهر وقيل حجة بينة أتقوى بها على سائر الأديان الباطلة عن مجاهد قال وسماه نصيرا لأنه تقوم به النصرة على الأعداء فهو كالمعين (وقل) يا محمد (جاء الحق) أي ظهر الحق وهو الإسلام والدين (وزهد الباطل) أي وبطل الباطل وهو الشرك عن السدي وقيل الحق التوحيد وعبادة الله والباطل عبادة الأصنام عن مقاتل وقيل الحق القرآن والباطل الشيطان وزهد بطل واضمحل عن قتادة وروي عن عبد الله بن مسعود انه قال دخل النبي **صلى الله عليه وسلم** مكة وحول البيت ثلاثمائة وستون صنما فجعل يطعنهم ويقول جاء الحق وزهد الباطل ان الباطل كان زهوقا أورده البخاري في الصحيح قال الكلبي فجعل الصنم ينكب لوجهه اذ قال ذلك واهل مكة يقولون ما رأينا رجلا أسحر من محمد (إن الباطل كان زهوقا) أي مضحلا ذاهبا هالكا لا ثبات له

قوله تعالى (٨٢) وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (٨٣) وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَمَّنَّا بِيَمِينِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُوسًا قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ثلاث آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو جعفر وابن عامر برواية ابن ذكوان وناه بجانبه ممدودة مهوزة وفي حم مثله وقرأ حمزة إلا العجلي وأبو بكر برواية حماد ويحيى وعياش وأبو شعيب السوسي عن يزيد بن نصير عن الكسائي نسي بفتح النون وكسر الهززة وقرأ حمزة برواية العجلي وخلف والكسائي نسي بكسر النون والهززة وقرأ الباقون نأى بفتح النون والهززة في وزن نعى

— الحجة —

قال أبو علي نا. مثل فاع وهو على القلب وتقديره فلع ومثله رأى ورآ. قال
فكل خليل رأني فهو قائل من اجلت هذا هامة اليوم اوغد

ومن امال الفتحين فلان الألف منقلبة من الياء التي في التاني فلو إذا أراد أن ينحو نحوها
امال فتحة النون لإمالة فتحة الهززة وقد قالوا رأيت عمادا فأمالوا الألف لإمالة الألف فكذلك امالوا
الفتحة لإمالة الفتحة لأنهم يحرون الحركة مجرى الحرف في اشياء. ومن فتح النون وكسر الهززة فإنه لم يمل الفتحة
الأولى لإمالة الفتحة الثانية كما لم يميلوا الألف لإمالة الألف في رأيت عمادا

— اللغة —

الشائكة الطريقة والمذهب يقال هذا طريق ذو شراك أي ينشعب منه طرق جماعة

✽ المعنى ✽

ثم اخبر سبحانه عن القرآن فقال (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) ووجه الشفاء فيه من وجوه
« منها » ما فيه من البيان الذي يزيل عي الجبل وحيرة الشك « ومنها » ما فيه من النظم والتأليف والفصاحة
الباقة حد الاعجاز الذي يدل على صدق النبي ﷺ فهو من هذه الجهة شفاء. من الجبل والشك والمعنى في
الدين ويكون شفاء للقلوب « ومنها » انه يتبرك به وبقرآته ويستعان به على دفع الملل والاسقام ويدفع الله به
كثيرا من المكروه والمضار على ما تقتضيه الحكمة « ومنها » ما فيه من أدلة التوحيد والعدل وبيان الشرائع
والأمثال والحكم وما في التعد بتلاوته من الصلاح الذي يدعو إلى امثاله بالمشاركة التي بينه وبينه فهو شفاء
للناس في دنياهم وآخرتهم ورحمة للمؤمنين أي نعمة لهم وخصمهم بذلك لأنهم المنتفعون به (ولا يزيد الظالمين
إلا خسارا) ومعناه انهم لا يزدادون عنده إلا خسارا يجسرون الثواب ويستحقون العقاب لكفرهم به وتركهم
التدبر له والتفكير فيه وهذا كقوله فلم يزدتهم دعائي إلا فرارا ويحتمل أن يريد ان القرآن يظهر خبث سرائرهم
وما يقررون به من الكيد والمكر بالنبي ﷺ فيفتضحون بذلك (وإذا أنعمنا على الانسان اعرض) عن ذكرنا
أي ولي كأنه لم يقبل علينا بالدعاء والابتهال (وننا بجانبه) أي يدب نفسه عن القيام بحقوق انعامنا فلا يشكره
كما اعرض عن النعمة بالقرآن وقال مجاهد معناه تباعد منا وعلى هذا فيكون معناه تجبر وتكبر واعجب بنفسه
لأن المعجب نافر عن الناس متباعد عنهم (وإذا مسه الشركان يوتسا) معناه وإذا أصابه المحنة والشدة أو الفقر
لم يصبر وكان قنوطا من رجاء الفرج من الله تعالى بخلاف المؤمن الذي يرجو الفرج والروح فيكون المراد بالآية
خاصا وإن كان اللفظ عاما وسعى الأمراض والبلايا شرا لكونها شرا عند الكافر من حيث لا يرجو ثوابا ولا
عرضا ولأن الطباع تنفر عنها وتكرهها وإلا فهي في الحقيقة صلاح وحكمة وصواب (قل) يا محمد
لهم (كل يعمل على شاكلته) أي كل واحد من المؤمن والكافر يعمل على طبيعته وخليقته التي تخلق بها عن
ابن عباس وقيل على طريقته وسنته التي اعتادها عن الفراء والزجاج وقيل على ما هو اشكل بالصواب وأولى
بالحق عنده عن الجبائي قال ولهذا قال (فوبكم اءلم بن هو أهدي سبيلا) أي انه يعلم أي الفريقين على الهدى
وابها على الضلالة وقيل معناه انه اعلم بن هو اصوب دينا واحسن طريقا وقال بعض ارباب اللسان هذه الآية
ارجى آية في كتاب الله لأن الأيق بكرمه سبحانه وجوده العفو عن عباده فهو يعمل به

قوله تعالى (٨٥) وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ الرُّوحُ قُلْ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا
(٨٦) وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا (٨٧) إِلَّا
رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا (٨٨) قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ
يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٩) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ

فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا خَمْسَ بَيِّنَاتٍ

❖ اللغة ❖

الظهير المعين وهو المظاهر وأصله من الظهر كأن كل واحد يسند ظهره إلى ظهر صاحبه فيتقوى به والتصريف
تصيير الشيء دائرا في الجهات وكذلك تصريف الكلام هو تصيره دائرا في المعاني المختلفة

❖ الإعراب ❖

إلا رحمة من ربك الرحمة استثناء من الأول والمعنى ولكن الله تعالى رحمك فأثبت ذلك في قلبك لا يأتون
مرفوع لأنه غلب جواب القسم على جواب إن واللام في ثن موطنه للقسم دالة عليه والتقدير فوافقه لا يأتون بمثله
ومثله قول كثير

لئن عاد لي عبد العزيز بمثلها وامكنني منها إذا لا أقبلها

- المعنى -

ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ (ويستلونك) يا محمد (عن الروح) اختلف في الروح المسؤولة
عنه على أقوال (أحدها) أنهم سألوه عن الروح الذي هو في بدن الإنسان ما هو ولم يجبههم وسأله عن ذلك قوم من
اليهود عن ابن مسعود وابن عباس وجماعة واختاره الجبائي وعلى هذا فلإننا عدل النبي ﷺ عن جوابهم لعلمه
بأن ذلك ادعى لهم إلى الصلاح في الدين ولأنهم كانوا بسؤالهم متعتين لا مستفيدين فلو صدر الجواب لآزدادوا
عنادا وقد قيل إن اليهود قالت لكفار القريش سلوا محمدا عن الروح فإن أجابكم فليس بنبي وإن لم
يجبكم فهو نبي فلإننا نجد في كتبنا ذلك فأمر الله سبحانه بالدول من جوابهم وإن يكلمهم في معرفة الروح إلى
ما في عقولهم ليكون ذلك علما على صدقه ودلالة نبوته (وثانيها) أنهم سألوها عن الروح أهي مخلوقة محدثة
أم ليست كذلك فقال سبحانه (قل الروح من أمر ربي) أي من فعله وخلقه وكان هذا جوابا لهم عما سألوه عنه
بعينه وعلى هذا فيجوز أن يكون الروح الذي سألوا عنه هو الذي به قوام الجسد على قول ابن عباس وغيره أمر
جبرئيل «ع» على قول الحسن وقتادة أم ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه لكل وجه سبعون ألف لسان
يسبح الله بجميع ذلك على ما روي عن علي «ع» أم عيسى «ع» فإنه قد سمي بالروح (وثالثها) أن المشركين
سألوه عن الروح الذي هو القرآن كيف يلقاك به الملك أو كيف صار معجزا وكيف صار نظمه وترتيبه مخالفا
لأنواع كلامنا من الخطب والأشعار وقد سمي الله تعالى القرآن روحا في قوله وكذلك أوحينا إليك روحا من
أمرنا فقال سبحانه قل يا محمد إن الروح الذي هو القرآن من أمر ربي أنزله لدلالة علي دلالة النبوت وليس من فعل المخلوقين
ولا مما يدخل في أمكانهم وعلى هذا فقد وقع الجواب أيضا موقفاً وأما على القول الأول فيكون معنى قوله
الروح من أمر ربي هو من الأمر الذي يعطيه ربي ولم يطلع عليه أحد واختلف العلماء في ماهية الروح فقيل إنه
جسم دقيق هوائي متردد في بخار الحيوان وهو مذهب أكثر المتكلمين واختاره الأجل المرتضى علم الهدى قدس الله
روحه وقيل جسم هوائي على بنية حيوانية في كل جزء منه حياة من علي بن عيسى قال فلكل حيوان روح وبدن
إلا إن منه من الألب عليه الروح ومنه من الأغلب عليه البدن وقيل إن الروح عرض ثم اختلف فيه فقيل هو
الحياة التي يتبها به المحل لوجود القدرة والعلم والاختيار وهو مذهب الشيخ المفيد في عبد الله محمد بن محمد بن
النعمان «ره» والبلخي وجماعة من المعتزلة البغداديين وقيل هو معنى في القلب عن الاسواري وقيل إن الروح الإنسان
وهو الحي المكلف عن ابن الأخشيد والنظام وقال بعض العلماء إن الله تعالى خلق الروح من ستة أشياء من جوهر
النور والطيب والبقا والحياة والعلم والعلو ألا ترى أنه ما دام في الجسد كان الجسد نورانيا يبصر بالعينين ويسمع

بالاذنين ويكون طيبا فلماذا خرج من الجسد نتن الجسد ويكون باقيا فلماذا فارقه الروح بلي وفني ويكون حيا
 ونجروجه بصير ميتا ويكون عالما فلماذا خرج منه الروح لم يعلم شيئا ويكون علويا لطيفا توجد به الحياة بدلالة
 قوله تعالى في صفة الشهداء بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين واجسامهم قد بليت في التراب وقوله وما اوتيتهم من
 العلم الا قليلا قيل هو خطاب للنبي ﷺ وغيره اذا لم يبين له الروح ومعناه وما اوتيتهم من العلم المنصوص
 عليه الا قليلا أي شيئا يسيرا لأن غير المنصوص عليه اكثر فإذن معلومات الله تعالى لا نهاية لها وقيل خطاب لليهود
 الذين سألوه فقالت له اليهود عند ذلك كيف وقد اعطانا الله التوراة فقال التوراة في علم الله قليل ثم قال سبحانه (ولئن
 شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك) يعني القرآن ومعناه اني اقدر ان اخذ ما اعطيتك كما منعت غيرك ولكني دبرتك
 بالرحمة لك فأعطيتك ما تحتاج اليه ومنعتك ما لا تحتاج الى النص عليه وان توهم قوم انه مما تحتاج اليه قد برأت
 بتدبير ربك وارض بما اختاره لك (ثم لا تجد لك به علينا وكيلا) أي ثم لو فعلنا ذلك لم تجد علينا وكيلا يستوفي
 ذلك منا وقيل معناه ولو شئنا لمحونا هذا القرآن من صدورك وصدرك أنتك حتى لا يوجد له أثر ثم لا تجد له حفيظا
 يحفظه عليك ويحفظ ذكره على قلبك عن الحسن والبي مالم والأصم قالوا وفي هذا دلالة على ان السؤال وقع
 عن القرآن (إلا رحمة من ربك) معناه لكن رحمة من الله ربك لك اعطاك ما اعطاك من العلوم ومنعتك ما منعتك
 منها وأثبت القرآن في قلبك وقلوب المؤمنين (إن فضله كان) فيا مضى وفيما يستقبل (عليك كبيرا) عظيما اذ
 اختارك للنسوة وخصك بالقرآن فقابله بالشكر وقال ابن عباس يريد حيث جعلك سيد ولد آدم وختم بك النبيين
 واعطاك المقام المحمود ثم احتج سبحانه على المشركين باعجاز القرآن فقال (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على
 أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) معناه قل يا محمد لهؤلاء الكفار لئن اجتمعت الإنس والجن متعاونين
 متعاضدين على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في فصاحته وبلاغته ونظمه على الوجوه التي هو عليها من كونه في الطبقة
 العليا من البلاغة والدرجة القصوى من حسن النظم وجودة المعاني وتهذيب العبارة والحلو من التناقض واللفظ
 المسخوط والمعنى الدخول على حد يشكل على السامعين ما بينها من التفاوت لعجزوا عن ذلك ولم يأتوا بمثله (ولو
 كان بعضهم لبعض ظهيرا) أي معينا على ذلك مثل ما يتعاون الشعراء على بيت شعر فيقيمونه عن ابن عباس وفي
 هذا تكذيب للنضر بن الحارث حين قال لو نشاء لقلنا مثل هذا قال ابو مسلم وفي هذا ايضا دلالة على ان السؤال
 بالروح وقع عن القرآن لأنه من تمام ما أمر الله نبيه ﷺ أن يجيبهم به (وقد صرفنا للناس في هذا القرآن
 من كل مثل) معناه ولقد بيناهم في هذا القرآن من كل ما يحتاج اليه من الدلائل والأمثال والبر والأحكام وما
 يحتاجون اليه في دينهم ودنياهم ليتفكروا فيها (فأبى اكثر الناس إلا كفورا) أي جودا للحق والمثل قد
 يكون الشيء بعينه وقد يكون صفة للشيء وقد يكون شبهه

قوله تعالى (٩٠) وقالوا ان نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا (٩١) أو تكون
 لك جنة من نخيل وعنب فنفجر الأنهار خلالها فتجيرا (٩٢) أو نسقط السماء كما زعمت
 علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا (٩٣) أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى
 في السماء ولئن نؤمن ليرفيعك حتى ننزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا
 رسولا (٩٤) وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا
 (٩٥) قل لو كانت في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا
 رسولا ست آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة ويعقوب حتى تفجر لنا بفتح التاء وضم الجيم والباقون تفجر بضم التاء. وتشديد الجيم وقرأ أبو جعفر وابن عامر كسفا بفتح السين هاهنا وفي سائر القرآن كسفا ساكنة السين وقرأ حفص بالفتح في جميع القرآن إلا في الطور وقرأ أهل العراق وابن كثير بالسكون في جميع القرآن إلا في الروم ولم يقرأ في الروم بسكون السين إلا أبو جعفر وابن عامر وابن كثير وابن عامر قال سبحانه ربي والباقون قل على الأمر - (الحجة) -

من قرأ تفجر بالتشديد فلا أنهم اذوا كثرة الانفجار من الينبوع وهو وإن كان واحدا فلكثير الانفجار منه حسن ان يقال بتكرير العين كما يقال ضرب زيد إذا كثرت منه فعل الضرب ومن قرأ تفجر فلأن الينبوع واحد فلا يكون كقوله فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا لأن فجرت الأنهار مثل غلقت الأبواب فلذلك اتفق الجميع على التشديد فيه والكسف القطع واحدها كسفة ومن سكنه جاز ان يريد الجمع مثل سدره وسدر قال أبو زيد كسفت التراب اكسفه كسفا إذا قطعه قال أبو علي إذا كان المصدر الكسف فالكسف الشي المقطوع كالطحن والطحن والسقي والسقي ونحو ذلك فيجاز ان يكون قوله او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا بمعنى ذات كسف وذلك ان اسقط لا يتعدى إلا إلى مفعول واحد فوجب ان ينتصب كسفا على الحال ذا الحال في المعنى وإذا كان كذلك وجب ان يكون الكسف هو السماء فيصير المعنى او تسقط السماء علينا مقطعة او قطعاً ومن قرأ قال سبحانه ربي فالوجه فيه ان الرسول قال عند اقتراحهم هذه الأشياء سبحانه ربي ومن قرأ قل فهو على الأمره بأن يقول ذلك

﴿ اللغة ﴾

التفجير التشقيق عما يجري من ماء او ضياء ومنه سمي التفجر لأنه ينشق عن عمود ومنه الفجور لأنه خروج إلى الفساد يشقق به عمود الحق والينبوع بفعل من نبع الماء ينبع فهو تابع إذا فار والقبيل الكفيل من قبلت به اقبل قبالة أي كفلت وتقبل فلان بالشيء إذا تكفل به قال الزجاج وجائز أن يكون المعنى تأتي بهم حتى زاهم مقابلة اي معاينة وانشد غيره

نصالحكم حتى تبوء بثلاثها كصرحة حبلي اسلمتها قبيلها

أي قابلتها التي هي مقابلتها والعرب تجر به في هذا المعنى مجرى المصدر فلا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث وأصل الزخرف من الزخرفة وهي الزينة وزخرفت الشيء إذا أكملت زينته ولا شيء في تحمين بيت وتربينه وزخرفته كالذهب ويقال في الصعود رقيت ارقى رقياً وفيما تدأوبه بالرقية رقيت ارقى رقية ورقياً

﴿ النزول ﴾

قال ابن عباس ان جماعة من قريش وهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو سفيان بن حرب والأسود بن المطلب وزمعة بن الأسود والوليد بن المعيرة وابو جهل بن هشام وعبد الله بن ابي أمية وأميرة بن خلف والعاص بن وائل ونبيه ومنبه ابنا الحجاج والنضر بن الحارث وابو البختري بن هشام اجتمعوا عند الكعبة وقال بعضهم لبعض ابعثوا إلى محمد فكلوه وخصصوه فبعثوا اليه ان اشرف قومك قد اجتمعوا لك فبادر ^{رسول الله} اليهم فظنا منه انهم بدا لهم في أمره وكان حريصا على رشحهم فجلس اليهم فقالوا يا محمد انا دعوناك لتعذر اليك فلا نعم احدنا ادخل على قومك ما ادخلت على قومك شتمت الالهة وعبت الدين وسفقت الأحلام وخرقت الجماعة فإن كنت جنت بهذا لتطلب مالا اعطيناك وإن كنت تطلب الشرف سرودناك علينا وإن كانت علة غلبت عليك طلبناك الأتيا فقال ^{رسول الله} ليس شيء من ذلك بل بعثني الله اليكم رسولا وأنزل كتابا فلو ان بليتكم ما جنت به فهو

حفظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه أصبر حتى يحكم الله بيننا قالوا فلوذن ليس احد اضيق بلدا منا فاسأل ربك أن يسير هذه الجبال ويجري لنا انهارا كأنهار الشام والعراق وأن يبعث لنا من مضى وليكن فيهم قصي فإنه شيخ صدوق لنا لهم عما تقول أحق ام باطل فقال وَاللَّيْلُ نَسْتَجِيرُكَ ما بهذا بعثت قالوا فإن لم تفعل ذلك فاسأل ربك أن يبعث ملكا يصدقك ويجعل لنا جنات وكنوزا وقصورا من ذهب فقال وَاللَّيْلُ نَسْتَجِيرُكَ ما بهذا بعثت وقد بعثتكم بما بعثني الله به فلن قبلتم وإلا فهو يحكم بيني وبينكم قالوا فاسقط علينا الساء كما زعمت ان ربك إن شاء فعل ذلك قال ذلك الى الله إن شاء فعل وقال قائل منهم لا نؤمن حتى تأتي بالله والملائكة قبلا فقام النبي وَاللَّيْلُ نَسْتَجِيرُكَ وقام معه عبد الله بن أبي أمية المخزومي ابن عمته مائكة بنت عبدالمطلب فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله ثم سألك لأنفسهم أمورا فلم تفعل ثم سألك أن تعجل ما تحرفهم به فلم تفعل فوالله لا أؤمن بك ابدا حتى تتخذ سلما الى الساء ثم ترقى فيه وانا انظر ويأتي معك نفر من الملائكة يشهدون لك وكتاب يشهد لك وقال ابو جهل انه أبى إلا سب الآلهة وشتم الآباء وانا أعاهد الله لأحملن حجرا فلماذا سجدت به رأسه فانصرف رسول الله وَاللَّيْلُ نَسْتَجِيرُكَ حزينا لما رأى من قومه فانزل الله سبحانه الآيات

— المعنى —

لما بين سبحانه فيا تقدم اعجاز القرآن عقب ذلك البيان بأنهم ابوا الا الكفر والطغيان واقترحوا من الآيات ما ليس لهم ذلك فقال (وقالوا لن نؤمن لك) اي لن نصدقك فيا تدعي من النبوة (حتى تفجر لنا من الارض) أي تشق لنا من ارض مكة فلانها قليلة الماء (ينبوعا) اي عينا ينبع منه الماء في وسط مكة (او تكون لك جنة) وهي ما تجنه الاشجار اي تسره (من نخيل وعبقري فتنفجر الأنهار) من الماء (خلاها) اي وسطها (تفجيرا) أي تشقيا حتى يجري الماء تحت الاشجار (او تسقط الساء كما زعمت علينا كسفا) اي قطعا قد تركب بعضها على بعض عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقوله كما زعمت معناه كما خوفتنا به من انشقاق السماء وانفطارها وقيل معناه كما زعمت انك نبي تأتي بالمعجزات (او تأتي بالله والملائكة قبلا) اي كفيلا ومعناه تأتي بكل واحد حتى يكون كفيلا ضامنا لنا بما تقول عن ابن عباس والضحاك وقيل هو جمع القبيلة اي تأتي بأصناف الملائكة قبيلة قبيلة عن مجاهد وقيل معناه مقابلين لنا كالشيء يقابل الشيء حتى نشاهدهم قبلا اي مقابلة تعابيتهم ويشهدون بأنك حق ودعوتك صدق عن الجبائي وقتادة وهذا يدل على ان القوم كانوا مشبهة مع شركهم (او يكون لك بيت من زخرف) اي من ذهب عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل الزخرف النقرش عن الحسن (او ترقى في السماء) اي تصعد (ولن نؤمن لربك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه) اي ولو فعلت ذلك لم نصدقك حتى تنزل على كل واحد منا كتابا من الله شاهدا بصحة نبوتك نقرؤه وهو مثل قوله بل يريد كل امرء منهم ان يوتى صحفا منشرة (قل سبحانه ربي) اي تقربها له من كل قبيل ورواية له من كل سورة وفي ذلك من الجواب انكم تتخيرون الآيات وهي الى الله سبحانه فهو العالم بالتدبير القائل لما توجه المصلحة فلا وجه لطلبكم إياها مني وقيل معناه تعظيما له عن ان يحكم عليه عبده لأن له الطاعة عليهم وقيل انهم لما قالوا تأتي بالله وترقى في السماء الى الله لاعتقادهم ان الله تعالى جسم قال قل سبحانه ربي عن كونه بصفة الاجسام حتى تجوز عليه المقابلة والتزول وقيل معناه تقربها له عن ان يفعل المعجزات تابعا للاقتراحات (هل كنت إلا بشرا رسولا) معناه ان هذه الاشياء ليس في طاقة البشر ان يأتي بها وان يفعلها فلا اقدر بنفسي ان آتي بها كما لم يقدر من كان قبلي من الرسل والله تعالى انما يظهر الآيات المعجزة على حسب المصلحة وقد فعل فلا تطالبوني بما لا يطالب به البشر (وما منع الناس ان يؤمنوا) اي وما صرف المشركين عن الايمان اي التصديق بالله وبرسوله (إذ جاءهم الهدى) اي حين أتاهم الحجج والبينات (إلا ان قالوا) اي الاقوالهم (ابعث الله بشرا رسولا) دخلت عليهم الشبهة في انه لا يجوز ان يبعث الله رسولا الا من

الملائكة كما دخلت عليهم الشبهة في ان عبادتهم لا تصلح لله فوجهها إلى الأستام فعمموا الله بجهلهم بما ليس فيه تعظيم وإنما ذكر سبحانه هنا لفظ المنع مبالغة في وصف الصرف وإلا فالمنع يستحيل معه الفعل فلا يجوز أن يكون مباداً هنا ولكن شبه الصرف بالمنع (قل) يا محمد (لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئين) أي ساكنين قاطنين (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) منهم عن الحسن وقيل معناه مطمئين إلى الدنيا ولذاتها غير خائفين ولا متعبدين بشرح لأن المطمئن من زال الخوف عنه عن الجبائي وقيل معناه لو كان أهل الأرض ملائكة لبغتنا اليهم ملكا ليكونوا إلى الفهم إليه أسرع عن أبي مسلم وقيل ان العرب قالوا كنا ساكنين مطمئين فجاه محمد فأزعجتنا وشوش علينا أمرنا فبين سبحانه انهم لو كانوا ملائكة مطمئين لأوجب الحكمة إرسال الرسل اليهم فكذلك كون الناس مطمئين لا يمنع من إرسال الرسول اليهم إذ هم أحوج إليه من الملائكة فكيف انكروا إرسال الرسول اليهم مع كونهم مطمئين « سؤال » قالوا إذا جاز ان يكون الرسول إلى النبي ملكا ليس من جنسه فألا جاز ان يكون الرسول إلى الناس أيضا ملكا ليس من جنسهم وجوابه ان صاحب المعجزة قد اختير للنبوة فصارت حاله مقاربة لحال الملك وليس كذلك غيره من الأمة لأنه يجوز ان يرى الملائكة كما يرى بعضهم بعضا بخلاف الأمة وأيضا فإن النبي يحتاج إلى معجزة تعرف بها رسالة نفسه كما احتاجت إليه الأمة فجعل الله المعجزة رؤيته الملك

قوله تعالى (٩٦) قُلْ كَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا
 (٩٧) وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَبُهْدَىٰ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَبُكْمًا وَصَمًا مَا وَأَهْمُ جَهَنَّمَ كَلَّمَآ خَبَّتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (٩٨) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِآثَمِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرِفَاقَاتِهَا أَنَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٩٩) أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَارْتِبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا (١٠٠) قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تُمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا خمس آيات

اللغة

الخبو سكنون النار عن الالتهاب يقال خبت النار تخبو قال عدي بن زيد

وسطه كالبراع او سرج المجدل
 حينما يخبو وحينما ينير
 وقال آخر

وكنا كالحريرق اصاب غابا
 فيخبو ساعة وينير ساعا
 والفتور التضيق والفتور فعول منه للمبالغة ويقال قبر يقتر وتقدر واقتر وقتر إذا قدر في النفقة

الاعراب

كفى بالله المفعول محذوف وهو الكاف والباء زيادة وشهيدا تمييز والتقدير كفاك الله من جملة الشهداء من يهدي الله ومن يضلل كلاهما شرط ووحده الضمير المتصل يهدي ويضلل على اللفظ ثم قال فلن تجد لهم أولياء ويحشرهم الخ فجمع الضمير في كل ذلك على المعنى وقوله كلما خبت زدناهم سعيرا الجملة في موضع الحال من جهنم لأن جهنم توضع موضع مثلظ ومتسمر ولولا ذلك لم يجز عجي الحال عنها ويجوز ان تكون الجملة لا محل

لما من الاعراب ويكون في تقدير العاطفة والتقدير وكلما خبت فحذف الواو . على وجوههم في موضع نصب على الحال وتقديره مجرورين على وجوههم وقوله لو انتم تملكون . انتم مرفوع بفعل مضمر يفسره هذا الظاهر الذي هو قوله تملكون لأن لو يقع بها الشيء لوقوع غيره فلا يليها إلا الفعل وإذا وليها اسم عمل فيه فعل مضمر قال
لو غيركم علق الزبير بجبله أدى الجوار إلى بني العوام

المعنى

ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين (كفى بالله شهيداً بيني وبينكم) أي رسول الله اليكم وقد مر معناه في سورة الرعد (انه كان بعباده خبيراً بصيراً) لا يخفى عليه من احوالهم شيء والمراد به تأكيد الوعيد (ومن يهدي الله فهو المهتد) أي من يهكم الله يهداه فهو المهتد بإخلاصه وطاعته على الحقيقة (ومن يضل) أي ومن يحكم بضلالة (فلن تجد لهم أولياء من دونه) أي لن تجد لهم أنصاراً بقدرت على إزالة اسم الضلال عنهم وقد ذكرنا وجوه الهدى والضلال في سورة البقرة (ونحشرهم) أي نجعلهم يوم القيامة على وجوههم) أي يسحبون على وجوههم إلى النار وكما يفعل في الدنيا بين يبالغ في اهانتهم وتعذيبهم وروى انس بن مالك ان رجلاً قال يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة قال ان الذي أشاء على رجله في الدنيا قادر على ان يمليه على وجهه يوم القيامة أورده البخاري ومسلم في الصحيح (عمياً وبكياً وصماً) قيل المعنى عمياً يسره بكياً عن التكلم بما ينفعهم صماً عما يمتنعهم عن ابن عباس أي كأنهم عدموا هذه الجوارح وقيل يحشرون على هذه الصفة عمياً كما عموا عن الحق في دار الدنيا بكياً جزاء على سكوتهم عن كلمة الاخلاص وصلاً تركهم سماع الحق واصغائهم إلى الباطل قال مقاتل هذا حين يقال لهم اخشوا فيها ولا تكلمون وقيل يحشرون كذلك ثم يجعلون يبصرون ويسمعون وينطقون عن الحسن (ما أوامهم جهنم كما خبت زدهم سميراً) أي مستقرهم جهنم كما سكن التهايبا زدهم اشتعالاً فيكون كذلك دائماً ومتى قيل كيف يبقى الحي حياً في تلك الحالة من الاحتراق دائماً قلنا ان الله تعالى قادر على ان يمنع وصول النار إلى مقاتلهم (ذلك) أي ذلك الذي تقدم ذكره من العقاب (جزاؤهم) استحقاقهم (بأنهم كذبوا) كذا في النسخ والصواب كفروا (بأبانتا) أي تكذبيهم بأبانت الله (وقالوا أمئذا كنا عظيماً ورفاتنا) مثل التراب مترضين (أينا لمبعوث خلقاً جديداً) مر معناه في هذه السورة (أولم يروا) أي أولم يعلموا (ان الله الذي خلق السموات والأرض قادر على ان يخلق مثلهم) لأن القادر على الشيء قادر على امثاله إذا كان له مثل أو مثال في الجنس وإذا كان قادراً على خلق أمثالهم كان قادراً على إعادتهم إذ الإعادة أهون من الإنشاء في الشاهد وقيل أراد قادر على ان يخلقهم ثانياً وأراد بثلثهم إياهم وذلك ان مثل الشيء ومثاله في حاله فجاز ان يعبر به عن الشيء نفسه يقال مثلك لا يفعل كذا بمعنى أنت لا تفعله ونحوه ليس كمثل شيء وتم الكلام هنا ثم قال سبحانه (وجعل لهم أجلاً لا ريب فيه) أي وجعل لإعادتهم وقتاً لا شك فيه انه كائن لا محالة وقيل معناه وضرب لهم مدة ليتفكروا ويعلموا فيها ان من قدر على الاجتهاد قدر على الإعادة وقيل وجعل لهم أجلاً يعيشون اليه ويختمون عنده لا شك فيه (فأبى الظالمون) لنفوسهم الباطسون حقها بفعل المعاصي إلا كفوراً أي جحوداً بأبانت الله ونعمه وفي الآية دلالة على ان القادر على الشيء يجب ان يكون قادراً على جنس مثله إذا كان له مثل وعلى انه يجب ان يكون قادراً على ضده لأن منزلته في المقدور منزلة مثله وفيه دلالة أيضاً على انه بقدر على إعادته إذا كان مما بقى وتصح عليه الإعادة ثم قال سبحانه (قل) يا محمد لهؤلاء الكفار (لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي) أي لو ملكتم خزائن أرزاق الله وقيل لو ملكتم مقدورات ربي أي ما بقدر عليه ربي من النعم إذا لا يكون له سبحانه موضع يغزون فيه الرحمة ثم يخرج منه كما يكون للعباد ورحمته نعمته (إذا لا مسكنتم) شحاً وبخلًا (خشية الإرتاق)

أي خشية الفقر والغافة عن ابن عباس وقتادة وقيل خشية أن تنفقوا فتفتقروا عن السدي والمعنى لا مسكنم عن الاتفاق خشية الفقر للاتفاق (وكان الإنسان قنوراً) أي بخيلاً عن ابن عباس وقتادة وهذا جواب لقولم لن تؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ويقال تنقت تنقات القوم إذا قدمت وأنتقها صاحبها أي أنقدها حتى افتقر وظاهر قوله وكان الإنسان قنوراً العموم وقد علمنا أن سبب الناس الجواد والوجه فيه أحد أمرين وهو أن يكون الأغلب عليهم من ليس بجواد فجاز الاطلاق تغليباً للكثير وأيضاً فإن ما يعطيه الإنسان وإن عد جواداً يخجل في جنب ما يعطيه الله سبحانه لأن الإنسان إنما يعطي ما يفضل عن حاجته ويمسك ما يحتاج إليه والله سبحانه لا تجوز عليه الحاجة فيفيض من النعم على المطيع والعاصي إفاضة من لا يخاف الحاجة

قوله تعالى (١٠١) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى نِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَمَسَّئِلَ ابْنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا (١٠٢) قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَارَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا (١٠٣) فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِرَ مِنْ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا (١٠٤) وَقَلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا (٥٠١) وَيَا حَقَّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا

خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ الكسائي وحده لقد علمت بضم التاء والباقون بفتحها

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي حجة من فتح ان فرعون ومن كان يتبعه قد علموا صحة أمر موسى بدلالة قوله لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك وقوله وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ومن قال لقد علمت إذا قيل له كيف بصح الاحتجاج عليهم بعلمه وعلمه لا يكون حجة على فرعون وإنما يكون علم فرعون بما علم من صحة أمر موسى حجة عليه فالقول انه لما قيل له ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجتون كان ذلك قدحا في علمه لأن المجنون لا يعلم فكأنه نعى ذلك فقال لقد علمت صحة ما أتيت به وانه ليس بسحر علما صحيحا كعلم العقلاء فصير العقل حجة عليه من هذا الوجه وزعموا ان هذه القراءة رويت عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب «ع»

﴿ اللغة ﴾

التيور الملاك ثبره الله بثبره وبثبره لغتان ورجل مشبور محبوس عن الخيرات قال

إذ اجاري الشيطان في سنن النغي ومن قال مثله مشبور

وتقول العرب ما تبرك عن هذا الأمر أي ما صرفك عنه وما منعك منه ولقيف مصدر قولك لفت الشيء أي جمته يقال لفتته لقا ولقيفاً ومن ذلك قولم لفت الجيوش ضربت بعضها يعض فاختلط الجميع قال الزجاج اللقيف الجماعات من قبائل شتى

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه قصة موسى «ع» فقال (ولقد آتينا موسى نسع آيات بينات) أي ولقد أعطينا موسى نسع دلالات وحجج واضحات واختلف في هذه الآيات التسع فقيل هي يد موسى وعصاه ولسانه والبحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم عن ابن عباس والضحاك وقيل الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والبحر

والعصا والطمسة والحجر عن محمد بن كعب وعن ابي علي الجبائي أيضا إلا انه ذكر بدل الطمسة اليد وعن قتادة ومجاهد وعكرمة وعطا كذلك إلا انهم ذكروا بدل البحر والطمسة والحجر اليد والسنين وقصص من الثمرات والطمسة هي دعاء موسى وتأمين هارون وقال الحسن مثل ذلك إلا انه جعل الأخذ بالسنين وقصص من الثمرات آية واحدة وجعل التاسعة تلفف العصا ما بأفكون وقيل انها تسع آيات في الاحكام روى عبد الله ابن سلمة عن صفوان بن عسال ان يهوديا قال لصاحبه تعال حتى نسأل هذا النبي قال فأتى الرسول ﷺ فسأله عن هذه الآية فقال هو أن لا تشرکوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تمشوا بالبري إلى سلطان ليقته ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا المحصنة ولا تولوا الفرار يوم الزحف وعليكم خاصة يا يهود أن لا تعتدوا في السبت فقبل يده وقال أشهد انك نبي (فأسأل بني اسرائيل إذ جاءهم) هذا أمر للنبي ﷺ ان يسأل بني اسرائيل لتكون الحجة عليهم أبلغ وقيل ان المعنى فأسأل أيها السامع لأن العلم قد وقع بخبر الله تعالى فلا حاجة إلى الرجوع إلى أهل الكتاب وقيل ان معنى السؤال أن تنظر ما في القرآن من أخبار بني اسرائيل عن الحسن وروي عن ابن عباس انه قرأ فأسأل بني اسرائيل بمعنى فأسأل موسى فرعون بني اسرائيل أن يرسلهم (فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا) أي معطي علم السحر فهذه المعجائب التي فعلتها من سحرك وقيل معناه إني لأظنك ساحرا فوضع المفعول موضع الفاعل كما يقال مشووم ويميمون في معنى شائم ويامن وقيل معناه إنك سحرت فأنت تحمل تسك على ما تقول للسحر الذي بك وقيل مسحورا أي مخدوعا عن ابن عباس (قال) موسى (لقد علمت) أنت يا فرعون (ما أنزل) هذه الآيات (إلا رب السموات والأرض) الذي خلقهن (بصائر) أي أنزلها حججاً وبراهين للناس يبصرون بها أمور دينهم وقيل أدلة على نبوتي لأنك تعلم انها ليست من السحر وروي ان علياً (ع) قال في علمت والله ما علم عدو الله ولكن موسى هو الذي علم فقال لقد علمت (وإني لأظنك يا فرعون مشهوراً) معناه وإني لاعلمك يا فرعون هالكاً الكفرک وانكارك عن قتادة والحسن وقيل أعلمك ملموعنا عن ابن عباس وقيل محبولا لا عقل لك عن ابن زيد وقيل بعيداً عن الخير مصروفاً عنه عن الفراء وقيل المراد به الظن على الظاهر لأن الملاك يكون بشرط الاصرار ولا يعلم حقيقة ذلك إلا الله (فأراد أن يستفهم من الأرض) معناه فأراد فرعون ان يزعم موسى ومن معه من ارض مصر وفلسطين والاردن بالنفي عنها وقيل بأن يقتلهم (فأغرقتاه ومن معه) من جنوده (جميعاً) لم ينج منهم أحد ولم يهلك من بني اسرائيل أحد (وقلنا من بعده) أي من بعد هلاك فرعون وقومه (لبني اسرائيل اسكنوا الأرض) أي أرض مصر والشام (فإذا جاء وعد الآخرة) يعني يوم القيامة عن أكثر المفسرين أي وعد الكفرة الآخرة وقيل أراد نزول عيسى عن الكلي وفتادة (جئنا بكم لفيقاً) معناه جئنا بكم من القبور إلى الموقف للحساب والجزاء محتلمين التف بعضكم ببعض لا تتعارفون ولا يتعاز أحدكم إلى قبيلته وقيل لفيقاً أي جميعاً أولكم وآخركم عن ابن عباس ومجاهد (وبالحق أنزلناه) معناه وبالحق أنزلنا القرآن عليك (وبالحق نزل) القرآن وتأويله أردنا بانزال القرآن الحق والصواب وهو ان يؤمن به ويعمل بما فيه ونزل بالحق لأنه يتضمن الحق ويدعو إلى الحق وقال البلخي يجوز ان يكون المراد أنزلنا موسى فيكون كقوله وأنزلنا الحديد ويجوز ان يكون المراد وأنزلنا الآيات اي وأنزلنا ذلك كما قال ابو عبيدة اشدني رؤبة

فيه خطوط من سواد بلق كأنه في العين توليع البهق

فقلت له ان أردت الخطوط فقل كأنها وإن اردت السواد واليباض فقل كأنها قال فقال لي كان ذلك وتلك (وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً) مبشراً بالجنة لمن اطاع ومنذراً بالنار لمن عصي

قوله تعالى (١٠٦) وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً (١٠٧) قل

آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا
(١٠٨) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا مَعْمُولًا (١٠٩) وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَسْكُونُونَ
وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (١١٠) قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى
وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوهَا وَاتَّبِعْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١١١) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ
وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الذَّلَالِ وَكَبِيرَةٌ نُكْبَرًا

ست آيات

﴿ القراءة ﴾

القراءة المشهورة في فرقناه بالتخفيف وروى عن علي «ع» وابن مسعود وابن عباس والبي بن كعب والشعبي
والحسن بخلاف وقتادة وعمرو بن فائد فرقناه بالتشديد

﴿ الحجة ﴾

معنى فرقناه فصلناه ونزلناه آية آية وسورة سورة وبدل عليه قوله على مكث والمكث والمكث لثان

﴿ الإعراب ﴾

قرآنا منصوب بفعل مضمر يفسره هذا الظاهر أي وفرقنا قرآنا فرقناه وجاء بالنصب ولم يأت فيه الرفع لأن
صدره فعل وفاعل وهو قوله وبالحق انزلناه على مكث في موضع نصب على الحال أي متمهلا متوقفا غير مستعجل
يخرون للأذقان في موضع رفع بكونه خبر ان وسجداً نصب على الحال ان كان وعد ربنا ان هذه مخففة من
الثقيلة وهي اللام دخلنا للتأكيد أياما تدعو تدعو مجزوم بالشرط الذي يتضمنه أي علامة الجزم فيه سقوط
النون وما مزيدة مؤكدة للشرط وإيا منصوب بتدعو

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال (وقرآنا فرقناه) أي وانزلنا عليك يا محمد قرآنا فصّلناه سوراً وآيات عن
البي مسلم وقيل معناه فرقنا به الحق عن الباطل عن الحسن وقيل معناه جعلنا بعضه خيرا وبعضه امرا وبعضه نهيًا وبعضه
وعدا وبعضه عيدا وانزلناه متفرقا لم تنزله جميعا إذ كان بين اوله وآخره نيف وعشرين سنة (لتقرأ على الناس
على مكث) أي على تثبت وتوادة فترثله ليكون امكن في قلوبهم ويكونوا اقدر على التأمل والتفكير فيه
ولا تعجل في تلاوته فلا يفهم عنك عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه لتقرأ عليهم مفرقا شيئا بعد شيء (ونزلناه
تنزيلا) على حسب الحاجة ووقوع الحوادث وروى عن ابن عباس انه قال لئن اقرأ سورة البقرة وارثها احبالي
من ان اقرأ القرآن هذا وعن عبد الله بن مسعود انه قال لا تقرأوا القرآن في اقل من ثلاث وقرأوا في سبع
(قل) يا محمد لمؤلام المشركين (آمنوا به) أي بالقرآن (او لا تؤمنوا) فإن ايمانكم بضعكم ولا ينفع
غيركم وترككم الايمان بضركم ولا يضر غيركم وهذا تهديد لهم وهو جواب لقولهم لن نؤمن لك حتى تعجر لنا
(إن الذين اوتوا العلم من قبله) أي اعطوا علم التوراة من قبل نزول القرآن كعبد الله بن سلام وغيره فلمواصفة
النبي ﷺ قبل مبشئه عن ابن عباس وقيل انهم اهل العلم من اهل الكتاب وغيرهم وقيل انهم امة محمد ﷺ عن الحسن
(إذا يتلى عليهم) القرآن (يخرون للأذقان سجدا) أي يسقطون على الوجوه ساجدين عن ابن عباس وقتادة
وانما خص الذقن لأن من سجد كان اقرب شيء منه إلى الأرض ذقنه والذقن مجمع اللحيين (ويقولون سبحان

ربنا) أي تنزيها لربنا عز اسمه عما يضيف إليه المشركون (إن كان وعد ربنا لمفعولا) إنه كان وعد ربنا مفعولا حقا يقينا ولم يكن وعد ربنا إلا كائنا (ويخزون للاذقان بيكون) أي ويسجدون بأعين اشفاقا من التقصير في العبادة وشوقا إلى الثواب وخوفا من العقاب (ويزيدهم) ما في القرآن من المواعظ (خشوعا) أي تواضعا لله تعالى واستسلاما لأمر الله وطاعته ثم قال سبحانه (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين المنكرين نبوتك (ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) وذكر في سببه أقوال **أحدها** **«** أن النبي **ﷺ** كان ساجدا ذات ليلة بمكة يدعو يارحم يارحيم فقال المشركون هذا يزعم أن له إلهما واحدا وهو يدعو مثنى مثنى عن ابن عباس **«** وثانيها **«** أن المشركين قالوا أما الرحيم فنعره وأما الرحمن فلا نعرفه عن ميمون بن مهران **«** وثالثها **«** أن اليهود قالوا إن ذكر الرحمن في القرآن قليل وهو في التوراة كثير عن الضحاك (إيما تدعوا فله الأسماء الحسنى) معناه أي اسمائه تدعو وما هاهنا صلة كقوله عمافيل ليصبح نادمين وقيل هي بمعنى أي شيء كررت مع أي لاختلاف اللفظين تؤكد كما قالوا ما رأيت كالميلة ليلة وتقديره أي شيء من اسمائه تدعونه به كان جائزا فإن معنى أو في قوله أو ادعوا الرحمن الإباحة أي أن دعوتهم بأحد ما كان جائزا وإن دعوتهم بهما كان جائزا فله الأسماء الحسنى فإن اسماءه تنبئ عن صفات حسنة وأفعال حسنة فأما أسماؤه المنبئة عن صفات ذاته فهو القادر العالم الحي السميع البصير القديم وأما أسماؤه المنبئة عن صفات أفعاله الحسنة فنحو الخالق والرازق والعدل والمحسن والمجمل والمنعم والرحمن والرحيم وأما ما أنبأ عن المعاني الحسنة فنحو الصمد فإنه يرجع إلى أفعال عباده وهو أنهم يصمدونه في الحوائج ونحو المعبود والمشكور بين سبحانه في هذه الآية أنه شيء واحد وإن اختلفت أسماؤه وصفاته وفي الآية دلالة على أن الاسم عين المسمى وعلى أن تقديم اسمائه الحسنى قبل الدعاء والمسألة مندوب إليه مستحب وفيها أيضا دلالة على أنه سبحانه لا يفعل القبائح مثل الظلم لا شئت من اسم الظلم وغيره لأن اسماءه حينئذ لا تكون حسنة فإن الأسماء قد تكون مشتقة من الأفعال فلو فعل الظلم لاشتق منه اسم الظالم كما اشتق من العدل العادل وقوله (ولا تجهر بصلواتك ولا تخافتن بها) اختلف في معناه على أقوال **أحدها** **«** أن معناه لا تجهر باشاعة صلواتك عند من يؤذيك ولا تخافتن بها عند من ياتمسها منك عن الحسن وروى أن النبي **ﷺ** كان إذا صلى فجره في صلواته تسمع له المشركون فثمموه وأذوه فأمره سبحانه بترك الجهر وكان ذلك بمكة في أول الأمر وبه قال سعيد بن جبير وروى ذلك عن أبي جعفر وأبي عبد الله **«** **«** وثانيها **«** أن معناه لا تجهر بدعائك ولا تخافتن بها ولكن بين ذلك فالمراد بالصلاة الدعاء عن مجاهد ومحقول ونحوه روي عن ابن عباس **«** وثالثها **«** أن معناه لا تجهر بصلواتك كلها ولا تخافتن بها كلها (وابتغ بين ذلك سبيلا) بأن تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار عن أبي مسلم **«** ورابعها **«** لا تجهر جهرا بشغل به من يصلي بقربك ولا تخافتن بها حتى لا تسمع نفسك عن الجبائي وقريب منه ما رواه أصحابنا عن أبي عبد الله **«** **«** أنه قال الجهر بها رفع الصوت شديدا والمخافتة ما لم تسمع أذنيك وأقرأ قراءة وسطا ما بين ذلك وابتغ بين ذلك سبيلا أي بين الجهر والمخافتة ولم يقل بين ذنبك لأنه أراد به الفعل فهو مثل قوله عوان بين ذلك (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا) فيكون مربوبا لأربابا لأن رب الأرباب لا يجوز أن يكون له ولد (ولم يكن له شريك في الملك) فيكون عاجزا محتاجا إلى غيره ليعينه ولا يجوز أن يكون إلا له بهذه الصفة (ولم يكن له ولي من الدن) أي لم يكن له حليف حالفه لينصره على من يتاونه لأن ذلك من صفة الضعيف العاجز ولا يجوز أن يكون إلا له بهذه الصفة قال مجاهد لم يبدل فيحتاج إلى من يتمرزه به يعني أنه القادر بنفسه وكل ما عبد من دونه فهو ذليل مقهور وقيل معناه ليس له ولي من أهل الدن لأن الكافر والفاسق لا يكون وليا لله (وكبره تكبيرا) أي عظمه تعظيما لا يساويه تعظيما ولا يقاربه وروى أن النبي **ﷺ** كان يعلم أهله هذه الآية وما قبلها عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقيل إن في هذه الآية ردا على اليهود والنصارى حين قالوا اتخذ الله الولد وعلى مشركي العرب حيث قالوا لبيك لا شريك لك

إلا شريكاً هو لك وعلى الصابئين والمجوس حين قالوا لولا أولياء الله لذل الله عن محمد بن كعب القرظي
 سؤال * قالوا كيف يحمد سبحانه إن لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك والحمد إنما يستحق على فعل له
 صفة التفضل * والجواب * أنه ليس له الحمد في الآية على أنه لم يفعل وإنما الحمد له سبحانه على أفعاله المحموده
 وتوجه الحمد إلى من هذه صفة كما يقال أنا أشكر فلاناً بالجميل ولا تشكره على جماله بل على أفعاله

(سورة الكهف)

مكية قال ابن عباس إلا آية واصبر قسك مع الذين يدعون ربهم فإنها نزلت بالمدينة في قصة عبيدة بن
 حصن الخزاعي

* عدد آياتها *

مائة واحدى عشرة آية بصري وعشر كوفي وست شامي وخمس حجازي

* اختلافها *

إحدى عشرة آية فزدناهم هدى غير الشامي إلا قليل مدني الاخير إني فاعل ذلك غدا غير الاخير ذرعاً ومن
 كل شيء سبباً عراقى شامي والآخر هذه أبداً غير شامي والآخر عندها قوماً غير الكوفي والآخر فاتبع سبباً الثلاث
 عراقى بالأخسر بن أعمالاً عراقى شامي

* فضلها *

أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأها فهو معصوم ثمانية أيام من كل فتنة فإن خرج الدجال في تلك
 الثانية الأيام عصمه الله من فتنة الدجال ومن قرأ الآية التي في آخرها قل إنما أنا بشر مثلكم الآية حين يأخذ
 مضجعه كان له في مضجعه نور يتلأل إلى الكعبة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم من مضجعه فإن كان
 في مكة فتلاها كان له نوراً يتلأل إلى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ .
 سمرة بن جندب عن النبي ﷺ قال من قرأ عشر آيات من سورة الكهف حفظاً لم تضره فتنة الدجال ومن
 قرأ السورة كلها دخل الجنة وعن النبي ﷺ قال الا أدلكم على سورة شيعها سبعون الف ملك حين نزلت
 ملأت عظمها ما بين السماء والأرض قالوا على قال سورة أصحاب الكهف من قرأها يوم الجمعة غفر الله له إلى
 الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام واعطي نوراً يبلغ السماء ووفي فتنة الدجال وروى الواقدي بإسناده عن أبي
 الدرداء عن النبي ﷺ قال من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف ثم أدركه الدجال لم يضره ومن حفظ
 خواتم سورة الكهف كانت له نوراً يوم القيامة وروى أيضاً بالاسناد عن سعيد بن محمد الجزمي عن ابيه عن
 جده عن النبي ﷺ قال من قرأ الكهف يوم الجمعة فهو معصوم إلى ستة أيام من كل فتنة تكون فإن خرج
 الدجال عصم منه وروى العياشي بإسناده عن الحسن بن علي بن أبي حمزة عن ابيه عن أبي عبد الله «ع» قال
 من قرأ سورة الكهف في كل ليلة جمعة لم يمت إلا شهيداً وبثه الله مع الشهداء ووقف يوم القيامة مع الشهداء

* تفسيرها *

ختم الله سبحانه سورة بني اسرائيل بالتحميد والتوحيد وذكر النبي ﷺ والقرآن وافتتح سورة الكهف
 أيضاً بالتحميد والتوحيد وذكر القرآن والنبي ﷺ ليتصل أول هذه بأخر تلك اتصال الجنس بالجنس فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ
عِوَجًا (٢) قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ
أَجْرًا حَسَنًا (٣) مَا كَثُرْنَ فِيهِ أَبَدًا (٤) وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٥) مَا لَهُمْ
بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِيَأْتِيَهُمْ كِبْرُتَ كَلِمَةٍ تَخْرِجُهُمْ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٦) فَلَمَلَكْ
بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ست آيات

✽ القراءة ✽

قرأ أبو بكر برواية يحيى من لدنه باشام الدال الضم وكسر الهاء والتون وقرأ الباقون بضم الدال وسكون
التون وفي الشواذ كبرت كلمة يرفع كلمة قرأه يحيى بن يعمر والحسن وابن المحيصن وابن أبي اسحاق والثقفى
والاعرج بخلاف وعمرو بن عبيد

— الحجة —

قال ابو علي في لدن ثلاث لغات لدن مثل سبع ويخفف الدال ويكون على ضربين ✽ أحدهما ✽ ان يحذف
الضمة من الدال فيقال لدن ✽ والآخر ✽ ان يحذف الضمة من الدال ويثقل إلى اللام فيقال لدن مثل
عضد في عضد وفي كلا الوجهين يجتمع في الكلمة ساكنان فمن قرأ من لدنه بكسر التون فإن الكسرة فيه
ليست كسرة اعراب وإنما هي كسرة لالتقاء الساكنين وذلك ان الدال اسكنت كما اسكنت الباء في سبع والتون
ساكنة فالتقى الساكنان فكسر الثاني منهما فأما اشتمام الدال الضمة فليعلم ان الأصل كان في الكلمة الضمة
ومثل ذلك قولهم أنت تغرين وقولهم قيل اشمت الكسرة فيهما الضمة ليدل على ان الاصل فيهما التحريك بالضم
وان كان الاشمام في لدنه ليس في حركة خرجت إلى اللفظة وإنما هو بهيئة العضو لا إخراج الضمة وأما الجار
في قوله من لدنه فيحتمل ضربين ✽ احدهما ✽ ان يكون صفة متعلقا بشديد ✽ والآخر ✽ ان يكون صفة
للتكسرة وفيها ذكر للموصوف

✽ اللمة ✽

الموج بالفتح فبا يرى كالفناة والغشبة وبالكسر فبا لا يرى شخصا قائما كالدين والكلام والقيم والمستقيم
والباع القائل المهلك يقال بضم نفسه بضمها بخما وبخوعا قال ذو الرمة

ألا أي هذا الباع الوجد نفسه لشيء نحتت عن يديه المقادر

يريد نحتت فخفف والأسف المبالغة في الحزن والغضب يقال أسف الرجل فهو اسف واسيف قال الاعشى

ترى رجلا منهم أسيفا كأنه يضم إلى كسحيه كفا مخضبا

فبا نصب على الحال من الكتاب والعامل فيه انزل وقوله ان لهم أجرا تقديره بأن لهم أجرا فحذف الجار
وما كثرين نصب على الحال في معنى خالد بن وقوله كبرت كلمة اختلفت في نصب كلمة فقال السراج انتصب على
تفسير المضمر على حد قولهم نعم رجلا زيد والتقدير على هذا كبرت الكلمة كلمة ثم حذف الأول لدلالة الثاني عليه
ومثله كرم رجلا زيد وقدم صاحبنا عمرو ويكون المخصوص بالتكبير هذه المسألة محذوفا لدلالة صفة عليه
والتقدير كلمة تخرج من أفواههم أي كلمة خارجة من أفواههم فيكون مرفوعا على وجهين ✽ احدهما ✽ ان
يكون مبتدأ وما قبلها الخبر ✽ والآخر ✽ ان يكون خبر مبتدأ محذوف وتقديره هي كلمة تخرج وقيل انتصب

كلمة على التمييز المنقول عن الفاعل على حد قولك نصيبت عرفا وتفقات شجرا والأصل كبرت كبتهم الخارجة من افواههم قال الشاعر

ولقد علمت اذا للرياح تناوحت هدى الريال تكبهن شيلا

اي تكبهن الرياح شيلا ومن قرأ كبرت كلمة فإنه جعل كلمة فاعل كبرت وجعل قولهم اتخذ الله ولدا كلمة كما قالوا للقصيدة كلمة وعلى هذا فيكون قوله تخرج من افواههم في موضع رفع بكونه صفة لكلمة ولا يجوز أن يكون وصفا لكلمة الظاهرة المنصوبة لأن الوصف بقرب النكرة من المعرفة والتشبيها لا يكون معرفة اليانة ولا يجوز أن يكون في موضع نصب على الحال من كلمة المنصوبة لوجهين أحدهما أن الحال يقوم مقام الوصف والثاني أن الحال لا يكون من نكرة في غالب الأمر واسفا منصوب بأنه مصدر وضع موضع الحال ولو كان في غير القرآن لجاز أن لم يؤمنوا بالفتح كما في قول الشاعر

اتجزع ان بان الخليلط المودع وحبل الصفا من عزة المتقطع

- المعنى -

(الحمد لله يقول الله سبحانه خلقه قولوا كل الحمد والشكر لله (الذي أنزل على عبده) محمد ﷺ (الكتاب) أي القرآن وانجبه من خلقه وخصه برسائله فبعثه نبيا رسولا (ولم يجعل له عوجا قيبا) فيه تقديم وتأخير وتقديره الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قيبا ولم يجعل له عوجا وعنى بقوله قيبا معتدلا مستقيما مستويا لا تناقض فيه عن ابن عباس وقيل قيبا على سائر الكتب المتقدمة بصدقها ويحفظها وينفي البطل عنها وهو ناسخ لشرائعها عن الفراء وقيل قيبا لامور الدين يلزم الرجوع اليه فيها فهو كقيم الدار الذي يرجع اليه في امرها عن النبي وسلم وقيل قيادا دائما بدوم ويثبت الى يوم القيامة لا ينسخ عن الأصم ولم يجعل له عوجا اي لم يجعله ملتبسا لا يفهم ومعوجا لا يستقيم وهو معنى قول ابن عباس وقيل لم يجعل فيه اختلافا كما قال عز وجل اسمه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا عن الزجاج ومعنى العوج في الكلام ان يخرج من الصحة إلى الفساد ومن الحق إلى الباطل ومما فيه فائدة إلى ما لا فائدة فيه ثم بين سبحانه الغرض في ازاله فقال (لينذر بأسا شديدا من لدنه) ومعناه ليخوف العبد الذي أنزل عليه الكتاب الناس عذابا شديدا ونكالا وسطوة من عند الله تعالى ان لم يؤمنوا به (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا) معناه وليبشر المصدقين بالله ورسوله الذين يعملون الطاعات بعد الإيمان ان لهم ثوابا حسنا في الآخرة على إيمانهم وطاعتهم في الدنيا وذلك الثواب هو الجنة (ما كسبن فيه ابدا) اي لا يبين في ذلك الثواب خالدين مؤبدين لا ينتقلون عنه (ويذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا) اي وليحذر الكفار الذين قالوا الملائكة بنات الله وهم قريش عن الحسن ومحمد بن اسحاق وقيل هم اليهود والنصارى عن السدي والكبي فعم جميع الكفار بالانذار في الآية الاولى وخص في هذه الآية القائلين بهذه المقالة منهم لتقليدهم الآباء في ذلك ولا يصرارهم على الجهل وقلة التفكير ولصددهم الناس عن الدين (ما لهم به من علم ولا بآتهم) اي ليس لهم ولا القائلين بهذا القول الشيع علم به ولا لاسلافهم الذين مضوا قبلهم على مثل ما هم عليه اليوم وإنما يقولون ذلك عن جهل وتقليد من غير حجة وقيل معناه ليس لهم بالله من علم ولا بآتهم (كبرت كلمة تخرج من افواههم) اي عظمت الكلمة كلمة تخرج من افواه هؤلاء الكفار ووصف الكلمة بالخروج من الافواه توسعا وبجازا وإن كانت الكلمة عرضا لا يجوز عليها الدخول والخروج ولا الحركة والسكون ولكن لما كانت الكلمة قد تحفظ وثبت وتوجد مكتوبة ومقروءة في غير الموضوع الذي فعلت فيه وصفها بالخروج وذكر الافواه تأكيداً والمعنى انهم صرحوا بهذه الكلمة العظيمة في التبع واظهروها (ان يقولون الا كذبا) اي ما يقول هؤلاء الا كذبا واقترأ على الله (فلملك) يا محمد (باخع

نفسك على آثارهم) اي مهلك وقاتل نفسك على آثار قومك الذين قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ثم ادرا منهم على ربهم (إن لم يؤمنوا) اي ان لم يصدقوا (بهذا الحديث) اي بهذا القرآن الذي اتول عليك (اسفا) اي حزنا وتلها ووجدا بلودبارهم عنك واعراضهم عن قبول ما آتيتهم به وقيل على آثارهم اي بعد موتهم لشدة شفقتك عليهم وقيل معناه من بعد توليهم واعراضهم عنك وقيل اسفا اي غيظا وغضبا عن ابن عباس وقناعة وهذه معاتبه من الله سبحانه لرسوله على شدة وجده وكثرة حرصه على إيمان قومه حتى بلغ ذلك به مبلغا يقربه إلى الملاك

قوله تعالى (٧) إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا (٨) وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا آيات

(- اللفظة -)

الصعيد ظهر الأرض وقال الزجاج الصعيد الطريق الذي لا نبات به والجرز الأرض التي لا تثبت كأنها تأكل التثب اكليا يقال أرض جرز وارضون اجراز وقال سيوريه يقال جرزت الأرض فهي مجرزة وجرزها الجراز والنعم ويقال للسنة المجذبة للجرز لجدوبها ويديها وقلة امطارها قال الرازي « قد جرفت من السنون الأجرز » ويقال اجرز القوم إذا صارت ارضهم جرزا وجرزهم ارضهم إذا اكلوا نباتها كله

✽ الاعراب ✽

ايهم مرفوع بالابتداء لأن لفظه لفظ الاستفهام والاستفهام له صدر الكلام اي لنتخير ام هذا احسن علام هذا وهو تعليق لما في الحكمة من معنى العلم

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه انه ابتداء خلقه بالنعم وان اليه مصير الامم فقال (إنا جعلنا ما على الأرض) من الأنهار والأشجار وانواع المخلوقات من الجماد والحيوان والنبات (زينة) لها اي حلية للأرض ولاهها (لنبلوهم ايهم احسن عملا) اي لنختبرهم ونمتحنهم والمعنى لتعامل عبادنا معاملة المبتلى وقد سبق ذكر امثاله والاحسن عملا الأعمل بطاعة الله والاطوع له وقيل ان معنى الابتلاء الامر والنهي لأن بهما يظهر المطيع من العاصي وقيل اراد بالزينة الرجال لأنهم زينة الأرض وقيل اراد الانبياء والعلماء (وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا) معنا. وانا مخربون الأرض بعد عمارتها وجاعلون ما عليها مستويا من الأرض يابسا لا نبات عليه وقيل بلاقع عن مجاهد وفي قوله ايهم احسن عملا دلالة على انه سبحانه اراد من الخلق العمل الصالح وعلى ان افعالهم الصادرة منهم حادثة من جهتهم ولولا ذلك لما صح الابتلاء وفي ذلك بطلان قول اهل الجبر

قوله تعالى (٩) أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا (١٠) إذ أوحى الفينة إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيبنا لنا من أمرنا رشدا (١١) فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا (١٢) ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا أربع آيات

✽ اللفظة ✽

الكهف المغارة في الجبل الا انه واسم فإذا صغر فهو غار والرقيم اصله من الرقم وهو الكتابة يقال رقيمت

الكتاب ارقمه فهو فعيل بمعنى مفعول كالجربح والقتيل ومنه الرقم في الثوب لأنه خط يعرف به ثمنه والارقم الحية المنقشة لما فيه من الخطوط وتقول العرب عليك بالرقمة ودع الضفة اي عليك برقمة الوادي حيث الماء ودع الجانب والاولى الرجوع والفتية جمع فتى وفتلة من اسماو الجمع وليس بنا يقاس عليه يقال صبي وصبية وغلان وغلمة ولا يقال غني وغنية لأنه غير مطرد في باب الضرب معروف ومعنى ضربنا على اذانهم سلطنا عليهم النوم وهو من الكلام البالغ في الفصاحة يقال ضربه الله بالفالج اذا ابتلاه الله به قال قطرب هو كقول العرب ضرب الامير على يد فلان اذا منعه من التصرف قال الأسود بن يعفر وكان ضربا

ومن الحوادث لا ابالك انني
والحزب الجماعة والامد الغاية قال النابغة

الا لمثلك او من انت سابقه
سبق الجواد إذا استولى على الامد

(الاعراب) -

سنتين نصب على الظرف ومددا منصوب على ضربين ﴿ احدهما ﴾ على المصدر المعنى تعد عددا ويجوز ان يكون تعنا لسنتين . المعنى سنتين ذات عدد قال الزجاج والفائدة في قولك عدد في الأشياء المعدودات انك تريد توكيد كثرة الشيء لأنه إذا قل فهم مقداره ومقدار عدده فلم يحتاج إلى ان يعد فالعدد في قولك أقمتم اياما عددا انك تريد بها الكثرة وجائز ان يؤكد بعدد معنى الجماعة في انها قد خرجت من معنى الواحد قال واما منصوب على نوعين ﴿ احدهما ﴾ التمييز ﴿ والآخر ﴾ على احصى امدا فيكون العامل فيه احصى كأنه قال لنعلم أهؤلاء . احصى الأمد أمر هؤلاء ويكون منصوبا بلبثوا ويكون احصى متعلقا بلما فيكون المعنى أي الحزبين احصى للبهتم في الأمد قال أبو علي ان انتصابه على التمييز عندي غير مستقيم وذلك لأنه لا يخلو من ان يحمل احصى على ان يكون فعلا ماضيا أو أفعل نحو أحسن واعلم فلا يجوز ان يكون احصى بمعنى أفعل من كذا وغير مثال للماضي من وجهين ﴿ احدهما ﴾ انه يقال احصى يحصي وفي التثنية احصاه الله ونسوه وأفعل يفعل لا يقال فيه هو افعل من كذا وأما قولهم ما أولاء بالحير وما اعطاء الدرهم فمن الشاذ النادر الذي حكمه ان يحفظ ولا يقاس عليه ﴿ والآخر ﴾ ان ما ينتصب على التمييز في نحو قولهم هو اكثر مالا واعز علما يكون في الماضي فاعلا ألا ترى ان المال هو الذي كثر والعلم هو الذي عز وليس ما في الآية كذلك ألا ترى ان الأمد ليس هو الذي احصى فهو خارج عن حد هذه الأسماء وإذا كان ماضيا كان المعنى لنعلم اي الحزبين احصى أمدا للبهتم فيكون الأمد على هذا منتصبا بأنه مفعول به والعامل فيه احصى

﴿ النزول ﴾

محمد بن اسحق باسناده عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس ان النضر بن الحرث بن كادة وعقبة بن ابي ميعط انفذهما قريش . إلى اجار اليهود بالمدينة وقالوا لها سلامه عن محمد وصفا لهم صفته وخبراهم بقوله فانهم اهل الكتاب الأول وعندهم من علم الانبياء ما ليس عندنا فخرجنا حتى قدما المدينة فسألا اجار اليهود من النبي ﷺ وقالاهم ما قالت قريش فقال لها اجار اليهود اسأله عن ثلاث فان اخبركم بهن فهو نبي مرسل وان لم يفعل فهو رجل متقول ففروا فيه رأيكم سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم فانهم قد كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض ومقاربها ما كان نبوه وسلوه عن الروح ما هو وفي رواية أخرى فان اخبركم عن الثنتين ولم يخبركم بالروح فهو نبي فانصرفا إلى مكة فقالا يا معاشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد وقصا عليهم القصة فجازوا إلى النبي ﷺ فسأله فقال اخبركم بما - أتمت عن غدا ولم يستثن فانصرفوا عنه فمكث ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله اليه في ذلك وجيا

ولا يأتيه جبرائيل حتى ارجف اهل مكة وتكلموا في ذلك فشق على رسول الله ﷺ ما يتكلم به اهل مكة عليه ثم جاءه جبرائيل (ع) عن الله سبحانه بسورة الكهف وفيها ما سأله عنه عن امر الغيبة والرجل الطواف وانزل عليه ويسألونك عن الروح الآية قال ابن اسحق فذكر لي ان رسول الله ﷺ قال لجبرائيل حين جاءه لقد احببت عني يا جبرائيل فقال له جبرائيل (ع) وما تنتزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا الآية

(- المعنى -)

(أم حسبت) معناه بل احسبت يا محمد (ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) فلخلق السموات والأرض اعجب من هذا عن مجاهد وقتادة ويحتمل انه لما استبطأ الجواب حين سأله عن القصة قيل له احسبت ان هذا شيء عجيب حرصا على ايمانهم حتى قروي طعمك انك إذا اخبرتهم به آمنوا والمراد بالكهف كهف الجبل الذي اوى اليه القوم الذين قص الله اخبارهم واختلف في معنى الرقيم فقيل انه اسم الرادي الذي كان فيه الكهف عن ابن عباس والضحاك وقيل الكهف غار في الجبل والرقيم الجبل نفسه عن الحسن وقيل الرقيم القرية التي خرج منها اصحاب الكهف عن كعب والسدي وقيل هو لوح من حجارة كتبوا فيه قصة اصحاب الكهف ثم وضعوه على باب الكهف عن سعيد بن جبير واختاره البلخي والجبائي وقيل جعل ذلك اللوح في خزائن الملوك لأنه من عجائب الأمور وقيل الرقيم كتاب ولذلك الكتاب خبر فلم يخبر الله تعالى بما فيه عن ابن زيد وقيل ان اصحاب الرقيم هم النفر الثلاثة الذين دخلوا في غار فانسد عليهم فقالوا ايدعوا الله تعالى كل واحد منا بعمله حتى يفرج الله عنا ففعلوا فنجاهم الله ورواه النعمان بن بشير مرفوعا (إذ اوى الغيبة إلى الكهف) اي اذ ذكر لقومك اذ التجأ أولئك الشبان إلى الكهف وجعلوه مأواهم هربا بدينهم إلى الله (فقالوا) حين اواوا اليه (ربنا آتانا من لذك رحمة) أي نعمة ننجو بها من قومنا وفرج عنا ما نزل بنا (وهي) لنا من أمرنا رشدا) اي هي واصلح لنا من أمرنا ما نصيب به الرشد وقيل هي لنا مخرجنا من العار في سلامة عن ابن عباس وقيل معناه دلنا على امر فيه نجاتنا لأن الرشد والنجاة بمعنى وقيل يسر لنا من أمرنا ما نلتبس به رضاك وهو الرشد وقللوا هزل الغيبة قوم آمنوا بالله تعالى وكانوا يخفون الاسلام خوفا من ملكهم وكان اسم الملك دقيانوس واسم مدينتهم انسوس وكان ملكهم يعبد الأصنام ويدعو اليها ويقتل من خالفه وقيل انه كان مجوسيا يدعو إلى دين المجوس والغيبة كانوا على دين المسيح لما برح اهل الانجيل وقيل كانوا من خراس الملك وكان يسر كل واحد منهم إيمانه عن صاحبه ثم اتفق أنهم اجتمعوا واطهروا أمرهم فأدوا إلى الكهف عن عبيد بن عمير وقيل أنهم كانوا قبل بعث عيسى (ع) (فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا) معناه أغمناهم سنين ذات عدد وتأويله فأجبت دعاءهم وسددنا آذانهم بالنوم الغالب على نفوذ الأصوات اليها سنين كثيرة لأن النائم اذا يتبته بهام الصوت ودل سبحانه بذلك على أنهم لم يموتوا وكانوا نياما في امن وراحة وجمام نفس وهذا من فصيح لغات القرآن التي لا يمكن ان يترجم بمعنى يوافق اللفظ (ثم بشناهم) أي ايقظناهم من نومهم (لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا) اي ليظهر معلومنا على ما علمناه وذكرنا الوجه في امثاله فيا سبق والمعنى لتتظروا اي الحزبين من المؤمنين والكافرين من قوم اصحاب الكهف عد امدلثهم وعلم ذلك وكأنه وقع بينهم تنازع في مدة لبثهم في الكهف بعد خروجهم من بيوتهم فبعثهم الله ليبين ذلك ويظهر وقيل يعني بالحزبين اصحاب الكهف لما استيقظوا اختلفوا في تعداد لبثهم وذلك قوله وكذلك بشناهم ليتساءلوا بينهم الآية

﴿ النظم ﴾

اتصل قوله أم حسبت ان اصحاب الكهف الآية بما قبها من وجوه ﴿ احدها ﴾ انه لما اخبر عن زينة الارض وعن الابتلاء عقبه بذكر الغيبة التي تركت زينة الدنيا واختارت طاعة الله وفارقت ديارها وامرأها حثا

على الاقتداء بهم ﴿والآخر﴾ أنه اتصل بقوله فعلك باخع نفسك على آثارهم أي فلا تأسف عليهم لأنه لا يضرك كفرك والله ناصرك وحافظك من أعدائك كما حفظ أصحاب الكهف ﴿والثالث﴾ أنه اتصل بقوله ويهيئ للمؤمنين أي وينصرهم كما نصر أصحاب الكهف

قوله تعالى (١٣) نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى (١٤) وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض إن ندعوا من دونه إلهاً لقد قلنا إذا شططاً (١٥) هو لا أقومنا اتخذوا من دونه إلهة لولا يأتون عليهم سلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً (١٦) وإذ اعتزلتموه وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا أربع آيات

﴿القراءة﴾

قرأ أهل المدينة وابن عامر والأشعث والبرجمي عن أبي بكر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء والباقون مرفقا بكسر الميم وفتح الفاء.

﴿الحجة﴾

قال الزجاج وذكر قطرب وغيره اللتين جميعاً في مرفق الأمر ومرفق اليد ومرفق اليد بالكسر أجود قال أبو الحسن مرفقا أي شيئاً يوتقون به مثل المقطع ونحوه ومرفقا جملة اسماء مثل المسجد أو يكون لغة قال أبو علي قوله جملة اسماء أي جعل المرفق اسماً ولم يجعله اسم المكان ولا المصدر من رفق يرفق كما أن المسجد ليس باسم الموضع من سجد يسجد وقوله أو يكون لغة أو يجعله في اسم المصدر كما جاء المطلق ونحوه ولو كان على القياس لفتح اللام

— اللفظة —

الشطط الخروج عن الحد بالغلو فيه واصله مجاوزة الحد في البعد وشطت الحارية تشط شططا وشطاطة إذا جاوزت الحد في الطول واشط في السوم إذا جاوز القدر بالغلو فيه والاعتزال التنحي عن الأمر والتعزل بمناء قال

يا بيت عاتكة التي اتعزل حذر العدى وبه الفودا مو كل

وسمي عمرو بن عبيد وأصحابه معتزلة لما اعتزلوا حلقة الحسن

﴿الإعراب﴾

كسر إنهم فتية على الاستئناف إذ قاموا يتعلق بربطنا أي في الوقت الذي قاموا فيه وشططا منصوب على المصدر المعنى لقد قلنا قولاً شططاً وما يعبدون في موضع نصب عطفاً على الماء والميم في اعتزلتموه والمراد الأصنام التي يعبدونها من دون الله ويجوز أن تكون ما مصدرية أي ومبادتهم الإعبادة الله فحذف المضاف والاستثناء على هذا من الماء والميم وإن جعلت ما موصولة كان الاستثناء من مفعول يعبدون استثناءً منقطعاً

﴿المعنى﴾

ثم بين سبحانه قصة أصحاب الكهف فقال (نحن نقص عليك) أي نتلو عليك يا محمد (نبأهم) أي خبرهم (بالحق) أي بالصدق والصحة (إنهم فتية) أي أحداث وشباب (آمنوا بربهم وزدناهم هدى) أي بصيرة في الدين ورغبة في الثبات عليه بالأطراف المقوية لدواعيهم إلى الإيمان وحكم لهم سبحانه بالفتوة لأن رأس الفتوة الإيمان وقيل الفتوة بذل الندي وترك الأذى وترك الشكوى عن مجاهد وقيل هي اجتناب المحارم واستعمال المكرمات

(وربطنا على قلوبهم) أي شددنا عليها بالاعطاف والحواطر المقوية للإيمان حتى وطنوا أنفسهم على اظهار الحق والثبات على الدين والصبر على المشاق ومفارقة الوطن (إذ قاموا) أي حين قاموا بين يدي ملكهم الجبار قتيانوس الذي كان يفتن أهل الإيمان من دينهم (فقالوا) بين يديه (ربنا رب السموات والارض) أي ربنا الذي نعبده خالق السموات والارض (ان ندعو من دونه إلها) أي لن نعبد إلها سواه معه (لقد قلنا إذا شططا) معناه ان دعونا مع الله إلها آخر فقلنا قلنا إذا تجاوزا للحق غاية في البطلان (هو لاء قومنا) أي أهل بلدنا (اتخذوا من دونه) أي من دون الله (آلهة) يعبدونها (لولا يأتون عليهم بسلفان بين) أي هلا يأتون على عبادتهم غير الله بحجة ظاهرة وفي هذا ضم زجر للتقليد وإشارة إلى انه لا يجوز ان يقبل دين إلا بحجة واضحة (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا) فزعم ان له شريكا في العبادة (وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله) قال ابن عباس وهذا من قول تليخا وهو رئيس اصحاب الكهف قال لهم فإذا فارقتموهم وتنجيتهم عنهم جانباً يعني عبدة الأصنام وفارقتهم ما يعبدون أي اصنامهم إلا الله فانكم لن تتركوا عبادته وذلك ان اولئك كانوا يشركون بالله ويجوز انه كان فيهم من يعبد الله مع عبادة الأصنام فقال إذا اعتزلتم الأصنام ولم تعتزلوا الله ولا عبادته فيكون الاستثناء متصلاً ويجوز ان يكون جميعهم كانوا يعبدون الأوثان من دون الله فيكون الاستثناء منقطعاً (فأوروا إلى الكهف) أي صيروا اليه واجعلوه مأواكم (ينشر لكم ربكم من رحمته) أي ييسط عليكم ربكم من نعمته (ويهيئ لكم من امركم مرفقا) أي ويسهل عليكم ما تخافون من الملك وظلمه ويأتيكم باليسر والرفق والالطف عن ابن عباس وكما ارتفعت فهو مرفق وقيل معناه ويصلح لكم من امر معاشكم ما ترتفقون به وفي هذا دلالة على عظم منزلة الهجرة في الدين وعلى قبح المقام في دار الكفر إذا كان لا يمكن المقام فيها إلا باظهار كلمة الكفر وبالله التوفيق

قوله تعالى (١٧) وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرُّصُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لِيَهْدِيَ اللَّهُ قَوْمَ الْكٰفِرِينَ وَمَنْ يَضِلِّ فَلَنْ يُجِدَ لَهُ وِلِيًّا مَرشِدًا (١٨) وَتَحْسَبُهُمْ آيَةً ظَالِمًا وَهُمْ رُفُودٌ وَتَقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلَّيْتَ مِنْهُمْ رُعبًا آيَات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر ويعقوب تزور بتشديد الزاي وقرأ أهل الكوفة تزاور بالتخفيف والباقون تزاور بتشديد الزاي وقرأ أهل الحجاز ملئت بالتشديد والباقون بالتخفيف وفي الشواذ قراءة الجعدي تزور وقراءة الحسن وتقلبهم بفتح التاء والقاف والياء. وضم اللام

— (الحجة) —

من قرأ تزاور فإنه تتزاور فادغم التاء في الزاي ومن قرأ تزاور حذف الثانية وخفف الكلمة بالحذف كما حذف أو تلك بالادغام ومن قرأ تزور فقد قال ابو الحسن لا معنى له في هذا الموضع إنما يقال هو مزور غني أي منقبض غني يدل عليه قول عنزة

وشكا إلي بعبرة وتمحجم

فازور من وقع القنا بلبانه

قال ابو علي والذي حسن القراءة به قول جرير

عسفن عن الاداعس من مهيل وفي الاضعان عن طلح ازورار

فظاهر استعمال هذا في الاظمان مثل استعماله في الشمس وتزاور على وزن تفاعل وتزوار على وزن تفعال من الازويرار وقوله لملت منهم بالشديد للتكثير قال ابو الحسن الحقيفة أجود لا يكادون يقولون ملاً مني رعباً وانما يقولون ملاً مني رعباً قال ابو علي يدل على قول ابي الحسن قول امرئ القيس « فملاً بيتنا القفاوسمنا » وقول الامشي « وقد ملت بكر ومن لف لها » وانشدوا في التثنية قول المخبل السعدي « فملاً من كعب بن عرف سلسله » ومن قرأ وتقلبهم فإنه نصبه بفعل مضمر دل عليه ما قبله فكأنه قال وترى أو تشاهد تقلبهم

اللغة

القرض القطع يقال قرضت الموضع إذا قطعته وجاوزته قال الكسائي هو المجازاة يقال قرضني فلان يقرضني وجزاني يجزوني بمعنى قال ذو الرمة

الى ظعن يقرضن اجواز مشرف شمالاً وعن ايمانهم الفوارس

ويستعمل القرض في اشياء غير هذا منه القطع للشرب وغيره ومنه المقرض ومنه قرض الفأر قال ابو الدرداء « ان قارضتهم قارضوك وان تركتهم لم يتركوك » يعني ان طلعت فيهم وعبتهم فعلوا بك مثله وان تركتهم من ذلك لم يتركوك والقراض بلفظ الحجاز المضاربة والقرض هو قول الشعر القصيدة منه خاصة دون الرجز ومنه قيل للشعر القريض قال الاغلب العجلي « أرجزاً تريد أم قريضاً » والفجوة المتسع من الارض وجمعه فجوات وفجاء ممدود وفجوة الدار ساحتها والابقاظ جمع يقظ ويقظان قال الراجز « ووجدوا اخرتهم ابقاظاً » والرقود جمع راقد وراقدي قد رقادا وراقودا والوصيد من اوصدت الباب اي اغلقتها وجمعه وصائد ويقال وصيد واصيد واوصدت واصدت مثل ورخت الكتاب وارخته ووكدت الأمر واكدته

الاعراب

وترى الشمس الى قوله وهم في فجوة منه متعلق بالرؤية وقوله إذا طلعت وإذا غربت كلاهما مجزأ بهما في موضع المفعول الثاني والحال والجملة التي هي وهم في فجوة منه في موضع الحال وكليهما باسطة ذراعيه أعمل اسم الفاعل حيث نصب به ذراعيه وان كان بمعنى الماضي لأنه حكاية حال كما قال هذا من شيعته وهذا من عدوه وهذا يشار به إلى الحاضر ولم يكن المشار اليهما حاضرين حين قص القصة على النبي ﷺ ولكنه على تلك الحال قص القصة . فهو المهتمد كتب في المصحف هنا بغير ياء وفي الاعراف بالياء وحذف الياء جائز في الاسماء خاصة ولا يجوز في الافعال لأن حذف الياء في الفعل دليل الجزم وحذف الياء في الاسماء واقم إذا لم يكن الالف واللام نحو مهتمد فدخلت الالف واللام وترك الحرف على ما كان عليه ودلت الكسرة على الياء المحذوفة قال الزجاج لو اطلعت بكسر الواو ويجوز الضم والكسر اجود لأن الواو ساكنة والطاء ساكنة والالف ساكنة والساكنين الكسر وجاز الضم لأن الضم من جنس الواو ولكنه إذا كان بعد الساكن مضموم فالضم هناك احسن نحو او انقص قرى بالضم والكسر فرارا منصوب على المصدر لأن المعنى وليت فررت ورعباً منصوب على التمييز يقال امتلأت فرقا وامتلاً الاتاء ماء

المعنى

ثم بين سبحانه حالهم في الكهف فقال (وترى الشمس) اي لو رأيتها لرأيت (إذا طلعت ترأور عن كهفهم ذات اليمين) اي تبيل وقت طلوعها عن كهفهم الى جهة اليمين (وإذا غربت تقرضهم) اي تعدل عنهم وتتركهم (ذات الشمال) الى جهة الشمال شمال الكهف اي لا تدخل كهفهم وقيل تقرضهم اي تجاوزهم منحرفة عنهم عن ابن عباس (وهم في فجوة منه) اي في متسع من الكهف وقيل في فضاء منه عن قتادة وقيل كان متسعاً داخل

الكهف بحيث لا يراه من كان بيابه وينالهم نسيم الريح ثم اخبر سبحانه عن لطفه بهم وحفظه اياهم في مضجهم واختياره لهم اصلح المواضع لرقادهم فبرأهم مكانا من الكهف مستقبلا بنات النعش تيميل الشمس عنهم طالعة وغاربة كيلا يؤذيهم حرها او تغير ألوانهم او تبلي ثيابهم وهم في متسع ينالهم فيه روح الريح وكان باب الغار مقابل القطب الشمالي (ذلك من آيات الله) اي من ادلته وبرهانه (من يهدي الله فهو المهتد) مثل اصحاب الكهف (ومن يضل فلن تجد له وليا مرشدا) مثل قوم اصحاب الكهف (وتحسبهم ايقاظا) أي لو رأيتهم لحسبتهم متبهين (وهم رقود) اي نائمون في الحقيقة قال الجبائي وجماعة لأنهم مفتحو العيون يتنفسون كأنهم يريدون ان يتكلموا ولا يتكلمون وقيل انهم يتقلبون كما يتقلب اليقظان (وتقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) معناه وتقلبهم تارة عن اليمين إلى الشمال وتارة عن الشمال إلى اليمين كما يتقلب النائم لأنهم لو لم يتقلبوا لاكلتهم الارض ولبليت ثيابهم لطول مكثهم على جانب واحد وقيل كانوا يقبلون كل عام تقلبتين عن ابي هريرة وقيل كان تقلبهم كل عام مرة عن ابن عباس وقوله (وكلبهم) قال ابن عباس واكثر المفسرين انهم هربوا من ملكهم ليلا فمروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم وتبعه كلبه وقيل انهم مروا بكلب فتبعهم فطرده ففاد ففعلوا ذلك مرارا فقال لهم الكلب ما تريدون مني لا تخشوا خيانتنا انا احب اولياء الله فناموا حتى احركهم عن كعب وقيل كان ذلك كلب صيدهم وقيل كان ذلك الكلب اصفر اللون عن مقاتل وقيل كان اثر واسمه قطير عن ابن عباس وفي تفسير الحسن ان ذلك الكلب مكث هناك ثلاثة مائة وتسع سنين بغير طعام ولا شراب ولا نوم ولا قيام (باسط ذراعيه) هو ان يلقبها على الأرض مبسوطتين كافتراش السبع (بالرصيد) اي بقنا الكهف عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل باباب وقيل بباب العجوة او فناء العجوة لا باب الكهف لأن الكفار خرجوا إلى باب الكهف في طلبهم ثم انصرفوا ولو رأوا الكلب على باب الغار لدخلوه وكذلك لو كان بالقرب من الباب ولما انصرفوا آيسين عنهم فلأنهم سدوا باب الغار بالحجارة فجاء رجل ماشيته إلى باب الغار وأخرج الحجارة واتخذ لماشيته كذا عند باب الغار وهم كانوا في فجوة من الغار عن الجبائي وقيل الرصيد عتبة الباب عن عطاء (لو اطلمت عليهم لوليت منهم فرارا) معناه لو اشرفت عليهم ورأيتهم في كهفهم على حالتهم لغررت عنهم وامرست عنهم هربا لاستيحاشك الموضع (ولمئذ منهم رعبا) اي والمئذ قلبك خوفا وفرعا وذلك ان الله منعهم بالرعب لئلا يصل اليهم احد حتى يبلغ الكتاب اجله فيهم وقيل كانوا في مكان موحش من رآه فزع ولا يتنعم ان الكفار لما أتوا باب الكهف فزعوا من وحشة المكان فسدوا باب الكهف ليهلكوا فيه وجعل سبحانه ذلك لطفنا لئلا ينالهم مكروه من سبع وغيره وليكونوا محروسين من كل سوء وقيل انهم كانت اظفارهم قد طالت وكذلك شعورهم ولذلك يأخذ الرعب منهم وهذا لا يصح لقوله تعالى حكاية عنهم ليشنا يوما او بعض يوم وروى سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال غزوت مع معاوية نحو الروم فمروا بالكهف الذي فيه اصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقات له ليس هذا لك فقد منع ذلك من هو خير منك قال الله تعالى لو اطلمت عليهم لوليت منهم فرارا ولمئذ منهم رعبا فقال معاوية لا انتهى حتى اعلم عليهم فبعث رجلا فلما دخلوا الكهف ارسل الله عليهم ريحا اخرجتهم

قوله تعالى (١٩) وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَبَاهَا أَرْزَقَ أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (٢٠) إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدَأَ آيَاتِنَا

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو عمرو وابو بكر وحمزة وخلف يورقكم ساكنة الراء والباقون بكسر الراء وروي عن ابي عمرو بإدغام الكاف في القاف وفي الشواذ قراءة ابي رجا يورقكم بكسر الواو والإدغام
— (الحجة) —

في ورقكم اربع لغات فتح الواو وكسر الراء وهو الأصل وفتح الواو وسكون الراء وكسر الواو وسكون الراء والإدغام قال ابن جنى هذا عند اصحابنا مخفي غير مدغم لكنه اخفى كسرة القاف فظنها القراء مدغمة ومعاذ الله لو كانت مدغمة لوجب نقل كسرة القاف إلى الراء كقولهم يرد وبرق وللقراء في هذا عادة ان يعبروا عن المخفي بالمدغم لطف ذلك عليهم

﴿ الاعراب ﴾

كم لبثتم تقديره كم يوما لبثتم فكم منصوبة بلبثتم والمبذ محذوف الا ترى ان جوابه لبثنا يوما او بعض يوم فلينظر ايها اذكى طعاما الجملة التي هي ايها اذكى مفعول فلينظر وطعاما تمييز

﴿ المعنى ﴾

(وكذلك بعثناهم) معناه وكما فعلنا بهم الامور العجيبة وحفظناهم تلك المدة المديدة بعثناهم من تلك الرقدة وحينئذ من تلك النوم التي اشبهت الموت (ليتساءلوا بينهم) اي ليكون بينهم تساؤل وتنازع واختلاف في مدة لبثهم فينبهوا بذلك على معرفة صانهم ويزدادوا يقينا الى يقينهم (قال قائل منهم كم لبثتم) في نومكم (قالوا لبثنا يوما او بعض يوم) قال المنسرون انهم دخلوا الكهف غدوة وبعثهم الله في آخر النهار فلذلك قالوا يوما فلما رأوا الشمس قالوا او بعض يوم وكان قد بقيت من النهار بقية (قالوا ربكم اعلم بما لبثتم) وهذا القائل هو تلميذا رئيسهم عن ابن عباس رد علم ذلك إلى الله تعالى (فابشوا احدكم بورقكم هذه) والورق الدرهم وكان معهم دراهم عليها صورة الملك الذي كان في زمانهم عن ابن عباس (إلى المدينة) يعني المدينة التي خرجوا منها (فلينظر ايها اذكى طعاما) اي اطهر واحل ذبيحة عن ابن عباس قال لأن عامتهم كانت مجوسا وفيهم قوم مؤمنون يخفون ايمانهم وقيل اطيب طعاما عن الكلبي وقيل اكثر طعاما من قولهم زكى المال إذا زاد عن عكرمة وذلك لأن خير الطعام إنما يوجد عند من كثر طعامه وقيل كان من طعام اهل المدينة ما لا يستحلها صاحب الكهف (فليأتكم يرزق منه) اي فليأتكم بما ترزقون اكله (وليتلف) اي وليدقق النظر وينجمل حتى لا يطلع عليه وقيل وليتلف في الشراء فلا يما كس البائع ولا ينازعه (ولا بشعرن بكم احدا) اي لا يخبرن بكم ولا يمكاننكم احدا من اهل المدينة (وانهم إن بظهوروا عليكم) اي بشرفوا ويطلعوا عليكم وبعلموا بمكانكم (يرجوكم) اي يقتلوكم بالرجم وهو من اخبث القتل عن الحسن وقيل معناه يودوكم ويشتموكم يقال رجمه بلسانه عن ابن جريج (او يعيدوكم في ملتهم) أي يردوكم إلى دينهم (ولن تغلحوا إذا ابدا) معناه ومتى فعلتم ذلك لن تفوزوا ابدا بشي من الخير ومتى قيل من اكره على الكفر فأظهره فإنه مفلح فكيف تصح الآية فالجواب يجوز أن يكون اراد يعيدوكم إلى دينهم بالاستدعاء دون الاكراه ويجوز أن يكون في ذلك الوقت كان لا يجوز التوبة في اظهار الكفر قوله تعالى (٢١) وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِبِعْمَاؤُنَّ أَنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمُ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا (٢٢) سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كُتِبَ عَلَيْهِمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كُتِبَ عَلَيْهِمْ رَجْمًا بِالْقَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كُتِبَ لَهُمُ الْقُرْآنُ مَجْزِيًّا أَعْلَمُ بِهِمْ مَا يَلْمِزُهُمْ

إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٢٣) وَلَا تَقُولَنَّ لِيْشَيْءٍ
إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٤) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَآذُكَرُ رَبِّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي
لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا أَرْبَعُ آيَاتٍ عَدِلَ فِي الْآخِرِ الْإِقْلِيلُ آيَةٌ وَتَرَكُ غَدًا وَعَدُ غَيْرُ الْآخِرِ غَدًا آيَةٌ
وَتَرَكُ الْإِقْلِيلُ

❖ اللفظة ❖

عثر على الشيء يعثر عثراً إذا اطلع عليه واعثرت عليه غيري والعائور حفرة تحفر ليصطاد به الاسد يقال للرجل
إذا تورط وقع في عاثور واصله من العثار والمراء الجدال ما ربت الرجل اماريه مراء

❖ الاعراب ❖

إذ يتنازعون يجوز أن يكون منصوباً بقوله اعثرنا أي اطلعنا عليهم في وقت المنازعة في امرهم ويجوز أن
يكون منصوباً بقوله ليعلموا وإنما دخلت الواو في قوله وتأمّنهم ولم يدخل في الأولين لأن هاهنا عطف جملة على
جملة وهناك وصف النكرة بجملة فإن التقدير هم سبعة وهم ثلاثة وثلاثة مرفوع بأنه خير مبتدأ محذوف ورابعهم
كلبهم وصف لثلاثة وكذلك سادسهم كلبهم صفة لخمسة وهذا قول علي بن عيسى قال وفرق ما بينهما ان السبعة
اصل للمبالغة في العدد لأن جلائل الامور سبعة وسبعة واقول قد وجدت لأبي علي الفارسي في هذا كلاماً
طويلاً سأخصه لك واهذبه فضل فهدب قال إن الجملتين اللتين احدهما بالآخرى وهي ان تكون غير اجنبية
منها على ضربين ﴿ احدهما ﴾ ان تعطف بحرف العطف والآخر ان توصل بها بغير حرف العطف فما يوصل
بها بما قبلها بغير حرف العطف من الجملة على اربعة اضرب ﴿ احدها ﴾ ان تكون صفة ﴿ والآخر ﴾ ان
تكون حالاً ﴿ والثالث ﴾ ان تكون تفسيراً ﴿ والرابع ﴾ ان لا تكون على احد هذه الأوجه الثلاثة
لكن يكون في الجملة الثانية ذكر مما في الاولى او يمن فيها فالأول نحو مرتت بوجوه قائم وبسلام يقوم
ولا وجه لادخال حرف العطف على هذا لأن الصفة تبين الموصوف وتخصه فلو عطفت خرجت بالعطف من ان
تكون صفة لان العطف ليس الثاني وهو المعلوم فيه بالأول وإنما بشرك الثاني في اعراب الأول والصفه هو الموصوف
في المعنى ﴿ واما ﴾ الثاني وهو ان تكون حالاً فلا يدخل حرف العطف عليه ايضاً لأن الحال مثل الصفة في
انها تفرق بين هيأتين او هيأت كما ان الصفة تفرق بين موصوفين او موصوفات وهي مثل المفعول في انها تكون بعد
كلام تام فكما لا يدخل الحرف العاطف بين الصفة والموصوف ولا بين المفعول وماعمل فيه كذلك لا يدخل بين الحال
وذي الحال والجمل الواقعة موقع الحال إما ان تكون من فعل وفاعل أو من مبتدأ وخبر نحو رأيت زيدا يضحك
وجاء زيد ابوه منطلق قال الشاعر

ولولا جنان الليل ما آب عامر إلى جعفر سر باله لم يميزق

﴿ واما ﴾ الثالث وهي الجملة التي تكون تفسيراً لما قبلها فنحو قوله وعد الله الذين آمنوا ثم قال لهم مقرة
واجر عظيم فالمقرة تفسير الوعد الذي وعدوا فأما قوله تعالى هل ادلكم على تجارة تنجيكم ثم قال تؤمنون بالله فتؤمنون
على لفظ الخبر ومعناه الامر بدلالة قوله بغير لك وحسن ان يكون الأمر على لفظ الخبر لوقوعه كالتفسير لما قبله
من ذكر التجارة وحكم التفسير أن يكون خيراً فلذلك حسن كون الأمر على لفظ الخبر هنا ﴿ واما ﴾ الرابع
الذي لا يكون اتصاله على الوجوه الثلاثة ويكون في الجملة الثانية ذكر مما في الاولى فإن هذا الوجه يتصل
بما قبله على وجهين ﴿ احدهما ﴾ بحرف عطف كما يتبع الأجنبية اباهما بحرف عطف وذلك نحو زيد ابوك

واخوه عمرو فهذه قد نزلت منزلة الأجنبية من الأولى في العطف بالواو ونحو قام زهد وخرج عمرو وزيد قائم وبكر خارج والآخر ان يتبع الثانية الأولى بغير حرف عطف كقوله سبحانه انهم كانوا قبل ذلك محسبين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ويقول في آية اخرى و كانوا يبصرون بالواو وقوله سيقولون ثلاثا رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم والدليل على هذا نوع آخر خارج عن الانواع الثلاثة ان قوله وثامنهم كلبهم بعد الجملة المحذوف مبتدأها لا يخلو من ان يكون حالا او صفة او تفسيرا او جملة منقطعة من الاول ولا يجوز ان يكون في موضع الحال لأن ما قبلها من الكلام لا معنى فعل فيه عاملا في الحال والحال لا بد لها من عامل فيها ولا يمكن ان يجعل المبتدأ المضمرة هذا وما اشبهه من اسما الاشارة فينصب الحال عنها لأن المخبر عنهم هاهنا ليسوا بشار اليهم في وقت الاخبار وانما المراد الاخبار عن عددهم ولو كانوا بحيث يشار اليهم لم يقع الاختلاف في عددهم ولا يجوز ان يكون تفسيرا لأن التفسير هو المفسر في المعنى ولا يجوز ان يكون شي من جزء الجملة التي هي رابعهم كلبهم شيئا من جزء الجملة التي هي م ثلاثة ولا يجوز أيضا ان يكون صفة للذكورة التي قبلها لأنه لا يخلو في الوصف من احد امرين اما ان يعمل اسم فاعل كما يعمل سائر اسما الفاعلين الجارية على افعالها فيرفع ما بعده به واما ان يجعل جملة في موضع وصف ولا يعمل اسم الفاعل عمل الفعل فيكون مبتدأ وخبرا ولا يجوز الاول لأنه في معنى الماضي والماضي لا يقدر فيه الاتصال وانما يقدر في الحاضر والآتي لأنه كما اعرب من الافعال المضارعة ما كان حاضرا وآتيا كذلك لم يعمل الماضي من اسما الفاعلين ولو لا المضي لم ينتع اعمال قوله رابعهم وسادسهم ولا تكون ايضا الجملة صفة لثلاثة كما توصف النكرات بالجل لأن هذه جملة مسانفة وليست على حد الصفة بل على حد ما بعدها من قوله وثامنهم كلبهم فحذفت الواو واستغني عنها اذا كانت انما تذكر لتدل على الاتصال وما في الجملة من ذكر ما في الأولى كأنه يستغني به عن ذكر الواو لأن الحرف يدل على اتصاله وما في الجملة من ذكر ما تقدمها اتصال ايضا فيستغني به ويكتفى بذلك منه وهذا فضل جامع في النحو جليل الموقع كثير الفائدة اذا تأمله المتأمل حق التأمل واحكمه اشرف به على كثير من المسائل إن شاء الله وأما من قال ان هذه الواو واو الثانية واستدل بقوله حتى إذا جاؤها وفتحت ابوابها لأن للجنة ثمانية ابواب فشي لا يعرفه التحويون

المعنى

(وكذلك أعتزنا عليهم) اي وكما اتناهم وبشئناهم اطعننا واعتزنا عليهم اهل المدينة وجملة امرهم وحالهم على ما قاله المفسرون انهم لما هربوا من ملكهم ودخلوا الكهف امر الملك ان يسد عليهم باب الكهف وبدعوهم كما هم في الكهف فيموتوا عطشا وجوعا وليكن كهفهم الذي اختاروه قبرا لهم وهو يظن انهم ابقاؤ ثم ان رجلين مؤمنين كتبيا شأن الفتية وانسابهم واسماهم وخبرهم في لوح من رصاص وجعلاه في تابوت من نحاس وجعل التابوت في البنيان الذي بنوا على باب الكهف وقال لعل الله يظهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة ليعلموا خبرهم حين يقرأون هذا الكتاب ثم انقرض اهل ذلك الزمان وخلفت بعدهم قرون وملوك كثيرة وملك اهل تلك البلاد رجل صالح يقال له ندليس وقيل بندوسيس عن محمد بن اسحاق وتغزب الناس في ملكه احزابا منهم من يؤمن بالله ويعلم ان الساعة حق ومنهم من يكذب فكبر ذلك على الملك الصالح وبكى إلى الله وتضرع وقال اي رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم بها ان البعث حق وان الساعة حق آية لا رب فيها فألقى الله في نفس رجل من اهل ذلك البلد الذي فيه الكهف ان يهدم البنيان الذي على فم الكهف فيبني به حظيرة لغنمه ففعل ذلك وبعث الله الفتية من نومهم فأرسلوا احدهم ليطلب لهم طعاما فاطلع الناس على امرهم وبعثوا إلى الملك الصالح يعلمونه الخبر ليعجل القدوم عليهم وينظر إلى آية من آيات الله جعلها

الله في ملكه خلا بلغه الخبر حمد الله وركب معه مدبنته حتى أتوا أهل الكهف فذلك قوله وكذلك اعثرنا عليهم (ليعلموا ان وعد الله) بالبعث والثواب والعقاب (حق وان الساعة لا ريب فيها) أي ان القيامة لا شك فيها فإن من قدر على ان ينجم جماعة تلك المدة المديدة أحياء ثم يوقفهم قدر أيضاً على ان يميتهم ثم يحييهم بعد ذلك (إذ يتنازعون بينهم أمرهم) أي فعلنا ذلك حين تنازعوا في البعث فمنهم من انكره ومنهم من قال يبعث الأرواح دون الأجسام ومنهم من أثبت البعث فيها وازاد الأمر اليهم لتنازعهم فيه كما يقال ما صنعتتم في أمركم عن عكرمة وقيل ان معناه إذ يتنازعون في قدر مكنتهم في الكهف وفي عددهم وفيما يفعل بهم بعد ان اطلعوا عليهم وذلك انه لما دخل الملك عليهم مع الناس وجعلوا يسألونهم سقطوا ميتين فقال الملك ان هذا الامر عجيب فأترون فاختلفوا فقال بعضهم ابوا عليهم بيتانا كما تنبى المقابر وقال بعضهم اتخذوا مسجداً على باب الكهف وهذا التنازع كان منهم بعد العلم بموتهم عن ابن عباس (فقالوا) اي قال مشركو ذلك الوقت (ابوا عليهم بيتانا) أي استروهم من الناس بأن تجعلوهم وراء ذلك البنيان كما يقال بنى عليه جداراً إذا حوطه وجعله وراء الجدار (ربهم أعلم بهم) معناه ربهم أعلم بحالهم فيما تنازعوا فيه وقيل انه قال ذلك بعضهم ومعناه ربهم أي خالقهم الذي أنامهم وبعثهم أعلم بحالهم وكيفية أمرهم وقيل معناه ربهم أعلم بهم أحياء نيام هم أم أموات فقد قيل انهم ماتوا وقيل انهم لا يموتون إلى يوم القيامة (قال الذين غلبوا على أمرهم) يعني الملك المؤمن واصحابه وقيل اولياء اصحاب الكهف من المؤمنين وقيل رؤساء البلد الذين استولوا على امرهم عن الجبائي (لتتخذن عليهم مسجداً) أي معبداً وموضعاً للعبادة والسجود يتمد الناس فيه ببركاتهم وذلك على ان الغلبة كانت للمؤمنين وقيل مسجداً يصلي فيه اصحاب الكهف إذا استيقظوا عن الحسنة وقد روي ايضا ان اصحاب الكهف لما دخل صاحبهم اليهم واخبرهم بما كانوا عنه غافلين من مدة مقامهم سألو الله تعالى أن يعيدهم إلى حالتهم الأولى فأعادهم اليها وحال بين من قدمه وبين الوصول اليهم بأن أضلهم عن الطريق إلى الكهف الذي كانوا فيه فلم يهتدوا اليه ثم بين سبحانه تنازعهم في عددهم فقال (سيقولون) أي سيقول قوم من المختلفين في عددهم (ثلاثة) اي هم ثلاثة (رابعهم كلبهم ويقولون) اي ويقول آخرون هم (خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب) اي فذفا بالظن من غير يقين عن قتادة (ويقولون) اي ويقول آخرون هم (سبعة وثامنهم كلبهم) وقيل ان هذا اخبار من الله تعالى بأنه سيقع نزاع في عددهم ثم وقع ذلك لما وفد نصارى نجران إلى النبي ﷺ فجرى ذكر اصحاب الكهف فقالت يعقوبية منهم كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقالت النسطورية كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم (قل) يا محمد (ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل) من الناس عن قتادة وقيل قليل من أهل الكتاب عن عطا وقال ابن عباس انا من ذلك القليل هم سبعة وثامنهم كلبهم والأظهر ان يكون عرف ذلك من جهة النبي ﷺ وروى الضحاك عن ابن عباس انه قال هم مكلمينا وتلميذا ومرطولس ونيونوس وسارينونوس ودرينونوس وكشوطينونوس وهو الراعي (فلا تمار فيهم) اي فلا تجادل الخائضين في عددهم وشأنهم (إلا مراة ظاهرا) فيه وجوه **احدها** ن معناه الا تجادلهم إلا بما اظهرنا لك من امرهم عن ابن عباس وفتادة ومجاهد أي لا تجادل إلا بحجة ودلالة واخبار من الله سبحانه وهو المراء الظاهر **وثانيها** ان المراد لا تجادلهم إلا جديلاً ظاهراً وهو ان تقول لهم أثبتم عدداً وخالفكم غيركم وكلا القولين يمتثل الصدق والكذب فهلموا بحجة تشهد لكم **وثالثها** ان المراد إلا مراة يشهده الناس ويحضرونه فلو اخبرتهم سيفي غير ملا من الناس لكذبوا عليك ولبسوا على الضعفة فادعوا انهم كانوا يعرفونه لأن ذلك من غوامض علومهم (ولا تستفت فيهم منهم احدا) معناه ولا تستخير في أهل الكهف وفي مقدار عددهم من أهل الكتاب احداً ولا تستفتهم من جهتهم عن ابن عباس ومجاهد وفتادة واخطاب للنبي ﷺ والمراد غيره لئلا يرجعوا في ذلك إلى مسالة اليهود فإنه كان وانقا بخير

الله تعالى (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا ان يشاء الله) قد ذكر في معناه وجوه **١** احدها **٢** انه نهي من الله تعالى لنبية **٣** ان يقول اني افعل شيئا في الغد إلا ان يقيد ذلك بمشيئة الله تعالى فيقول ان شاء الله قال الاخفش وفيه اضرار القول وتقديره إلا ان تقول ان شاء الله ولما حذف تقول نقل ان شاء الله إلى لفظ الاستقبال فيكون هذا تأديبا من الله للعباد وتعلية لهم ان يعلقوا ما يخبرون به بهذه اللفظة حتى يخرج عن حد القطع فلا يلزمهم كذب او حنث إذا لم يفعلوا ذلك لما نعت وهذا معنى قول ابن عباس **٤** وثانيها **٥** ان قوله ان يشاء الله بمعنى المصدر وتعلق بما تعلق به على ظاهره وتقديره ولا تقولن اني فاعل شيئا غدا إلا مشية الله عن التراء وهذا وجه حسن يطابق الظاهر ولا يحتاج فيه إلى بناء الكلام على محذوف ومعناه ولا تقل اني افعل إلا ما يشاء الله ويريده وإذا كان الله تعالى لا يشاء إلا الطاعات فكأنه قال لا تقل اني افعل إلا الطاعات ولا يعطن على هذا جواز الاخبار عما يفعل من المباحات التي لا يشاؤها الله تعالى لأن هذا النهي نهي تنزيه لا نهي تحريم بدلالة انه لو لم يقل ذلك لم يأتي بلا خلاف **٦** وثالثها **٧** انه نهي عن ان يقول الانسان سأفعل غدا وهو يجوز الاحترام قبل ان يفعل ما اخبر به فلا يوجد محبره على ما اخبر به فهو كذب ولا يأمن ايضا أن لا يوجد محبره يحدث شي من فعل الله تعالى نحو المرض والعجز وبأن يبدو له هو في ذلك فلا يسلم خيره من الكذب إلا بالاستثناء الذي ذكره الله تعالى فإذا قال اني صائر غدا إلى المسجد ان شاء الله لمن من ان يكون خبره هذا كذبا لأن الله تعالى ان شاء أن يلبثه إلى المصير إلى المسجد غدا حصل المصير إليه منه لا محالة فلا يكون خبره هذا كذبا وان لم يوجد المصير منه إلى المسجد لأنه لم يوجد ما استثناء في ذلك من مشيئة الله تعالى عن الجبائي وقد ذكرنا فيما قبل ما جاء في الرواية ان النبي **٨** سئل عن قصة اصحاب الكهف وذي القرنين فقال اخبركم عنه غدا ولم يستثن فاحتبس الوحي عنه اياما حتى شق عليه فأزول الله تعالى هذه الآية بأمره بالاستثناء بمشيئة الله تعالى وقوله (واذكرو ربك إذا نسيت) فيه وجهان **٩** احدهما **١٠** انه كلام متصل بما قبله ثم اختلف في ذلك فقيل معناه واذكرو ربك إذا نسيت الاستثناء ثم تذكرت فقل ان شاء الله وإن كان بعد يوم او شهر او سنة عن ابن عباس وقد روي ذلك عن أنثنا (ع) ويمكن ان يكون الوجه فيه أنه إذا استثنى بعد النسيان فإنه يحصل له ثواب المستثنى من غير أن يؤثر الاستثناء بعد اتصال الكلام في الكلام وفي ابطال الحنث وسقوط الكفارة في اليمين وهو الأشبه بمراد ابن عباس في قوله وقيل فاذا ذكر الاستثناء ما لم تقم من المجلس عن الحسن ومجاهد وقيل فاذا ذكر الاستثناء إذا تذكرت ما لم ينقطع الكلام وهو الوجه وقيل معناه واذكرو ربك إذا نسيت الاستثناء بأن تندم على ما قطعت عليه من الخبر عن الأصم **١١** والآخر **١٢** انه كلام متأنف غير متعلق بما قبله ثم اختلف في معناه فقيل معناه واذكرو ربك إذا غضبت بالاستغفار ليزول عنك الغضب عن عكرمة وقيل انه امر بالانقطاع إلى الله تعالى ومعناه واذكرو ربك إذا نسيت شيئا بك إليه حاجة بذكركه لك عن الجبائي وقيل المراد به الصلاة والمعنى اذا نسيت صلاة فصلها إذا ذكرتها عن الضحاك والسدي قال السيد الأجل المرتضى قدس الله روحه اعلم ان للاستثناء الداخل على الكلام وجوها مختلفة فقد يدخل في الإيمان والطلاق والعناق وسائر العقود وما يجري مجراها من الأخبار فإذا دخل في ذلك اقتضى التوقف عن امضاء الكلام والنتع من لزوم ما يلزم به ولذلك يصير ما يتكلم به كأنه لا حكم له ولذلك يصح على هذا الوجه أن يستثنى الانسان في الماضي فيقول قد دخلت الدار ان شاء الله تعالى ليخرج بهذا الاستثناء من ان يكون كلامه خبرا قاطعا او يلزم به حكم وإنما لم يصح دخوله في المعاصي على هذا الوجه لأن فيه اظهار الانقطاع إلى الله تعالى والمعاصي لا يصح ذلك فيها وهذا الوجه يختص بالطاعات واهذا تأويل الآية وقد يدخل الاستثناء في الكلام ويراد به اللطف والتسهيل وهذا الوجه يختص بالطاعات واهذا جرى قول القائل لأقضي غدا ما علي من الدين او لأصلين غدا ان شاء الله مجرى ان يقول اني فاعل ان لطف

الله تعالى فيه وسهله ومتى قصد الخالف هذا الوجه لم يجب إذا لم يقع منه الفعل ان يكون حائثًا او كاذبًا لأنه
 لو لم يقع علمنا انه لم يلفظ فيه لأنه لا لطف له وهذا الوجه لا يصح ان يقال في الآية لأنه يختص الطاعات
 والآية تتناول كل ما لم يكن قبيحا بدلالة جماع المسلمين على حسن استثناء ما تضمنته في كل فعل لم يكن قبيحا
 وقد يدخل الاستثناء في الكلام ويراد به التسهيل والاقدار والتخيلية والبقاء على ما هو عليه من الأحوال وهذا هو
 المراد إذا دخل في المباحات وهذا الوجه يمكن في الآية وقد يدخل في الكلام استثناء المشيئة في الكلام وإن لم
 يرد به شيء من المتقدم ذكره بل يكون الغرض الاقتران الى الله تعالى من غير أن يقصد به الى شيء من هذه
 الوجوه ويكون هذا الاستثناء غير معتد به في كونه كاذبا او صادقا لأنه في الحكم كأنه قال لا فعلن كذا
 إن وصلت إلى مرادي مع اقطاعي إلى الله تعالى واظهارى الحاجة اليه وهذا الوجه ايضا يمكن في الآية ومتى
 توهم جملة ما ذكرناه من الكلام عرف به الجواب عن المسألة التي لا يزال يسأل عنها من يذهب إلى خلاف العدل
 من قولهم لو كان الله تعالى إنما يريد الطاعات من الأفعال دون المعاصي لوجب إذا قال عليه الدين لغيره
 وطلبه به والله لأعطينك حقه غدا إن شاء الله ان يكون كاذبا او حائثا إذا لم يفعل لأن الله تعالى قد شاء
 ذلك منه عندكم وان كان لم يقع ولكن يجب أن تلمزمه به الكفارة وان لا يؤثر هذا الاستثناء في بينه ولا
 يخرج من كونه حائثا كما انه لو قال والله لأعطينك حقه غدا ان قام زيد فقام ولم يعطه يكون حائثا وفي التزام
 الحث خروج من الاجماع انتهى كلامه رضي الله عنه وقوله (وقل عسى ان يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا)
 معناه قل عسى ربي أن يعطيني من الآيات والدلالات على النبوة ما يكون اقرب من الرشد وأدل من قصة
 اصحاب الكهف عن الزجاج ثم ان الله سبحانه فعل به ذلك حيث آناه من علم غيوب اخبار المسلمين وآثارهم
 ما هو واضح في الدلالة واقرب إلى الرشد من خبر اصحاب الكهف وقيل ان معناه ادع الله أن يذكرك إذا
 نسبت شيئا وقل ان لم يذكرني الله ذلك الذي نسبت فإنه يذكرني ما هو أتعق لي منه عن الجبائي

قوله تعالى (٢٥) وَلِيَشُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٦) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ
 بِمَا لَيْسُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي
 حُكْمِهِ أَحَدًا (٢٧) وَأَنْزَلْنَا مَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنْ كِتَابٍ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ
 مِنْ دُونِهِ مُتْتَحِدًا ثلاث آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة غير عاصم ثلاثمائة سنين مضافا والباقون بالتثنية وقرأوا ولا تشرك بالثاء مجزوماً ابن عاصم
 وروح وزيد عن يعقوب وسهل والباقون ولا يشرك بالرفع والياء
 — الحجة —

قال ابو الحسن يكون السنين ثلاثمائة قال ولا يحسن اضافة المائة إلى السنين لانكاد العرب تقول مائة سنين
 قال وهو جائز في ذا المعنى وقد بقوله بعض العرب قال ابو علي وبما يدل على صحة قول من قال ثلاثمائة سنين ان
 هذا الضرب من العدد الذي يضاف في اللغة المشهورة إلى الاحاد نحو ثلاثمائة رجل واربعمائة ثوب قد جاء مضافا
 الى الجمع في قول الشاعر

فأزودوني غير سحق عمامة وخمس مئ منها قيسي وزايف

وذلك ان قوله مئ لا يغلو من ان يكون في الأصل كأنه فعلة فجمع على فعل مثل سدره وسدر أو

يكون فعلة فجمع على فعول مثل بدرة وبدور ومائة ومؤون قال «عظيمة الكلاكل والمؤون» والأولى حملة على فعول وانه خفف كما يخفف في التوافي كقوله «كنهور كان من اعقاب السمي» ثم كسر فاؤه كما يكسر في نحو حلى وقال غيره ان العرب قد تضع الجمع هنا موضع الواحد لأن الأصل أن تكون الاضافة الى الجمع قال الشاعر

ثلاثاين قد مضين كواملا وها أنا ذا قد أبتني مرّ أربع

فجاء به على الأصل ومن نون ثلاثاثة ففي نصب سنين قولان * أحدهما * ان يكون سنين بدلا من ثلاثاثة او عطف بيان * والآخر * ان يكون تمييزا كما تقول عندي عشرة ابطال زبنا قال الريم بن ضبيع الفزاري

إذا عاش الفتى مائتين عاما فقد ذهب اللذائة والفتاء

قال الزجاج ويجوز أن يكون سنين من نعت المائة فيكون مجرورا وهو راجع في المعنى إلى ثلاث كما قال عنتره

فيها اثنتان واربعون حلوبة سودا كخافية الغراب الأسحيم

فجعل سودا نعتا حلوبة وهو في المعنى نعت لجملة العدد قال ابو علي لا يمتنع أن يكون الشاعر جعل حلوبة جمعا وجعل سودا وصفا لها وإذا كان المراد به الجمع فلا يمتنع أن يقع تفسيرا لهذا الضرب من العدد من حيث كان على لفظ الآحاد كما يقال عشرون نفرا وثلاثون قبيلة ومن قرأ ولا تشرك بالثناء فإنه على النبي عن الاشرار والقراءة الأخرى أشيع وأولى لتقدم اسماء الغيبة وهو قوله ما لهم من دونه من ولي والمعنى ولا يشرك الله في حكمه أحدا

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن مقدار مدة لبثهم فقال (وليثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين) معناه واقام اصحاب الكهف من يوم دخلوا الكهف إلى أن بعثهم الله واطلع عليهم اخلق ثلاثاثة سنة (وازدادوا تسعا) أي تسع سنين إلا انه استغنى بما تقدم عن اعادة ذكر تفسير التسع كما يقال عندي مائة درهم وخمسة (قل الله اعلم بما لبثوا) معناه ان حاجك يا محمد أهل الكتاب في ذلك فقل الله اعلم بما لبثوا وذلك ان أهل نجران قالوا اما الثلاثاثة فقد عرفناها واما التسع فلا علم لنا بها وقيل ان معناه الله اعلم بما لبثوا إلى أن ماتوا وحكي عن قتادة انه قال قوله وليثوا في كهفهم الآية حكاية عن قول اليهود وقوى ذلك بقوله قل الله اعلم بما لبثوا فذكر انه سبحانه العالم بمقدار لبثهم دون غيره وقد ضعف هذا الوجه بأن اخبار الله لا يتبغى صرفها إلى الحكاية إلا بدليل قاطع ولو كان الأمر على ما قاله لم تكن مدة لبثهم مذكورة ومن المعلوم ان الله سبحانه أراد بالآية الاستدلال على عجب قدرته وباهر آيته وذلك لا يتم إلا بعد معرفة مدة لبثهم فالمراد بقوله قل الله اعلم بما لبثوا بعد بيان مدة لبثهم ابطال قول أهل الكتاب واختلافهم في مدة لبثهم فتقديره قل يا محمد الله اعلم بمدة لبثهم وقد اخبر بها فخذوا بما اخبر الله تعالى ودعوا قول أهل الكتاب فهو اعلم بذلك منهم (له غيب السماوات والارض) والغيب أن يكون الشيء بحيث لا يقع عليه الإدراك أي لا يتبغى عن الله سبحانه شيء لأنه لا يكون بحيث لا يدركه فيعلم ما غاب في السماوات والارض عن إدراك العباد (أبصر به وأسمع) هذا لفظ التعجب ومعناه ما أبصره وأسمعه أي ما أبصر الله تعالى لكل مبصر وما أسمعه لكل مسموع فلا يخفى عليه من ذلك وإنما أخرجه مخرج التعجب على وجه التعظيم وروى ان يهوديا سأل علي بن ابي طالب (ع) عن مدة لبثهم فأخبر بما في القرآن فقال انا نجد في كتابنا ثلاثاثة فقال (ع) ذاك بسني الشمس وهذا بسني القمر وقوله (ما لهم من دونه من ولي) أي ليس لأهل السموات

والأرض من دون الله من ناصر يتولى نصرتهم (ولا بشرك) الله (في حكمه أحداً) فلا يجوز ان يحكم حاكم بغير ما حكم الله تعالى به وقيل معناه انه لا يشرك الله في حكمه بما يخبر به من الغيب أحداً وعلى القراءة الأخرى معناه ولا تشرك أنت أبها الإنسان في حكمه أحداً ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ (واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك) أي واقرأ عليهم ما أوحى الله إليك من أخبار أصحاب الكهف وغيرهم فإن الحق فيه وقيل معناه أتبع القرآن واعمل به (لا مبدل لكلماته) أي لا مغير لما أخبر الله به فيه وما أمر به وعلى هذا فيكون التقدير لا مبدل لحكم كلماته (ولن تجد من دونه ملتحداً) معناه ان لم تتبع القرآن فلن تجد من دون الله ملجأ عن مجاهد وقيل حرزا عن ابن عباس وقيل مؤثلاً عن قتادة وقيل معدلاً ومحيصاً عن الزجاج وإبي مسلم والأقوال متقاربة في المعنى يقال لحد إلى كذا أو التحد إذا مال إليه

قوله تعالى (٢٨) وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٩) وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهَا بِهِنَّ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَقَقًا آيَاتان

✽ القراءة ✽

قرأ ابن عامر وحده بالغدوة والياقون بالغدوة وفي الشواذ قراءة الحسن ولا تعد عينيك وقراءة عمرو بن فائد من اغفلنا قلبه

✽ الحجة ✽

قال أبو علي أما غدوة فهو اسم موضوع للتعريف وإذا كان كذلك فلا ينبغي أن تدخل عليه الألف واللام كما لا تدخل على سائر الأعلام وإن كانت قد كتبت في المصحف بالواو ولم يبدل على ذلك كما انهم كتبوا الصلوة بالواو وهي الف وحجة من ادخل اللام المعرفة عليها انه قد يجوز وان كانت معرفة ان تنكر كما حكاه أبو زيد من انهم يقولون لقيته فينة والفينية بعد الفينة فينة مثل غدوة في التعريف بدلالة امتناع الانصراف وقد دخلت عليه لام التعريف وذلك ان يقدر من أمة كلها له مثل هذا الاسم فيدخل التنكير لذلك ويقوي هذا تننية الأعلام وجمعها وقوله «لا هيتم الليلة للمطي» وقولهم أما النضرة فلا نضرة لك فاجرى مجرى ما يكون شائعا في الجنس وكذلك الغدوة واما قوله ولا تعد عينيك فإنه منقول من عدت عينك إذا جاوزتاه وهو من قولهم جاء القوم عدا زيدا أي جاوز بعضهم زيدا ثم نقل إلى اعديت عيني عن كذا أي صرفتها عنه قال الشاعر حتى لحقنا بهم تعدي فوارسنا كأننا رعن قف ترفع الألا

أي تعدي فوارسنا خيلهم عن كذا فحذف المفعول بعد المفعول او تعديها من عدا الفرس أي جرى وعلى ان أصلها واحد لأن الفرس إذا عدا فقد جاوز مكانا إلى غيره واما من قرأ من اغفلنا قلبه فمعناه ولا تطع من ظننا غافلين عنه وهو من قولهم اغفلت الرجل أي وجدته غافلا قال الاعشى

أثوى وقصر ليله ليزودا ومضى واخلف من قتيبة موعدا

أي صادفة مخلقا

* اللفظة *

الفرط التجاوز للحق والخروج عنه من قولهم افرط افراطا إذا اسرف والسرادق القسطاط المحيط بما فيه ويقال السرادق ثوب يدار حول القسطاط قال روضة

يا حكمم بن المنذر بن الجارود سرادق المجد عليك ممدود والمهل خثارة الزيت وقيل هو النحاس الذائب المرتفق المتكأ من المرفق يقال ارتفق إذا تكأ على سرفقه قال ابو ذؤيب

بات الخلي وبت الليل مرتفقا
وقال إنه مأخوذ من الرفق والمنفعة

زلت الآية الأولى في سلمان والبي ذر وصهيب وعمار وحباب وغيرهم من فقراء اصحاب النبي ﷺ وذلك ان المولفة قلوبهم جاؤا إلى رسول الله ﷺ عيينة بن الحصين والاقرع بن حابس وذووم فقالوا يا رسول الله ان جلست في صدر المجلس ونحيت عنا هؤلاء روائح صنانهم وكانت عليهم جبات الصوف جلسنا نحن اليك وأخذنا عنك فلا يمنعنا من الدخول عليك إلا هؤلاء فلما نزلت الآية قام النبي ﷺ بلبسهم فأصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله عز وجل فقال الحمد لله الذي لم ينتهي حتى أمرني ان اصبر نفسي مع رجال من أمي معكم المحيا ومعكم الممات

* المعنى *

ثم أمر الله سبحانه نبيه ﷺ بالصبر مع المؤمنين فقال (واصبر نفسك) يا محمد اي احبس نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي اي يداومون على الصلاة والسعاء عند الصباح والمساء لا شغل لهم غيره ويستفتحون يومهم بالدعاء ويختتمونه بالدعاء (يريدون وجهه) اي رضوانه وقيل يريدون تعظيمه والتقربة اليه هون الرياء والسعة (ولا تعد عينك عنهم) اي ولا تتجاوز عينك عنهم بالنظر إلى غيرهم من ابناء الدنيا (تريد زينة الحياة الدنيا) تريد في موضع الحال اي يريد اجماله أهل الشرف والعنى وكان النبي ﷺ حريصا على إيمان العظماء من المشركين طعما في إيمان اتباعهم ولم يزل إلى الدنيا وزينتها قط ولا إلى أهلها وإنما كان يلين في بعض الأحيان للروساء طعما في إيمانهم فعوتب بهذه الآية وأمر بالاقبال على فقراء المؤمنين وان لا يرفع بصره عنهم مريداً مجالسة الاشراف (ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا) قيل في معناه أقوال ﴿ احدها ﴾ ان معناه ولا تطع من جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا بتعريضه للغفلة ولهذا قال واتبع هواه ومثله فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴿ وثانيها ﴾ اغفلنا قلبه اي نسبنا قلبه إلى الغفلة كما يقال اكفره إذا نسبه إلى الكفر وساء كافرأ كقول الكميث

وطائفة قد اكفروني بحبكم وطائفة قالوا مسي ومذنب

﴿ وثالثها ﴾ اغفلنا قلبه صادفناه غافلا عن ذكرنا كما قالت العرب سألتكم فما اقمناكم وقائلناكم فما أجبناكم ﴿ ورابعها ﴾ اغفلنا قلبه اي جعلناه غفلا لم نسمه بسمة قلوب المؤمنين ولم نعلم فيه علامة المؤمنين لتعرفه الملائكة بذلك السمة تقول العرب اغفل فلان ماشيته اذا لم يسمها بسمة تعرف ﴿ وخامسها ﴾ ان معناه ولا تطع من تركنا قلبه خذلناه وخليتنا بينه وبين الشيطان بتركه امرنا عن الحسن (واتبع هواه) اي لا تطع من اتبع هواه في شهواته وافعاله (وكان امزه فرطاً) اي سرفاد افراطاً عن مقاتل والجباثي وقيل تجاوز الحد عن الاخفش وقيل ضياعاً وهلاكاً عن مجاهد والسدي قال الزجاج ومن قدم المعجز في امره اضاعه واهلكه فيكون المعنى في هذا انه ترك الايمان والاستدلال بآيات الله واتبع الهوى ثم قال سبحانه (وقل) يا محمد لهؤلاء الذين امروك

بتنحية الفقراء (الحق من ربكم) اي هذا الحق من ربكم يعني القرآن وقيل معناه الذي اتيتكم به الحق عن الزجاج من ربكم يعني لم آتكم به من قبل قسي وإنما أتيتكم به من قبل الله وقيل معناه ظهرت الحججة ووضح الحق من ربكم وزالت الشبهة (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) هذا وعيد من الله سبحانه وانذار ولذلك عقبه بقوله (انا اعتدنا) وانما جاز التهديد بلفظ الأمر لأن المهديد كالمأمور بإهانة نفسه ومعناه فليختر كل لنفسه ما شاء فإنهم لا ينفعون الله تعالى بإيمانهم ولا يضرونه بكفرهم وإنما يرجع النفع والضرر اليهم (انا اعتدنا) اي هيأنا واعددنا (للفظالمين) اي الكافرين الذين ظلموا انفسهم بعبادة غير الله تعالى (نارا احاط بهم سرادقها) والسرادق حائط من نار يحيط بهم عن ابن عباس وقيل هو دخان النار ولهها يصل اليهم قبل وصولهم اليها وهو الذي في قوله الى ظل ذي ثلاث شعب عن قتادة وقيل اراد ان النار احاطت بهم من جميع جوانبهم فشبه ذلك في السرداق عن ابي مسلم (وان يستغيثوا) من شدة العطش وحر النار (يغاثوا بما كالمهل) وهو كل شيء اذيب كالرصاص والنحاس والصفرة عن ابن مسعود وقيل كمعكر الزيت اذا قرب اليه سقطت فروة رأسه روى ذلك مرفوعا وقيل كدردي الزيت عن ابن عباس وقيل هو القبح والدم عن مجاهد وقيل هو الذي انتهى حره عن سعيد ابن جبير وقيل انه ماء اسود وان جهنم سوداء وماؤها اسود وشجرها اسود واهلها سود عن الضحاك (يشوي الوجوه) اي ينضجها عند دنوه منها ويحرقها وانما جعل سبحانه ذلك اغانة لاقتراءه بذكر الاغانة (بش الشراب) ذلك المهل (وسامت) النار (مرتقفا) اي متكتنا لهم قيل سامت مجتمعا مأخوذ من المرافقة وهي الاجتماع عن مجاهد وقيل منزلا ومستقرا عن ابن عباس وعطا

قوله تعالى (٣٠) **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا**
(٣١) **أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحْمَلُونَ فِيهَا مِنْ أَسْوَرٍ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا آيَاتِنَا**

اللغة

العدن الإقامة يقال عدن بالمكان بعدن عدنا والاسوار جمع اسوار على حذف الزيادة لأن الاصل اساور
عن قطرب والبي عبدة وقيل جمع اسورة واسورة جمع سوار عن الزجاج وهو سوار اليد بالكر وقد حكى
سوار بالضم والسندس ما رق من الديباج واحده سندسة والاستبرق الغليظ من الديباج وقيل هو الحرير قال
قال المرقش

تراهن يلبسن المشاعر مرة
والأرائك جمع أريكة وهي السرير قال
حدود جفت في السبر حتى كأنما
يباشرن بالمعزاء مس الأرائك
قال الزجاج الأرائك الفرش في المجال قال الأعشى
بين الرواق وجانب من سيرها
منها وبين أريكة الأنصار

الإعراب

قيل في خبران الذين آمنوا أقوال **احدها** انه قوله انا لا نضيع اجر من احسن عملا وعلى هذا فيكون
في الخبر محذوفا كأنه لا نضيع اجر من احسن عملا منهم **والثاني** ان يكون الخبر أو لك لهم جنات عدن
ويكون انا لا نضيع النع اعتراضاً بين الاسم والخبر **والثالث** ان المعنى انا لا نضيع اجرهم لأن من

احسن عملاً في المعنى هم الذين آمنوا

« المعنى » -

لما تقدم الوعيد عقبه سبحانه بذكر الوعد فقال (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) من الطاعات (أنا لانضيق اجر من احسن عملاً) اي لاترك اعمالهم تذهب ضياعاً بل نجازيهم ونوفيهم اجورهم من غير بخش (اولئك لهم جنات عدن) اي اقامه لم لا نهم يبقون فيها يبقوا الله ثماً ابداً وقيل عدن بطنان الجنة اي وسطها وهي جنة من الجنان عن ابن مسعود وعلى هذا فالنما جمع لسعتها ولأن كل ناحية منها تصلح ان تكون جنة (تجوسى من تحتهم الأ نهار) لأنهم على غرف في الجنة كما قال وهم في الغرفات آمنون وقيل ان انهار الجنة تجري في نجاديد من الأرض فلذلك قال تجري من تحتهم الأ نهار (يهلون فيها من اساور من ذهب) اي يجعل لهم فيها حلتي من اساور وقيل انه يحلى كل واحد بثلاثة اساور سوار من فضة وسوار من ذهب وسوار من لؤلؤ وياقوت عن سعيد بن جبير (ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق) اي من الديباج الرقيق والغليظ وقيل إن الاستبرق فارسي معرب اصله استبره قيل هو الديباج المنسوج بالذهب (متكئين فيها على الأرائك) اي متعممين في تلك الجنات على السرر في الحجال وانما قال متكئين لأن الاتكاء يفيد انهم متعممون في الأمن والراحة فإن الإنسان لا يتكئ الا في حال الأمن والسلامة (نعم الثواب) اي طاب ثوابهم وعظم عن ابن عباس (وحسنت) الأرائك (مرتقفاً) اي موضع ارتفاق وقيل منزلاً ومجلساً ومجتمعاً

قوله تعالى (٣٢) وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا (٣٣) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْهُمَا كَلْمًا وَلَمْ يَنْظُرْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا (٣٤) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٥) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٦) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا خمس آيات

(القراءة) -

قرأ أبو جعفر وعاصم وبعقوب وسهل وكان له ثمر واحيط بشمره في الموضوعين بالفتح ووافق رويس في الاول وقرأ ابو عمرو وبضم الثاء وسكون الميم في الموضوعين والباقون بضم الثاء والميم في الحرفين وقرأ اهل الحجاز وابن عامر خيراً منهنما بزيادة ميم وكذلك هو في مصاحفهم وقرأ اهل العراق منها بغير ميم

✽ الحجة ✽

قال ابو علي الثمرة ما يجتنى من ذبى الثمر وجمعها ثمرات ويجمع على ثمر كبقرة وبقر وعلى ثمار كرقبة وورقاب وعلى هذا تشبيه المخلوقات بغير المخلوقات وقد شبه كل واحد منهما بالآخر ويجوز في القياس ان يكسر ثمار على ثمر ككتاب وكتب وقراءة ابي عمرو وكان له ثمر بجوز ان يكون جمع ثمار كما يخفف كتب ويجوز ان يكون ثمر جمع ثمرة كبذرة وبدن وخشبة وخشب ويجوز ان يكون ثمر واحدة كعنق وطلب فعلى اي هذه الوجوه كانت جاز اسكان العين منه كذلك في قوله واحيط بشمره وقال بعض اهل اللغة الثمر المال والثمر المأكول وجاء في التفسير قريب من هذا قالوا الثمر النخل والشجر ولم يرد به الثمرة والتمر على ما روي عن عدة من السلف بل الأصول التي تحمل الثمرة لا نفس الثمر بدلالة قوله فأصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها اي في الجنة والنفقة اي ما تكون على ذوات الثمرة في اغلب العرف وكانت الآفة التي ارسلت اليها اصطلمت

الاصول واجتاحتها كما جاء في صفة الجنة الاخرى فاصبحت كالصريم اي كالليل في سوادها لاحتراقها و كالتهار في بياضها وما بطل من خضرتها بالآفة النازلة بها وحكي عن ابي عمرو الشعر والشعر انواع المال فإذا اصطم الشعر فاجتبع دخات الثمرة فيه ولا يمكن ان يصاب الأصل ولا تصاب الثمرة وإذا كان كذلك فمن قرأ بشعره وثره كان قوله ابين ممن قرأ بالفتح ويجوز القراءة بالفتح كأنه اخبر عن بعض ما اصاب وامسك عن بعض وقوله خيرا منها منقلبا فالانفراد لا نه اقرب إلى الجنة المفردة في قوله ودخل جنته والتثنية لتقدم ذكر الجنتين

اللغة

حف القوم بالشئ إذا اطافوا به وحفاوا الشئ جانبا كأنهما اطافا به قال طرفه
 كأن جناحي مضرحي تكنفا
 حفافيه شكفا في العسيب بمسرد
 والمحاورة مراجعة الكلام في المخاطبة ويقال كلت فلانا فمارجع إلى حوار ومحورة وحوائر

الإعراب

إنما قال انت على لفظ كتنا فإنه بمنزلة كل في انه مفرد اللفظ ولو قال اتنا على المعنى لجاز قال الشاعر في التوحيد
 و كلتها قد خط لي في صحيفتي
 فلا العيش اهواه ولا الموت اروح

المعنى

ثم ضرب الله لعباده مثلا يستنبثهم به إلى طاعته وبزجرهم عن معصيته وكفران نعمته فقال مخاطبا لنبيه
 (واضرب لهم مثلا رجلين) روي عن ابن عباس انه قال يريداني ملك كان في بني اسرائيل توفي وترك
 ابنين وترك مالا جزيل فآخذ احدهما حقه منه وهو المؤمن منهما فتقرب إلى الله تعالى واخذ الآخر حقه فتملك به
 ضياعا منها هاتان الجنتان وفي تفسير علي بن ابراهيم بن هاشم انه يريد رجلا كان له بستانان كبيران كثيرا
 الثمار كما حكي سبحانه وكان له جار فقير فافتخر الغني على الفقير وقال له انا اكثر منك مالا واعز تقرا وهذا اليق
 بالظاهر (جعلنا لأحدهما جنتين) اي بستانين اجنبهما الاشجار (من اعتاب وحققهما بنخل) اي جعلنا النخل
 مطيفا بهما (وجعلنا بينهما زرعاً) اي وجعلنا بين البستانين مزرعة فكملت النعمة بالعنب والتمر والزرع (كتنا
 الجنتين آتت اكهما) اي كل واحدة من البستانين آتت غلتها وأخرجت ثمرتها وسماه اكلا لأنه ما كؤل (ولم
 نظلم منه شيئا) أي لم ننقص منه شيئا بل ادته على التمام والكمال كما قال الشاعر

بظلمني مالي كذا ولوى يدي
 لوى يده الله الذي هو غالبه

اي بنقصني مالي (وفجرنا خلالهما نهرا) اي شققنا وسط الجنتين نهرا يسقيهما حتى يكون الماء قريبا منهما
 يصل اليهما من غير كد وتمب ويكون ثمرهما وزرعهما بدوام الماء فيهما او في وأروى (وكان له ثمر) قيل
 ان معناه وكان للنخل الذي فيهما ثمر وقيل معناه وكان للرجل ثمر ملكه من غير جنتيه كما يملك الناس ثمارا
 لا يملكون اصلها عن ابن عباس وقيل كان لهذا الرجل مع هذين البستانين الذهب والفضة عن مجاهد وقيل كان
 له معهما جميع الاموال عن قتادة وابن عباس في رواية اخرى (فقال لصاحبه وهو يحاوره) اي فقال الكافر
 لصاحبه المؤمن وهو يخاطبه ويراجعه في الكلام (انا اكثر منك مالا واعز تقرا) اي اعز عشيرة ورهطا وسعى
 العشيرة تقرا لأنهم يتفرون معه في حوائجه وقيل معناه اعز خدما وولدا عن قتادة ومقاتل (ودخل جنته وهو ظالم
 لنفسه) اي ودخل الكافر بستانه وهو ظالم لنفسه بكفره وعصيانه (قال ما أظن ان تبيده هذه ابدا) اي ما اقدر ان
 تفنى هذه الجنة وهذه الثمار ابدا وقيل يريد ما اظن هذه الدنيا تفنى ابدا (وما اظن الساعة قائمة) اي وما احسب
 القيامة آتية كائنة على ما يقوله الموحدون (ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا) معناه ولئن كانت القيامة

والبعث حقا كما بقوله الموحدون لأجدن خيرا من هذه الجنة قال الزجاج وهذا يدل على ان صاحبه المؤمن قد اعلمه ان الساعة تقوم وانه يبعث فأجابته بأن قال له ولئن رددت إلى ربي ابي كما اعطاني هذه في الدنيا سيغطيني في الآخرة افضل منها لكرامتي عليه ظن الجاهل انه اوتي ما اوتي لكرامته على الله تعالى وقيل معناه لا كسبين في الآخرة خيرا من هذه التي اكتسبتها في الدنيا ومن قرأ منهما رد الكناية إلى الجنة اللتين تقدم ذكرهما وفي هذا دلالة على انه لم يكن قاطعا على نفي المعاد بل كان شاكا فيه

قوله تعالى (٣٧) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا (٣٨) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٩) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِذْ تَرَى أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (٤٠) فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُوَفِّيَنَّ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَيُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا (٤١) أَوْ يُصْبِحُ مَاوًا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤٢) وَأُحِيطَ بِشَعْرِهِ فَمَا صَبَحَ بِقَلْبٍ كَفِيدٍ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٣) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِرًا (٤٤) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ثماني آيات

القراءة

قرأ ابن عامر وابن فليح والبرجمي ويعقوب لكنا بانيات الالف في الوصل والوقف وقرأ الباقون لكن بحذف الألف في الوصل وقرأ البخاري لورش بالوجهين بالوصل ولا خلاف في اثبات الالف في الوقف إلا تقيية فإنه قرأ بغير الف في الوصل والوقف وفي الشواذ قراءة ابي بن كعب والحسن لكن انا وقراءة عيسى الثقفي لكن هو الله ربي وقرأ البرجمي عن ابي بكر غورا بضم العين هاهنا وفي الملك وقرأ ولم يكن له فية بالياء اهل الكوفة غير عاصم والباقون ولم تكن بالتاء وقرأ ابو عمرو الولاية بفتح الواو والله الحق بالرفع وقرأ الكسائي الولاية بكسر الواو والحق بالرفع وقرأ حمزة وخلف الولاية بكسر الواو والحق بالجر وقرأ الباقون الولاية بفتح الواو والحق بالجر

الحجة

وقرأ عاصم وحمزة وخلف عقبا ساكنة القاف والباقون بضم القاف قال الزجاج من قرأ لكنا بتشديد النون فهو لكن انا في الأصل فطرحت الهمزة على النون فتحركت بالفتح فصارت لكنن بتوئين مفتوحين فاجتمع الحرفان من جنس واحد فأدغمت النون الاولى في الثانية وحذفت الألف في الوصل لأن الف انا تثبت في الوقف وتحذف في الأصل في اجود اللغات نحو ان قمت بغير الألف ويجوز انا قمت بإثبات الالف وهو ضعيف جدا ومن قرأ لكنا فائت الألف في الوصل فإنه على لغة من قال انا قمت فائت الألف قال الشاعر

انا شيخ العشيرة فاعرفوني حميدا قد تذررت أسناما

إلا ان اثبات الألف في لكنا هو الجيد لأن الهمزة قد حذفت من انا فصار اثبات الألف عوضاً من الهمزة قال ابو علي لا ارى قوله ان اثبات الألف هو الجيد لأنه صار عوضاً من الهمزة كما قال لأن هذه

الألف تلحق للوقف مثل الماء في ماهيه وحساويه والماء في مثل هذا الطرف مثل الف الوصل في ذلك الطرف فكما ان اثبات همزة الوصل في الوصل خطأ كذلك الماء والألف في الوصل خطأ فلا يلزم ان يثبت عوض من الهمزة المحذوفة ألا ترى ان الهمزة في ويلمه قد حذفت حذفاً على غير ما يوجب قياس التخفيف ولا يعوض منها فإن لا يعوض منها في التخفيف القياسي اجدر لأن الهمزة هنا في تقدير الثبات ولولا ذلك لم يحرك حرف اللين في نحو جيل في جبال ومونة في مونة قال وقد تجيء هذه الألف مثبتة في الشعر نحو قول الأعمش

فكيف انا وانتحالي القوافي بعد المشيب كفى ذلك عارا

وقول الآخر انا شيخ العشيرة البيت ولا يكون ذلك مختاراً في القراءة ومن قرأ لكننا في الوصل فإنه يحتمل امرين ﴿ اهدما ﴾ ان يجعل الضمير المتصل مثل المنفصل الذي هو نحن فيدغم التون من لكن لسكونها في التون من علامة الضمير فيكون على هذا لكننا باثبات الألف وصلوا ووقفا لا غير الا ترى ان احدا لا يحذف الألف من نحو فعلنا وقوله هو من هو الله ربي ضمير الحديث والقصة كما انه في قوله فإذا هي شاحصة وقوله قل هو الله احد كذلك والتقدير الامر الله احد لأن هذا الضمير يدخل على المبتدأ والخبر فيصير المبتدأ والخبر موضع خبره كما انه في ان وكان وظننت وما يدخل على المبتدأ والخبر كذلك وعاد الضمير على الضمير الذي دخلت عليه لكن على المعنى ولو عاد على اللفظ لكان لكننا هو الله ربنا ودخلت لكن محذوفة على الضمير كما دخلت في قوله انا معكم والوجه الآخر ان سببويه حكى انه سمع من يقول اعطني ايضاً فشدد والحق الماء بالتشديد للوقف والماء مثل الألف في سببها والياء في عيلى واجرى الماء مجرهما في الاطلاق كما كانت مثلهما في نحو قوله

صفية قومي ولا تجزعي وبكى النساء على حمزة

فهذا الذي حكاه سببويه في الكلام وليس في شعر وكذلك الآية بكون الألف فيها كالماء ولا يكون الماء للوقف الا ترى ان الماء للوقف لا يبين بها المغرب ولا ما ضارع المغرب فعلى أحد هذين الوجهين يكون قول من اثبت الألف في الوصل او عليها جميعاً ولو كانت فاصلة لكانت مثل فأضلونا السيل (واما) قراءة ابي لكن انما هي الاصل في قراءة الجماعة لكن على ما تقدم بيانه لأن الف انا محذوف في الوصل قال الشاعر

وترمينني بالطرف اي انت مذب وتقلينني لكن اياك لا اقلي

أي لكن انا وانا مرفوع بالابتداء وخبره الجملة المركبة من المبتدأ والخبر التي هي هو الله ربي والعائد على المبتدأ من الجملة الياء في ربي ومن قرأ لكن هو الله ربي فاعرابه واضح واما من قرأ غورا فيمكن أن يكون غورا لغة في غور وإنما جاز أن يقع المصدر موقع الصفة للمبالغة كما قال الشاعر

تظل جياده نوحا عليه مقلدة أعتها صفونا

واما قوله ولم يكن له فية بالياء فإن الياء والتاء هنا حسن وأما قوله هنالك الولاية لله الحق فقد حكى ابو عبيدة عن ابي عمرو ان الولاية هنا لحن لأن الكسر في فعالة بجي فيها كان صنعة ومعنى متقلدا كالكتابة والامارة والخلقة وما اشبه ذلك وليس هنا معنى تولى امر وإنما هو الولاية من الدين وكذلك التي في الأقال ما لكم من ولايتهم من شيء وقال بعض أهل اللغة الولاية النصر يقال هم أهل ولاية عليك أي متناصرون عليك والولاية ولاية السطان قال وقد يجوز الفتح في هذه والكسر في تلك كما قالوا الولاية والولاية والولاية بمعنى واحد فعلى هذا يجوز الكسر في الولاية في هذا الموضع ومن كسر القاف من الحق فجعله من وصف الله تعالى وصفه بالحق وهو مصدر كما وصفه بالعدل والسلام والمعنى ذو الحق وذو السلام وكذلك الإمالة معنى ذو العباد وبديل عليه قوله ويعلمون ان الله هو الحق المبين ومن رفع الحق جعله صفة للولاية ومعنى وصف الولاية

بالحق انه لا يشوبها غيره ولا يخاف فيها ما يخاف في سائر الولايات من غير الحق واما قوله عقبا فإن ما كان على فعل جاز تخفيفه على ما تقدم ذكره

اللغة

أصل الحساب السهام التي ترمى لتجري في طلق واحد وكان ذلك من رمي الأسورة وأصل الباب الحساب وإنما يقال يرمي به حساب لأنه بكثرة كثرة الحساب قال الزجاج الصعيد الطريق الذي لا نبات فيه والزلق الأرض الملساء المستوية لا نبات فيها ولا شيء وأصل الزلق ما تزلق عنه الاقدام فلا يثبت عليه

الإعراب

ما شاء الله يحتمل أن يكون ما رفعاً وتقديره الأمر ما شاء الله فيكون موصولاً والضمير العائد إليه يكون محذوفاً لطول الكلام ويجوز أن يكون التقدير ما شاء الله كائن ويحتمل أن يكون ما في موضع نصب على معنى الشرط والجزاء ويكون الجواب محذوفاً وتقديره أي شيء شاء الله كان ومثله في حذف الجواب قوله فإن استطعت أن تبغني فقفا في الأرض ان ترن انا اقل اقل منصوب بأنه مفعول ثان لترن وأنا إن شئت كان تو كيدا أو وصفا ليا للتكلم وإن شئت كان فصلاً كما تقول كنت انت القائم يا هذا قاله الزجاج ويجوز رفع أقل وقد قرأ بها عيسى بن عمر فيكون انا مبتدأ وأقل خبره والجملة في موضع نصب بأن يكون المفعول الثاني لترني وقوله فمضى الفاء جواب قوله ان ترني وثوابا وعقبا منصوبان على التمييز

المعنى

ثم بين سبحانه جواب المؤمن للكافر فقال (قال له صاحبه وهو يحاوره) أي يخاطبه وبجيبه مكفوره بما قاله (أكفرت بالذي خلقك من تراب) يعني أصل الخلقة أي خلق أباك من تراب وهو آدم (ع) وقيل لما كانت النطفة خلقها الله سبحانه بمجرد العادة من الغذاء والغذاء بنيت من تراب جاز أن يقول خلقك من تراب (ثم من نطفة ثم سواك رجلاً) أي تقلك من حال إلى حال حتى جعلك بشراً سوياً معتدلاً للخلقة والقامة وإنما كره بل إنكاره المعاد وفي هذا دلالة على أن الشك في البعث والنشور كفر (لكننا هو الله ربني) تقديره لكن انا أقول هو الله ربني وخالقي ورازقي فإن اخترت عليّ بدنياك فإن اخترت عليّ بالتوحيد (ولا أشرك بربي أحداً) أي لا أشرك بعبادتي إياه أحداً سواء بل أوجهها إليه وحده خالصاً وإنما استحال الشرك في العبادة لأنها لا تستحق إلا بأصول النعم وبالنعمة التي لا يوازنها نعمة منعم وذلك لا يقدر عليه أحد إلا الله تعالى ثم قال (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله) معناه وقال لصاحبه الكافر هلا حين دخلت بستانك فرأيت تلك الثمار والزروع شكرت الله تعالى وقتلت ما شاء الله كان وإني وإن تعبت في جمعه وعمارته فليس ذلك إلا بقدره الله وتيسيره ولو شاء لحال بيني وبين ذلك ولتزع البركة عنه فإنه لا يقوى أحد على ما في يديه من النعمة إلا بالله ولا يكون له إلا ما شاء الله ثم رجع إلى نفسه فقال (ان ترن انا أقل منك مالا وولداً فمضى ربي أن يوتين خيراً من جنتك) معناه إن كنت تراني اليوم فقيراً أقل منك مالا وعشيرة وأولاداً فلعل الله ان يوتيني بستاناً خيراً من بستانك في الآخرة أو في الدنيا والآخرة (ويرسل عليها حساباتاً من السماء) أي ويرسل على جنتك عذاباً أو ناراً من السماء فيحرقها عن ابن عباس وقتادة وقيل يرسل عليها عذاب حسابان وذلك الحسابان حساب ما كسبت يدك عن الزجاج وقيل ويرسل عليها مرامي من عذابه انا يراد واما حجارة أو غيرها مما يشاء من أنواع العذاب (فتصبح صعيداً زاقاً) أي أرضاً مستوية لا نبات عليها تزلق عنها القدم فتصير أرضاً من بعد ان كانت أرفع أرض (أو يصبح ماؤها غوراً) أي غائراً ذاهباً في باطن غامض منقطعاً فيكون اعدم أرض للساء بعد ان كانت أوجد أرض للساء (فلن تستطيع له طلباً) أي فلن تقدر على طلبه إذا غار ولا يبق له أثر تطلبه به فلن تستطيع رده قيل

معناه فلن تستطيع طلب غير ذلك الماء بدلا عنه إلى هنا انتهى مناظرة صاحبه وانذاره ثم قال سبحانه (وأحيط بشمره) معناه اهلك وأحيط العذاب بأشجاره ونحوه فهلكت من آخرها تقول أحيط ببني فلان إذا هلكوا عن آخرهم وأصل الاحاطة ادارة الحائظ على الشيء وفي الخبر ان الله عز وجل أرسل عليها نارا فأهلكها وغار ماؤها (فأصبح) هذا الكافر (بقلب كفيه) تأسفا وتحسرا (على ما أنفق فيها) من المال وهو أن يضرب يديه واحدة على الأخرى عن ابن عباس وتقلب الكففين بفعله الندام كثيرا فصار عبارة عن الندم (وهي خاوية على عروشها) أي ساقطة على سقوفها وما عرش لكرورها وذلك ان السقف ينهدم أولا ثم ينهدم الحائظ على السقف وقيل ان العروش الأبنية ومعناه خالية على بيوتها قد ذهب شجرها وبقيت جذراتها لا خير فيها (ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا) ندم على الكفر لفتنا. ماله لا اوجب الايمان فلم ينفعه ولو ندم على الكفر فآمن بالله تحقيقا لا تنفع به وقيل انه ندم على ما كان منه من الشرك بالله تعالى وآمن (ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله) أي لم يكن لهذا الكافر جماعة يدفعون عذاب الله عنه وقيل الفئة الجند قال العجاج « كما يجوز الفئة الكمي » (وما كان منتصرا) أي وما كان بمنزلة من قتادة قيل معناه وما كان مستردا بدل ما ذهب عنه قال ابن عباس وهذان الرجلان هما اللذان ذكرهما الله تعالى في سورة الصافات في قوله اني كان لي قرين يقول أئنك لمن المصدقين إلى قوله فاطلم فرأه في سوا. الجحيم وروى هشام بن سالم وابن بن عثان عن الصادق (ع) قال عجبت لمن خاف كيف لا يفزع إلى قوله سبحانه حسبنا الله ونعم الوكيل فإني سمعت الله يقول بعقبها فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسهم سوء وعجبت لمن اغتم كيف لا يفزع إلى قوله لا إله إلا انت سبحانه إني كنت من الظالمين فأولني سمعت الله سبحانه يقول بعقبها فاستجبنا له ونجينا من الغم وكذلك نجى المؤمنين وعجبت لمن مكر به كيف لا يفزع إلى قوله وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد فأولني سمعت الله عز وجل يقول بعقبها فوقاه الله سيئات ما مكروا وعجبت لمن أراد الدنيا وزينتها كيف لا يفزع إلى قوله ما شاء الله لا قوة إلا بالله فأولني سمعت الله يقول بعقبها فعسى ربي أن يوتيخيرا من جنتك وعسى وجبة وقوله (هنالك الولاية لله الحق) اخبر سبحانه ان في ذلك الموضع وفي ذلك الوقت الذي يتنازع فيه الكافر والمؤمن الولاية بالنصرة والاعزاز لله عز وجل فهو الذي يتولى أمر عباده المؤمنين وينالك النصره إن أراد وقيل هنالك اشارة إلى يوم القيامة وتقديره الولاية يوم القيامة لله يريد يومئذ يتولون الله ويؤمنون به ويتبرون مما كانوا يعبدون عن القسبي وقيل معناه هنالك ينصر المؤمنين ويخذل الكافرين فالولاية يومئذ خالصة له لا يملكها احد من العباد (هو خير ثواب) أي هو افضل ثوابا من برجي ثوابا على تقدير لو كان يثيب غيره لكان هو خير ثوابا (وخير عقبا) أي عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره فهو خير عقب طاعة ثم حذف المضاف اليه والعقب والعقبى والعاقبة بمعنى

قوله تعالى (٤٥) وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (٤٦) الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلًا (٤٧) وَيَوْمَ نُسَبِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَا هُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٤٨) وَعَرْضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا (٤٩) وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويوم تسير بضم التاء وفتح الياء الجبال رفع والباقون نسير بالنون وكسر الياء والجبال نصب

-(الحجة)-

قال ابو علي حجة من بنى الفعل للمفول به قوله وسيرت الجبال وقوله وإذا الجبال سيرت ومن قرأ نسير فلأنه شبه بما بعده من قوله وحشرناهم فلم تقادر منهم احدا
= اللفظ =

المشيم ما يكسر ويحطم من يبس النبات والذر والتذرية تطير الريح الأشياء الخفيفة في كل جهة يقال ذرته الريح تذروه وذرته وأذرت وأذرت الرجل عن الدابة إذا القيته عنها قال الشاعر

فقلت له صوت ولا تجهدنه فيذكر من أخرى القطاة فيزلق

والمغادرة الترك ومنه الغدر لأنه ترك للرفاء ومنه الغدير ترك الماء فيه والاشفاق الحرف من وقوع مكروه مع تجرؤ أن لا يقع وأصله الرقة ومنه الشفق الحمراء الرقيقة التي تكون في السماء وشفقة الانسان على وادركته عليه

﴿ الإعراب ﴾

صفا نصب على الحال أي مصفرين ان لن نجعل ان هذه مخففة من الثقيلة ولن نجعل لكم موعدا خبره وقال قد كتبت في المصحف اللام مفصولة ولا وجه له لاينادر في موضع نصب على الحال

﴿ المعنى ﴾

ثم أمر سبحانه نبيه ﷺ أن يضرب المثل للدنيا تزهيدا فيها وترغيبا في الآخرة فقال (واضرب) يا محمد لهم مثل الحياة الدنيا كما اتزانها من السماء فاختلط به نبات الأرض أي نبت بذلك الماء نبات التفت بعضه يروق حسنا وعضاضة وهذا مفسر في سورة يونس (ع) (فأصبح هشيا) أي كسيرا مفتتا (تذروه الرياح) فتقله من موضع إلى موضع فاققلب الدنيا كاققلاب هذا النبات (وكان الله على كل شيء مقتدرا) أي قادرا لا يجوز عليه المنع قال الحسن أي كان الله مقتدرا على كل شيء قبل كونه قال الزجاج وتأويله ان ما شاهدتم من قدرته ليس بمحدث وأنه كذلك كان لم يزل هذا مذهب سيبويه وقيل انه اخبار عن الماضي ودلالة على المستقبل وهذا المثل إنما هو للمتكبرين الذين اعترأوا بأولهم واستنكفوا عن مجالسة فقراء المؤمنين اخبرهم الله سبحانه أن ما كان من الدنيا لا يرد الله سبحانه به فهو كالنبت الحسن على المطر لا مادة له فهو يروق ماخالطه ذلك الماء فإذا انقطع عنه عاد هشيا لا ينتفع به ثم قال (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) أي يتفاخر بها ويتزين بها في الدنيا ولا ينتفع بها في الآخرة وإنما سهاها زينة لأن في المال جلا وفي البنين قوة ودفعاً فصار زينة الحياة الدنيا وكلاهما لا يبقى للانسان فينتفع به في الآخرة (والباقيات الصالحات) وهي الطلقات لله تعالى وجميع الحسنات لأن ثوابها يبقى ابداً عن ابن عباس وقتادة (خير عند ربك ثوابا وخير املا) أي افضل ثوابا واصدق املا من المال والبنين وسائر زهرات الدنيا فلأن من الامال كواذب وهذا امل لا يكذب لان من عمل الطاعة وجد ما يأمله عليها من الثواب وقيل ان الباقيات الصالحات هي ما كان يأتي به سلمان وصهيب وفقراء المسلمين وهو سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر عن ابن عباس في رواية عطا ومجاهد وعكرمة وروى انس ابن مالك عن النبي ﷺ انه قال جلسائه خذوا جنتكم قالوا احذر عدو قال خذوا جنتكم من النار قولوا سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر فإذنهم المقدمات وهن المجيبات وهن المقبات وهن الباقيات الصالحات ورواه اصحابنا عن ابي عبد الله (ع) عن آباءه عن النبي ﷺ ثم قال والذكر الله اكبر قال ذكر الله

عند ما احل او حرم وروي عن النبي ﷺ انه قال ان عجزتم عن الليل ان تكابدوه وعن العدو ان تجاهدوه فلا تمجزوا عن قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر فإنهن من الباقيات الصالحات فقولوا وقيل هي الصلوات الخمس عن ابن مسعود وسعيد بن جبير ومسروق والنخعي وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع) وروي عنه ايضا أن من الباقيات الصالحات القيام بالليل لصلاة الليل وقيل ان الباقيات الصالحات هن البنات الصالحات والاولى حملها على العموم فيدخل فيها جميع الطاعات والخيرات وفي كتاب ابن عقدة أن ابا عبد الله (ع) قال للحسين بن عبد الرحمن يا حسين لا تستصغر مودتنا فإنها من الباقيات الصالحات قال يا ابن رسول الله ما استصغرها ولكن احمد الله عليها وإنما سميت الطاعات صالحات لأنها اصلح الأعمال للمكلف من حيث امر بها ووعد الثواب عليها وتوعد بالعقاب على تركها (ويوم نسير الجبال) قيل انه يتعلق بما قبله وتقديره والباقيات الصالحات خير ثواب في هذا اليوم وقيل انه ابتداء كلام وتقديره واذكر يوم نسير الجبال يعني يوم القيامة وتسير الجبال قلعها من اماكنها فإن الله سبحانه يقلعها ويجعلها هباء منثورا وقيل نسيرها على وجه الأرض كما تسير السحاب في السماء ثم يجعلها كشيئا مهبلا كما قال يوم ترجف الأرض والجبال الآية ثم يصيرها كالعنق المنفوش ثم يصيرها هباء منبثا في الهواء كما قال وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا ثم يصيرها بمنزلة السراب كما قال وسيرت الجبال فكانت سرابا (وترى الأرض بارزة) اي ظاهرة ليس عليها شيء من جبل او بناء او شجر يستترها عن عيون الناظرين وقيل ان معناه وترى باطن الأرض ظاهرا قد برز من كان في بطنها فصاروا على ظهرها عن عطا وتقديره وترى ما في الأرض بارزا فهو مثل قول النبي ﷺ ترمي الأرض بأفلاذ كبدها (وحشرناهم) اي وبمشناهم من قبورهم وجمعناهم في الموقف (فلم نغادر منهم احدا) اي فلم نترك منهم احدا إلا حشرناه (وعرضوا على ربك) يعني المحشورين يعرضون على الله تعالى يوم القيامة (صفا) اي مصفوفين كل زمرة وامة صفا وقيل يعرضون صفا بعد صفا كالصفوف في الصلاة وقيل يعرضون صفا واحدا لا يجب بعضهم بعضا ويقال لهم (لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة) معناه لقد جئتمونا ضعفا فقراء عاجزين في الموضع الذي لا يملك فيه الحكم غيرنا كما كنتم في ابتداء الخلق لا تملكون شيئا وقيل معناه ليس معكم شيء مما اكتسبتموه في الدنيا من الأموال والأولاد والخدم تتفقون به كما كنتم في اول الخلق وروي عن النبي ﷺ انه قال يحشر الناس من قبورهم يوم القيامة حاة عراة عزلا فقات عائشة يارسول الله اما يستحي بعضهم من بعض فقال ﷺ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه (بل زعمتم ان ان نجعل لكم موعدا) اي ويقال لهم ايضا بل زعمتم في دار الدنيا أن الله لم يجعل لكم موعدا للبعث والجزاء والحساب يوم القيامة (ووضع الكتاب) اي ووضع الكتب فإن الكتاب اسم جنس والمعنى ووضعت صحائف بني آدم في ايديهم وقيل معناه ووضع الحساب فعبء عن الحساب بالكتاب لأنهم يحاسبون على اعمالهم المكتوبة عن الكلبي (فترى المجرمين مشفقين مما فيه) اي خائفين مما فيه من الأعمال السيئة (ويقولون ياويلتنا) هذه لفظة يقولها الإنسان إذا وقع في شدة فيدعو على نفسه بالويل والثبور (ما لهذا الكتاب) أي اي شيء لهذا الكتاب (لا ينادر صغيرة ولا كبيرة إلا احصاها) اي لا يترك صغيرة من الذنوب ولا كبيرة إلا عددها وانبتها وحواسها وقد مر تفسير الصغيرة والكبيرة في سورة النساء وانث الصغيرة والكبيرة بمعنى القملة والحصلة (ووجدوا ما عملوا حاضرا) اي مكتوبا في الكتاب مثبتا وقيل معناه وجدوا جزاء ما عملوا حاضرا فجعل وجود الجزاء كوجود الأعمال توسعا (ولا يظلم ربك احدا) معناه ولا ينقص ربك ثواب محسن ولا يزيد في عقاب مسيء وفي هذا دلالة على انه سبحانه لا يعاقب الأبطال لأنه إذا كان لا يزيد في عقوبة المذنب فكيف يعاقب من ليس بمذنب

قوله تعالى (٥٠) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ

بدلاً (٥١) مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مَخْتِئاً
الْمُضِلِّينَ عَضُدًا (٥٢) وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ
يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ثلاث آيات

❖ القراءة ❖

قرأ ابو جعفر ما شهدناهم بالنون على التعظيم والباقون ما شهدتهم بالياء وقرأ حمزة ويوم نقول بالنون والباقون بالياء

❖ الحجة ❖

من قرأ نقول بالنون حمله على ما تقدم في المعنى فكما ان كنت للمتكلم فكذلك نقول ومن قرأ بالياء فحجته ان الكلام قد انقضى فالمعنى ويوم يقول الله نادوا شركائي وهذا يقوي القراءة بالياء لانه لو كانت بالنون لكان الاشبه ان يقول نادوا شركائنا

(اللغة) =

الفسق الخروج إلى حال تضر يقال فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها وفسقت الثأرة إذا خرجت من جحرها قال روثبة

يهوين في نجد وغورا غائرا فواسقا عن قصدها جوائرا

قال ابو عبيدة هذه التسمية لم نسمعها في شيء من اشعار الجاهلية ولا احاديثها وإنما تكلم بها العرب بعد نزول القرآن وقال المبرد الأمر على ما ذكره ابو عبيدة وهي كلمة فصيحة على السنة العرب وقال قطرب فسق عن امر ربه اي عن رد امر ربه كقولهم كسوته عن عري وأطعمته عن جوع والعضد ما بين المرفق إلى الكتف وفيه خمس لغات عضد وعضد وعضد وعضد وعضد وعضد فلاتنا اعنته وفلان عضدي استعارة واعتضد به اي استعان قال تغلب كل شيء حال بين شيئين فهو موبق من وبق يبق وبوقا إذا هلك وحكى الزجاج وبق الرجل يوبق وبقا

❖ الاعراب ❖

بش للظالمين بدلا اسم بش مضمم فسر بقواه بدلا وقوله للظالمين فصل بين بش وبين ما انتصب على التمييز والتقدير بش البدل للظالمين ذرية ابليس فذرية ابليس هو المخصص بالذم عن ابي علي الفارسي

❖ المعنى ❖

ثم امر سبحانه نبيه ﷺ ان يذكر هؤلاء المتكبرين عن مجالسة الفقراء قصة ابليس وما اورثه الكبر فقال (وإذ قلنا) اي واذكر يا محمد إذ قلنا (للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس) قد مر تفسيره فيما تقدم وإنما تقرر هذا القول في القرآن لأجل ما بعده مما يحتاج اتصاله به فهو كالمعنى الذي يفيد امرا في مواضع كثيرة لاخر منه باخبار مختلفة وقوله (كان من الجن) من قال ان ابليس لم يكن من الملائكة استدل بهذا لأن الجن غير الملائكة كما انهم غير الانس ومن قال انه كان من الملائكة قال ان المعنى كان من الذين يستترون عن الابصار مأخوذ من الجن وهو الستر وقيل كان من قبيل من الملائكة يقال لهم الجن كانوا خزائن الجنان فأضيغوا اليها كقولك كوفي وبصري وضمف الألوان هذين الوجهين لأن لفظ الجن إذا اطلق فالمفهوم منه هذا الجنس المعروف لا الملائكة (فسق عن امر ربه) اي خرج عن طاعة ربه ثم خاطب الله سبحانه المشركين فقال (اقتصدون له وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو) معناه اقتبعون امر ابليس وامر ذريته وتتخذونهم اولياء تتولونهم

بالطاعة من دوني وهم جميعا أعداء لكم والماعقل حقيق بأن يتهم عدوه على نفسه وهذا استفهام بمعنى الإنكار والتوبيخ قال مجاهد ذريته الشياطين وقال الحسن الجن من ذريته (بش للظالمين بدلا) تقديره بش البدل للظالمين بدلا ومعناه بش ما استبدلوا بعبادة ربهم إذ اطاعوا إبليس عن الحسن وقيل بش البدل طاعة الشيطان عن طاعة الرحمن عن قتادة (ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم) أي ما أحضرت إبليس وذريته خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم مستعينا بهم على ذلك ولا استعنت بعضهم على خلق بعض وهذا الخبر عن كمال قدرته واستغناؤه عن الأنصار والأعداء ويدل عليه قوله (وما كنت متخذ المضلين عضدا) أي الشياطين الذين يضلون الناس أعرانا يعضدونني عليه وكثيرا ما يستعمل العضد بمعنى العون وإنما وحده هنا لوفاق الفواصل وقيل أن معنى الآية أنكم اتبعتم الشيطان كما يتبع من يكون عنده علم لا ينال إلا من جهته وأنا ما أطلعهم على خلق السماوات والأرض ولا على خلق أنفسهم ولم ادلهم العلم بأنه كيف تخلق الأشياء فمن أين تتبعونهم وقيل معناه ما أحضرت مشركي العرب وهؤلاء الكفار خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم أي وما أحضرت بعضهم خلق بعض بل لم يكونوا موجودين فخلقهم فمن أين قالوا إن الملائكة بنات الله ومن أين ادعوا ذلك (ويوم يقول) يزيد يوم القيامة يقول الله للمشركين وعبدة الأصنام (نادوا شركائي الذين زعمتم) في الدنيا أنهم شركائي ليدفعوا عنكم العذاب (فدعوهم) يعني المشركين يدعون أولئك الشركاء الذين عبدوهم مع الله (فلم يستجيبوا لهم) أي فلا يستجيبون لهم ولا ينعونهم شيئا (وجعلنا بينهم) أي بين المؤمنين والكافرين (موبقا) وهو اسم واد عميق فرق الله به سبحانه بين أهل الهدى وأهل الضلالة عن مجاهد وقاتدة وقيل بين المبرودين وعبدهم موبقا أي حاجزا عن ابن الأعرابي أي فأدخلنا من كانوا يزعمون أنهم مبرودهم مثل الملائكة والمسيح الجنة وأدخلنا الكفار النار وقيل معناه جعلنا تواصلهم في الدنيا موبقا أي مهلكا لهم في الآخرة عن الفراء وروى ذلك عن قتادة وابن عباس فالذين على هذا القول معناه التواصل والمعنى أن تواصلهم وتوادهم في الكفر صار سبب هلاكهم في الآخرة وقيل موبقا عداوة عن الحسن فكانه قال عداوة مهلكة وروى عن انس ابن مالك أنه قال الموبق واد في جهنم من قبيح ودم

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال قوله ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض بما قبله أنه يتصل اتصال الحجة التي تكشف حجة الشبهة لانه يتقرر ان يقال انكم قد اقبلتم على اتباع إبليس وذريته وتركتم امر الله تعالى مع كثرة الحجج ولو أشهدتم خلق السماوات والأرض لم تزيدوا على ما فعلتم من اتباعهم وقيل انه سبحانه بين بذلك انه المنفرد بالخلق والاختراع لا شريك له فيه فلا ينبغي ان تشركوا معه في العبادة غيره او تدعوا غيره إلها

قوله تعالى (٥٣) ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم موقفوها ولم يحسدوا عنها مصرفاً
 (٥٤) ولقد صرفنا في هذا القران للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً
 (٥٥) وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين
 أو يأتيهم العذاب قبلاً (٥٦) وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين
 كفروا بآباطل ليحضموا به الحق وأخذوا آياتي وما أنذروا همزوا أربع آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة قبل بضتين والباون قبل

﴿ الحجة ﴾

قد ذكرنا الوجه في سورة الأنعام

﴿ اللغة ﴾

المواقعة ملايسة الشيء بشدة ومنه وقائع الحروب وواقع به ايقاعا والتوقع الترقب لوقوع الشيء والمصرف المعدل قال ابو كثير

ازهير هل عن شيبة من مصرف ام لا خلود لبازل متكلف

والتصريف تنقيح المعنى في الجهات المختلفة والادحاض الاذهاب بالشيء الى الهلاك ومكان دحض اي منزل
منزل لا يثبت عليه خف ولا حافر ولا قدم قال « واحد كما حاد البعير من الدحض »

— (الاعراب) —

أن يؤمنوا في موضع نصب والمعنى ما منع الناس من الايمان إلا طلب أن يأتيهم فيكون ان يأتيهم في موضع
رفع وما انذروا في موضع نصب مطلقا على آياتي وهزوا هو المفعول الثاني لا تتخذوا

— (المعنى) —

ثم بين سبحانه حال المجرمين فقال (ورأى المجرمون النار) يعني المشركين رأوا النار وهي تتلظى حنقا عليهم
من ابن عباس وقيل هو عام في اصحاب الكبائر (فظنوا انهم مواتعوا) اي علموا انهم داخلون فيها واقعون في
عذابها (ولم يجدوا عنها مصرفا) اي معدلا وموضعا ينصرفون اليه ليتخلصوا منها (ولقد صرفنا) اي بينا (في هذا
القرآن للناس من كل مثل) وتصريفها ترديدها من نوع واحد وانواع مختلفة ليتفكروا فيها وقد مر تفسيره
في بني اسرائيل (وكان الانسان اكثر شيئا جدلا) يريد بالانسان النضر بن الحارث عن ابن عباس ويريد أبي بن
خلف عن الكلبي وقال الزجاج معناه وكان الكافر يدل عليه قوله ويمجادل الذين كفروا بالباطل (وما منع
الناس ان يؤمنوا إذا جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم) معناه ما منعه من الايمان بعد مجيء الدلالة ومن ان
يستغفروا ربهم على ما سبق من معاصيهم (إلا ان تأتيهم سنة الأولين) اي الا طلب ان تأتيهم العادة في الأولين
من عذاب الاستئصال حيث آتاهم العذاب من حيث لا يشعرون حين امتنعوا من قبول الهدى والايمان (او يأتيهم
العذاب قبلا) او طلب ان يأتيهم العذاب عيانا مقابلة من حيث يرونه وتأويله انهم بامتناعهم من الايمان بمنزلة
من يطلب مهرا حتى يؤمنوا كرها لا أنهم لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم وهذا كما يقول القائل لغيره ما منعتك
ان تقبل قولتي إلا ان تضرب على ان المشركين قد طلبوا مثل ذلك فقالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك
فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ومن قرأ قبلا فهو في معنى الأول ويجوز أن يكون ايضا جمع
قبيل وهو الجماعة أي يأتيهم العذاب ضروبا من كل جهة ثم بين سبحانه انه قد ازاح العلة واظهر الحجة وأوضح
المحجة فقال (وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين) اي لم نرسل الرسل إلى الخلق إلا مبشرين لهم بالجنة إذا
أطاعوا او مخوفين لهم بالنار إذا عصوا (ويمجادل الذين كفروا بالباطل) اي ويناضل الكفار دفعسا عن مذاهبهم
بالباطل (ليدحضوا به الحق) اي ليزيلوا الحق عن قراره قال ابن عباس يريد المستهزئين والمقتسمين واتباعهم
وجدالهم بالباطل إنهم الزموا أن يأتي بالآيات على اهل انهم على ما كانوا يقترحونه ليطلوا به ما جاء به محمد ﷺ
يقال ادحضت حجته أي ابطلتها (واتخذوا آياتي) يعني القرآن (وما انذروا) اي ما تحذروا به من البعث والنار
(هزوا) هزوا به استهزؤوا به

قوله تعالى (٥٧) وَمِنْ أَظْلَمٍ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ

يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ نَدَعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا (٥٨) وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤْخَذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ الْعَجَل لَهُمُ الْعَذَابُ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا (٥٩) وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ثَلَاثَ آيَاتٍ

﴿ القراءة ﴾

قرأ حفص عن عاصم لمهلكهم بفتح الميم وكسر اللام وكذلك في النمل وما شهدنا مهلك وقرأ حاد ويحيى عن أبي بكر بفتح الميم واللام وقرأ الأعشى والبرجمي عنه هاهنا بالضم وهناك بالفتح وقرأ الباقون لمهلكهم ومهلك بضم الميم وفتح اللام

﴿ الحجة ﴾

من قرأ لمهلكهم فإن المهلك يجوز أن يكون مصدرا ويجوز أن يكون وقتا فيكون معناه لاهلاكهم أو لوقت اهلاكهم ومن قرأ لمهلكهم فالمراد لوقت هلاكهم ومن قرأ بفتح الميم واللام فهو مصدر مثل الهلاك وقد حكى ابن تيمية يقول هلكني زيد وعلى هذا حمل بعضهم قوله «وهه هالك من تعرجا» فقال هو بمعنى مهلك فيكون هالك مضافا إلى المنعول به وإذا لم يكن بمعنى مهلك يكون هالك مضافا إلى الفاعل مثل حسن الوجه وكذلك قوله لمهلكهم على قراءة حفص أو لمهلكهم بفتح اللام والميم فإنه مصدر فعلى قول من عدى هلكت يكون مضافا إلى المنعول به وعلى قول من لم يعده يكون مضافا إلى الفاعل

﴿ الإعراب ﴾

تلك القرى تلك رفع بالابتداء والقرى صفة لها مبينة لها وأهلكناهم في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ ويجوز أن يكون موضع تلك القرى نصبا بفعل مضر يكون أهلكناهم مفسرا لذلك الفعل وتقديره وأهلكنا تلك القرى أهلكناهم

﴿ المعنى ﴾

ثم قال سبحانه (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها) معناه ليس أحد أظلم لنفسه من ذكر أي وعظ بالقرآن وآياته ونبه على أدلة التوحيد فأعرض عنها جانبا (ونسي ما قدمت يداه) أي نسي المعاصي التي استحق بها العقاب وقيل معناه تذكر واشتغل عنه استخفافا به وقلة معرفة بما قبته لانه نسي ذلك ثم قال سبحانه (إنا جعلنا على قلوبهم أكنة) وهي جمع كنان (أن يفقهوه) أي كراهة أن يفقهوه أو لتلا يفقهوه (وفي آذانهم وقرا) أي تغلا وقد تقدم بيان هذا فيما مضى وجملته أنه على التشبيل كما قال في موضع آخر وإذا تتلى عليه آياتنا ولي مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا فالمعنى كأن على قلوبهم أكنة أن يفقهه وفي آذانهم وقرا أن يسمع (وان تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا) أخير سبحانه أنهم لا يؤمنون أبدا وقد خرج مغرره موافقا تجربه فماتوا على كفرهم (وربك الغفور ذو الرحمة) معناه وربك الساتر على عباده العاقر لذنوب المؤمنين ذر النعمة والافضال على خلقه وقيل الغفور التائب ذو الرحمة للمحصن بأن يهمل ولا يعجل وقيل الغفور لا يؤخذهم عاجلا ذو الرحمة يؤخرهم ليتوبوا (لو يؤخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب) في الدنيا (بل لهم موعدا) وهو يوم القيامة والبعث (ان يجدوا من دونه موثقا) أي ملجأ عن ابن عباس وقسادة وقيل محرزا عن مجاهد وقيل منجا ينجيهم عن أبي عبيد قال يقال لا واثت نفسه أي لا نجت قال الأعشى

وقد اخالس رب البيت غفلته وقد يجاذر مني ثم لا يرسل
وقال الآخر

لا وألت نفسك خلتها للعامرين ولم تكلم

(وتلك القرى) إشارة إلى قرى عاد وثمود وغيرهم (اهلكناهم لما ظلموا) بتكذيب انبياء الله وجحود آياته (وجعلنا لمهلكهم) اي وجعلنا الوقت إهلاكهم اولوقت هلاكهم (موعدا) معلوما بهلكون فيه لمصلحة اقتضت تأخيرهم اليه وانما قال سبحانه تلك القرى ثم قال اهلكناهم ولم يقل اهلكناها لأن القرية هي المسكن نحو المدينة والبلدة وهي لا تستحق الهلاك وإنما يستحق الهلاك اهلها ولذلك قال لما ظلموا يعني أهل القرية الذين اهلكناهم

قوله تعالى (٦٠) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦١) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيًا حَوْتُهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦٢) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (٦٣) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنَسِيتهُ إِلَّا الشَّيْطَانَ أَنِ أَدْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٤) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا خمس آيات

القراءة

قرأ حفص وما انسانيه بضم الهاء وفي الفتح بما عاهد عليه الله بضم الهاء والباقون بكسر الهاء من غير بلوغ الياء إلا ابن كثير فإنه يثبت الياء في الرصد وقد تقدم القول في وجه ذلك

اللغة

لا ابرح اي لا ازال ولو كان معناه لا ازول كان محالاً لأنه إذا لم يزل من مكانه لم يقطع ارضا قال الشاعر
وابرح ما ادم الله قومي
اي لا ازال والحقب الدهر والزمان وجممه احقاب قال الزجاج والحقب ثمانون سنة والرب المسلك والمذهب ومعناه في اللغة المحفور في الارض لا نفاذ له ويقال للذاهب في الارض سارب قال الشاعر
انى سربت وكنت غير سرور
ونقرب الأحلام غير قريب

والنصب والوصب والتعب نظائر وهو الوهن الذي يكون على الكد

الاعراب

سرباً منصوب على وجهين احدهما ان يكون مفعولاً ثانياً لاتخذ كما يقال اتخذت طريقى مكان كذا واتخذت طريقى في ال رب والآخر ان يكون مصدر ايدل عليه اتخذ سبيله في البحر فكانه قال فسررب الحوت سرباً وقوله ان اذكره في موضع نصب بدل من الهاء في انسانيه والمعنى وما انساني ان اذكره إلا الشيطان وعجبا منصوب على وجهين احدهما ان يكون على قول يوشع اتخذ الحوت سبيله في البحر عجبا والآخر ان يكون قال يوشع واتخذ سبيله في البحر فأجابته موسى (ع) فقال عجبا فكأنه قال اعجب عجبا وقصصا مصدر وضم موضع الحال تقديره يقصان الاثر قصصا والقصص اتباع الأثر وقال احد المحققين عجبا في موضع حال تقديره قال ذلك متعجبا وقصصا مصدر لفعل مضمر يدل عليه قوله فارتدا على آثارهما فإن معناه فاقتصا الأثر

* النزول *

ذكر علي بن ابراهيم في تفسيره قال لما اخبر رسول الله ﷺ قريشا بنجر اصحاب الكهف قالوا اخبرنا عن العالم الذي امر الله موسى (ع) ان يتبعه من هو كيف تبعه وما قصته فانزل الله تعالى

* المعنى *

(وإذ قال موسى لفتاه) اكثر المفسرين على انه موسى بن عمران وفتاه يوشع بن نون وسماه فتاه لأنه صحبه ولازمه سفرا وحضرا للتعلم منه وقيل لأنه كان يتقدمه ولهذا قال له آتنا غداءنا وهو يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف بن يعقوب وقال محمد بن اسحاق يقول اهل الكتاب ان موسى الذي طلب الخضر هو موسى ابن ميثا بن يوسف وكان نبيا في بني اسرائيل قبل موسى بن عمران إلا ان الذي عليه الجمهور انه موسى بن عمران ولان اطلاقه يوجب صرفه إلى موسى بن عمران كما ان اطلاق محمد ﷺ ينصرف إلى نبينا ﷺ قال علي ابن ابراهيم حدثني محمد بن علي بن بلال قال اختلف بونس وهشام بن ابراهيم في العالم الذي آتاه موسى أيها كان اعلم وهل يجوز أن يكون على موسى حجة سيف وقته وهو حجة الله على خلقه فكثبوا إلى ابي الحسن الرضا (ع) يسألونه عن ذلك فكذب في الجواب اتى موسى العالم فأصابه في جزيرة من جزائر البحر فسلم عليه موسى فانكر السلام إذ كان بأرض ليس بها سلام قال من انت قال انا موسى بن عمران قال انت موسى بن عمران الذي كلمه الله تكليما قال نعم قال فما حاجتك قال جئت لتعلمني مما علمت رشدا قال اني وكت بأمر لا تطيقه ووكلت بأمر لا اطيقه الخبير بطوله (لا ابرح حتى ابلغ جمع البحرين) معناه لا ازال امضي وامشي ولا اسلك طريقا آخر حتى ابلغ ملتقى البحرين ببحر فارس وبحر الروم وبما يلي المغرب ببحر الروم وبما يلي المشرق ببحر فارس عن قتادة وقال محمد بن كعب هو طنجة وروى عنه افرقيه وكان وعد ان يلتقى عنده الخضر (أو أمضي حقا) اي دهرا عن ابن عباس وقيل سبعين سنة عن مجاهد وقيل ثمانين سنة عن عبد الله بن عمر (فلما بلغنا مجمع بينهما) اي فلما بلغ الموضع الذي يجتمع فيه رأس البحرين (نسيا حوتهما) اي تركاه وقيل انه ضل الحوت عنهما حين اتخذ سبيله في البحر سرا نسي ضلاله عنهما نسيانا منهما له وقيل انه من النسيان والناسي له كان احدهما وهو يوشع فأضيف النسيان اليها كما يقال نسي القوم زادم إذا نسيه متمهد امرهم وقيل ان النسيان وجد منهما جميعا فلما يوشع نسي أن يحمل الحوت او ان يذكر موسى ما قد رأى من امره ونسي موسى أن يأمره فيه بشي فصار كل واحد منهما ناسيا لغيره مانسيه الآخر وقوله (فاتخذ سبيله في البحر سرا) اي فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلكا يذهب فيه وذلك ان موسى وفتاه تزودا حوتا ملحوحا عن ابن عباس وقيل حوتا طريا عن الحسن ثم انطلقا بميثان على شاطئ البحر حتى اتعيا إلى صخرة على ساحل البحر فاوبا اليها وعنده عين ماء تسمى عين الحياة فجلس يوشع بن نون وتوضأ من تلك العين فاتضح على الحوت شي من ذلك الماء فعاش ووثب في الماء وجعل يضرب يذنبه الماء فكان لا يسلك طريقا في البحر إلا صار ماء جامدا فذلك معنى قوله فاتخذ سبيله في البحر سرا (فلما جاوزا) ذلك المكان قال موسى (لفتاه آتنا غداءنا) قيل انهما انطلقا بقية يومهما وليتتهما فلما كان من الغد قال موسى ليوشع آتنا غداءنا اي اعطنا ما تنفدى به والغداء طعام الغداة والعشاء طعام العشي والانسان إلى الغداء اشد حاجة منه إلى العشاء (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) اي تعبنا وشدة قالوا ان الله تعالى التقى على موسى الجوع ليتذكر حديث الحوت (قال) له يوشع عند ذلك (أرايت إذ أويتا إلى الصخرة فأني نسيت الحوت) ومعناه ان يوشع تذكر قصة الحوت لما دعا موسى بالطعام ليأكل فقال له أرايت حين رجعتا إلى الصخرة ونزلنا هناك فإني تركت الحوت وفقدته وقيل نسيته ونسيت حديثه وقيل فيه اضمار اي نسيت ان اذكر لك امر الحوت ثم اعتذر فقال (وما انسانيه إلا الشيطان ان اذكره) وذلك انه لو ذكر لموسى (ع)

قصة الحوت عند الصخرة لما جاوزها موسى ولما قاله النصب الذي اشكاه ولم يلق في سفره النصب إلا يومئذ (واتخذ سبيله في البحر عجبا) أي سيلا عجبا وهو ان الماء انجاب عنه وبقي كالسكوة لم يلتصق وقيل ان كلام يوشع قد اقتطع عند قوله واتخذ سبيله في البحر فقال موسى عند ذلك عجبا كيف كان ذلك وقيل ان معناه واتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجبا عن ابن عباس والمعنى دخل موسى الكوة على أثر الحوت فإذا هو بالخضر (قال ذلك ما كنا نبغ) قال موسى «ع» ذلك ما كنا نطلب من العلامة (فارتدا على آثارهما) أي رجعا وعادا عودهما على بدئهما في الطريق الذي جاء منه يقصان آثارهما (قصصا) أي ويتبعانها ويوشع امام موسى «ع» حتى انتهى إلى مدخل الحوت

❖ القصة ❖

سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال اخبرني أبي ابن كعب قال خطبنا رسول الله ﷺ فقال ان موسى قام خطيبا في بني اسرائيل فسل أي الناس اعلم قال انا فكتب الله عليه إذا لم يرد العلم اليه فأوحى الله اليه ان لي عبدا يجمع البحرين هو اعلم منك قال موسى يا رب فكيف لي به قال تأخذ معك حوتا فتجمله في مكث ثم انطلق وانطلق معه فناء يوشع بن نون حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فتاما واضطرب الحوت في المكث فخرج منه نسق في البحر واتخذ سبيله في البحر مربا وامسك الله عن الحوت جربة الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومها وليتها حتى إذا كان من الغد قال موسى لفته آتنا غذاءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي امر الله تعالى به فقال فناء أرايت إذ أوتينا إلى الصخرة الآية قال وكان للحوت مربا ولموسى ولفته عجبا فقال موسى ذلك ما كنا نبغ الآية قال رجعا يقصان آثارهما حتى انتهى إلى الصخرة فوجد رجلا مسجيا بشوب فسلم عليه موسى فقال الخضر وأنى بارضك السلام قال انا موسى قال موسى بني اسرائيل قال نعم أتيتك لتعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا يا موسى اني على علم من علم الله لا تعلمه علميه وانت على علم من علم الله علمك لا أعلمه انا فقال له موسى متجددني إن شاء الله صابرا ولا اعصي لك أمرا فقال له الخضر فلو اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا فانطلقا بمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة وكلمهم أن يحملوهم ففرقوا الخضر فحملوه بنير قول فلما ركبا في السفينة لم يفجا إلا والخضر قد قلع لوحا من الواح السفينة بالقدوم فقال له موسى قوم قد حملونا بنير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتهما لتفرق أهلها لقد جئت شيئا امرأ قال ألم اقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عصرا قال وقال رسول الله ﷺ كانت الأولى من موسى «ع» نسيانا قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما قص هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينة فيبتاهما بمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر رأسه بيده فاقلعه فقتله فقال له موسى أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال ألم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال وهذه أشد من الأولى قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني إلى قوله يريد أن ينقض كان ما تلا فقال (١) الخضر «ع» بيده فأفامه فقال موسى «ع» قوم قد أتيناكم فلم يطعمونا ولم يضيئوا لوشئت لاتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بيني وبينك فقال رسول الله ﷺ وددنا ان موسى كان صبرا حتى يقص علينا من خبرهما قال سعيد بن جبیر كان ابن عباس يقرأ وكان امامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا وكان يقرأ واما الغلام فكان كافرا وكان ابواه مؤمنين روى البخاري ومسلم في الصحيحين وروى اصحابنا عن ابي عبد الله «ع» ايضا انه كان يقرأ كل سفينة صالحة غصبا وروى ذلك ايضا عن ابي جعفر قال وهي قراءة امير المؤمنين «ع»

(١) كذا ولله قدمه

قوله تعالى (٦٥) فَوَجَدَ عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا
 (٦٦) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تُغْلِبَنِي مِمَّا عَلَّمْتَنِي رُشْدًا (٦٧) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ
 صَبْرًا (٦٨) وَكَيْفَ نَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَيْرًا (٦٩) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا
 وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٧٠) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْتَلِنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا
 (٧١) فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا
 (٧٢) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٣) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي
 مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٤) فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ
 لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نَكِرًا (٧٥) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا احدى عشرة آية

❖ القراءة ❖

قرأ ابو عمرو ويعقوب رشدا بالفتح والباقون رشدا بضم الراء وسكون الشين وقرأ فلا تسألني مشددة النون
 مدني شامي والباقون خفيفة النون ولم يخالفوا في إثبات الياء فيه وصلا ووقفا لانها مشبهة في جميع المصاحف وقرأ
 ليغرق بفتح الياء والراء اهلهما بالرفع كوفي غير عاصم والباقون لتغرق بضم التاء اهلهما بالنصب وقرأ زكية بغير
 الف كوفي وشامي وسهل والباقون زاكية وقرأ نكرا بضمين مدني غير اساعيل وابو بكر ويعقوب وسهل وابن
 ذكوان والباقون نكرا ساكنة الكاف

— الحجة —

قال ابو علي الرشد والرشد لغتان وقد اجري العرب كل واحد منها مجرى الآخر فقالوا اسد وأسد وخشب
 وخشب فجمعوا قهلا على فعل ثم فعلا ايضا على فعل وذلك قوله والفلك التي تجري في البحر وفي آية أخرى في
 الفلك المشحون فهذا يدل على انهم أجروها مجرى واحد ومن قرأ فلا تسألني بالشديد فإنه لما ادخل النون الثقيلة
 بني الفعل معها على الفتح قال والقراءة بالتاء في لتغرق اولي ليكون الفعل مستندا إلى المخاطب كما كان المعطوف
 عليه كذلك وهو اخرقتها وهذا يأتي في معنى الياء ايضا لأنهم إذا اغرقهم غرقوا وقوله نكرا فعل وهو من امثلة
 الصفات قالوا ناقة أجد ومثية سحج فمن خفف ذلك كما يخفف نحو العنق والطنب والشغل فالتخفيف فيه مسمر

❖ اللفظة ❖

الأمر الداهية العظيمة قال الشاعر

لقد لقي الأقران مني نكرا داهية دهباء إذا إمرا

وهو مأخوذ من الأمر لأنه الفاسد الذي يحتاج أن يؤمر بترصده إلى الصلاح ومنه رجل امر إذا كان
 ضعيف الرأي لأنه يحتاج ان يؤمر حتى يقوى رأيه ومنه امر القوم اي كثروا ومعناه احتاجوا إلى من يأمرهم
 وينهاهم ومنه الأمر من الأمور اي الشيء الذي من شأنه ان يؤمر فيه

❖ الاعراب ❖

قوله رشدا بجوزان بنصب على انه مفعول له ويكون المعنى هل اتبعك للرشد او لطلب الرشد على ان تعلمني فيكون
 على ان تعلمني حالا من قوله اتبعك ويجوز ان يكون قوله رشدا مفعولا به وتقديره اتبعك على ان تعلمني رشدا بما

علمته ويكون العلم الذي يتعدى إلى مفعول واحد فيتعدى بتضعيف العين إلى مفعولين والمعنى على ان تعلمني امرا ذا رشد وعلما ذا رشد او خبرا نصب على المصدر والمعنى لم يخبره خيرا

❖ المعنى ❖

(فوجدنا عبدا من عبادنا) اية صادف موسى وفناه وادر كما عبداً من عبادنا قائماً على الصخرة بصلي وهو الخضر «ع» واسمه بلييا بن ملكان وإنما سمي خضرا لأنه إذا صلى في مكان الخضر ما حوله وروي مرفوعا انه قد عد على فروة يضاء فاهتزت تحتة خضراء وقيل انه رآه على طنضة خضراء فسلم عليه فقال وعليك السلام يا نبي بني اسرائيل فقال له موسى وما ادراك من انا ومن اخبرك اني نبي قال من ذلك علي واختلف في هذا العبد فقال بعضهم انه كان ملكا امر الله تعالى موسى ان يأخذ عنه ما حمله إياه من علم بواطن الأشياء وقال الا كثرون انه كان من البشر ثم اختلفوا فقال الجبائي وغيره انه كان نبيا لأنه لا يجوز ان ينبع النبي من ليس نبي ليتعلم منه العلم لما في ذلك من الغشاضة على النبي وكان ابن الاخشيد يجوز ان لا يكون نبيا ويكون عبداً صالحا أودعه الله من علم بواطن الأمور ما لم يودعه غيره وهذا ليس بالوجه ومتى قيل كيف يكون نبي اعلم من موسى في وقته قلنا يجوز ان يكون الخضر خص بعلم ما لا يتعلق بالاداء فاستعلم موسى من جهته ذلك العلم فقط وإن كان موسى اعلم منه في العلوم التي يودعها من قبل الله تعالى (آتيناها رحمة من عندنا) يعني النبوة وقيل طول الحياة (وعلمتنا من لدنا علما) اي علما من علم الغيب عن ابن عباس وقال الصادق (ع) كان عنده علم لم يكتب لموسى (ع) في الألواح وكان موسى يظن ان جميع الأشياء التي يحتاج اليها في تايوته وان جميع العلم قد كتب له في الألواح (قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا) اي علما ذا رشد قال قتادة لو كان احد مكتفيا من العلم لا كنتي نجسي الله موسى ولكنه قال هل اتبعك الآبة عظمه «ع» بهذا القول غاية التعظيم حيث أضاف العلم اليه ورضي باتباعه وخاطبه بمثل هذا الخطاب والرشد العلوم الدينية التي ترشد إلى الحق وقيل هو علوم اللطاف الدينية التي تخفى على الناس (قال) العالم (انك لن تستطيع معي صبرا) أي يثقل عليك الصبر ولا يخف عليك ولم يرد انه لا يقدر على الصبر وإنما قال ذلك لأن موسى «ع» كان يأخذ الأمور على ظواهرها والخضر كان يحكم بما اعلمه الله من بواطنها فلا يسهل على موسى مشاهدة ذلك ثم قال (وكيف تصبر على ما لم تحط به خيرا) أي كيف تصبر على ما ظاهره عندك منكرو وانت لم تعرف باطنه ولم تعلم حقيقته والخبر العلم وفي هذا دلالة على انه لم يرد بقوله لن تستطيع معي صبرا نفي الاستطاعة للصبر لأنه لو أراد ذلك لكان لا يستطيع الصبر سواء علم او لم يعلم (قال) موسى (ستجدني إن شاء الله صابرا) أي اصبر على ما أرى منك (ولا أعصي لك امرا) تأمرني به ولا أخالفك فيه قال الزجاج وفيما فعله موسى «ع» وهو من جملة الأنبياء من طلب العلم والرحلة فيه ما يدل على انه لا ينبغي لأحد أن يترك طلب العلم وإن كان قد بلغ نهايته وانه يجب أن يتواضع لمن هو اعلم منه وإنما قيد (ع) صبره بمشيئة الله لأنه اخبر به على ظاهر الحال فجوز ان لا يصبر فيما بعد بأن يعجز عنه فقال إن شاء الله ليخرج بذلك من أن يكون كاذبا (قال) الخضر له (فإن اتبعني) واقتفيت أثري (فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا) اية لا تسألني عن شيء افعله مما تنكره ولا تعلم باطنه حتى اكون انا الذي افسره لك (فانطلقا) بمشيان على شاطئ البحر (حتى إذا ركبا في السفينة خرقها) ومعناه انها أرادت أن يعبرا في البحر إلى ارض أخرى فاتيا معبراً عرف صاحب السفينة الخضر (ع) فحملها فلما ركبا في السفينة خرق الخضر (ع) السفينة أي شقها حتى دخلها الماء وقيل انه قلع لوحين مما يلي الماء فحشاهما موسى (ع) بثوبه (وقال) منكرا عليه (أخرقتها لتغرق أهلها) ولم يقل لتغرق وإن كان في غرقها غرق جميعهم لأنه اشفق على القوم اكثر من اشفاقه على نفسه جريا على عادة الأنبياء ثم قال بعد انكاره ذلك (لقد جئت شيئا امرا) اية منكرا عظيما يقال امر

الامر امرا إذا كبير والامر الاسم منه (فقال) له الخضر (ألم أقل) لك (انك لن تستطيع معي صبرا) أي ألم أقل حين رغبت في اتباعي ان قسك لا تطاوعك على الصبر معي فتذكر موسى ما بذل له من الشرط ثم (قال) معذرا مستقيلا (لا تؤاخذني بما نسيت) أي غفلت من التسليم لك وترك الانكار عليك وهو من النسيان الذي هو ضد الذكر وروي عن أبي بن كعب قال انه لم ينس ولكنه من معاريف الكلام وقيل بما تركت من وصيتك وعهدك عن ابن عباس وعلى هذا فيكون من النسيان بمعنى الترك لا بمعنى الغفلة والسهو (ولا ترهقني من امري عسرا) أي لا تكلفني مشقة تقول ارهقته عسرا إذا كلفته ذلك والمشى عاملني باليسر ولا تعاملني بالمسر ولا تضيق علي الأمر في صحبتي إياك (فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله) ومعناه فخرجا من البحر وانطلقا يمشيان في البر يعني موسى والخضر ولم يذكر يوشع لأنه كان تابعا لموسى او كان قد تأخر عنها وهو الأظهر لاختصاص موسى بالنبوة واجتماعه مع الخضر (ع) في البحر فلحقا غلاما يلعب مع الصبيان فذبحه بالسكين عن سعيد بن جبير وكان من احسن أولئك الغلمان واصبحهم وقيل صرعه ثم تزع رأسه من جسده وقيل ضربه بوجهه فقتله وقال الأسم كان شابا بالغا لأن غير البالغ لا يستحق القتل وقد يسمى الرجل غلاما قالت ليلي الاخيلية

شفاها من آداء العضال الذي بها غلام إذا هز ألقناه سقاها

(قال أفتلت نفسا زكية) أي طاهرة من الذنوب وزكية بريئة من الذنوب وقيل الزاكية التي لم تذب والزكية التي أذنت ثم ثابت حكي ذلك عن أبي عمرو بن العلاء وقيل الزكية أشد مبالغة من الزاكية عن تغلب وقيل الزاكية في البدن والزكية في الدين (بغير نفس) أي بغير قتل نفس يريد القود (لقد جئت شيئا نكرا) أي قطعيا منكرا لا يعرف في شرع والمنكر اشد من الامر عن قتادة وإنما قال ذلك لأن قلبه صار كالمغلوب عليه حين رأى قتله (قال) العالم (ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا) أعاد هذا القول لتأكيد الأمر عليه والتحقيق لما قاله أولا مع النهي عن العود بمثل سؤاله

قوله تعالى (٧٦) قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (٧٧) فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَنْبَأَ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعْنَا أَهْلَهَا فَبِأَوَّلِهَا نُنَافِسُ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٨) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأَلْتُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٧٩) وَأَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٨٠) وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبُوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨١) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (٨٢) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا سبع آيات

القراءة

قرأ يعقوب برواية روح وزيد فلا تصحني والباقون فلا تصاحبني وقرأ أهل المدينة وأبو بكر عن عاصم من لدني خفيفة النون والباقون لدني بالشديد وقرأ ابن كثير وأهل البصرة لتخذت بكسر الخاء مخففة وابن كثير

يظهر منه الذال والباقون لا اتخذت وعاصم يظهر الذال والآخرون يدغمون وقرأ أهل المدينة وأبو عمرو أن
يبدلها بفتح الباء وتشديد الدال وكذلك في التحريم أن يبدله وفي القلم أن يبدلنا والباقون بسكون الباء وتخفيف
الذال وقرأ رحماً بضم الحاء أبو جعفر وابن عامر وعاصم وعباس ويعقوب وسهل والباقون بسكون الحاء وفي
الشواذ قراءة النبي ﷺ جداراً يريد أن ينقض بضم الياء وقراءة علي بن أبي طالب (ع) وعكرمة ويحيى بن
يعمر ينقض بصاد غير معجمة وبالألف وقراءة عبد الله والأعشى يريد لينقض

الحجة

من قرأ فلا تصحبي فعناه لا تكونن صاحبي ومن قرأ فلا تصاحبي فعناه إن طلبت صحبتك فلا تتابني على
ذلك وأما قوله من لدني فإن الأجود تشديد النون لأن أصل لدن الاسكان فإذا اضفتها إلى قسك زدت نونا
لتسلم سكون النون الأولى تقول من لدن زيد ومن لدني كما تقول عن زيد وعني ومن قرأ لدني لم يجز له أن
يقول عني لأن لدن اسم غير متمكن ومن وعن حرفان جاء ألمعني ولدن مع ذلك انقل من من وعن والدليل على
أن الأسماء يجوز فيها حذف النون قولهم قدني في معنى حسبي ويجوز قدني «قال قدني من نصر الخبيبين قدني»
فجاء بالفتين وقال أبو زيد اتخذنا مالا نتخذه اتخذنا اتخذت اتخذنا وقال أبو علي وجه الادغام ان هذه
الحروف متقاربة فيدغم بعضها في بعض كما يدغم سائر المتقاربة فالطاء والذال والفاء والطاء والذال والفاء والطاء والذال والفاء والطاء
في بعض للمقاربة فأما الصاد والسين والزاء فيدغم بعضها في بعض ويدغم فيها الحروف السهلة ولا يدغم في السهلة
لما يختل من ادغامها في مقاربتها من الصغير وأما قوله ان يبدلها فإن ابدل وبدل متقاربان في المعنى كما ان اترن
ونزل كذلك وأما قوله رُحماً فإن الرحم والرحم هاهنا الرحمة قال رؤبة

يا منزل الرحم على ادريس ومنزل اللعن على ابليس

قال ابن جنى قوله يريد ان ينقض معناه قد قارب او شارب ذلك فهو عائد الى معنى يكاد وقد جاء ذلك عنهم وانشد ابو الحسن

كادت وكدت وثلث خير ارادة لو عاد من لهو الصباية ما مضى

وحسن هنا لفظ الارادة لأنه اقوى في وقوع الفعل وذلك انهادعية الى وقوعه وهي ايضا لاتصح الام مع الحياة
ولا يصح الفعل الا لذي الحياة وليس كذلك كاد لأنه قد يقارب الأمر ما لا حياة له نحو ميل الحائط واشراق
ضوء الصبح وينقض اي يتكسر يقال قسه فانقض قال

فراق كقبص السن فالصبر إنه لكل اناس كسرة وجبور

وقالوا ايضا قضته فانقض بصاد معجمة يعني هدمته فانهدم قال «كأنها هدم في الجفر متقاض» وقراءة العامة ينقض
يحتمل امرين أحدهما ان يكون بفعل من القضة وهي الحصى الصغار والآخر ان يكون
يفعل من قضت الشيء كقراءة النبي ﷺ يريد ان ينقض فيكون كيزور ويرعوي ونحوهما مما جاء من
غير الالوان والعيوب ومن قرأ لينقض فإن شئت قلت اللام زائدة فيه واحتجبت فيه بقراءة النبي ﷺ
وان شئت قلت تقديره ارادته لكذا كقولك قيامه لكذا وجلوسه لكذا ثم وضع الفعل موضع مصدره كما
انشد ابو زيد

فقالوا ما نشاء فقلت ألهو الى الاصبح آثر ذي أثير

اي اللهو فوضع اللهو موضع مصدره وانشد ايضا

نموجكم علي واستقيم

واهلكني لكم في كل يوم

اي واستقامتي وكاللام هنا اللام في قوله

أريد لأنسى ذكرها فكأنما نمثل لي ليلي بكلن سبيل

فيحتمل اللام هنا الوجهين اللذين تقدم ذكرهما

﴿ اللغة ﴾

الاتقاض السقوط بسرعة قال ذو الرمة (فاقض كالكوكب الدردي منصلتا) والوراء والخلف واحد وهو تقيض جهة التقدم ويستعمل وراء بمعنى التقدم أيضا على الاتساع لأنها جهة مقابلة لجهة فكان كل واحدة من الجهتين وراء الأخرى قال الشاعر

الرجو بنو مروان سمعي وطاعتي وقومي تميم وألفلاة وراثيا

وقال لبيد

ألبس وراعي أن تراخت منيتي لزوم العصا تخنوع عليها الأصابع

وقال الفراء يجوز ذلك في الزمان دون الاجتسام قال علي بن عيسى وغيره يجوز في الاجسام التي لا وجه لها كحجرين متقابلين كل واحد منهما وراء الآخر والارهاق ادراك الشيء بما يغشاه وارهقه الفارس أي غشيه وادركه وغلام مراهن إذا قارب ان يغشاه حال البلوغ ويقال ارهقه امسا أي الحقه اياه قال الأزهري الرهق جهل الإنسان وارهقه عسرا كلفه اياه وجاء في الحديث كان النبي ﷺ إذا دخل مكة مراهنًا خرج إلى عرفة اسبه ضاق عليه الوقت

﴿ الإعراب ﴾

قال الزجاج قوله هذا فراق بيني وبينك زعم سيبويه أن معنى مثل هذا التوكيد يعني هذا فراق بيننا أي هذا فراق اتصالنا ومثله من الكلام أخزي الله الكاذب مني ومنك وهذا لا يكون إلا بالواو ولا يجوز هذا فراق بيني وبينك لأن معنى الواو الاجتماع ومعنى الفاء ان يأتي الثاني في اثر الأول ومسكين لا ينصرف لأنه جمع ليس له في الآحاد نظير رحمة من ربك منصوب على ضربين ﴿ احدهما ﴾ ان المعنى فعلنا ذلك رحمة أي للرحمة كما تقول اتقنتك من الملائكة رحمة لك والآخر أن يكون منصوبا على المصدر لأن معنى قوله فأراد ربك ان ييلنا اشدهما ويستخرجنا كنزهما رحمة الله بذلك

﴿ المعنى ﴾

(قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني) أي قال له موسى جوابا إن سألتك عن شيء بعد هذه المرة او بعدهذه النفس وقتلها فلا تتركني اصحبك (قد بلغت من لدني عذرا) أي قد اعذرت فبما بيني وبينك وقد اخبرني اني لا استطعم معك صبورا عن ابن عباس وهذا اقرار من موسى (ع) بأن الخضر قد قدم اليه ما يوجب العذر عنده فلا يلزمه ما انكره وروى أن النبي ﷺ تلا هذه الآية فقال استجبني نبي الله موسى ولو صبر لرأى القاء من العجائب (فانطلقا حتى إذا أتيا اهل قرية) وهي انطاكية عن ابن عباس وقيل أبله عن ابن سيرين ومحمد بن كعب وقيل هي قرية على ساحل البحر يقال لما ناصرة وبها سميت النصارى وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) (استطعموا اهلها) أي سألوا الطعام (فأبوا ان يضيفوها) والتضيف والإضافة بمعنى واحد أي لم يضيفهما احد من اهل القرية وروى ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال كانوا اهل قرية لثام وقال ابو عبد الله (ع) لم يضيفوهما ولا يضيفون بعدهما احداً إلى ان تقوم الساعة (فوجد فيها جدارا يريد ان ينقض) وصف الجدار بالإرادة مجاز ومعتاد قرب ان ينقض واشرف على ان ينهدم وذلك على التشبيه بمجال من يريد الفعل في الثاني وهذا من فصيح كلام العرب ومثله في اشعارهم كثير قال الراعي يصف الاوبل

في مهمه قلقت بها هاماتها
وقال الآخر
قلقى ألقوس إذا اردن فصولا
يريد الرمح صدر ابي براء
وبرغب عن دماء بني عقيل
وقريب منه قول الآخر
إن دهرًا يلف شملي بسعدي
أي كأنه بهم وقال عنتره يصف فرسه
لزمان بهم بالإحسان
فازور من وقع ألقنا بلبانه
وشكا الي بعبرة وتحمحم

(فأقامه) أي سوّاه قيل انه دفع الجدار بيده فاستقام عن سعيد بن جبير (قال لو شئت لتخذت عليه اجرا) معناه إنهم لما بخلوا عليهما بالطعام وأقام الخضر جدارهم المشرف على الانهدام عجب موسى من ذلك فقال لو شئت لعملت هذا بأجر تأخذه منهم حتى كنا نسد به جوعتنا (قال هذا فراق بيني وبينك) معناه هذا الكلام والانكار على ترك الأجر هو المفرق بيننا وقيل معناه هذا وقت فراق اتصالنا وكرر بين تأكيدها عن الزجاج وقيل معناه هذا الذي قلته سبب الفراق بيني وبينك ثم قال له (سأنتك) أي سأخبرك (بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) أي بتفسير الأشياء التي لم تستطع على الامساك عن السؤال عنها صبرا (أما السفينة فكانت لمساكين) معناه اما السبب في خرق السفينة فهو انها كانت لفقراء لاشي لهم يكفيمهم قدسكتهم قلة ذات ايدهم (يعملون في البحر) يعملون بها في البحر ويشيئون بها (فأردت أن أعيها) أي احدث فيها عيبا (وكان وراءهم) أي وكان قدامهم (ملك يأخذ كل سفينة) صحيحة او غير معيبة (غصبا) عن قتادة وابن عباس قال عباد بن صيب قدمت الكوفة لاسمع من اسماعيل بن ابي خالد فررت بشيخ جالس فقلت ياشيخ كيف امر إلى منزل اسماعيل ابن ابي خالد فقال لي وراءك فقلت ارجع فقال اقول وراءك وترجع فقلت أليس وراني خلفي قال لا ثم قال حدثني عكرمة عن ابن عباس وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا قال ولو كان وراءهم لكانوا قد جاوزوه ولكن كان بين ايدهم قال الخضر إنما خرقتها لأن الملك إذا رآها متخرقة تركها ورقعها أهلها بقطعة خشب فاتنعوا بها وقيل يحتمل ان الملك كان خلفهم وكان طريقهم في الرجوع عليه ولم يعلم به اصحاب السفينة وعلم به الخضر «ع» (واما الغلام فكانت ابواه مؤمنين) وروي عن ابي وابن عباس انها كانتا بقرآن واما الغلام فكان كافرا وابواه مؤمنين وروي ذلك عن ابي عبد الله «ع» ومعناه واما الغلام الذي قتلته فإنما قتلته لأنه كان كافرا (فخشي أن يرهقها طغيانا وكفرا) أي فلعلنا انه إن بقي يرهق ابويه أي بشيها طغيانا وكفرا وهو من كلام الله تعالى وقيل معناه فخشنا ان يحمل ابويه على الطغيان والكفر بأن يباشر ما لا يمكنها منه فيحملها على الذب عنه والتعصب له فيؤدي ذلك إلى أمور يكون مجاوزة للحد في العصيان والكفر وهو من كلام الخضر لأن الله تعالى لا يجوز عليه الغشية وقيل معناه فكرهنا أن يرهق الغلام ابويه وإنما وظلما بطغيانه وكفراه (فأردنا أن يبدلها ربها خيرا منه زكاة) أي ولدا خيرا منه دينا وطهارة وصلاحا (واقرب رحما) أي وارحم بها عن قتادة والزكاة الصلاح والركي الصالح والرحم العطف والرحمة وقيل معناه اربو الدية وأوصل للرحم عن ابن عباس وقيل معناه واقرب ان يرحمها قال قتادة قال مطرف ايم الله انا لنعلم انها فرحنا به يوم ولد وحزنا عليه يوم قتل ولو عاش كان فيه مهلكتها فرضي رجل بما قسم الله له فان قضاء الله للمؤمن خير من قضائه لنفسه وما قضى لك يا ابن آدم فيما تكرمه خير مما قضى لك فيما تحب فاستخر الله وارضى بقضائه وروي انها ابدلها بالغلام المقتول جارية فولدت سبعين نبيا عن ابي عبد الله «ع» وقيل انه تزوجها نبي من الأنبياء فولدت له نبيا هدى الله على يديه أمة

من الأمم عن الكلي وفي مثل الغلام دلالة على وجوب اللطف على ما نذهب إليه لأن المفهوم من الآية أنه تدبير من الله تعالى لم يكن بجواز خلافه وأنه إذا علم من حال الإنسان أنه يفسد عند شيء يجب عليه في الحكمة أن يذهب ذلك الشيء حتى لا يقع هذا الفساد ومتى قيل أنه لو حصل لنا العلم بذلك كما حصل لذلك العالم هل كان يحسن منا القتل قلنا إن هذا العلم لا يحصل إلا للأنبياء وعند حصول العلم به يحسن ذلك ومتى قيل إن الله كان قادراً على إزالة حياة الغلام بالموت من غير ألم فتزول التيقية التي هي المفسدة من غير ادخال ابلاد عليه بالقتل فلم آسر بالقتل فالجواب من وجهين ﴿أحدهما﴾ أن الله تعالى قد علم أن ابويه لا يثبتان على الإيمان إلا بقتل هذا الغلام فتمتعن وجه الوجوب في القتل ﴿والآخر﴾ أن تبقية الغلام إذا كانت مفسدة فالله تعالى مخير في إزالتها بالموت من غير ألم وبالقتل لأن القتل وإن كان فيه ألم يلحق المقتول فإن بإزائه اعواضا كثيرة توازي ذلك الألم ويزيد عليه ااضعافا كثيرة فيصير القتل بالنافع العظيمة التي بإزائه كأنه ليس بألم ويدخل في قبيل النفع والاحسان (وأما الجدار فكان) أي فإنما أفتنه لأنه كان (لغلامين يتيمين في المدينة) يعني القرية المذكورة في قوله أتيا أهل قرية (وكان تحته كنز لهما) والكنز هو كل مال مذخور من ذهب أو فضة وغير ذلك واختلف في هذا الكنز فقيل كانت صحف علم مدفونة تحته عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقال ابن عباس ما كان ذلك الكنز الا علما وقيل كان كنزا من الذهب والفضة عن قتادة وعكرمة واختاره الجبائي ورواه ابو الدرداء عن النبي ﷺ وقيل كان لوحا من ذهب وفيه مكتوب عجب لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن . عجباً لمن أيقن بالرزق كيف يتعب . عجباً لمن أيقن بالموت كيف يفرح . عجباً لمن يؤمن بالحساب كيف يعقل . عجباً لمن رأى الدنيا وتقلبها باهلها كيف بطمئن إليها لا إله إلا الله محمد رسول الله عن ابن عباس والحسن وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع) وفي بعض الروايات زيادة وقصان وهذا القول يجمع القولين الأولين لأنه يتضمن إن الكنز كان مالا كتب فيه علم فهو مال وعلم (وكان ابوهما صالحا) بين سبحانه أنه حفظ الغلامين بصلاح أيها ولم يذكر منهما صلاحا عن ابن عباس وروي عن ابي عبد الله (ع) أنه كان بينهما وبين ذلك الأب الصالح سبعة آباء وقال ﷺ أن الله ليصلح بصلاح الرجل المؤمن ولده وولد ولده وأهل دويرته ودويرات حوله فلا يزالون في حفظ الله لكرامته على الله (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما) أي بتبها إلى الوقت الذي يعرفان فيه قبح اتسهما وحفظ مالهما وهو ان يكبرا وبعقلا (ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك) أي نعمة من ربك والمعنى ان كل ما فعلته رحمة من الله تعالى أي رحم الله بذلك المساكين وابوي الغلام واليتيمين رحمة (وما فعلته عن امري) أي وما فعلت ذلك من قبل نفسي وإنما فعلته بأمر الله تعالى قال ابن عباس يريد انكشف لي من الله علم فعلت به ثم قال (ذلك) الذي قلته لك (تأويل ما لم تستطع عليه صبرا) أي نقل عليك مشاهدته ورويته واستنكرته بقال استطاع يستطع واسطاع يستطيع قال ابو علي الجبائي لا يجوز ان يكون الخضر حيا إلى وقتنا هذا لأنه لو كان لعرفه الناس ولم يخف مكانه ولأنه لا نبي بعد نينا ﷺ وهذا الذي ذكره غير صحيح لأن تبقيته في مقدور الله تعالى ويجوز ان تنخرق العادة للأنبياء صلوات الله عليهم بالاجماع ولا يمتنع أيضا أن يكون بحيث لا يتعرف إلى احد وان الناس وإن كانوا يشاهدونه لا يعرفونه وقوله انه لا نبي بعد نينا مسلم ولكن نبوة الخضر (ع) كانت ثابتة قبل نبوة نينا محمد ﷺ وأما شرعه لو كان له شرع خاص فإنه منسوخ بشرية نينا ولو كان داعيا إلى شريعة من تقدمه من الأنبياء فإن شريعة نينا ﷺ ناسخة لها فلا يؤدى إلى ما قاله الجبائي

قوله تعالى (٨٣) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّذِينَ قَالُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (٨٤) إِنَّا مَسْكَنًا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيًّا (٨٥) فَاتَّبِعْ سَبِيلَ (٨٦) حَتَّى إِذَا بَلَغَ

مَغْرِبِ الشَّمْسِ وَجَدَهَا نَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قَلْبًا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ
تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٧) قَالَ أَمَا مِنْ ظَلَمٍ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ
فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا خمس آيات في الكوفي ست في البصري أربع في المدني عدا الكوفي
والبصري من كل شيء سبباً فاتبع سبباً آيتين ولم يعد الكوفي عندها قوما آية بل جعل آخر الآية حسناً

✽ القراءة ✽

قرأ ابن عامر وأهل الكوفة فاتبع ثم اتبع بهمة القطع وفتحها وتخفيف التاء وسكونها والباقون فاتبع
بهمة الوصل وتشديد التاء وفتحها وقرأ أبو جعفر وابن عامر وأهل الكوفة غير حفص حامية والباقون حمئة
بغير الف مهموز

✽ الحجة ✽

قال أبو علي تبع فعل يتمدى إلى مفعول واحد فإذا نقلته بالهمزة تمدى إلى مفعولين بذلك على ذلك قوله
واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة وأما اتبع فإنه افتعل يتمدى إلى مفعول واحد كما يتمدى فعل اليه مثل حفرته واحتفرته
وشويته واشتويته ومن قرأ فاتبع سبباً تقديره فاتبع سبباً سبباً أو اتبع امره سبباً أو اتبع ما هو عليه سبباً فحذف
احد المفعولين كما حذف في قوله لينذر بأساً شديداً ولا يكادون يفقهون قولاً والمعنى لينذر الناس بأساً شديداً
ولا يكادون يفقهون احداً قولاً ومن قرأ فاتبع سبباً فالمعنى اتبع في كل وجه وجهناه له وأمرناه به السبب
الذي ينال به صلاح ما مكن منه وقال أبو عبيدة معناه اتبع طريقاً وأثراً ومن قرأ حمئة فعل فاعلة ومن قرأ حامية
فهي فاعلة من حميت تحمى فهي حامية وزوي عن الحسن أنه قال حارة ويجوز فيمن قرأ حامية أن يكون فاعلة من
الحماة فخفف الهمزة على قياس قول أبي الحسن فيقلبها باء محضة وإن خففها على قول الخليل كانت بين بين قال
سيبويه وهو قول العرب

✽ اللعنة ✽

القرن قرن الشاة وغيرها وقرون الشعر الذوائب ومنه قول أبي سفيان ولا الروم ذوات القرون أراد قرون
شعورهم لأنهم كانوا يطولونه والذكر حضور المعنى للفس وقد يكون بالقلب وهو التفكير وقد يكون باللسان
وكل ما وصل شيئاً إلى شيء فهو سبب يقال للطريق إلى الشيء سبب وللجبل سبب وللباب سبب والحماة الطين
الأسود يقال حمت البئر تحماً فهي حمئة إذا صار فيها الحماة قال أبو الأسود

تجبي بملئها طوراً وطورا تجبي بجأة وقليل ماء

وحمات البئر اخرجت منه الحماة واحماتها القيت فيها الحماة

✽ الإعراب ✽

إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً مع الفعل في موضع نصب بفعل مضمر كما أن قوله فإما منا بعد وإما
فسداه كذلك ويجوز أن يكون أن مع الفعل في موضع المبتدأ والخبر مضمر أي إما العذاب واقع منك فيهم
وإما اتخاذ امر ذي حسن واقع منك فيهم فحذف الخبر لطول الكلام بالصلة وهذا اظهر والأول عن أحمد بن يحيى

« المعنى » -

تم بين سبحانه قصة ذي القرنين فقال (وبألوانك) يا محمد (عن ذي القرنين) أي عن خبره وقصته لا عن
شخصه واختلف فيه فقيل أنه نبي مبعوث فتح الله على يديه الأرض عن مجاهد وعبد الله بن عمر وقيل أنه كان

ملكاً عادلاً وروى عن علي بن ابي طالب (ع) انه كان عبداً صالحاً احب الله واحبه الله وناصح الله وناصحه
 قد امر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه ضربة بالسيف فغاب عنهم ما شاء الله ثم رجع اليهم فمدعاهم الى الله
 فضربوه على قرنه الآخر بالسيف فذلك قرناه وفيكم مثله يعني نفسه (ع) وفي سبب تسميته بذوي القرنين اقوال أخر
 منها انه سمي به لأنه كانت له صفيرتان عن الحسن ومنها انه كان على رأسه شبه القرنين تواريخه
 العامة عن يحيى بن عبيد ومنها انه بلغ قطري الأرض من المشرق والمغرب فسمي بذلك لاستيلائه على قرن
 الشمس من مغربها وقرنها من مطلعها عن الزهري واختاره الزجاج ومنها انه رأى في منامه انه دفي من
 الشمس حتى اخذ بقرنيها في شرقها وغربها فقص رؤياه على قومه فسموه ذا القرنين عن وهب ومنها انه
 عاش عيش قرنين فاقرض في وقته قرنان من الناس وهو حسي ومنها انه كان كريم الطرفين من أهل
 بيت الشرف من قبل ابيه وامه قال معاذ بن جبل كان من ابناء الروم واسمه الاسكندر وهو الذي بنى الاسكندرية
 (قل سأتلوا عليكم منه ذكراً) معناه قل يا محمد سأقرأ عليك منه خبراً وقصة (انا نمكنا له في الأرض) اي
 بسطنا يده في الأرض وملكنا حتى استولى عليها وقام بمصالحها وروي عن علي (ع) انه قال سخر الله له السحاب
 فحمله عليها ومد له في الاسباب وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء فهذا معنى تمكينه في الأرض وهو
 انه سهل عليه المسير فيها وذلّل له طريقها وحزونها حتى تمكن منها اني شاء (وأيتناه من كل شيء سبياً) اي
 فأعطيناه من كل شيء علماً يتسبب به إلى إرادته ويبلغ به إلى حاجته عن ابن عباس وقتادة والضحاك وقيل معناه
 وأيتناه من كل شيء يستعين به الملك على فتح البلاد ومحاربة الأعداء عن الجبائي وقيل معناه وأيتناه من كل شيء
 سبيلاً كما قال سبحانه لعلي ابلغ الاسباب اسباب السماوات اي سبيلها (فأتبع سبياً) معناه فأتبع طريقاً واحداً في
 سلوكه قال الزجاج معناه فأتبع سبياً من الاسباب التي اوتي بها وذلك انه اوتي من كل شيء سبياً فأتبع من تلك
 الاسباب التي اوتي سبياً في المسير إلى المغرب ومن قرأ فأتبع سبياً فمعناه لحق كقوله فأتبعه الشيطان والأصل فيه
 ما سذكر في الحجّة (حتى إذا بلغ مغرب الشمس) اي موضع غروبها ومعناه انه انتهى إلى آخر العمارة من جانب
 المغرب وبلغ قوماً لم يكن وزاهم أحد إلى موضع غروب الشمس ولم يرد بذلك انه بلغ إلى موضع الغروب
 لأنه لا يصل إليه أحد (وجدها) تغرب معناه وجدها كأنها (تغرب في عين حمئة) وان كانت تغرب في
 ورائها عن الجبائي وابن مسلم والبلخي لأن الشمس لا تزايل الفلك ولا تدخل عين الماء ولأنه قال وجد عندها قوماً
 ولكن لما بلغ ذو القرنين ذلك الموضع تراءى له كأن الشمس تغرب في عين كما ان من كان في البحر رآها
 كأنها تغرب في الماء ومن كان في البر رآها كأنها تغرب في الأرض الملساء والعين الحمئة هي ذات الحمأة وهي
 الطين الاسود المتين والحامية الحارة وعن كعب قال اجدها في التوراة تغرب في ماء وطين وقوله (ووجد عندها
 قوماً) معناه ووجد عند العين ناساً (قلنا ياذا القرنين إما ان تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً) في هذا دلالة على ان
 القوم كانوا كفاراً والمعنى اما ان تعذب بالقتل من أقام منهم على الشرك وأما ان تأسرهم وتمسكهم بعد الأسر
 لتعلمهم الهدى وتستقذهم من العمى وقيل معناه واما ان تغفو عنهم واستدل من ذهب إلى ان ذا القرنين كان نبياً
 بهذا قال لأن أمر الله تعالى لا يعلم الا بالوحي والوحي لا يجوز إلا على الانبياء وقال الكلبي ان الله تعالى المهمة ولم
 يوح اليه وقال ابن الانباري ان كان ذو القرنين نبياً فان الله تعالى قال له كما يقول للانبياء إما جعلكم اويوسي
 وان لم يكن نبياً فإن معنى قلنا لهمنا لأن الالهام ينوب عن الوحي قال سبحانه وواحيينا إلى أم موسى أي والهمناهما
 قال قتادة فقضي ذو القرنين فيهم بقضاء الله تعالى وكان عالماً بالسياسة قال (أما من ظلم) اي اشرك عن ابن عباس
 (فسوف نضبه) اي قتلته اذا لم يرجع عن الشرك (ثم يرد إلى ربه) بعد قتل اياه (فيعذبه عذاباً نكراً) اي
 منكرًا غير معهود يعني سيك النار وهو أشد من القتل في الدنيا

قوله تعالى (٨٨) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا
 (٨٩) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبِيًّا (٩٠) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلِعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ
 مِنْ دُونِهَا سِتْرًا (٩١) كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (٩٢) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبِيًّا خمس آيات عراقية

— (القراءة) —

قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر ويعقوب فله جزاء بالنصب والتثوين . والباقيون جزاء الحسن بالرفع والإضافة

❀ الحجية ❀

قال أبو علي من قال فله جزاء الحسن كان المعنى فله جزاء الخلال الحسن التي عملها لأن الإيمان والعمل
 الصالح خلال ومن قال فله جزاء الحسن فالمعنى له الحسن جزاء فجزاء مصدر وقع موقع الحال أي فله الحسن
 مجزية وقال أبو الحسن وهذا لا يكاد العرب تتكلم به مقدا إلا في الشعر

❀ المعنى ❀

(وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسن) مر معناه (وسنقول له من أمرنا يسرا) أي سنقول له قولنا
 جميلا وسأمره بما يبيسر عليه ولا نؤاخذه بما مضى من كفره (ثم أتبع سبيبا) أي طريقا آخر من الأرض
 ليؤديه إلى مطلع الشمس ويوصله إلى المشرق (حتى إذا بلغ مطلع الشمس) أي بلغ موضع ابتداء العارة من
 الجانب الذي تطلع منه الشمس (وجدتها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا) معناه أنه لم يكن بها
 جبل ولا شجر ولا بناء لأن أرضهم لم يكن يثبت عليها بناء فكانوا إذا طلعت الشمس يغورون في المياه والامراب
 وإذا غربت تصرفوا في أمورهم عن الحسن وقتادة وابن جريج وروى أبو بصير عن أبي جعفر (ع) قال لم يعلموا
 صنعة البيوت وقوله كذلك معناه مثل ذلك القبيل الذي كانوا عند مغرب الشمس في أن حكمهم حكم أولئك
 وقيل إن معناه أنه أتبع سبيبا إلى مطلع الشمس مثل ما أتبع سبيبا إلى مغرب الشمس وتم الكلام عند قوله (كذلك)
 ثم ابتدأ سبحانه فقال (وقد أحطنا بما لديه خبرا) أي علمنا ما كان عند ذي القرنين من الجيوش والعدة والآلات
 السیاسة وقيل معناه أحطنا علما بصلاحه واستقلاله بما ملكناه قبل أن يفعله كما علمناه بعد أن فعله ولم يخف علينا
 حاله وفي قوله بما لديه إشارة إلى حسن الثناء عليه والرضا بأفعاله لامتناله أمر الله تعالى في كل أحواله ثم أتبع سبيبا
 معناه ثم أتبع مسلكا بالغا ما يبلغه قطرا من اقطار الأرض وهذا بقوي قول من قال إن الأرض كروية الشكل
 لأنه لم يأخذ في الطريق الذي كان قد عاد فيه وإنما أخذ في طريق آخر

قوله تعالى (٩٣) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا
 (٩٤) قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَا جُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ
 تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٥) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ
 وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٦) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ
 نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٧) فَمَا اسطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسطَاعُوا لَهُ نَقْبًا
 (٩٨) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعَذْرَتِي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ست آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير وابو عمرو بين السدين وسدا بالفتح هنا وفي ياسين بالضم وقرأ أهل الكوفة غير عاصم بين السدين بضم السين وسدا حيث كان بالفتح وقرأ حفص الجميع بالفتح وقرأ الباقون الجميع بالضم كل القرآن وقرأ أهل الكوفة غير عاصم يفتحون بضم الياء وكسر القاف والباقون يفتح الياء والقاف وقرأ عاصم بأجوج وأجوج بالهمزة ومثله في الانبياء وقرأ الباقون بغير همزة فيهما في السورتين وقرأ أهل الكوفة غير عاصم خراجا وفي المؤمنين خراجا فخراج ربك كله بالالف والباقون خرجا بغير الف في الموضعين فخراج ربك بالالف وقرأ ابن كثير ما مكنتي بتونين والباقون بتون واحدة مشددة وقرأ يحيى عن ابي بكر ردما اتوني بالوصل وقرأ حمزة ويحيى عن ابي بكر قال اتوني بالوصل ايضا والباقون اتوني بقطع الالف في الحرفين وقرأ أهل المدينة والكوفة غير ابي بكر بين الصدين يفتح الصاد والدال وقرأ الباقون بضم الصاد والدال غير ابي بكر فإنه قرأ بضم الصاد وسكون الدال وقرأ حمزة غير خلاد فما استطاعوا مشددة الطاء والباقون خفيفة الطاء وقرأ أهل الكوفة دكاه بالمد والهمزة والباقون د كما متونا غير مهموز

﴿ الحجة ﴾

قال ابو عبيدة كل شيء وجدته العرب من فعل الله من الجبال والشعاب فهو سد بالضم وما بناه الادميون فهو سد وقال غيره هالفتان كالضعف والضعف والفقير والفقير قال ابو علي يجوز ان يكون السد بالفتح مصدر والسد بالضم المسدود كالاشياء التي يفصل فيها بين المصادر والاسماء نحو السقي والسقي والشرب والشرب فإذا كان كذلك فالاشبه بين السدين لأنه المسدود ويجوز فيمن فتح السدين ان يجعله اسما للمسدود نحو نسج اليمن وضرب الأمير بمعنى المنسوج والمضروب ومن قرأ لا يكادون يفقهون فإن فقهت يتعدى الى مفعول واحد نحو فقهت السنة فإذا نقلته تعدى الى مفعولين فيكون المعنى فيمن ضم لا يكادون يفقهون أحدا قولا فحذف أحد المفعولين كما حذف من قوله فاتبعوهم مشرقين والمعنى فاتبعوهم جندهم مشرقين وقوله فاتبعهم فرعون وجنوده اي فاتبعهم فرعون طلبه إياهم او يتبعه لهم والحذف في هذا النحو كثير قال ابو علي بأجوج ان جعلته عربيا فهو يفعل من أج نحو يربوع ومن لم يهمز امكن ان يكون خفف الهمزة فقلبها الفاء فهو على قوله يفعل ايضا وان كانت الالف في بأجوج ليس على التخفيف فإنه فاعول من ي ج ج فإن جعلت الكلمة من هذا الأصل كانت الهمزة فيها كمن قال ساق ونحو ذلك مما جاء مهموزا ولم يتبع ان يهمز ويكون الامتناع من صرفه على هذا للتأنيث والتعريف كأنه اسم القبيلة كنجوس وأما مأجوج فمن همز فمفعول من اج فالكلمتان على هذا من اصل واحد ومن لم يهمز فإنه فاعول من معج فالكلمتان على هذا من أصلين وليسا من اصل واحد ويكون ترك الصرف فيه ايضا للتعريف والتأنيث فإن جعلتهما من العجمية فهذه التمثيلات لا تصح فيهما وإنما امتنا من الصرف للعجمية والتعريف وقوله هل نجعل لك خراجا اي هل نجعل لك عطية نخرجها اليك من اموالنا وكذلك قوله أم تسألهم خراجا اي مالا يخرجونه اليك فأما المضروب على الارض فالخراج وقد يجوز في غير ضرائب الارض الخراج بدلالة قول المعجاج «يوم خراج يخرج السمرجا» فهذا ليس على الضرائب التي الزمت الارضين لأن ذلك لا يضاف الى وقت من يوم وغيره وإنما هو شيء مؤبد لا يتغير وقوله ما مكنتي باظهار المثليين فلأن الثاني منهما غير لازم لأنك قد تقول قد مكنتك ومكنته فلا تلزم النون فلما لم تلزم لم يعتد بها كما ان التاء في اقتتلوا كذلك ومن ادغم لم ينزله منزلة مالا يلزم فأدغم كما ان من قال قتلوا في اقتتلوا كان كذلك قال ابو علي ومكن مكانه فهو مكين فعل غير متعد فأدغمت العين عدته بذلك وحجة من قرأ ردما ابتوني ابتوني ان اشبهه باعينيوني بقوة لأنه كلتهم المعونة على عمل السد ولم يقبل الخرج الذي بذلوه له وقوله ابتوني الذي معناه جيؤني وإنما هو معونة على ما كلتهم في

قوله فأعينوني بقوة وأما أتوني فمعناه اعطوني فاعطوني يجوز ان يكون على المناولة ويجوز ان يكون على الاتهاب
واتتوني المقصورة لا يحتمل الاجيوتي فيكون احسن هنا لاختصاصه بالمعونة فقط دون ان يكون سوأل عين
والعطية قد تكون هبة قال

ومنا الذي اعطى الرسول عطية اسارى تميم والعيون دوامع

فالعطية تجري مجرى الهبة لهم والانعام عليهم في فك الاسر وقد تكون بمعنى المناولة ووجه قراءة من قرأ اتوني
انه لم يرد بانوني العطية والهبة ولكن تكليف المناولة بالانص كما كان قراءة من قرأ أتوني لا يصرف الى استدعائه
تليك عين بهبة ولا بغيرها فأما انصاب زير الحديد فإنك تقول اثنيك بدرهم قال

اتيت بعبد الله في القيد موثقا فهلا سعيدا ذا الخيانة والغدر

فيصل الفعل إلى المفعول الثاني بحرف جر ثم يجوز ان يحذف الحرف اتساعا فيصل الفعل إلى المفعول
الثاني على حد امرتك النخير ونحوه والصدف والصدف والصدف لغات فاشية قال ابو عبيدة الصدفان جنبنا الجبل
ومن قرأ اتوني افزع عليه قطرا فمتناه جيتوني به كما قلناه سيف اتوني زير الحديد في اتصال الفعل الى المفعول
الثاني بحرف الجر الا انه اعلم الفعل الثاني فلو اعلم الفعل الأول لكان اتوني افزع عليه قطرا بقطر الا ان
يقدر ان الفعل يصل إلى المفعول الثاني بلا حرف كما كان كذلك في قوله اتوني زير الحديد. وجميع ما مر بنا في التنزيل
من هذا النحو انما هو على اعمال الثاني كما يختاره سيبويه فمن ذلك قوله يستفتونك قل الله بفتيكم في الكلاله ومنه
قوله هاؤم اقرأوا كتابيه ووجه من قرأ اتوني ان المعنى ناولوني قطرا افزع عليه قطرا الا انه اعلم الثاني من الفعلين
كما اعلم الثاني من قصر اتوني وقراءة حمزة فما اسطاعوا انما هو على ادغام التاء في الطاء ولم يلقى حركتها على السين
فيحرك ما لا يتحرك ولكن ادغم مع ان الساكن الذي قبل المدغم ليس حرف مد وقد قرأت القراء غير حرف
من هذا النحو وقد تقدم ذكر وجه هذا النحو وما يؤيد ذلك ان سيبويه اشد

كأنه بعد كلال الزاجر ومسحه مرعقاب كلسر

والحذف في اسطاعوا والانيات في اسطاعوا كل واحد منهما احسن من الادغام على هذا الوجه الذي هو جمع
بين السين الساكنة والتاء المدغمة وهي ساكنة ايضا وأما قوله جملة د كما فإنه يحتمل امرين **احدهما**
انه لما قال جملة د كما كانت بمنزلة خلق وعمل فكانه قال د كما فجملة على الفعل الذي دل عليه قوله
جملة والوجه الآخر ان يكون جملة ذاك فحذف المضاف ويمكن ان يكون حالا سيف هذا الوجه ومن قرأ
د كما فعلى حذف المضاف كأنه جملة مثل د كما قالوا ناقة د كما أي لاسنام لها ولا بد من تقدير الحذف لأن
الجبل مذكر فلا يوصف بد كما

اللغة

السد وضع ما ينتهي به الخرق يقال سده سده ومنه سد السهم لأنه سد عليه طرق الاضطراب ومنه السداد
الصواب والردم السد والحاجز يقال ردم فلان موضع كذا يردمه ردما والثوب المردم المثلث المرقع ومنه قول عنترة
هل غادر الشعراء من متردم ام هل عرفت الدار بعد توهم
أي هل تركوا من قول يؤلف ناليف الثوب المرقع والزيرة الجملة المجتمعة من الحديد والصفير ونحوها
واصله الاجتماع ومنه الزبور وزيت الكتاب إذا كتبه لأنك جمعت حروفه قال ابو عبيدة القطر الحديد
المذاب وأنشد

حسام آكلون الثلج صاف حديده جراز من اقطار الحديد المنعت

وأصله من القطر لأن الرصاص والحديد إذا أذيب قطر كما يقطر الماء وفي استطاع ثلاث لغات استطاع
يستطيع واستطاع يستطيع واستاع يستعج يجذف الطاء استقلوا اجتماعهما وهما من مخرج واحد فاستطاع يستطيع
يقطع الالف وهو أطاع افعل فزادوا السين عوضاً من ذهاب حركة الواو لأن أصل أطاع أطوع ومثله اهراق
يهريق زادوا الماء في أراق يريق وليس هذا العوض بل لازم الا ترى ان ما كان نحوه لم يلزمه هذا العوض

✽ المعنى ✽

(حتى إذا بلغ بين السدين) ثم أخبر سبحانه عن حال ذي القرنين بعد منصرفه عن المشرق انه سلك طريقاً
إلى ان بلغ بين السدين ووصل إلى ما بينهما وهما الجبلان اللذان جعل الردم بينهما وهو الحاجز بين بأجوج ومأجوج
ومن وراءهم عن ابن عباس وقناة والضحاك وقيل أراد بالسدين الموضع الذي فيه السدان اليوم لأنه لو كانت
هناك سد لم يكن لطلبهم السد معنى والسد الموضع المسدود لا المفتوح (وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون
قولاً) أي خصوصاً بلغة كادوا لا يعرفون غيرها قال ابن عباس كادوا لا يفقهون كلام أحد ولا يفهم الناس
كلامهم وإنما قال لا يكادون لأنهم فهموا بعض الأشياء عنهم وإن كان بعد شدة ولذلك حكى الله عنهم
انهم (قالوا يا ذا القرنين ان بأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض) ويجوز ان يكون الله سبحانه فتم ذا القرنين
لسانهم كما فهم سليمان (ع) منطق الطير أو قالوا له بترجمان ان بأجوج ومأجوج مفسدون في أرضهم وفسادهم انهم
كانوا يخرجون فيقتلونهم ويأكلون لحومهم ودوابهم وقيل كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يدعون شيئاً أخضر
إلا أكلوه ولا يابساً إلا احتملوه عن الكلب وقيل أرادوا انهم سيفسدون في المستقبل عند خروجهم وورد في
الطبر عن حذيفة قال سألت رسول الله ﷺ عن بأجوج ومأجوج فقال بأجوج امة ومأجوج امة كل امة
اربع مائة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى الف ذكر من صلبه كل قد حمل السلاح قلت يا رسول الله
صفهم لنا قال هم ثلاثة اصناف صنف منهم امثال الارز قلت يا رسول الله وما الارز قال شجر بالشام طوال
وصنف منهم طولهم وعرضهم سواء وهو لاء الذين لا يقوم لهم خيل ولا حديد وصنف منهم يقترش احدى اذنيه
ويشحف بالأخرى ولا يمرون ببيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلا اكلوه ومن مات منهم اكلوه مقدمتهم
بالشام وساقتهم بنجرسان يشربون انهار المشرق وبحيرة طبرية قال وهب ومقاتل انهم من ولد يافث بن نوح
ابن الترك وقال السدي الترك سرية من بأجوج ومأجوج خرجت تغير فجاء ذو القرنين فضرب السد فبقيت
خارجة وقال قتادة ان ذا القرنين بنى السد على إحدى وعشرين قبيلة وبقيت منهم قبيلة دون السد فهم الترك وقال
كعب م نادرة في ولد بني آدم وذلك ان آدم (ع) احتلم ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء
بأجوج ومأجوج فهم متصلون بنا من جهة الأب دون الأم وهذا بعيد وقوله (فهل نجعل لك خرجاً) أو خرجاً
معناه فهل نجعل لك بعضاً من أموالنا (على ان نجعل بيننا وبينهم سداً) أي حائطاً وقيل سيف الفرق بين الخرج
والخراج ان الخراج اسم لما يخرج من الأرض والخرج اسم لما يخرج من المال وقيل الخراج الغلة والخرج الاجرة
وقيل الخراج ما يؤخذ عن الأرض والخرج ما يؤخذ عن الرقاب قاله ابو عمرو وقيل الخراج ما يؤخذ في كل
سنة والخرج ما يؤخذ دفعة عن تغلب (قال) ذو القرنين (ما مكفي فيه ربي خير) أي أعطاني ربي من المال
ومكفي فيه من الاتساع في الدنيا خير مما عرضتموه علي من الأجر (فأعينوني بقوة) أي يرجال فيكون معناه
بقوة الأبدان وقيل بعمل معمولته معي عن الزجاج وقيل بألة العمل وذلك زير الحديد والصر (أجعل بينكم
وبينهم ردماً) أي سداً وحاجزاً قال ابن عباس الردم اشد الحجاب وقيل هو السد المتراب كعبه على بعض (أتوني
زير الحديد) أي أعطوني قطع الحديد أو جيبوا بقطع الحديد على القراءة الأخرى وفي الكلام حذف وهو انهم
أتوه بما طلبه منهم من زير الحديد لعمل الردم في وجوده بأجوج ومأجوج فبناه (حتى إذا ساءى بين الصدفين) أي

سوى بين جانبي الجبل بما جعل بينهما من الزبر قال الأزهرى يقال لجانبي الجبل صدفتان لتصادفهما أي تحاذبهما وتلاقيهما وقيل هما جبلان كل واحد منهما متعدل عن الآخر كأنه قد صدف عنه وقوله (قال اتقوا) معناه قال ذو القرنين اتقوا النار على الزبر أمرهم أن يؤتمى بمنافع الحدادين فينفخوا في نار الحديد التي أوقدت فيه (حتى إذا جعله ناراً) أي حتى إذا جعل الحديد كالنار في منظره من الحمي والهب فصار قطعة واحدة لزم بعضها بعضاً (قال أتوني افزع عليه قطراً) أي اعطوني نحاساً مذاباً أو صفراً مذاباً أو حديداً مذاباً أصبه على السدين الجبلين حتى يفسد الثقب الذي فيه ويصير جداراً مصححاً فكانت حجارتها الحديد وطينه النحاس الذائب عن ابن عباس ومجاهد والضحاك قال قتادة فهو كالبرد المحبر بطريقة سوداء وطريقة حمراء (فما استطاعوا أن يظهروه) معناه فلما لم يستطع بأجوج وأجوج أن يعلوه ويصعدوه يقال ظهرت السطح إذا علوته (وما استطاعوا له تقباً) أي ولم يستطيعوا أن يتقبوا أسفله لكثافته وصلابته ونقي بذلك كل عيب يكون في السد وقيل إن هذا السد وراء بحر الروم بين جبلين هناك يلي موخرهما البحر المحيط وقيل إنه وراء دربند وخزران من ناحية أرمينية وأذربيجان وقيل إن مقدار ارتفاع السد مائتا ذراع وعرض الحائط نحو من خمسين ذراعاً (قال) ذو القرنين (هذا رحمة من ربي) أي هذا السد نعمة من الله لعباده انعم بها عليهم في دفع شر بأجوج وأجوج عنهم (فإذا جاء وعد ربي) يعني إذا جاء وقت اشراط الساعة ووقت خروجهم الذي قدره الله تعالى (جعله دكا) أي جعل السد أرضاً مستوية مع الأرض مدكوها أو ذاك وإنما يكون ذلك بعد قتل عيسى بن مريم الدجال عن ابن مسعود وجاء في الحديث أنهم بدأبون في حفرة نهارهم حتى إذا أمسوا وكادوا يبصرون شعاع الشمس قالوا ترجع غداً وفتحه ولا يستثنون فيعودون من الغد وقد استوى كما كان حتى إذا جاء وعد الله قالوا غدا تفتح ونخرج إن شاء الله فيعودون إليه وهو كهيشته حين تركوه بالأمس فيخرقونه ويخرجون على الناس فينشقون المياه ويتحصن الناس في حصونهم منهم فيرمون سهامهم إلى السماء وترجع وفيها كهيشة الدماء فيقولون قد قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء فيبعث الله عليهم نفثاً في افئفئهم فيدخل في آذانهم فيهلكون بها فقال النبي ﷺ والذي نفس محمد بيده إن دواب الأرض لتسمن وتسكر من لحومهم سكرًا وفي تفسير الكلبى إن الخضرة والبسج يجتمعان كل ليلة على ذلك السد يجعجان بأجوج وأجوج عن الخروج (وكان وعد ربي حقاً) أي وكان ما وعد الله بأن يفعله لا بد من كونه فإنه حق إذ لا يجوز أن يخلف وعده

قوله تعالى (٩٩) وتر كنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً
(١٠٠) وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً (١٠١) الذين كانت أعينهم في غطاء عن
ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعاً (١٠٢) أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من
دوني أولياء إنا اعتدنا جهنم للكافرين نزلاً (١٠٣) قل هل ننبئكم بالآخسرين أعمالاً
(١٠٤) الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا (١٠٥) أولئك
الذين كفروا بإيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً (١٠٦)
ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا ثماني آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو بكر في رواية الأعمش والبرجمي عنه وزيد عن يعقوب أنصب الذين كفروا برفع الباء وسكون

السين وهو قراءة أمير المؤمنين (ع) وابن يعمر والحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك وابن أبي ليلى وهذا من الاحرف التي اختارها ابو بكر وخالف عاصم فيها وذكر انه ادخلها في قراءة عاصم من قراءة أمير المؤمنين (ع) حتى استخلص قراءته وقرأ الباقر أفحسب بكسر السين وفتح الباء.

(- الحجة -)

قال ابن جني معناه أفحسب الكافرين وحظهم ومطلوبهم ان يتخذوا عبادي من ذوي اولياء بل يجب ان يبعدوا انفسهم مثلهم فيكون كلهم عبيدا واولياء لي ونحوه قوله تعالى وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني إسرائيل اي اتخذتهم عبيدا لك وهذا ايضا هو المعنى إذا كانت القراءة أفحسب الذين كفروا الا ان حسب ساكنة السين اذهب في الهم وذلك لأنه جملة غاية مرادهم ومجموع مطلوبهم وايست القراءة الأخرى كذلك

﴿ اللغة ﴾

الترك التخلية والتريكة بيضة النمام كأنها تركت بالمرء والتريكة ايضا الروضة ينفلها الناس فلا يرعونها والترك ضد الأخذ والترك في الحقيقة لا يجوز على الله تعالى وإنما يجوز على العاذر بعذره الا انه يتوسع فيه فيعير فيه من الاخلال بالشيء بالترك والموج اضطراب الماء بتراكب بعضه على بعض والتزل ما يهيب للتزبل وهو الضيف قال الشاعر

تزيل القوم اعظمهم حقوقا وحق الله في حق التزيل
وطعام ذو نزل ونزل بفتح النون والزاء ايضا ذو فضل

﴿ الاعراب ﴾

ان يتخذوا في موضع نصب يوقوع حسب عليه ومن قرأ فحسب بالرفع وسكون السين فان يتخذوا في مريض رفع افعال منصوب على التمييز لأنه لما قال بالآخرين كان مبهما لا يدل على ما خسروه في ذلك الحسران في اي نوع وقم والذين يصلح ان يكون في موضع جر على الصفة للأخرين ويصلح ان يكون في موضع رفع على الاستئناف اي هم الذين ضل سعيهم

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن حال تلك الأمم فقال (وتركتنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) اي وتركتنا يوج وما جوج يوم انقضاء أمر السديموجون في الدنيا مختلطين لكثرتهم ويكون حالهم كحال الماء الذي يتوج باضطراب امواجه وقيل انه أراد سائر الخلق من الجن والإنس اي وتركتناهم يوم خروج يأجوج ومأجوج يختلطون بعضهم ببعض لأن ذلك علم للساعة ثم ذكر سبحانه نفخ الصور فقال (ونفخ في الصور) لأن خروج يأجوج ومأجوج من اشراط الساعة واختلف في الصور فقيل هو قرن ينفخ فيه عن ابن عباس وابن عمر وقيل هو جمع صورة فلأن الله سبحانه يصور الخلق في القبور كما صورهم في ارحام الامهات ثم ينفخ فيهم الارواح كما نفخ فيهم في ارحام امهاتهم عن الحسن وابي عبيدة وقيل انه ينفخ اسرافيل في الصور ثلاث نفخات فالنفخة الأولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصق التي يصعق من في السماوات والارض بها فيموتون والثالثة نفخة القيام لرب العالمين فيحشر الناس بها من قبورهم (فنجسناهم جميعا) اي حشرنا الخلق يوم القيامة كلهم في صعيد واحد (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا) اي اظهرنا جهنم وبرزناها لهم حتى شاهدوها ورأوا الروان عذابها قبل دخولها ثم وصف الكافرين فقال (الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكرى) ذكر سبحانه السبب الذي استحقوا به النار يعني الذين غفلوا عن الاعتبار بقدرتي الموجب لذكرى واعرضوا عن التفكير في آياتي ودلائلي فصاروا بمنزلة من يكون في عينه غطاء يمنعه من الادراك (وكانوا لا يستطيعون سمعا) اي وكان يتعطل عليهم سماع القرآن وذكر الله تعالى كما يقال فلان

لا يستطيع النظر اليك ولا يستطيع ان يسمع كلامك اي يتقل عليه ذلك أو أراد بالمعنى هنا عين القلب كما يضاف العسى الى القلب (أفحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني أولياء) معناه أفحسب الذين جحدوا توحيد الله ان يتخذوا من دوني اربابا ينصرونهم ويدفعون عقابي عنهم والمراد بالعباد المسيح والملائكة الذين عبدوهم من دون الله وهم براه منهم ومن كل مشرك بالله تعالى وقيل معناه أفحسب الذين كفروا ان يتخذوا من دوني آلهة وانا لا اغضب نفسي عليهم ولا أعاقبهم عن ابن عباس ويدل على هذا المحذوف قوله (انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا) اي منزلا عن الزجاج وهو معنى قول ابن عباس يريد هي مشواهم ومصبرهم وقيل معناه انا جعلنا جهنم معدة لجهنم للكافرين عندنا كما يهيا التزل للضيف (قل) يا محمد (هل ننبتكم) اي هل نخبركم (بالآخرين امهالا) اي باخسر الناس امهالا والمعنى بالقوم الذين هم اخسر الناس فبا عملوا وهم كفار أهل الكتاب اليهود والنصارى (الذين ضل سعيهم) اي بطل عملهم واجتهادهم (في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا) اي يظنون انهم يفعلهم محسنون وان افعالهم طاعة وقربة وروى العياشي باسناده قال قام ابن الكوا إلى أمير المؤمنين (ع) فسأله عن أهل هذه الآية فقال أو أتيتك أهل الكتاب كفروا بربههم وابتدعوا في دينهم فحبطت اعمالهم وما أهل النهر منهم ببعيد يعني الخوارج (أو أتيتك الذين كفروا بآيات ربههم ولقائه فحبطت اعمالهم) اي جحدوا بحجج الله وبياناته ولقائه جزائه في الآخرة فبطلت وضاعت اعمالهم التي عملوها لأنهم ارتكبوها على خلاف الوجه الذي امرهم الله به (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) اي لا قيمة لهم عندنا ولا كرامة ولا نعتمد بهم بل نستخف بهم ونعاقبهم تقول العرب ما فلان عندنا وزن اي قدر ومثله ويوصف الجاهل بأنه لا وزن له فحقت به سرعة بطشه وقلة تثبته وروى في الصحيح ان النبي ﷺ قال إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن جناح بعوضة (ذلك جزاؤهم جهنم) معناه الامر ذلك الذي ذكرت من حبوط اعمالهم وخيبة قدرهم ثم ابتداء سبحانه فقال جزاؤهم جهنم (بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا) اي بكفرهم واتخاذهم آياتي اي ادتبي الدالة على توحيددي يعني القرآن ورسلي هزوا اي مهزوا به

قوله تعالى (١٠٧) **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا**
 (١٠٨) **خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَالًا** (١٠٩) **قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا** (١١٠) **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** أربع آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة غير عاصم ان ينفذ بالياء والباقون تنفذ باتاء وفي الشواذ قراءة ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وسليمان التيمي ولو جئنا بمثله مدادا

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي تنفذ باتاء احسن لأن المسند اليه الفعل موثث والمذكر حسن ايضا لأن التنازيت ليس بحقيقي ومن قرأ مددا فهو منصوب على الحال كما يقال جئتكم بزيت عونا لك ومددا لك ويموز ان ينتصب على المصدر بفعل مضمر يدل عليه قوله ولو جئنا بمثله فكأنه قال امددنا به امدادا ثم وضع مددا مرضع امدادا وقال الزجاج هو منصوب على التمييز ومن قال جئنا بمثله مدادا فإنه ينتصب على التمييز والمعنى بمثله من المداد ويكون مثل

قولك لي مثله عبدا اي من العبد وعلى الثمرة مثلها زبدا اي من الزبد

(اللغة) —

الفردوس البستان الذي يجتمع فيه الثمر والزهر وسائر ما يتبع ويلذ قال الزجاج هو البستان الذي يجمع محاسن كل بستان قال وقال قوم ان الفردوس الاودية التي تنبت ضروبا من النبت وقالوا هو بالرومية منقول إلى لفظ العربية ولم نجد في اشعار العرب الا في بيت حسان

فان ثواب الله كل موحد جنان من الفردوس فيها يخلد

والحول التحول يقال قد حال من مكانه حولا كما قالوا في المصادر صفر صفرا وعظم عظما وعاد في حبا عودا وقيل إن الحول ايضا الحيلة وقيل ان الحول بمعنى التحويل يقال حولوا عنها تحويلا وحولا عن الأزهري وابن الأعرابي والمداد الذي يكتب به والمدد المصدر وهو محي شي بعد شي والكلمة الواحدة من الكلام وقد يقال للقصيدة كلمة لأنها قطعة واحدة من الكلام (وما) يسأل عنه فيقال إن الكلمات لأقل العدد فكيف جاء بها هاهنا والجواب أن العرب تستغني بالجسم القليل عن الجسم الكثير وبالكثير عن القليل قال الله تعالى وهم في الغرفات آمنون والغرف في الجنة أكثر من ان تحصى وقال هم درجات عند الله وقال حسان

لنا الجفنتا الغريلمعن في الضحى واسيا فنايقطرن من نجدة دما

وكان ابو علي الفارسي ينكر الحكاية التي تروى عن النابتة وانه قال لحسان قلت جفنتكم واسيا فكم فقال لا يصح هذا عن النابتة

❖ الإعراب ❖

إن جعلت تولا بمعنى المنزل فهو خبر كان على ظاهره وان جعلته بمعنى ما يقام للنازل قدرت المضاف على معنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس ونعيمها تولا ويجوز أن يكون تولا جمع نازل فيكون نصبا على الحال من الضمير في لهم ومعنى كان انه كان في علم الله تعالى قبل ان يخلقوا عن ابن الانباري وقوله فليعمل يجوز كسر اللام واسكانها والاصل الكسر إلا انه يثقل في اللفظ

❖ المعنى ❖

لما تقدم ذكر حال الكافرين عقبه سبحانه بذكر حال المؤمنين فقال (إن الذين آمنوا) اي صدقوا الله ورسوله (وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس) اي كان في حكمهم الله وعلمه لهم بساكنات الفردوس وهو اطيب موضع في الجنة وأوسطها وأفضلها وأرفعها عن قتادة وقيل هو الجنة الملتفة الأشجار عن قتادة وقيل هو البستان الذي فيه الأنتاب عن كعب وروى عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض الفردوس اعلاها درجة منها تفجر انهار الجنة الاربعة فاذا سألتهم الله تعالى فاسألوه الفردوس (تولا) اي منزلا ومساوى وقيل ذات تزول (خالد بن فيها) أي دائمين فيها (لا يبغون عنها حولا) اي لا يطلبون عن تلك الجنات تحولا إلى موضع آخر لطيبتها وحصول مرادهم فيها ثم أمر سبحانه نبيه ﷺ فقال (قل) يا محمد لجميع المكلفين (لو كان البحر) وهو اسم الجنس اي لو كان البحر بمائه (مسدادا لكلمات ربي) اي مدادا يكتب به ما يقدر الله عليه من الكلام والحكم وقيل أراد بالكلمات ما يقدر سبحانه على ان يخلقه من الاشياء ويأمر به كما قال في عيسى (ع) وكلمته القاها إلى مريم وقيل أراد بالكلمات ما وعد لأهل الثواب واعد لأهل العقاب عن ابي مسلم (لند البحر) اي لغنى ماء البحر (قبل ان تنفذ كلمات ربي) وقيل ان كلماته المراد بها مقدراته وحكمته ومعجائبه وقوله (ولو جئنا بثله مددا) اي ولو جئنا بشئ البحر مددا له اي عونا وزيادة لما نفذ ذلك وقيل أراد بكلمات ربي معاني كلمات ربي وفوائدها وهي القرآن وسائر كتبه ولم يرد

بذلك ايمان الكللت لانه قد فرغ من كتابتها فيكون تقدير قل لو كان البحر مدادا لكتابة معاني
كلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفذ كتابة معاني كللت ربي فحذف لأن المعنى مفهوم والمداد هو الجائي والآتي
شيئا بعد شيء قال ابن التبراري سمي المداد مدادا لأن مداده الكاتب ويقال للزيت الذي يوقد به السراج مداد
وروي عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزل قوله وما أوتيتم من العلم إلا قليلا قالت اليهود أوتينا علما كثيرا
أوتينا التوراة وفيها علم كثير فأنزل الله هذه الآية ولذلك قال الحسن أراد بالكلمات العلم فإنه لا يدرك ولا يحصى
ونظيره ولو ان مافي الأرض من شجرة اقلام الآية ثم قال (قل) يا محمد (انما انا بشر مثلكم) قال ابن
عباس علم الله نبيه التواضع لئلا يزهى على خلقه فأمره ان يقر على نفسه بأنه ادعي كثيره الا أنه اكرم بالوحي
وهو قوله (يوحى إلي انما اهلكم إله واحد) لا شريك له اي لا فضل لي عليكم إلا بالدين والنبوة ولا علم لي
إلا ما علمنيه الله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه) اي فمن كان يطعم في لقاءه ثواب ربه ويأمله ويقرب بالبعث
اليه والوقوف بين يديه وقيل معناه فمن كان يخشى لقاء عقاب ربه وقيل ان الرجاء يشتمل على كلا المعنيين الخوف
والأمل وانشد في ذلك قول الشاعر

فلا كل ما ترجو من الخير كائن ولا كل ما ترجو من الشر واقع

(فليعمل عملا صالحا) اي خالصا لله تعالى يتقرب به اليه (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) غيره من ملك او بشر او
حجر او شجر عن الحسن وقيل معناه لا يراني في عبادته احد من عبدين جبر وقال مجاهد جاء رجل إلى النبي ﷺ
فقال اني اتصدق واصل الرحم ولا اصنع ذلك الا لله فيذكر ذلك مني واحمد عليه فيدري ذلك واعجب به
فسكت رسول الله ﷺ ولم يقل شيئا ففترت الآية قال عطاء عن ابن عباس ان الله تعالى قال ولا يشرك
بعبادة ربه احدا ولم يقل ولا يشرك به لأنه أراد العمل الذي يعمل لله ويجب ان يحمد عليه قال ولذلك يستحب
للرجل أن يدفع صدقته إلى غيره ليقسمها كيلا يعظمه من يصله بها وروي عن النبي ﷺ انه قال قال الله عز
وجل انما اغنيى الشركاء من الشرك فمن عمل عملا اشرك فيه غيري فأنا منه بري فهو الذي اشرك اوردته مسلم في
الصحيح وروي عن عبادة بن الصامت وشداد بن أوس قال سمعنا رسول الله ﷺ يقول من صلى صلاة يراني بها
فقد اشرك ومن صام صوما يراني به فقد اشرك ثم قرأ هذه الآية وروي ان ابا الحسن الرضا (ع) دخل يوما على
المأمون فرآه يتوضأ للصلاة والغلام يصب على يده الماء فقال لا تشرك بعبادة ربك أحدا فصرف المأمون الغلام
وتولى انقام وضوئه بنفسه وقيل ان هذه الآية آخر آية نزلت من القرآن وروي الشيخ ابو جعفر بن بابويه باسناده
عن عيسى بن عبد الله عن أبيه عن جده عن علي (ع) قال ما من عبد يقرأ قل انما أنا بشر مثلكم إلى آخره إلا
كان له نوراني مضعبه إلى بيت الله الحرام فإن كان من أهل البيت الحرام كان له نورا إلى بيت المقدس وقال ابو
عبد الله (ع) ما من أحد يقرأ آخر الكهف عند النوم الا يتيقظ في الساعة التي يريد

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال الآية الثانية وهي قوله قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي بما قبلها انه لما تقدم الأمر
والنهي والوعد والعيب وعقب ذلك سبحانه ببيان ان مقدراته لا تنتهي وانه قادر على ما يشاء في افعاله وأوامره
على حسب المصالح فمن الواجب على المكلف ان يمثل أمره ونهيه ويشق بوعده ويتقي وعيده



سورة مريم «ع»

وهي مكية بالاجماع

﴿ عدد آياتها ﴾

وهي ثمان وتسعون آية عراقية شامية والمدني الأول وتسع مكية والمدني الأخير

﴿ اختلافها ﴾

ثلاث آيات كهيعص كوفي الرحمن مدا غير الكوفي في الكتاب ابراهيم مكية والمدني الأخير

﴿ فضلها ﴾

ابن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأها اعطي من الاجر بعدد من صدق بزكريا وكذب به ويحيى ومريم وعيسى وموسى وهارون وابراهيم واسحاق ويعقوب واسماعيل عشر حسنات وبعدد من دعى لله ولدا وبعدد من لم يدع له ولدا وقال الصادق (ع) من اد من قراءة سورة مريم لم يميت في الدنيا حتى يصيب منها ما يفتيه في نفسه وماله وولده وكان في الآخرة من اصحاب عيسى بن مريم (ع) واعطي من الاجر في الآخرة ملك سليمان ابن داود في الدنيا

﴿ تفسيرها ﴾

ختم الله سبحانه سورة الكهف بذكر التوحيد والدعاء اليه وافتتح هذه السورة بذكر الانبياء الذين كانوا على تلك الطريقة بما على الاقتداء بهم والاهتداء بهديهم وحثا عليه فقال
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) كهيعص (٢) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِيَّا (٣) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٥) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (٦) بَرِّئْتُيَ وَبَرِّئْتُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ست آيات في أنكوفي وخمس في غيرهم

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو عمرو كهيعص بأماله ها وفتح يا وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان وحمة وخلف بفتحها وأماله يا وقرأ الكسائي بأماله ها ويا وروي ذلك عن الزبيدي عن ابى عمرو عن يحيى عن ابى بكر والباقر بفتحها وقرأ ابو عمرو والكسائي يرتني ويرث بالجزم فيها والباقر بالرفع فيها وفي الشواذ قراءة الحسن ذكر رحمة ربك وقراءة عثمان وابن عباس وزيد بن ثابت وعلي بن الحسين ومحمد بن علي الباقر وابن يعمر وسعيد بن جبير واني خفت الموالي بفتح الحاء وتشديد الفاء وكسر التاء وقراءة علي بن ابى طالب (ع) وابن عباس وجعفر بن محمد وابن يعمر والحسن والجندري وقيادة واني نهيك يرتني وأرث من آل يعقوب

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي القول في امالة هذه الحروف انها لا تتمم لأنها ليست بحروف معنى وإنما هي اسما. لهذه الاصوات قال سيبويه قالوا بأمالها لأنها اسما ملاتيهجى به فجازت فيها الامالة كما جازت في الاسماء ويدلك على انها اسما انك إذا اخبرت عنها امرتها وان كنت لاتعربها قبل ذلك كما ان اسما العدد إذا اخبرت عنها امرتها فكما ان اسما العدد

قبل ان تعربها اسما. فكذلك هذه الحروف وإذا كانت اسما ساءت الامالة فيها فأما من لم يمل فعلى مذهب أهل الحجاز وكلهم اخفى نون عين الا حفصا فإنه بين النون وقال ابو عثمان وبيان النون مع حروف النعم لحن إلا ان هذه الحروف تجري على الوقف عليها والقطع لها عما بعدها فحكمتها البيان وان لا تخفى فكذلك اسما المدد حكمتها على الوقف وعلى انها منفصلة عما بعدها وما يبين انها على الوقف انهم قالوا ثلاثة اربعة نقاروا حركة الهززة الى الهاء لسكونها ولم يقبلوها تا. وان كانت موصولة لما كانت النية بها الوقف فكذلك النون ينبغي ان تبين لأنها في نية الوقف والانفصال مما بعدها ولم يبين ان يستدل بتركهم قطع الهززة في ألم الله ألا ترى ان الهززة لم تقطع وان كان ما هي منه في تقدير الانفصال مما قبله فكذلك لم يبين النون من عين لأنها جعلت في حكم الاتصال كما كانت الهززة في ذلك كما ذكرنا كذلك قال ابراهيم الحسني يبين النون اجود في العربية لأن حروف الهجاء والمدد يفصل بعضها من بعض كما قال وعامة القراء على خلاف التبيين ووجه الرفع في قوله يرثني ويرث انما سأل ربه وليا وارثا وليس المعنى على الجزاء اي ان وهبه يرث ووجه الجزم انه على الجزاء وجواب الدعاء. ومن قرأ يرثني وأرث فمعناه التجريد وتقديره فهب لي وليا يرثني منه وأرث من آل يعقوب وهذا الوارث نفسه قال ابن جنى قال وهذا ضرب من العربية غريب فكانه جرد منه وارثا ومثله قوله تعالى لهم فيها دار الخلد وهي نفسها دار الخلد فكانه جرد من الدار دارا وعليه قول الاخطل

بنزوة لص بعد ما مر مصعب بأشعث لا يظلي ولا هو يقمل

ومصعب نفسه هو الأشعث فكانه استخلص منه اشعث وأما قراءة الحسن ذكر رحمة ربك فلن فاعل ذكر ضمير ما تقدم اي هذا المثلو من القرآن الذي هذه الحروف اوله وفاتحته بذكر رحمة ربك وعلى هذا ايضا يرتفع قوله ذكر رحمة ربك اي هذا القرآن ذكر رحمة ربك وإن شئت كان التقدير وما نقص عليك ذكر رحمة ربك فيكون على الوجه الأول ذكر خبر مبتدأ وعلى الوجه الثاني يكون مبتدأ ومن قال خفت الموالي فمعناه قبل بنوعمي واهلي ومعنى من وراثي اي من اخلفه بعدي فقوله من وراثي حال متوقفة محكية اي متصورا متوقفا كونهم بعدي ومثله مسألة الكتاب مردت برجل معه صقر صائدا به غدا اي متصورا به صيده به غدا

اللغة

الوهن الضعف ونقصان القوة يقال وهن يهن وهنا والاشتعال انتشار شعاع النار وقوله واشتعل الرأس شياما احسن الاستعارات والمعنى اشتعل الشيب في الرأس وانتشر كما ينتشر شعاع النار قال الزجاج يقال للشيب إذا كثر جدا قد اشتعل رأس فلان وانشد للبيد

ان قرري رأسي امسى واضحا سلط الشيب عليه فاشتعل

والدعاء طلب الفعل من المدعو وفي مقابلته الاجابة كما ان في مقابلة الامر الطاعة والمولى اصله من الولي وهو القرب وسمي ابن العم مولى لانه يليه في النسب وقال ابن الانباري في كتاب مشكل القرآن المولى في الاقصة ينقسم على ثمانية اقسام المنعم المعتق والمعتق والولي والاولى بالشيء وابن العم والبجار والصور والحليف واستشهد على كل قسم من هذه الاقسام بشي من الشعر وما استشهد به في انه بمعنى الولي والاولى قول الاخطل

فأصبحت مولاها من الناس بعده وأحرى قریش أن تهاب وتحمدا
وقوله ايضا يخاطب بني أمية

اعطاكم الله جدا تنصرون به لا جدالا صغيرا بعد محتقر
لم يأشروا فيه إذ كانوا مواليه ولو يكون لقوم غيرهم أشروا

والعاقرة المرأة التي لا تلد يقال امرأة عاقرة ورجل عاقرة لا يولد له ولد قال الشاعر
لبس الفتى ان كنت اسودعاقرا جباناً فما عذري لدى كل محضر
والعقر في البدن الجرح ومنه أخذ العاقرة لأنه نقص أصل الحلقة أما بالجراحة وأما بامتناع الولادة وعقرت
الفرس بالسيف ضربت قوائمها والجعل على اربعة اقسام بمعنى الاحداث كقولهم جعل البناء اي احداثه وبمعنى ان يتحدث
ما يتغير به كقولهم جعل الطين خزفاً وبمعنى ان يحدث فيه حكماً كقولهم جعل فلاناً فاسقاً اي بما احداثه فيه
من حكمه وتسميته وبمعنى ان يحدث ما يدعو به إلى ان يفعل كقولهم جعله ان يقتل زيداً اي بأن امره به ودعاؤه
إلى قتله

❖ الاعراب ❖

ذكر مرتفع بالمضمر وتقديره هذا الذي يتلوه عليك ذكر رحمة ربك وهو مصدر مضاف إلى ما هو المفعول في
المعنى ورحمة مصدر مضاف إلى الفاعل وعبد مفعول لرحمة وذكراً بدل من عبده او عطف بيان ويقر لأقصر والمد قوله قال
رب اني وهن العظم مني بيان وتفسير للنداء الخفي وشيياً منصوب على التمييز والتقدير واشتمل الرأس من الشيب
بدعائك تقديره بدعائي إياك فالمصدر مضاف إلى المفعول كقوله من دعاء الخير وبسؤال نعتك

❖ المعنى ❖

(كهيعص) قد بينا في اول البقرة اختلاف العلماء في الحروف المعجم التي في أوائل السور وشرحنا اقوالهم
هناك وحدث عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال ان كاف من كريم وها من هاد ويا من
حكيم وعين من عليم وصاد من صادق وفي رواية عطا والكلي عنه ان معناه كاف لخلق هاد لبياده يده فوق
ايديهم عالم ببريته صادق في وعده وعلى هذا فلان كل واحد من هذه الحروف يدل على صفة من صفات الله عز وجل
وروي عن امير المؤمنين (ع) انه قال في دعائه اسألك يا كهيعص (ذكر رحمة ربك عبده زكريا) أي هذا خير
رحمة ربك زكريا عبده ويعني بالرحمة اجابته اياه حين دعاه وسأله الولد زكريا اسم نبي من انبياء بني اسرائيل
كان من اولاد هارون بن عمران اخي موسى بن عمران وقيل ان معناه ذكر ربك عبده بالرحمة (إذ نادى ربه نداً
خفياً) أي حين دعاه ربه دعاء خفياً خافياً سرا غير جهر يخفي في نفسه لا يريد به رياء وفي هذا دلالة على ان المستحب
في الدعاء الاخفاء وان ذلك اقرب إلى الاجابة وفي الحديث خير الدعاء الخفي وخير الرزق ما يكفي وقيل انها اخفاء
لئلا يهزأ به الناس فيقول انظروا إلى هذا الشيخ يسأل الولد على الكبر (قال رب اني وهن العظم مني) أي ضعف
وإنها اضاف الوهن إلى العظم لأن العظم مع صلابته إذا ضعف وتناقص فكيف باللحم والعصب وقيل إنها خص
العظم لانه شكا ضعف البطش والبطش إنما يكون بالعظم دون اللحم وغيره (واشتمل الرأس شيياً) معناه
ان الشيب قد عم الرأس وهو نذير الموت عن ابي مسلم وقيل معناه تلاً الشيب في رأسي لكثرة عن ابن التباري
وصف حاله خضوعاً وتذلاً لا تعريفاً (ولم اكن بدعائك رب شقياً) أي ولم اكن بدعائي اياك فيما مضى حنياً
محروماً والمعنى انك قد عودتني حسن الاجابة وما خيبتني فيما سألتك ولا حرمتني الاستجابة فيما دعوتك فلا تخيبي
فيا اسألك ولا تحرمني اجابتك فيا ادعوك يقال شقي فلان ب حاجته إذا تعب بسببها ولم يحصل مطلوبه منها (واني
خفت الموالي) وهم الكلاله عن ابن عباس وقيل العصبه عن مجاهد وقيل لهم العمومة وبنو العم عن ابي جعفر (ع)
وقيل بنو العم وكانوا اشرار بني اسرائيل عن الجبائي وقيل هم الورقة عن الكلبي (من ورائي) أي من خلفي
(وكانت امرأتي عاقراً) أي عقيلاً تلد (فهب لي من لدنك ولياً) أي ولداً يلينني فيكون اولي بيريائي (يرثني) لأن
قرآته بالجزم فالمعنى ان تهب لي يرثني وان رفعت جملة صفة لولي والمعنى ولياً وارثاً لي (ويرث من آل يعقوب)
وهو يعقوب بن ماثان وأخوه عمران بن ماثان ابو مريم عن الكلبي ومقاتل وقيل هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم

لأن زكريا كان متزوجا باخت ام مريم بنت عمران ونسبها يرجع إلى يعقوب لأنها من ولد سليمان بن داود (ع) وهو من ولد يهوذا بن يعقوب وزكريا من ولد هارون وهو من ولد لاوي بن يعقوب عن السدي ثم اختلف في معناه فقيل معناه يرثني مالي ويرث من آل يعقوب النبوة من ابي صالح وقيل معناه يرث نبوتي ونبوة آل يعقوب من الحسن ومجاهد واستدل اصحابنا بالآية على ان الانبياء يورثون المال وأن المراد بالارث المذكور فيها المال دون العلم والنبوة بأن قالوا إن لفظ الميراث في اللغة والشريعة لا يطلق إلا على ما ينتقل من الموروث إلى الورث كالأموال ولا يستعمل في غير المال إلا على طريق المجاز والتوسع ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز بغير دلالة ايضا فإن زكريا (ع) قال في دعائه (واجعله رب رضا) أي اجعل يارب ذلك الولي الذي يرثني مرضيا عندك بمثل لا أمرك ومتى حملنا الارث على النبوة لم يكن لذلك معنى وكان لغوا عبثا ألا ترى انه لا يحسن أن يقول احد اللهم ابنت لنا نبيا واجعله عاقلا مرضيا في اخلاقه لأنه إذا كان نبيا فقد دخل الرضا وما هو اعظم من الرضا في النبوة ويقوي ما قلناه أن زكريا صرح بأنه يخاف بني عمه بعده بقوله وإني خفت الموالي من ورائي وإنما يطلب وارثا لأجل خوفه ولا يليق خوفه منهم إلا بالمال دون النبوة والعلم لأنه (ع) كان اعلم بالله تعالى من ان يخاف أن يبعث نبيا من ليس باهل للنبوة وأن يورث علمه وحكمته من ليس لها باهل ولانه إنما بعث لاداعة العلم ونشره في الناس فكيف يخاف من الأمر الذي هو الغرض في بعثه فان قيل ان هذا يرجع عليكم في وراثة المال لان في ذلك اضافة الضن والبخل اليه قلنا معاذ الله ان يستوي الأمران فإن المال قد يرزق المؤمن والكافر والصالح والطالح ولا يتنعم ان بأسى على بني عمه إذا كانوا من اهل الفساد أن يظفروا به فيصرفوه فينا لا يبغي بل في ذلك غاية الحكمة فإن تقوية الفساق واعانتهم على افعالهم المذمومة محظورة في الدين فمن عد ذلك بخلا وضنا فهو غير منصف وقوله خفت الموالي من ورائي يفهم منه ان خوفه إنما كان من اخلاقهم وفعالهم ومعاني فيهم لا من ايمانهم كما ان من خاف الله تعالى فإنه خاف عقابه فالمراد به خفت تضييع الموالي مالي وانفاقهم اياه في معصية الله تعالى

قوله تعالى (٧) يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا (٨)
 قَالَ رَبِّ إِنِّي بَكُونٌ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (٩) قَالَ
 كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا (١٠) قَالَ وَبِأَجْعَلُ
 لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (١١) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ
 فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة والكسائي عتيا وصليا وجتيا وبكيا بكسر اوائلها وحفص كذلك إلا في بكيا فإنه يضم الباء منها والباقرن بالضم في الجميع وقرأ حمزة والكسائي خلقناك والباقرن خلقتك

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي اعلم أن ما كان على فعول كان على ضربين ﴿ احدهما ﴾ أن يكون جمعا والآخر أن يكون مصدرا وقد جاءت احرف في غير المصادر وهي قليلة والجمع إذا كان على فعول من معتل اللام جاء على ضربين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون اللام واوا والآخر أن يكون ياء فما كانت اللام منه واوا من هذه الجموع قلبت إلى الباء وذلك نحو حقو وحقى وعصا ونصي وقد جاءت حروف قليلة من ذلك على الاصل فمن ذلك ما حكاه سيبويه من

قولهم انكم لتنظرون في نحو كثيرة وقولهم فتز في جمع فتى فما كان كذلك فلان كسر الفاء فيه مطرد وذلك نحو ولي وحقى وعصى وإنما جاز ذلك لأنها غيرت تمييزين وهما ان الواو التي هي لام قلبت والواو التي كانت قبلها قلبت ايضا فلما غيرت تمييزين قويا على هذا التفسير من كسر الفاء وأما ما كان لامة يا نحو ثدي وحلي ونجبي فقد كسروا الفاء ايضا منه فقالوا حلي وثدي وإن لم يغير تمييزين فقد اجروا الياء هاهنا مجرى الواو كما اجروا الياء في اسر واتبس افتعل من اليسر واليسر مجرى الواو وفي اتصل واتهب فأما ما كان من ذلك مصدرا فما كان من الواو فالقياس فيه ان يصح نحو العتو والعلوان واوه لم يلزمها الانقلاب كما يلزمها الانقلاب في الجمع ولكن لما كانوا قد قلبوا الواو في هذا النحو وإن كان مفردا نحو ممدى ومرضى قلبوا ذلك ايضا في نحو عتي ثم اجرى المصدر مجرى الجمع في كسر الفاء منه فأما ما كان من هذه المصادر من الياء فليس يستمر الكسر في فائه كما استمر في الجمع وفي المصادر التي من الواو ألا ترى ان المضي في نحو فما استطاعوا مضيا ليس أحد يروي فيه الكسر فيما علمنا وحكى ابو عمرو عن ابى زيد أوى اليه اوبيا وبما يوكد الكسر في هذا النحو لو أنهم قد قالوا قسي فأزموها كسر القاف وذلك إنه قلبت الواو إلى موضع اللام فلما وقعت موقعها قلبت كما تقاب الواو إذا كانت لاما وكسرت الفاء. والزمتم الكسرة وحجة من قال قد خلقتك ان قبله قال ربك وحجة من قال خلقتك قوله فيا بعدوحنانا من لدنا ولأنه قد جاء بفظ الجمع بعد لفظ الافراد قال سبحانه الذي أسرى بيمينه ثم قال وآتينا موسى الكتاب

❀ اللغة ❀

الغلام اسم المذكر أول ما يبلغ ومنه اشتق اغتلم الرجل اذا اشتدت شهوته للجماع ثم يستعمل في التلميذ فيقال غلام تغلب العتي والمسي بمعنى يقال عتايتموا عتوا وعتيا وعسى بعرو عتوا وعسيا فهو عات وعاس إذا غير طول الزمان إلى حال اليسر والجفاف وفي حرف ابى وقد بلغت من الكبر عتيا والايحاء الفاء المعنى إلى النفس في خفية بسرعة وأصله من قولهم الوحى الوحى اي الاسراع الاسراع

❀ الاعراب ❀

اسمه يحيى جملة اسمية مجرورة الموضع صفة الغلام كذلك في موضع رفع لأنه خبر مبتدأ محذوف اي الامر كما قيل لك ولم تك اصله لم تكن حذفت النون منه لكثرة في الكلام فكانه جزم مرتين وسويا منصوب على الحال ان سبحوا يجوز ان يكون التقدير اي سبحوا ويجوز ان يكون انه سبحوا فخفض واضمر الاسم ولم يعرض من المضمر شيئا كقوله لولا ان من الله علينا كما جاء العرض في قوله ليعلم ان قد ابلغوا وعلم ان سيكون منكم مرضى وحسبوا أن لا تكون فتنة فيمن رفع وبكرة وعشيا منصوبان على الظرف

(المعنى)

(يا زكريا انا نبشرك بغلام) هاهنا حذف معناه فاستجاب الله دعاء زكريا واوحى اليه يا زكريا انا نبشرك على السنة الملائكة بخبر يرى السرور به في وجهك وهو ان يولد لك ابن (اسمه يحيى) وقد تقدم تفسيره في سورة آل عمران (لم نجعل له من قبل سميا) اي لم يسم أحد قبله باسمه عن قتادة وابن جريج والسدي وابن زيد وفي هذا تشرية له من وجهين ﴿ احدهما ﴾ ان الله سبحانه تولى تسميته ولم يكلفها إلى الايوين والآخر أنه سماه باسم لم يسبق اليه يدل ذلك الاسم على فضله وقال ابو عبد الله (ع) وكذلك الحسين (ع) لم يكن له من قبل سميا ولم تبك السماء إلا عليها اربعين صباحا قيل له وما كان بكاءها قال كانت تطلم حمراء وتقيب حمراء وكان قاتل يحيى ولد زنا وقاتل الحسين (ع) ولد زنا وروى سفيان بن عيينه عن علي بن زيد عن علي بن الحسين (ع) قال خرجنا مع الحسين (ع) فما نزل منزلا ولا رحل بمنه إلا ذكر يحيى بن زكريا وقال يوما ومن هو ان الدنيا على الله عز وجل ان رأس يحيى بن زكريا اهدي إلى بني من بغايا بني اسرائيل وقيل إن معنى قوله

لم يجعل له من قبل سميا لم تلد العواقر مثله ولدا وهو كقوله هل تعلم له سميا اي مثلا عن ابن عباس ومجاهد (قال رب أنى يكون لي غلام) فسرناه في سورة آل عمران (وكانت امرأتى عاقرا) قال الحسن وإنما قال ذلك على جهة الاستخيار اي أتعيدنا شابين أم تزقتنا الولد شيخين (وقد بلغت من الكبر عتيا) معناه وقد بلغت من كبر السن إلى حال اليأس والجفاف ونحو العظم عن قتادة ومجاهد قال قتادة كان له بضع وتسعون سنة (قال كذلك) اي قال الله سبحانه الأمر على ما أخبرتك من هبة الولد على الكبر (قال ربك هو علي هين) أرد عليك قوتك حتى تقوى على الجماع وافتق رحم امرأتك بالولد عن ابن عباس (وقد خلقتك من قبل) اي من قبل يحيى (ولم تك شيئا) اي انشأتك وأوجدتك ولم تك شيئا موجودا فإزالة عقر زوجتك وإزالة ما يمنع قبول الولد ايسر في الاعتبار من ابتداء الانشاء وروى الحكم بن عيينة عن ابي جعفر (ع) قال وإنما ولد يحيى بعد البشارة له من الله بخمسين سنة (قال) زكريا يا (رب اجعل لي آية) اي دلالة وعلامة استدل بها على وقت كونه (قال) الله تعالى (آيتك) اي علامتك على ذلك (ان لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) اي وانست سوي صحيح سليم من غير علة قال ابن عباس اعتقل لسانه من غير مرض ثلاثة أيام وقال قتادة والسدي اعتقل لسانه من غير بأس ولا خرس فإنه كان يقرأ الزبور ويدعو إلى الله ويسبحه ولا يمكنه ان يكلم الناس وهذا أمر خارج عن العادة (فخرج على قومه من المحراب) اي من مصلاه عن ابن زيد وسمي المحراب محرابا لأن المتوجه اليه في صلاته كالمحارب للشيطان على صلاته والاصل فيه مجلس الاشراف الذي يحارب دونه ذبا عن أهله قالوا وكان زكريا قد أخبر قومه بما بشر به فلما خرج عليهم وامتتع من كلامهم علموا إجابة دعائه فسروا به (فأوحى اليهم) أي أشار اليهم وأوحى بيده وقيل كتب لهم في الارض عن مجاهد (ان سبحوا بكرة وعشيا) اي صلوا بكرة وعشيا عن الحسن وقتادة وتسمى الصلاة سبحة وتسيحا لما فيها من التسبيح وقيل أراد التسبيح بعينه وقال ابن جريج أشرف عليهم زكريا من فوق غرفة كان يصلي فيها لا يصعد اليها إلا يسلم وكانوا يصلون معه الفجر والعشاء فكان يخرج اليهم فيأذن لهم بلسانه فلما اعتقل لسانه خرج على عادته وأذن لهم بغير كلام فعرفوا عند ذلك انه قد جاء وقت حمل امرأته يحيى فمكث ثلاثة أيام لا يقدر على الكلام معهم ويقدر على التسبيح والدعاء

قوله تعالى (١٢) يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (١٣) وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا (١٤) وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا (١٥) وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا أربع آيات

اللغة

اصل الحنان الرحمة يقال حنانك وحنانك وقال امرؤ القيس

ومنحها بنو شمعى بن جرم معيزهم حنانك ذا الحنان

وقال آخر

قالت حنان ما أنى بك هاهنا اذونب أم أنت بالحي عارف

اي امرنا حنان قال ابو عبيدة واكثر ما يستعمل بلفظ التثنية قال طرفه

ابا منذر افنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشراهن من بعض

وتحنن عليه اي تعطف عليه قال الخطيب لعمد بن الخطاب

تحنن علي هداك المليك فإن لكل مقام مقالا

وحتت عليه احن حنينا وحنانا وحنة الرجل امرأته والجبار الذي لا يرى لأحد عليه حقا وفيه جبرية وجبروت
والجبار من النخل ما فات اليد

❖ الإعراب ❖

بقوة الباء في موضع الحال اي خذ الكتاب مجدا مجتهدا

❖ المعنى ❖

ثم قال سبحانه (يا يحيى خذ الكتاب بقوة) هاهنا اختصار عجيب تقديره فوهبنا له يحيى واعطيناه الفهم
والعقل وقلنا له يا يحيى خذ الكتاب يعني التوراة بما قواك الله عليه وابدك به ومعناه وانت قادر على أخذه فوبى
على العمل به وقيل معناه يجهد وصحة عزيمة على القيام بما فيه (وآتيناه الحكم صبيا) اي آتيناه النبوة في حال
صباه وهو ابن ثلاث سنين عن ابن عباس وروى العياشي بإسناده عن علي بن اسباط قال قدمت المدينة وانا اريد
مصر فدخلت على ابي جعفر محمد بن علي الرضا (ع) وهو اذ ذاك خماسي فجعلت اتأمله لأصفه لاصحابنا بمصر فنظر
الي فقال لي يا علي ان الله قد اخذ في الأمامة كما اخذ في النبوة قال فلما بلغ اشده واستوى آتيناه حكما وعلما
وقال وآتيناه الحكم صبيا فقد يجوز ان يعطى الحكم ابن اربعين سنة ويجوز ان يعطاه الصبي وقيل ان الحكم
الفهم وهو انه اعطى فهم الكتاب حتى حصل له عظيم الفائدة عن مجاهد وعن معمر قال ان الصبيان قالوا ليحيى
اذهب بنا نلعب فقال ما للعب خلقنا فانزل الله فيه وآتيناه الحكم صبيا وروي ذلك عن ابي الحسن الرضا (ع)
(وحنانا من لدنا) والحنان العطف والرحمة اي وآتيناه رحمة من عندنا عن ابن عباس وقتادة والحسن وقيل معناه
تحتنا على العباد ورقة قلب عليهم ليدعوهم الى طاعة الله تعالى عن الجبائي وقيل معناه محبة منا عن عكرمة واصله
الشفقة والرفقة ومنه حنين الناقة وهو صوتها اذا اشتاقت الى ولدها وقيل معناه تحتن الله عليه كان اذا قال يا رب
قال الله ليبيك يا يحيى وهو المروي عن الباقر (ع) وقيل معناه تعطفنا منا عن مجاهد فهذه خمسة اقوال (وزكاة)
اي وعملا صالحا زاكيا عن قتادة والضحاك وابن جريج وقيل زكاة لمن قبل ديبته حتى يكونوا اذ كيا عن الحسن
وقيل يعني بالزكاة طاعة الله والاخلاص عن ابن عباس وقيل معناه صدقة تصدق الله به على ابيه عن الكلبي
وقيل معناه وز كيتاه بحسن الثناء عليه كما بزكي الشهود الانسان عن الجبائي فهذه خمسة اقوال (وكان تقيا)
اي مخلصا مطيعا متقيا لما نهى الله عنه قالوا وكان من تقواه انه لم يعمل خطيئة ولم يهجم بها «سؤال» يقال لم اضاف
الله سبحانه كونه زكاة الى قسه وهو انما كان مطيعا زاكيا بفعله «جوابه» انه اتما صار كذلك بالطف من الله
لا سيما في تلك الحالة من الصغر ولا نعلم انما هتدى بهداية الله اياه (وبرا بالديه) اي بارا بوالديه محسنا اليهما
مطيعا لهما لطيفا بهما طالبا مرضاتهما (ولم يكن جبارا) اي متكبرا متطاولا على الخلق وقيل الجبار الذي
يقتل ويضرب على الغضب عن ابن عباس (عصيا) اي عاصيا لربه فعيل بمعنى فاعل (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت
ويوم يبعث حيا) أي سلام عليه منا في هذه الأيام عن عطاء وقيل وسلامة وأمان له منا عن الكلبي ومعناه سلامة
وأمن له يوم ولد من عبث الشيطان به واغوائه اياه ويوم يموت من بلاء الدنيا ومن عذاب القبر ويوم يبعث حيا من
حول المطلع وعذاب النار وإنما قال حيا تأكيذا لقوله يبعث وقيل يعني انه يبعث مع الشهداء لأنهم وصفوا بأنهم احياء
قال سفيان بن عيينة او حش ما يكون الانسان في ثلاثة مواطن يوم ولد فيرى قسه خارجا مما كان فيه ويوم يموت
فيرى قوما لم يكن عابنهم واحكاما ليس له بها عهد ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر عظيم فخص الله سبحانه
يحيى بالكرامة والسلام والسلامة في المواطن الثلاثة وقيل إن السلام الأول يوم الولادة تفضل والثاني والثالث
على وجه الثواب والجزاء

قوله تعالى (١٦) واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا

(١٧) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٨) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَقِيًّا (١٩) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (٢٠) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بِغِيًّا خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو عمرو وورش وقالون يرواية الحلواني ويعقوب ليهب بالياء والباقون لأهب بالهمزة

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي حجة من قال لأهب فأسند الفعل إلى المتكلم والمهبة لله تعالى ومنه إن الرسول والوكيل قد يسند هذا النحو إلى نفسه وإن كان الفعل للموكل او المرسل للعلم بأنه مترجم عنه ومن قال ليهب لك فهو على تصحيح اللفظ في المعنى ففي قوله تعالى ليهب ضمير من قوله ربك وهو سبحانه الواهب وزعموا ان في حرفي اليه وابن مسعود ليهب ولو خفت الهمزة من لأهب لكان في قول ابي الحسن ليهب فنقلها ياء محضة وفي قول الخليل لأهب يجعلها بين الياء والهمزة

﴿ اللفظة ﴾

التبذ اصله الطرح والانتباز اذ تعامل منه ومنه قوله فنبذوه وراء ظهورهم اي القوه وانتبذ فلان ناحية اي تنحى ناحية وجلس فلان نبذة من الناس ونبذة بفتح النون وضمها اي ناحية وإنما يقال ذلك إذا جلس قريبا منهم حتى لو نبذوا اليه شيئا لوصل اليه فالانتباز اتخذ الشيء بالقاء غيره عنه والمكان الشرقي الذي كان في جهة الشرق قال جرير

هبت جنوب فذكرى ما ذكرتمك عند الصفاة إلى شرقي حوراننا

﴿ الاعراب ﴾

مكثنا نصب على الظرف بشرا سويا منصوب على الحال

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف سبحانه قصة مريم وعيسى «ع» على قصة زكريا وعيسى «ع» فقال (واذ ذكر في الكتاب) اي في كتابك هذا وهو القرآن (مريم) اي حديث مريم وولادتها عيسى وصلاحها ليقسدي الناس بها ولتكون معجزة لك (اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا) اي اتردت من أهلها إلى مكان في جهة المشرق وقعدت ناحية منهم قال ابن عباس انما اتخذت النصارى المشرق قبلة لانها انتبذت مكانا شرقيا وقيل اتخذت مكانا تنفرد فيه للعبادة لثلاث تشغل بكلام الناس عن الجبائي وقيل تباعدت عن قومها حتى لا يرونها عن الاصم والي مسلم وقيل انما تمت ان تجد خلوة فتفلي رأسها فخرجت من يوم شديد البرد فجلست في مشرفة للشمس عن عطا (فاتخذت من دونهم حجابا) اي فضريت من دون أهلها لثلاث يروها سترها وحاجزا بينها وبينهم (فأرسلنا إليها روحنا) يعني جبرائيل (ع) عن ابن عباس والحسن وقتادة وغيرهم وسماه الله روحا لأنه روحاني واصله الى قسه تشريفا له (تمثل لها بشرا سويا) معناه فأناها جبرائيل فاتصّب بين يديها في صورة آدمي صحيح لم ينقص منه شيء وقال ابو مسلم إن الروح الذي خلق منه المسيح تصور لها انسان والاول هو الوجه لاجماع المترين عليه وقال عكرمة كانت مريم اذا لحاضت خرجت من المسجد وكانت عند خالتها امرأة زكريا ابام حبيضا فلما طهرت عادت الى بيتها في المسجد فينأ هي في مشرفة لها في ناحية الدار وقد ضربت بينها وبين أهلها سترأ لتغتسل وتمشط اذ دخل عليها جبرائيل في صورة رجل شاب

أمرد سوي الخلق فانكرته فاستماذت بالله منه (قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) معناه اني اعصم بالرحمن من شرك فاخرج من عندي ان كنت تقيا «سؤال» يقال كيف شرطت في التعموذ منه ان يكون تقيا والتقي لا يحتاج ان يتعموذ منه وانما يتعموذ من غير التقى «الجواب» ان التقى اذا تعوذ بالرحمن منه ارتدع عما يسخط الله في ذلك تخويف وترهيب له وهذا كما تقول ان كنت مؤمنا فلا تظلمني فالمعنى ان كنت تقيا فاتمظوا وخرج روي عن علي (ع) انه قال علمت ان التقى ينهائى عن المعصية وقيل ان معنى قوله ان كنت تقيا ما كنت تقيا حيث استحللت النظر اليه وخلوت بي فلما سمع جبرائيل (ع) منها هذا القول (قال) لها (انما انا رسول ربك لا اهب لك) وقد بينا معنى القرائتين (غلاما زكيا) اي ولدا طاهرا من الادناس وقيل ناميا في افعال الخير وقيل يريد نبيا عن ابن عباس (قالت) مريم (اني يكون لي غلام) اي كيف يكون لي ولد (ولم يمسي بشرا) على وجه الزوجية (ولم اك بغيا) اي ولم اكن زانية وانما قالت ذلك لأن الولد في العادة يكون من احدى هاتين الجهتين والمعنى اني لست بذات زوج وغير ذات الزوج لا تلد الا عن فحور ولست فاجرة وانما يقال للفاجرة بغى بمعنى انها تبغى الزنا اية تطلبه وفي هذه الآيات دلالة على جواز اظهار المعجزات لغير الانبياء لأن من المعلوم ان مريم ليست بشيعة وان روية الملك على صورة البشر وبشارة الملك اباها وولادتها من غير وطئ الى غيرها من الآيات التي اناها الله بها من اكبر المعجزات ومن لم يحوز اظهار المعجزات على غير النبي اختلفت اقوالهم في ذلك قال الجبائي وابنه انها معجزات لذكرها (ع) وقال البلخي انها معجزات لعيسى على سبيل الارهاص والتأسيس لنبوته

قوله تعالى (٢١) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَنَجَعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ امْرَأً مَقْضِيًّا (٢٢) فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٣) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا (٢٤) فَوَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٥) وَهَزَمِي إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا (٢٦) فَكَلِمِي وَأُشْرِي وَفَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيَنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (٢٧) فَآتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٨) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٩) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْتِ صَبِيًّا (٣٠) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا عَشْرَ آيَاتٍ

القراءة

قرأ حمزة وحفص نسيا بفتح التوت والباقون نسيا بكسر التوت وقرأ من تحتها بكسر الميم أهل المدينة والكوفة غير الي بكسر وسهل فالباقون من تحتها وقرأ حفص عن عاصم تساقط بضم التاء وكسر القاف وقرأ حماد عن عاصم وبصير عن الكسائي وبمعقوب وسهل بساقط بالياء وتشديد السين وقراءة حمزة تساقط بفتح التاء وتخفيف السين والباقون تساقط بفتح التاء وتشديد السين وفي الشواذ قراءة مسروق بساقط بضم الياء وتخفيف السين وقرأ طلحة بن سليمان رطبا جنيا بكسر الجيم فلما ترين بسكون الياء والتخفيف

- الحجة -

قال ابو علي قال ابو الحسن النسي هو الشي الحقيير ينسى نحو النعل والسوط وقال غيره النسي اغفل ما من شي حقيير وقال بعضهم ما اذا ذكر لم يطلب وقالوا الكسر اعلى اللتين قال الشنفرى

كان لها في الارض نسيا تقصه على امها وان تخاطبك تبت

وقال في قوله من تحتها انه جبرائيل او عيسى وقال بعض اهل التأويل لا يكون الا عيسى (ع) ولا يكون جبرائيل لانه لو كان جبرائيل لتاداهما من فوقها وقد يجوز ان يكون جبرائيل وليس قوله بمن تحتها يراد به الجهة السفلى وإنما المراد من دونها بدلالة قوله قد جعل ربك تحتك سرىا ولم يكن النهر محاذيا لهذه الجهة ولكن المعنى جعله دونك وقد يقال فلان تحتنا اي دوننا في الموضع والاشبه ان يكون المتنادي لها عيسى فإنه اشد ازالة لما خامر قلبها من الاغتمام واذا قال من تحتها كان عاما وضع موضع الخاص والمراد به عيسى قال والوجوه كلها كما في تساقط متفقة في المعنى الا قراءة حفص الا ترى ان من قرأ تساقط إنما هي تساقط فحذف التاء التي بدغمها غيره وكلهم جعل فاعل الفعل الذي هو تساقط او تساقط في رواية حفص النخلة ويجوز ان يكون فاعل تساقط او تساقط هي جذع النخلة الا انه لما حذف المضاف اسند الفعل الى النخلة في اللفظ فلما تعديتهم تساقط فهو تفاعل لأن تفاعل مطاوع فاعل فكما عدى نحو تفعل في نحو تجرعه وتمزته فكذلك عدى تفاعل فمما جاء من ذلك في الشعر قول اوفى بن مطر

تخاطأت التبل احشاه و آخر يومي فلم يعجل

وقول الآخر

تطالعنا خيالات لسلمي كما يتطالع الدين الغريم

وقول امرئ القيس

ومثلك ييضاء العوارض طفلة لعوب تناساني اذا قمت سربالي

اراد تنسني ومن قرأ بالياء اسكن ان يكون فاعله المزلان قوله هزي قد دل عليه فاذا كان كذلك جاز ان يضمه كما اضمر الكذب في قوله من كذب كان شر له ويمكن ان يكون الجذع ويجوز في الفعل اذا اسند الى الجذع وجهان احدهما ان الفعل اضيف الى الجذع كما اضيف الى النخلة برمتها لان الجذع معظمها والاخر ان يكون الجذع منفردا عن النخلة يسقط عليها ويكون سقوط الرطب من الجذع آية لعيسى (ع) ويصير سقوط الرطب من الجذع اسكن لنفسها واشد ازالة لاهتمامها وسقوط الرطب من الجذع منفردا من النخل مثل رزقها الذي كان يأتيها المحراب في قوله تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا الى قوله هو من عند الله وقوله رطبيا في هذه الوجوه منصوب على انه مفعول به ويجوز في قوله تساقط عليك اي تساقط عليك ثمرة النخلة رطبيا فحذف المضاف الذي هو الثمرة ويكون انتصاب رطب على الحال وجاز ان يضم الثمر وان لم يجر لها ذكر لان ذكر النخلة يدل عليها فأما الباء في قوله وهزي اليك يجذع النخلة فيحتمل امرين احدهما ان يكون زيادة كقوله التي بيده والتي بده وقوله

بواد يمان ينبت ألشث صدره واسفله بالمرخ وألشبهان

ونحو ذلك ويجوز ان يكون المعنى وهزي اليك بهز جذع النخلة رطبيا كما قال ذو الرمة

وصوح البقل نتاج تجيبى به هيف بمانبة في مرها نكب

اي تجيبى بمجيشة هيف يعني اذا جاء النجاج جاء الهيف وكذلك اذا هزت الجذع هزت بهزه رطبيا اي فلماذا

هززت الرطب سقط واما قراءة مسروق يساقط فإنه بمعنى يسقط شيئا بعد شيء وانشد ابن جني قول ضابن البرجمي
يساقط عنه ورقه ضارباتها سقاط حد يد القين اخول اخولا

اي يسقط قرن هذا الثور ضاربت كلاب الصيد لطنه اياها به شيئا بعد شيء واما قراءة طلحة رطب اجنيا
فإنه اتبع كسرة الجيم كسرة النون قال ابن جني شبه النون وان لم يكن من حروف الخلق بين في نحو الشخير
والتخير والريغف واما تيرين نعي شاذ لكنه جاء في لغة اثبات النون في الجزم وانشد ابو الحسن
لولا فوارس من قيس واسرئهم يوم الصليفاء لم يوفون بالجار

اللغة

القصي البعيد والقاصي خلاف الداني وقوله فأجاءها اي جاء بها المخاض وهو مما بعدى تارة بالباء وتارة
بهمزة النقل قال زهير

وجار سار معتمد اعلينا اجاءته المخاوف والرجاء

اي جاءت به وبروى جاء قال الكسائي تميم تقول ما اجاءك الى هذا وما امشاك اليه ومن امثالهم شرا جاءك
الى محنة عرفوب وتميم تقول امشاك والسري النهر لأنه يسري بجريانه قال لبيد

فتوسطا عرض السري فصدعا مسجورة متجاوزا قلامها

ويقال قررت به عينا اقر قرورا فهي لغة قريش واهل نجد يقولون قررت به بفتح العين اقر قرار كما يقولون
قررت بالمكان بالفتح والجنبي بمعنى المجني من جنيت الثمرة واجنيتها اذا قطعها وقال ابن اخط حذبه
هذا جنائي وخياره فيه اذ كل جان يده الى فيه

وفي معناه قول الكيث بمدح أهل البيت «ع»

خيارها يمحنتون فيه اذا أ

جانون في ذي كفههم اربوا

قال ابو مسلم القرني مأخوذ من فرى الأديم إذا قطعه على وجه الاصلاح ثم يستعمل في الكذب وقال الزجاج

يقال فلان بفرى القرني إذا كان يعمل عملا يبالغ فيه قال الرازي «قد كنت تفرين به الفريا»

الاعراب

عينا منصوب على التمييز فأما ترأين أصله ترأين إلا ان الاستعمال بنير همز والياء فيه ضمير المؤنث وإنما
سركت لالتقاء الساكنين وهما الياء والنون الأولى من المشددة كما تقول للمرأة ارضين زيدا وقوله من كان في
المهد صيا كان هنا بمعنى الحدوث والوقوع والتقدير كيف نكلم من وجد في المهد صيا نصب على الحال من كان
ومثل كان هاهنا قوله وإن كان ذو عسرة ومثله قول الريح

إذا كلت الشتاء فادفوني فان الشيخ يهدمه الشتاء

ويجوز ان يكون كان هنا مزبدة كما في قول الشاعر

جيا ديني ابي بكر تسامى على كأن المسومة العراب

فعل هذا يكون العامل في الحال نكلم قال الزجاج الاجود أن يكون من في معنى الشرط والجزاء فيكون
المعنى من يكن في المهد صيا فكيف نكلمه ويكون صيا حالا كما تقول من كان لا يسمع ولا بمقل فكيف
أخاطبه

المعنى

(قال كذلك) اي قال لما جبرائيل حين سمع تعجبها من هذه البشارة الامر كذلك اي كما وصفت لك (قال ربك هو علي هين) اي احداث الولد من غير زوج للمرأة سهل منأت لا يشق علي (ولنجعله آية للناس) معناه ولنجمله علامة ظاهرة وآية باهرة للناس على نبوته ودلالة على براءة أمه (ورحمة منا) له ولنجمله نعمة مناعلي الخلق يهتدون بسببه (وكان أمرا مقضيا) اي وكان خلق عيسى من غير ذكر أمرا كائنا مفروغا عنه محتوما قضى الله سبحانه بأن يكون وحكمه (فحملته) اي فحملت مريم بعيسى فحبلت في الجبال قيل ان جبرائيل أخذ رذن قميصها باصبعه فنفخ فيه فحملت مريم من ساعتها ووجدت حس الحمل وقيل نفخ في كفا فحملت عن ابن جريج وروي عن الباقر (ع) إنه تناول جيب مدرعتها فنفخ فيه فصخة فمكل الولد في الرحم من ساعتها كما يكمل الولد في ارحام النساء تسعة اشهر فخرجت من المستحم وهي حامل محج مثقل فنظرت اليها خالتها فأنكرتها ومضت مريم على وجهها مستحبة من خالتها ومن زكريا (فالتبذت به مكانا قصيا) اي تنحت بالحمل إلى مكان بعيد وقيل معناه اقررت به مكانا بعيدا من قومها حياء من أهلها وخوفا من أن يهتموها بسوء واختلفوا في مدة حملها فقيل ساعة واحدة قال ابن عباس لم يكن بين الاتبذ والحمل إلا ساعة واحدة لأنه تعالى لم يذكر بينها فصلا لأنه قال فحملته فالتبذت به فأجاءها والقاء للتعقيب وقيل حملت به في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زاغت الشمس من يومها وهي بنت عشر سنين عن مقاتل وقيل كانت مدة حملها تسع ساعات وهذا مروى عن ابي عبد الله (ع) وقيل ستة اشهر وقيل ثمانية اشهر وكان ذلك آية وذلك انه لم يعش مولود وضع لثمانية اشهر غيره (فأجاءها الخاض) اي الجاهها الطلق اي وجع الولادة (إلى جذع النخلة) فالتبذت اليها لتستند اليها عن ابن عباس ومجاهد وقنادة والسدي وقيل أجاءها اي جاء بها قال ابن عباس نظرت مريم إلى أكمة فصعدت مسرعة اليها فإذا عليها جذع نخلة نخرة ليس لها سنف والجذع ساق النخلة والالف واللام دخلت للمهد لا للجنس اي النخلة المعروفة فلما ولدت (قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا) اي شيئا حقيرا متروكا عن ابن عباس وقيل شيئا لا يذكر ولا يعرف عن قنادة وقيل حيضة ملقاة عن عكرمة والضحاك ومجاهد قال ابن عباس فسمع جبرائيل كلامها وعرف جزعها (فناداها من تحتها) وكان اسفل منها تحت اكمة (ألا تحزني) وهو قول السدي وقنادة والضحاك ان المنادي جبرائيل ناداها من سفح الجبل وقيل ناداها عيسى عن مجاهد والحسن ووهب وسعيد بن جبير وابن زيد وابن جرير والجبائي وإنما تمت «ع» الموت كراهية لأن يعصي الله فيها وقيل استحياء من الناس ان يظنوا بها سوءاً عن السدي وروي عن الصادق «ع» لأنها لم تر في قومها رشيدا فإفراصة بنزها من سوء (قد جعل ربك تحتك سريرا) اي ناداها جبرائيل او عيسى ليزول ما عندها من الغم والجزع لا تعتني قد جعل ربك تحت قدميك نهرا تشرين منه وتنظيرين من الفاس عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير قالوا وكان نهرا قد انقطع الماء عنه فارسل الله الماء فيه لمريم واحيى ذلك الجذع حتى اثمر واورق وقيل ضرب جبرائيل (ع) برجله فظهر ماء عذب وقيل بسل ضرب عيسى برجله فظهرت عين ماء تجري وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وقيل السري عيسى (ع) عن الحسن وابن زيد والجبائي والسري هو الشريف الرفيع قال الحسن كان والله عبداسريا (وهزي اليك بجذع النخلة) معناه اجذبني اليك بجذع النخلة والباء مزيدة وقال الفراء العرب تقول هزه وهز به (تساقط عليك رطبا حنيا) مر معناه وقال الباقر (ع) لم تستشف النساء بمثل الرطب ان الله اطعمه مريم في قاسها وقالوا ان الجذع كان بابسا لا ثمر عليه اذ لو كان عليه ثمر لهزته من غير ان تومر به وكان في الشتاء فصار معجزة بخروج الرطب في غير اوانه وبخروجه دفعة واحدة فإن العادة ان يكون نورا اولاً ثم بصير بلحا ثم بسرا وروي انه لم يكن للجذع رأس فضرته بزجلها فأورقت واثمرت واثثرت عليها الرطب جنيا والشجرة التي لا رأس لها لا تثمر في

العادة وقيل ان تلك النخلة كانت برية وقيل كانت عجوة وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) (فكلي واشربي) اي كلي يا مريم من هذا الرطب واشربي من هذا الماء (وقري عينا) جاء في التفسير وطبي قسا وقيل معناه لتقر عينك سرورا بهذا الولد الذي ترين لأن دعة السرور باردة ودعة الحزن حارة وقيل معناه لتسكن عينك مسكون سرور بروبتك ما تحبين (فلما ترين من البشر احدا) فسألك عن ولدك (فقولي اني نذرت للرحمن صوما) اي صمنا عن ابن عباس والمعنى اوجبت على نفسي لله ان لا اتكلم وقيل صوما اي اسماكا عن الطعام والشراب والكلام عن قتادة وانما صمت ليكفيها الكلام ولدها بما ييري به ساحتها عن ابن مسعود وابن زيد ووهب وقيل كان في بني اسرائيل من اراد ان يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم الصائم حتى يسي يدل على هذا قوله (فلن اكلم اليوم انبيا) اي اني صائم فلن اكلم اليوم احدا وكان قد اذن لها ان تتكلم بهذا القدر ثم تسكت ولا تتكلم بشئ آخر عن السدي وقيل كان الله تعالى امرها بان تنذر الله الصمت واذا كلمها احد تومي بأنها نذرت لله صمنا لأنه لا يجوز ان يأمرها بأن تخبر بانها نذرت ولم تنذر لأن ذلك كذب عن ابي علي الجبائي (فأتت قومها تحمله) اي فأتت مريم عيسى حاملة له وذلك انها لفته في خرقة وحملته الى قومها (قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا) اسيه امر عظيم بديعا اذ لم تلد اني قبلك من غير رجل عن مجاهد وقاتدة والسدي وقيل امر قبيحا منكرا من الافتراء وهو الكذب عن الجبائي (يا اخت هارون) قيل فيه اقوال **احدها** ان هارون هذا كان رجلا صالحا في بني اسرائيل ينسب اليه كل من عرف بالصلاح عن ابن عباس وقاتدة وكعب وابن زيد والمغيرة بن شعبة يرفعه الى النبي (ص) وقيل انه لما مات شيع جنازته اربعون الفا كلهم يسمي هارون فقولهم يا اخت هارون معناه يا شبيهة هارون في الصلاح ما كان هذا معروفا منك **وثانيها** ان هارون كان اخاها لا ييها ليس من امها وكان معروفا بحسن الطريقة عن الكلبي **وثالثها** ان هارون اخو موسى (ع) فنسبت اليه لأنها من ولده كما يقال يا اخا تميم عن السدي **ورابعها** انه كان رجلا فاسقا مشهورا بالمعير والفساد فنسبت اليه وقيل لها يا شبيهته في قبح فعله عن سعيد بن جبير (ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بنيا) اي كان ابوك صالحين فمن ابن جئت بهذا الولد (فاشارت اليه) اي فاومت الى عيسى (ع) بأن كلموه واستشهدوه على براءة ساحتي فتعجبوا من ذلك ثم قالوا كيف نكلم من كان في المهد صيبا) معناه كيف نكلم صيبا في المهد وقيل صيبا في الحجر رضيعا وكان المهد حجر امه الذي تربيته فيه اذ لم تكن هيأت له مهدا عن قتادة وقيل انهم غضبوا عند اشارتها اليه وقالوا السخر بها بنا اشد علينا من زناها فلما تكلم عيسى (ع) قالوا ان هذا الامر عظيم عن السدي (قال) عيسى (ع) (اني عبد الله) قدم اقراره بالبودية لبيطل به قول من يدعي له الربوبية وكان الله سبحانه انطقه بذلك لعلمه بما يقوله الغالون فيه ثم قال (آتاني الكتاب وجعلني نبيا) اي حكم لي باتيان الكتاب والثبوت وقيل ان الله تعالى اكمل عقله في صفه وارسله الى عباده وكان نبيا مبعوثا الى الناس في ذلك الوقت مكلفا عاقلا ولذلك كانت له تلك المعجزة عن الحسن والجبائي وقيل انه كلمهم وهو ابن اربعين يوما عن وهب وقيل يوم ولد عن ابن عباس واكثر المفسرين وهو الظاهر وقيل ان معناه اني عبد الله سيؤتيني الكتاب وسيجعلني نبيا وكان ذلك معجزة لمريم (ع) على براءة ساحتها

قوله تعالى (٣١) **وَجَعَلَنِي مَبَارَكًا اَيْنَ مَا كُنْتُ وَاَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا**

(٣٢) **وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٣) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٤) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٥) مَا كَانَ لِلَّهِ اَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ اِذَا قَضَىٰ اَمْرًا فَاِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ عاصم وابن عامر ويعقوب قول الحق بالنصب والباقون بالرفع وفي الشواذ قراءة أبي مجلز وأبي نعيم وبرا بوالدتي بكسر الباء

﴿ الحجية ﴾

قال أبو علي قول الحق الرفع فيه على أن قوله ذلك عيسى بن مريم كلام والمبتدأ المضمرة ما دل عليه هذا الكلام أي هذا الكلام قول الحق ويجوز أن يضمن هو ويعمله كناية عن عيسى «ع» أي هو قول الحق لأنه قد قيل فيه روح الله وكلمته والكلمة قول وأما النصب فعلى أن قوله ذلك عيسى بن مريم يدل على أحق قول الحق وتقول هذا زيد الحق لا الباطل لأن قولك هذا زيد عندك بمنزلة أحق فكأنك قلت أحق الحق وأحق قول الحق ومن قال وبرا بوالدتي فكأنه قال والزمني برا بوالدتي ويكون معطوفا على موضع الجار والمجرور من قوله وأوصاني بالصلاة والزكاة وعليه بيت الكتاب « يذهب في نجد وغورا غورا » أي ويسلكن غورا وإن شئت حملته على حذف المضاف بمعنى وجعاني ذا بر وإن شئت جعلته إياه على المبالغة كقول الخنساء « فأنا هي أقبال وأدبار »

﴿ اللفظة ﴾

السلام مصدر سلمت والسلام جمع سلامة والسلام اسم من أسماء الله تعالى وسلام مما يبشأ به في التكررة لأنه اسم يكثر استعماله يقال سلام عليك والسلام عليك وأسماء الاجناس يكثر الابتداء بها وفائدة نكرتها قريب من فائدة معرفتها تقول ليبيك وخبر بين بديك وإن شئت قلت والخبر بين بديك إلا أنه لما جرى ذكر سلام قبل هذا الموضع بغير الف ولام كان الاحسن أن يرد ثانية بالالف واللام

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه تمام كلام عيسى «ع» فقال (وجعلني مباركا أينما كنت) أي وجعاني معلما للخير عن مجاهد وقيل قاعا حيث ما توجهت والبركة نماء الخير والبارك الذي ينتمي للخير به وقيل نابجا دائما على الإيمان والطاعة وأصل البركة الثبوت عن الجبائي (وأوصاني بالصلاة والزكاة) أي بإقامة الصلاة وأداء الزكاة (مادمت) أي ما بقيت (حيا) مكلفا (وبرا بوالدتي) أي واجعاني بارا بها وودي شكرها فيما قاسته بسببي (ولم يجعلني جبارا) أي متجبرا (شقيا) والمعنى أنني بلطفه وتوفيقه كنت محسنا إلى والدتي متواضعا في نفسي حتى لم أكن من الجبابرة الاشقياء (والسلام علي) أي والسلامة علي من الله (يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) أي في هذه الاحوال الثلاث وقد مر تفسيرها قبل في قصة يحيى وفي هذه الآيات دلالة على أنه يجوز أن يصف الإنسان نفسه بصفات المدح إذا أراد تعريفها إلى غيره لا على وجه الافتخار قيل ولما كلمهم عيسى «ع» بهذا علموا براءة مريم ثم سكت عيسى «ع» فلم يتكلم بعد ذلك حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الصبيان (ذلك عيسى بن مريم) معناه ذلك الذي قال النبي عبد الله عيسى بن مريم لا ما بقوله النصارى من أنه ابن الله وأنه إله (قول الحق) مرعناه في الحجية (الذي فيه يمترون) أي يشكون يعني اليهود والنصارى فزعمت اليهود أنه ساحر كذاب وزعمت النصارى أنه ابن الله وثالث ثلاثة وقيل هو امترأ النصارى واختلافهم فبعضهم قالوا هو الله وقال بعضهم ابن الله وقال بعضهم ثالث ثلاثة ثم كذبهم الله تعالى فقال (ما كان لله أن يتخذ من ولد) معناه ما كان ينبغي لله أن يتخذ من ولد أي ما يصلح له ولا يستقيم عن ابن الانباري قال فنابت اللام عن الفعل وذلك أن من اتخذ ولدا فلما يتخذ من جنسه لأن الولد مجانس للوالد والله تعالى ليس كمثل شيء فلا يكون له سبحانه ولد ولا يتخذ ولدا وقوله من ولد من هذه هي الذي تدل على نفي الواحد والجماعة فالمعنى أنه لا يجوز أن يتخذ ولدا واحدا ولا أكثر ثم نزه سبحانه نفسه عن ذلك فقال (سبحانه) ثم بين السبب في كون عيسى من غير أب فقال (إذا قضى أمرا)

فلنما بقوله له كن فيكون) وقد مر تفسيره فيما مضى والمعنى أنه لا يتعذر عليه إيجاب شيء على الوجه الذي أراد
قوله تعالى (٣٦) وَأَنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٣٧) فَأَخْتَلَفَ
الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَبَّلَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٣٨) أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ
يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣٩) وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ
قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٤٠) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا
يُرْجَعُونَ خمس آيات

(القراءة) -

قرأ أهل الكوفة وابن عامر وروح وزيد عن يعقوب وإن الله بكسر الهزة والباقون بالفتح

✽ الحجة ✽

قال أبو علي حجة من كسر أنه جملة مستأقن كما أن المعطوف عليه مستأنف وحجة من فتح أنه حملة على
قوله وأوصاني بالصلاة والزكاة وبأن الله ربي وربكم

✽ الإعراب والمعنى ✽

قوله (وإن الله ربي وربكم) من فتح الهزة ففيه أربعة أوجه ✽ أحدها ✽ أن المعنى وقضى إن الله ربي وربكم
عن أبي عمرو بن العلاء ✽ والثاني ✽ أنه معطوف على كلام عيسى أي وأوصاني بأن الله ربي وربكم ✽ والثالث ✽
ذلك عيسى بن مريم وذلك إن الله ربي وربكم عن القراءة ✽ والرابع ✽ أن العامل فيه فاعبدوه والتقدير
ولأن الله ربي وربكم (فاعبدوه) فحذف الجار ومن كسر الهزة جاز أن يكون معطوفاً على قوله قال أي عبداً لله
أي وقال إن الله ربي وربكم وجاز أن يكون ابتداء كلام من الله تعالى أو أمر من الله لرسوله أن يقول ذلك
وقوله (هذا صراط مستقيم) معناه هذا طريق واضح فالزموه وقيل إن المعنى هذا الذي أخبرتكم إن الله أمرني
به هو الدين المستقيم الذي لا أعوجاج فيه (فاختلف الأحزاب من بينهم) الاختلاف في المذهب أن يعتقد
كل قوم خلاف ما يعتقد الآخرون والأحزاب جمع حزب وهو الجمع المنقطع في رأيه عن غيره وتمزبوا أي
صاروا أحزاباً فالمعنى أن الأحزاب من أهل الكتاب اختلفوا في عيسى «ع» فقال قوم منهم هو الله وهم اليعاقبة
وقال آخرون هو ابن الله وهم النسطورية وقال آخرون هو ثالث ثلاثة وهم الاسرائيلية وقال المسلمون هو عبد الله
عن قتادة ومجاهد وإنما قال من بينهم لأن منهم من ثبت على الحق وقيل إن من زائدة والمعنى اختلفوا بينهم (فويل)
أي فشدّة عذاب وهي كلمة وعيد (للذين كفروا) بالله بقولهم في المسيح (من مشهد يوم عظيم) المشهد بمعنى
الشهود والحضور أي من حضورهم ذلك اليوم وهو يوم القيامة وسمي عظيماً لعظم أهواله وقيل ويل لهم من مجمع
يوم أي من التضيحة على رؤوس الجمع يومئذ (اسمع بهم وأبصر يوم يأتياننا) قيل فيه وجهان ✽ أحدهما ✽
أن التقدير صاروا ذوي سمع وبصر والجار والمجرور في موضع رفع لأنه فاعل اسمع والمعنى ما اسمعهم وأبصرهم
يوم القيامة وإن كانوا في الدنيا صاموكما عن الحق عن الحسن ومعناه الأخبار عن قوة علومهم بالله تعالى في تلك
الحال ومثله قوله فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين) يعني أن
الكافرين في الدنيا أثروا الهوى على الهدى فهم في ذهاب عن الدين وعدول عن الحق والمراد أنهم في الدنيا
جاهلون وفي الآخرة عارفون حيث لا تنفعهم المعرفة وقال أبو مسلم وهذا يدل على أن قوله سبحانه سمع بكم عمي
ليس معناه الآفة في الأذن واللسان والعين بل هو أنهم لا يتدبرون ما يسمعون ويرون ولا يعتبرون ألا ترى أنه

جعل قوله لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين في مقابله فأقام السمع والبصر مقام الهدى إذ جعله في مقابلة الضلال المبين ﴿وَالثَّانِي﴾ ان معناه اسمعهم وابصرهم اي بصرهم وبين لهم انهم إذا أتوا مع الناس إلى موضع الجزاء سيكونون في ضلال مبين عن الجنة والثواب عن الجبائي قال ويجوز أن يكون المعنى أسمع الناس بهؤلاء الأنبياء وابصرهم بهم ليعرفوهم ويعرفوا خبرهم فيؤمنوا بهم لكن من كفر بهم من الظالمين اليوم يعني يوم القيامة في ضلال عن الجنة وهذا بعيد وقد استدرك على الجبائي في قوله والأولى والأظهر في الآية الوجه الأول (وانذرهم يوم الحسرة) الخطاب للذي ﷺ والمعنى خوف يا محمد كفار مكة يوم يتحسر المسيء هلا احسن العمل والمحسن هلا ازداد من العمل وهو يوم القيامة وقيل إنما يتحسر المستحق للعقاب فأما المؤمن فلا يتحسر وروى مسلم في الصحيح بالاستناد عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار قيل يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون وقيل يا أهل النار فيشرئبون وينظرون فيجاء بالموت كأنه كبش املح فيقال لهم تعرفون الموت فيقولون هذا هذا وكل قد عرفه قال فيقدم فيذبح ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت قال وذلك قوله وانذرهم يوم الحسرة الآية ورواه اصحابنا عن ابي جعفر «ع» وابي عبد الله «ع» ثم جاء في آخره فيفرح أهل الجنة فرحا لو كان أحد يومئذ ميتا لما اتوا فرحا ويشق أهل النار شققة لو كان أحد ميتا لما اتوا (إذ قضي الأمر) اي فرغ من الأمر واقطعت الآمال وأدخل قوم النار وقوم الجنة وقيل معناه انقضى أمر الدنيا فلا يرجع اليها الاستدراك الغائب وقيل معناه حكم بين الخلائق بالعدل وقيل قضي على أهل الجنة بالخلود وقضي على أهل النار بالخلود (وهم في غفلة) في الدنيا عن ذلك ومعناه إنهم مشغولون اليوم بما لا يعينهم غافلون عن احوال الآخرة (وهم لا يؤمنون) اي لا يصدقون بذلك ثم اخبر سبحانه عن نفسه فقال (إنا نحن نرث الأرض ومن عليها) أي نمت سكانها فترثها ومن عليها من العقلاء لأننا نمتهم ونهلكهم فلا يبقى فيها مالك ومتصرف (والينا يرجعون) اي إلينا يردون بعد الموت اي إلى حيث لا يملك الأمر والهي غيرنا

قوله تعالى (٤١) واذكر في الكتاب ابراهيم إنه كان صديقا نبيا (٤٢) إذ قال لا يبي يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا (٤٣) يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فأبعني أهدك صراطا سويا (٤٤) يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا (٤٥) يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا (٤٦) قال أرأيت أنت عن الهنيء يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجمنك وأعجزني مليا (٤٧) قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفييا (٤٨) وأعتزلكم وما ندعون من دون الله وأدعوا ربي عسى ألا أكون يدعاه ربي شقيا (٤٩) فلما أعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا (٥٠) ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا عشر آيات

﴿ القراءه ﴾

قد ذكرنا الاختلاف بين القراء في قوله يا أبت والوجه في ذلك في سورة يوسف «ع»

﴿ اللمة ﴾

الصديق هو كثير التصديق بالحق حتى يصير علما فيه والرغبة عن الشيء تقيض الرغبة فيه والترغيب الدعاء

إلى الرغبة في الشيء والانتهاؤ الامتناع من الفعل المنهي عنه يقال ناه عن الأمر فانتهى وأصله النهاية والنهي زجر عن الخروج من النهاية المذكورة والتناهي بلوغ نهاية الحد والرجم الرمي بالحجارة والرجم الشتم وأصله من الرجم والرجام وهو الحجارة والملي الدهر الطويل قال الفراء يقال كنت عندنا ملووملوة وملوومة وملوومة وملوولة وكله من طول المقام والحنفي المستقصي في السؤال والحنفي اللطيف بعموم النعمة وأصل الباب الاستقصاء تقول تحفيت به أي بالغت في أكرامه وحفوته من كل خير بالغت في منعه واحفيت شاربي بالغت في أخذه حتى استأصلته واحفيت في السؤال بالغت وكل شيء استوصل فقد احتفى وتقول العرب جاءني لسان فلان أي مدحه وذمه قال عامر بن الحرث

إني أنتني لسان لا اسر بها من علو لأعجب منها ولا سخر
جاءت مرجمة قد كنت احذرها لو كان ينفعني الاشفاق والحذر

✽ الاعراب ✽

قال الزجاج العرب تقول في النداء يا ابت ويا أمت ولا يقال قال ابني كذا وقالت امي كذا وزعم الخليل وسيبويه انها بمنزلة قولهم يا عمه ويا خالة وزعم انه بمنزلة قولهم رجل ربعة وغللام بفعه وان الهاء عوض من باء الاضافة في يا ابني ويا أمي وقوله مليا منصوب على الظرف وكلا مفعول جعلنا

✽ المعنى ✽

ثم ذكر سبحانه قصة ابراهيم (ع) فقال (واذكر) يا محمد (سيف الكتاب) أي القرآن (ابراهيم) انه كان صديقاً أي كثير التصديق في أمور الدين عن الجبائي وقيل صادقا مبالغا في الصدق فيما يخبر عن الله تعالى عن ابني مسلم (نيا) أي عليا رفيع الشأن برسالة الله تعالى (إذ قال لأبيه) أزر (يا أبت) أي يا ابني ودخلت التاء للمبالغة في تحقيق الإضافة (لم تعبد ما لا يسم) دعاء من بدعوه (ولا يبصر) من يتقرب اليه ويعبده (ولا يفتي عنك شيئا) من أمور الدنيا أي لا يكفيك شيئا فلا يفتك ولا يضرك (يا أبت) أي قد جاءني من العلم بالله والمعرفة (ما لم يأتك فاتبعني) على ذلك واقتدي في فيه (اهدك صراطا سويا) أي أوضح لك طريقا مستقيما معتدلا غير جائر بك عن الحق إلى الضلال (يا أبت لا تعبد الشيطان) أي لا تطعه فيما يدعوك اليه فتكون بمنزلة من عبده ولا شبهة ان الكافر لا يعبد الشيطان ولكن من أطاع شيئا فقد عبده (إن الشيطان كان للرحمن عصيا) أي عاصيا (يا أبت) أي أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن) أي يصبك عذاب من جهة الله سبحانه لاصرارك على الكفر (فتكون للشيطان وليا) أي فتكون موكولا الى الشيطان وهو لا يفتي عنك شيئا عن الجبائي وقيل معناه فتكون لاحقا بالشيطان بالعلم والغدلان واللاحق يسمى التالي والذي يتلو الشيء والذي يليه سواء عن ابني مسلم وقيل فتكون له قرينا في النار وقيل معناه فيكون الشيطان ولي نصرتك ولم يقل فيكون الشيطان وليك لأنه ابلغ سيف الفضيحة وإنما أراد زجره عن موالاته الشيطان لا تحقيق النصره يعني إذا لم يكن لك الانصرته فأنت مخذول لا ناصر لك وقد بينا فيما مضى ان الذي يقوله اصحابنا ان هذا الخطاب من ابراهيم (ع) إنما توجه إلى من ساء الله أباه لأنه كان جدنا لبراهيم (ع) لانه وان أباه الذي ولده كان اسمه تاريخ لاجماع الطائفة على ان أباه نبينا ﷺ إلى آدم (ع) كلهم مسلمون موحدون ولما روي عنه ﷺ انه قال لم يزل ينقلني الله تعالى من اصلاب الطاهرين إلى ارحام المطهرات حتى أخرجني في عالمكم هذا والكافر غير موصوف بالطهارة لقوله تعالى إنما المشركون نجس (قال) أزر مجيبا لبراهيم (ع) حين دعاه إلى الإيمان (أراغب أنت عن آلهي) أي أعرض أنت عن عبادة آلهي التي هي الاصنام (يا ابراهيم) وتارك لها وزاهد فيها (لئن لم تنته) أي لئن لم تمتنع عن هذا (لأرجنك) بالحجارة عن الحسن والجبائي وقيل لأرمنك بالذنب

والعيب واشتمتك عن السدي وابن جريج وقيل معناه لأنتلنك (واهجرني ملياً) اي فارقتني دهرأ طويلاً عن الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير والسدي وقيل ملياً سوباً سليماً عن عقوبتي عن ابن عباس وقتادة وعطاء والضحاك من قولهم فلان ملي بهذا الأمر اذا كان كاملاً فيه مضطرباً به (قال) ابراهيم (سلام عليك) سلام توديع وهجر على الطف الوجوه وهو سلام متاركة ومباعدة منه عن الجبائي والبي مسلم وقيل هذا سلام اكرام وير فقابل جفوة ابيه بالبر تأدية لحق الابوة اي هجرتك على وجه جميل من غير عقوق (سأستغفر لك ربي) قيل فيه اقوال * احدھا * انه إنما وعده بالاستغفار على مقتضى العقل ولم يكن بعد قد استقر قبح الاستغفار للمشر كين * وثانيھا * انه قال سأستغفر لك ربي على ما يصح ويجوز من تركك عبادة الاوثان واخلاص العبادة لله تعالى عن الجبائي * وثالثھا * ان معناه سادعو الله ان لا يعذبك في الدنيا عن الأصم (انه كان بي حفياً) اي بارأ لطيفاً رحيماً عن ابن عباس ومقاتل وقيل ان الله عودني احسانه وكان لي مكرماً وقيل كان عالماً بي وبما ابتغيه من مجادلتيك لعله يهديك (واعترز لكم وما تدعون من دون الله) اي واتنحى منكم جانباً واعتزل عبادة ما تدعون من دونه من الاصنام (وادعوا) اي واعبد (ربي عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقياً) كما شقيتم بدعاء الاصنام وانما ذكر عسى على وجه الخضوع وقيل معناه لعله يقبل طاعتي وعبادتي ولا اشقى بالرد فان المؤمن بين الرجاء والخوف (فلما اعزلهما وما يعبدون من دون الله) اي فارقهما وهاجرهم الى الارض المقدسة (وهبنا له اسحاق) ولداً (وبعقوب) ولد ولد (و كلا جعلنا نبياً) اي انساناً وحشته من فراقهم باولاد كرام على الله وكلا من هذين جعلناه نبياً يقتدى به في الدين (وهبنا له من رحمتنا) اي نعمتنا سوى الاولاد والثبوة من نعم الدين والدنيا (وجعلناهم لسان صدق علياً) اي ثناء حسناً في الناس علياً مرتفعاً سائراً في الناس وكل اهل الاديان يتولون ابراهيم وذريته وبشئون عليهم ويدعون انهم على دينهم وقيل معناه واعلينا ذكركم بان محمداً صلى الله عليه وسلم وامته بذكورهم بالجميل الى قيام القيامة وقيل هو ما يتلى في الشهد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم

قوله تعالى (٥١) واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصاً وكان رسولا نبياً (٥٢) وتادبناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجياً (٥٣) وهبنا له من رحمتنا اخاه هارون نبياً (٥٤) واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادقا الوعد وكان رسولا نبياً (٥٥) وكان يامر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً خمس آيات

✽ القراءة ✽

قرأ أهل الكوفة مخلصاً بفتح اللام والباقون مخلصاً بكسرها

✽ الحجة ✽

من كسر اللام فحجته واخلصوا دينهم لله ومن فتحها فحجته انا اخلصناهم

✽ اللغة ✽

يقال ناجاه بتاجيه اذا اختصه بكلام القاء اليه واصل النجاة الارتفاع من الارض ومنه النجاة ايضا وهو الارتفاع عن الهلكة والنجاة السرعة لانه ارتفاع في السير ومنه المناجاة لانه ارتفاع الحديث الى المحدث والنجي بمعنى المناسي كالجليس والضجيع وقيل نجى مصدر بمعنى ارتفاع لأن معنى قربناه رفعناه ويجوز ان يكون التقدير وقربناه مكاناً رفيعاً

المعنى

ثم ذكر سبحانه حديث موسى (ع) فقال (واذكر) يا محمد (في الكتاب) الذي هو القرآن (موسى انه كان مخلصا) اخلص العبادة لله تعالى واخلص نفسه لاداء الرسالة وفتح اللام يكون معناه اخلصه الله بالنبوة واختاره للرسالة (وكان رسولا) الى فرعون وقومه (نبيا) رفيع الشأن عالي القدر (وناديتاه من جانب الطور الايمن) الطور جبل بالشام ناداه الله تعالى من جانبه اليمين وهي بين موسى وقيل من جانب اليمين من الطور يريد حيث اقبل من مدين ورأى النار في الشجرة وهو قوله يا موسى اني انا الله رب العالمين (وقربناه نجيا) اي مناجيا كليما قال ابن عباس فربه الله وكنمه ومعنى هذا التقريب انه اسمعه كلامه وقيل فربه حتى سمع صرير القلم الذي كتبت به التوراة وقيل قربناه اي ورفعنا منزلته واعلينا محله حتى صار محله منا في الكرامة والمنزلة محل من قومه مولاه في مجلس كرامته فهو تقريب كرامة واصطفا لا تقرب مسافة وادناه اذ هو سبحانه لا يوصف بالخلول في مكان فيقرب من بعد او يبعد من قرب او يكون احد اقرب اليه من غيره (وهبنا لعن رحمتنا اخاه هارون نبيا) اي انعمنا عليه باخيه هارون حيث قال واجعل لي وزيرا من اهلي هارون وجعلناه نبيا اشركناه في امره وشددنا به ازره (واذكر في الكتاب) الذي هو القرآن (اسماعيل) بن ابراهيم ايضا (انه كان صادق الوعد) اذا وعد بشي وفيه ولم يخلف (وكان) مع ذلك (رسولا نبيا) الى جرحهم وقد مضى معناه قال ابن عباس انه واعد رجلا ان ينتظره في مكان ونسي الرجل فانظره سنة حتى اتاه الرجل وذلك مروى عن ابي عبد الله (ع) وقيل اقام ينتظره ثلاثة ايام عن مقاتل وقيل ان اسماعيل بن ابراهيم (ع) مات قبل ابيه ابراهيم (ع) وان هذا هو اسماعيل بن حزقيل بعثه الله الى قومه فسلخوا جلدة وجهه وفردة رأسه فضيره الله فيها شاء من عذابهم فاستغفاه ورضي بشوابه وفوض امرهم الى الله تعالى في عفوه وعقابه ورواه اصحابنا عن ابي عبد الله (ع) ثم قال في آخره اتاه ملك من ربه يقرئه السلام ويقول قد رأيت ما صنع بك وقد امرني بطاعتك فمرني بما شئت فقال يكون لي بالحسين (ع) أسوة (وكان يأمر اهله) اي قومه وعترته وعشيرته وقيل امته عن الحسن (بالصلاة والزكاة) وقيل انه كان يأمر اهله بصلاة الليل وصدقة النهار (وكان) مع ذلك (عند ربه مرضيا) قد رضي اعماله لانها كلها طاعات لم تكن فيها قبائح وقيل مرضيا معناه صالحا زكيا مرضيا فحصل له عند المنزلة العظيمة قوله تعالى (٥٦) واذكر في الكتاب ادريس إنه كان صديقا نبيا (٥٧) ورفعناه مكانا عليا (٥٨) أو لك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل ومن هدينا وأجبتنا إذ اتى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا (٥٩) فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة وتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا (٦٠) إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شيئا خمس آيات

اللفظ

العلي العظيم العلو والعلو العظيم فيما يقدر به على الامور ومنه يوصف الله تعالى بانه علي والفرق بين العلي والرفيع ان العلي قد يكون بمعنى الاقتدار وبمعنى علو المكان والرفيع من رفع المكان لا غير ولذلك لا يوصف الله تعالى بانه رفيع واما رفيع الدرجات فالونه ووصف للدرجات بالرفعة وبكفي وزنه فعول وهو جمع بالك ويجزان يكون مصدرا بمعنى البكاء والحلف بفتح اللام يستعمل في الصالح وبسكون اللام في الطالح وقد يستعمل كل واحد

في الآخر قال لبيد

ذهب ألدن بعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب

* الاعراب *

سجدا وبكيا نصب على الحال وتقديره خروا ساجدين وباكين قال الزجاج وهي حال مقدرة المعنى خروا مقدرين السجود لأن الانسان في حال خروده لا يكون ساجدا الا من تاب في موضع نصب اي فسوف يلقون العذاب الا التائبين فيكون الاستثناء متصلا ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا من غير الاول ويكون المعنى لكن من تاب وامن فاولئك يدخلون الجنة

* المعنى *

ثم ذكر سبحانه حديث ادريس فقال (واذكر) يا محمد (في الكتاب) الذي هو القرآن (ادريس) وهو جد اب نوح (ع) واسمه في التوراة اخنوخ وقيل انه سمي ادريس لكثرة درسه الكتب وهو اول من خط بالقلم وكان خياطا واول من خاط الثياب وقيل ان الله تعالى علمه النجوم والحساب وعلم الهيئة وكان ذلك معجزة له (انه كان صديقا نبيا) مر معناه (ورفعا مكراما عليا) اي عاليا رفيعا وقيل انه رفع الى السماء الرابعة عن انس واني سعيد الخدري وكعب ومجاهد وقيل الى السماء السادسة عن ابن عباس والضحاك قال مجاهد رفع ادريس (ع) كما رفع عيسى (ع) وهو حي لم يميت وقال آخرون انه قبض روحه بين السماء الرابعة والخامسة وروي ذلك عن ابي جعفر وقيل ان معناه ورفعا محله ومرتبته بالرسالة كقوله تعالى ورفعا لك ذكرك ولم يرد به رفعة المكان عن الحسن والجائني واني مسلم ولما فصل سبحانه ذكر النبيين ووصف كلا منهم بصفة تخصه جمعهم في المدح والثناء فقال (اولئك) تقدم ذكرهم (الذين انعم الله عليهم) بالنبوة وقيل بالثواب وبسائر النعم الدينية والدنيوية (من النبيين من ذرية ادم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل) انما فرق سبحانه ذكر نبيهم مع ان كلهم كانوا من ذرية ادم (ع) لتبيان مراتبهم في شرف النسب فكان لادريس شرف القرب لادم لانه جد نوح (ع) وكان ابراهيم من ذرية من حمل مع نوح لانه من ولد سام بن نوح وكان اسمايل واسحاق ويعقوب من ذرية ابراهيم لما تباعدوا من ادم حصل لهم شرف ابراهيم وكان موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى من ذرية اسرائيل (ومن هدينا واجتبتنا) قيل انه تم الكلام عند قوله اسرائيل ثم ابتدأ فقال ومن هدينا واجتبتنا من الامم قوم اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا فحذف لدلالة الكلام عليه عن ابي مسلم وروي عن علي بن الحسين (ع) انه قال نحن عينا بها وقيل بل المراد به الانبياء الذين تقدم ذكرهم من ذرية ادم ومن هديناهم واجتبتناهم اي هديناهم الى الحق فاهتدوا واخترناهم من بين الخلق ثم وصفهم فقال (اذا تتلى عليهم) اي تقرأ عليهم (آيات الرحمن) وهو القرآن عن ابن عباس (خروا سجدا) اي ساجدين لله (وبكيا) اي باكين متضرعين اليه بين الله سبحانه انهم مع جلالة قدرهم كانوا يبكون عند ذكر آيات الله وهو لا العصاة ساهون لاهون مع احاطة السيئات بهم ثم اخبر سبحانه فقال (فخلف من بعدهم خلف) واخلف البدل السيئ معناه من بعد النبيين المذكورين قوم سوء وقيل هم اليهود ومن تبعهم لأنهم من ولد اسرائيل وقيل هم من هذه الامة عند قيام الساعة عن مجاهد وقتادة (اضاعوا الصلاة) تركوها عن محمد بن كعب وقيل اضاعوها بتأخيرها عن مواقيتها من غير ان تركوها اصلا عن ابن مسعود وابراهيم وعمر بن عبد العزيز والضحاك وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) (واتبعوا الشهوات) اي اتفدوا الشهوات فيما حرم الله عليهم فقال وهب فخلف من بعدهم خلف شرايون للشهوات لعابون بالكسبات ركابون للشهوات متبعون للذات تاركون للجمعات مضيعون للصالحات (فسوف يلقون نيا) اي يلقون مجازاة القبيح عن الزجاج وهذا كقوله ومن يفعل ذلك يلق انما اي مجازاة الآثم وقيل يلقون نيا

اي شرا وخيبة عن ابن عباس وابن زيد ومنه قول الشاعر « ومن يفر لا يعدم على الغي لائما » اي يحب وقيل الغي واد في جهنم عن ابن مسعود وعطاء وكعب (الامن تاب) اي ندم على ما سلف (وامن) في مستقبل عمره (وعمل صالحا) من الواجبات والمندوبات (فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا) ومن قرأ يدخلون بضم الياء وفتح الحاء اراد ان الله سبحانه يدخلهم الجنة بان يأمرهم بدخولها وهذا يطابق قوله ولا يظلمون ومن قرأ يدخلون اراد انهم يدخلونها بأمر الله والمعنيان واحد ولا يبخسون شيئا من ثوابهم بل يوفيه الله اليهم على التمام والكمال وفي هذا دلالة على ان الله لا يمنع احدا ثواب عمله ولا يظلمه لانه سبحانه سمي ذلك ظلما

قوله تعالى (٦١) جَنَاتُ عَدْنِ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا (٦٢) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَأْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًا (٦٣) تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًا (٦٤) وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًا (٦٥) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَأَصْطِرِّ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًا

خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ رويس عن يعقوب نورث بالتشديد والباقون نورث وفي بعض الروايات عن ابي عمرو هل تعلم يدغم اللام في التاء. والأكثر الاظهار

﴿ الحجة ﴾

يقال اورثه وورثه بمعنى قال ابو علي يري سيبويه ان ادغام اللام في التاء. والداد والطاء. والصاد والزاي والسين جائز لأن مخرج اللام قريب من مخارجهن وهي حروف طرف اللسان وانشد لمزاحم العقبلي

فذر ذا ولكن هتمين متيما على ضوء برق آخر الليل ناصب

﴿ الاعراب ﴾

جنات عدن بالنصب على البدل من قوله الجنة وقوله بالغيب في موضع الحال اي كائنة بالغيب وذو الحال جنات عدن وسلاما استثناء منقطع فكأنه قال لا يسمعون فيها كلاما يؤلمهم ولكن يسمعون سلاما وما تنزل الا بأمر ربك تقديره قل ما تنزل فاضم القول له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك قال ابو علي هذه الآية تدل على ان الازمنة ثلاثة ماض وهو قوله ما بين ايدينا ومستقبل وهو قوله وما خلفنا وحال وهو قوله وما بين ذلك وما كان ربك نسيار بالسماوات والارض بدل من اسم كان وان شئت كان خبر مبتدأ محذوف وان شئت كان مبتدأ وقوله فاعبده خبره وهذا على قول الاخفش دون سيبويه

﴿ النزول ﴾

قيل ان العاص بن وائل السهمي لم يعط اجرة اجير استعماله وقال لو كان ما يقوله محمدا حقا فنحن اولى بالجنة ونعيمها فحينئذ او فراجره فقل تلك الجنة التي نورث لآية وقيل احتبس الرحي اياما لما سئل النبي ﷺ عن قصة اصحاب الكهف وذي القرنين والروح فشق ذلك عليه فلما اتاه جبرائيل استبطأ فنزلت وما تنزل الا بامر ربك الآية عن عكرمة والضحاك وقاتدة والكلبي ومقاتل

(المعنى)

ثم وصف سبحانه الجنة فقال (جنات عدن) اي جنات اقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام به ووجد في الآية

المتقدمة وجمع ههنا فكأنه جنة تشتمل على جنات وقيل لأن لكل واحد من المؤمنين جنة تجمعها الجنة العظمى (التي وعد الرحمن عباده بالغيب) المراد بالعباد المؤمنون كما قال فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وقيل انه يتناول المؤمن والكافر ولكن بشرط رجوع الكافر عن كفره وقال بالغيب لأنهم غابوا عما فيها مما لا عين رأت ولا اذن سمعت عن ابن عباس والمعنى انه وعدهم امرا لم يكونوا يشاهدونه فصدقوه وهو غائب عنهم (انه كان وعده) اي موعوده (مأتيا) اي أتيا لا بحالة والمفعول هنا بمعنى الفاعل لأن ما أتيتك فقد أتيتك وما أتاك فقد أتيتك يقال أتيت على خمسين سنة وأتت علي خمسون سنة وقيل إن الموعود هو الجنة والجنة مأتية يأتيها المؤمنون (لا يسمعون فيها نفرا) اي لا يسمعون في تلك الجنات القول الذي لا معنى له يستفاد وهو النفوس وقيل قد يكون النفوس الهزل وما يلغى من الكلام مثل النحش والباطيل (إلا سلاما) اي إلا سلام الملائكة عليهم وسلام بعضهم على بعض قال الزجاج السلام إسم جامع لكل خير لأنه يتضمن السلامة اي يسمعون ما يسلمهم (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) قال المفسرون ليس في الجنة شمس ولا قمر فيكون لهم بكرة وعشيا والمراد انهم يوتون برزقهم على ما يعرفونه من مقدار الغذاء والمشاء وقيل كانت العرب إذا أصاب احدهم الغذاء والمشاء اعجبت به وكانت تكبره الوجبة وهي الأكلة الواحدة في اليوم فأخبر الله تعالى ان لهم في الجنة رزقهم بكرة وعشيا على قدر ذلك الوقت وليس ثم ليل وإنما هو ضوء ونور عن قتادة وقيل انهم يعرفون مقدار الليل بارخاء الحجب واغلاق الابواب ومقدار النهار برفع الحجب وفتح الابواب (تلك الجنة التي) هي المذكورة في قوله فأرثك يدخلون الجنة التي (نورث من عبادنا من كان تقيا) اي إنا نملك تلك الجنة من كان تقيا في دار الدنيا بترك المعاصي وفعل الطاعات وإنما قال نورث مع أنه ليس بتملك نقل من غيرهم اليهم لأنه شبه بالميراث من جهة انه تملك بحال استوفت عن حال قد انقضت من أمر الدنيا كما ينقضي حال الميت من أمر الدنيا عن الجبائي وقيل إنه تعالى اورثهم من الجنة المساكن والمنازل التي كانت لأهل النار لو اطاعوا الله تعالى وأضاف العباد إلى نفسه لأنه أراد المؤمنين (وما نتنزل إلا بأمر ربك) قال ابن عباس إن النبي ﷺ قال لجبرائيل ما منكم ان تزورنا اكثر مما تزورنا فنزل وما نتنزل إلا بأمر ربك الآية اي إذا امرنا نزلنا عليك وهو قول مجاهد وقتادة والضحاك وقيل انه قول أهل الجنة انا لا نتنزل موضعا من الجنة إلا بأمر الله تعالى عن ابي مسلم (له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك) معناه له ما بين أيدينا من أمر الآخرة وما خلفنا اي ما مضى من أمر الدنيا وما بين ذلك اي ما بين النفختين عن ابن عباس وقتادة والضحاك والريعم قال مقاتل وما بين النفختين اربعون سنة وقيل معناه ابتداء خلقنا ومنتهى آجالنا ومدة حياتنا وقيل ما بين أيدينا ما بقي من امر الدنيا وما خلفنا ما مضى من الدنيا وما بين ذلك من حياتنا اي هو المدبر لنا في الاوقات الماضية والآتية والذاهبة وقيل ما بين أيدينا اي الأرض عند نزولنا وما خلفنا السماوات إذ نزلنا منها وما بين ذلك السماء والأرض (وما كان ربك نسيا) قيل هذا تام حكاية قول الملائكة وقول أهل الجنة وقيل بل تم الكلام قبله ثم اخبر الله سبحانه عن نفسه ومعناه انه سبحانه ليس ممن ينسى ويخرج عن كونه عالما لأنه عالم لذاته وتقديره وما نسيك يا محمد وان اخر الوحي عنك وقيل ما كان ربك ناسيا لا حد حتى لا يعيشه يوم القيامة عن ابي مسلم (رب السماوات والأرض) اي خالقهما ومدبرهما (وما بينهما) من الخلائق والاشياء (فاعبده) وحده لا شريك له (واصطبر لعبادته) اي اصبر على تحمل مشقة عبادته ثم قال لنبيه ﷺ (هل تعلم لهسبيا) اي مثلا وشبيها عن ابن عباس ومجاهد وابن جريج وسعيد بن جبير وقيل هل تعلم احدا يستحق ان يسمى إلهما إلا هو عن الكلبي وقيل هل تعلم احدا يسمى إلهما خالقا رازقا مجيبا مميتا قادرا على الثواب والعقاب سواه حتى تعبده فلماذا لم تعلم ذلك فالزم عبادته وهذا استفهام بمعنى النفي اي لا تعلم من يسمى بلفظة الله

قوله تعالى (٦٦) وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مِثْ لَسَوْفَ أَخْرَجُ حَيًّا (٦٧) أَوْلَا يَذْكُرُ

الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا (٦٨) فوردك لنحشرنهم والشیاطین ثم لنحضرنهم
حول جهنم جثيا (٦٩) ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا (٧٠) ثم
لنحزن أعلم بالذين هم أولى بها صلیا خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ نافع وعاصم وابن عامر وروح وزيد عن يعقوب وسهل أولا يذكر خفيقا والباقرن أولا يذكر بالتشديد
(الحجة)

قال ابو علي التذکر يراد به التدبر والتفكر وليس تذکرا عن نسيان والثقیلة كأنه في هذا المعنى اكثر فمن
ذلك قوله ولم نعلمكم ما يتذكر فيه من تذكر وقال إنما يتذكر أولو الالباب فأضافته إلى اولي الالباب يدل على
ان المراد به النظر والتفكر والحقیفة في هذا المعنى دون ذلك في الكثرة وقد قال الله تعالى إن هذه تذكرة فمن
شأن ذكره وزعموا انه في حرف ابي أولا يتذكر واما قوله ولم يك شيئا فمعناه لم يك شيئا موجودا وليس يراد انه
قبل الخلق لم يقم عليه اسم شي وهذا كقوله تعالى هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا
وقد قال ان زلزلة الساعة شيء عظيم

— (اللغة) —

الجشي جمع الجاشي وهو الذي برك على ركبته واصله جش فعل من جش يجش وقد تقدم القول فيه في أوائل
السرية والشيعة الجماعة المتعاونون على أمر واحد من الامور ومنه تشابع القوم إذا تعاونوا والصلبي مصدر صلی
يصلي صلیا مثل لقي بلي تيا وصلی بصلی صلیا مثل مضى يمضي مضيا

﴿ الأعراب ﴾

العامل في قوله إذا مات مضر دل عليه قوله سرف اخرج حيا والتقدير إذا ماتت بعثت ولا يجوز ان يعمل فيه
اخرج لأن ما بعد اللام لا يعمل فيا قبله كما ان ما بعد ان كذلك وما بعد الاستفهام وحرف النفي وقد ذكرنا ذلك
في مواضع والشیاطین يمتل ان يكون منصوبا بأنه مفعول به اي ونحشر الشیاطین ويحتمل ان يكون مفعول معه
بمعنى لنحشرنهم مع الشیاطین وجثيا منصوب على الحال وعتيا منصوب على التمييز وكذلك صلیا فأما الرفع في أيهم
أشد قال الزجاج فيه ثلاثة اقوال ﴿ احدها ﴾ قال سيويه عن يونس ان لنزعن معلقة لم تعمل شيئا فكان
قول يونس ثم لننزعن من كل شيعة ثم استأنف فقال أيهم ﴿ والثاني ﴾ حكى سيويه عن الحليل انه بمعنى
الذين يقال لهم أيهم أشد على الرحمن عتيا ومثله قول الشاعر

ولقد أتيت من القناة بمنزل فأبيت لا حرج ولا محروم

والمعنى فأبيت بمنزلة الذي يقال لا هو حرج ولا محروم ﴿ والثالث ﴾ قال سيويه ان أيهم مبنية على الضم
لأنها خالفت اخواتها بان استعمل معها حذف الابتداء تقول اضرب أيهم افضل تريد أيهم هو افضل فيحسن
الاستعمال كذلك بحذف هو ولا يحسن اضرب من افضل حتى تقول من هو افضل ولا يحسن كل ما اطيبت حتى
تقول كل ما هو اطيبت قال فلما خالفت من وما والذي لا تقول فيه ايضا خذ الذي افضل حتى تقول خذ الذي هو
افضل فلما خالفت هذا الخلاف بنيت على الضم في الاضافة والنصب حسن وان كنت قد حذفته هو لأن هو قد يجوز
حذفها وقد قرئ تماما على الذي احسن على معنى الذي هو احسن قال ابو علي ينبغي ان يكون مراد يونس بقوله
ان الفعل معلق انه معمل في موضع من كل شيعة وليس يريد به انه غير معمل في شيء البتة بل يريد انه معمل

في موضع الجار والمجرور لأن لفظ التعليق انما يستعمل فيما يعدل في الموضع دون اللفظ ولو اراد انه لا عمل له في لفظ ولا موضع لقال ملغى ولم يقل معلق كما تقول في زيد ظننت منطلق انه ملغى واذا كان كذلك كان قول الكسائي في الآية مثل قول يونس لأن الكسائي قال ان قوله لننزع من كل شيعة كقولك اكلت من طعام فلان كان كذلك كان ايهم منقطعا من هذه الجملة وكانت جملة مستأنفة فلان قال قائل لم زعم سيويه انه اذا حذف العائد من الصلة وجب البناء على الضم فالجواب ان الصلة تبين الموصول وتوضحه كما ان المضاف اليه يبين المضاف ويخصه فكما ان المضاف اليه لما حذف بني المضاف فكذلك لما حذف العائد من الصلة الى الموصول هنا بني فلان قال ما ينكر ان لا يكون حذف المبتدأ العائد من الصلة عوض حذف المضاف اليه من المضافات لأن المحذوف هنا بعض الجملة وفي المضاف قد حذف المضاف كله قيل ان حذف العائد هنا نظير حذف المضاف اليه هناك الا ترى ان الذي يبين به الموصول ويتضح انما هو الراجع الذي في الجملة ولولا الراجع لم يبين واذا كان المبين له الراجع من الجملة فالحذف منها كان بمنزلة حذف المضاف اليه من المضاف

✽ النزول ✽

نزل قوله ويقول الانسان الآية في انبياء بن خلف الجمحي وذلك انه اخذ عظما باليا فجعل يفته بيده ويذريه في الريح ويقول زعم محمد ﷺ ان الله يبعثنا بعد ان نموت ونكون عظما مثل هذا ان هذا شي لا يكون ابدا عن الكلبي وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة في رواية عطا عن ابن عباس

✽ المعنى ✽

لما تقدم ذكر الوعد والوعيد والبعث والنشور حكى سبحانه عقبيه قول منكري البعث ورد عليهم باوضح بيان واجلي برهان فقال (ويقول الانسان اإذا ما مت لسوف اخرج حيا) هذا استنهام المراد به الانكار والاستهزاء اي اذا ما مت اعادني الله حيا فقال سبحانه مجيبا لهذا الكافر (أولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل) اي اولا يتذكر هذا الجسد حال ابتداء خلقه فيستدل بالابتداء على الاعادة وقيل ان الانسان هنا مفرد في اللفظ مجموع في المعنى يريد جميع منكري البعث (ولم يك شيئا) معناه ولم يك شيئا كأننا او مذكورا «سؤال» قيل كيف تدل النشأة الأولى على النشأة الثانية والواحد منا يقدر على افعاله كالحر كالت والسكرات والاصوات وغيرها ولا يقدر على اعادةها «والجواب» من وجوه **١** احدها **٢** انه سبحانه خلق الاجسام والحياة فيها والبقاء جائز عليها فيجب ان يقدر على اعادةها بخلاف افعالنا فانها لا تبقى ولا يصح الاعادة عليها **٣** والثاني **٤** ان الابتداء اصعب من الاعادة فلماذا كان قادرا على الابتداء فلان يكون قادرا على الاعادة اولى **٥** والثالث **٦** انه سبحانه استدل بخلق الاجسام على انه قادر لذاته اذ القادر بقدرته لا يصح منه فعل الاجسام واذا كان قادرا لذاته ويقدر على ايجاد ما يصح وجوده وقتين فقدر على اعادةه ثم حقق سبحانه امر الاعادة فقال (فوربك) يا محمد لنحشرنهم والسياطين اي لنجمعنهم ونبعثنهم من قبورهم مقرنين باوليائهم من الشياطين وقيل لنحشرنهم ولنحشرن الشياطين ايضا (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا) اي مستوفزين على الركب عن قتادة والمعنى يجثون حول جهنم متخاصمين ويتبرأ بعضهم من بعض لأن المحاسبة تكون بقرب جهنم وقيل جثيا اي جماعات جماعات عن ابن عباس كأنه قيل زمرا وهو جمع جثة وجثة هي المجموع من التراب والحجارة وقيل معناه قياما على الركب وذلك لضيق المكان بهم لا يمكنهم ان يجلسوا عن السدي (ثم لننزع من كل شيعة) اي لنستخرجن من كل جماعة (أيهم فشد على الرحمن شيئا) اي الاعنى فالاعنى منهم قال قتادة لننزع من كل اهل دين قادتهم ورووسهم في الشر والعنى هاهنا مصدر كالتو وهو التمرد في العصيان وقيل يبدأ بالأكثر جرما فالأكثر عن مجاهد واي الاحوص (ثم لنحن اعالم بالذين هم اولى بها صليا) اي لنحن اعلم بالذين هم اولى بشدة العذاب واحق بعظيم العقاب واجدر بلزوم النار

قوله تعالى (٧١) وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧٢) ثُمَّ نُنَجِّي
الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٣) وَإِذْ أَنْتَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا (٧٤) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ
أَحْسَنُ آثَانًا وَرِيًّا (٧٥) قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدَا حَتَّى إِذَا رَأَوْا
مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جِنْدًا خمس آيات

❖ القراءة ❖

قرأ الكسائي وروح وزيد عن يعقوب ثم ننجي بالتخفيف والباقون ننجي بالتحديد وقرأ ابن كثير مقاما
بضم الميم والباقون بفتحها وقرأ اهل المدينة غير ورش وابن عامر والاعشى والبرجمي عن ابي بكر وريا بغير
همزة اليا والباقون وريا مهورزة وفي الشواذ قراءة طلحة وريا خفيفة بلا همزة وقراءة سعيد بن جبير وزيلازاي

❖ اللمحة ❖

انجاء ينجيه ونجاء ينجيه بمعنى والمصدر واسم الموضع من باب يفعل يجيى على مفعل فالمقام بفتح الميم يصلح
ان يكون مصدرا من قام يقرم ويصلح ان يكون اسم الموضع والمقام المصدر والموضع من اقلم يقيم فاما قول زهير
وفيهم مقامات حسان وجوههم واندية ينتابها القول والفعل

فانما هو على حذف المضاف اي اهل مقامات ومشاهد وروي عن الاصمعي انه قال المجلس القوم وانشد
« واستب بعدك يا كليب المجلس » قال ابو علي المجلس موضع الجلوس فالمعنى على اهل المجلس كما ان المعنى
على اهل المقامات قال السكري المقامة المجلس والمقام المنزل وقوله خير مقاما من ضم الميم جعله اسما للمثوى
ومن فتح كان كذلك ايضا الا ترى ان الندي والنادي هما المجلس فمن ذلك قوله تعالى وتأتون في ناديبكم
المنكرو يدل على ذلك قوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثانا وريا فلونه لا يراد به الحدث
انما يراد به حسن الشارة والهينة والمنظر وهذا انما يكون في الاماكن واما قوله وريا قال ابو علي روي فعل
من رأيت فكانه اسم لما ظهر وليس المصدر وانما المصدر الرأي والرؤية يدل على ذلك قوله يرونهم مثلهم رأي
المين فالرأي الفعل والرأي المرئي كالطحن والسقي والسقي والرعي والرعي ومن خفف الهزة من وريا لزم ان
يبدل منها اليا لانكسار ما قبلها كما يبدل من ذئب وبئر فاذا ابدل منها اليا وقعت ساكنة قبل حرف مثله
فلا بد من الادغام وليس يجوز الاظهار في هذا كما جاز اظهار الواو في نحو وريا وروية يعني إذا خففت الهزة فيها
لأن اليا في ريا قبل مثل وقعت في وريا قبل ما يجري مجرى المقارب قال ابن جنبي من قرأ ورياشدة فلونه فعل
أما من رأيت وأما من رويت واصله وهو من الهزة وريا كريا فخففت الهزة وابدت ياء وادغمت اليا الثانية
ويجوز ان يكون من رويت لأن للريان نضارة وحسنا فينتق معناه ومعنى وريا بالزاي وأصله على هذا زوي فأبدلت
الواو ياء وادغمت في اليا وأما ريا مخففة فيحتمل ان يكون مقربة من فعل إلى فلع فصار في التقدير ريا ثم حذف
الهزة والقيت حركتها على اليا قبلها فصار ريا ويحتمل ان يكون ريا من رويت ثم خففت بحذف احدى
الياءين فصار ريا وأما الزاي بالزاي ففعل من زويت اي جمعت ذلك وذلك انه لا يقال لمن له شيء واحد من
آته له زي حتى يكسر آته المستحسنة وانشد ابن دريد

أهاجتك الطعائن يوم باتوا بذوي الزبي الجميل من الاثاث

❖ اللغة ❖

الحتم التقطع بالأمر والحتم والجزم والقطع بمنى والندى والنادى المجلس الذي قد اجتمع فيه أهله ومنه دار الندوة وهي دار قصي بمكة وكانوا يجتمعون فيه للتشاور تيمنا به وقد ندوت القوم اندوهم اذا جمعتهم في مجلس وأصل الندى انه مجلس أهل الندى وهو الكرم قال حاتم

ودعيت في اولى الندى ولم ينظا الي باعين خزر

والاثاث المتاع من الفرش والثياب التي تزين بها واحدها اثانه رقيق لا واحد لها والري ما يراه الرجل من ظاهر اجوال القوم وهو اسم للمرئي كالذبح اسم للمذبح

❖ الاعراب ❖

وان منكم إلا واردها تقديره وما احد ثابت منكم فأحد مبتدأ ومنكم صفة وواردها خبر وجثيا منصوب على الحال مقاماً ونديا منصوبان على التمييز كم اهلكناكم نصب باهلكنا والتقدير كم قرنا اهلكنا من جملة القرون فحذف المميز بدلالة الكلام عليه فليصدق له الرحمن مدا لفظه لفظ الامر ومعناه خبر والتقدير فمد له الرحمن مدا وباب الامر والخبر يتداخلان فكما ان قوله والمطلقات يتربصن تقديره فليتربصن فجعل لفظ الخبر بمعنى الأمر فكذا هاهنا جعل لفظ الأمر بمعنى الخبر وقوله ما يوعدون مفعول رأوا وأما المذاب وأما الساعة بدل من ما يوعدون وقوله من هو شر مكانا تعليق فعلى هذا يكون هو فصلا والفصل بين كلمة الاستفهام وخبره عزيز فالاولى ان يكون من هنا بمعنى الذي وفي موضع نصب بسيعلمون وهو شر مبتدأ وخبر والجملة صلة من

❖ المعنى ❖

ثم بين سبحانه لحوالمهم يوم الحشر فقال (وإن منكم إلا واردها) اي ما منكم احد إلا واردها والهاء في واردها راجعة إلى جهنم واختلف العلماء في معنى الورد على قولين ﴿ احدهما ﴾ ان ورودها هو الوصول اليها والاشراف عليها لا الدخول فيها وهو قول ابن مسعود والحسن وقتادة واختاره ابو مسلم واستدلوا على ذلك بقوله تعالى وما ورد ما مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون وقوله تعالى فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه وبأنك تقول وردت بلد كذا وما كذا اي اشرفت عليه دخلته او لم تدخله وفي امثال العرب ان ترد الماء بناء اكيس وقال زهير

فلما وردن الماء زرقا جمامه وضمن عصي الحاضر المتخيم

أراد فلما بلغن الماء اقمى عليه قال الزجاج والحجة القاطمة في ذلك قوله سبحانه إن الذين سبق لهم منا الحسنى أو تلك عنها مبعدون لا يسمعون حسيها فهذا يدل على ان أهل الحسنى لا يدخلونها قالوا فمعناه إنهم واردون حول جهنم للمحاسبة ويدل عليه قوله ثم لتحضرنهم حول جهنم جثيا ثم يدخل النار من هاهلها وقال بعضهم معناه إنهم واردون عرصة القيامة التي تجتمع كل بر وفاجر ﴿ والآخر ﴾ ان ورودها بمعنى دخولها بدلالة قوله تعالى فأرردهم النار وقوله وانتم لها واردون لو كان هؤلاء أمة ما وردوها وهو قول ابن عباس وجابر واكثر المفسرين ويدل عليه قوله ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ولم يقل وندخل الظالمين وإنما يقال نذر وترك للشيء الذي قد حصل في مكانه ثم اختلف هؤلاء فقال بعضهم إنه للمشركين خاصة ويكون قوله وإن منكم المراد به منهم كما قال سبحانه وسقاهم ربهم شرابا طهورا إن هذا كان لكم جزاء اي لهم وروي في الشواذ عن ابن عباس انه قرأ وإن منهم وقال الاكثر انه خطاب لجميع المكلفين فلا يبقى بر ولا فاجر الا ويدخلها فيكون يراد وسلاما على المؤمنين وعذابا لازما للكافرين قال السدي سألت مرة الهمداني عن هذه الآية فحدثني ان عبدالله بن مسعود حدثهم عن رسول الله ﷺ قال يرد الناس النار ثم يصدرون باعمالهم فأولهم

كلمع البرق ثم كمر الريح ثم كحضر الفرس ثم كالراكب ثم كشد الرجل ثم كمشيه وروى ابو صالح غالب ابن سليمان عن كثير بن زياد عن ابي سينة قال اختلفا في ورود فقال قوم لا يدخلها مؤمن وقال آخرون يدخلونها جميعا ثم ينجي الله الذين اتقوا فلقبت جابر بن عبد الله فسأته فأومى بإصبعه إلى أذنيه وقال صمتان لم اكن سمعت رسول الله ﷺ يقول الورد والدخول لا يبقى بر ولا فاجر إلا يدخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان النار او قال لجهنم ضجيجا من بردها ثم تنجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وروى مرفوعا عن يعلى بن منية عن رسول الله ﷺ قال تقول النار للمؤمن يوم القيامة جزيا مؤمنا فقد اطفأ نورك لمي وروى عن النبي ﷺ انه سئل عن معنى الآية فقال إن الله تعالى يجعل النار كالسمن الجامد ويجمع عليها الخلق ثم ينادي المنادي ان خذي اصحابك وذري اصحابي قال ﷺ فوالذي نفسي بيده لمي اعرف باصحابها من الوالدة بولدها وروى عن الحسن انه رأى رجلا يضحك فقال هل علمت انك وارد النار قال نعم قال وهل علمت انك خارج منها قال لا قال فيم هذا الضحك وكان الحسن لم ير ضاحكا قط حتى مات وقيل ان القائدة في ذلك ما روي في بعض الاخبار ان الله تعالى لا يدخل احدا الجنة حتى يطلعه على النار وما فيها من العذاب ليعلم تمام فضل الله عليه وكال لطفه واحسانه اليه فيزداد لذلك فرحا وسرورا بالجنة ونعيمها ولا يدخل احد النار حتى يطلعه على الجنة وما فيها من انواع النعيم والثواب ليكون ذلك زيادة عقوبة له حسرة على ما فاتته من الجنة ونعيمها وقال مجاهد الحمى حفظ كل مؤمن من النار ثم قرأ وإن منكم إلا واردها فعلى هذا من حم للمؤمنين فقد ورد في الخبر ان الحمى من قبح جهنم وروى ان رسول الله ﷺ عاد مريضا فقال ابشر ان الله عز وجل يقول الحمى هي نارى اسلطها على عبدي المؤمن في الدنيا لتكون حظه من النار وقوله (كان على ربك حتما مقضيا) اي كائنا واقعا لا محالة قد قضى بأنه يكون وعلى كلمة وجوب فمعناه أوجب الله ذلك على نفسه وفيه دلالة على انه يجب عليه سبحانه أشياء من طريق الحكمة خلافا لما يذهب اليه أهل الجبر (ثم تنجي الذين اتقوا) الشرك وصدقوا عن ابن عباس (ونذر الظالمين) اي ونقر المشركين والكفار على حالهم (فيها) اي في جهنم (جثيا) اي باركين على ركبهم وقيل جماعات على ما مر تفسيره وقيل المراد بالظالمين كل ظالم وعاص ثم قال سبحانه (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات) ومعناه وإذا بتلى على الكافرين آياتنا المنزلة في القرآن ظاهرات الحجج والادلة يمكن تفهم معانيها (قال الذين كفروا للذين آمنوا أي التريقين خير مقاما) أي قال الذين جحدوا وحدانية الله وكذبوا انبياءه للذين صدقوا بذلك مستهيمين لهم وغرضهم الانكار اي التريقين اي نحن ام انتم خير منزلا ومسكنا اي موضع اقامة (واحسن ندبا) اي مجلسا وإنما تفاخروا بالمال وزينة الدنيا ولم يتفكروا في العاقبة ولبسوا على الضعفة بأن من كان ذا مال في الدنيا فكذلك يكون في الآخرة ثم نهبهم سبحانه على فساد هذا الاعتقاد بأن قال (وكم اهلكنا قبلهم من قرن محسن ائانا ورويا) قال ابن عباس الأثاث المتاع وزينة الدنيا والري المنظر والمهينة والمعنى ان الله تعالى قد اهلك قبلهم أمما وجماعات كانوا اكثر اموالا واحسن منظرا منهم فأهلك اموالهم وافسد عليهم صورهم ولم تنغن عنهم اموالهم ولا جمالهم كذلك لا يبقى عن هؤلاء وقيل ان المعنى بالآية النضر بن الحارث وذووه وكانوا يرجلون شعورهم ويلبسون خز ثيابهم ويفتخرون بشارتهم وهياتهم على اصحاب النبي ﷺ ثم قال سبحانه لئيبه ﷺ (قل) يا محمد (من كان في الضلالة) عن الحق والعدل عن اتباعه (فليمدد له الرحمن مدا) هذا لفظ أمر معناه الخبر وتأويله أن الله سبحانه جعل جزاء ضلالته ان يمد له بأن يتركه فيها كما قال ونذرهم في طغيانهم يعمهون إلا أن لفظ الامر بوجه كدمعنى الخبر فكان المتكلم يقول افعل ذلك وأمر قسي به فالمعنى فليمش ما شاء وأضاف ذلك إلى نفسه لأنه سبحانه يبقيه في الدنيا اي فليمش ما شاء الله من السنين والاعوام فإنه لا ينفعه طول عمره (حتى

إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب (أي عذاب الاستئصال عن الاصم وقيل عذاب وقت البأس وقيل عذاب القبر وقيل عذاب السيف) وإما الساعة) أي القيامة وعذاب النار (فيعلمون) حين يرون العذاب (من هو شر مكانا) أي أهم أم المؤمنون لأن مكانهم جهنم ومكان المؤمنين الجنة (وأضعف جنداً) أي ويعلمون اجندهم اضعف أم جنده النبي ﷺ والمسلمين وهذا رد لقولهم أي الفريقين خير مقاماً واحسن ندباً

قوله تعالى (٧٦) وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًا (٧٧) أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولداً (٧٨) أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً (٧٩) كلاً سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مداً (٨٠) وترثه ما يقول ويأتينا فرداً (٨١) وأتخذوا من دون الله آلهة ليسكونوا لهم عزاً (٨٢) كلاً سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً سبع آيات

❖ القراءة ❖

قرأ حمزة والكسائي ولدا بضم الواو وسكون اللام في هذه السورة اربعة مواضع وفي الزخرف ان كان للرحمن ولد وفي نوح وولده فهذه ستة مواضع وقرأ أهل البصرة وابن كثير وخلف في صورة نوح بالضم فقط وقرأ الباقون بفتح الواو واللام في جميع القرآن

❖ الحجة ❖

قال الفراء من امثال بني أسد « ولدك من دى عقيقك » قال وكان معاذ الحرشي يقول لا يكون الولد إلا جمعا وهذا واحد يعني الذي في الثلل وانشد

فليت فلانا كان في بطن أمه وليت فلانا كان ولد حمار

قال ابو علي يجوز ان يكون جمعا كاسد واسد ويجوز ان يكون واحدا فيكون ولد وولد كحزن وحزن وعرب وعرب فلا يكون كقول معاذ انه لا يكون إلا جمعا وما انشده الفراء من قوله « وليت فلانا كان ولد حمار » يدل على انه واحد ليس بجمع فهو مثل الفلك الذي يكون مرة جمعا ومرة واحدا

❖ الإعراب ❖

أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا الموصول الأول لرأيت والاستفهام في موضع المفعول الثاني وهو قوله تعالى أطلع الغيب الآية قال الزجاج كلاً زجر وردع وتنبه أي هذا مما يرتدع به وينبه على وجه الضلالة فيه وقال الفراء يكون صلة لما بعدها كقولك كلاً رب الكعبة وقال ابو حاتم جاءت في القرآن على وجهين يعني لا يكون ذلك وبمعنى الا التي للتنبه وجاءت في مواضع متوجهة على التأويلين ويدل على ذلك انها قد تكون مبتدأة مثل قوله علم الانسان ما لم يعلم ثم ابتداء كلاً إن الانسان ليطغى قال الاعشى

كلا زعمتم بأننا لا تقاتلكم انا لامثالكم يا قومنا قتل

وقال ابو العباس لا يوقف على كلاً لأنها جواب والفائدة تقع فيما بعدها وقيل يجوز الوقف عليه وبين مشكلات الوقف في القرآن الوقف على كلاً وقد قسمه القرآن على اربعة اقسام ❖ احدها ❖ ما يحسن الوقف عليه ويحسن الابتداء به ❖ والثاني ❖ يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء به ❖ والثالث ❖ يحسن الابتداء به

ولا يحسن الوقف عليه ﴿ والرابع ﴾ لا يحسن الوقف عليه ولا الابتداء به وهو في القرآن في ثلاثة وثلاثين موضعاً وليس في النصف الأول شيء منه فأما القسم الأول وهو ما يحسن الوقف عليه والابتداء به فعشرة مواضع قوله أم اتخذوا عند الرحمن عهداً كلاً وقوله ليكونوا لهم عزا كلاً وقوله تعالى لعلي عمل صالحاً فيما تركت كلاً وقوله الذين أحقنم به شركاء كلاً وقوله ثم ينجيهم كلاً وقوله إن يدخل جنة نعيم كلاً وقوله إن أزيد كلاً وقوله صحفاً مفشرة كلاً وقوله ربنا هانن كلاً وقوله إن ماله أخذه كلاً فمن جعل كلاً في هذه المواضع رداً للأول بمعنى لا ليس الأمر كذلك وقف عليه ومن جملة بمعنى إلا التي للتنبيه أو بمعنى حقا ابتداء به وهو يحتمل الوجهين في هذه المواضع ﴿ وأما الثاني ﴾ وهو ما يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء به فموضعان قوله فأخاف أن يقتلون قال كلاً وقوله أنا لمدركون قال كلاً ﴿ وأما الثالث ﴾ وهو ما يحسن الابتداء به ولا يحسن الوقف عليه فتسعة عشر موضعاً قوله كلاً أنها تذكرة كلاً والقمر كلاً فإنه تذكرة كلاً لما يقض ما أمره كلاً بل تكذبون بالدين كلاً إذا بلغت التراقي كلاً لا وزر كلاً بل يجيئون العاجلة كلاً سيعلمون كلاً بل ران على قلوبهم كلاً إن كتاب الفجار كلاً إن كتاب الأبرار كلاً إنهم عن ربهم كلاً إذا دكت الأرض دكا كلاً إن الإنسان ليطغى كلاً لئن لم ينته كلاً لا تطعه كلاً سوف تعلمون كلاً لو تعلمون . يحسن الابتداء بكلاً في هذه المواضع ولا يحسن الوقف عليه لأنه ليس بمعنى الرد للأول وقال بعضهم إنه يحسن الوقف على كلاً في جميع القرآن لأنه بمعنى اتبه إلا في موضع واحد وهو قوله كلاً والقمر لأنه موصول باليمين بمنزلة قوله أي وربني ﴿ وأما الرابع ﴾ فموضعان ثم كلاً سيعلمون ثم كلاً سوف تعلمون لا يحسن الوقف على ثم لأنه حرف عطف ولا على كلاً لأن الغائدة فيما بعد هذين الحرفين

﴿ النزول ﴾

روي في الصحيح عن خباب بن الارت قال كنت رجلاً غنياً وكان لي على العاص بن وائل دين فأتيت به انتقاضاً فقال لي لا أفضيك حتى تكفر بمحمد ﷺ فقلت لن أكفر به حتى تموت وتبعث قال فإني لمبعوث بعد الموت فسوف أفضيك دينك إذا رجعت إلى مال وولد قال فنزلت الآية أفرأيت الذي كفر بآياتنا

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه حال المؤمن فقال سبحانه (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) قيل معناه ويزيد الله الذين اهتدوا بالنسوخ هدى بالناسخ عن مقاتل وقيل يزيدهم هدى بالمعونة على طاعته والتوفيق لابتغاء مرضاته وهو ما يفتحه لهم من الدلالات وما يفعله بهم من اللطائف المقربة من الحسنات (والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً) قد مر تفسيره في سورة الكهف وجملة إن الأعمال الصالحة التي تبقى بقاء ثوابها وتنفع صاحبها في الدنيا والآخرة خير ثواباً من مقامات الكفارات التي يفتخرون بها كل الافتخار (وخير مرداً) أي خير عاقبة ومضعة يقال هذا الشيء أرد عليك أي اتفق واعد عليك لأن العمل الصالح ذاهب عنه يفقده له فيرده الله تعالى عليه يرد ثوابه إليه حتى يجده في نفسه (أفرأيت الذي كفر بآياتنا) أفرأيت كلمة تعجيب ومعناه أرايت هذا الكافر الذي كفر بآياتنا من القرآن وغيره وهو العاص بن وائل عن ابن عباس ومجاهد وقيل الوليد بن المغيرة عن الحسن وقيل هو عام فيمن له هذه الصفة عن أبي مسلم (وقال لا وتين مالا وولداً) استهزاء أي لا عطين مالا وولداً في الجنة عن الكلابي وقيل اعطي في الدنيا أي أن أقمتم على دين آبائي وعبادة آلهي اعطيت مالا وولداً (اطلع الغيب) هذه همزة الاستفهام دخلت على همزة الوصل فسقطت همزة الوصل ومعناه اعلم الغيب حتى يعلم أهو في الجنة أم لا عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه انظر في اللوح المحفوظ عن الكلابي وتأويله اشرف على علم الغيب حتى علم أنه سنوئيه مالا وولداً وأنه إن بعث رزق مالا وولداً (أم اتخذ عند الرحمن عهداً) أي اتخذ عند الله عهداً

بعمل صالح قدمه عن قتادة وقيل معناه أم عهد الله إليه أنه يدخل الجنة عن الكافي وقيل معناه أم قال لا إله إلا الله
فيرحمه الله بها عن ابن عباس (كلا) أي ليس الأمر على ما قال من أنه يوقى المال والولد ويجوز أن يكون المعنى
كلا أنه لم يطلع الغيب ولم يتخذ عند الله عهداً (سكتب ما يقول) أي ستأمر الحفظة باتباعه عليه لتجزيه به في
الآخرة ونواقه عليه (وغد له من العذاب مدا) أي نصل له بعض العذاب بالبعث ونزبده عذاباً فوق العذاب
فلا ينقطع عذابه أبداً وأكد الفعل بالمصدر كما يؤكد بالتكرير (ونزته ما يقول) أي ما عنده من المال والولد
بأهلاً كنا إياه وابطال ملكه عن ابن عباس وقاتدة وابن زيد (وبأتيننا فرداً) أي بأقي الآخرة - جيداً بلامال
ولا ولد ولا عدة ولا عهد (واتخذوا من دون الله آلهة) يعني أن هؤلاء الكفار الذين وصفهم اتخذوا آلهة أي
اصناماً عبدوها (ليكونوا لهم عزا) أي ليكونوا لهم شفعاء في الآخرة عن القراء وهذا معنى قول ابن عباس
ليمنعواهم مني وذلك أنهم رجوا منها الشفاعة والنصرة والمراد ليصيروا بهم إلى العز قال الله سبحانه (كلا) أي
ليس الأمر كما ظنوا بل صاروا بهم إلى الذل والعذاب (سيكفرون بعبادتهم) أي سيحجودون بأن يكفونوا
عبدوها ويتبرؤون منها لما يشاهدون من سوء عقابهم أمرهم ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين وقيل معناه ان
المبشرين سيكفرون بعبادة المشركين لها ويكذبونهم فيها كما قال حكاية عنهم تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون
عن الجبائي (ويكونون عليهم ضداً) قال الأخفش الضد يكون واحداً وجمعاً كرسول والعدو ومعناه ويكونون
عوناً عليهم واعداء لهم بخاصموتهم ويكذبونهم وقيل ويكونون قرناء لهم في النار ويلعنونهم ويتبرؤون منهم عن
قتادة وقيل ويكونون اعداءهم يوم القيامة وكانوا في الدنيا أولياءهم عن القتيبي

قوله تعالى (٨٣) ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين توزئهم أزياء (٨٤) فلا
تعجل عليهم إنما نعد لهم عذاباً (٨٥) يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً (٨٦) وانسوق
المجرمين إلى جهنم ورداً (٨٧) لا يملكون الشفاعة إلا من أخذ عند الرحمن عهداً (٨٨)
وقالوا اتخذ الرحمن ولداً (٨٩) لقد جئتم شيئاً إذا (٩٠) تكاد السماوات يتفطرن منه
وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً (٩١) أن دعوا للرحمن ولداً (٩٢) وما ينبغي للرحمن
أن يتخذ ولداً عشر آيات

❖ القراءة ❖

في الشواذ رواية قتادة عن الحسن يحشر المتقون ويساق المجرمون قال فقلت انها بالنون يا أبا سعيد قال وهي
للمتقين إذا وقراءة السلمي شيئاً إذا بفتح الهمزة وقرأ أبو جعفر وابن كثير وحفص تكاد بالناء بتفطرن بالناء
وفتح الطاء مشددة وفي عسق مثله وقرأ نافع والكسائي يكاد بالياء بتفطرن في السورتين وقرأ أبو عمرو و أبو بكر وهبيرة
عن حفص وبعقوب تكاد بالناء بتفطرن بالياء والنون وكسر الطاء في السورتين وقرأ ابن عامر وحمرزة وخلف
ها هنا تكاد بالناء بتفطرن بالنون مثل أبي عمرو في عسق تكاد بالناء بتفطرن بالناء أيضاً

— الحجة —

حجة من قرأ يحشر ويساق قوله تعالى وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً والأد بالفتح القوة قال «نضوت
حتى شوة وإذا» فلي هذا يمكن أن يكون المعنى لقد جئتم شيئاً ذا إيد أي ذا قوة وإن شئت وصفته بالمصدر
كقولهم رجل عدل وضيع والانتظار مطاوعة الفطر بقل فطره فانظر والتفطر مطاوعة التفطير يقال فطرته
فتفطر وكأنه اليتيم بهذا الموضع لما فيه من معنى المبالغة وتكرير الفعل وذهب أبو الحسن في معنى قوله تكاد

السموات إلى ان معنى تكاد تربد وكذلك قال في قوله كذلك كدنا ليوسف اي أردنا له وأنشد
كادت وكدت وتلك خير إرادة لو عاد من ذكر الصباية مامضى
وكذلك قوله في أكاد أخفيها أسيه اريد اخفيها وعلى هذا فسر غيره قول الافوه

فان تجمع اوتاد واعمدة وساكن بلغوا الأمر الذي كادوا

اي ارادوا قال المعنى يردن لانهن يتفطرن ولا يدنون من ذلك ولكن من مومن به اعظاما لقول المشركين
ولا يكون على من هم بالشئ ان يدنو منه ألا ترى ان رجلا لو أراد ان ينال السماء لم يدن من ذلك وقد كانت
منه ارادة وقد قال بعض المتأولين في قوله تكاد السموات يتفطرن منه هداً مثل كانت العرب إذا سمعت كذباً
او منكرات معاذلة وعظمته بالمثل الذي عندها عظيماً فقالت كادت الارض تنشق واضلم على ما بين السماء والأرض فلما
اقتروا على الله الكذب ضرب مثل كذبهم بأهول الاشياء واعظمها قال ابو علي ومما يقرب من هذا قول الشاعر

ألم تر صدعا في السماء مبيتا
على ابن لبين الحرث بن هشام
وقول الآخر

واصبح بطن مكة مقشعرا
كأن الأرض ليس بها هشام
وقال الآخر

لما اتى خبر الزبير تواضعت
سور المدينة والجبال الخشع

اللة

الاز الازعاج الى الأمر يقال ازه بأزه اذا وازيزا إذا هزه بالازعاج إلى امر من الأمور وازت القدر أزيذا
إذا غلت ومنه الحديث انه كان يصلي وازيز جوفه كأزيز الرجل من البكاء واززت الشئ إلى الشئ ضمته اليه
والوفد جمع وافد وقد يجمع وفودا ايضا وفد وفدا وأوفد على الشئ أشرف عليه والسوق الحث على السير
ساقه بسوقه سوقا ومنه الساق لاستمرار السير بها أو لان القدم يسوقها ومنه السوق لأنه يساق بها البيع
والشرى شيئا بعد شئ والورد الجماعة التي ترد الماء يقال ورد الماء يرد ووردا والأمر العظيم قال الراجز

قد لقي الأعداء مني نكرا
داهية دهياء إذا إمرا

والانتظار الانتقاق والتفطر التشقق والهد الهدم بشدة صوت

الإعراب

توزم جملة في موضع الحال ومفعول نعد لهم محذوف والتقدير نعدا عملهم عدا ويوم نحشر ظرف قوله
نعد لهم ويجوز أن ينتصب بقوله لا يملكون الشفاعة أي لا يملكون في ذلك اليوم وفدا منصوب على الحال من
المتقين أي وافدين ووردا كذلك اي واردين إلا من اتخذ هو موصول وصلة في موضع رفع لأنه بدل من الواو
في يملكون ويجوز ان يكون في محل نصب لأنه استثناء منقطع فإن من اتخذ عند الرحمن عهدا لا يكون من
المجرمين وقوله تنشق الأرض جملة معطوفة على الجملة التي قبلها وتقديره وتكاد الأرض تنشق والجبال تنقر وهذا
منصوب على المصدر في المعنى تقديره تنخر خرورا وتهدها ويجوز أن يكون في موضع الحال وان دعوا مفعول
له والتقدير لان دعوا أي لأجل ذلك

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ فقال (ألم تر) يا محمد (إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين) أسيه خليتنا

بينهم وبين الشياطين إذا وسوسوا إليهم ودعواهم إلى الضلال حتى اغوهم ولم نخل بينهم وبينهم بالاجراء ولا بالفتح
وعبر عن ذلك بالارسال على سبيل المجاز والتوسع كما يقال لمن خلى بين الكلب وغيره ارسل كبه عليه عن الجبائي
وقيل معناه سلطانهم عليهم ويكون في معنى التخليه ايضا على ما ذكرناه (توزم أزا) أي تزعمهم ازعاجا
من الطاعة إلى المعصية عن ابن عباس وقيل تغريهم اغراء بالشر تقول امض امض في هذا الأمر حتى توقعهم في
النار عن سعيد بن جبير (فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا) معناه فتطلب نفسك يا محمد ولا تستعجل لهم العذاب
فأنت مدة بقائهم قليلة فلما نعد لهم الأيام والسنين وما دخل تحت العدا فكان قد قدوقيل معناه نعد انقاسهم
في الدنيا فهي معدودة إلى الأجل الذي اجلناه لعذابهم عن ابن عباس وهذا من ابلغ الوعيد وقيل معناه نعد اعمالهم
على ما ذكرناه قيل (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) أي اذكر لهم يا محمد اليوم الذي نجتمع فيه من اتقى
الله في الدنيا بطاعته واجتنب معاصيه إلى الرحمن أي إلى جنته ودار كرامته وفودا وجماعات عن الأخفش وقيل
ركبانا بوتون بنوق لم ير مثلها عليها رحائل الذهب وازمتها الزبرجد فير كيون عليها حتى يضرىوا ابواب الجنة
عن امير المؤمنين (ع) وابن عباس (ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا) أي ونحش المجرمين على المسير إلى جهنم
عطاشا كالابل التي ترد عطاشا مشاة على ارجلهم عن ابن عباس والحسن وقتادة وسعى العطاش وردا لأنهم يردون
لطلب الماء وقيل الورد التصيب أي هم نصيب جهنم من التريقين والمؤمنون نصيب الجنة عن أبي مسلم (لا يملكون
الشفاعة) أي لا يقدرون على الشفاعة فلا يشفعون ولا يشفع لهم حين يشفع اهل الإيمان بعضهم لبعض لأن ملك
الشفاعة على وجهين أحدهما أن يشفع للغير والآخر أن يستدعي الشفاعة من غيره لنفسه فينبى سبحانه
أن هؤلاء الكفار لا تنفذ شفاعة غيرهم فيهم ولا شفاعة لهم لغيرهم ثم استثنى سبحانه فقال (إلا من اتخذ عند
الرحمن عهدا) أي لا يملكون الشفاعة إلا هؤلاء وقبل لا يشفع إلا هؤلاء والعهد هو الإيمان والاقرار بوحداية
الله تعالى وتصديق انبيائه وقيل هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن يتبرأ إلى الله من الحول والقوة ولا يرجو إلا
الله عن ابن عباس وقيل معناه لا يشفع إلا من وعد له الرحمن باطلاق الشفاعة كالأولياء والشهداء والعلماء والمؤمنين
على ما ورد به الأخبار وقال علي بن ابراهيم بن هاشم في تفسيره حدثني ابي عن الحسن بن محبوب عن سليمان
ابن جعفر (ع) عن ابي عبد الله (ع) عن ابيه عن آتاه (ع) قال قال رسول الله ﷺ من لم يحسن وصيته عند
الموت كان نقصا في مروءته قيل يارسول الله و كيف بوصي الميت قال إذا حضرته وفاته واجتمع الناس اليه
قال اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم إني اعهد اليك في دار الدنيا اني اشهد أن
لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وإن محمداً ﷺ عبدك ورسولك وأن الجنة حق وأن النار حق وأن
البعث حق والحساب حق والقدر والميزان حق وأن الدين كما وصفت وأن الإسلام كما شرعت وأن القول كما حدثت
وأن القرآن كما انزلت وأنت الله الحق المبين هجزي الله محمداً عننا خير الجزاء وحيا الله محمداً
وآله بالسلام اللهم يا عدي عند كربتي ويا صاحبي عند شدتي ويا ولي نعمتي وآله آبائي لا تكلفني إلى نفسي
طرفة عين فإنك ان تكلفني إلى نفسي اقرب من الشر وأبعد من الخير وآنس في القبر وحشتي وأجعل له عهدا يوم
الفاك منشورا ثم بوصي بجاحته وتصديق هذه الوصية في سورة مريم في قوله لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند
الرحمن عهدا فهذا عهد الميت والوصية حق على كل مسلم وحق عليه أن يحفظ هذه الوصية ويعلمها وقال امير
المؤمنين علي (ع) علمتها رسول الله ﷺ وقال علمتها جبرائيل (ع) (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) هذا
اخبار عن اليهود والنصارى ومشركي العرب فإن اليهود قالوا عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال
مشركو العرب الملائكة بنات الله (لقد جنتم شيئا ودا) هاهنا حذف تقديره قل لهم يا محمد لقد جنتم بشي
منكر عظيم شنيع فطبع فلما حذف الباء وصل الفعل اليه فنصبه (تكاد السموات يتفطرن منه) أي أرادت السموات
ان تنشق لعظم فريتهم اعظاما لقولهم ومعناه لو انشقت السموات بشي عظيم لكانت تنشق من هذا (وتنشق الأرض)

أي وكادت الأرض تنشق (وتخر الجبال) أي كادت الجبال تسقط (هدا) أي كسرا شديدا عن ابن عباس وقيل هدا عن عطا (ان دعوا للرحمن ولدا) أي لان دعوا للرحمن ولدا او من ان دعوا للرحمن ولدا أي بسبب دعوتهم او تسميتهم له ولدا (وما ينبي للرحمن ان يتخذ ولدا) أي ما يصلح للرحمن ولا يليق به اتخاذ الولد وليس من صفته ذلك لأن اثبات الولد له يقتضي حدوده وخروجه من صفة الإلهية واتخاذ الولد يدل على الحاجة تعالى عن ذلك وتقديس

قوله تعالى (٩٣) **إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا** (٩٤) **لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا** (٩٥) **وَكَلَّمَهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا** (٩٦) **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا** (٩٧) **فَأَيُّمَا يَسِرَّنَاهُ يَلْسَانُكَ لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا** (٩٨) **وَكَمِ أَهْلَكُنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِيسُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا**

ست آيات

اللغة

الدد شدة الخسومة وفي التنزيل ألد الخصام أي اشد الخصام خسومة وجمع الألدل قال الشاعر
 إن تحت الأشجار حزما وعزما
 وخصيباً ألد ذا معلق
 أي شديد الخسومة والركز الصوت الخفي واصل الركز الحسن ومنه الركاز لانه يحس به مال من تقدم
 ككشف عنه قال ذو الرمة

وقد نوحس ركزا من سنا بكمها
 أو كان صاحب أرض أوبه للموم

الأرض الرعدة والموم البرسام واصل الاحساس الإدراك بالحاسة

الاعراب

كل مبتدأ ومن في موضع خبر والجار والمجرور من صلته واتى الرحمن في موضع رفع خبر كل وهو مضاف لى المفعول ووحده كلا على اللفظ وعيدا في موضع الحال من الضمير من اتى وهل تحس منهم من احد من الأولي يتعلق بتحس والثانية مزيدة ويجوز أن يكون تقديره هل تحس احدا منهم ويكون منهم في موضع الصفة لاحد فلما قدم على الموصوف انصب على الحال

المعنى

ثم قال سبحانه (ان كل من في السماوات والأرض إلا اتى الرحمن عبدا) أي ما كل من في السماوات والأرض من الملائكة والانس والجن إلا ويأتي الله سبحانه عبدا مملوكا خاضعا ذليلا ومثله قوله وكل أتوه داخرين والمعنى ان المخلوق عبده خلقهم ورباهم وجرى عليهم حكمه وان عيسى وعزيرا والملائكة من جملة العبيد وفيه هذا دلالة على ان النبوة والعبودية لا يجتمعان وانه إذا ملك الإنسان ابنه عتق عليه (لقد احصاهم وعددهم عدا) أي علم تفاصيلهم واعدادهم فكأنه سبحانه عددهم إذ لا يخفى عليه شيء من احوالهم (وكلهم آتية يوم القيامة فردا) أي كل واحد منهم يأتي المحشر والموضع الذي لا يملك الأمر فيه إلا الله فردا وحيدا مفردا ليس له مال ولا ولد ولا ناصر مشغولا بنفسه لا يهمله هم غيره ثم ذكر سبحانه المؤمنين فقال (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) قيل فيه أقوال **احدها** انها خاصة في علي بن ابي طالب (ع) فاما من مؤمن إلا وفي قلبه حبة لعل (ع) عن ابن عباس وفي تفسير ابي حمزة الثمالي حدثني ابو جعفر الباقر (ع) قال

قال رسول الله ﷺ لعلي (ع) قل اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي في قلوب المؤمنين ودا فقالها علي (ع) فنزلت هذه الآية وروي نحوه عن جابر بن عبد الله الانصاري **« والثاني »** انها عامة في جميع المؤمنين يجعل الله لهم المحبة والإلفة والمقعة في قلوب الصالحين قال هرم بن حبان ما اقبل عبد بقلبه إلى الله إلا اقبل الله بقلوب المؤمنين اليه حتى يرزقهم مودتهم ورحمتهم ومحبتهم وقال الربيع بن انس إن الله إذا احب مؤمنا قال لجبرائيل اني احببت فلانا فأحبه فيحبه جبرائيل ثم يتادي في السماء إلا ان الله احب فلانا فأحبه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له قبول في اهل الأرض فعلى هذا يكون المعنى يحبهم الله ويحبهم إلى الناس **« والثالث »** ان معناه يجعل الله لهم محبة في قلوب اعدائهم ومخالفاتهم ليدخلوا في دينهم ويعتزوا بهم **« الرابع »** يجعل بعضهم يحب بعضا فيكون كل واحد منهم عضدا لأخيه المؤمن ويكونون يدا واحدة على من خالفهم **« والخامس »** ان معناه سيجعل لهم ودا في الآخرة فيحب بعضهم بعضا كمحبة الوالد لولده في ذلك اعظم السرور وأتم النعمة عن الجبائي وبويد القول الأول ما صح عن امير المؤمنين (ع) انه قال لو ضربت خيشوم المؤمن من بيني هذا على ان يبغي ما بغضني ولو صبت الدنيا بجمعتها على المتفق على ان يبغي ما احبني وذلك انه قضى فاقضى على لسان النبي الامي انه قال لا ينفك مؤمن ولا يحبك منافق ثم قال سبحانه لبيد **« فإنيما يسرناه بلسانك »** أي يسرنا القرآن بأن اتزلناه بلسانك وهي لغة العرب ليسهل عليهم معرفته ولو كان بلسان آخر ما عرفوه عن ابي مسلم وقيل معناه يسرناه قراءة القرآن على لسانك ومكانك من قراءته عن الجبائي (لتبشر به المتقين) اي لتبشر بالقرآن الذين يتقون الشرك والكبائر اي تخبرهم بما تسره مما اعداه الله لهم (وتنذر به قوما لدا) أي شدادا في الخصومة عن ابن عباس يعني قريشا وقيل قوما ذوي جدل مخاصمين عن قتادة ثم انذرهم سبحانه وخوفهم بقوله (وكم اهلكنا قبلهم من قرن) اي قبل هؤلاء من قرن مكذبين للرسول وفيه تسلية للنبي ﷺ والمعنى لا يهملك كقرهم وشقاقهم فإن وبال ذلك راجع اليهم وقد اهلكنا قبلهم من كان مثلهم (هل تحس منهم من احد) اي هل تبصر منهم احدا (او تسمع له زكزا) اي صوتا عن ابن عباس وقتادة وقيل حسا عن ابن زيد والمعنى انهم ذهبوا فلا يرى لهم عين ولا يسمع لهم صوت وكانوا اكثر اموالا واعظم اجساما واشد خصاما من هؤلاء فلم يفتهم ذلك لما اردنا اهلاكم فحكم هؤلاء الكفار حكم او كنتك في انه لا يبقى منهم عين ولا اثر والحمد لله رب العالمين

تم الجزء السادس من كتاب مجمع البيان في علوم القرآن

فهرس المجلد الثالث من مجمع البيان في تفسير القرآن

وهو حاو للجزء الخامس والسادس حسب تجزئة المصنف

وفيه تفسير سور التوبة ويونس وهود ويوسف والرعد و ابراهيم والحجر والنحل
والإسراء والكهف ومريم

﴿ سورة التوبة ﴾

صفحة	صفحة	صفحة
٢٢	وقالت اليهود عزيز ابن الله	٢
٢٣	إلى قوله سبحانه عما يشركون	٣
٢٤	ويريدون أن يطغثوا نور الله	٤
٢٥	بأنفوسهم إلى قوله ولو كره	٥
٢٦	المشركون	٦
٢٧	يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا	٧
٢٨	من الأخبار والرهبان إلى قوله	٨
٢٩	ما كنتم تكفرون	٩
٣٠	إن عدة الشهور عند الله اثنا	١٠
٣١	عشر شهرا	١١
٣٢	إنما النسي زيادة في الكفر	١٢
٣٣	يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا	١٣
٣٤	قيل لكم إلى قوله والله على	١٤
٣٥	كل شيء قدير	١٥
٣٦	إلا تنصروه فقد نصره الله	١٦
٣٧	انفروا خفافا وتقالا إلى قوله	١٧
٣٨	وتعلم الكاذبين	١٨
٣٩	لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله	١٩
٤٠	واليوم الآخر إلى قوله وهم كارهون	٢٠
٤١	ومنهم من يقول إنذن لي إلى	٢١
٤٢	قوله إنا معكم مترصدون	٢٢
٤٣	قل انفقوا طوعا أو كرها	٢٣
٤٤	فلا تعجبكم أموالهم	٢٤
٤٥	ويخلفون بالله إنهم لمنكم إلى	٢٥
٤٦	قوله وهم يمحسون	٢٦
٤٧	ومنهم من يلمزك في الصدقات	٢٧
٤٨	إلى قوله إلى الله راضون	٢٨
٤٩	إنا الصدقات للفقراء والمساكين	٢٩
٥٠	ومنهم الذين يؤذون النبي إلى	٣٠
٥١	قوله ذلك الخزي العظيم	٣١
٥٢	يحذر المنافقون أن تنزل عليهم	٣٢
٥٣	إلى قوله كانوا مجرمين	٣٣
٥٤	المنافقون والمنافقات بعضهم من	٣٤
٥٥	بعض إلى قوله انفسهم يظلمون	٣٥
٥٦	والمؤمنون والمؤمنات بعضهم	٣٦
٥٧	أوليا بعضهم إلى قوله وبئس المصير	٣٧
٥٨	يخلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا	٣٨
٥٩	كلمة الكفر	٣٩
٦٠	ومنهم من عاهد الله إلى قوله	٤٠
٦١	علام الغيوب	٤١
٦٢	الذين يلمزون المطوعين من	٤٢
٦٣	المؤمنين إلى قوله والله لا يهدي	٤٣
٦٤	القوم الفاسقين	٤٤
٦٥	فرح المخلفون بمقدمهم خلاف	٤٥
٦٦	رسول الله إلى قوله فاقعدوا مع	٤٦
٦٧	الخالفين	٤٧
٦٨	ولا تصل على أحد منهم مات	٤٨
٦٩	ابدا إلى قوله وهم كافرون	٤٩
٧٠	وإذا اتزلت سورة إلى قوله	٥٠
٧١	ذلك الفوز العظيم	٥١
٧٢	وجاء المعتذرون من الأعراب	٥٢
٧٣	ليس على الضعفاء ولا على المرضى	٥٣
٧٤	إلى قوله فهم لا يعلمون	٥٤
٧٥	يعتذرون إليكم إذا رجعت إليهم	٥٥
٧٦	سيخلفون بالله لكم إلى قوله	٥٦
٧٧	عن القوم الفاسقين	٥٧
٧٨	برأفة من الله ورسوله إلى قوله	٥٨
٧٩	وان الله مخزي الكافرين	٥٩
٨٠	وأذن من الله ورسوله إلى قوله	٦٠
٨١	إن الله يحب المتقين	٦١
٨٢	فإذا انسلخ الأشهر الحرم	٦٢
٨٣	إلى قوله ذلك بأنهم قوم لا يعلمون	٦٣
٨٤	كيف يكون للمشركين عهد	٦٤
٨٥	عند الله إلى قوله واكثرهم فاسقون	٦٥
٨٦	اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا	٦٦
٨٧	إلى قوله إن كنتم مؤمنين	٦٧
٨٨	قاتلوهم بذهبهم الله إلى قوله	٦٨
٨٩	والله عليم حكيم	٦٩
٩٠	أمر حسبتم أن تتركوا	٧٠
٩١	ما كان للمشركين أن يعبروا	٧١
٩٢	مساجد الله إلى قوله أن يكونوا	٧٢
٩٣	من المهتدين	٧٣
٩٤	أجملتم سقاية الحاج إلى قوله	٧٤
٩٥	إن الله عنده أجر عظيم	٧٥
٩٦	يا أيها الذين آمنوا إلى قوله	٧٦
٩٧	والله لا يهدي القوم الفاسقين	٧٧
٩٨	لقد نصركم الله في مواطن كثيرة	٧٨
٩٩	ثم أنزل الله سكينته إلى قوله	٧٩
١٠٠	والله غفور رحيم	٨٠
١٠١	يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون	٨١
١٠٢	نجس	٨٢
١٠٣	قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله	٨٣

صفحة	صفحة	صفحة
١١٢	٩١	٦٢
ويوم يحشرهم كأن لم يبشروا	هو الذي جعل الشمس ضياء الى	الاعراب اشد كفرا ونفاقا الى
الى قوله وهم لا يظلمون	قوله لايات لقوم يتقون	قوله إن الله غفور رحيم
١١٤	٩٢	٦٣
ويقولون متى هذا الوعد الى	ان الذين لا يرجون لقاءنا الى	والسابقون الأولون من المهاجرين
قوله بما كنتم تكسبون	قوله ان الحمد لله رب العالمين	ومن حولكم من الأعراب
١١٥	٩٣	٦٥
ويستنبذونك احق هو الى قوله	ولو يعجل الله للناس الشراستعمالهم	إلى قوله إن الله غفور رحيم
هو يحيي ويميت واليه ترجعون	الى قوله ما كانوا يعملون	خذ من أموالهم صدقة تطهرهم
١١٦	٩٥	٦٧
يا أيها الناس قد جاءكم موعظة	ولقد اهلكتنا القرون من قبلكم	الى قوله فينبشكم بما كنتم تعملون
من ربكم الى قوله خير	الى قوله لننظر كيف تعملون	٦٩ وآخرون مرجون لأمر الله
ما يحمعون	٩٦	٧٠
١١٧	وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات	والذين اتخذوا مسجدا ضارا
قل أرأيتم ما انزل الله لكم	الى قوله انه لا يفلح المجرمون	إلى قوله والله عليم حكيم
١١٨	٩٨	٧٤
وما تكون في شأن وما تتلو	ويعبدون من دون الله ما لا	إن الله اشترى من المؤمنين
منه من قرآن	يضرهم ولا ينفعهم الى قوله	انفسهم إلى قوله وبشر المؤمنين
١١٩	٩٩	٧٦
ألا ان اولياء الله لا خوف عليهم	اني معكم من المنتظرين	ما كان للنبي والذين آمنوا إلى
الى قوله هو السميع العليم	واذا اذقنا الناس رحمة الى قوله	قوله إن ابراهيم لأواه حليم
١٢١	١٠٠	٧٧
ألا ان لله من السماوات ومن	لنكونن من الشاكرين	وما كان الله ليضل قوما إلى
في الأرض الى قوله بما كانوا	فلما اتجاهم اذا هم يبنون في	قوله من ولي ولا نصير
يكفرون	الأرض بغير الحق	٧٨ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين
١٢٢	١٠٢	إلى قوله إن الله هو التواب الرحيم
واتل عليهم نبا نوح الى قوله	انما مثل الحياة الدنيا كماء	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
كيف كان عاقبة المنذرين	انزلناه من السماء الى قوله	٨١ ما كان لأهل المدينة ومن حولهم
١٢٤	صراط مستقيم	إلى قوله ما كانوا يعملون
ثم بعثنا من بعده رسلا الى	للذين احسنوا الحسنى الى قوله	٨٢ وما كان المؤمنون لينفروا كافة
قوله وما نحن لكما بمؤمنين	او لتلك اصحاب النارهم فيها	إلى قوله وهم كافرون
١٢٥	خالدون	٨٤ أولا يرون انهم يفتنون إلى قوله
وقال فرعون اتتوني بكل	١٠٤	روزوف رحيم
ساحر عليم الى قوله ولو كره	١٠٥	٨٥
المجرمون	١٠٦	فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله
١٢٦	١٠٨	إلا هو
فيا آمن لموسى الاذرية من قومه	قل هل من شر كانكم الى	﴿ سورة لا يونس ﴾
١٢٧	قوله عليم بما يفعلون	٨٧
وقال موسى يا قوم ان كنتم	١٠٩	بسم الله الرحمن الرحيم آلر
الى قوله من القوم الكافرين	١١١	الى قوله ان هذا لساحر بين
١٢٨	١١١	٨٩ ان ربكم الذي خلق السموات
وأوحينا الى موسى واخيه الى	توله انفسهم يظلمون	والأرض الى قوله بما كانوا يكفرون
قوله الذين لا يعلمون		
١٣٠		
وجاوزنا بني اسرائيل البحر		
الى قوله عن آياتنا لناقلون		
١٣٢		
ولقد يوأننا بني اسرائيل ميوأ		
صدق الى قوله حتى يروا		
العذاب الأليم		

صفحة	صفحة	صفحة
٢٣٤ ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتوها إلى قوله فليث في السجن بضع سنين	٢٥٩ قالوا تالله لقد آثر الله علينا إلى قوله وأتوني بأهلكم اجمعين	٢٣٥ وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان إلى قوله إلا قليلا مما تأكلون
٢٣٦ ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد إلى قوله وفيه يعصرون	٢٦١ ولما فصلت العير قال أبوهم إلى قوله انه هو الغفور الرحيم	٢٣٩ وقال الملك ائتوني به إلى قوله إن ربي غفور رحيم
٢٣٩ وقال الملك ائتوني به إلى قوله إن ربي غفور رحيم	٢٦٣ فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه إلى قوله وهم يكفرون لا بشعرون	٢٤١ وقال الملك ائتوني به إلى قوله للذين آمنوا وكانوا يتقون
٢٤٤ وجاء أخوة يوسف فدخلوا عليه فرغمهم إلى قوله وأخيرا المنزلين	٢٦٦ وما أكثر الناس إلى قوله وهم	٢٤٤ وجاء أخوة يوسف فدخلوا عليه فرغمهم إلى قوله وأخيرا المنزلين
٢٤٥ فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي إلى قوله لعلهم يرجعون	٢٦٨ قل هذه سبيلي إلى قوله أفلا تعقلون	٢٤٥ فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي إلى قوله لعلهم يرجعون
٢٤٦ فلما رجعوا إلى آبيهم إلى قوله قال الله على ما تقول وكيل	٢٦٩ حتى إذا استأيس الرسل إلى قوله لقوم يؤمنون	٢٤٦ فلما رجعوا إلى آبيهم إلى قوله قال الله على ما تقول وكيل
٢٤٨ وقال يابني لا تدخلوا من باب واحد إلى قوله ولكن أكثر الناس لا يعلمون	الجزء السادس	
٢٥٠ ولما دخلوا على يوسف إلى قوله وفوق كل ذي علم عليم	﴿ سورة الرعد ﴾	
٢٥٣ قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل إلى قوله وهو خير الحاكمين	٢٧٣ سورة الرعد آلم تلك آيات الكتاب إلى قوله بلقاء ربكم توفتون	٢٤٧ وقال الله على ما تقول وكيل واحد إلى قوله ولكن أكثر الناس لا يعلمون
٢٥٥ ارجعوا إلى آبيكم	٢٧٤ وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا	٢٤٨ وقال يابني لا تدخلوا من باب واحد إلى قوله ولكن أكثر الناس لا يعلمون
٢٥٦ وسئل القرية التي كنا فيها إلى قوله إنه لا يباس من روح الله إلا القوم الكافرون	٢٧٥ وفي الأرض قطع متجاورات	٢٥٠ ولما دخلوا على يوسف إلى قوله وفوق كل ذي علم عليم
٢٥٨ فلما دخلوا عليه قالوا يا أبا العزير مستأنا وأهلنا الضر إلى قوله اذ انتم جاهلون	٢٧٦ وإن تعجب فعجب قولهم إلى قوله ولكل قوم هاد	٢٥٣ قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل إلى قوله وهو خير الحاكمين
	٢٧٩ الله يعلم ما تحمل كل اثنى إلى قوله وما لهم من دونه من وال	٢٥٥ ارجعوا إلى آبيكم
	٢٨١ هو الذي يرسيكم البرق إلى قوله بالقدو والآصال	٢٥٦ وسئل القرية التي كنا فيها إلى قوله إنه لا يباس من روح الله إلا القوم الكافرون
	٢٨٤ قل من رب السماوات والأرض إلى قوله وهو الواحد القهار	٢٥٨ فلما دخلوا عليه قالوا يا أبا العزير مستأنا وأهلنا الضر إلى قوله اذ انتم جاهلون
	٢٨٥ انزل من السماء ماء	
	٢٨٦ للذين استجابوا لربهم	
	٢٨٨ أفمن يعلم أنما أنزل إليك إلى قوله فنعلم عقبي الدار	
٢٩٠ والذين يتقون عهد الله إلى قوله طوبى لهم وحسن مآب		
٢٩٢ كذلك أرسلنا في أمة إلى قوله ان الله لا يخلف الميعاد		
٢٩٤ ولقد استهزى يرسل من قبلك إلى قوله وما لهم من الله من واق		
٢٩٥ مثل الجنة التي وعد المتقون إلى قوله اليه ادعوا واليه مآب		
٢٩٦ وكذلك أنزلناه حكما عربيا		
٢٩٧ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك إلى قوله فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب		
٢٩٩ أولم يروا أنا تأتي الأرض إلى قوله ومن عنده علم الكتاب		
﴿ سورة ابراهيم ﴾		
٣٠٢ آلم كتاب أنزلناه إليك إلى قوله أولئك في ضلال بعيد		
٣٠٣ وما أرسلنا من رسول إلى قوله بلاء من ربكم عظيم		
٣٠٤ واذا تأذن ربكم إلى قوله فأتونا بسلطان مبين		
٣٠٦ قالت لهم رسلهم إن نحن الا بشر مثلكم إلى قوله وعلى الله فليتوكل المتوكلون		
٣٠٧ وقال الذين كفروا لرسولهم إلى قوله ذلك هو الضلال البعيد		
٣٠٩ ألم تر أن الله خلق السماوات والأرض بالحق إلى قوله مالنا من محيص		
٣١٠ وقال الشيطان لما قضي الأمر إلى قوله إن الظالمين لهم عذاب اليم		

صفحة	صفحة	صفحة	
٣٦٠ وأقسموا بالله جهد أيمانهم الى قوله كن فيكون	٣٣٩ ونبتهم عن ضيف ابراهيم الى قوله انها لمن الغابرين	٣١١ وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات الى قوله وفرعها في السماء	
٣٦١ والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا الى قوله ولعلمهم يتفكرون	٣٤١ فلما جاء آل لوط المرسلين الى قوله لفي سكرتهم يعمهون	٣١٢ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجثت من فوق الأرض	
٣٦٢ أقامن الذين مكروا السيئات الى قوله ويفعلون ما يؤسرون	٣٤٢ فأخذتهم الصيحة مشرقين الى قوله ما كانوا يكسبون	٣١٣ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الى قوله فلن مصيركم الى النار	
٣٦٥ وقال الله لا تتخذوا آللهين اثنين الى قوله فسوف تعلمون	٣٤٤ وما خلقنا السماوات والأرض الى قوله الذين جعلوا القرآن عضين	٣١٥ قل لعبادي الذين آمنوا الى قوله إن الانسان لظالم كفار	
٣٦٦ ويعملون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم الى قوله وهو العزيز الحكيم	٣٤٦ فوريك لسألتهم أجمعين الى قوله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين	٣١٧ واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلدا مثالي قوله يوم يقوم الحساب	
٣٦٧ ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة	﴿ سورة النحل ﴾		
٣٦٨ ويعملون لله ما يكرهون الى قوله لقوم يسمعون	٣٤٨ أتى امر الله فلا تستعجلوه الى قوله لا إله إلا أنا فانقون	٣٢٠ ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون الى قوله وضربنا لكم الأمثال	
٣٦٩ وإن لكم في الانعام لعبرة الى قوله إن الله عليم خبير	٣٤٩ خلق السماوات والأرض بالحق الى قوله إن ربكم لرؤوف رحيم	٣٢٢ وقد مكروا مكروا مكروا الى قوله وليذكر أولو الألباب	
٣٧٢ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق الى قوله وانتم لا تعلمون	٣٥٠ والحليل والبغال والحمير لئن كبوها وزينة الى قوله ومنه شجر فيه تسمعون	﴿ سورة الحجر ﴾	
٣٧٤ ضرب الله مثلا عبدا مملوكا الى قوله إن الله على كل شيء قدير	٣٥١ وسخر لكم الليل والنهار الى قوله إن في ذلك لآية لقوم يذكرون	٣٢٦ آرتلك آيات الكتاب وقرآن مبين الى قوله وما يستأخرون	
٣٧٥ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا	٣٥٣ وهو السذي سخر لكم البحر لئن أكلوا منه لحما طريا الى قوله إن الله لعتور رحيم	٣٢٩ وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون الى قوله فأتبعه شهاب مبين	
٣٧٦ ألم يروا الى الطير مسخرات في جوار السماء الى قوله ومتاعا الى حين	٣٥٤ والله يعلم ما تسرون وما تعلمون الى قوله إنه لا يحب المستكبرين	٣٣٢ والأرض مددناها الى قوله انه حكيم عليم	
٣٧٧ والله جعل لكم مما خلق ظللالا الى قوله ولا هم ينظرون	٣٥٥ وإذا قيل لهم ماذا انزل ربكم الى قوله فليشئ مشيئة المستكبرين	٣٣٤ ولقد خلقنا الانسان من صلصال الى قوله مع الساجدين	
٣٧٩ وإذا رآوا الذهن أشركوا شركاءهم الى قوله لعلكم تذكرون	٣٥٧ وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم الى قوله ما كانوا به يستهزئون	٣٣٥ قال فاخرج منها فانك رجيم وإن عليك اللعنة الى يوم الدين	
٣٨١ وادفوا بعهد الله اذا عاهدتم الى قوله ولكم عذاب عظيم	٣٥٨ وقال الذين أشركوا الى قوله وما لهم من ناصرين	٣٣٦ قال رب فانظر في اليوم يبعثون الى قوله جزء مقسوم	
٣٨٣ ولا تشعروا بعهد الله شيئا قليلا الى قوله والذين هم به مشركون		٣٣٨ إن المتقين في جنات وعيون الى قوله وان عذابها هو العذاب الأليم	

صفحة	صفحة	صفحة
	٤٢١ أو لتلك الذنوب يدعون يبتغون	(سور آتيني امراييل)
٤٤٨ الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب الى قوله ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا	الى قوله ان عذاب ربك كان محذورا	٣٩٤ سبحان الذي اسرى بيده ليلا الى قوله انه كان عبدا شكورا
٤٥٠ انا جعلنا ما على الارض زينة لها الى قوله احصى لما لبثوا امدا	٤٢٢ وان من قرية الا نحن مهلكوها الى قوله فما يزيدهم الا طفيفا كبيرا	٣٩٧ وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب الى قوله وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا
٤٥٣ نحن نقص عليك نبأهم بالحق الى قوله وبهي لكم من امركم مرفقا	٤٢٤ واذ قلنا للعلائكة اسجدوا لآدم الى قوله جزاء موفورا	٤٠٠ ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم الى قوله وكل شي فاصنانه تفضيلا
٤٥٤ وترى الشمس اذا طلعت إلى قوله ولملت منهم رعبا	٤٢٥ ان عبادي ليس لك عليهم سلطان	٤٠٢ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه الى قوله حتى نبعث رسولا
٤٥٦ وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم الى قوله ولن تغفلوا اذا ابدا	٤٢٧ ربكم الذي يزجي لكم الفلك الى قوله انكم علينا به تبعا	٤٠٥ واذا اردنا ان نهلك قرية الى قوله فتعمد مذموما محذولا
٤٥٧ وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا الى قوله منهم احدا	٤٢٨ ولقد كرمنا بني آدم الى قوله واضل سبيلا	٤٠٨ وقضى بك ان لا تعبدوا الا اياه الى قوله فانه كان للآولين غورا
٤٥٨ ولا تقولن شي الى قوله لا تقرب من هذا رشدا	٤٣٠ ان كادوا ليفتنونك الى قوله ثم لا تجد لك علينا نصيرا	٤١٠ وآت ذا القربى حقه والمسكين الى قوله انه كان بعباده خبيراً بصيرا
٤٦٢ ولبثوا في كهفهم الى قوله ولن تجد من دونه ملتحدا	٤٣٢ وان كادوا ليفتنونك من الارض الى قوله ولا تجد لستنا تحويلا	٤١٢ ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق الى قوله ذلك خير واحسن تأويلا
٤٦٤ واصبر صمك مع الذين يدعون ربهم الى قوله بش الشراب وسامت مرتفقا	٤٣٣ اقم الصلاة لدلوك الشمس الى قوله ان الباطل كان زهوقا	٤١٤ ولا تقف ما ليس لك به علم الى قوله لتقولون قولا عظيما
٤٦٦ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات الى قوله وحسن مرتفقا	٤٣٥ وتنزل من القرآن ما هو شفاء الى قوله فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا	٤١٦ ولقد صرفنا في هذا القرآن ليزكروا الى قوله انه كان حليماً غفورا
٤٦٧ واضرب لهم مثلا رجلين الى قوله لا تجدن خيرا منها منقلبا	٤٣٦ ويسألونك عن الروح الى قوله الا كفورا	٤١٨ واذا قرأت القرآن جعلنا بينك الى قوله فلا يستطيعون سبيلا
٤٦٩ قال له صاحبه وهو يحاوره الى قوله هو خير ثوابا وخير عقبا	٤٤١ قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم الى قوله وكان الانسان قتورا	٤١٩ وقالوا اذا كنا عظاما ورفاتا الى قوله ان لبثتم الا قليلا
٤٧٢ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا الى قوله ولا يظلم ربك احدا	٤٤٣ ولقد آتينا موسى الى قوله وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا	٤٢٠ وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن الى قوله واآتينا داود زبوراً
٤٧٤ واذ قلنا للعلائكة اسجدوا لآدم	٤٤٤ وقرآنا فرقاه لتقرأه على الناس	
	٤٤٥ قل آمنوا به أو لا تؤمنوا الى قوله وكبره تكبيرا	

صفحة	صفحة	صفحة
٥١٥	٤٩٧	٤٧٥
واذ ذكر في الكتاب ابراهيم الى قوله وجعلناهم لسان صدق عليا	ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات الى قوله ولا يشرك بعبادة ربه احدا	ما اشهدتهم خلق السماوات والأرض إلى قوله وجعلنا بينهم موبقا
٥١٧	﴿سورة القمر﴾	٤٧٦
واذ ذكر في الكتاب موسى الى قوله عند ربه مرضيا	﴿سورة القمر﴾	ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها إلى قوله وما انذروا همزوا
٥١٨	٥٠٠	٤٧٧
واذ ذكر في الكتاب ادريس إلى قوله ولا يظلمون شيئا	كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا إلى قوله واجعله رب رضيا	ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه
٥٢٠	٥٠٣	٤٧٨
جئات عدن التي وعد الرحمن عباده إلى قوله هل تعلم له سميا	بازكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى الى قوله ان سبحوه بكرة وعشيا	وربك القور ذوالرحمة الى قوله وجعلنا لمهلكم موعدا
٥٢١	٥٠٥	٤٧٩
ويقول الانسان اذا مات	يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى قوله يوم يبعث حيا	واذ قال موسى لفتهاه الى قوله فارتدا على آثارهما قصصا
٥٢٢	٥٠٦	٤٨٢
أولا بذكر الانسان انا خلقناه إلى قوله هم أولى بها صليا	واذ ذكر في الكتاب مريم	فوجدنا عبدا من عبادنا الى قوله لن نستطيع معي صبرا
٥٢٤	٥٠٧	٤٨٤
وان منكم الا واردةا إلى قوله وأضعف جنبا	فالتخنت من دونهم حجبا الى قوله ولم اك بغيا	قال ان سألتك عن شي بعدها الى قوله تسطع عليه صبرا
٥٢٧	٥٠٨	٤٨٨
أفرايت الذي كفر بآياتنا إلى قوله ويكفونون عليهم ضدا	قال كذلك قال ربك هو علي هين الى قوله آتاني الكتاب وجعلني نبيا	وبسألونك عن ذي القرنين الى قوله فأتبع سبيا
٥٢٩	٥١٢	٤٨٩
ألم تر أنا ارسلنا الشياطين على الكافرين الى قوله أن يتخذولدا	وجعلني مباركا اين ما كنت الى قوله فإنا نقول له كن فيكون	حتى اذا بلغ مغرب الشمس الى قوله فيعذبه عذابا نكرا
٥٣٢	٥١٤	٤٩١
ان كل من في السوات والارض الى قوله او تسمع لهم ركزا	وان الله ربي وربكم فاعبدوه الى قوله والبنا يرجعون	وأما من آمن وعمل صالحا الى قوله وكان وعد ربي حقا
		٤٩٥
		وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض الى قوله ورسلي همزوا

﴿ملاحظة﴾ اولاً : ان الصفحة ٢١٥ قد ذكر رقمها خطأ ٢٠٥ فلتنصح
ثانياً : ان الصفحة ٢٦١ قد وضعت مكان الصفحة ٢٦٢ كما ان الصفحة
٢٦٢ قد وضعت مكان الصفحة ٢٦١ خطأ فلينتبه إلى ذلك القارىء

